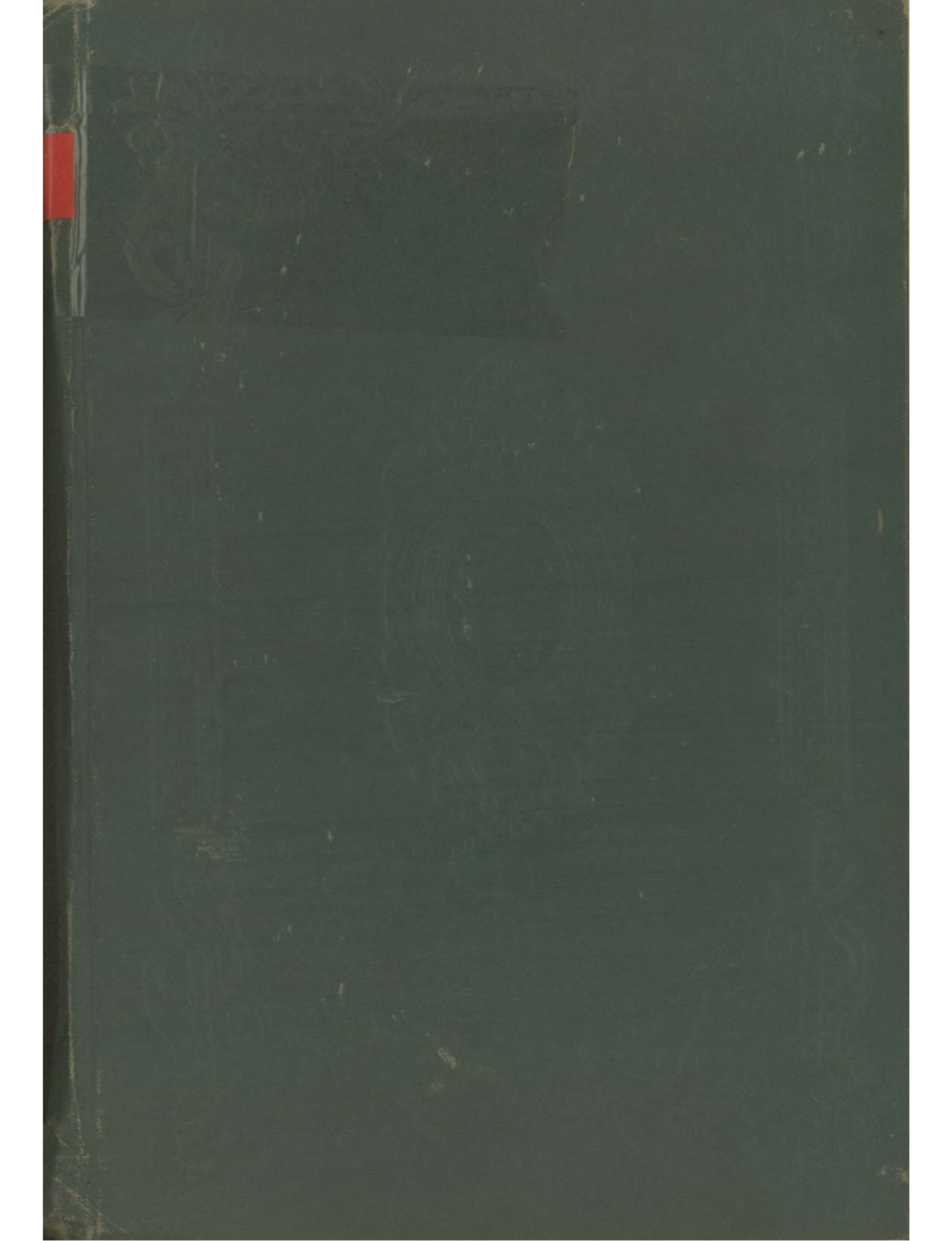
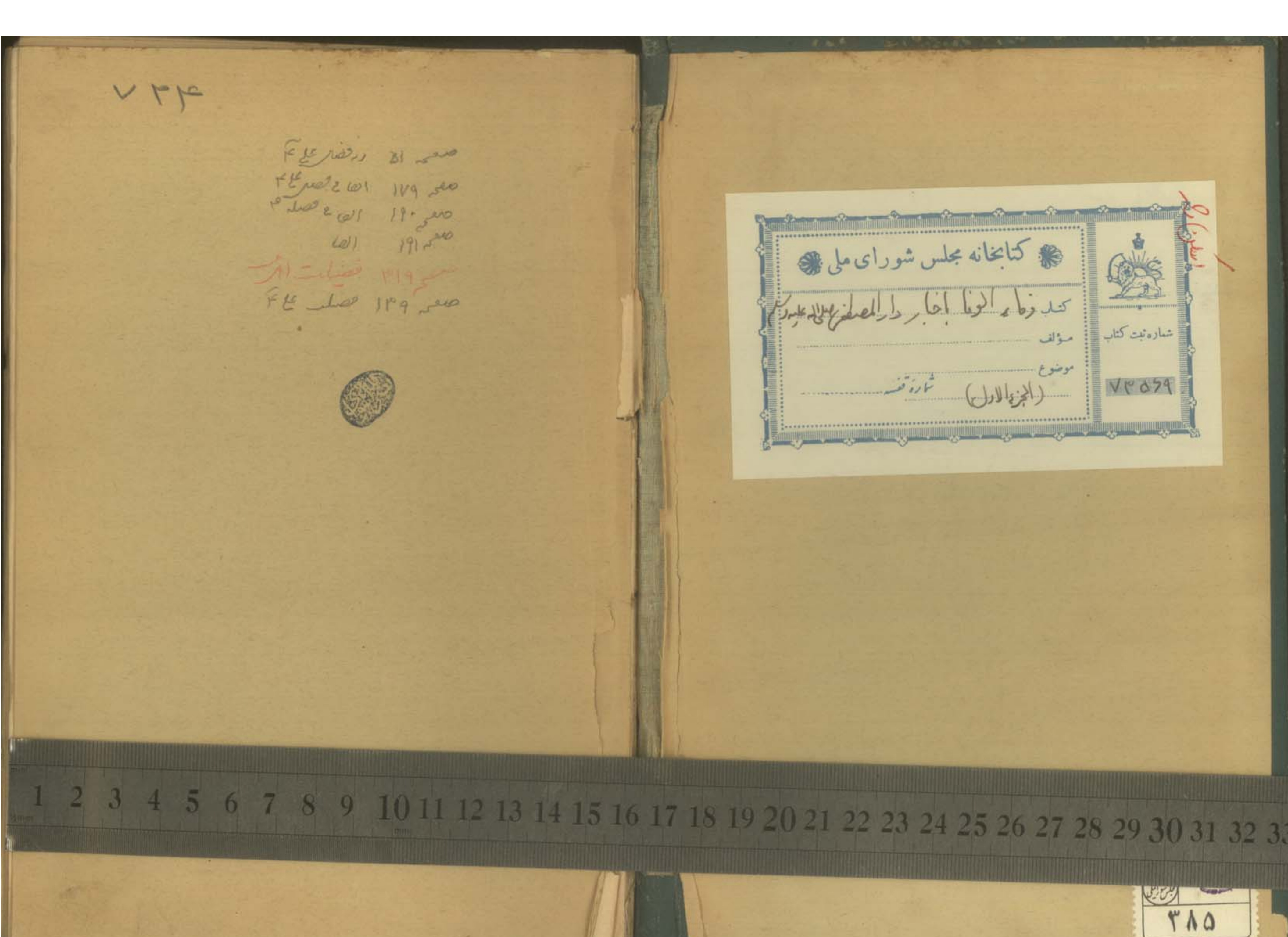
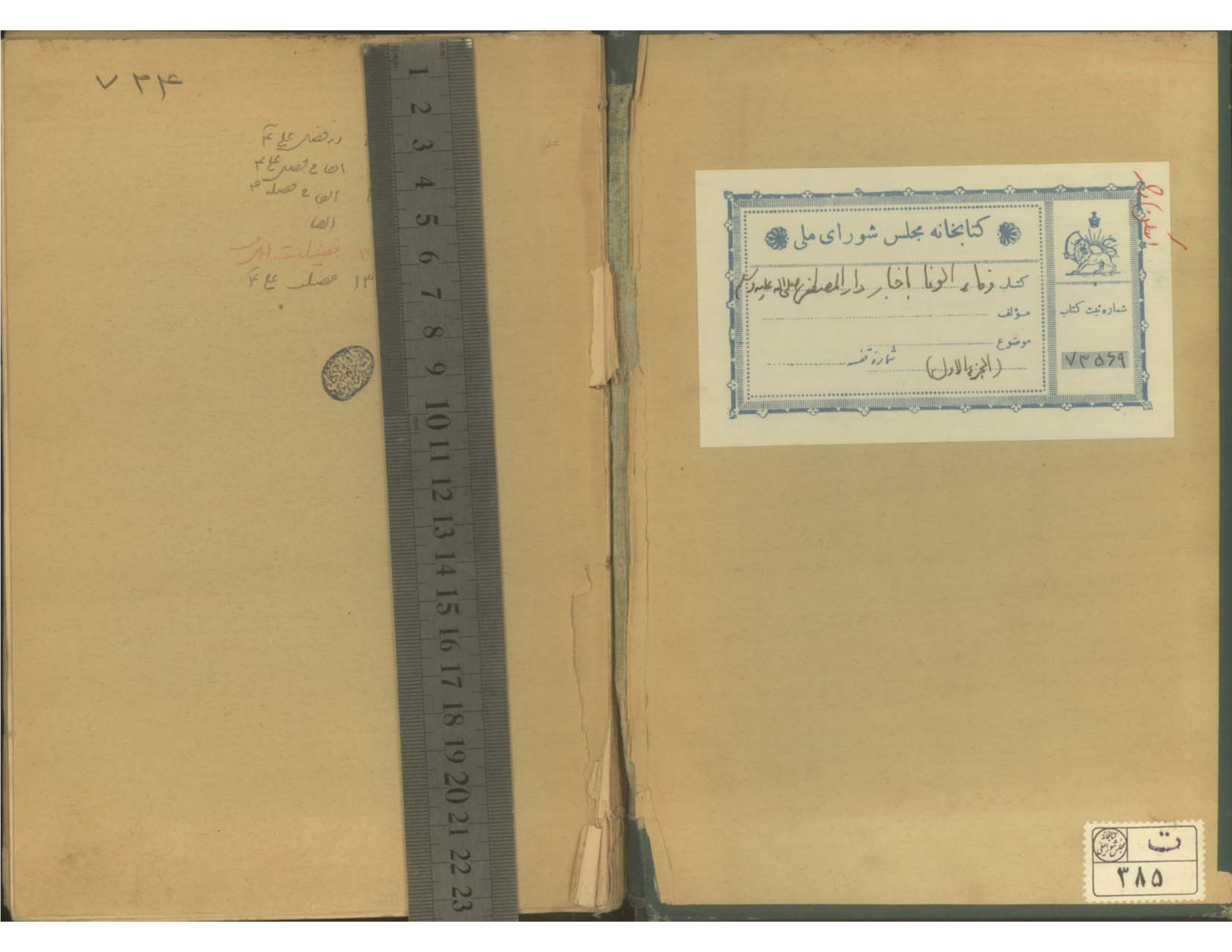




کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب
مؤلف
موضوع
شماره ثبت کتاب
۷۳۵۶۹
۳۸۵



٧٣٤
کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب
٧٣٥٦٩
مؤلف
موضوع
شمارهٔ قفسه
(الجزء الاول)
ت
٣٨٥

صفحه ۵۱ در فضل علی ع

صفحه ۱۷۹ ایضا در فضل علی ع

صفحه ۱۹۰ ایضا در فضله ع

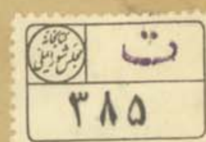
صفحه ۱۹۱ ایضا

صفحه ۳۱۶ فضیلت امیر

صفحه ۱۳۹ در فضل علی ع







كتاب

﴿ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴾

تأليف الشيخ الامام العلامة والعمدة الفهامة شيخ الاسلام ومفتي الانام أوحد العلماء الاعلام ذو التصانيف المفيدة والمؤلفات الفريدة العديدة السيد الشريف نور الدين علي بن السيد الشريف العالم العلامة المحقق المدقق جمال الدين أبو المحاسن عبد الله بن السيد الشريف شهاب الدين بن العباس أحمد الحسيني الشافعي السمهودي نزيل طيبة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية آمين

الجزء الاول

(نبذة من ترجمة المؤلف)

هو علي نور الدين ويقال له أبو الحسن بن عبد الله السمهودي كان عالم المدينة توفي سنة احدى عشر بعد الالف ولما اطلع بن أبي الحرم على تاريخه قال

من رام يستقصي معالم طيبة * ويشاهد المعدوم بالموجود
فعليه باستقصاء تاريخ الوفا * تأليف عالم طيبة السمهودي

هكذا في ترجمة ابراهيم بن أبي الحرم المدني واحد علماء المدينة في زمنه توفي سنة الف وستة وخمسين ودفن بالبقيع انظر ترجمته في صحيفة اثنين وأربعين من الجزء الاول من خلاصة الاثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر اهـ وفي كشف الظنون مايفيد ان اسم المؤلف نور الدين علي بن أحمد السمهودي وان وفاته سنة تسعمائة واحدى عشر وهو الاشبه بالصواب لما تدل عليه بقية عبارة كشف الظنون فراجعه ان شئت

(طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣٢٦ هجرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ﴿أما بعد﴾ حمداً لله على آلائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف أنبيائه . وعلى آله وأصحابه وأصفيائه وبعد فقد سألني من طاعته غنم . ومخالفته غرم . ان اختصر تأليفي المسمى باقتفاء الوفا باخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا لديه اختصارا مع توسط غير مفرط هذا مع كونه بعد لم يقدر اتمامه بتكامل أقسامه لسلوكي فيه طريقة الاستيعاب وجمع ما افترق من معاني تلك الابواب . وتلخيص مقاصد جميع تواريخ المدينة التي وقفت عليها . واضافة ما اقتضى الحال ان يضاف اليها . مع عروض الموانع . وترادف الشواغل والقواطع . فاجبته الى سؤاله لما رأيت من شغفه بذلك واقباله مع ما رأيت في ذلك من الاتحاف بأمور لا توجد في غيره من المختصرات بل ولا المبسوطات سيما فيما يتعلق باخبار الحجرة الشريفة . ومعالمها المنيفة . فاني قد استفدته عيانا . وعلمت اخبارها ايقانا بسبب ما حدث في زماننا من العمارة التي سنشير اليها . ونقف في محلها عليها . لاشتمالها على تجديد ما كاد ان يهي في الحجرة الشريفة من الاركان . واحكام ما أحاط بها من البنيان وتشرفت بالخدمة في اعادة بنيانها . وتجنبت شهود نقض أركانها . وحظيت بالوقوف على عرصتها . وتمتعت بانتشاق تربتها . ونعمت العين بالاكتحال بارضها الشريفة . ومحال الاجساد المنيفة . فامتلأ القلب حياء ومهابة . واكتسى من ثياب الذل أثوابه . هذا وقد جبلت القلوب على الشغف باخبار هذا المحل وأحواله . كما هو دأب كل محب مغرم وله ولله در القائل

أملياني حديث من سكن الجذ ۞ ع ولا تكتباه الا بدمعي
فاتني ان أرى الديار بطرفي ۞ فلعلي أرى الديار بسمعي

ولعمري ان الاعتناء بذلك وضبطه وافادته من مهمات الدين . وان النظر فيه مما يزيد في الايمان واليقين . لما فيه من معرفة معاهد دار الايمان . ونشر أعلامها المرغمة للشيطان . وتذكر آياتها الواضحة التبيان . والمرجو من الله تعالى ان يكون كتابنا هذا تحفة لمحبي دار الابرار . ومن سكن بها من الاخيار . ووفد عليها من الوفاد وقد بذلت الجهد في تهذيبه وتقريبه رجاء دعوة تمحو الاوزار . وتقيل العثار . ونظرة قبول من المصطفى المختار . صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاطهار . وصحابته الاخيار . وسميته (وفاء الوفى باخبار دار المصطفى) صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم ورتبته على أبواب ﴿الباب الاول﴾ في أسماء هذه البلدة الشريفة ﴿الباب الثاني﴾ في فضائلها وبدء شأنها وما يؤول اليه أمرها وما يتعلق بذلك وفيه خمسة عشر فصلا (الاول) في تفضيلها على غيرها من البلاد (الثاني) في الحث على الاقامة بها والصبر على لأوائها وشدتها وكونها تنفي الخبث والذنوب ووعيد من أرادها وأهلها بسوء واحدث بها حدثا أو آوى محدثا (الثالث) في الحث على حفظ أهلها واكرامهم والتحريض على الموت بها واتخاذ الاصل (الرابع) في بعض دعائه صلى الله عليه وسلم لها ولاهلها وما كان بها من الوباء ودعائه بنقله (الخامس) في عصمتها من الدجال والطاعون (السادس) في الاستشفاء بترابها وتمرها (السابع) في سر دخصائصها (الثامن) في صحيح ما ورد في تحريمها (التاسع) في بيان عير وثور اللذين وقع تحديد الحرم بهما (العاشر) في أحاديث أخر تقتضي زيادة الحرم على ذلك التحديد وانه مقدر ببريد (الحادي عشر) في بيان ما في هذه الاحاديث من الالفاظ المتعلقة بالتحديد ومن ذهب الى مقتضاها (الثاني عشر) في حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم (الثالث عشر) في أحكام هذا الحرم الكريم (الرابع عشر) في بدئ شأنها وما يؤول اليه أمرها (الخامس عشر) فيما ذكر من وقوع ما ورد من خروج أهلها وتركهم لها (السادس عشر) في ظهور نار الحجاز التي أنذر بها النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت من أرضها وانطفائها عند وصولها الى حرمها ﴿الباب الثالث﴾ في اخبار سكانها في سالف الزمان ومقدمه صلى الله عليه وسلم اليها وما كان من أمره بها في سني الهجرة وفيه اثنا عشر فصلا (الاول) في سكانها بعد الطوفان وما ذكر في سبب سكنى اليهود بها وبيان منازلهم (الثاني) في سبب سكنى الانصار بها (الثالث) في نسبهم (الرابع) في ظهورهم على اليهود . وما اتفق لهم مع تبع (الخامس) في منازلهم بعد الاخلال

اليهود وشيء من آطامهم وحروبهم (السادس) في ما كان بينهم من حرب بعاث (السابع) في مبدأ اكرام الله لهم بهذا النبي الكريم وذكر العقبة الصغرى (الثامن) في العقبة الكبرى وما أفضت اليه (التاسع) في مبدء هجرته صلى الله عليه وسلم (العاشر) في دخوله صلى الله عليه وسلم أرض المدينة وتأسيس مسجد قباء (الحادي عشر) في قدومه باطن المدينة المنيفة وسكناه بدار أبي أيوب الانصاري وخبر هذه الدار ومؤاخاته بين المهاجرين والانصار (الثاني عشر) في ما كان من أمره صلى الله عليه وسلم بها في سنين الهجرة ﴿الباب الرابع﴾ فيما يتعلق بأمور مسجدها الاعظم والحجرات المنيفات وما كان مطيفا بها من الدور والبلاط وسوق المدينة ومنازل المهاجرين واتخاذ السور وفيه سبعة وثلاثون فصلا (الاول) في أخذه صلى الله عليه وسلم لموضع مسجده الشريف وكيفية بنائه (الثاني) في درعه وحدوده التي يتميز بها عن سائر مسجده اليوم (الثالث) في مقامه الذي كان يقوم به قبل تحويل القبلة و بعده وما جاء في تحويلها (الرابع) في خبر الجذع واتخاذ المنبر وما اتفق فيه (الخامس) في فضل المسجد الشريف (السادس) في فضل المنبر المنيف والروضة الشريفة (السابع) في الاساطين المنيفة (الثامن) في الصفة وأهلها وتعلق الاقناء لهم بالمسجد (التاسع) في حجره صلى الله عليه وسلم و بيان احاطتها بمسجده الا من جهة المغرب (العاشر) في حجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها (الحادي عشر) في الامر بسد الابواب و بيان ما استثنى من ذلك (الثاني عشر) في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد (الثالث عشر) في البطيحاء التي بناها بناحيته ومنعه من انشاد الشعر ورفع الصوت فيه (الرابع عشر) في زيادة عثمان رضي الله عنه (الخامس عشر) في المقصورة التي اتخذها به (السادس عشر) في زيادة الوليد على يد عمر بن عبد العزيز (السابع عشر) فيما اتخذه عمر فيها من المحراب والشرفات والمنارات والحرس ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه (الثامن عشر) في زيادة المهدي (التاسع عشر) فيما كانت عليه الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة في مبدء الامر (العشرون) في عمارتها بعد ذلك والحائز الذي أدير عليها (الحادي والعشرون) فيما روى في صفة القبور الشريفة بها وانه بقي هناك موضع قبر لعيسى عليه الصلاة والسلام وتنزل الملائكة حافين بالقبر الشريف وتعظيمه والاستسقاء به (الثاني والعشرون) فيما ذكر من صفتها وصفة الحائز الدائر عليها وما شاهدناه مما يخالف ذلك (الثالث والعشرون) في عمارة اتفقت بها بعد ما تقدم على ما نقله بعضهم

وما نقل من الدخول اليها وتأزيرها بالرخام (الرابع والعشرون) في الصندوق الذي في جهة الرأس الكريم والمسمار الفضة المواجه للوجه الشريف ومقام جبريل عليه السلام وكسوة الحجرة وتحليتها (الخامس والعشرون) في قناديلها ومعاليقها (السادس والعشرون) في الحريق الاول القديم المستولي على تلك الزخارف المحدثة بها وبالمسجد وسقفها وما أعيد من ذلك (السابع والعشرون) في اتخاذ القبة الزرقاء تمييزا للحجرة الشريفة والمقصورة الدائرة عليها (الثامن والعشرون) في عمارتها المتجددة في زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا وما حصل من ازالة هدم الحريق من ذلك والمحل الشريف ومشاهد وضعه المنيف وتصوير ما استقر عليه أمر الحجرة (التاسع والعشرون) في الحريق الحادث في زماننا بعد العمارة السابقة وما ترتب عليه ألحقته هنا مع الحاق ما تقدمت الاشارة اليه في الفصول لحدوثه بعد الفراغ من مسودة كتابنا هذا وفي آخره خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق مملوء من الرصاص حول الحجرة (الثلاثون) في تحصيب المسجد وأمر البزاق فيه وتخليقه واجماره وشيء من أحكامه (الحادي والثلاثون) فيما احتوى عليه من الاروقة والاساطين والبلوعات والسقايات والحواصل وغير ذلك (الثاني والثلاثون) في أبوابه وخوخاته وما يميزها من الدور المحاذية لها (الثالث والثلاثون) في خوخة آل عمر رضي الله عنه (الرابع والثلاثون) فيما كان مطيفا به من الدور (الخامس والثلاثون) في البلاط وما حوله من منازل المهاجرين (السادس والثلاثون) في سوق المدينة (السابع والثلاثون) في منازل القبائل من المهاجرين وما حدث من اتخاذ السور ﴿الباب الخامس﴾ في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في الاعياد وغير ذلك من مساجد المدينة التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أوجلس مما علمت عينه أوجهته وفضل مقابرها ومن سمي ممن دفن بها وفضل أحد والشهداء به وفيه سبعة فصول (الاول) في مصلى الاعياد (الثاني) في مسجد قباء وخبر مسجد الضرار (الثالث) في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا (الرابع) فيما علمت جهته من ذلك ولم يعلم عينه (الخامس) في فضل مقابرها (السادس) في تعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت رضوان الله عليهم والمشاهد المعروفة بها (السابع) في فضل أحد والشهداء به ﴿الباب السادس﴾ في آبارها المباركات والعين والغراس والصدقات التي هي للنبي صلى الله عليه وسلم منسوبات وما يعزى اليه من المساجد التي صلى فيها في

الاسفار والغزوات وفيه خمسة فصول (الاول) فى الآبار المباركات وفيه تتمة فى العين المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم والعين الموجودة في زماننا (الثاني) في صدقاته صلى الله عليه وسلم وما غرسه بيده الشريفة (الثالث) فيما ينسب اليه من المساجد التى بين مكة والمدينة بالطريق التى كان يسلكها صلى الله عليه وسلم (الرابع) في بقية المساجد التى بينهما بطريق ركب الحاج في زماننا وطريق المشيان وما قرب من ذلك (الخامس) فى بقية المساجد المتعلقة بغزواته وعمره صلى الله عليه وسلم ﴿الباب السابع﴾ في أوديتها واحمائها وبقاعها وجبالها وأعمالها ومضافاتها ومشهور مافي ذلك من المياه والاودية وضبط أسماء الاماكن المتعلقة بذلك وفيه ثمانية فصول (الاول) فى فضل وادى العقيق وعرصته وحدوده (الثاني) فيما جاء في اقطاعه وابتناء القصور به وطريق أخبارها (الثالث) فى العرصة وقصورها وشئ مما قيل فيها وفي العقيق من الشعر (الرابع) في جماواته وأرض الشجرة وثنية الشريد وغيرها من جهاته وفيه خاتمة فى سرد مايدفع فيه من الاودية وما به من الغدران (الخامس) في بقية أودية المدينة (السادس) فيما سمى من الاحماء ومن حماها وشرح حال حمى النبى صلى الله عليه وسلم بالنقيع (السابع) في شرح حال بقية الاحماء وأخبارها (الثامن) فى بقاع المدينة واعراضها واعمالها ومضافاتها وأنديتها وجبالها وتلاعها ومشهور مافى ذلك من الآبار والمياه والاودية وضبط أسماء الاماكن المتعلقة بذلك وبالمساجد والآطام والغزوات وشرح حال مايتعلق بجهات المدينة وأعمالها من ذلك على ترتيب حروف الهجاء (الباب الثامن) فى زيارته صلى الله عليه وسلم وفيه أربعة فصول (الاول) فى الاحاديث الواردة فى الزيارة نصا (الثانى) فى بقية أدلتها وبيان تأكد مشروعيتها وقربها من درجة الوجوب حتى أطلقه بعضهم عليها وبيان حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره وشد الرحال اليه وصحة نذر زيارته والاستئجار للسلام عليه (الثالث) فى توسل الزائر وتشفعه به صلى الله عليه وسلم الى ربه تعالى واستقباله له صلى الله عليه وسلم في سلامه وتوسله ودعائه (الرابع) فى آداب الزيارة والمجاورة والتبرك بتلك المساجد والآثار وهذا الباب وان كان من حقه التقديم لكنه لما كان كنتيجة الكتاب ومقدماته ماتقدمه من الابواب ختمت به اقسامه ليكون المسك ختامه وسر الوجود تمامه وتفاولا بأن يفتح لى به ثمانية أبواب الجنة ويعظم لى بسببه سوابغ المنة وبالله لا سواه أعتصم وأسأله العصمة مما يصم فهو حسبى ونعم الوكيل .

﴿ الباب الاول في أسماء هذه البلدة الشريفة ﴾

اعلم ان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى انى زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازى اللغوى وهو أعظم الناس فى هذا الباب نحو ثلاثين اسما فرقمت على ذلك صورة ليتميزوها وأنا أوردها مرتبة على حروف المعجم (الاول) أثرب كمسجد بفتح الهمزة وسكون المثلثة وكسر الراء وباء موحدة لغة في يثرب الآتى واحد الاسماء كالملم ويلملم قيل سميت بذلك لانه اسم من سكنها عند تفرق ذرية نوح عليه السلام في البلاد وهل هو اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أو للمدينة نفسها أو لموضع مخصوص من ارضها أقوال (الأول) لابي عبيدة (الثاني) عن ابن عباس رضى الله عنهما ومشى عليه الزمخشرى (والثالث) هو المعني بقول محمد بن الحسن أحد أصحاب مالك ويعرف بابن زبالة وكانت يثرب أم قرى المدينة وهى مابين طرف قناة الى طرف الجرف وما بين المال الذى يقال له البرنى الى زبالة وقد نقل ذلك الجمال المطرى عنه وزاد فى النقل أنه كان بها ثلاثمائة صائغ من اليهود وابن زبالة انما ذكر أن ذلك كان بزهوة وقد غاير بينها وبين يثرب وكأن الجمال فهم اتحادهما وقد قال عقب نقله لذلك عنه وهو يعنى يثرب معروفة اليوم بهذا الاسم وفيها نخيل كثيرة ملك لاهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم وهي غربى مشهد سيدنا حمزة وشرقى الموضع المعروف بالبركة مصرف عين الازرق ينزلها الحاج الشامى في وروده وصدوره وتسميها الحجاج عيون حمزة وهى الى اليوم معروفة بهذا الاسم أعنى يثرب وربما قالوا فيها أثارب بصيغة الجمع وبه عبر البرهان بن فرحون فى مناسكه فلك أن تعده اسم آخر وهذا الموضع يثرب قال المطرى كان به منازل بنى حارثة بطن ضخم من الاوس قال وفيهم نزل قوله تعالى في يوم الاحزاب «واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا» ورجح به القول الثالث وذلك ان قريشا ومن معهم نزلوا يوم الاحزاب ويوم أحد أيضا على ماذكره المطرى برومة وما والاها بالقرب من منازل بنى حارثة من الاوس ومنازل بنى سلمة من الخزرج وكان الفريقان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركز الحرب ولذلك خافوا على ذراريهم وديارهم العدو يوم أحد فنزل فيها «اذ همت طائفتان منكم

ان تفشلا والله وليهما» قال عقلاؤهم ما كرهنا نزولها لتولى الله ايانا ودفع الله عنهم ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وصدق نياتهم وقيل ان القائل لبنى حارثة «يا أهل يثرب لا مقام لكم» هو أوس بن قيظى ومن معه وقيل غير ذلك قات ويرجح القول الثالث أيضا قول الحافظ عمر بن شبة النميرى قال أبو غسان وكان بالمدينة فى الجاهلية سوق بزبالة فى الناحية التى تدعى يثرب انتهى . ولا شك في اطلاق يثرب على المدينة نفسها كما ثبت فى الصحيح وشواهده أشهر من ان تذكر وسيأتى في أول الفصل الرابع عشر من الباب الثاني مايقتضى ان الله تعالى سماها قبل ان تعمر وتسكن فاما ان يكون موضوعا لها أو هو من باب اطلاق اسم البعض على الكل أو من باب عكسه على الخلاف المتقدم (وروى ابن زبالة وابن شبة نهيه صلى الله عليه وسلم عن تسمية المدينة يثرب وفى تاريخ البخارى حديث (من قال يثرب مرة فليقل المدينة عشر مرات) وروى أحمد وأبو يعلى حديثا (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله وهى طابة) ورجاله ثقات وفى رواية فليستغفر الله ثلاثا ولهذا قال عيسى بن دينار من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة وكره بعض العلماء تسميتها بذلك وما وقع فى القرآن من تسميتها به انما هو حكاية عن قول المنافقين ووجه كراهة ذلك اما لانه مأخوذ من الثرب بالتحريك وهو الفساد أو لكراهة التثريب وهو المؤاخذة بالذنب أو لتسميتها باسم كافر وقد ينازع فى الكراهة بما فى حديث الهجرة فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم (فذهب وهلى الى اليمامة أوهجر فاذا هى المدينة يثرب) وحديث مسلم (انه وجهت الى أرض ذات نخل لاأراها الا يثرب) وكذا جاء فى غيرهما من الاحاديث وقد يجاب بان ذلك كان قبل النهى . (الثاني) أرض الله قال الله تعالى «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» ذكر مقاتل والثعلبى وغيرهما ان المراد به المدينة فى هذه الاضافة من مزيد التعظيم بما لايخفى (الثالث) أرض الهجرة كما فى حديث (المدينة قبة الاسلام) (الرابع) أكالة البلدان لتسلطها على جميع الامصار وارتفاعها على سائر بلدان الاقطار وافتتاحها منها على أيدى أهلها فغنموها وأكلوها (الخامس) أكالة القرى لحديث الصحيحين (أمرت بقرية تأكل القرى) وقد استدل به مثبتوا الاسم قبله وهو أصرح في هذا الفرق بين البلدة والقرية (السادس) الايمان قال الله تعالى مثنيا على الانصار «والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم» وأسند ابن

زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر قالا سمى الله المدينة الدار والايمان وأسند ابن شبة عن الثانى فقط . وقال البيضاوى فى تفسيره قيل سمى الله المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره . وروى أحمد الدينوري فى كتابه المجالسة في قصة طويلة عن أنس بن مالك (ان ملك الايمان قال أنا أسكن المدينة فقال ملك الحياء وأنا معك) فاجمعت الامة على ان الايمان والحياء ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى حديث (الايمان يأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) *(السابع) البارة *(الثامن) البرة هما من قولك امرأة بارة وبرة أي كثيرة البر سميت بذلك لكثرة برها الى أهلها خصوصا والى جميع العالم عموما اذ هى منبع الاسرار واشراق الانوار وبها العيشة الهنية والبركات النبوية *(التاسع) البحرة بفتح أوله وسكون المهملة *(العاشر) البحيرة تصغير ماقبله *(الحادى عشر) البحيرة بفتح أوله نقلت ثلاثتها عن منتخب كراع والأولان عن معجم ياقوت والاستبحار السعة ويقال هذه بحرتنا أى أرضنا أو بلدتنا سميت بذلك لكونها في متسع من الارض وفي الصحيح قول سعد فى قصة بن أبىّ (ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه) رواه ابن شبة بلفظ أهل هذه البحيرة وقال عياض فى المشارق البحرة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ويروى البحرة والبحيرة بضم الباء مصغرا وبفتحها على غير التصغير وهي الرواية هنا ويقال البحر أيضا بغير تاء ساكن الحاء وأصله القرى وكل قرية بحرة انتهى *(الثانى عشر) البلاط بالفتح نقل عن كتاب ليس لابن خالويه وهو لغة الحجارة التى تفرش على الارض والارض المفروش بها والمستوية الملساء فكأنها سميت به لكثرته فيها أو لاشتمالها على مواضع تعرف به كما سيأتى فى الباب الرابع ان شاء الله تعالى *(الثالث عشر) البلد قال تعالى «لاأقسم بهذا البلد» قال الواسطى فيما نقله عن عياض أى يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة وقيل المراد مكة ونقل عن ابن عباس وبه استدل من ذكره فى أسمائها ورجحه عياض لكون السورة مكية والبلد لغة صدر القرى *(الرابع عشر) بيت الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق» قال المفسرون أى من المدينة لانها مهاجره ومسكنه فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه أو المراد بيته بها *(الخامس عشر) تندد بالمثناة الفوقية والنون واهمال الدالين *(السادس عشر) تندر براء بدل الدال الاخيرة

مما قبله وسيأتي دليلهما في يندد ويندر بالمثناة التحتية وان المجد صوب حذف ما عـدى
يندر بالتحتية ٭(السابع عشر) الجابرة لمدة في حديث (للمدينة عشرة أسماء) سميت به لأنها
تجبر الكسير وتغني الفقير وتجبر على الاذعان لمطالعة بركاتها وشهود آياتها وجبرت البلاد
على الاسلام ٭(الثامن عشر) جبار كحذام رواه ابن شبه بدل الجابرة فى الحديث المذكور
٭(التاسع عشر) الجبارة نقله صاحب كتاب اخبار النواحي مع الجابرة والمجبورة عن التوراة
٭(العشرون) جزيرة العرب قال ابن زبالة كان ابن شهاب يقول جزيرة العرب المدينة وسيأتي
في حديث ابن عباس (خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فالتفت اليها
وقال ان الله برأ هذه الجزيرة من الشرك) ونقل الهروى عن مالك ان المراد من حديث
(أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) المدينة خاصة والصحيح عن مالك كقولنا ان
المراد الحجاز ٭(الحادى والعشرون) الجنة الحصينة بضم الجيم وهى الوقاية لما حكاه بعضهم
من قوله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد (أنا في جنة حصينة يعنى المدينة دعوهم يدخلون
نقاتلهم) وروى أحمد برجال الصحيح حديث (رأيت كأنى في درع حصينة ورأيت بقرا
تنحر فأولت الدرع الحصينة المدينة) وهذا هو المذكور فى كتب السير ٭(الثانى والعشرون)
الحبيبة لحبه لها صلى الله عليه وسلم وقال (اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) وسيأتى مزيد
بيان لذلك في اسمها المحبوبة ٭(الثالث والعشرون) الحرم بالفتح بمعنى الحرام لتحريمها وفي
حديث مسلم (المدينة حرم) وفى رواية (انها حرم آمن) ٭(الرابع والعشرون) حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه الذي حرمها وفي الحديث (من أخاف أهل حرمي أخافه الله)
وروى ابن زبالة حديث (حرم ابراهيم مكة وحرمى المدينة) ٭(الخامس والعشرون) حسنة
بلفظ مقابل السيئة قال تعالى «لنبوئنهم فى الدنيا حسنة» قال المفسرون مباءة حسنة وهى
المدينة وقيل حسنة اسم المدينة وقد اشتملت على الحسن الحسي والمعنوى ٭(السادس
والعشرون) الخيرة بتشديد المثناة التحتية كالنيرة ٭(السابع والعشرون) الخيرة كالذى قبله
الا ان الياء مخففة تقول رجل خير وخير وامرأة خيرة وخيرة بالتشديد والتخفيف بمعنى
وهو الكثير الخير واذا أردت التفضيل قلت فلان خير الناس وفى الحديث (والمدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون) وسيأتى حديث (المدينة خير من مكة) ٭(الثامن والعشرون) الدار
لقوله تعالى « والذين تبوؤا الدار والايمان » على ماسبق فى الايمان سميت به لأمنها

والاستقرار بها وجمعها البناء والعرصة ٭(التاسع والعشرون) دار الابرار ٭(الثلاثون) دار
الاخيار لانها دار المصطفى المختار والمهاجرين والانصار ولانها تنفى شرارها ومن أقام
بها منهم فليست فى الحقيقة له بدار وربما نقل منها بعد الدفن على ماجاء في بعض الاخبار
٭(الحادى والثلاثون) دار الايمان كما في حديث (المدينة قبة الاسلام ودار الايمان) اذ منها
ظهوره وانتشاره وسيأتي في حديث (الايمان يأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها)
٭(الثانى والثلاثون) دار السنة ٭(الثالث والثلاثون) دار السلامة ٭(الرابع والثلاثون) دار الفتح
٭(الخامس والثلاثون) دار الهجرة ففى صحيح البخارى قول عبد الرحمن لعمر رضى الله
عنهما (حتى تقدم المدينة فانها دار الهجرة والسنة) وفى رواية الكشميهنى والسلامة وقد
فتحت منها مكة وسائر الامصار وكانت بها عصابة الانصار ومهاجرة النبي المختار صلى
الله عليه وسلم والمهاجرين الابرار ومنها انتشرت السنة في الاقطار ٭(الثالث والثلاثون) ذات
الحُجر لاشتمالها عليها قال أبو بكر رضى الله عنه مثنيا على الانصار ما وجدت لنا ولهذا
الحى من الانصار مثلا الا ماقال الطفيلي الغنوى

أبوا ان يملونا ولو ان أمنـا * تلاقي الذى يلقون منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجوا * الى حجرات ادفأت وأظلت

٭(السابع والثلاثون) ذات الحرار لكثرة الحرار بها وفي قصة خُنافر ابن التوأم الحميرى
الكاهن عن رئيه من الجن وقد وصف له دين الاسـلام فقال له خنافر من أين أبغ هذا
الدين قال من ذات الاحرين. والنفر الميامين. أهل الماء والطين. قلت أوضح قال الحق
بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل قال الاصمعى احرون وحرار جمع حرة ٭(الثامن
والثلاثون) ذات النخل وهو وذات الحجر مما استعمله المتأخرون فى أشعارهم وقد نسجت
على منوالهم حيث قلت فى مطلع قصيدة

أشجان قلبي بذات النخل والحجر * وأختها تلك ذات الحجر والحجر
تقسم القلب بين البلدتين فـلا * انفك من لهب الاشواق فى سعر

وفى أحاديث الهجرة (أريت دار هجرتى ذات نخل وحرة) وقال عمران بن عامر
الكاهن يصف البلاد لقومه ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوحل. المطعمات في المحل.
فليلحق بالحرة ذات النخل. وروى كما سيأتى بيثرب ذات النخل ٭(التاسع والثلاثون) السلقة

ذكره أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أمين الاقشهرى في أسمائها المنقولة عن التوراة ولم نضبطه وهو محتمل لفتح اللام وكسرها والسلق بالتحريك القاع الصفصف وسلقت البيض أغليته بالنار والمسلاق الخطيب البليغ وربما قيل للمرأة السليطة سلقة بكسر اللام فتسميتها بذلك لاتساعها وبعدها عن جبالها أو للأوائها أو لشدة حرها وما كان بها من الحمى الشديدة أو لأن الله تعالى سلط أهلها على سائر البلاد فافتتحوها ٭(الاربعون) سيدة البلدان لما أسنده الديلمي من الحلية لابى نعيم عن ابن عمر مرفوعا (ياطيبة ياسيدة البلدان) ٭(الحادى والاربعون) الشافية لحديث (ترابها شفاء من كل داء وذكر الجذام والبرص) ولقد شاهدنا من استشفى بترابها من الجذام فنفعه الله به والاستشفاء بتربة صعيب من الحمى مشهور كما سيأتى ولما صح فى الاستشفاء بتمرها وذكر ابن مسدى الاستشفاء من الحمى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم وسيأتى أنها تنفى الذنوب فتشفى من دائها ٭(الثانى والاربعون) طابة بتخفيف الموحدة ٭(الثالث والاربعون) طيبة بسكون المثناة التحتية ٭(الرابع والاربعون) طيبة بتشديدها ٭(الخامس والاربعون) طائب ككاتب وهذه الاربعة مع اسمها المطيبة أخوات لفظا ومعنى مختلفات صيغة ومبنى وقد صح حديث (ان الله سمى المدينة طابة) وفي رواية (ان الله أمرنى ان أسمى المدينة طابة) وروى ابن شبة وغيره كانوا يسمون يثرب فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وفي حديث (للمدينة عشرة أسماء هي المدينة وطيبة وطابة) ورواه صاحب النواحى بلفظ طابت بدل طيبة وعن وهب بن منبه والله ان اسمها فى كتاب الله يعني التوراة طيبة وطابة ونقل عن التوراة تسميتها بالمطيبة أيضا وكذا بطابة والطيبة وتسميتها بهذه الاسماء أما من الطيب بتشديد المثناة وهو الطاهر لطهارتها من ادناس الشرك أو لموافقتها من قوله تعالى «بريح طيبة» أو لحلول الطيب بها صلى الله عليه وسلم أو لكونها كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها وأما من الطيب بسكون المثناة لطيب أمورها كلها وطيب رائحتها ووجود ريح الطيب بها قال ابن بطال من سكنها يجد من تربتها وحيطانها رائحة حسنة وقال الاشبيلى لتربة المدينة نفحة ليس طيبها كما عهد من الطيب بل هو عجب من الاعاجيب وقال ياقوت من خصائصها طيب ريحها وللعطر فيها رائحة لا توجد فى غيرها وما أحسن قول أبي عبدالله العطار

بطيب رسول الله طاب نسيمها ٭ فما المسك ما الكافور ما المندل الرطب

٭(السادس والاربعون) ظباب ذكره ياقوت ولم يضبطه وهو اما بكسر المهملة أو بفتح المعجمة فالاول بمعنى القطعة المستطيلة من الارض والثانى من ظبب وظبظب اذا حم لانها كانت لا يدخلها أحد الا حم قاله المجد ٭(السابع والاربعون) العاصمة لانها عصمت المهاجرين ووقتهم أذاء المشركين ولما تقدم في الجنة الحصينة ويحتمل أن يكون بمعنى المعصومة لعصمتها قديما بجيوش موسى وداود عليهما السلام المبعوث الى من كان بها من الجبابرة وحفظها حديثا بنبى الرحمة صلى الله عليه وسلم حتى صارت حرما آمنا لا يدخلها الدجال ولا الطاعون ومن أرادها بسوء أذابه الله ٭(الثامن والاربعون) العذراء باهمال أوله واعجام ثانيه منقول عن التوراة سميت به لحفظها من وطئى العدو القاهر فى سالف الزمان الى أن تسلمها مالكها الحقيق سيد الانام مع صعوبتها وامتناعها على الاعداء ولذلك سميت البكر بالعذراء (التاسع والاربعون) العراء باهمال أوله وثانيه وتشديده بمعنى الذى قبله قال أئمة اللغة العراء الجارية العذراء كأنها شبهت بالناقة العراء التى لاسنام لها أو صغر سنامها كصغر نهد العذراء أو عدمه فيجوز أن يكون تسمية المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها فى السماء ٭(الخمسون) العروض كصبور وقيل هو اسم لها والا حولها لانخفاض مواضع منها ومسائل أودية فيها وقال الخليل العروض طريق في عرض الجبل وعرض الرجل اذا أتى المدينة فان المدينة سميت عروضا لانها من بلاد نجد ونجد كلها على خط مستقيم طولانى والمدينة معترضة عنها ناحية على أنها نجدية ٭(الحادي والخمسون) الغراء بالغين المعجمة تأنيث الاغر وهو ذو الغرة من الخيل أى البياض فى مقدم وجهه والغرة أيضا خيار كل شئ وغرة الانسان وجهه والاغر الابيض من كل شئ والذى أخذت اللحية جميع وجهه الا القليل ومن الايام الشديد الحر والرجل الكريم والغراء نبت طيب الرائحة والسيدة الكبيرة فى قبيلتها فسميت المدينة بذلك لشرف معالمها ووضوح مكارمها واشتهارها وسطوع نورها وبياض نورها وطيب رائحتها وكثرة نخلها وسيادتها على القرى وكرم أهلها ورفعة محلها ٭(الثانى والخمسون) غلبة محركة بمعني الغلب لظهورها واستيلائها على سائر البلاد وهو اسم قديم جاهلى قال ابن زبالة حدثنى داود بن مسكين الانصارى عن مشيخته قالوا كانت يثرب فى الجاهلية تدعى غلبة نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها ونزلت الأوس والخزرج على اليهود فغلبوهم عليها ونزل الاعاجم على المهاجرين فغلبوهم

عليها كذا فى النسخة التى وقفت عليها من كتاب ابن زبالة ونقله المجد عن الزبير بن بكار راوى كتاب ابن زبالة وقال فيه بدل قوله ونزل الاعاجم ونزل المهاجرون على الاوس والخزرج فغلبوهم عليها ٭(الثالث والخمسون) الفاضحة بالفاء والضاد المعجمة والحاء المهملة نقله بعضهم عن كراع ومأخذها ماسيأتي في معنى كونها تنفي خبثها من أنها تميزه وتظهره فلا يبطن بها أحد عقيدة فاسدة أو يضمر أمرا الاظهر عليه وافتضح به بخلاف غيرها من البلاد وقد شاهدنا ذلك كثيرا بها ٭(الرابع والخمسون) القاصمة بالقاف والصاد المهملة نقل عن التوراة سميت به لقصمها كل جبار عتاها وكسر كل متمرد أتاها ومن أرادها بسوء أذابه الله ٭(الخامس والخمسون) قبة الاسلام لحديث (المدينة قبة الاسلام) ٭(السادس والخمسون) قرية الانصار قال ابن أسيدة القرية بفتح القاف وكسرها المصر الجامع من قريت الماء فى الحوض اذا جمعته وقال أبو هلال العسكرى العرب تسمى كل مدينة صغرت أو كبرت قرية قلت وسيأتى فى معنى المدينة مايقتضى انه يعتبر فى مسماها زيادتها على القرية ونقصها على المصر وقيل يطلق عليه. والانصار واحدهم ناصر سموا بذلك لنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وايوائهم له وللمهاجرين فمدحهم الله بقوله «والذين آوو ونصروا» فسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار وكان يقال لهم قبل ذلك الاوس والخزرج وفي الحديث عن غيلان بن جرير قال (قلت لانس بن مالك أرأيتم اسم الانصار كنتم تسمون به ام سماكم الله قال بل سمانا الله) وسيأتى في حديث (ان الله قد طهر هذه القرية من الشرك) فلك ان تعده اسم آخر ٭(السابع والخمسون) قرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيأتى في عصمتها من الدجال من قوله صلى الله عليه وسلم (ثم يسير حتى يأتى المدينة ولا يأذن له فيها فيقول هذه قرية ذلك الرجل) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ٭(الثامن والخمسون) قلب الايمان أورده ابن الجوزى في الوفا فى حديث (المدينة قبة الاسلام) ٭(التاسع والخمسون) المؤمنة اما لتصديقها بالله حقيقة كذوى العقول اذ لا يبعد فى خلق الله تعالى قوة فى الجماد قابلة للتصديق والتكذيب وقد سمع تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم أو مجازا لانصاف أهلها بذلك ولانتشار الايمان منها واشتمالها على أوصاف المؤمن من النفع والبركة وعدم الضرر والمسكنة وأما لادخالها أهلها في الامان من الاعداء وأمنهم من الدجال والطاعون وروى ابن زبالة فى حديث (والذى نفسى بيده ان تربتها لمؤمنة) وروى انها مكتوبة فى التوراة

مؤمنة ٭(الستون) المباركة لان الله تعالى بارك فيها بدعائه صلى الله عليه وسلم لحديث (اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة) وغيره من الاحاديث الصحيحة الكثيرة وأثار تلك الدعوات من الامور الظاهرات ٭(الحادى والستون) مبوء الحلال والحرام رواه الطبراني فى حديث (المدينة قبة الاسلام) والتبوء التمكن والاستقرار سميت به لانها محل تمكن هذين الحكمين واستقرارهما وفى بعض النسخ مثوا بالمثلثة الساكنة بدل الموحدة والاول هو الذى رأيته بخط الحافظ أبى الفتح المراعى ٭(الثانى والستون) مبين الحلال والحرام رواه ابن الجوزي والسيد أبو العباس القرافي فى حديث (المدينة قبة الاسلام) بدل الذى قبله سميت به لانها المحل الذي ابتدأ فيه ببيان الحلال والحرام ٭(الثالث والستون) المجبورة بالجيم ذكره في حديث (للمدينة عشرة أسماء) ونقل عن الكتب المتقدمة وسميت به لان الله تعالى جبرها بسكنى نبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم حيا وضمها لاعضائه الشريفة ميتاً بعد نقل حماها وتطيب مغناها والحث على سكناها وتنزل البركات بمدها وصاعها فهى بهذا السر الشريف مسرورة وبهذه المنح العظيمة مجبورة تسحب ذيل الفخار على سائر الاقطار ٭(الرابع والستون) المحبة بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الموحدة نقل عن الكتب المتقدمة ٭(الخامس والستون) المحبية بزيادة موحدة على ماقبله ٭(السادس والستون) المحبوبة نقل عن الكتب المتقدمة أيضا وهذه ثلاثة مع ماتقدم من اسمها الحبيبة من مادة واحدة سميت بذلك لما تقدم من حبه صلى الله عليه وسلم لها ودعائه بذلك وجاء ما يقتضى أنها أحب البقاع الى الله تعالى ويؤيده انه تعالى اختارها لحبيبه صلى الله عليه وسلم حيا وميتا فهى محبوبة الى الله تعالى ورسوله وسائر المؤمنين ولهذا ترتاح النفوس لذكرها وتهيم القلوب لشهود سرها ٭(السابع والستون) المحبورة من الحبر وهو السرور وكذلك الحبر والحبور والحبرة لما تقدم فى الجبورة أو هو من الحبرة بمعنى النعمة والحبرة أيضا المبالغة فيما وصفه بجميل والمحبار من الارض السريعة النبات الكثيرة الخيرات ٭(الثامن والستون) المحرمة لما سيأتى فى تحريمها ٭(التاسع والستون) المحفوفة لانها محفوفة بالبركات وملائكة السموات محفوظة من المخاوف والاوحال وعلى أبوابها وانقابها الملائكة يحرسونها من الطاعون والدجال وسيأتى حديث (المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون) ٭(السبعون) المحفوظة لان

الله تعالى حفظها من الدجال والطاعون وغيرهما وفي حديث (القرى المحفوظة أربع) وذكر المدينة منها وفي حديث آخر رويناه في فضائل المدينة للمفضل الجندي (المدينة مشتبكة بالملائكة على كل نقب منها ملك يحرسها) فلك أن تسميها المحروسة أيضا ٥ (الحادي والسبعون) المختارة لان الله تعالى اختارها للمختار من خلقه في حياته ومماته ٥ (الثاني والسبعون) مدخل صدق قال الله تعالى «وقل رب أدخلني مدخل صدق» الآية قال بعض المفسرين مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وروى ذلك عن زيد بن أسلم ويدل له ما رواه الترمذي وصححه في سبب نزول الآية ٥ (الثالث والسبعون) المدينة ٥ (الرابع والسبعون) مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من مدن بالمكان اذا أقام ومن دان اذا أطاع فالميم زائدة لان السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها أو لان الله تعالى يطاع فيها والمدينة أبيات مجتمعة كثيرة تجاوز حد القرى كثرة وعمارة ولم تبلغ حد الامصار وقيل يقال لكل مصر . والمدينة وان أطلق على أماكن كثيرة فهو علم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهجر كونه علما في غيرها بحيث اذا أطلق لا يتبادر الى الفهم غيرها ولا يستعمل فيها الا معرفة قيل لانه صلى الله عليه وسلم سكنها وله دانت الامم ولامته والنكرة اسم لكل مدينة وقد نسبوا للكل مديني والى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدني للفرق. وتسميتها بذلك متكررة في القرآن العظيم ونقل عن التوراة ٥ (الخامس والسبعون) المرحومة نقل عن التوراة سميت به لانها دار المبعوث رحمة للعالمين ومحل تنزل الرحمة من أرحم الراحمين وأول بلد رحمت بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ٥ (السادس والسبعون) المرزوقة لان الله تعالى رزقها أفضل الخلق فسكنها أو المرزوق أهلها ارزاقا حسية ومعنوية ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم ولا يخرج أحد منها رغبة عنها الا أبدلها الله خيرا منه كما جاء في الحديث ٥ (السابع والسبعون) مسجد الاقصى نقله التادلي في منسكه عن صاحب المطالع ٥ (الثامن والسبعون) المسكينة نقل عن التوراة وذكر في حديث (للمدينة عشرة أسماء) وروى عن علي يرفعه (ان الله تعالى قال للمدينة ياطيبة ياطابة يامسكينة لاتقبلي الكنوز أرفع أجاجيرك على أجاجير القرى) عن كعب انه وجد ذلك في التوراة والاجاجير السطوح وأصل المسكنة الخضوع فسميت بذلك اما لان الله تعالى خلق فيها الخضوع والخشوع له واما لانها مسكن المساكين سكنها كل خاضع وخاشع وفي الحديث

اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ٥ (التاسع والسبعون) ٥ المسلمة كالمؤمنة وقد قدمناه والاسلام يطلق على الانقياد والانقطاع الى الله تعالى فسميت بذلك اما لان الله تعالى خلق فيها الانقياد والانقطاع اليه وأما لانقياد أهلها بالطاعة والاستسلام وفتح بلدهم بالقرآن لا بالسيف والسهام وانقطاعهم الى الله ورسوله وتبتلهم لنصره وتحصيل سؤله ٥ (الثمانون) ٥ مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيأتي في حفظ أهلها واكرامهم من قوله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجري ومضجعي في الارض ٥ (الحادي والثمانون) ٥ المطيبة بضم أوله وفتح ثانيه تقدم مع أخواته في الطيبة ٥ (الثاني والثمانون) ٥ المقدسة لتنزهها وطهارتها من الشرك والخبائث ولانها يتبرك بها ويتطهر عن ارجاس الذنوب والآثام ٥ (الثالث والثمانون) ٥ المقر بالقاف من القرار كما رأيته في بعض كتب اللغة وسيأتي في دعائه صلى الله عليه وسلم لها قوله (اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا) ٥ (الرابع والثمانون) ٥ المكتنان قال سعد بن أبي سرح في حصار عثمان

أري الامر لايزداد الا تفاقما ٥ وأنصارنا بالمكتين قليل

وقال نصر بن حجاج فيما كتب به الى عمر رضى الله عنه بعد نفيه أياه من المدينة لما سمع امرأة تترنم به في شعرها لجماله

حققت بي الظن الذي ليس بعده ٥ مقام فمالى بالندى كلام
فأصبحت منفيا على غير ريبة ٥ وقد كان لى بالمكتين مقام

والظاهر ان المراد المدينة لان قصة عثمان ونصر بن حجاج كانتا بها وأطلق ذلك عليها لانتقال أهل مكة أوغالبهم اليها وانضمامهم الى أهلها وقد ذكر البرهان القيراطى المكتين في أسماء مكة (قال) التقي الفاسي ولعله أخذه من قول ورقة بن نوفل ٥ ببطن المكتين على رجائي ٥ (قال) السهيلي ثنى مكة وهي واحدة لان لها بطاحا وظواهر وانما مقصد العرب في هذه الاشارة الى جانبي كل بلدة أو أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المعنى انتهى. (ويحتمل) أن تكون التثنية فيما استشهدنا به من قبيل التقليب وان المراد مكة والمدينة فيسقط الاستشهاد به ٥ (الخامس والثمانون) ٥ المكينة لتمكنها في المكانة والمنزلة عند الله تعالى ٥ (السادس والثمانون) ٥ مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقوله (المدينة مهاجرى) ٭(السابع والثمانون)٭ الموفية بتشديد الفاء من التوفية ويجوز تخفيفها اذ التوفية والايفاء بمعنى سميت به لتوفيتها حق الواردين واحسانها نزل الوافدين حسا ومعني أولان سكانها من الصحابة الموفون بما عاهدوا الله عليه ٭(الثامن والثمانون)٭ الناجية بالجيم من نجا اذا خاص أو أسرع أومن نجاه ونجاه ساره أومن النجوة للارض العالية سميت بذلك لنجاتها من العتاة والطاعون والدجال ولاسراعها فى الخيرات وسبقها الى حيازة السبق بأشرف المخلوقات ولارتفاع شأنها بين الورى ورفع أجاجيرها على أجاجير القرى(١) ٭(التاسع والثمانون)٭ نبلاء نقل من كراع وأظنه بفتح النون وسكون الموحدة ممدودا من النبل بالضم والسكون وهو الفضل والنجابة ويقال امرأة نبيلة فى الحسن بينة النبالة وأنبل النخل أرطب والنبلة بالضم الثواب والجزاء والعطية ٭(التسعون)٭ النحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة سميت به اما لشدة حرها كما يقال نحر الظهيرة ولذا شاركتها مكة فيه واما لاطلاق النحر على الاصل وهما أساس بلاد الاسلام وأصلها ٭(الحادى والتسعون)٭ الهذراء ذكره ابن النجار بدل العذراء نقلا عن التوراة وتبعه جماعة كالمطرى فلذلك أثبتناه وان كان الصواب اسقاطه كما بيناه فى الاصل وقد رويناه في كلام من أثبته بالذال المعجمة فالتسمية به لشدة حرها يقال يوم هاذر شديد الحر أو لكثرة مياهها وسوانيها المصوتة عند سوقها يقال هذر فى كلامه اذا أكثره والهذر محركا الكثير الردى ويحتمل أن يكون بالمهملة من هدر الحمام اذا صوت والماء انصب وانهمر والعشب طال وأرض هادرة كثيرة النبات ٭(الثانى والتسعون)٭ يثرب لغة فى أثرب وقد تقدم الكلام عليه فيه وليست المذكورة فى قول الشاعر

وعدت وكان الخلف منك سجية ٭ مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

(لان) المجد قال أجمعوا فيه على تثنية التاء وفتح الراء وقال هى مدينة بحضرموت قيل كان بها عرقوب صاحب المواعيد مع ان المجد صحح انه من قدماء يهود مدينة النبى صلى الله عليه وسلم (وفى) مشارق عياض قيل ان يثرب المذكورة فى البيت مثل يثرب المدينة النبوية (وقيل) قرية باليمامة (وقيل) انما هي يترب بمثناة فوقية وراء مفتوحة اسم تلك القرية (وقيل) اسم قرية من بلاد بنى سعد من تميم (كما) اختلف فى عرقوب هذا (فقيل)

(١) الاجاجير جمع اجّار والاجار السطح

رجل من الأوس من أهل المدينة (وقيل) من العماليق أهل اليمامة (وقيل) من بنى سعد المذكورين اه . وأما قول هند بنت عتبة

لنهبطن يثربة ٭ بغارة منشعبة

فالظاهر ان الهاء فيه للسكت فليس اسما آخر ٭(الثالث والتسعون)٭ يندد ذكره كراع هكذا بالمثناة التحتية ودالين وهو اما من الند وهو الطيب المعروف وقيل العنبر أومن الند للتل المرتفع أومن الناد وهو الرزق ٭(الرابع والتسعون)٭ يندر بابدال الدال الاخيرة من الاسم قبله راء ذكره المجد عند سرد الاسماء ولم يتكلم عليه بعد لما سنذكره واثباته لوقوعه كذلك فى حديث (للمدينة عشرة أسماء) فى بعض الكتب وفى بعضها بمثناة فوقية ودالين وفي بعضها كذلك مع ابدال الدال الاخيرة راء فتحرر من مجموع ذلك أربعة أسماء اثنان بالمثناة التحتية واثنان بالفوقية وذلك المستند فى تقديمها في محلها (وقال) المجد ان ذلك كله تصحيف وان الصواب يندد بالمثناة التحتية ودالين وفيه نظر لان الزركشى عند ذكر أسماء المدينة جمع بين اثنين من هذه الاربعة وقال ذكرهما البكرى فيحتمل ثبوت الاخيرين وحديث (للمدينة عشرة أسماء) رواه ابن شيبة من طريق عبد العزيز بن عمران وسردها فيه ثمانية فقط (ثم) روى من طريقه أيضا عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب سمى الله المدينة الدار والايمان قال وجاء فى الحديث الاول ثمانية أسماء وجاء فى هذا اسمان فالله أعلم أهما تمام العشرة أم لا اه . (ورواه) ابن زبالة كذلك الا أنه سرد تسعة فزاد اسم الدار وأسقط العاشر (ونقل) ابن زبالة ان عبد العزيز بن محمد الدار وردى قال بلغنى ان للمدينة فى التوراة أربعين اسما والله اعلم

﴿ الباب الثانى ﴾

فى فضائلها وبدء شأنها وما يؤول اليه أمرها وظهور النار المنذر بها من أرضها وانطفائها عند الوصول الى حرمها وفيه ستة عشر فصلا

٭(الفصل الاول فى تفضيلها على غيرها من البلاد)٭ قد انعقد الاجماع على تفضيل ماضم الاعضاء الشريفة حتى على الكعبة المنيفة وأجمعوا بعد على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد واختلفوا أيهما أفضل (مذهب) عمر بن الخطاب وابنه عبد الله

ومالك بن أنس وأكثر المدنيين الى تفضيل المدينة و(أحسن) بعضهم فقال محل الخلاف
فى غير الكعبة الشريفة فهى أفضل من المدينة ماعدا ماضم الاعضاء الشريفة اجماعا
(وحكاية) الاجماع على تفضيل ماضم الاعضاء الشريفة نقله القاضى عياض وكذا القاضى
أبو الوليد الباجي قبله كما قال الخطيب بن جملة وكذا نقله أبو اليمن بن عساكر وغيرهم
مع التصريح بالتفضيل على الكعبة الشريفة بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى
ان تلك البقعة أفضل من العرش (وقال) التاج الفاكهي قالوا لاخلاف ان البقعة التى ضمت
الاعضاء الشريفة أفضل بقاع الارض على الاطلاق حتى موضع الكعبة ثم قال و(أقول)
أنا أفضل بقاع السموات أيضا ولم أر من تعرض لذلك والذى أعتقده ان ذلك لو
عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه وقد جاء ان السموات تشرفت بمواطئ قدميه
صلى الله عليه وسلم بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض أفضل من جميع بقاع السماء
لشرفها لكون النبى صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندى الظاهر المتعين
(قلت) وقد صرح بما بحثه من تفضيل الارض على السماء ابن العماد نقلا عن الشيخ
تاج الدين امام الفاضلية (قال) وقالوا ان الاكثرين عليه لان الانبياء خلقوا من
الارض وعبدوا الله فيها ودفنوا بها اه . (وقال) النووى المختار الذى عليه الجمهور ان
السموات أفضل من الارض وقيل ان الارض أشرف لانها مستقر الانبياء ومدفنهم
وهو ضعيف (قلت) وكان وجه تضعيفه للثانى ان الكلام من مطلق الارض ولا يلزم من
تفضيل بعضها لكونها مدفن الانبياء تفضيل كلها وضعف أيضا بان أرواح الانبياء
فى السموات والارواح أفضل من الاجساد وجوابه ماسنحققه ان شاء الله تعالى من
حياة الانبياء فى قبورهم صلوات الله وسلامه عليهم (وقال) شيخنا المحقق بن امام الكاملية
فى تفسير سورة الصف والحق ان مواضع الانبياء وأرواحهم أشرف من كل ما سواها
من الارض والسماء ومحل الخلاف فى غير ذلك كما كان يقرره شيخ الاسلام البلقينى
(قال) الزركشى وتفضيل ماضم الاعضاء الشريفة للمجاورة ولهذا يحرم للمحدث مس جلد
المصحف (قال) القرافي ولما خفى هذا المعنى على بعض الفضلاء أنكر حكاية الاجماع على
تفضيل ماضم الاعضاء الشريفة وقال التفضيل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال
والعمل علي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم قال ولم يعلم ان أسباب التفضيل أعم

من الثواب والاجماع منعقد على التفضيل بهذا الوجه لابكثرة الثواب ويلزمه ان
لايكون جلد المصحف بل ولا المصحف نفسه أفضل من غيره لتعذر العمل فيه وهو
خرق للاجماع (قلت) وما ذكره من التفضيل بالمجاورة مسلم لكن ما اقتضاه من عدم
التفضيل لكثرة الثواب في ذلك ممنوع لما سنحققه وأصل الاشكال لابن عبدالسلام
فانه قال فى أماليه تفضيل مكة على المدينة أوعكسه معناه ان الله يرتب على العمل في أحديهما
من الثواب أكثر مما يرتبه على العمل فى الاخرى فيشكل قول القاضى عياض أجمعت
الامة على ان موضع القبر الشريف أفضل اذلايمكن أحد ان يعبد الله فيه (قال) التقى
السبكي وقد رأيت جماعة يستشكلون نقل هذا الاجماع وقال لى قاضى القضاة
السروجي الحنفى طالعت فى مذهبنا خمسين تصنيفا فلم أجد فيها تعرضا لذلك (قال) السبكي
وقد وقفت على ماذكره ابن عبد السلام من ان الازمان والاماكن كلها متساوية
ويفضلان بما يقع فيهما لابصفات قائمة بها ويرجع تفضيلها الى ماينيل الله العباد فيهما
وان التفضيل الذى فيهما ان الله يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما (قال) السبكي
وأنا أقول قد يكون التفضيل لذلك وقد يكون لامر آخر فيهما وان لم يكن عمل فان القبر
الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عندالله من المحبة ولساكنه
ماتقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لايكون أفضل الاماكن
وليس محل عمل لنا فهذا معني غير تضعيف الاعمال فيه (وأيضا) فباعتبار ماقيل ان كل
أحد يدفن بالموضع الذى خلق منه وأيضا فقد تكون الاعمال مضاعفة فيها باعتبار أن
النبي صلي الله عليه وسلم حى وان اعماله مضاعفة أكثر من كل أحد فلا يختص التضعيف
باعمالنا نحن (قلت) وهذا من النفاسة بمكان على اني اقول الرحمات والبركات النازلة
بذلك المحل يعم فيضها الامة وهى غير متناهية لدوام ترقياته عليه الصلاة والسلام وما
تناله الامة بسبب نبيها هو الغاية فى الفضل ولذا كانت خير أمة بسبب
الانبياء فكيف لايكون القبر الشريف أفضل البقاع مع كونه منبع
ترى ان الكعبة على رأى من منع الصلاة فيها ليست محل عملنا أفية
المسجد حولها عليها لانه محل العمل مع ان الكعبة هى السبب ف
و(أيضا) فاهتمامه صلى الله عليه وسلم بامر أمته معلوم واقبال الله عليه

الشريف فتكثر شفاعته فيه لامته وأمداده اياهم وقد ورد فى حديث (وفاتى خير لكم) بيان ذلك بان اعمالكم تعرض على فان رأيت خيرا حمدت الله وان رأيت غير ذلك استغفرت لكم وفي رواية استوهبت الله ذنوبكم وله شواهد تقويه وسيأتي فى الباب الثامن من ان المجيء المذكور فى قوله تعالى «ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك» الآية حاصل بالمجيء الى قبره الشريف و (أيضا) فزيارته والمجاورة عنده من أفضل القربات وعنده تجاب الدعوات وتحصل الطلبات فقد جعله الله تعالى سببا فى ذلك و(أيضا) فهو روضة من رياض الجنة بل أفضل رياضها وقد قال صلى الله عليه وسلم (لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومافيها) بل لو تعلق متعلق بما قررناه من كون القبر الشريف منبع جميع الخيرات وهو بالمدينة فتكون هى أفضل لكان له وجه (وقد) قال الحكيم الترمذى فى نوادره سمعت الزبير بن بكار يقول صنف بعض أهل المدينة في المدينة كتابا وصنف بعض أهل مكة فى مكة كتابا فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة يريد كل واحد منهما ان يبرز على صاحبه بها حتى برز المدني على المكي فى خلة واحدة عجز عنها المكي وان المدني قال اذ كل نفس انما خلقت من تربته التى يدفن فيها بعد الموت وكان نفس الرسول انما خلقت من تربة المدينة فحينئذ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الارض (قلت) و يدل لما ذكر من ان النفس تخلق من تربة الدفن مارواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح وله شواهد صحيحة عن أبى سعيد قال (مر النبي صلى الله عليه وسلم عند قبر فقال قبر من هذا فقالوا فلان الحبشى يارسول الله فقال لااله الا الله سيق من أرضه وسماءه الى التربة التى منها خلق) و(رواه) الحكيم الترمذى بنحوه عن أبى هريرة و (رواه) البزار عن أبي سعيد بنحوه وفيه عبدالله والد بن المدينى وهو ضعيف و(روى) الطبرانى فى الاوسط نحوه عن أبي الدرداء وفيه الاحوص بن حكيم وثقه العجلى وضعفه الجمهور و(روى) في الكبير أيضا نحوه عن ابن عمر. و(قال) الذهبى فى بعض رواية ضعفوه و(أسنده) ابن الجوزى فى الوفا عن كعب الاحبار لما أراد الله عز وجل ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل فأتاه بالقبضة البيضاء التى هى موضع قبره صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء التسنيم ثم غمست فى أنهار الجنة وطيف بها فى السموات والارض فعرفت الملائكة محمدا وفضله قبل ان تعرف آدم عليه السلام وسيأتى لهذا مزيد بيان في سرد خصائصها

(وقال) الحكيم الترمذى في حديث (اذا قضى الله لعبد ان يموت بارض جعل له اليها حاجة) انما صار أجله هناك لانه خلق من تلك البقعة وقد قال الله تعالى «منها خلقناكم وفيها نعيدكم» الآية قال فانما يعاد المرء من حيث بدئ منه قال (وروى) ان الارض عجت الى ربها لما أخذت تربة آدم عليه السلام فقال لها سأردها اليك فاذا مات دفن فى البقعة التى منها تربته (وعن) يزيد الجريرى قال سمعت ابن سيرين يقول لو حلفت حلفت صادقا بارا غير شاك ولا مستثن ان الله تعالى ماخلق نبيه صلى الله عليه وسلم ولا أبا بكر ولا عمر الا من طينة واحدة ثم ردهم الى تلك الطينة (وروى) ابن الجوزى فى الوفاء عن عائشة قالت لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقالوا أين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي انه ليس في الارض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه صلى الله عليه وسلم (وروى) يحيى ان عليا قال لما اختلفوا لايدفن الا حيث توفاه الله عز وجل وانهم رضوا بذلك (قلت) و يؤخذ مما قاله علي مستند نقل الاجماع السابق على تفضيل القبر الشريف لسكوتهم عليه ورجوعهم الى الدفن به ولما قال الناس لابي بكر رضى الله عنه ياصاحب رسول الله أين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى المكان الذى قبض الله تعالى روحه فيه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب رواه الترمذى في شمائله والنسائي فى الكبرى واسناده صحيح ورواه أبو يعلى الموصلي ولفظه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايقبض النبى الا فى أحب الامكنة اليه) (قلت) وأحبها اليه أحبها الى ربه لان حبه تابع لحب ربه الا ان يكون حبه عن هوى نفس وما كان أحب الى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل ولهذا أخذت تفضيل المدينة على مكة من قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح (اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) أى بل أشد أو وأشد كما روي به ومن اجابة دعوته صلى الله عليه وسلم كان يحرك دابته اذا رآها من حبها (وقد روى) الحاكم في مستدركه حديث (اللهم انك أخرجتني من أحب البقاع الىّ فاسكني في أحب البقاع اليك) وفي بعض طرقه انه صلي الله عليه وسلم قاله حين خرج من مكة وفي بعضها انه وقف بالحزورة وفى بعضها بالحجون فقاله وقد ضعفه ابن عبد البر (قيل) ولو سلمت صحته فالمراد أحب البقاع اليك بعد مكة لحديث (ان مكة خير بلاد الله) وفى رواية (أحب أرض الله الى الله) ولانه قد صح لمسجد

مكة من المضاعفة زيادة على ماصح لمسجد المدينة كما سيأتي(قلت)فيما قدمناه من دعائه صلى الله عليه وسلم بحبها أشد من حب مكة مع ماأشرنا اليه من اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ومن انه تعالى لايجعلها أحب الى نبيه الا بعد جعلها احب اليه تعالى غنية عن صحة هذا الحديث وكون المراد منه ماذكر خلاف الظاهر وما ذكر لايصلح مستندا فى الصرف عن الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم قصد به الدعاء للدار التي تكون هجرته اليها فطلب من الله ان يصيرها أحب البقاع اليه تعالى والحب من الله تعالى انالة الخير والتعظيم للمحبوب وهذا يمكن تجدده بعد ان لم يكن وقوله (ان مكة خير بلاد الله وأحبها اليه)محمول على انه صلى الله عليه وسلم قاله فى بدئ الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة فلما طالت اقامته صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأظهر الله بها دينه وتجدد لها ماسيأتي من الفضائل حتي عاد نفعها على مكة فافتتحها الله وسائر بلاد الاسلام منها فقد أنالها الله تعالى وأنال بها من الخير مالم ينله غيرها من البلاد وظهر اجابة الدعوة الكريمة وانها صارت خير أرض الله وأحبها اليه بعد ذلك ولهذا لم يعد النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة بعدفتحها(فان)قيل انما لم يعد اليها لان الله افترض عليه المقام بدار هجرته (قلنا) لم يكن الله ليفترض عليه المقام بها الا وهي أفضل لكرامته عنده وقد حث صلى الله عليه وسلم على الاقتداء به في سكناها والاقامة بها وقال(والمدينة خير لهم لوكانوا يعلمون) (فان) قيل قال التقى الفاسي ظن بعض أهل عصرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان مكة خير بلاد الله)حين خرج من مكة للهجرة وليس كذلك لان فى بعض طرق الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك وهو على راحلته بالحزورة وهو لم يكن بهذه الصفة حين هاجر لان الاخبار تقتضى انه خرج من مكة مستخفيا ولو ركب بالموضع المشار اليه وهو الذى يقول له عوام مكة عزوة لأشعر ذلك بسفره (قلنا) جاء فى رواية لابن زبالة ان النبي صلى الله عليه وسلم حين أمره الله بالخروج قال (اللهم انك أخرجتني) الحديث وقد وقع فى رواية لابن حبان فى حديث الهجرة فركبا يعني هو وأبو بكر حتى أتيا الغار وهو ثور فتواريا فيه وسيأتى فى أحاديث الهجرة مايقتضى انهما توجها الى الغار ليلا بعد ان ذر صلى الله عليه وسلم ترابا على رؤس جماعة من الكفار كانوا يرصدونه وقرأ أوائل يس يستتر بها منهم فلم يروه فلا يمتنع ان يكون راكبا فى هذا الموضع (وأما)

أمر مزيد المضاعفة لمسجد مكة (فجوابه) ان أسباب التفضيل لاتنحصر فى المضاعفة الا ترى ان فعل الصلوات الخمسة للمتوجه الى عرفات وظهر يوم النحر بمني أفضل من فعلها بمسجد مكة وان اشتمل فعلها بالمسجد على المضاعفة اذ فى الاتباع ما يربو عليها ولهذا قال عمر رضى الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة كما سيأتي مع قوله بتفضيل المدينة وغايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل ويؤيد ذلك ماسيأتى من ان المضاعفة تعم الفرض والنفل وان النفل بالبيت أفضل على انه ان أريد بالمسجد الحرام في حديث المضاعفة الكعبة فقط كما ستأتى الاشارة اليه (فالجواب) ان الكلام فيما عداها مع ان دعاءه صلى الله عليه وسلم للمدينة بضعفى مابمكة من البركة ومع البركة بركتين شامل للامور الدينية والدنيوية وقد يبارك في المدد القليل فيربو نفعه على الكثير ولهذا استدل به على تفضيل المدينة لاكثرية المدعو به لها من البركة الشاملة (ولا) يرد على ماقررناه ماجاء فى فى فضل الكعبة الشريفة اذ الكلام فيما عداها ولهذا روى مالك في الموطأ ان عمر رضى الله عنه قال لعبد الله بن عياش المخزومي أنت القائل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هى حرم الله وأمنه وفيها بيته فقال عمر لاأقول فى حرم الله ولا في بيت الله شيأ ثم قال عمر أنت القائل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هى حرم الله وأمنه وفيها بيته فقال عمر لاأقول فى حرم الله ولا فى بيت الله شيأ ثم انصرف وفي رواية لرزين فاشتد (١) على ابن عياش فانصرف (ولا) يرد أيضا ما بمكة من مواضع النسك لتعلق النسك بالكعبة و (أيضا) فقدعوض الله المدينة عن العمرة ماسيأتي في مسجد قباء وعن الحج ماسيأتي مرفوعا (من خرج لايريد الا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة) وهذا أعظم لكونه أيسر ويتكرر في اليوم والليلة مرارا والحج لايتكرر و(يؤخذ) منه انه يضاف الى ماجاء في المضاعفة بمسجدها الحجة لمن أخلص قصده للصلاة (ولا) يرد أيضا كونه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بعد النبوة أكثر من اقامته بالمدينة على الخلاف فيه لان اقامته بالمدينة كان سببا فى اعزاز دين الله واظهاره وبها تقررت الشرائع وفرضت غالب الفرائض وأكمل الله الدين واستقربها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة (وقد) ثبت في محبته صلى الله عليه وسلم للمدينة مالم يثبت مثله لمكة وحث على

(١) وفى نسخة فأشير

الاقامة والموت بها والصبر على لأوائها وشدتها كما ستقف عليه وسيأتي حديث (اللهم لاتجعل منايانا بمكة) وحديث (ماعلى الارض بقعة أحب الي من ان يكون قبري بها منها) يعني المدينة قالها ثلاث مرات (وقد) شرع الله لنا ان نحب ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه وان نعظم ما كان يعظمه (واذا) ثبت تفضيل الموت بالمدينة ثبت تفضيل سكناها لأنه طريقه هذا (وقد) روى الطبراني في الكبير والمفضل الجندي في فضائل المدينة وغيرهما عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال أشهد سمعت (وفي) رواية لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (المدينة خير من مكة) وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن الرداد وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطئ وقال أبو حاتم ليس بقوي وقال أبو زرعة لين وقال الازدي لايكتب حديثه وقال ابن عدي روايته ليست محفوظة ولهذا قال ابن عبد البر هو حديث ضعيف وفيما قدمناه غنية عنه (وفي) الصحيحين حديث (ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) ويأرز كمسجد أي ينقبض ويجتمع وينضم ويلتجئ وقد رأينا كل مؤمن له من نفسه سائق الى المدينة لحبه في النبي صلى الله عليه وسلم فيشمل ذلك جميع الازمنة لانه في زمنه صلى الله عليه وسلم للتعلم منه وفي زمن الصحابة والتابعين للاقتداء بهم ومن بعد ذلك لزيارته وفضل بلده والتبرك بمشاهدة آثاره والاتباع له في سكناها (وروينا) في فضائل المدينة للجندي حديث (يوشك الايمان ان يأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) يعني يرجع اليها الايمان (وأسند) ابن زبالة حديث (لاتقوم الساعة حتى يحاز الايمان الي المدينة كما يحوز السيل الدمن) وقد تقدم في الاسماء حديث الصحيحين (أمرت بقرية تأكل القري يقولون يثرب وهي المدينة) قال ابن المنذر يحتمل ان يكون المراد بأكلها القرى غلبة فضلها على فضل غيرها فمعناه ان الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدما وهذا أبلغ من تسمية مكة أم القرى لان الامومة لاتنمحي معها ماهي له أم لكن يكون لها حق الامومة انتهى . (وجزم) القاضي عبدالوهاب بهذا الاحتمال (وروى) البزار عن علي رضي الله عنه حديث (ان الشياطين قد يئست ان تعبد ببلدي هذا) يعني المدينة وبجزيرة العرب ولكن التحريش بينهم وله أصل في صحيح مسلم من حديث جابر (وروي) أبو يعلى بسند فيه من اختلف في توثيقه وبقية رجاله ثقات عن العباس رضي الله عنه قال (خرجت

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فالتفت اليها وقال (ان الله قد برأ هذه الجزيرة من الشرك) وفي رواية (ان الله قد طهر هذه القرية من الشرك ان لم تضلهم النجوم قال ينزل الله الغيث فيقولون مطرنا بنوء(١) كذا وكذا) وقد تقدم في الاسماء تسميتها بالمؤمنة والمسلمة وأنه لامانع من اجرائه على ظاهره فهو مقتض للتفضيل سيما وسببه ماسبق من كونه صلى الله عليه وسلم خلق من تربتها وقد استدل أبو بكر الابهري من المالكية على تفضيلها على مكة بما سبقت الاشارة اليه من ان النبي صلى الله عليه وسلم مخلوق من ترب المدينة وهو أفضل البشر فكانت تربته أفضل الترب (قال) الحافظ ابن حجر وكون تربته أفضل الترب لانزاع فيه وانما النزاع هل يلزم من ذلك ان تكون المدينة أفضل من مكة لان المجاور للشيء لو ثبت له جميع مزاياه لكان لجار ذلك الجار نحو ذلك فيلزم ان يكون ماجاور المدينة أفضل من مكة وليس كذلك اتفاقا كذا أجاب به بعض المتقدمين وفيه نظر انتهى . (قلت) لم يبين وجه النظر ولعل وجهه ان الافضل لقوة أصالته في الفضل يفيد مجاوره الافضلية لمزية هذه المجاورة الخاصة وهي منتفية عن مجاور المجاور الا ترى ان جلد المصحف قد ثبت له مزية التعظيم للمجاورة ولم يلزم من ذلك ثبوت نحوها لمجاوره (وأيضا) فالمقتضى لتفضيل المدينة خلقه صلى الله عليه وسلم من تربتها وهذا لايوجد لمجاورها والله أعلم

﴿ الفصل الثاني ﴾ في الحث على الاقامة بها والصبر على لأوائها وشدتها وكونها تنفي الخبث والذنوب ووعيد من أرادها وأهلها بسوء أو أحدث بها حدثا أو آوي محدثا ٭

(روينا) في الصحيحين حديث (من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) وفي صحيح مسلم عن سعيد مولي المهري انه جاء الى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكى اليه أسعارها وكثرة عياله واخبره ان لاصبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال ويحك لا آمرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لايصبر) وفي رواية (لايثبت أحد علي لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أوشهيدا يوم القيامة) وفي (رواية) فقال أبو سعيد لاتفعل الزم المدينة وذكر الحديث بزيادة قصة (وفي) مسلم وفي الموطأ والترمذي عن يحنس مولى مصعب بن الزبير

(١) النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المغرب من ساعته

أنه كان جالسا عند ابن عمر في الفتنة فاتته مولاة تسلم عليه (فقالت) اني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن اشتد علينا الزمان (فقال) لها عبد الله اقعدى لكاع و(لفظ) الترمذى اصبري لكاع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) فان (قيل) مامعني التردد فى قوله شفيعا أو شهيدا وما معني هذه الشفاعة مع عموم شفاعته صلى الله عليه وسلم (قلنا) ذكر عياض ماملخصه أن بعض مشايخه جعل أو للشك من الراوى وان الظاهر خلافه لكثرة رواته بذلك بل الظاهر انه من لفظه صلى الله عليه وسلم (فاما) ان يكون أعلم بهذه الجملة هكذا (واما) أن تكون أو للتقسيم ويكون شعيفا للعاصين وشهيدا للمطيعين أو شهيدا لمن مات فى حياته وشفيعا لمن مات بعده (قال) وهذه الشفاعة أو الشهادة زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاملين في القيامة وعلى شهادته على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بذلك مزية وزيادة منزلة وحظوة (قال) ويحتمل ان يكون او بمعني الواو (قلت) ويدل له مارواه البراز برجال الصحيح عن عمر رضي الله عنه بلفظ (فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة) و(أسنده) ابن النجار بلفظ (كنت له شفيعا وكنت له شهيدا يوم القيامة) و(أسنده) المفضل الجندى فى فضائل المدينة عن أبى هريرة أيضا بلفظ (لا يصبر أحد على لأواء المدينة) وفي نسخة (وحرها الا كنت له شفيعا وشهيدا) قال القاضي واذا جعلنا أو للشك فان كانت اللفظة شهيدا فالشهادة أمر زائد على الشفاعة المجردة المدخرة لغيرهم من الامة وان كانت اللفظة شفيعا فهذه شفاعة غير العامة تكون لاهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو باكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامات كايوائهم فى ظل العرش أو كونهم في روح وعلى منابر أو الاسراع بهم الى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات (قلت) ويحتمل ان يجمع لهم ببركة شفاعته صلى الله عليه وسلم أو شهادته الخاصة بين ذلك كله فالجاه عظيم والكرم واسع وتأكيد الوصية بالجار يؤيد ذلك (ويحتمل) أيضا ان يكون المراد مع ذلك البشرى بموتهم على الاسلام لان شفاعته وشهادته صلى الله عليه وسلم المذكورة خاصة بالمسلمين وكفى بذلك نعمة ومزية وسيأتى الاشارة الى نحو ذلك فى أول الباب الثامن وفى الموطأ والصحيحين حديث (تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) الحديث

(وقوله) يبسون بفتح المثناة التحتية أوله وضم الباء الموحدة وكسرها ويقال أيضا بضم المثناة وكسر الموحدة يسوقون بهائمهم سوقا شديدا وقيل البس سرعة الذهاب (وفى) مسلم حديث (يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه أو قريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها الا أخلف الله فيها خيرا منه الا ان المدينة كالكير تخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد) و(فى) الصحيحين (أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفي الكير خبث الحديد) وفي رواية لابن زبالة (ان المدينة تنفى خبث الرجال) وفى رواية (خبث أهلها كما ينفى الكير خبث الحديد) وفى صحيح البخارى حديث (أنها طيبة تنفي الذنوب كما ينفى الكير خبث الفضة) وفى الصحيحين قصة الأعرابى الذى جاء من الغد محموما فقال أقلني بيعتى فأبي صلى الله عليه وسلم فخرج الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم (انما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها) قوله (أقلني بيعتى) أى أنقض العهد حتى أرجع الى وطني وكأنه كان قد بايع على هجرة الاقامة وقوله (تنفى خبثها) يحتمل أن يكون بمعنى الطرد والابعاد لاهل الخبث وقصة الأعرابي المذكور ظاهرة فيه وخصه ابن عبد البر بزمنه صلى الله عليه وسلم والظاهر كما قال النووى عدم التخصيص ففى الصحيح (لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها) يعنى عند ظهور الدجال وسيأتى فى الفصل الخامس فى حديث أحمد وغيره برجال الصحيح قصة خروج من بالمدينة من المنافقين الى الدجال ثم قال (وذلك يوم التخليص ذلك يوم تنفي المدينة الخبث) وقال عمر بن عبد العزيز مشفقا اذ خرج منها لمن معه أتخشي أن نكون ممن نفت المدينة وقد طهرها الله تعالى ممن كان بها من أرباب الاديان المخالفين لدين الاسلام وأهلك من كان بها من المنافقين وهؤلاء هم أهل الخبث الكامل ومن عداهم من أهل الخبث والذنوب قد يكون طرده وابعاده ان استمر على ذلك بآخرة الامر بنقل الملائكة له الى غيرها من الارض كما أشار اليه الاقشهرى (قال) ويكون قوله تنفى خبثها وتنق الذنوب أى أهل ذلك على طريقة حذف المضاف (ويحتمل) أن يكون بمعنى طرد أهل الخبث الكامل وهم أهل الشقاء والكفر لا أهل السعادة والاسلام لان القسم الاول ليس قابلا للشفاعة ولا للمغفرة وقد وعد صلي الله عليه وسلم من يموت بها بالشفاعة وجب انتفاء

القسم الاول منها (ويحتمل) أن يكون بمعنى تخليص النفوس من شرها وميلها الى اللذات بما فيها من اللاواء والشدة ويؤيده رواية (انها طيبة تنفى الذنوب) الحديث ويكون نفيها للذنوب على ظاهره سيا وقد اشتملت على عظيم المضاعفات وتنوع المثوبات وتوالى الرحمات وقد قال تعالى «ان الحسنات يذهبن السيئات» مع مالأهلها من الشفاعة والشهادة الخاصة وما بها من تضاعف البركات (ويحتمل) أن يكون بمعني انه لايخفى حال من انطوى فيها على خبث بل تظهر طويته كما هو مشاهد بها ولم أر الآن من نص على هذا الاحتمال وهو في حفظي قديما ويؤيده مافي غزوة أحد في الصحيح من أنه صلي الله عليه وسلم لما خرج الى أحد رجع ناس من أصحابه أي وهم المنافقون فقال صلي الله عليه وسلم (المدينه كالكير) الحديث ولهذا سميت بالفاضحة كما قدمته مع ان الذى ظهر لى من مجموع الاحاديث واستقراء أحوال هذه البلدة الشريفة أنها تنفى خبثها بالمعانى الاربعة و (قوله) وتنصع بالفوقانية المفتوحة والنون والمهملتين كتمنع أى تخلص والناصع الخالص الصافي وطيبها بفتح الطاء والتشديد منصوبا على انه مفعول هذا هو المشهور فيه والله أعلم ه وفى صحيح مسلم من حديث جابر في تحريم المدينة مرفوعا (ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء) قال عياض (قوله) فى النار يدفع اشكال الاحاديث التى لم تذكر فيها هذه الزيادة ويبين أن هذا حكمه فى الآخرة (قال) وقد يكون المراد به أن من أرادها فى حياة النبى صلي الله عليه وسلم كفى المسلمون أمره واضمحل كيده كما يضمحل الرصاص في النار قال (ويحتمل) أن يكون المراد من كادها اغتيالا وطلبا لغرتها فلا يتم له أمر بخلاف من أتى ذلك جهارا (قال) وقد يكون فى اللفظ تقديم وتأخير أى أذابه الله كذوب الرصاص فى النار ويكون ذلك لمن أرادها فى الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطانا بل يذهبه عن قرب كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم ابن عقبة فأهلك في منصرفه منها ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على أثر ذلك وغيرهما ممن صنع صنيعهما انتهى . (وهذا) الاحتمال الاخير هو الارجح وليس فى الحديث مايقتضى انه لايتم له ما أراد منهم بل الوعد باهلاكه ولم يزل شأن المدينة على هذا حتى فى زماننا هذا لما تظاهرت طائفة العياشى بارادة السوء بالمدينة الشريفة لامر اقتضى خروجهم منها حتى أهلك الله تعالى عتاتهم مع كثرتهم فى مدة يسيرة (وقد) يقال المراد من الاحاديث

الجمع بين اذابته بالاهلاك فى الدنيا وبين اذابته في النار في الاخرى والمذكور فى هذا الحديث هو الثانى وفى غيره الاول (ففى) رواية لاحمد برجال الصحيح من جملة حديث (من أرادها بسوء) يعني المدينة أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء (وكذا) في مسلم ايضا (وفى) فضائل المدينة للجندى حديث (أيما جبار أراد المدينة بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء) و(في) رواية لمسلم (من أراد أهل هذه البلدة بسوء يعني المدينة أذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء) وفى رواية له أيضا (من أراد أهل هذه البلدة بدهم أو بسوء) وروى البزار باسناد حسن حديث (اللهم أكفهم من دهمهم بيأس) يعني أهل المدينة (ولا يريدها أحد بسوء الا آذابه الله كما يذوب الملح في الماء) و (قوله) دهمهم محركا أى غشيهم بسرعة و(قوله) في الحديث قبله بدهم بفتح أوله واسكان ثانيه أى بغائلة وأمر عظيم ولذا قيل المراد غازيا مغيرا عليها وفى البخارى حديث (لايكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح في الماء) و(أسند) ابن زبالة عن سعيد بن المسيب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم أشرف على المدينة فرفع يديه حتى روئى عُفرة ابطيه ثم قال (اللهم من أرادنى وأهل بلدى بسوء فعجل هلاكه) و (روى) الطبراني في الأوسط برجال الصحيح حديث (اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل منه صرف ولا عدل) وفي رواية لغيره (من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا) وروى النسائى حديث (من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله) الحديث ولابن حبان نحوه و(روى) أحمد برجال الصحيح عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ان اميرا من امراء الفتنة قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر فقيل لجابر لو تنحيت عنه فخرج يمشى بين ابنيه فنكب فقال تعس من أخاف رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ابناه أو أحدهما ياأبت فكيف أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات فقال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول (من أخاف أهل المدينة فقد أخاف مابين جنبي) (قلت) والظاهر ان الأمير المشار اليه هو بشر بن أرطاة (قال) القرطبي ذكر فى رواية ابن عبد البر أن معاوية رضي الله عنه بعد تحكيم الحكمين أرسل بشر بن أرطاة في جيش فقدموا المدينة وعاملها يومئذ لعلي رضي الله عنه أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه ففر أبو أيوب

ولحق بعلي ودخل بشر المدينة وقال لاهلها والله لولا ماعهد الي أمير المؤمنين ماتركت فيها محتلما الا قتلته ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية وأرسل الي بني سلمة فقال مالكم عندى أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبدالله فأخبر جابر فانطلق حتى جاء أم سلمة زوج النبي صلي الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين فاني أخشي أن أقتل وهذه بيعة ضلال فقالت أرى أن تبايع وقد أمرت ابنى عمر بن أبي سلمة ان يبايع فأتي جابر بشرا فبايعه وهدم بشر دورا بالمدينة ثم انطلق (وفى) رواية ستأتي في الفصل الخامس عشر ان أهل المدينة فروا يومئذ حتى دخلوا الحرة حرة بنى سليم والله اعلم ٭ (وفي) الكبير للطبراني حديث (من آذى أهل المدينة آذاه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل) و(روى) ابن النجار حديث (من أخاف اهل المدينة ظلما أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) والأحاديث في هذا الباب كثيرة (وفي) الصحيحين في أحاديث تحريم المدينة (فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) ولفظ البخارى (لا يقبل منه صرف ولا عدل) قيل الصرف الفريضة والعدل التطوع ونقل عن الجهور وقيل عكسه وقيل الصرف التوبة والعدل الفدية قيل والمعنى لا يقبل فريضته ونافلته أوتوبته قبول رضى ولا يجد في القيامة فداء يفتدى به من يهودى أو نصراني بخلاف سائر المذنبين وقيل غير ذلك ومعنى هذا اللعن المبالغة فى الابعاد عن رحمة الله تعالى والطرد عن الجنة أول الامر لانه كلعن الكفار (قال) القاضى ومعنى قوله من أحدث فيها حدثا الى آخره من أتى فيها اثما أو آوى من أتاه وضمه اليه وحماه وآوى بالمد والقصر قال واستدلوا به على ان ذلك من الكبائر لان اللعنة لا تكون الا فى كبيرة (قلت) فيستفاد منه ان اثم الصغيرة بها كاثم الكبيرة بغيرها لصدق الاثم بها بل نقل الزركشى عن مالك رحمه الله مايقتضى شمول الحديث المذكور للمكروه كما بيناه فى الاصل وذلك لان الاساءة بحضور الملك ليست كالاساءة فى أطراف المملكة وفقنا الله تعالى لحسن الادب فى هذه الحضرة الشريفة بمنه وكرمه

﴿ الفصل الثالث ﴾ في الحث على حفظ أهلها واكرامهم والتحريض على الموت بها واتخاذ الاصل ٭

(روينا) في كتاب ابن النجار عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المدينة مهاجرى فيها مضجعى ومنها مبعثى حقيق على أمتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر من حفظهم كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال) قيل للمزني ما طينة الخبال قال عصارة أهل النار (قلت) قال بعضهم المراد بالمزنى معقل بن يسار وتفسير طينة الخبال بذلك رفعه مسلم (والحديث) في الكبير للطبرانى بسند فيه متروك ولفظه (المدينة مهاجرى ومضجعى فى الارض حق على أمتى أن يكرموا جيرانى ما اجتنبوا الكبائر فمن لم يفعل ذلك سقاه الله من طينة الخبال) قلنا يا أبا يسار وما طينة الخبال قال عصارة أهل النار (وروى) القاضى أبو الحسن علي الهاشمى فى فوائده عن خارجة بن زيد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المدينة مهاجرى وفيها مضجعى ومنها مخرجي حق على أمتي حفظ جيراني فيها من حفظ وصيتي كنت له شهيدا يوم القيامة ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال قيل وما حوض الخبال يارسول الله قال حوض من صديد أهل النار) و(روى) ابن زبالة عن عطاء بن يسار وغيره حديث (ان الله جعل المدينة مهاجرى وبها مضجعى ومنها مبعثى فحق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر فمن حفظ فيهم حرمتى كنت له شفيعا يوم القيامة ومن ضيع فيهم حرمتى أورده الله حوض الخبال) (وفى) رواية له (المدينة مهاجرى وبها وفاتي ومنها محشرى وحقيق على أمتي أن يحفظوا جيراني ما اجتنبوا الكبيرة من حفظ فيهم حرمتى كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) و(في) مدارك عياض قال محمد بن مسلمة سمعت مالكا يقول دخلت على المهدى فقال أوصنى فقلت أوصيك بتقوى الله وحده والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المدينة مهاجرى ومنها مبعثى وبها قبرى وأهلها جيرانى وحقيق على أمتى حفظ جيرانى فمن حفظهم فيّ كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ومن لم يحفظ وصيتى فى جيراني سقاه الله من طينة الخبال) و(روى) مالك فى الموطأ (أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا وقبر يحفر بالمدينة فاطلع رجل فى القبر فقال بئس مضجع المؤمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ماقلت قال الرجل اني لم أرد هذا انما أردت القتل فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مثل للقتل فى سبيل الله ماعلى الارض بقعة أحب الى من ان يكون قبرى

بها منها) يعنى المدينة ثلاث مرات (وروى) ابن شبة فى أخبار مكة عن سعيد بن أبى هند قال سمعت أبي يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل مكة قال (اللهم لاتجعل منايانا بمكة حتى نخرج منها) و(رواه) أحمد في مسنده برجال الصحيح عن ابن عمر مرفوعا الا انه قال حتى تخرجنا منها (وروى) مالك والبخارى ورزين العبدرى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى في بلد رسولك زاد رزين أن ذلك كان من أجل دعاء عمر و(سبق) ماجاء فى أن الانسان يدفن فى التربة التى خلق منها فالنبي صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه وأفضلهم خلقوا من تربة المدينة (وقد) ثبت حديث (من مات بالمدينة كنت له شفيعا يوم القيامة) و(رواه) البيهقى بلفظ (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فمن مات بالمدينة كنت له شفيعا وشهيدا) وفى (رواية) له (فانه من يمت بها أشفع له أو أشهد له) وقد (ذكر) هذه الرواية ابن حبان فى صحيحه و(روى) الترمذى وابن حبان فى صحيحه وابن ماجة والبيهقي وعبد الحق وصححه حديث (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها) ولفظ ابن ماجة فانى أشهد بدل فانى أشفع و(رواه) الطبرانى فى الكبير بسند حسن ولفظه (من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت فانه من مات بها كنت له شهيدا أو شعيفا يوم القيامة) و(رواه) ابن رزين بنحوه وزاد (واني أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتى أهل البقيع فيحشرون ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين أهل الحرمين) وفي (رواية) لابن النجار (فأخرج أنا وأبو بكر وعمر الى البقيع فيبعثون ثم يبعث أهل مكة) و(روى) الطبراني حديث (أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف) وأخرجه الترمذى بالواو بدل ثم وسيأتى فى فضل البقيع زيادة تتعلق بذلك و(بالجملة) فالترغيب في الموت بالمدينة لم يثبت مثله لغيرها والسكنى بها وُصلة اليه فيكون ترغيبا في سكناها وتفضيلا لها على غيرها واختيار سكناها هو المعروف من حال السلف ولاشك أن الاقامة بالمدينة فى حياته صلى الله عليه وسلم أفضل اجماعا فنستصحب ذلك بعد وفاته حتي يثبت اجماع مثله برفعه و(أسند) ابن شبة فى أخبار مكة عن اسماعيل بن سالم قال سألت عامرا عن فتيا أفتي بها حبيب بن أبى ثابت فقال ألا يفنى حبيب نفسه حيث نزل مكة وهى قرية أعرابية ولأن أنزل دوران أحب الى من ان أنزل مكة وهى قرية هاجر منها النبى صلى الله عليه وسلم وعن الشعبي أنه كان يكره

المقام بمكة ويقول هي دار أعرابية هاجر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ألا يفنى حبيب نفسه حيث يجاور بمكة وهي دار أعرابية وقال عبد الرزاق في مصنفه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون (قلت) ولم أظفر عن السلف بنقل فى كراهة المجاورة بالمدينة الشريفة بخلاف مكة لكن أقتضى كلام النووى في شرح مسلم حكاية الخلاف فيها وكأنه قاس المدينة على مكة من حيث ان علة الكراهة وهى خوف الملل وقلة الحرمة للأنس وخوف ملابسة الذنوب لأن الذنب بها أقبح ونحوه موجود بالمدينة ولهذا قال والمختار أن المجاورة بهما جميعا مستحبة الا أن يغلب على ظنه الوقوع فى المحذورات المذكورة (وقال) الزركشى عقب نقل كلام النووى ان الظاهر ضعف الخلاف فى المدينة أى لما قدمناه من الترغيب فيها ولأن كل من كره المجاورة بمكة استدل بترك الصحابة الجوار بها بخلاف المدينة فكانوا يحرصون على الاقامة بها (وقد) روى الطبرانى فى الأوسط حديث (من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مشرب جفوة) و(أسند) ابن أبى حثمة حديث (من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلا ولو قصرة) (قال) ابن الأثير القصرة محركة أصل الشجرة أى ولو نخلة واحدة والقصرة أيضا العنق وقال الخطابى القصرة النخلة وقرأ الحسن «أنها ترمى بشرر كالقصَر» وفسروه باعناق النخل (ورواه) الطبرانى فى الكبير بلفظه الى قوله فليجعل له بها أصلا وقال عقبه (فليأتين على الناس زمان يكون الذى ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز الى غيرها) (ورواه) ابن شبة أيضا بنحوه (ثم) أسند عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تتخذوا الاموال بمكة واتخذوها فى دار هجرتكم فان المرء مع ماله) و(أسند) أيضا عن ابن عمر حديث (لا تتخذوا من وراء الروحاء مالا ولا ترتدوا علي اعقابكم بعد الهجرة ولا تنكحوا بناتكم طلقاء أهل مكة وأنكحوهن باترابهن. فاترابهن) «أى مستويات فى السن فى ثلاث وثلاثين سنة» وهذا كله متضمن للحث على سكنى المدينة وتفضيله على سكني مكة وهى جديرة بذلك لان الله تعالى اختارها لنبيه صلي الله عليه وسلم قرارا وجعل أهلها شيعة له وأنصارا وكانت لهم أوطانا ولو لم يكن الا جواره صلى الله عليه وسلم بها (وقد) قال صلى الله عليه وسلم (مازال جبريل يوصني بالجار) الحديث ولم يخص جارا دون جار ولا يخرج أحد عن

حكم الجار وان جار (ولهذا) اخترت تفضيل سكناها على مكة مع تسليم مزيد المضاعفة لمكة اذ جهة الفضل غير منحصرة فى ذلك فتلك لها مزيد العدد ولهذه تضاعف البركة والمدد ولتلك جوار بيت الله ولهذه جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله سر الوجود والبركة الشاملة لكل موجود (قال) عياض في المدارك قال مصعب لما قدم المهدى المدينة استقبله مالك وغيره من اشرافها على أميال فلما بصر بمالك انحرف المهدى اليه فعانقه وسلم عليه وسايره فالتفت مالك الى المهدى فقال يا أمير المؤمنين انك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار فسلم عليهم فان ما على وجه الارض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة قال ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله فقال انه لا يعرف قبر نبى اليوم على وجه الارض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم فينبغى ان يعرف فضلهم على غيرهم ففعل المهدى ما أمره به (فأشار) مالك رحمه الله الى ان المقتضى للتفضيل هو وجود قبر النبى صلى الله عليه وسلم بها ومجاورة أهلها له

٥ ﴿الفصل الرابع﴾ ٥ فى بعض دعائه صلى الله عليه وسلم لها ولأهلها وما كان بها من الوباء ونقله ٥

(روينا) فى الصحيحين حديث (اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) ورواه رزين العبدرى والجندى بالواو بدل أو مع أن أو فى تلك الرواية بمعنى بل (وقد) صح عنه صلى الله عليه وسلم فى محبة المدينة مالم يرد مثله لمكة (ففى) صحيح البخارى وجامع الترمذى حديث (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر فنظر الى جُدرات المدينة أوضع راحلته وان كان على دابة حركها من حبها) وفى رواية لابن زبالة (تباشرا بالمدينة) ٥ وفى (رواية له) كان اذا أقبل من مكة فكان بالاثاية طرح رداءه عن منكبيه وقال هذه أرواح طيبة وقد تكرر دعائه صلى الله عليه وسلم بتحبيب المدينة اليه كما سيأتى (والظاهر) أن الاجابة حصلت بالأول والتكرير لطلب الزيادة (وفى) كتاب الدعاء للمحاملى وغيره عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قدم من سفر من أسفاره فأقبل على المدينة يسير أتم السير ويقول (اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا) (وفى) الصحيحين حديث (اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة) و(فى) مسلم (اللهم بارك لنا فى تمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا

فى مدنا اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وانى عبدك ونبيك وانه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل مادعاك لمكة ومثله معه (وفيه) أيضا (اللهم بارك لنا فى مدينتنا اللهم بارك لنا فى صاعنا اللهم بارك لنا فى مدنا اللهم بارك لنا فى مدينتنا اللهم اجعل مع البركة بركتين) و(فيه) أيضا و(فى) الترمذى حديث (كان الناس اذا رأوا أول الثمرة جاؤا به الى النبى صلى الله عليه وسلم فاذا أخذه قال اللهم بارك لنا فى تمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا) الحديث وهو يقتضى تكرر هذا الدعاء بتكرر ظهور الثمرة والاتيان بأولها (وفى) الترمذى وقال حسن صحيح عن على رضى الله عنه (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال اللهم ان ابراهيم كان عبدك وخليلك ودعاك لأهل مكة بالبركة وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مدهم وصاعهم مثلى ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين) و(رواه) ابن شبة فى أخبار مكة بنحوه لا أنه قال حتى اذا كنا بالحرة بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ائتونى بوضوء فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال) الحديث بنحوه و(رواه) الطبرانى فى الأوسط باسناد جيد ولفظه (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا عند السقيا التى كانت لسعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة وأنا محمد عبدك ورسولك وانى أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى صاعهم ومدهم مثل ما باركت لأهل مكة واجعل مع البركة بركتين) هكذا فى النسخة التى وقعت لنا ولعله مثلى كما فى الرواية السابقة و(يؤخذ) منه الاشارة الى أن المدعو به ستة أضعاف ما بمكة من البركة (وفى) حديث رواه ابن زبالة عن أبى هريرة (ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى ناحية من المدينة وخرجت معه فاستقبل القبلة ورفع يديه حتى أنى لأرى بياض ماتحت منكبيه ثم قال اللهم ان ابراهيم نبيك وخليلك دعاك لأهل مكة وأنا نبيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة اللهم بارك لهم فى مدهم وصاعهم وقليلهم وكثيرهم ضعفى ما باركت لأهل مكة اللهم من ههنا وههنا وههنا حتى اشار الى نواحى الارض كلها اللهم من أرادهم بسوء فأذبه كما يذوب الملح فى الماء) و(فى) الأوسط للطبرانى ورجاله ثقات عن ابن

عمر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ثم أقبل على القوم فقال (اللهم بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مدنا وصاعنا) الحديث (وفي) الكبير له ورجاله ثقات عن ابن عباس نحوه (وروى) أحمد والبزار واسناده حسن عن جابر قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نظر الى الشام فقال اللهم أقبل بقلوبهم ونظر الى العراق فقال اللهم مثل ذلك ونظر قبل كل أفق ففعل ذلك وقال اللهم ارزقنا من ثمرات الارض وبارك لنا في مدنا وصاعنا) و (في) الصحيحين حديث (اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدهم) (قال) القاضي في الكلام عليه البركة هنا بمعنى النمو والزيادة وتكون بمعنى الثبات فقيل (يحتمل) أن تكون هذه البركة دينية وهي ماتتعلق بهذه المقادير في الزكاة والكفارات فتكون بمعنى الثبات لها لثبات الحكم بها وبقائه ببقاء الشريعة و (يحتمل) أن تكون دنيوية من تكثير الكيل والقدر بهذه الأكيال حتى يكفي منه مالا يكفي من غيره في غير المدينة أو ترجع البركة الى كثرة مايكال بها من غلاتها وثمراتها وفي هذا كله ظهر اجابة دعوته صلى الله عليه وسلم (وقال) النووى الظاهر ان المراد البركة في نفس المكيل في المدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لايكفيه في غيرها (قلت) هذا هو الظاهر فيما يتعلق بأحاديث الكيل وأما غيرها فعلى عمومه في سائر الامور الدينية والدنيوية (وروينا) في فضائل المدينة للجندى حديث (اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد وصححها لنا وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل حماها واجعلها بالجحفة) و (روى) أحمد برجال الصحيح عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بارض سعد باصل الحرة عند بيوت السقيا ثم قال (اللهم ان ابراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك به ابراهيم لمكة أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة واجعل ما بها من وباء بخم) الحديث وقوله (بخم) بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم مكان قرب الجحفة كما سيأتي في موضعه و (روى) ابن زبالة حديث (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك فيها أصحابه) (وفيه) فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ثم رفع يده ثم قال (اللهم انقل عنا الوباء فلما أصبح قال اتيت هذه الليلة بالحمى فاذا بعجوز سوداء ملبية في يدي الذي جاء بها فقال هذه الحمى فما ترى فيها فقلت اجعلوها بخم) و (في)

مسلم حديث عائشة رضى الله عنها (قدمنا المدينة وهي وبية فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وحول حماها الى الجحفة) و (هو) في البخاري بلفظ (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضى الله عنهما وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا قلع عنه يرفع عقيرته ويقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل اردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله وكان بطحان يجرى نجلا) يعنى ماء آجنا و (رواه) في الموطأ بزيادة (وكان عامر بن فهيرة يقول

قد ذقت طعم الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه)

(ورواه) ابن اسحق بزيادة أخرى ولفظه (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرفه الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مولى أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب الحجاب وبهم مالا يعلمه الا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت كيف تجدك يا أبت أى كيف تجد نفسك فقال * كل امرئ * البيت المتقدم فقلت والله مايدرى أبي مايقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك ياعامر فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي جلده بروقه

قالت فقلت ما يدرى عامر ما يقول وقالت وكان بلال اذا تركته الحمى

اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته وقال * ألا ليت شعرى * البيتين (ورواه) ابن زبالة بلفظ (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أصحابه فخرج يعود أبابكر فوجده بهجر فقال يارسول الله * لقد لقيت الموت قبل ذوقه * البيت المتقدم فخرج من عنده فدخل على بلال فوجده بهجر وهو يقول * ألا ليت شعرى * البيتين المتقدمين ودخل على أبي أحمد بن جحش فوجده موعوكا فلما جلس اليه قال

واحبـذا مكة من وادى * أرض بها تكثر عوادى
أرض بها تضرب أوتادي * أرض بها أهلي وأولاد
* أرض بها أمشى بلا هادى *

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا أن ينقل الوباء من المدينة فيجعله بخم) و(فى) رواية له انه أمر عائشة بالذهاب الى أبي بكر ومولييه وانها رجعت وأخبرته بحالهم فكره ذلك ثم عمد الى بقيع الخيل وهو سوق المدينة فقام فيه ووجهه الى القبلة فرفع يديه الى الله فقال (اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لأهل المدينة فى سوقهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم فى مدهم اللهم أنقل ما كان بالمدينة من وباء الى مهيعة قوله (رفع عقيرته) أى صوته وقوله (بواد) روى (بفخ) وهو وادى الزاهر و(الجليل) بالجيم الثمام و(مجنة) بكسر الميم وفتحها سوق بأسفل مكة (وقال) الأصمعي بمر الظهران و(شامة وطفيل) جبلان يشرفان على مجنة قاله ابن الاثير قال ويقال (شابة) بالباء الموحدة وهو جبل حجازى (قال) المحب الطبرى وروايته بالباء الموحدة بخط شيخنا الصاغاني وكتب عليها صح (وقال) الطبرى والاشهر أنهما جبلان على مراحل من مكة من جهة اليمن وقال الخطابى عينان وقوله (بطوقه) أى بطاقته وقوله (بروقه) أى بقرنه و(مهيعة) هى الجحفة أحد المواقيت المشهورة و(خم) بقربها وانما دعا صلى الله عليه وسلم بنقل الحمي اليها لأنها كانت دار شرك ولم تزل من يومئذ أكثر بلاد الله حمى قال بعضهم وانه ليتقى شرب الماء من عينها التى يقال لها عين خم فقل من شرب منها الا حم (وروى) البيهقى حديث عائشة من طريق هشام بن عروة عن أبيه وفيه (قال) هشام فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى (وقال) الخطابي كان أهل الجحفة اذ ذاك يهودا وقيل انه لم يبق احد من أهلها الا أخذته الحمي (قال) النووى وهذا

علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فان الجحفة من يومئذ وبية ولا يشرب أحد من مائها الا حم و(بطحان) من أودية المدينة كما سيأتى و(الماء الآجن) المتغير الطعم واللون واتفق أهل الأخبار ان الوباء بالمدينة كان شديدا حتى (روى) ابن اسحق عن هاشم ابن عروة قال كان وباؤها معروفا فى الجاهلية وكان الانسان اذا دخلها وأراد ان يسلم من وبائها قيل له انهق فينهق كما ينهق الحمار (وفي) دلائل النبوة من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أوبأ أرض الله ووادبها بطحان نجل يجرى عليه الأثل) قال هشام وكان وباؤها معروفا في الجاهلية وكان اذا كان الوادى وبيا فاشرف عليه الانسان قيل له انهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى قال الشاعر حين أشرف على المدينة

لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى * نهيق الحمار انني لجزوع

(قالت) عائشة فاشتكي أبو بكر الحديث و(روى) ابن شبة عن عامر بن جابر قال كان لا يدخل المدينة أحد الا من طريق واحد من ثنية الوداع فان لم يعشر بها أى ينهق كالحمار عشرة أصوات فى طلق واحد مات قبل ان يخرج منها فاذا وقف على الثنية قيل قد ودع فسميت ثنية الوداع حتي قدم عروة بن الورد العبسي فقيل له عشر بها فلم يعشر وأنشأ يقول

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى * نهاق الحمار انني لجزوع

ثم دخل فقال يامعشر يهود ما لكم وللتعشير قالوا انه لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها الا مات ولا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع الا قتله الهزال فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ودخلوا من كل ناحية و(تحويل) الوباء من أعظم المعجزات اذ لا يقدر عليه جميع الاطباء (وفي) البخارى حديث (رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فتأولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة) و(فى) الاوسط للطبراني نحوه و(في) كتاب بن زبالة (أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فجاءه انسان كأنه قدم من ناحية طريق مكة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل لقيت أحدا قال لا الا امرأة سوداء عريانة ثائرة الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحمى ولن تعود بعد اليوم أبدا) و(فيه) أيضا حديث (اللهم حبب الينا المدينة وانقل وباءها

الى مهيعة وما بقى منه فاجعله تحت ذنب مشعط) وحديث (ان كان الوباء في شئ من المدينة فهو في ظل مشعط) (قال) المجد هو جبل أوموضع بالمدينة (قلت) سيأتى عن ابن زبالة فى المنازل ان بنى جديلة ابتنوا أطمين (أحدهما) يقال له مشعط كان موضعه في غربى مسجد بني جديلة وفى موضعه بيت يقال له بيت أبي نُبيه ثم أورد عقبه الحديث المذكور فأفاد انه هو المراد و (فيه) أيضا حديث (أصح المدينة من الحمى مابين حرة بنى قريظة والعريض) وهو يؤذن ببقاء شيء من الحمى بالمدينة وان الذى نقل عنها أصلا ورأسا سلطانها وشدتها ووباءها وكثرتها بحيث لايعد مابقى بالنسبة اليه شيئا و(يحتمل) انها رفعت أولا بالكلية ثم أعيدت خفيفة لئلا يفوت ثوابها كما أشار اليه الحافظ بن حجر ويدل له ما(روى) أحمد برجال الصحيح وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه عن جابر (استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقالت ام مِلدم فامر بها الى أهل قباء فلقوا مالا يعلمه الا الله تعالى فأتوه فشكوا ذلك اليه فقال ماشئتم ان شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو تفعل قال نعم قالوا فدعها) و(رواه) الطبرانى بنحوه (وقال) فيه (ان شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم قالوا فدعها يارسول الله) و (روى) أحمد ورجاله ثقات حديث (أتاني جبريل بالحمي والطاعون فامسكت الحمي بالمدينة وأرسلت الطاعون بالشام فالطاعون شهادة لأمتى ورحمة لهم ورجز على الكفار) و(الأقرب) أن هذا كان في آخر الأمر بعد نقل الحمي بالكلية لكن (قال) الحافظ ابن حجر لما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة كان في قلة من أصحابه فاختار الحمى لقلة الموت بها على الطاعون لما فيها من الأجر الجزيل وقضيتها اضعاف الاجساد فلما أمر بالجهاد دعا بنقل الحمى الى الجحفة ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التى هى حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة يعنى بعد كثرة المسلمين تمييزا لها على غيرها انتهى . و(هو) يقتضى عود شيء من الحمي اليها بآخرة الأمر والمشاهد فى زماننا عدم خلوها عنها أصلا لكنه ليس كما وصف أولا بخلاف الطاعون فانها محفوظة عنه بالكلية كما سيأتى والأقرب أنه صلى الله عليه وسلم لما سأل ربه تعالى لأمته أن لا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعه ذلك فقال فى دعائه (فحمى اذا أوطاعونا) أراد

بالدعاء بالحمى للموضع الذي لايدخله طاعون كما سنشير اليه في الفصل الآتى فيكون مابالمدينة اليوم ليس هو حمي الوباء بل حمي رحمة بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سنوضحه والله أعلم

﴿ الفصل الخامس في عصمتها من الدجال والطاعون ﴾

(روينا) في الصحيحين وغيرهما حديث (على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها لايدخلها الطاعون ولا الدجال) و (فيهما) أيضا حديث (ليس من بلد الا سيطؤها الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من أنقابها الا عليه ملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق) وفى رواية (فيأتى سبخة الجُرف فيخرج اليه كل منافق ومنافقة) و(في) البخارى حديث (لايدخل المدينة رعب المسيح لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان) و (في) مسلم حديث (يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك) و(في) الصحيحين (قصة خروج الرجل الذى هو خير الناس أومن خير الناس من المدينة الى الدجال اذا نزل بعض سباخها فيقول له أشهد انك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه) الحديث بطوله و(قال) معمر فيما رواه أبو حاتم يرون هذا الرجل هو الخضر عليه السلام و (روى) أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح عن جابر بن عبدالله قال (أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على فلق من أفلاق الحرة ونحن معه فقال نعم الأرض المدينة اذا خرج الدجال على كل نقب من أنقابها ملك لايدخلها فاذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه وأكثرهم يعني من يخرج اليه النساء وذلك يوم التخليص ذلك يوم تنفى المدينة الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد يكون معه سبعون ألفا من اليهود على كل رجل منهم ساج وسيف محلا فيضرب قبته بهذا المضرب الذى بمجتمع السيول) الحديث بطوله و(لفظ) الطبراني (ياأهل المدينة اذكروا يوم الخلاص قالوا ومايوم الخلاص قال يقبل الدجال حتى ينزل بذباب فلا يبقي فى المدينة مشرك ولا مشركة ولا كافر ولا كافرة ولا منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة الا خرج اليه ويخلص المؤمنون فذلك يوم الخلاص) و(روى) أحمد برجال الصحيح أن رسول صلي الله عليه

وسلم قال (يوم الخلاص وما يوم الخلاص ثلاثا فقيل له وما يوم الخلاص قال يجيء الدجال فيصعد أحدا فيقول لاصحابه أترون هذا القصر الابيض هذا مسجد أحمد ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكا مصلتا فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة الا خرج اليه فذلك يوم الخلاص)(وقال) الحافظ بن حجر ان أحمد والحاكم أخرجا من رواية محجن بن الادرع رفعه (يجيء الدجال فيصعد أحدا فيطلع فينظر الى المدينة فيقول لأصحابه ألا ترون الى هذا القصر الأبيض هذا مسجد أحمد ثم يأتي المدينة فيجد في كل نقب من أنقابها ملكا مصلتا سيفه) و بقيته بلفظ الحديث المذكور الا أنه قال في آخره (فتخلص المدينة فذلك يوم الخلاص)والمراد بالرواق الفسطاط و(لابن)ماجة من حديث أبي أمامة ينزل عند الطريق الأحمر عند منقطع السبخة و(لأحمد)من حديث ابن عمر (ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقناة)أى ممرها(وفي)عقيق المدينة للزبير بن بكار عن أبي هريرة (ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مجتمع السيول فقال ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة ثم قال هذا منزله يريد المدينة لايستطيعها يجدها متمنطقة بالملائكة على كل نقب من أنقابها ملك شاهر سلاحه لايدخلها الدجال ولا الطاعون فيزلزل بالمدينة وبأصحاب الدجال زلزلة لايبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه وأكثر من يتبعه النساء فلايعجز الرجل أن يمسك سفيهته) (قلت) يستفاد منه ان المراد من قوله فى الأحاديث المتقدمة فترجف المدينة يعني بسبب الزلزلة فلا يشكل بما تقدم من أنه لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال فيستغنى عما جمع به بعضهم من أن الرعب المنفى هو أن لايحصل لمن بها بسبب قربه منها خوف أو هو عبارة عن غايته وهو غلبته عليها والمراد بالرجفة اشاعة مجيئه وأن لاطاقة لاحد به فيتسارع حينئذ اليه من كان يتصف بالنفاق أوالفسق قاله الحافظ ابن حجر وما قدمناه أولى (وفى) الأوسط للطبراني حديث (ينزل الدجال حذو المدينة فأول من يتبعه النساء والاماء)و(في) حديث رواه أحمد والطبراني واللفظ له ورجاله ثقاة في وصف الدجال (ثم يسير حتى يأتى المدينة ولا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذاك الرجل ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عزوجل عند عقبة أفيق) و(روى) أبو يعلى حديث الجساسة المشهور في الصحيح باسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح وزاد فيه (هو المسيح

تطوي له الأرض في أربعين يوما الا ما كان من طيبة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم وطيبة المدينة ماباب من أبوابها الا وملك مصلت سيفه يمنعه وبمكة مثل ذلك) و(في) البخارى والترمذى حديث (المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله تعالى) و(روى) أحمد ورجاله ثقاة وابن شبة برجال الصحيح حديث المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لايدخلها الدجال ولاالطاعون) و(روى) أحمد مرسلا وابنه متصلا وكذا الطبرانى ورجاله ثقاة حديث (ذكر لرسول الله صلي الله عليه وسلم رجل خرج من بعض الارياف حتي اذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء ففزع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأرجو أن لايطلع علينا نقابها) يعنى المدينة و(نقابها وأنقابها)طرقها وفجاجها واحدها نقب بكسر النون وضمها (وقوله) في الرواية المتقدمة فلا يقربها الدجال ولا الطاعون فيقتضى جواز دخول الطاعون المدينة ويرده الجزم فى سائر الأحاديث والصواب حفظها منه كما هو المشاهد وقد استشكل قرن الدجال بالطاعون مع ان الطاعون شهادة ورحمة فكيف يتمدح بعدمه (والجواب) من وجوه (أحدها) ان كونه كذلك ليس لذاته وانما المراد ترتب ذلك عليه وقد ثبت تفسيره من رواية أحمد (بوخز اعدائكم من الجن) فيكون الاشارة بذلك الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من الطعن كما ان الدجال ممنوع منها ألا ترى ان قتل الكافر المسلم شهادة ولو ثبت لمحل ان الكفار لاتسلط عليه لحاز بذلك غاية الشرف (ثانيها) ان أسباب الرحمة لم تنحصر فى الطاعون وقد عوضهم صلى الله عليه وسلم عنه الحمى حيث اختارها عند ماعرضا عليه كما تقدم وهى مطهرة للمؤمن وحظه من النار والطاعون يأتي فى بعض الاعوام والحمى تتكرر فى كل حين فيتعادلان وفيه نظر لان تكثير أسباب الرحمة مطلوب ولأنه لايدفع أشكال التمدح بعدمه (ثالثها) انه وان اشتمل على الرحمة والشهادة فقد ورد أن سببه أشياء تقع من الأمة كظهور بعض المعاصي وقد (روى) أحمد بأسانيد حسان وصحاح عن شرحبيل بن حسنة وغيره انه يعني الطاعون رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم (وروى) أحمد أيضا تفسير كونه دعوة نبيكم عن أبى قلابة بأنه صلي الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن لايهلك أمته بسنة فأعطيها وسأله أن لايسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطيها وسأله ان لايلبسهم شيعا ويذيق

بعضهم بأس بعض فمنعه فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه(فحمى اذا أو طاعونا) كرره
ثلاثا فقد تضمن الطاعون نوعا من المؤاخذة لانه صلى الله عليه وسلم دعا به ليحصل
كفاية اذاقة بعضهم بأس بعض ويكون هلاكهم حينئذ بسبب لايعصون به بل يثابون
فحفظ الله تعالى بلد نبيه صلى الله عليه وسلم من الطاعون المشتمل على الانتقام اكراما
لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل لهم الحمى المضمنة للأبدان عن اذاقة بعضهم بأس بعض
والمطهرة لهم فقوله صلى الله عليه وسلم (فحمى اذا) أى للموضع الذى لايدخله الطاعون
بل عصم منه وهو جواره الشريف وقوله(أوطاعونا) أى للموضع الذى لم يعصم منه وهو
سائر البلاد هذا ماظهر لى فى فهم هذه الأحاديث وهو يقتضي شرف الحمى الواقعة
بالمدينة وفضلها لأنها دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة ربنا أيضا لأنها من لازم
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولأنها جعلت في مقابلة الطاعون الذى هو رحمة لغيرهم
فيكون الحمى رحمة لهم فهى غير حمى الوباء الذاهبة من المدينة (رابعها) ذكره الحافظ
ابن حجر نقلا عن القرطبي وهو ان المعنى لايدخل الى المدينة من الطاعون مثل الذى
وقع في غيرها كطاعون عمواس(قال) الحافظ ابن حجر وهو يقتضي ان الطاعون يدخلها
فى الجملة وليس كذلك(فقد) جزم ابن قتيبة وتبعه جمع جم من آخرهم النووى بأن الطاعون
لايدخل المدينة أصلا ولا مكة أيضا لكن نقل جماعة انه دخل مكة فى الطاعون العام سنة
تسع وأربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر أحد قط انه دخلها اصلا ثم(ذكر)الحافظ
ابن حجر الحديث المتقدم المشتمل على ذكر مكة أيضا ثم قال وعلى هذا فالذى نقل انه وجد
بمكة ليس كاظن ناقله كونه طاعونا بل وباء وهو اعم من الطاعون (أو) يجاب بجواب القرطبي
المتقدم قال ولعله بنى جوابه على ان الطاعون ماينشأ عن فساد الهوى فيقع به الموت الكثير
وليس كذلك(ففى) الصحيح قول أبي الأسود قدمت المدينة وهم يموتون بها موتا ذريعا
فهذا وقع بالمدينة وهو وباء ولكن الشأن فى تسميته طاعونا (قال) والحق ان المراد بالطاعون في
هذه الاحاديث الذى ينشأ عن طعن الجن فيهيج به الدم فى البدن فيقتل فهذا لم يدخل
المدينة قط (قلت) نقل الزركشي عن القرطبي انه فسر الطاعون بالموت العام الفاشي
وهو صريح في انه أراد مافهمه عنه الحافظ ابن حجر ويرده(قوله) في الحديث المتقدم(حتى
اذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابهم الوباء فأفزع الناس) فان المراد فيه بالوباء

الطاعون المعروف بعلاماته عندهم والافموت الشخص الواحد لايفزع ولا يسمي موتا
عاما ويبعد جعل الموت العام بمجرده شهادة (وقد) أخبر بعض الاولياء بمشاهدة الجن
يقظة يطعنون الناس فى بعض سنى الطاعون ورأيته أنا كذلك مناما ورأيت ان بيني
وبينهم حائلا فحماني الله منه في تلك السنة على (أنه) لو سلم ان المراد ماذكره القرطبي
فالاشكال المتقدم باق اذ يقال لم لم يكثر بالمدينة وهو رحمة فالحق ماقدمناه وهذا كما
قال بعضهم من المعجزات العظيمة المستمرة التى هي من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
لأن الاطباء بأجمعهم قد عجزوا عن دفع الطاعون عن بلد ما في دهر من الدهور وقد
امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة مع أنه يقع بالحجاز الشريف ويدخل
قرية الينبع وجدة والفرع والصفراء والخيف وغير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة
ولا يدخلها هى كما شاهدنا ذلك في طاعون أواخر سنة احدى وثمانين وثمانمائة مع
أوائل التى بعدها فانه عم أكثر الأماكن القريبة من المدينة وكثر بجدة واختلف
في دخوله مكة والذى تحققناه كثرة الموت بها في ذلك الزمان وكثرت الحمى بالمدينة لكن
لم يكثر بها موت وبالجملة فهى محفوظة منه أتم الحفظ فلله الحمد والمنة

﴿ الفصل السادس فى الاستشفاء بترابها وبتمرها وما جاء فيه ﴾

(روينا) في كتاب ابن النجار والوفاء لابن الجوزى حديث (غبار المدينة شفاء من
الجذام (وفي) جامع الأصول لابن الأثير وبيض لمخرجه عن سعد رضى الله عنه قال (لما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك تلقاه رجال من المخلفين من المؤمنين فأثاروا
غبارا فخمر أو فغطى بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفه فأزال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللثام عن وجهه وقال والذى نفسي بيده ان في غبارها شفاء من كل
داء) قال وأراه ذكر (ومن الجذام والبرص) وقد أورده كذلك رزين العبدرى فى جامعه
وهو مستند ابن الأثير فى ايراده (قال) الحافظ المنذرى ولم أره فى الأصول (وروى)
رزين أيضا عن ابن عمر نحوه الا أنه قال (فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاماطه
عن وجهه وقال أما علمت أن عجوة المدينة شفاء من السقم وغبارها شفاء من الجذام)
و(رواه) ابن زبالة مختصرا عن صيفى بن أبي عامر ولفظه (والذى نفسي بيده ان تربتها

لمؤمنة وانها شفاء من الجذام) و(روى) أيضا عن أبي سلمة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (غبار المدينة يطفى الجذام) (قلت) وقد رأينا من استشفي بغبارها من الجذام وكان قد أضر به كثيرا فصار يخرج الى الكومة البيضاء بيطحان بطريق قباء ويتمرغ بهـا ويتخذ منهـا في مرقـده فنفعه ذلك جداً (وروى) ابن زبالة ويحيي بن الحسن ابن جعفر العـلوى وابن النجار كلاهما من طريقه (ان النبى صلي الله عليه وسـلم أتي بلحارث فاذاهم روبى فقال مالكم يابنى الحارث روبي قالوا اصابتنا يارسول الله هذه الحمي قال فأين أنتم من صعيب قالوا يارسول الله ما نصنع به قال تأخذون من ترابه فتجعلونه فى ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا باذن ربنا ففعلوا فتركتهم الحمى) قال ابن النجار عقبه قال ابو القاسم طاهر بن يحيي العلوى (صعيب) وادى بطحان دون (الماجشونية) وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه وهو اليوم اذا وبأ انسان أخذ منه (قلت) قد رأيت ذلك فى نسخة كتاب يحيي التى رواها ابنه طاهر بن يحيي عنه و(الماجشونية) هى الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية و(قال) ابن النجار عقبه وقد رأيت أنا هذه الحفرة اليوم والناس يأخـذون منها وذكروا أنهم قد جربوه فوجـدوه صحيحا قال وأخذت أنا منه أيضا (قلت) وهذه الحفرة موجودة اليوم مشهورة سلفا عن خلف يأخذ الناس منها وينقلونه للتداوى وقد بعثت منها لبعض الأصحاب أخـذا ممـا ذكروه فى أخذ نبات الحرم للتداوى ثم رأيت الزركشى (قد) قال ينبغى أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم تربة حمزة رضى الله عنه لاطباق السلف والخلف على نقلها للتداوى من الصداع (فقلت) عند الوقوف عليه أين هو من تراب صعيب لما قدمناه فيه بخلاف ماذكره اذ لا أصل له و(ذكر) المجد ان جماعة من العلماء ذكروا انهم جربوا تراب صعيب للحمى فوجـدوه صحيحا قال وأنا بنفسي سقيته غلاما لى مريضا من نحو سـنة تواظبه الحمى فانقطعت عنـه من يومه و(ذكر) المجد أيضا فى موضع آخر كيفية لاستشفاء به انه يجعل فى الماء ويغتسل به وكذا ذكره الجمال المطرى عند ذكر صعيب فقال وفيه حفرة يؤخذ من ترابها ويجعل فى الماء ويغتسل به من الحمي (قلت) فينبغى ان يجعل فى المـاء ثم يتفل عليه وتقال الرقية الواردة ثم يجمع بين الشرب والغسل منه ويستأنس للغسل بما رويناه عن جزء وأبي مسـعود بن الفرات الرازى عن ثابت بن قيس ان النبي صلي الله عليه وسلم

عاده وهو مريض فقال اذهب الباس رب الناس) عن ثابت بن قيس بن شماس (ثم أخذ كفا من بطحاء فجعله فى قـدح من ماء ثم أمر فصب عليه) (وفى) الصحيحين حديث (كان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم اذا اشتكي الانسان أو كانت به قرحة أو جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سـبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضـنا بريق بعضا يشفي سقيمنا باذن ربنا) (ورواه) أبو داود بنحوه (وفى) رواية (يقول بريقه ثم قال به فى التراب تربة أرضنا) (وروى) ابن زبالة (ان رجلا أتى به رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وبرجله قرحة فرفع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم طرف الحصير ثم وضع أصبعه التى تلى الابهام على التراب بعد ماسها بريقه وقال بسم الله ريق بعضنا بتربة أرضنا ليشفي سقيمنا باذن ربنا ثم وضع أصبعه على القرحة فكأنما حل من عقال) (وروى) أيضا حديث (تراب أرضنا شفاء لقرحنا باذن ربنا) وان أم سلمة كانت تنعت من القرحة تراب الضبه (وفى) مسـلم حديث (من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شئ حتى يمسى (وفي) الصحيحين حديث (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولاسحر) (ورواه) أحمد برجال الصحيح بلفظ (من أكل سبع تمرات عجوة مما بين لابتي المدينـة علي الريق لم يضره يومـه ذلك شئ حـتى يمسى) قال فليح وأظنه قال (وان أكلها حـين يمسى لم يضره شئ حتى يصبح) (ورواه) بن زبالة بلفظ (من تصبح بسبع تمرات من العجوة) لاأعلمه الا قال من العالية (لم يضره يومئذ سم ولا سحر) (وفى) صحيح مسلم حديث ان فى عجوة العالية شفاء أوانها ترياق أول البُـكرة (وروى) أحمد برجال الصحيح حديثا فيه (واعلموا ان الكمأة دواء العين وان العجوة من فاكهـة الجنة) (وروى) النسائى وأبو داود الطيالسى والطبرانى فى الثلاثة بسند جيد حديث (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهى شفاء من السم) (وقد) صح فى سنن أبى داود عن سـعد بن أبي وقاص قال (مرضت مرضا فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادى فقال انك رجـل مفؤد ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فانه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمـرات من عجوة المدينة فليجأهن ثم ليلدك بهن[1]) (ورواه) الطبراني لكن عن سعد بن أبى رافع قوله (فليجأهن)

(١) هذه عبارة الاصل والذى في الخلاصة (ثم ليلدكهن)

أى فليدقهن قال عياض وقال ابن الاثير فليجأهن أى فليدقهن وبه سميت الوجيئة(١)وهو تمر يبل بلبن ثم يدق حتى يلتئم ومنه الحديث انه دعا سعدا فوصف له الوجيئة وقوله ثم (ليلدك) أى يسقيك يقال لده باللدود اذا سقاه الدواء فى أحد جانبى الفم (وفي) كامل بن عدى حديث (ينفع من الدوّام ان يأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة كل يوم يفعل ذلك سبعة أيام) و(في) غريب الحديث للخطابى عن عائشة رضى الله عنها (انها كانت تأمر للدوّام والدوار بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الريق) (والدوّام والدوار) ما يأخذ الانسان فى رأسه فيدومه ومنه تدويم الطائر وهو ان يستدير فى طيرانه (قال) الخطابى كون العجوة عوذة من السم والسحر انما هو من طريق التبرك بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن طبعها يفعل شيأ (وقال) النووى فى تخصيصها دون غيرها وعدد السبع من الامور التى علمها الشارع ولا نعلم نحن حكمتها فيجب الايمان بها واعتقاد فضلها وما ذكره المازرى والقاضى فى هذا باطل وقصدت بذلك التحذير من الاغترار به انتهى . وأشار به لقول القاضى فى أثناء تعليل ذلك انه لتأثير فى الارض أو الهواء ولقول المازرى لعل ذلك كان لأهل زمنه صلى الله عليه وسلم خاصة أولأكثرهم اذ لم يثبت استمرار وقوع الشفاء فى زمننا غالبا وان وجد ذلك فى الأكثر حمل على انه أراد وصف غالب الحال انتهي .(وقد) جعله ابن التين احتمالا وزاد عليه آخر أعجب منه فقال يحتمل ان يكون المراد نخلا خاصاً من المدينة لا يعرف الآن ويحتمل ان يكون ذلك خاصاً بزمانه صلى الله عليه وسلم انتهى. (وهو) مردود لان سوق الاحاديث وايراد العلماء لها واطباق الناس على التبرك بعجوة المدينة وتمرها يرد التخصيص بزمنه صلى الله عليه وسلم مع ان الأصل عدمه ولم تزل العجوة معروفة بالمدينة يأثرها الخلف عن السلف يعلمها كبيرهم وصغيرهم علما لا يقبل التشكيك (وقال) الداودى هى من أوسط التمر كما هو المشاهد اليوم (وقال) غيره هي من أجود تمر المدينة ومراده انها ليست من رديه (وقال) ابن الاثير العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحانى يضرب الى السواد وهو مما غرسه النبى صلى الله عليه وسلم بيده بالمدينة (وذكر) هذا الأخير البزار أيضا فلعل الأوداء التى كاتب سلمان الفارسى أهله عليها وغرسها صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالفُقَيّر أوغيره من العالية

(١) قال فى القاموس (الوجيئة) تمر أو جراد يدق ويلت بسمن اوزيت فيؤكل ٭

كانت عجوة والعجوة توجد بالفقير الى يومنا هذا ويبعد ان يكون المراد ان هذا النوع انما حدث بغرسه صلى الله عليه وسلم وان جميع ما يوجد منه من غرسه كما لا يخفى (وروى) ابن حبان عن ابن عباس قال (كان أحب التمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة) و (فى) حديث ضعيف (خير تمركم البرنى يخرج الداء ولا داء فيه) (ورواه) ابن شبة بنحوه خطابا لوفد عبد القيس في تمارهم و(كذا) الحاكم فى مستدركه (وفى) مسلم حديث (ياعائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله) قالها مرتين أوثلاثا (وفيه) أيضا حديث (لا يجوع أهل بيت عندهم التمر) (وفى) الكبير والصغير للطبراني ورجال الصغير رجال الصحيح عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا أتي بالباكورة من الثمار وضعها على عينيه ثم قال اللهم كما اطعمتنا أوله فاطعمنا آخره ثم يأمر به للمولود من أهله) ولفظ الكبير (كان اذا أتي بالباكورة من الثمر قبلها وجعلها على عينيه) الحديث (وفى) نوادر الحكيم الترمذى عن أنس بن مالك قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتي بالباكورة من كل شئ قبلها ووضعها على عينه اليمنى ثلاثا ثم على عينه اليسرى ثلاثا ثم يقول اللهم) الحديث بنحوه (وروى) البزار بسند فيه ضعيف حديث (ياعائشة اذا جاء الرطب فهنيني) (ورويناه) فى الغيلانيات (وفيها) أيضا حديث (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يفطر على الرطب في أيام الرطب وعلي التمر اذا لم يكن رطب ويختم بهن ويجعلهن وترا ثلاثا أو خمساً أو سبعاً) و(فيها) حديث (كلوا التمر على الريق فانه يقتل الدود) وأنواع تمر المدينة كثيرة ذكرنا ما أمكن جمعه منها في الاصل فبلغ مائة وبضعا وثلاثين نوعا منها النوع المسمى بالصيحانى (وقد) أسند الصدر ابراهيم بن محمد بن مؤيد الحموى في كتابه فضل أهل البيت عن جابر رضى الله عنه قال (كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم يوما فى بعض حيطان المدينة ويد عليّ فى يده قال فمررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد سيد الانبياء وهذا عليّ سيد الاولياء أبو الائمة الطاهرين ثم مررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد رسول الله وهذا عليّ سيف الله فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى عليّ فقال له ياعلي سمه الصيحاني فسمى من ذلك اليوم الصيحاني) وهو حديث غريب فكان هذا سبب تسمية ذلك النوع بهذا الاسم لان تلك النخلات كانت منه ويحتمل ان يكون المراد تسمية ذلك الحائط بهذا الاسم وبالمدينة اليوم موضع بجفاف يعرف بالصيحاني

(وروى) بعضهم هذا الحديث عن على بالفاظ فيها نكارة وفى آخره ياعلى سم نخل المدينة صيحانيا لأنهن صحن بفضلى وفضلك

﴿ الفصل السابع فى سرد خصائصها ﴾

وهى كثيرة لاتكاد تنحصر وها أنا ذاكر ماحضرنى منها الآن وان شاركتها مكة فى بعضه فاقول وبالله التوفيق

(الخاصة الأولى) ماتقدمت الاشارة اليه من كونه صلى الله عليه وسلم خلق من طينتها وكذا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما وأكثر الصحابة والسلف ممن دفن بها و(روى) ان الله تعالى بعث جبريل وميكائيل ليقبضا قبضة من الارض فأبت حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض منها قبضة وكان ابليس قد وطئ الارض بقدميه فصار بعض الارض بين قدميه وبعض الارض موضع أقدامه فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت مأوى الشر ومن التربة التى لم يصل اليها قدم ابليس أصل الانبياء والاولياء قال فى العوارف وكانت درة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم ابليس وقيل خاطب الله السموات والارض بقوله «ائتيا طوعا أو كرها» الاية أجاب من الارض موضع الكعبة ومن السماء مايحاذيها (وعن) ابن عباس أصل طينة النبى صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة يعنى الكعبة وهو مشعر بأن ما أجاب من الارض درته صلى الله عليه وسلم ومن الكعبة دحيت الارض فصار صلى الله عليه وسلم هو الاصل فى التكوين (قال) في العوارف عقبه وتربة الشخص مدفنه فكان مقتضى ذلك أن يكون مدفنه هناك لكن قيل لما تموج الماء رمى الزبد الى النواحى فوقعت جوهرة النبى صلى الله عليه وسلم الى مايحاذى تربته الشريفة بالمدينة فكان مكيا مدنيا (قلت) فلمكة الفضل بالبداية وللمدينة بالاستقرار والنهاية (الثانية) اشتمالها على البقعة التى انعقد الاجماع على تفضيلها على سائر البقاع كما تقدم تحقيقه (الثالثة) دفن أفضل الأمة بها والكثير من الصحابة الذين هم خير القرون (الرابعة) أنها محفوفة بأفضل الشهداء الذين بذلوا نفوسهم فى ذات الله بين يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فكان شهيدا عليهم ونقل عياض فى المدارك وابن الجوزى في منسكه ان مالكا كان يقول في فضل المدينة هى دار الهجرة والسنة وهى محفوفة بالشهداء وبها خيار الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخامسة) ان

الله تعالى اختارها دارا وقرارا لأفضل خلقه وأكرمهم عليه صلى الله عليه وسلم (السادسة) ان الله تعالى اختار أهلها للنصرة والايواء (السابعة) ان سائر البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت هى بالقرآن كما هو مروى عن مالك ورفعه بن زبالة من طريقه (الثامنة) ان الله تعالى افتتح منها سائر بلاد الاسلام حتى مكة المشرفة وجعلها مظهر دينه القويم (التاسعة) ماذكره عياض من الاتفاق على وجوب الهجرة اليها قبل فتح مكة ووجوب سكناها لنصرة النبى صلى الله عليه وسلم ومواساته بالانفس قال ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الاقامة بمكة بعد الفتح ورخص له فى الاقامة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه (العاشرة) انه يبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة منها على مانقله عياض فى المدارك عن مالك في ضمن أشياء في فضل المدينة قال وهذا لايقوله مالك من عند نفسه (الحادية عشر) ماتقدم فى الاسماء من تسميتها بالمؤمنة والمسلمة وان تربتها لمؤمنة وانه لامانع من ان خلق الله ذلك فيها (الثانية عشر) اضافتها الى الله تعالى في قوله «ألم تكن أرض الله واسعة» على ماتقدم فى الاسماء وقد جاءت الارض غير مضافة الى الله تعالى والمراد بها مكة وذلك في قوله تعالى «واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض» (الثالثة عشر) اضافة الله اياها الى رسوله بلفظ البيت فى قوله «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق» على ماتقدم فى الاسماء (الرابعة عشر) اقسام الله تعالى بها فى قوله «لا أقسم بهذا البلد» على ماسبق فى الاسماء أى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بك ولا زائدة للتأكيد ويدل عليه قراءة الحسن والاعمش «لأقسم» (الخامسة عشر) ان الله بدأ بها في قوله «وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق» فمدخل صدق هى ومخرجه مكة كما تقدم مع ان القياس البداءة بالمخرج لموافقة الواقع فان قيل التقديم للاهتمام بأمر المدخل (قلنا) فى الاهتمام به كفاية (السادسة عشر) تسميتها في التوراة بالمرحومة ونحوه ومخاطبة الله اياها كما تقدم (السابعة عشر) دعاؤه صلى الله عليه وسلم بحبها كمكة وأشد وتسميتها بالحبيبة وغيره مما تقدم ودعاؤه ان يجعل الله له بها قرارا ورزقا حسنا (الثامنة عشر) تحريكه صلى الله عليه وسلم دابته أو ايضاعها اذا أبصر جدرانها عند قدومها وانه كان اذا أقبل من مكة فكان بالأثاية (١) طرح رداءه عن منكبيه وقال هذه

(١) موضع بين مكة والمدينة فيه مسجد نبوى أو بئر دون العرج عليها مسجد نبوى

أرواح طيبة كما تقدم (التاسعة عشر) اهتمامه صلى الله عليه وسلم بامر الدعاء لها بالبركة وغير ذلك (العشرون) تحريمها علي لسان أفضل الانبياء صلوات الله وسلامه عليه اكراما له وكونه لاجزاء فيها على القول به دليل على عظيم حرمتها حيث لم يشرع فيها جابر (الحادية والعشرون) تأسيس مسجدها الشريف على يده صلى الله عليه وسلم وعمله فيه بنفسه ومعه خير الامة المهاجرون الاولون والانصار المقدمون (الثانية والعشرون) اختصاصها بالمسجد الذى أنزل الله فيه «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه» (الثالثة والعشرون) كون ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وفى رواية مابين منبرى وهذه الحجر يعني حجره صلى الله عليه وسلم وسيأتى بيان ان ذلك يعم مسجده صلى الله عليه وسلم على ماهو المشهور بين الناس في تحديد المسجد الشريف ولهذا قال بعضهم هذا المسجد هو المسجد الذى لايعرف بقعة في الارض من الجنة غيره (الرابعة والعشرون) كون منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة وان قوائمه رواتب فى الجنة وفى رواية ومنبري على حوضى (الخامسة والعشرون) ماورد فى مسجده الشريف من المضاعفة الآتى بيانها (السادسة والعشرون) حديث (من صلى في مسجدى هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق) رواه الطبرانى في الاوسط (السابعة والعشرون) ماسيأتي ان من خرج على طهر لايريد الا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة وان الخارج اليه من حين يخرج من منزله فرجل تكتب حسنة ورجل تحط خطيئة (الثامنة والعشرون) ان اتيان مسجد قباء يعدل عمرة كما سيأتى (التاسعة والعشرون) حديث (صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها وصلاة الجمعة فى المدينة كألف صلاة فيما سواها) فسائر أفعال البر كذلك كما قيل به فى مكة وبه صرح أبو سليمان داود الشاذلى في الانتصار ثم رأيته فى الاحياء قال ان الاعمال فى المدينة تتضاعف قال صلى الله عليه وسلم (صلاة فى مسجدى هذا) الحديث ثم قال فكذلك كل عمل بالمدينة بألف انتهى. (وقال) ابن الرفعة في المطلب وقد ذهب بعض العلماء الى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة والصلاة بمكة أفضل من الصيام مراعاة لنزول فرضيتهما انتهي. (قلت) ويؤخذ من هذه العلة ان كل عبادة شرعت بالمدينة فهى بها أفضل منها بمكة ولك أن تعد هذا خاصة مستقلة (الثلاثون) حديث (لايسمع النداء في مسجدى هذا ثم يخرج منه الا لحاجة ثم لايرجع اليه

الامنافق) (الحادية والثلاثون) تأكد التعلم والتعليم بمسجدها كما سيأتي (الثانية والثلاثون) اختصاصه بمزيد الادب وخفض الصوت لكونه بحضرة سيد المرسلين واختصاصه عند بعضهم بمنع أكل الثوم ونحوه من دخوله لاختصاصه بملائكة الوحي (الثالثة والثلاثون) انه لايجتهد فى محرابه لانه صواب قطعا فلا مجال للاجتهاد فيه حتى باليمنة واليسرة بخلاف محاريب المسلمين والمراد مكان مصلاه صلى الله عليه وسلم (قال) الرافعى وفى معناه سائر البقاع التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم اذا ضبط المحراب (قلت) وفي ضبطه بغيرها عسر أو تعذر (الرابعة والثلاثون) ان مابين منبره صلى الله عليه وسلم ومسجد المصلي روضة من رياض الجنة وهذا جانب كبير من هذه البلدة (الخامسة والثلاثون) حديث (احد على ترعة من ترع الجنة) وحديث (أحد جبل يحبنا ونحبه) (السادسة والثلاثون) حديث (ان بطحان على ترعه من ترع الجنة) (السابعة والثلاثون) وصف العقيق بالوادى المبارك وانه صلى الله عليه وسلم يحبه وفى رواية يحبنا ونحبه (الثامنة والثلاثون) حثه صلى الله عليه وسلم على الاقامة بها (التاسعة والثلاثون) حثه على اتخاذ الاصل بها (الاربعون) حثه على الموت بها والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أوهما (الحادية والاربعون) حرصه صلى الله عليه وسلم على موته بها (الثانية والاربعون) كون أهلها أول من يشفع لهم واختصاصهم بمزيد الشفاعة والاكرام كما تقدم (الثالثة والاربعون) بعث الميت بها من الآمنين على ماسيأتي (الرابعة والاربعون) انه يبعث من بقيعها سبعون ألفا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب ومثله في مقبرة بنى سلمة وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع كل ماامتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤها فى الجنة (الخامسة والاربعون) بعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس (السادسة والاربعون) شهادته أو شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن صبر على لأوائها وشدتها (السابعة والاربعون) وجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن زاره بها (الثامنة والاربعون) استجابة الدعاء بها عند القبر الشريف ويقال انه مستجاب عند الاسطوان المخلق وعند المنبر وفى زاوية دار عقيل بالبقيع وبمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الاربعاء واستجابة الدعاء بمسجد الاجابة ومسجد السقيا وبالمصلى عند القدوم وعند بركة السوق فى يوم العيد وعند أحجار الزيت وبالسوق لما سيأتى عند ذكر هذه الاماكن من ورود ذلك عنه صلى الله عليه وسلم بها (التاسعة والاربعون) كونها تنفى خبثها (الخمسون)

كونها تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الفضة (الحادية والخمسون) الوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أوأخافهم (الثانية والخمسون) من أرادها وأهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء وفى رواية أذابه الله في النار ويؤخذ من ترتيب الوعيد على الارادة مساواة المدينة لحرم مكة فى هذا وفيه قال تعالى «ومن يرد فيه بالحاد بظلم» الآية ويتمسك للمساواة أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم كما حرم ابراهيم مكة فقول ابن مسعود مامن بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل الامكة وتلا الآية مشكل وأيضا فالهم العارض الوارد من غير عزم لامؤاخذة به مطلقا بالاتفاق وأما الثابت الذى يصحبه التصميم فالعبد مؤاخذ به بمكة وبغيرها وانما خصوصية الحرم تعظيم العذاب لمن هم فيه لجرأته ولذا روى أحمد في معني الآية باسناد صحيح مرفوعا لو أن رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عذابا أليما (الثالثة والخمسون) الوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثا أو آوى محدثا وتقدم تفسير الحديث بالاثم مطلقا وأنه دال على ان الصغيرة بها كبيرة للوعيد الشديد في ذلك لانها حضرة أشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم وسوء الأدب علي بساط الملك ليس كالاساءة فى أطراف المملكة (قال) بعض السلف اياك والمعصية فان عصيت ولا بد فليكن فى مواضع الفجور لافي مواضع الأجور لئلا يتضاعف عليك الوزر أو تعجل لك العقوبة (فان) قيل هذا قوله بتضعيف السيئآت فى الحرم والراجح خلافه لقوله تعالى «ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها» (قلنا) تحرير النزاع ان القائل بالمضاعفة اراد مضاعفة مقدارها أى عظمها لا العدد فان السيئة جزاؤها سيئة لكن السيئآت قد تتفاوت عقوبتها باختلاف الاشخاص والاماكن كما أن تقدير كل أحد بما يليق به فى الزجر فجزاء السيئة مثلها ومن المماثلة رعاية ما اقترن بها مما دل على جرأة مرتكبها ولا تكتب الا واحدة والله أعلم (الرابعة والخمسون) الوعيد لمن لم يكرم أهلها وان اكرامهم وحفظهم حق على الأمة وانه صلى الله عليه وسلم شفيع أوشهيد لمن حفظهم فيه (الخامسة والخمسون) حديث (من أخاف أهل المدينة فقد أخاف مابين جنبي) (السادسة والخمسون) حديث (من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مشرب جفوة وانه لايخرج أحد منها رغبة عنها الاأخلف الله تعالى فيها خيرا منه) كما فى حديث مسلم (قال) المحب الطبرى فيه أشعار بذم الخروج منها وذهب بعضهم الى أنه مخصوص بمدة حياته صلى الله عليه

وسلم فأما بعد وفاته فقد خرج نفر كثير من كبار الصحابة (وذهب) آخرون الى أنه عام أبدا (قال) الطبرى وهو ظاهر اللفظ نعم هو مخصوص بالمستوطن لا من نوى الاقامة بها مدة ثم ينقلب الى وطنه (السابعة والخمسون) اكرام الله لها بنقل وباءها وتحويل حماها (الثامنة والخمسون) الاستشفاء بترابها وما تقدم فى ثمارها (التاسعة والخمسون) عصمتها من الطاعون (الستون) عصمتها من الدجال وخروج الرجل الذى هو خير الناس أو من خير الناس اليه منها وقوله له أشهد انك الدجال وانه لايسلط عليه بآخرة الامر وبهذا تتميز على مكة والسر فيه ان سيد المرسلين وهو حجة الله على العباد بالمدينة (الحادية والستون) مافي حديث الطبرانى من قوله صلى الله عليه وسلم (وحق على كل مسلم زيارتها) (الثانية والستون) سماعه صلى الله عليه وسلم سلام من سلم وصلاة من صلى عليه عند قبره الشريف ورده عليه (الثالثة والستون) اختصاصها بملك الايمان والحياء كما تقدم في الاسماء (الرابعة والستون) كون الايمان يارز اليها (الخامسة والستون) اشتباكها بالملائكة وحراستهم لها (السادسة والستون) كونها أول أرض اتخذ بها مسجد لعامة المسلمين في هذه الامة (السابعة والستون) كون مسجدها آخر مساجد الانبياء وآخر المساجد التى يشد اليها الرحال وكونه أحق المساجد أن يزار كما سيأتى (الثامنة والستون) كثرة المساجد والمشاهد والآثار بها بل البركة عامة منبثة بها ولهذا قيل لمالك أيما أحب اليك المقام هنا يعنى بالمدينة أو بمكة فقال ههنا وكيف لاأختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة (التاسعة والستون) مايوجد بها من رائحة الطيب الزكية على ماتقدم في الاسماء (السبعون) طيب العيش بها على ماتقدم هناك أيضاً (الحادية والسبعون) استحقاق من عاب تربتها للتعزير فقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة رديئة بأن يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ماأحوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبى صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة (الثانية والسبعون) الوعيد الشديد لمن حلف يمينا فاجرة عند منبرها (الثالثة والسبعون) استحباب الدخول لها من طريق والرجوع فى أخرى لما سيأتي في مسجد المعرس (الرابعة والسبعون) استحباب الاغتسال لدخولها (الخامسة والسبعون) استحباب الدعاء والطلب من الله الموت بها (السادسة والسبعون) أنها دار اسلام ابدا لحديث (ان

الشياطين قديئست أن تعبد ببلدى هذا)(السابعة والسبعون) انها آخر قرى الاسلام خرابا رواه
الترمذى وقال حسن غريب ورواه ابن حبان بلفظ(آخر قرية في الاسلام خرابا المدينة)
(الثامنة والسبعون)تخصيص أهلها بأبعد المواقيت وأفضلها تعظيما لاجورهم (التاسعة والسبعون)
ذهب بعض السلف الى تفضيل البداءة بالمدينة قبل مكة وهي مسئلة عزيزة وممن نص
عليها ابن ابى شيبة في مصنفه فروى عن علقمة والاسود وعمرو بن ميمون انهم بدؤا
بالمدينة قبل مكة وان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدؤن
بالمدينة(وفي)المناسك الكبير للامام أحمد رواية ابنه عنه سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة
فذكر باسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا اذا أردت مكة فلا تبدأ
بالمدينة وابدأ بمكة فاذا قضيت حجك فامرر بالمدينة ان شئت وعن ابراهيم النخعى
ومجاهد اذا أردت مكة للحج والعمرة فاجعل كل شيء لها تبعا ثم روى ان نفرا من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدؤن بالمدينة اذا حجوا يقولون نبدأ من
حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) وهذا أرجح لتفضيل ميقات المدينة
واتيان المدينة أولا وصلة اليه مع مافيه من البداءة بزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وايثارها
ولعله السبب عند من بدأ بالمدينة ممن تقدم ذكره من التابعين كما قال السبكى (ونقل)
الزركشى عن العبدى شارح الرسالة من المالكية انه قال المشى الى المدينة لزيارة قبر
النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس انتهى . والخلاف فيما اذا
لم تكن المدينة على طريقه لان مأخذ من رجح البداءة بمكة المبادرة الى قضاء الفرض
ولهذا قال الموفق ابن قدامة قال أحمد واذا حج الذى لم يحج قط يعنى من غير طريق
الشام لايأخذ على طريق المدينة لانى أخاف أن يحدث به حدث فينبغي أن يقصد مكة
من أقصى الطرق ولا يتشاغل بغيره(قال) السبكى وهو في العمرة متجه لامكان فعلها متى
وصل وأما الحج فله وقت مخصوص فاذا كان متسعا لم يفت بمروره بالمدينة شيء(قلت)
ومع ذلك فهو في الفرض ولهذا قال في الفصول نقل صالح وأبو طالب اذا حج للفرض
لم يمر بالمدينة لانه ان حدث به حدث الموت كان في سبيل الحج وان كان تطوعا بدأ
بالمدينة انتهى. وممن نص على المسئلة أيضا الامام أبو حنيفة على مانقله أبو الليث السمرقندى
وقال ان الاحسن البداءة بمكة (الثمانون) اختصاص أهلها في قيام رمضان بستة

وثلاثين ركعة على المشهور عند الشافعية (قال) الرافعى والنووى قال الشافعي رأيت أهل
المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة منها ثلاث للوتر قال أصحابنا وليس لغير أهل المدينة
ذلك لشرفهم بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره ثم قال الرافعي وسبب فعل أهل
المدينة ذلك ان الركعات العشرين خمس ترويحات وكان أهل مكة يطوفون بين كل
ترويحتين اسبوعا و يصلون ركعتى الطواف أفرادا وكانوا لا يفعلون ذلك بين الفريضة
والتراويح ولا بين التراويح والوتر فأراد أهل المدينة ان يساووهم في الفضيلة فجعلوا مكان
كل أسبوع أى مع كل ركعتيه ترويحة فحصل أربع ترويحات هى ستة عشر ركعة انتهى.
(ونقل)الروياني فى البحر هذا السبب عن الشافعي(وقال)القاضى أبو الطيب الطبرى قال الشافعى
لايجوز لغير أهل المدينة أن يماروا أهل مكة ولا ينافسوهم لان الله فضلهم على سائر البلاد
انتهي .و(حاصل)التوجيه ان الحسد في الخير مطلوب وهو في الحقيقة غبطة كما حسد المهاجرون لما لم
يكن لهم مايتصدقون به الانصار فقالوا ذهب أهل الدثور بالاجور فأثبت أهل المدينة هذا العدد
بضرب من الاجتهاد ليلحقوا بأهل مكة وقد تشارك البلدان في الفضائل حتى اختلف فى تفضيل
كل منهما علي الاخرى وجعل لاهل المدينة مايحصل به ثواب الاعمار والحج وامتازت
المدينة بالمهاجر والقبر فجعل لاهلها طريق الى تحصيل تلك الفضيلة السابقة مع اقامتهم
بها ولعله لو لم يشرع لهم ذلك لحملتهم الرغبة فى الخير على الانتقال الى مكة وسكنى
المدينة مطلوب وأما غيرهم فليس له شيء من هذا الفضل فكيف يتأتى له مساواة أهل
مكة فلم يشرع لهم ذلك هذا واجماع أهل المدينة حجة عند مالك والقيام بهذا العدد
بالمدينة باق الى اليوم الا أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء ثم يأتون آخر الليل
فيقومون بستة عشر ركعة فوقع لهم خلل في أمر الوتر نبهنا عليه في كتاب مصابيح القيام
فى شهر الصيام وكنت قد ذكرت لهم مايحصل به ازالة ذلك ففعلوه مدة ثم غلبت الحظوظ
النفسية على بعضهم فعاد الامر كما كان (الحادية والثمانون) زيادة البركة بها على مكة
المشرفة وقد قدمنا حديثا يشير الى أن المدعو به لها ستة أضعاف مابمكة من البركة
والمصرح به فى الاحاديث ضعفى ما جعلت بمكة من البركة وفى بعضها مثل ماجعلت
بمكة من البركة ومع البركة بركتين (الثانية والثمانون) نقل عن مالك ان خبر الواحد
اذا عارضه اجماع أهل المدينة قدم اجماعهم ولهذا روى حديث خيار المجلس ثم قال وليس

لهذا عندنا حد معلوم ولا أمر معمول به لما اختص به أهل المدينة من سكناهم مهبط
الوحي ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ فمخالفتهم تقتضي علمهم بما أوجب ترك العمل من
ناسخ أو دليل راجح والمحققون على ان البقاع لاأثر لها في ذلك وقد بلغ ابن أبي ذئب
وهو من أقران مالك مخالفته للحديث فاغلظ في ذلك لان العصمة انما تثبت في اجماع
جميع الامة ويؤخذ من كلام مالك اختصاص ذلك بعمل أهل ذلك العصر من أهل
المدينة (الثالثة والثمانون) حديث النسائي والبزار والحاكم واللفظ له يوشك الناس أن
يضربوا أكباد الابل فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة وقال صحيح على شرط مسلم
ولم يخرجاه وقد كان ابن عيينة يقول نرى هذا العالم مالك بن أنس انتهى.(قال)الزركشي
وفيما حكاه عن سفيان نظر لما في صحيح ابن حبان ان اسحق بن موسى قال بلغني عن ابن جريج
انه كان يقول نرى انه مالك بن أنس فذكرت ذلك لسفيان بن عيينة فقال انما العالم من يخشى
الله ولا نعلم أحدا كان أخشى لله من العمري (قال) التوربشتي في شرح المصابيح يعني عبد
الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب كان من عباد الله الصالحين المشائين في بلاده
وعباده بالنصيحة بلغنا انه كان يخرج الى البادية ليتفقد أهلها شفقة عليهم وأداء لحق النصيحة
فيهم (وقد) أخرج الترمذي الحديث وحسنه وتكلم ابن حزم فيه ثم قال ولم يتعين هذا
في مالك لانه كان في عصره جماعة لا يفضل على واحد منهم وكان بالمدينة من هو أجل
منه كسعيد بن المسيب فهذا الحديث أولى به وقال ابن عيينة لو سئل أي الناس أعلم
لقالوا سفيان الثوري قال ابن حزم وان صح هذا الحديث فانما يكون اذا قرب قيام
الساعة وأرز الايمان الى المدينة وغلب الدجال على الارض خلا مكة والمدينة وأما حتى
الآن فلم يأت صفة ذلك الحديث لان الفقه انقطع من المدينة جملة واستقر في الآفاق
انتهى . ولا يخلو عن نزاع (الرابعة والثمانون) تحريم نقل أحجار حرمها وترابه كما سيأتي
بيانه (الخامسة والثمانون) لو نذر تطييب مسجد المدينة وكذا الاقصى ففيه تردد لامام
الحرمين لانا ان نظرنا الى التعظيم ألحقناها بالكعبة أو الى امتياز الكعبة بالفضل فلا
وكلام الغزالي في آخر باب النذر يقتضي اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه لا في غيرها
من المساجد والامام طرده في الكل وحيث كان الملحظ ما ذكر فينبغي أن لا يتوقف
فيما لو نذر تطييب القبر الشريف (السادسة والثمانون) اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله

عليه وسلم لزمه الوفاء بذلك وجها واحدا وفي وجوب الوفاء في زيارة قبر غيره وجهان قاله
ابن كج وأقره عليه الرافعي والنووي وغيرهما (السابعة والثمانون) قيام مسجدها مقام
المسجد الاقصى كالمسجد الحرام فيما لو نذر الصلاة أو الاعتكاف في الاقصى فان الاصح
لزومه به وأجزأ مسجد المدينة لزيادة فضله ولو نذرها بمسجد المدينة لم يجزه فعل ذلك
بالاقصى ويجزيه بالمسجد الحرام (الثامنة والثمانون) الا كتفاء بزيارة قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن نذر اتيان مسجد المدينة كما قال الشيخ أبو علي تفريعا على القول
بلزوم اتيانه كما قاله الشافعي والبويطي وعلى انه لابد من ضم قربة الى الاتيان كما هو
الاصح تفريعا على اللزوم وعلله الشيخ أبو علي بأن زيارته صلى الله عليه وسلم من أعظم
القربات وتوقف في ذلك الامام من جهة انها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه قال وقياسه انه
لو تصدق في المسجد أو صام يوما كفاه وفيه نظر على ان الصحيح ما نص عليه في المختصر
من عدم لزوم الاتيان وان كان اللزوم أرجح دليلا ورجح الرافعي تفريعا على اللزوم ضم
صلاة أو اعتكاف وكذا اذا نذر اتيان الاقصى فان نفس المرور لما لم يكن في نفسه
مزية انصرف النذر الى مايقصد فيه من القرب وبهذا يترجح ماقاله الشيخ أبو علي لان
اتيان مسجد المدينة يقصد للصلاة والاعتكاف والزيارة بخلاف غيره (التاسعة والثمانون) قال ابن
المنذر اذا نذر أن يمشي الى مسجد الرسول والمسجد الحرام لزمه الوفاء به لانه طاعة ومن نذر أن
يمشي الى بيت المقدس كان بالخيار ان شاء مشى الى المسجد الاقصى وان شاء مشى الى المسجد
الحرام لحديث ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني نذرت ان فتح الله عليك مكة أن أصلي
في مسجد بيت المقدس قال صلى الله عليه وسلم صل هنا ثلاثا انتهى. ويعلم مما تقرر في اجزاء
مسجد المدينة عن الاقصى في الاتيان والصلاة أجزاه هنا كالمسجد الحرام والذي اقتضاه
كلام البغوي تصحيح عدم لزوم المشي في مسجد المدينة والاقصى وهو الذي رجحوه
(التسعون) قوله صلى الله عليه وسلم في أحاديث تحريمها ولا يحمل فيها سلاح لقتال
(الحادية والتسعون) قوله فيها أيضا ولا تلتقط لقطته الا لمن أشاد بها (الثانية والتسعون)
اذا قلنا بضمان صيدها وقطع شجرها فالصحيح انه يسلب الصائد كما يسلب قتيل الكفار
وهذا أبلغ في الزجر من الجزاء (الثالثة والتسعون) جواز نقل ترابها للتداوي (الرابعة والتسعون)
ظهور نار الحجاز التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم مما حولها لانها للانذار فاختصت ببلد

التذير ثم لما بلغت الحرم و كان محرمه المبعوث بالرحمة خمدت وطفئت على ماسيأتى (الخامسة والتسعون) دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالبركة في سوقها (السادسة والتسعون) ماسيأتى في سوقها من ان الجالب اليه كالمجاهد في سبيل الله (السابعة والتسعون) ان المحتكر فيه كالملحد في كتاب الله (الثامنة والتسعون) ماسيأتى في بئر غرس من انه صلى الله عليه وسلم رأى انه أصبح على بئر من آبار الجنة فأصبح على بئر غرس ورؤيا الانبياء حق عليهم الصلاة والسلام (التاسعة والتسعون) ماسبق في ثمارها من أن العجوة من الجنة فقد اشتملت المدينة على شيء من أرض الجنة ومياهها وثمارها والله أعلم (١)

﴿ الفصل الثامن في الاحاديث الواردة في تحريمها وهى كثيرة ﴾

(روينا) في الصحيحين منها حديث عبدالله بن زيد (ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها) وفي لفظ (ودعا لاهلها وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة) الحديث وفي البخارى حديث أبى هريرة رضى الله عنه (حرم مابين لابتى المدينة على لسانى) (قال) وأتى النبى صلى الله عليه وسلم بنى حارثة فقال (أراكم يابني حارثة قد خرجتم من الحرم ثم التفت فقال بل أنتم فيه) وسيأتى بيان منازلهم وفيه أيضا عنه (لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ماذعرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين لابتيها حرام) وهو في مسلم بزيادة ولفظه (حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين لابتى المدينة) قال أبو هريرة فلو وجدت الظباء مابين لابتيها ماذعرتها وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى (وفى) مسلم أيضا عن عاصم الاحول (سألت أنسا أحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال نعم هى حرام لايختلى خلاها فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (وفيه) أيضا حديث رافع ابن خديج رضى الله عنه (ان ابراهيم حرم مكة وانى أحرم مابين لابتيها) يريد المدينة وفيه أيضا حديث جابر (ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة مابين لابتيها لاتقطع عضاهها ولا يصاد صيدها) (وفيه) أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى (اللهم ان ابراهيم حرم مكة فجعلها حراما وانى حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يخبط فيها شجرة الا لعلف) الحديث و(فيه) أيضا من حديث أنس (اللهم انى أحرم مابين جبليها مثل ماحرم ابراهيم عليه السلام مكة) (قلت) المراد بجبليها عير وثور وهما المعبر عنهما في

(١) تنبيه دخل تحت الخاصة السادسة والخمسون خاصتان فيكون مجموع الخصائص مائة خاصة

الحديث قبله بمأزميها على ماصو به النووى ونسبة تحريم مكة لابراهيم عليه السلام دليل لما ذهب اليه جماعة من انها لم تزل حلالا كغيرها الى زمن ابراهيم عليه السلام فحرمت (والثانى) وصححه النووى ونقل عن الاكثرين انها لم تزل حراما منذ خلق الله السموات والارض ثم أظهر الله تعالى ذلك على لسان نبيه ابراهيم عليه السلام (قال) الزركشي وفيه جمع بين الاحاديث (قلت) الاحكام قديمة لانها خطاباته تعالى والحادث انما هو تعلقاتها بالمكلفين فاذا كان ظهور تحريمها علي لسان ابراهيم عليه السلام فذلك أول تعلق الحكم التكليفى فما معنى مايقوله الثانى من تحريمها يوم خلق الله السموات والارض مع انتفاء التعلق التكليفى حينئذ ويجوز أن يكون بمعنى ان الله تعالى أظهر ذلك للملائكة يوم خلق السموات والارض وعرفهم به وتأخر تعلق التكليف به حتى ظهر على لسان نبيه ابراهيم عليه السلام وهذا لايأباه القول الاول بل يسلمه وهو حسن وبه يجتمع معنى الاحاديث ولا يخفى ان خطاب الله تعالى بتحريم المدينة قديم أيضاً وتأخره من حيث التكليف الى أن أظهره النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه حط لرتبتها بل دليل كمالها حيث ادخر الله ذلك حتى جعله على لسان أشرف المرسلين صلوات الله وسلامه عليه مع انهم ذكروا في معنى تحريم ابراهيم لها احتمالين (أحدهما) انه بأمر الله تعالى له و (الثانى) انه دعا لها فحرمها الله بدعوته ويقال مثله في تحريمه صلى الله عليه وسلم للمدينة وقوله (مابين لابتيها) أى حرتيها الشرقية والغربية والمدينة بينهما ولها أيضا حرة بالقبلة وحرة بالشام لكنهما يرجعان الي الشرقية والغربية لاتصالهما بهما ولهذا جمعها صلى الله عليه وسلم كلها في اللابتين كما نبه عليه الطبرى (قال) النووى وهو حد الحرم من جهة المشرق والمغرب وما بين جبليها بيان لحده من جهة الجنوب والشمال قال ومعنى قوله مابين لابتيها اللابتان وما بينهما والمراد تحريم المدينة ولابتيها (قلت) ويؤيده ان اللابتين شرقا وغربا في محاذات أحد الجبلين الآتى بيانهما وان منازل بنى حارثة في محاذاة اللابة الغربية على مااقتضاه كلام المطرى فيما قدمناه عنه من الباب الاول في ترجمة أثرب والذى ترجح عندى ان منازلهم كانت باللابة الشرقية مما يلى العُريض وما قارب ذلك لان الاسماعيلى روى الحديث المتقدم بلفظ (ثم جاء بنى حارثة وهم في سند الحرة) أى الجانب المرتفع منها وسيأتي في منازلهم مايبين ان المراد الحرة الشرقية وليس الموضع الذى ذكره المطرى في سند

واحـدة من الحرتين والله أعـلم ويؤيد أيضـا ماقاله النووى ان البيهقى روى فى المعرفة حـديث الصحيفة عن على بلفظ (ان ابراهيم حرم مكة وانى أحرم المـدينة مابين حرتيها وجماها لايختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها الا لمن أشاد بها) يعنى أنشـد (ولا يقطع شجرها الا أن يعلف رجل بعيرا ولا يحمل فيها سلاح لقتال) الحديث (ورواه) أحمد كذلك أيضا وهو حديث صحيح (وجمام) المدينة ثلاثة كما سيأتي وهى مما يلى حرتها الغربية من جهة المغرب والحرة بين الجمام والمدينة و(روى) مسلم حديث الصحيفة بلفظ (المدينة حرم مابين عير الى ثور) والبخارى بلفظ (المدينة حرم مابين عاير الى كذا) وأبو داود بلفظ (المدينة حرام مابين عاير الى ثور) ثم زاد فيه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لايختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلقط لقطتها الا من أشاد بها ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا أن يقطع منها شجرة الا أن يعلف رجل بعيره) و(رواه) الطبرانى برجال موثقين مختصرا ولفظه عن أبى جحيفة (انه دخل على على رضي الله عنه فدعا بسيفه فأخرج من بطن السيف أدما عربيا فقال ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ غير كتاب الله الذى أنزل ألا وقد بلغته غيرهذا فاذا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله قال لكل نبى حرم وحرمى المدينة)

﴿ الفصل التاسع في بيان عير وثور ﴾

(وهما) المراد بجبليها كما تقدم (أما) عير بفتح العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف بلفظ العير مرادف الحمار ويقال عاير فجبل كبير مشهور في قبلة المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة و(اما) ثور بالمثلثة بلفظ الثور فحل البقر فجبل صغير خلف أحد كما سنحققه فانه خفى على جماعة من فحول العلماء فاستشكلوا الحديث وقالوا ليس بالمدينة ثور انما هو بمكة ولهذا في اكثر روايات البخارى من عاير الى كذا وفي بعضها من عير الى كذا ولم يبين النهاية فكأنه يرى ان ذكر ثور وهم فأسقطه وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ليتبين الوهم وضرب آخرون عليه وقال المازرى نقل بعض أهل العلم ان ذكر ثور هنا وهم من الراوى لان ثورا بمكة والصحيح الى أحـد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام عير وثور جبلان بالمدينة وأهل المدينة لايعرفون بها جبلا يقال له ثور انما ثور بمكة قال فاذا نرى ان الحديث أصله مابين عير الى أحـد (قلت) وكذا رواه الطبرانى برجال ثقات

بلفظ (مابين عير وأحد حرام حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو كذلك في رواية لابن زبالة وقال الحازمى الرواية الصحيحة مابين عير الى أحـد وقيل الى ثور وليس له معنى وتكلف بعضهم فقال الى بمعنى مع كانه جعل المدينة مضافة الى مكة في التحريم لان ثورا بها و(قال) الموفق ابن قدامة يحتمل ان المراد تحريم قدر مابين ثور وعير اللذين بمكة أو سمي النبى صلى الله عليه وسلم الجبلين اللذين بطرفي المدينة عـيرا وثورا ارتجالا انتهي. وهو يقتضي انكار وجود عير بالمدينة أيضا (وقد) قال الزركشى نقل عياض عن بعضهم انه ليس بالمدينة ولا مايقرب منها جبل يعرف بأحد هذين الاسمين أعنى عيرا وثورا (قال) ياقوت في معجمه وهذا وهم فان عيرا جبل مشهور بالمدينة (وقال) ابن السيد عير جبل بقرب المدينة (وعبارة) عيـاض في المشارق عير وعاير المذكوران في حرم المدينة في أكثر الروايات عير وفي حديث عليّ عاير قال الزبير بن بكار هو جبل بالمدينة وقال عمه مصعب لا يعرف بالمدينة عير ولا ثور انتهى. و(قال) في المطالع أكثر رواة البخارى ذكروا عيرا وأما ثور فمنهم من كنى عنه بكذا ومنهم من ترك مكانه بياضا والاصل فى هذا التوقف قول مصعب الزبيرى ليس بالمدينة عير ولا ثور وأثبت غـيره عيرا ووافقـه على انكار ثور (قلت) سيأتي في ترجمة عير من فصل البقاع عن مصعب الزبيرى مايقتضي اثباته له وشهرة عير غير خافية بين العلماء انما الغرابة فى ثور (وقال) النووى عقب نقل الحازمى المتقدم ويحتمل ان ثورا كان اسما لجبـل هناك اما أحد واما غـيره فخفى اسمه (وقال) صاحب البيان والانتصار قـد صحت الرواية بلفظ ثور فلا ينبغى الاقدام على توهيم الرواة بمجـرد عدم العرفان فان أسماء الاماكن قد تتغير أوتنسى ولا يعلمها كثير من الناس قال وقد سألت بمكة عن وادى محسر وغيره من أماكن تتعلق بالنسك فلم أخبر عنها مع تكرر مجيء الناس اليها فما ظنك بغيرها وأيضا فقد يكون للشئ اسمان فيعرف بأحدهما دون الآخر (وقال) المجد لاأدرى كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الاعلام الى اثبات وهم فى الحديث المتفق على صحته بمجرد ادعاء ان أهل المـدينة لايعرفون جبـلا يسمي ثورا وذكر احتمال طرق التغيير في الاسماء والنسيان لبعضها قال حتى اني سألت جمـاعة من فقهاء المدينة وأمرائها وغيرهم من الأشراف عن فـدك ومكانها فكلهم أجابوا بعـدم معرفة موضع يسمى بذلك في بلادهم مع ان هـذه القـرية لم تبرح فى أيدى الأشراف

والخلفاء يتداولونها الى أواخر الدولة العباسية فكيف بجبل صغير لا يتعلق به كبير أمر مع انه معروف بين أهل العلم بالمدينة (ونقل) بعض الحفاظ وصفه بذلك خلفا عن سلف اه . (قلت) قد حكي البيهقي في المعرفة قول أبى عبيد أهل المدينة لا يعرفون جبلا يقال له ثور ثم قال البيهقي و بلغني عن أبى عبيدة انه قال فى كتاب الجبال بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له ثور انتهى . و(نقل) المجد فى ترجمة عير عن نصر أنه قال عير جبل يقابل الثنية المعروفة بشعب الجوز وثور جبل عند أحد انتهى. فدل على ان ما اشتهر في زماننا وقبله من وجود ثور بالمدينة له أصل في الزمن القديم وان خفى على بعضهم وقد أخبرنى بوجوده جماعة كثيرة من الخواص وأرونى اياه خلف أحد و (نقل) جماعة عن المحدث أبى محمد عفيف الدين عبد السلام بن مرزوع البصرى نزيل المدينة المشرفة انه رآه غير مرة وانه لما خرج رسولا من صاحب المدينة الى العراق كان معه دليل يذكر له الأماكن والأجبل فلما وصلا الى أحد اذا بقربه جبل صغير فسأله ما اسم هذا الجبل فقال له يسمى ثورا وقد حكي عنه نحو هذا القطب الحلبى في شرح البخارى و(قال) المحب الطبرى أخبرني الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول صلي الله عليه وسلم عبد السلام البصرى أن حذاء أحد عن يساره جانحا الى ورائه جبل صغير يقال له ثور وأخبر انه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الارض وما فيها من الجبال فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور قال الطبرى فعلمنا بذلك انما تضمنه الحديث صحيح وعدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه انتهى. و(قد) رد الجمال المطرى في تاريخه على من أنكر وجود ثور وقال انه خلف أحد من شماليه صغير مدور يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف وقال الاقشهرى وقد استقصينا من أهل المدينة تحقيق خبر جبل يقال له ثور عندهم فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة والذى يعلم حجة على من لا يعلم اه. و(قال) العلامة أبو العباس بن تيمية (عير) جبل عند الميقات يشبه العير وهو الحمار و(ثور) جبل في ناحية أحد وهو غير جبل ثور الذى بمكة (وروى) بعض شراح المصابيح ان الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام علي الجبل تقطع ست قطع فصارت ثلاث بمكة. حرا. وثبير. وثور. وثلاث بالمدينة عير. وثور. ورضوي. وكأن ثورا سمى باسم فحل البقر لشبهه به وهو الى الحمرة أقرب وقد

صح بما قدمناه ان أحدا من الحرم لأن ثورا حده من جهة الشام كما ان عيرا حده من جهة القبله ويقوم ذلك علي الرواية التي فيها ذكر أحد بدل ثور لما في ذلك من الزيادة عليها وانها من باب ذكر فرد مما شمله ذلك العموم بحكم العموم فلا تخصص مع افادتها لادخال ما حاذى أطراف أحد شرقا وغربا وما وقع في الشرحين والروضة وغيرهما من التحديد بما بين اللابتين و بما بين عير وأحد مبني علي ما تقدم من ان الرواية الصحيحة أحد لعدم وجود ثور فقد اتضح الحال ولله الحمد

﴿ الفصل العاشر في أحاديث تقتضى زيادة الحرم علي ﴾

﴿ ذلك التحديد وانه مقدر ببريد ﴾

اعلم ان قوله فى حديث مسلم (وجعل اثني عشر ميلا حول المدينة حمى) ظاهر فى التحريم لذلك القدر اذ ما حول المدينة انما هو حرمها وحمى النبي صلى الله عليه وسلم الذى ليس بحرم لم يكن حول المدينة علي ماسيأتى بيانه ولان التقى السبكي قال ان فى سنن أبى داود تحديد حرم المدينة ببريد من كل ناحية قال واسناده ليس بالقوى والذى رأيته فى أبى داود عن عدى بن يزيد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ناحية من المدينة بريدا بريدا لا يخبط شجره ولا يعضد الا مايساق به الجمل رواه البزار بنحوه (ورواه) بن زبالة بلفظ (حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم شجر المدينة بريدا في بريد منها وأذن في المسد و لمنجدة ومتاع الناضح ان يقطع منه) و(المنجدة) عصا الناضح (وروى) المفضل الجندى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه انه قال في قصة العبد الذى وجده يعضد أو يخبط عضاها بالعقيق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من وجد من يعضد أو يخبط شيئاً من عضاه المدنية بريدا في بريد فله سلبه فلم أكن لارد شيئاً أعطانيه رسول الله صلي الله عليه وسلم) (وروى) البزار عن جابر قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بريدا من نواحيها (وفي) الاوسط للطبراني وفيه ضعيف عن كعب ابن مالك قال (حرم رسول الله صلي الله عليه وسلم الشجر بالمدينة بريدا فى بريد وأرسلنى فأعلمت على الحرم على شرف ذات الجيش وعلى شريب وعلى أشراف مخيض) (ورواه) ابن النجار بلفظ (حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بريدا فى بريد وأرسلني فأعلمت على الحرم علي شرف ذات الجليس وعلي مشيرب وعلي أشراف المجتهر وعلي تيم)

(ورواه) ابن زبالة بهذا اللفظ الا أنه أسقط أشراف المجتهر وأبدل تيم بتيت وزاد وعلي الحفياء وعلي ذى العشيرة (وروى) أيضا عن كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم حمى الشجر ما بين المدينة الى وعيرة والى ثنية المحدث والى أشراف مخيض والى ثنية الحفياء والي مضرب القبة والى ذات الجيش من الشجران يقطع وأذن لهم في متاع الناضح ان يقطع من حمي المدينة (وروى) أيضا عن سلمان بن كعب الديناري ان النبي صلي الله عليه وسلم نزل بمضرب القبة وقال مابيني وبين المدينة حمى لايعضد فقالوا الا المسد فاذن لهم في المسد) (وروى) أيضا من طريق مالك بن أنس عن أبي بكر ابن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الحمى الى مضرب القبة قال مالك وذلك نحو من بريد (وروى) أيضا عن جابر مرفوعا (كل دافعة دفعت علينا من هذه الشعاب فهى حرام ان تعضد أو تخبط أو تقطع الا امصفور قتب أومسد محالة أو عصا حديدة) (وفى) الاوسط للطبرانى باسناد حسن عن الحسن بن رافع انه سأل جابر بن عبد الله فقال لنا غنم وغلمان ونحن وهم بئر يرفهم يخبطون علي غنمهم هذه الثمرة يعنى الحبلة قال خارجة وهى ثمر السمر فقال جابر لايخبط ولايعضد حمي رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكن هشوا هشا ثم قال جابر ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنع ان يقطع المسد قال خارجة والمسد مرود البكرة (وروى) ابن زبالة عن أبي سعيد الخدرى قال بعثني عمتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نستأذنه في مسد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ عمتك السلام وقل لها لو أذنت لكم في مسد طلبتم ميزابا ولو أذنت لكم في ميزاب طلبتم خشبة ثم قال حماى من حيث انسقت بنوا فزارة لقاحى

﴿ الفصل الحادى عشر فى بيان ما فى هذه الاحاديث من الألفاظ ﴾
﴿ المتعلقة بالتحديد ومن ذهب الى مقتضاها ﴾

(قوله) شرف ذات الجيش (قال) ابن زبالة (ذات الجيش) نقب ثنية الحفيرة من طريق مكة والمدينة و(قال) المطرى هى وسط البيداء والبيداء هى التى اذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مصعدين الى جهة الغرب وهي على جادة الطريق (قلت) ويؤيده قول ياقوت (ذات الجيش) موضع بعقيق المدينة اراد بقربه أولان سيلها يدفع فيه كما سيأتى وقد رأيته يطلق ذلك على مايدفع فى العقيق وان بعد عنه و(قال) أبو عبد الله محمد بن أحمد

الأسدي فى وصف الطريق بين مكة والمدينة أن من ذى الحليفة الى الحفيرة ستة أميال قال وهى متعشا وبها بئر طيبة وحوض وعمر بن عبد العزيز هو الذى حفر البئر وبها أبيات ومسجد اه . ومقتضاه أن يكون ثنية الحفيرة بعد البئر فلعلها ثنية الجبل المسمى اليوم بمفرح وهناك واد قبل وادى تربان يسمونه سُهمان ينطبق عليه الوصف المذكور وهو موافق لقول من قال ذات الجيش واد بين ذى الحليفة وتربان فأطلق اسمها على الوادى التى هى فيه ولقول عياض ذات الجيش على بريد من المدينة وهو ظاهر رواية الطبراني المتقدمة لكنه مخالف لما سيأتى فى معني التحديد بالبريد وهناك حبس النبى صلى الله عليه وسلم فى ابتغاء عقد عائشة رضي الله عنها ونزلت آية التيمم والترديد في حديث عائشة حتى اذا كنا بالبيداء بذات الجيش كأن سببه قرب الموضعين وهو ظاهر فى المغايرة بينهما و(قال) أبو على الهجرى (ذات الجيش) شعبة على يمين الخارج الى مكة بحذاء الحفيرة قال وصدر الحفيرة وما قبل من الصُّلصُلين يدفع في بئر أبى عاصية ثم يدفع فى ذات الجيش وما دبر منها يدفع في البطحاء ثم تدفع البطحاء من بين الجبلين فى وادى العقيق وذات الجيش تدفع فى وادى أبى كبير وهو فوق مسجد الحرم والمعرس وطرف أعظم الغربى يدفع فى ذات الجيش وطرفه الثانى يدفع في البطحاء (قلت) و(أعظم) ويقال عظم كما سيأتي جبل معروف اليوم على جادة مكة (قال) المطرى وهو فى شامى ذات الجيش ويشهد له ماسبق عن الهجرى . قوله (شريب) الظاهر انه مشيرب تصغير مشرب كما في الرواية الأخرى وهو ما بين جبال في شامى ذات الجيش بينها وبين خلائق الضبوعة والضبوعة منزل عند يليل(١). قوله (أشراف مخيض) بلفظ المخيض من اللبن هى جبال مخيض من طريق الشام قاله بن زبالة و(قال) الهجرى مخيض واد يصب فى أضم على طريق الشام من المدينة انتهى. فكأنه يطلق على الجبال وواديها و(قال) المطرى جبل مخيض هو الذى على يمين القادم من طريق الشام حين يقضى من الجبال الى البركة التى هى مورد الحجاج من الشام ويسمونها عيون حمزة. قوله (أشراف المجتهر) كذا رواه ابن النجار وتبعه المطرى ولم يبيناه و(قال) المجد هكذا وقع بالجيم والهاء المفتوحة فان صح فهو اسم موضع بالمدينة والا فيحتمل ان يكون تصحيف المحيصر بالحاء والصاد المهملتين تصغير المحصر موضع قريب

(١) يليل بفتح اليائين بينهما لام ساكنة موضع قرب وادى الصفراء

من المدينة (قلت) الأقرب انه تصحيف المحيض لمجيئه بدله فى بقية الروايات. قوله (الحفياء) (قال) ابن زبالة هى بالغابة فى شامي المدينة وقال الهجرى وراء الغابة بقليل وسيأتي في ترجمتها ان بينها وبين المدينة نحو ستة أميال. قوله (ذى العشيرة) تصغير عشرة من العدد قال ابن زبالة شرقى الحفياء (وقال) المطرى نقب فى الحفياء قوله (ثيب) بفتح المثلثة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم موحدة كذا فى النسخة التى وقعت عليها من ابن زبالة وقال انه جبل فى شرقىّ المدينة وكذا هو فى العقيق للزبير بن بكار وكذا رأيته مضبوطا بالقلم فى أصل معتمد من تهذيب ابن هشام (فانه) قال فى غزوة السويق فخرج أبو سفيان حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له (ثيب) من المدينة علي بريد أو نحوه وكذا هو فى العقيق لابي على الهجرى الا انه قال عقبه (ثيّب) كتيعب فاقتضى ان الياء الساكنة بعدها همزة ويشهد لذلك ماسيأتي في أسماء البقاع فى ترجمة الشظاة من شعر عباس بن مرداس (وفي) كتاب ابن شبة فى حديث سلمة الآتى أول الباب السابع فقلت يارسول الله تباعد الصيد فانا أصيد بصدور قناة نحو ثيب كذا رأيته مضبوطا بالقلم من غير همزة لكنه بالمثناة من فوق ووقع فى كتاب ابن النجار وتبعه المطرى تيم بفتح المثناة الفوقية والتحتية وبالميم (قلت) وفى شرقىّ المدينة جبل يعرف اليوم بهذا الاسم و(قال) المجد انه تصحيف والصواب يتيب بلفظ مضارع تاب اذا رجع فهو باثناء المثناة من فوق ولذا ذكره فى مادتها من القاموس(١) وقال فى مادتها أيضا تيأب كفعلل موضع ولم يتعرض لذلك في الثاء المثلثة. قوله (وعيرة) بفتح أوله من الوعورة وهي خشونة الارض جبل شرقىّ ثور وهو أكبر من ثور وأصغر من أحد. قوله (ثنية المحدث) لم أر من تكلم عليه من مؤرخي المدينة وغيرهم والعجب من المجد كيف أهمله مع ايراده الحديث فى كتابه. قوله (مضرب القبة) قال المجد كالمطرى ليس اليوم معروفا ولا تعلم جهته قال والذى يظهر مابين ذات الجيش من غربىّ المدينة الى مخيض (قلت) قال أبو على الهجرى مضرب القبة بين أعظم وبين الشام نحو ستة أميال أى من المدينة وقد تقدم قول مالك عقب التحديد به وذلك نحو من بريد ولعله يريد مجموع الحرم. قوله (بثربر) لم أر من تكلم عليه حتى المجد. قوله (من حيث ابتسقت بنو فزارة لقاحى) كانت لقاحه صلى الله عليه وسلم ترعى بالغابة وما حولها

(١) قوله من القاموس الخ الذى فى القاموس يتيب كيعيب جبل بالمدينة

فاغار عليها عيينة بن حصين الفزارى يوم ذى قرد واتفق لسلمة بن الاكوع مااتفق من استنقاد اللقاح ووصول الفرسان اليه وهو يقاتلهم ويرميهم بالنبل وسميت غزوة ذى قَرد بالموضع الذى كان فيه القتال والتحديد بهذه الاماكن مؤيد لكون مجموع الحرم بريدا ولذلك قال ابن زبالة عقب ماتقدم عنه وذلك كله يشبه ان يكون بريدا في بريد انتهى. ويحمل عليه قول أبى هريرة فى حديث مسلم وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى لان ذلك هو البريد أى ستة أميال من جهة قبلتها وستة أميال من جهة شاميها وكذلك فى المشرق والمغرب ومثله حديث حمى كل ناحية من المدينة بريدا أى من القبلة الى الشمال بريدا ومن المشرق الى المغرب بريدا وقد أخذ بذلك مالك رحمه الله لكن فرق بين حرم الشجر وحرم الصيد وجعل البريد حرم الشجر وما بين اللابتين حرم الصيد (قال) عياض فى الاكمال قال ابن حبيب تحريم مابين اللابتين مخصوص بالصيد قال وأما قطع الشجر فبريد فى بريد فى دور المدينة كلها بذلك أخبرني مطرف عن مالك وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن وهب انتهى. و(حكي) الباجي فى المنتقي مثله عن ابن نافع و(نقل) ابن زبالة عن مالك انه قال الحرم حرمان (فحرم) الطير والوحش من حرة واقم أى وهى الحرة الشرقية الي حرة العقيق أى وهى الغربية و(حرم) الشجر بريد فى بريد و(قال) البرهان بن فرحون حرم الصيد مابين حرارها الأربع وسماها أربعا لوجود الحرتين المذكورتين فى الجهات الأربع لانعطاف بعض الشرقية والغربية من جهة الشمال والقبلة ولم يعول أصحابنا فى تحديد الحرم على البريد مع مافيه من الزيادة لان أدلته ليست بالقوية فعولوا على مااشتملت عليه الأحاديث الصحيحة من الجبلين واللابتين على أن اطلاق أحاديث التحريم مقتض لعدم الفرق بين حرم الشجر وحرم الصيد سواء كان الحرم بريدا أو دونه غير أن فى أحاديث البريد مايشعر بانه للشجر مع أن ابن زبالة ومحله من الضعف معلوم روى عن ابن بشير المازنى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم مابين لابتيها معنى المدينة من الصيد وعن أبى هريرة وغيره نحوه وفى (رواية) له من الطير أن يصاد بها وقد يقال هو من باب افراد فرد مما حرم بالذكر (فان) قيل قوله في حديث مسلم حرم مابين لابتيها وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى دال علي الفرق المذكور (قلنا) ممنوع لان غايته ان يراد بالحمى

الحرم فكأنه قال وجعل اثني عشر ميلا حولها حرما اذليس فيه انه جعله حمى الشجر ﴿ تتمة ﴾ البريد أربع فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع اليد على الأصح كما صححه ابن عبد البر وغيره وهو الموافق لاختيار ما ذكره من المسافات في الحرم المكي وغيره وذراع اليد على ماذكره المحب الطبراني والنووى وغيرهما أربعة وعشرون أصبعاً كل أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها الى بعض وغلّط النووى القلعي في قوله ثلاث شعيرات ومقدار الذراع المذكور من ذراع الحديد المستعمل في القماش بمصر الآن ذراع الا ثمن ذراع كما اعتبرته أنا وغيرى ومشى عليه التقى الفاسي في تاريخ مكة المشرفة وليكن ذلك على ذكر منك اذا مررت بشئ مما ضبطناه فى المسافات فى كتابنا هذا و(قيل) الميل ستة آلاف ذراع ومشى عليه النووى وهو بعيد ولعل قائله هو الذى يجعل الاصبع فى الذراع ثلاث شعيرات فقط وقيل الميل الفا ذراع والصواب ماقدمناه والله أعلم

٭﴿ الفصل الثانى عشر فى حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم ﴾٭

اعلم ن المفهوم من تحريم ذلك تشريف المدينة الشريفة وتعظيمها به لحلول أشرف المخلوقين صلوات الله وسلامه عليه وانتشار أنواره وبركاته بارضها وكما ان الله تعالى جعل لبيته حرماً تعظيما له جعل لحبيبه وأكرم الخلق عليه ما أحاط بمحله حرماً يلتزم أحكامه وتنال بركاته ويوجد فيه من الخير والبركة والانوار المنتشرة والسلامة العاجلة والآجلة مالايوجد في غيره ولهذا حث النبى صلى الله عليه وسلم بني حارثة على الكون به كما أشار اليه بقوله أراكم يابنى حارثة قد خرجتم من الحرم ثم التفت فقال بل أنتم فيه وذلك لخصوصية الكون فيه على الكون خارجه وتخصيص ذلك المقدار (اما) ان يكون لما شاهده صلى الله عليه وسلم فيه من أمر ربانى وسر روحانى بثه الله فيه الى تلك الحدود المتقدمة وقد ذكر أهل الشهود انهم يشاهدون الانوار منبثة فى الحرم وأهله الى حدوده ولها منابع تفيض عنها وذلك فى الحرمين جميعا فترتبت الاحكام الظاهرة على تلك الحقائق الباطنة ولهذا لما بلغت النار الآتى ذكرها طرف هذا الحرم الشريف طفئت كما سيأتى و(اما) ان يكون بمقتضى أمر الٓهى ووحي ربانى لاندركه نحن اذ العقول البشرية قاصرة عن ادراك معانى الاحكام الملقاة عن النبوة وانما يظهر لها لا بحه من شوارق مطالعها عند

التأييد والتسديد هدانا الله لادرا كها بمنه وكرمه وقد قيل في حكمة تحديد الحرم المكي أشياء يمكن مثلها هنا (فقيل) لما أهبط آدم الى الارض أرسل الله ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ووقفوا في موضع أنصاب الحرم يحرسون آدم عليه السلام فصار ذلك حرماً و(قيل) لما وضع الخليل عليه السلام الحجر الأسود في الكعبة حين بناها وهو من أحجار الجنة أضاء الحجر من الجهات الاربع فحرم الله تعالى الحرم من حيث انتهي النور و(قيل) ان الله تعالى أمر جبريل عليه السلام ان ينزل بياقوتة من الجنة فنزل بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه فحيث بلغ نورها صار حرماً وهو من جنس ماقبله و(قيل) غير ذلك وحينئذ (فيحتمل) ان يكون الملائكة الموكلة بحراسته صلى الله عليه وسلم وحراسة بلده الشريف قائمة بتلك الحدود فانتهى الحرم اليها و(يحتمل) ان درته الشريفة التي خلق منها لما كان مأخذها موضع قبره الشريف وهو أعظم رياض الجنة واشتمل مسجده أيضا على روضة من رياض الجنة انبثت الانوار من ذلك الى مالا يعلم غايته الا الله ولكن أبصار الناظرين لها غايات فقد يكون انتهاؤها الى تلك الحدود فانتهى الحرم اليها و(يحتمل) انه صلى الله عليه وسلم يوم قدومه الى المدينة انتشرت الاضاءة وشوهد وصولها الى تلك الحدود وسيأتي قول أنس بن مالك في وصف يوم قدومه صلى الله عليه وسلم مارأيت مثل ذلك اليوم قط والله لقد أضاء منها كل شئ يعنى المدينة والله أعلم

٭﴿ الفصل الثالث عشر فى أحكام هذا الحرم الشريف وفيه مسائل ﴾٭

(الأولى) اتفق الشافعي ومالك وأحمد على تحريم صيد حرم المدينة واصطياده وقطع شجره و(قال) أبو حنيفة لايحرم شئ من ذلك والأحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه وقد قدمنا جملة منها ولو لم يكن الا قوله صلى الله عليه وسلم (كما حرم ابراهيم مكة) لكان كفاية فانه يتمسك به فى كل ما لم يقم دليل على افتراق الحرمين فيه (وروى) أبو داود وسكت عليه (قال) النووى وهو صحيح أو حسن أى كما هو قاعدته فيما يسكت عليه ان سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه أخذ رجلا يصيد فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلبه ثيابه فجاء مواليه فكلموه فيه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم هذا الحرم وقال من أخذ أحدا يصيد فيه فليسلبه فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ان شئتم دفعت اليكم ثمنه وسيأتى عنه نحوه فى قطع الشجر و(فى) الموطأ عن أبى أيوب الانصارى

انه وجد غلمانا قد ألجئوا ثعلبا الى زاوية فطردهم عنه (قال) مالك لا أعلم الا أنه قال أفي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع هذا (وروى) الطبراني برجال الصحيح مثله عن زيد بن ثابت بدل أبي أيوب (وفى) الموطأ أيضا أن رجلا قال دخل عليّ زيد بن ثابت وأنا بالاسواف وقد اصطدت نُهسا فأخذه من يدى فأرسله (ورواه) الطبراني أيضا مع تسمية المبهم ولفظه عن شرحبيل بن سعيد قال أخذت نهسا يعني طائرا بالاسواف فأخذه مني زيد بن ثابت فأرسله وقال أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم مابين لابتيها (وفى) رواية له أتانا زيد بن ثابت ونحن في حائط لنا ومعنا فخاخ ننصب بها فصاح وطردنا وقال ألم تعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيدها و(رواه) أحمد أيضا وكذا الشافعى في حرملة عن شرحبيل بن سعد وقد وثقه ابن حبان وضعفه غيره ولفظه دخل علينا زيد بن ثابت حائطا ونحن غلمان ننصب فخاخا للطير فطردنا وقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حرم صيدها و(رواه) ابن زبالة بلفظ كنت مع بني زيد ابن ثابت بالاسواف فأخذوا نهساً فاستفتح زيد بن ثابت وهو في أيديهم فدفعوه فى يدى وفروا فدخل زيد فأخذه من يدى فأرسله ثم لطم في قفاى وقال لا أم لك ألم تعلم وذكر الحديث المتقدم و(روى) الطبرانى عن حاجب مولى زيد بن ثابت قال دخل عليّ زيد بن ثابت وأنا بالاسواف قد اصطدت نهسا فأخذ بأذنى من قفاى وقال تصيد هاهنا وقد حرم رسول الله صلي الله عليه وسلم مابين لابتيها و(النُّهس) كصُرد طائر يشبهه وليس بالصرد وقيل انه اليمام (وفى) الكبير للطبرانى برجال ثقات عن عبد الله ابن عباد الزرقي (قال) الهيثمى ولم أجد من ترجمه قال كنت أصيد العصافير فى بئر أهاب وكانت لهم قال فرآنى عبادة بن الصامت وقد أخذت العصفور فينزعه منى فيرسله ويقول أى بنى ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حرم مابين لابتيها كما حرم ابراهيم مكة و(روى) ابن زبالة ومن طريقة البزار عن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال اصطدت طيرا بالقنبلة فلقينى أبى عبدالرحمن فعرك أذنى ثم أخذه مني فأرسله وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيد مابين لابتيها (وفي) أبى داود عن مولى لسعد أن سعدا وجد عبيدا من عبيد المدينة يقطعون شجرا من شجر المدينة قال فأخذ متاعهم وقال يعنى لمواليهم سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم ينهى أن يقطع من شجر المدينة شئ وقال

من قطع منه شيأ فلمن أخذه سلبه و(رواه) مسلم عن اسماعيل بن محمد بن عامر بن سعد ولفظه ان سعدا ركب الى قصره بالعقيق فوجد عبدا يقطع شجرا أو يخبطه فسلبه فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد على غلامهم أو عليهم ما أخذ من غلامهم فقال معاذ الله ان أرد شيأ نفّلنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم و(رواه) المفضل الجندى عنه ولفظه ان سعدا ركب الى قصر له بالعقيق فوجد عبدا يقطع شجرة فأخذ سلبه وذكر بنحوه و(رواه) أيضا عن عبدالله بن عمر ولفظه ان سعدا وجد انسانا يعضد أو يخبط عضاها بالعقيق فأخذ فاسه ونطعه وشيأ سوى ذلك فاطلع العبد الى ساداته فأخبرهم الخبر فركبوا الى سعد فقالوا الغلام غلامنا فاردد اليه ما أخذت منه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ما قدمناه عنه فى الفصل العاشر وقال فى آخره فلم أكن لأرد شيأ أعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم و(رواه) ابن زبالة من طرق بنحوه و(فى) بعضها ان سعد بن أبي وقاص وجد جارية لعاصية السلمية تقطع الحمى فضربها وسلبها شملة لها وفاسا كانت معها فدخلت عاصية السلمية الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستعدت على سعد فقال اردد اليها يا أبا اسحاق شملتها وفاسها فقال لا والله لا أرد اليها غنيمة غنمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه واتخذ من فاسها مسحاة فما زال يعمل بها حتى لقي الله و(فى) بعضها أخذ سعد بن أبى وقاص جارية لعاصية السلمية تقطع شجرا بالعقيق فنزع سلبها وذكر نحوه و(روى) أيضا عن سعد قال غنمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدناه يقطع من شجر حرم المدينة الرطب منه و(عن) زيد بن أسلم نحوه و(روى) الجندي عن عبدالكريم بن أبي المخارق قال أتى عمر بن الخطاب ناحية من المدينة فوجد غلاما لبعضهم فى حائط فقال هل يأتيك ههنا أحد يحتطب قال نعم فقال له عمر ان رأيت منهم أحدا فخذ فاسه وحبله قال وثوبه قال فأبى و(فى) نسخة فأفتى و(فى) رواية عنه ان عمر قال لغلام قدامة بن مظعون أنت علي هؤلاء الحطابين فمن وجدته احتطب فيما بين لابتي المدينة فلك فاسه وحبله قال وثوباه قال عمر ذلك كثير وقد اختلف القائلون بالتحريم فى حرم المدينة بالنسبة الى الضمان بالجزاء (فمن) أحمد روايتان و(للشافعى) أيضا قولان كالروايتين الجديد منهما عدم

الضمان وهو قول مالك لأنه ليس بمحل نسك فأشبه مواضع الحمى ووج الطائف(١) والقديم الضمان وهو المختار كما قاله النووى وغيره لحديث سعد المتقدم والجواب عنه مشكل وعلى هذا فالاصح انه يسلب الصائد وقاطع الشجر والكلأ كما يسلب القتيل من الكفار حتى يؤخذ فرسه وسلاحه وقيل الثياب فقط ويكون ذلك للسالب على الأصح وقيل لفقراء المدينة كما ان جزاء صيد مكة لفقرائها وقيل يوضع في بيت المال وسبيله سبيل السهم المرصد للمصالح (قال) الشيخ أبو محمد ويعطى المسلوب ازارا يستر به عورته فاذا قدر على مايستر به عورته أخذه منه واختار الرؤياني انه يترك له وصوبه النووى (قال) الرافعى والذى يسبق الى الفهم من الحديث وكلام الائمة انه يسلب اذا اصطاد ولا يشترط الاتلاف ولفظ الغزالي فى الوسيط لا يسلب حتى يصطاد أو يرسل الكلاب ويحتمل التأخير الى الاتلاف انتهى . ولا فرق فى هذا بين صيد وصيد ولا بين شجرة وشجرة وكأن السلب فى معنى العقوبة لمتعاطى ذلك (قال) السراج البلقيني ولو كان الصائد أو قاطع الشجر فى حرم المدينة عبدا هل يسلب ثيابه كما اتفق لسعد بن أبي وقاص قال والذى يقتضيه النظر انه لا يسلب العبد فانه لا ملك له وكذلك لو كان على الصائد ثوب مستأجر أو مستعار فانه لا يسلب ولم أر من تعرض له انتهى. (قلت) التحقيق التفصيل بينما اذا أمره السيد أو من في معناه بذلك وبينما اذا لم يأمره ويحمل ما اتفق لسعد على الاول ولو كان على الصائد والمحتطب ثياب مغصوبة لم تسلب بلا خلاف كما نقله فى شرح المهذب ونقله فى المطلب عن البحر ثم قال وينبغى أن تكون المستعارة كذلك ولو لم يشاهده أحد يصطاد فالظاهر انه يجب عليه حمل السلب الى نائب الامام ولو تحدث بحضرة أحد فسمعه فهل يجوز له أن يسلبه الظاهر عندي لا انتهي. ولو أدخل الى حرم المدينة صيدا لم يلزمه ارساله وله ذبحه به اتفاقا وكذا حرم مكة عندنا (وقد) روى البيهقى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقدمون مكة فيرون بها فى الاقفاص القمارى واليعاقيب وهذا محمل حديث (يا أبا عمير ما فعل النغير) أو انه كان قبل تحريم المدينة لانه فى أول الهجرة وتحريم المدينة كان بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من خيبر كما أوضح ذلك

(١) (وج) اسم واد بالطائف كما أفاده القاموس و(قال) في المصباح هو بلد الطائف و(قيل) هو الطائف (وقيل) واد بينه وبين مكة اه

الحافظ بن حجر و (قد) تمسك أبو حنيفة بقصة أبي عمير فيما ذهب اليه من عدم تحريم صيد المدينة لذهابه في حرم مكة الى وجوب الارسال على من أدخل اليه صيدا من خارجه قال فلو حرم النبي صلى الله عليه وسلم صيد المدينة لما أقر النغير في يد أبي عمير و(جوابه) ماتقدم (قال) البيهقى والذاهب الى عدم تحريم الصيد وغيره بالمدينة زعم ان النبى صلي الله عليه وسلم انما أراد بقاء زينة المدينة وبهجتها لتستوطن كما منع من هدم آطام المدينة لذلك قال أبو هريرة رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هدم آطام المدينة وقال انها زينة المدينة أى فالنهى للتنزيه (قال) البيهقى والنهي عندنا على التحريم حتى تقوم دلالة على التنزيه قال واستدل المخالف بحديث سلمة (اما انك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك اذا ذهبت وتلقيتك اذا جئت فانى أحب العقيق) (قال) البيهقى وهو حديث ضعيف ومن يدع العلم بالآثار لا ينبغى له أن يعارض الأحاديث الثابتة فى حرم المدينة لهذا الحديث الضعيف وقد يجوز أن يكون الموضع الذى كان سلمة يصيد فيه خارجا من حرم المدينة والموضع الذى رأى فيه سعد بن أبى وقاص غلاما يقطع شجرا من حرم المدينة داخله حتى لا يتنافيان ولو اختلفا كان الحكم لرواية سعد لصحة حديثه وثقة رجاله دون حديث سلمة (قلت) مع ان الذى في الصحيح من حديث سعد لا تعرض فيه لان القطع كان بالعقيق وركوبه الى قصره بالعقيق لا يقتضى ان القطع كان به بل يقتضي ان القطع فى موضع من الحرم خارج على ان ما يلى ذا الحليفة من العقيق ليس من الحرم عندنا لخروجه عما بين اللابتين والمالكية وان اعتبروا البريد لحرم الصيد عندهم مابين اللابتين كما تقدم مع امتداد العقيق الى النقيع فبعضه خارج عن الحرم بكل حال فصح ماقاله البيهقى وقصر سعد مع قصور العقيق في الطرف الداخل منه فى الحرم عندنا لكونه بالحرة الغربية هذا مع احتمال حديث سلمة لكونه كان قبل تحريم المدينة والله أعلم (الثانية) استثنى المطرى تبعاً لابن النجار جواز أخذ ماتدعو الحاجة اليه للرحل بالحاء المهملة والوسائد من شجر حرم المدينة وما تدعو الحاجة اليه من حشيشه للعلف بخلاف مكة هكذا قالاه و(سبقهما) اليه ابن الجوزى من الحنابلة فقال في منسكه ان المدينة تفارق مكة فى أنه يجوز أن يؤخذ من شجر المدينة ما تدعو الضرورة اليه للرحل وشبهه انتهى. ومأخذهم في ذلك ماتقدم فى الفصل العاشر فى بعض تلك الأحاديث

المشتملة على الترخيص فى ذلك ونحوه مع مارواه ابن زبالة من حديث يارسول الله انا أصحاب عمل ونضح وانا لانستطيع أن نتتاب أرضا فرخص لهم في القائمتين والوسادة والعارضة والاسنان فاما غير ذلك فلايعضد ولا يخبط والكلام أولا فى توجه الاستدلال بذلك من حيث الاسناد مع انا قدمنا فى غضون تلك الاحاديث مايقتضى المنع سيما حديث الطبرانى باسناد حسن اذ فيه قول جابر لايخبط ولا يعضد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن هشوا هشا ثم قال جابر ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنع ان يقطع المسد (قال) خارجة و (المسد) مرود البكرة ومن تأمل كلام أصحابنا الشافعية لايفهم منه سوى استواء الحرمين فى ذلك لقولهم انه يجوز أخذ حشيش حرم مكة لعلف الدواب على الأصح و (قد) قال النووى فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم المتقدم ولا يخبط شجره الا لعلف ان فيه جواز أخذ أوراق الشجر للعلف بخلاف خبط الأغصان وقطعها فانه حرام انتهى . و(قد) قال هو وغيره فى شجر مكة انه يجوز أخذ ورقها لكنها لاتهش حذرا من ان يصيب لحاها (وفى) شرح المهذب يجوز أخذ ورقها والأغصان الصغيرة للسواك ونحوه انتهى . فقد استوى الحرمان في ذلك و(قد) قال الغزالى فى البسيط والوسيط فى حرم مكة انه لو قطع منه للحاجة التى يقطع لها الادخر كتسقيف البيوت ونحوه ففيه الخلاف فى قطعه للدواء أى والاصح جوازه وتبعه على ذلك صاحب الحاوى الصغير فجوز القطع للحاجة مطلقا ولم يخص الدواء وقل من تعرض للمسئلة ومنه يؤخذ جواز ما استثناه المطرى لكن مع استواء الحرمين فى ذلك و (قال) القاضى عياض قال المهلب قطع النبي صلى الله عليه وسلم النخل من المدينة حين بنى مسجده وذلك يدل على ان النهى لايتوجه لقطع شجرها للعمارة وجهة الاصلاح وان يقطع شجرها ليتخذ موضعه جنانا وعمارة وأن توجه النهي انما هو لقطع الافساد واستبقاء لبهجة المدينة وخضرتها في عين الوارد اليها انتهى .ونحوه ماروى ابن زبالة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبنى حارثة فى طرف من الحمى (أعطيكم على انه من قطع شجرة غرس مكانها نخلة) ومحل ابن زبالة من الضعف معروف والنبى صلى الله عليه وسلم انما قطع النخل وهو شجر يستنبته الآدميون وفيه خلاف فالذى ذهب اليه المالكية والحنفية جواز قطعه فى حرم مكة فضلا عن المدينة وهو أحد القولين عندنا لكن الأصح الحاقه بالذى ينبت بنفسه والجواب

عنه باحتمال كونه قبل تحريم المدينة أو انه قطعه لحاجة العمارة فان المتجه جوازه كما تقدم عن الغزالى ولم يزل أهل المدينة يسقفون بيوتهم بما يقطعون من نخلها و(قد) نقل الواقدى فى الحرم المكى عن ابن الزبير الترخيص فى قطع شجر الحرم المكى للعمارة لكن مع الفداء على ان الماوردى قال فيما يستنبته الآدميون محل الخلاف فيما أنبت فى موات الحرم فان أنبته فى أملاكه لم يحرم بلا خلاف انتهى . و(أما) مايستنبت من غير الشجر كالحنطة والخضروات فيجوز قطعه بلا خلاف وكذا مايتغذى به مما ينبت بنفسه كالرجلة المسماة بالبقلة الحمقاء ونحو ذلك لانه فى معني الزرع صرح باستثنائه المحب الطبرى فى شرح التنبيه وهو ظاهر لانه اذا جاز الأخذ لاطعام البهائم فالآدمى أولى (الثالثة) ماذكروه في الأخذ للدواء ونحوه يتناول تحصيله وادخاره لذلك الغرض وان لم يكن السبب قائما الا ان عبارة الروضة ولو احتيج الى شئ من نبات الحرم للدواء و(فى) شرح المهذب انه يجوز أخذ النبات للعلف ولو أخذه ليبيعه ممن يعلف به لم يجز ومقتضاه ان الدواء كذلك وظاهر اطلاق الماوردى الجواز مطلقا وهو ظاهر استناد بعضهم الى نقل السنا المكي من غير نكير (الرابعة) تغلظ الدية فى الخطأ على القاتل في حرم المدينة كمكة فى وجه الصحيح خلافه ومأخذه عموم قوله (كما حرم ابراهيم مكة) و(قد) اختار السراج البلقينى هذا الوجه قال لان الخلاف فى ذلك مبنى على الخلاف فى ضمان صيدها والمختار عند النووى ضمان صيدها بسلب الصائد (قلت) وما قاله متجه لعموم قوله (كما حرم ابراهيم مكة) وانما اختصت مكة بمنع الكافر من دخولها مطلقا بخلاف المدينة فيجوز أن يدخلها باذن الامام أونائبه للمصلحة لان المشركين أخرجوا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاقبهم الله بالمنع من دخولها بكل حال تعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم واستحسن الرويانى فى البحر التسوية بين مكة والمدينة فى أن من مات من الكفار بهما يخرج ويدفن خارجهما وعلى القول باختصاصه بمكة موجبه ما قدمناه (الخامسة) سوى صاحب الانتصار من أصحابنا بين حرم مكة والمدينة فى أن لقطتهما لاتحل للتملك بل للحفظ أبدا وقال الدارمي لاتلحق لقطة حرم المدينة بحرم مكة فى ذلك (قلت) والذى يقتضيه الدليل ترجيح الأول للنص على ذلك في الأحاديث المتقدمة فى الفصل الثامن وان كان الأصحاب خصوا مكة بالذكر (السادسة) مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث المتقدمة

أيضا (ولا يحمل فيها سلاح لقتال) أن يأتى فيها ما قل من الخلاف في حرم مكة من أن المقاتلة الجائزة فى غيره يحرم فيه كقتال البغاة به بل يضيق عليهم الى أن يخرجوا أو يفيؤا كما ذهب اليه جماعة و(قال) الجمهور يقاتلون لان هذا القتال من حقوق الله وحفظها فى الحرم أولى والحرم لا يعيذ عاصيا و(ذهب) الحسن البصرى الى أنه لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة للنهى عن القتال فيه فلا يحمل ماهو من أسبابه ولقوله صلى الله عليه وسلم (لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة) للنهى عن القتال فيه فلا يحمل ماهو من أسبابه ولقوله صلى الله عليه وسلم (لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة) رواه مسلم (السابعة) حكي الماوردى وجهين فى جواز الاستنجاء بحجارة الحرم (قال) ظاهر المذهب سقوط الفرض بذلك مع تأثيمه (قلت) ينبغي حمله على من نقله من الحرم ليستنجي به فى الحل مثلا والا فهو مشكل اذ لا خلاف فى اباحة البول فى الحرم فالاستنجاء بالحجارة كذلك و(عبارة) شرح المهذب في النقل عن الماوردى بعد حكاية الوجهين فى سقوط فرض الاستنجاء بالذهب والديباج وطردهما الماوردي في الاستنجاء بحجارة الحرم انتهي. وهي محتملة لما قررناه و(قد) نقل النووى عدم جواز الأكل في الأوانى المعمولة من تراب الحرم على ما قاله الدميرى ولا شك انه انما عني به المنع منه لمن أخرجها من الحرم كما لا يخفى (الثامنة) جزم النووى بتحريم نقل تراب الحرم المدني وأحجاره اكتفاء بما ذكره من الخلاف في الحرم المكى وصحح فيه التحريم والرافعي الكراهة ونقلها النووى عن كثيرين أو الاكثرين و(نقلها) القاضي أبو الطيب عن نص الشافعي في القديم ونقل التحريم عن نصه فى الجامع الكبير و(قال) فى الام فى حجارة الحرم وترابه لا خير فى ان يخرج منها شئ الى الحل لان له حرمة باين بها ماسواها من البلدان فلا أرى والله أعلم ان جائزا لاحد ان يزيله من الموضع الذى باين به البلدان اذ يصير كغيره و(روى) الشافعي عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما كراهة ذلك (قال) الشافعي وقال غير واحد من أهل العلم لا ينبغى ان يخرج من الحرم شئ الى غيره و(حكي) الشافعي عن أبي يوسف انه قال سألت أبا حنيفة عن ذلك فقال لا بأس به (قال) أبو يوسف وحدثنا شيخ عن رزين مولى على بن عبد الله ابن عباس ان عليا كتب اليه ان يبعث اليه بقطعة من المروة فيتخذه مصلا يسجد عليه و(نقل) القاضي أبو الطيب عن الشافعى انه قال رخص بعض الناس في ذلك واحتج بشراء

البرام من مكة وهو غلط فان البرام ليست من حجارة الحرم بل تحمل من مسيرة يومين وثلاثة من الحرم و(حكى) فى شرح المهذب اتفاق الأصحاب على ان الأولى ان لا يحمل تراب الحل وأحجاره الى الحرم لئلا يحدث لها حرمة لم تكن قال ولا يقال انه مكروه مع اطلاقه في الروضة والمناسك كراهته فكأنه أراد بها معنى خلاف الاولى وقول صاحب البيان (قال) الشيخ أبو اسحق لا يجوز ادخال شئ من تراب الحل وأحجاره الى الحرم محمول على نفى الاباحة بمعنى استواء الطرفين كما وقع مثله في مواضع وبناء آدم البيت من أجبل ليست من الحرم كلبنان وطورسينا اما لان تحريم الحرم انما تعلق حكمه وظهر على لسان ابراهيم عليه السلام وأما لأن شرعه اقتضى ذلك مع أن الظاهر استثناء نقل حجارة الحل لمصلحة يقتضيها الحال وما نقله أهل السير من أنهم كانوا يأخذون من تراب قبر النبى صلى الله عليه وسلم فأمرت عائشة رضي الله عنها بجدار فضرب عليهم لا متمسك فيه اذ لم يعرف الفاعل بل الظاهر انه ممن لا يحتج بفعله وأمر عائشة بضرب الجدار يقتضي المنع من ذلك على أنه ليس فيه أنه كان يؤخذ للنقل من الحرم (وقد) نقل أبو المعلى السبتى وكذا خليل والتادلى المالكيون كلام النووى في المنع من نقل تراب الحرم واقروه فالظاهر انه جار على قواعدهم اذ منها سد الذرائع (وقد) قيل فى سبب عبادة الاصنام أن بعضهم كان يصحب معه الحجر من الحرم ليتبرك به واستشكله البرهان بن فرحون بأمور (منها) ماتقدمت الاشارة الى جوابه و(منها) الاجماع على نقل ماء زمزم واستهداء النبى صلى الله عليه وسلم له من سهيل بن عمرو فبعث اليه منه (وجوابه) ان ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم مع انه يخلف فاشبه الحشيش الذى يخلف ولهذا قال الشافعى فأما ماء زمزم فلا أكره الخروج به والماء ليس بشئ يزول ولا يعود انتهى. مع ان المحذور المتقدم في الاحجار لا يتوقع مثله في الماء اذ المقصود من نقله شربه وهو ظاهر بخلاف الحجر وشبهه فان القصد التبرك به وهو شئ لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولذا أقول ان من نقل من فخار الحرم كالكرازيز لحاجة استعمالها جاز له ويحمل كلام من أطلق المنع على ما يراد للتبرك أو مع عدم الحاجة اليه واذا جاز أخذ حشيش الحرم للتداوى فهذا أولى واذا كان الاحتياج الى آنية الذهب والفضة يجوز استعمالها فهذا أولى فان أريد نقل ذلك لحاجة متوقعة في المستقبل فينبغى تخريجه على ما تقدم في أخذ

نبات الحرم للدواء ونحوه وقد قدمنا فيما جاء في ترابها استثناء تربة صُعب لما جاء فيها من التداوى وان الزركشى استثنى تربة حمزة رضى الله عنه لاطباق الناس على نقلها للتداوى بها من الصداع و(حكى) البرهان بن فرحون عن الامام العالم أبى محمد عبد السلام بن ابراهيم بن ومصال الحاحانى قال نقلت من كتاب الشيخ العالم أبي محمد صالح الهزميرى قال قال صالح بن عبد الحليم سمعت أبا محمد عبد السلام بن يزيد الصنهاجي يقول سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر الذى كان الناس يحملونه للتبرك هل يجوز أو يمنع فقال هو جائز ما زال الناس يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان (قال) ابن فرحون عقبه والناس اليوم يأخذون من تربة قريبة من مشهد سيدنا حمزة ويعملون منها خرزا يشبه السبح واستدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة وقد علمت مما تقدم ان نقل تربة حمزة رضي الله عنه انما هو للتداوى ولهذا لا يأخذونها من نفس القبر بل من المسيل الذى عنده المسجد ولئن صح مشروعية التبرك بتراب قبور الصالحين فهو أمر خاص بها لا دلالة فيه علي جواز نقل مطلق تراب الحرم وهو أمر لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم والخير كله في الاتباع وقد قالت الحنابلة أيضاً يكره نقل حصي الحرم وترابه الى غيره ولا يدخل غيره اليه ونقلوا عن أحمد انه قال الاخراج أشد انتهى . ويجب على من أخرج شيأ من تراب الحرم أو حجره أن يرده اليه ولا ضمان عليه في ترك الرد قال الكمال الدميري واذا نقل تراب أحد الحرمين الى الآخر هل يزول التحريم أى فينقطع وجوب الرد أو يفرق بين نقله للاشرف وعكسه فيه نظر والله أعلم

﴿ الفصل الرابع عشر في ذكر بدء شأنها وما يؤل اليه أمرها ﴾

روى ابن لهيعة بسنده الى عائشة مرفوعا ان مكة بلد عظمه الله وعظم حرمته خلق مكة وحفها بالملائكة قبل ان يخلق شيئاً من الارض كلها بالف عام ووصلها بالمدينة ووصل المدينة ببيت المقدس ثم خلق الارض كلها بعد ألف عام خلقا واحدا قال العلامة المقدسى في بعض تأليفاته هذا حديث غريب جدا بل منكر وعن سلمان عن ابى عمرو الشيبانى عن على رضى الله عنه كانت الارض ماء فبعث الله ريحا فمسحت الارض مسحا فظهرت على الارض زبدة فقسمها أربع قطع خلق من قطعة مكة والثانية المدينة والثالثة بيت المقدس والرابعة الكوفة

وهو أثر واه (وروينا) في الكبير للطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اطلع الى أهل المدينة وهى بطحاء قبل أن تعمر ليس فيها مدر ولا بشر فقال يا أهل يثرب انى مشترط عليكم ثلاثا وسائق اليكم من كل الثمرات لا تعصى ولا تعلى ولا تكبرى فان فعلت شيأ من ذلك تركتك كالجزور لا تمنع من أكله و(أخرج) النسائى من رواية يزيد ابن أبى مالك عن أنس في حديث الاسراء قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل) الحديث وفيه (فركبت ومعى جبريل فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال أتدرى أين صليت صليت بطيبة واليها المهاجر) يعنى (بفتح الجيم) ووقع في حديث شداد بن أوس عند البزار والطبرانى انه أول ما أسرى به صلى الله عليه وسلم مر بأرض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت بيثرب الحديث وروى رزين عن أنس يرفعه (لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظا ستة أشظاظ) وفي رواية غير رزين (شظايا فنزلت بمكة ثلاثة حرا وثبير وثور وفي المدينة أحد وعير وورقان) وفي رواية (ورضوى) بدل عير ولا يشكل ذلك بكون رضوى بينبع لان الينبع من توابع المدينة ومضافاتها كما سيأتى و(رواه) بعض شراح المصابيح بلفظ عير وثور ورضوى ومنه يؤخذ حكمة أخرى في تحديد الحرم بعير وثور وسيأتى بيان أول من سكنها بعد الطوفان في أخبار سكانها و(روينا) في الأم للشافعى حديث (أسكنت أقل الارض مطرا وهى بين عينى السماء عين الشام وعين اليمن) ورواه ابن زبالة بزيادة (فاتخذوا الغنم على خمس ليال من المدينة) و(روى) أيضاً حديث (يامعشر المهاجرين انكم بأقل الارض مطرا فأقلوا من الماشية وعليكم بالزرع وأكثروا فيه من الجماجم) و(روى) الشافعى أيضا حديث (توشك المدينة أن يمطر مطرا لا يكنّ أهلها البيوت ولا يكنهم الا مظال الشعر) و(روى) أيضا (يوشك المدينة أن يصيبها مطر أربعين ليلة لا يكنّ أهلها بيت من مدر) و(روى) ابن زبالة حديث (كيف بك ياعائشة اذا رجع الناس بالمدينة وكانت كالرمانة المحشوة قالت فمن أين يأكلون يانبى الله قال يطعمهم الله من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن جنات عدن) و(أورد) المرجانى في كتابه أخبار المدينة عن جابر مرفوعا (ليعودن هذا الامر الى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون ايمان الا بها) الحديث و(روى) أحمد برجال ثقات (يوشك أن يرجع الناس الى المدينة حتى يصير مسالحهم بسلاح) و(مسالحهم) جمع مسالح وهم القوم الذين يحفظون الثغور (وسلاح) كقطام

موضع بقرب خيبر (وفي) مسلم حديث (تبلغ المساكن أهاب أو يهاب) بكسر المثناة التحتية و(روى) أحمد في حديث طويل (انه صلى الله عليه وسلم خرج حتى أتي بئر الأهاب قال يوشك البنيان أن يأتى هذا المكان) و(بئر اهاب) سيأتى انها بالحرة الغربية (وروى) أبو يعلى عن زيد بن وهب قال حدثنى أبو ذر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا بلغ البناء أى بالمدينة سلعا فارتحل الى الشام) فلما بلغ البناء سلعاً قدمت الشام (وروى) ابن زبالة حديث (ليوشكن الدين أن ينزوى الى هذين المسجدين ويوشكن أن يتشاحوا على موضع الوتد بالحى كشح أحدكم أن ينقص من داره الى جانب المسجد وليوشكن أن يبلغ بنيانهم يهيقا قالوا يارسول الله فمن أين يأكلون قال من ههنا وههنا) يشير الى السماء والارض و(يهيقا) أوله آخر الحروف موضع بقرب المدينة على ماسيأتى عن المجد آخر الباب السابع (وذكر) ابن زبالة الشجرة التى يضاف اليها مسجد ذى الحليفة ثم روى عن أبى هريرة رضى الله عنه (لاتقوم الساعة حتى يبلغ البناء الشجرة) و(روى) أيضاً عنه (أريتك شرف السيالة وشرف الروحاء فانه منازل أهل الأردن ذا جيز الناس الى المدينة) و(فى) الكبير للطبرانى حديث (سيبلغ البناء سلعاً ثم يأتى على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مدة عامرة من طول الزمان وعفو الأثر) و(روى) النسائى عن أبى هريرة حديث (آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة) و(رواه) الترمذى بنحوه وقال حسن غريب ورواه ابن حبان بلفظ (آخر قرية في الاسلام خرابا المدينة) و(روى) أبو داود عن معاذ مرفوعا (عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال) و(روى) أبو داود أيضا عنه مرفوعا (الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر) و(في) ابن شبة عن أبى هريرة (ليخرجن أهل المدينة من المدينة خير ما كانت نصفا زهوا ونصفا رطبا قيل من يخرجهم منها ياأبا هريرة قال أمراء السوء) و(فيه) أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا نحوه وان عبد الله بن عمر كان يرد عليه فقال له أبو هريرة لم ترد على فوالله لقد كنت أنا وأنت في بيت حين قال النبى صلى الله عليه وسلم (يخرج منها أهلها خير ما كانت) فقال ابن عمر أجل قد كنت أنا وأنت في بيت ولكن لم يقله انما قال أعمر ما كانت ولو قال خير ما كانت لكان ذلك وهو حى وأصحابه فقال أبو هريرة

صدقت والذى نفسى بيده و(فيه) عنه أيضاً (ليجيئن الثعلب حتى يقيل في ظل المنبر ثم يروح لا ينهنهه أحد) وفي (رواية) عنه (لا تقوم الساعة حتى يجيء الثعلب فيربض على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهنهه أحد) و(فيه) أيضاً عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتابا لكعب (ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهى مذللة وحتى يبول السنانير على قطايف الخز مايروعها شيء وحتى يخرق الثعالب في أسواقها مايروعها شيء) و(في) الصحيحين حديث (لتتركون المدينة) ولفظ مسلم (لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها الا العوافي) يريد عوافي الطير والسباع (وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة يريد ان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا) ولفظ مسلم (حتى اذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما) وهو في الموطأ بلفظ (لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذى على بعض سوارى المسجد) و(رواه) ابن شبة ولفظه (فيغذي على سوارى المسجد أو المنبر) و(يغذى) بالغين والدال المعجمتين أى يبول عليها دفعة دفعة يقال غذّت المرأة ولدها بالتشديد اذا أبالته وبالتخفيف اذا أطعمته (وفي) ابن زبالة وتبعه ابن النجار حديث (لاتقوم الساعة حتي يغلب على مسجدى هذا الكلاب والذئاب والضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلى فيه فما يقدر عليه) و(في) ابن شبة بسند صحيح حديث (أما والله لتدعنها مذللة أربعين عاما للعوافي) أتدرون ما العوافي الطير والسباع و(رواه) ابن زبالة بنحوه و(روى) أحمد برجال الصحيح (أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا فأقبل على المدينة وقال ويل أمها قرية يدعها أهلها كأينع ماتكون) الحديث (وفي) رواية له (ويل أمك قرية يدعك أهلك وأنت خير ماتكونين) و(روى) أيضاً باسناد حسن حديث للبشير بن راكب في حب وادى المدينة (فليقولن لقد كان في هذه مرة حاضرة من المؤمنين) و(روى) ايضا برجال ثقاة حديث (المدينة يتركها أهلها وهى مرطبة قالوا فمن يأكلها قال السباع والعائف)

﴿ الفصل الخامس عشر فيما ذكر من وقوع ما أخبر به صلي الله عليه وسلم ﴾
﴿ من خروج أهلها وتركها وذكر كائنة الحرة المقتضية لذلك ﴾

قد اختلف الناس متى يكون هذا الترك (فقال) القاضى عياض ان هذا جرى في العصر الأول وانه من المعجزات فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة الى الشام والعراق وذلك أحسن ما كانت من حيث الدين والدنيا (أما) الدين فلـ

فلكثرة العلماء بها و(أما)الدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها قال وذكر الاخباريون في
بعض الفتن التي جرت بالمدينة وخاف أهلها انه رحل عنها أكثر الناس وبقيت ثمارها
للعوافي وخلت مدة ثم تراجع الناس اليها (وحكى) البدر بن فرحون في شرح الموطأ ومن
خطه نقلت عن القاضي أيضا أنه قال وقد حكي قوم كثيرون انهم رأوا ما أنذر به النبي
صلى الله عليه وسلم من تغذية الكلاب على سوارى مسجدها انتهى. و(قال)النووي الظاهر
المختار ان الترك للمدينة يكون آخر الزمان عند قيام الساعة ويوضحه قصة الراعيين من
مزينة فانهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة ولفظ مسلم واضح فى ذلك فانه
قال ثم يحشر راعيان ويؤيده كونها آخر قرى الاسلام خرابا (قلت)ويؤيده رواية ابن
شبة المتقدمة ليدعنها مذللة أربعين عاما للعوافي وهذا لم يقع اتفاقا على انه ورد ما يقتضى
ان الترك للمدينة يكون متعددا فلعل ماذكره القاضى هو المرة الأولى وبقى الترك الذى
يكون آخر الزمان لأن ابن شبة روى حديث(ليخرجن أهل المدينة من المدينة ثم ليعودن
اليها ثم ليخرجن منها ثم لا يعودون اليها وليدعنها وهى خير ما يكون مونعة)ورو وى أيضا عن
عمر مرفوعا (يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون اليها فيعمرونها حتى تمتلئ وتبنى ثم يخرجون
منها فلا يعودون اليها أبدا) و(روى) ابن شبة عن أبى هريرة قال(آخر من يحشر رجلان
رجل من جهينة وآخر من مزينة فيقولان أين الناس فيأتيان المدينة فلا يريان الا
الثعلب فينزل اليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس)و(روى) أيضا
عن حذيفة بن أسيد قال (آخر الناس محشرا رجلان من مزينة يفقدان الناس فيقول
أحدهما لصاحبه قد فقدنا الناس منذ حين انطلق بنا الى شخص من بنى فلان فينطلقان
فلا يجدان بها أحدا ثم يقول انطلق بنا الى المدينة فينطلقان فلا يجدان بها أحدا ثم يقول
انطلق بنا الى منزل قريش ببقيع الغرقد فينطلقان فلا يريان الا السباع والثعالب فيوجهان
نحو البيت الحرام) (قلت) وكانهما اذا توجها نحو البيت الحرام ينزل اليهما الملكان قبل
ذهابهما فلا يخالف ماتقدم فالظاهر ان ما ذكره القاضى هو الترك الأول وسببه فيما
يظهر كائنة الحرة وقد تقدم من حديث أبى هريرة أنه قيل له من يخرجهم منها ياأبا
هريرة قال أمراء السوء و(روى)الشيخان واللفظ لمسلم عن أبى هريرة مرفوعا (يهلك أمتى
هذا الحى من قريش قال فما تأمرنا قال لو ان الناس اعتزلوهم) و(روى)مسلم عن حذيفة رضى

الله عنه قال (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ماترك شيأ يكون في مقامه ذلك
الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه) الحديث و(فى)رواية عنه
أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن الى ان تقوم القيامة فما من شئ الا
قد سألته الا أني لم أسأله مايخرج أهل المدينة من المدينة و(روى)الترمذى حديثا (اذا مشت
أمتى المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم)
و(روى)ابن شبة عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال والذى نفسى بيده ليكونن بالمدينة ملحمة
يقال لها الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين فاخرجوا من المدينة ولو على
قدر بريد) و(روي)ابن أبي شيبة عنه انه قال اللهم لاتدركنى سنة ستين ولا أمرة الصبيان
يشير الي ان أول الاغيلمة كان في سنة ستين وهو كذلك كما قاله الحافظ بن حجر فان
يزيد بن معاوية استخلف فيها فأشار الى دولة يزيد وفيها كانت وقعت الحرة وتسمى
حرة واقم وحرة زهرة (وروى)الواقدى في كتاب الحرة عن أيوب بن بشير المعادى(أن
النبى صلى الله عليه وسلم خرج سفرا من أسفاره فلما مر بحرة زهرة وقف واسترجع فسىء بذلك
من معه فظنوا ان ذلك من أمر بسفرهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله ماالذى رأيت
فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك ليس من سفركم هذا قالوا فما هو يارسول الله قال
يقتل فى هذه الحرة خيار أمتى بعد أصحابى) و(روى) أيضا عن سفيان ابن أبى أحمد قال
(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أشرف على عبد بني الاشهل أشار بيده فقال يقتل
بهذه الحرة خيار أمتى)و(روى) أيضا عن كعب قال نجد في التوراة ان في حرة شرقى المدينة
مقتلة تضىء وجوههم يوم القيامة صنعا و(روى)أيضا أنه ذكر عند ابن عباس قتلى الحرة فقال ابن
عباس يرحمهم الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقتل بحرة زهرة خيار أمتى)و(روى)
البيهقي في الدلائل خبر أيوب بن بشير المتقدم ثم قال هذا مرسل(وقد) روى عن ابن عباس
في تأويل قوله تعالى «ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها» قال لاعطوها يعنى
ادخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة(ورواه) بالسند الى ابن عباس وقال انه مؤكد
لمرسل ابن بشير وسيأتى في حرة واقم ما رواه ابن زبالة من أن السماء مطرت على عهد عمر
رضى الله عنه فخرج مع أصحابه حتى أتوا حرة واقم وشراجها تطرد فقال كعب أما والله
ياأمير المؤمنين لتسيلن هذه الشراج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء فدنا منه ابن الزبير فقال

يا أبا اسحق ومتى ذلك فقال اياك أن تكون على رجلك أو يدك و(روى) ابن زبالة عن كعب أيضاً انا نجد في كتاب الله حرة شرقيّ المدينة يقتل بها مقتله تضيء وجوههم يوم القيامة كما يضيء القمر ليلة البدر (قلت) وسياق كلام القرطبي يقتضي انها هي السبب في خروج أهل المدينة المذكور في كلام عياض فانه ذكر نحو كلام عياض وقال فلما انتهى حالها يعني المدينة كمالا وحسنا تناقص أمرها الى أن أقفرت جهاتها وتوالت الفتن فيها فخاف أهلها فارتحلوا عنها ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرى في جيش عظيم من أهل الشام فنزل بالمدينة فقاتل أهلها فهزمهم وقتلهم بحرة المدينة قتلا ذريعاً واستباح المدينة ثلاثة أيام فسميت وقعة الحرة لذلك ويقال لها حرة زهرة وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوى فقتل بقايا المهاجرين والانصار وخيار التابعين وهم ألف وسبعمائة وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل ومن قريش سبعة وتسعون قتلوا ظلما في الحرب صبرا قال وقال الامام الحافظ بن حزم في المرتبة الرابعة وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالت وراثت بين القبر والمنبر أدام الله تشريفها وأكرهوا الناس أن يبايعوا ليزيد على انهم عبيد له ان شاء باع وان شاء أعتق وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حكم القرآن والسنة فأمر بقتله فضربت عنقه صبرا وذكر الاخباريون أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها للعوافي كما قال صلى الله عليه وسلم وفي حال خلائها غدت الكلاب على سوارى المسجد انتهى كلام القرطبي (وروي) الطبراني في خبر طويل عن عروة بن الزبير قال لما مات معاوية رضي الله عنه تثاقل عبدالله بن الزبير عن طاعة ابنه يزيد وأظهر شتمه فبلغ ذلك يزيد فأقسم لا يؤتى به الا مغلولاً والا أرسل اليه فقيل لابن الزبير الا تصنع لك أغلالا من فضة تلبس عليها الثوب وتبر قسمه فالصلح أجمل بك قال فلا أبر الله قسمه ثم قال

ولا ألين لغير الحق أسأله ٭ حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دعا الى نفسه فوجه اليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرىّ في جيش أهل الشام وأمرهم بقتال أهل المدينة فاذا فرغ من ذلك صار الى مكة قال فدخل مسلم بن عقبة المدينة وهرب منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاث فيها وأسرف في القتل ثم خرج منها فلما كان في بعض الطريق مات واستخلف حصين بن نمير الكندى ثم

ذكر حصاره ابن الزبير ورميه بالمنجنيق واحتراق الكعبة قال وبلغ حصين بن نمير موت يزيد ابن معاوية فهرب (قلت) وسبب أمر يزيد بقتال أهل المدينة ماذكره الامام ابن الجوزى قال لما دخلت سنة اثنين وستين ولى يزيد عثمان بن محمد بن أبى سفيان المدينة فبعث الى يزيد وفدا من المدينة فلما رجع الوفد أظهروا شتم يزيد وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويلعب بالكلاب وانا نشهدكم انا قد خلعناه وقال المنذر أما والله لقد أجاز في مائة الف درهم ولا يمنعنى ماصنع أن أصدقكم عنه والله انه يشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة ثم بايعوا لعبد الله بن حنظلة الغسيل وأخرجوا عثمان بن محمد عامل يزيد وكان ابن حنظلة يقول ياقوم ماخرجنا على يزيد حتى خفت أن نرمى بالحجارة من السماء والله لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسناً وكانت قصة الحرة سنة ثلاث وستين وفى هذه السنة أخرج أهل المدينة عامل يزيد المتقدم ذكره (قلت) وفى كتاب الحرة للواقدى ماملخصه ان أول ماهاج أمر الحرة ان ابن ميناء كان عاملا على صوافى المدينة وبها يومئذ صوافي كثيرة حتى كان معاوية يجد بالمدينة واعراضها مائة الف وسق وخمسين الف وسق ويحصد مائة الف وسق حنطة واستعمل يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان وان ابن ميناء أقبل بشرج له من الحرة يريد الاموال التي كانت لمعاوية فلم يزل يسوقه ولا يصده عنه أحد حتى انتهى الى بلحارث ابن الخزرج فنقب النقيب فيهم فقالوا ليس ذلك لك هذا حدث وضرر علينا فاعلم الأمير عثمان بن محمد بذلك فأرسل الي ثلاثة من بلحارث فاجابوه الى ان يمر به فاعلم ابن ميناء فغدا باصحابه فذبوهم فرجع الى الأمير فقال اجمع لهم من قدرت وبعث معه بعض جند وقال مر به ولو على بطونهم فغدا ابن ميناء متطاولا عليهم وعدا من ينبهم من الانصار ورفدتهم قريش فذبوهم حتى تفاقم الامر فرجع ولم يعمل شيئاً وكتب عثمان بن محمد الى يزيد يخبره بذلك ويحرضه على أهل المدينة جميعا فاستشاط غضبا وقال والله لأبعثن اليهم الجيوش ولأوطئنها الخيل انتهى . (وقال) ابن الجوزي قال أبو الحسن المداينى وكان من الثقاة أتي أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد فقال عبد الله بن أبى عمرو بن حفص المخزومى قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ونزعها عن رأسه اني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ولكن عدو الله سكير وقال آخر قد خلعته كما

خلعت نعلى حتي كثرت العمائم والنعال ثم ولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى
الانصار عبد الله بن حنظلة ثم حاصر القوم من كان بالمدينة من بنى أمية فى دار مروان
فكتب مروان ومن معه الي يزيد انا قد حصرنا ومنعنا العذب فياغوثاه فوصل
الكتاب اليه فبعث الى مسلم بن عقبة وهو شيخ كبير فجاء حتى دخل عليه وقال له
أخرج وسر بالناس فخرج مناديه فنادى ان تسيروا الى الحجاز على أخذ أعطياتكم
كملا ومعونة مائةدينار توضعفي يد الرجل من ساعته فانتدب لذلك اثنا عشر الف رجل
وكتب يزيد الى ابن مرجانة أن اغز ابن الزبير فقال لا والله لا أجمعها للفاسق أبدا قتل
ابن رسول الله صلي الله عليه وسلم واغزا البيت وقال يزيد لمسلم ان حدث بك حادث
فاستخلف حصين بن نمير السكونى وقال له ادع القوم ثلاثا فان هم أجابوك والا فقاتلهم
واذا ظهرت عليهم فابحها ثلاثا بما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند فاذا مضت
الثلاث فاكفف عنهم وانظر على بن الحسين فاستوص به فانه لم يدخل فى شيء مما دخلوا
فيه فلما بلغ أهل المدينة اقبال الحسين وثبوا على من كان محصورا من بني أمية وقالوا
لا نكف عنكم حتى نضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه ان لا تبغوا غائلة ولا
تدلوا لنا على عورة ولا تظاهروا علينا عدوا فأعطوهم العهد على ذلك فأخرجوهم من المدينة
فخرجوا حتى لقوا مسلم بن عقبة وأرسل اليه مروان ابنه عبد الملك فاشار عليه ان يأتيهم
من ناحية الحرة وان ينتظرهم ثلاثا ففعل فلما مضت الثلاث قال يا أهل المدينة ماتصنعون
قالوا نحارب قال لا تفعلوا وادخلوا فى الطاعة قالوا لا نفعل وكانوا قد اتخذوا خندقا فنزل
منهم جماعة وحمل ابن القتيل على الخيل حتي كشفها وقاتلوا قتالا شديدا وجعل مسلم
يحرض أصحابه وكان به مرض فنصب له سرير بين الصفين وقال قاتلوا عن أميركم
وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون الاموال ورفعوا على النساء وقاتل عبد
الله بن مطيع حتى قتل هو وبنون له سبعة وبعث برأسه الى يزيد فافزع ماجري من
بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و(نقل) الواقدى ان القوم لما قربوا
تشاور أهل المدينة في الخندق خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوا المدينة
بالبنيان من كل ناحية وعملوا فى الخندق خمسة عشر يوما وكان لقريش مابين راتج الى
مسجد الاحزاب والانصار مابين مسجد الاحزاب الى بنى سلمة وللموالى مابين راتج

الى بنى عبد الأشهل فلما وصل القوم عسكروا بالجرف وبعثوا رجالا من رجالهم فاحدقوا
بالمدينة من كل ناحية فما يجدون مدخلا والناس متلبسون السلاح قد قاموا على افواه
الخنادق يرمون بالنبل والحجارة وجلس مسلم بناحية واقم فرأى أمرا هائلا فاستعان
بمروان وكان وعده بوجه فى ذلك لما لقيه بوادى القرى فخرج مروان حتى جاء بنى حارثة
فكلم رجلا منهم ورغبه فى الصنيعة وقال تفتح لنا طريقا فأكتب بذلك الى يزيد
فيصل أرحامكم ففتح لهم طريقا من قبلهم حتى أدخل له الرجال من بني حارثة الى
بني عبد الاشهل وجاء الخبر عبد الله بن حنظلة وكان بناحية الصورين فى أصحابه وأقبل
عبد الله بن مطيع وكان من ناحية ذباب وأقبل ابن هريرة فى الموالى يطوف بهم على
الخنادق وأقبل ابن ربيعه وكان من ناحية بطحان فاجتمعوا جميعا من حيث يدخل أهل
الشام قال محمود بن لبيد قد حضرت يومئذ فانما أتينا من قومنا بني حارثة وكان مروان
حين أخرج عمل به عمل قبيح فكلم رجلا فادخله ومعه فارس ثم جعلت الخيل تنحدر
على أثره وقد وقفنا ببنى عبد الأشهل فقاتلنا ماوجدنا حتى عاينا الموت وكثرت القوم
وتفرق الناس فقتلوا في كل وجه و(روى) الواقدى أيضا أن قصر بني حارثة كان أمانا
لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه وكانت بنو حارثة آمنين وأول دار انتهبت والحرب بعد
لم ينقطع دار بني عبد الله الأشهل انتهي (وأخرج) ابن أبي حيثمة بسند صحيح الي
جويرية بن أسماء سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية رضى الله عنه لما
احتضر دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن
عقبة فانى عرفت نصيحته فلما ولى يزيد وفد عليه عبد الله بن حنظلة وجماعة فاكرمهم
وأجازهم فرجع فحرض الناس على يزيد وعابه ودعاهم الى خلع يزيد فاجابوه فبلغ ذلك
يزيد فجهز اليهم مسلم بن عقبة فاستقبلهم أهل المدينة بجموع كثيرة فهابهم أهل الشام
وكرهوا قتالهم فلما نشب القتال سمعوا في جوف المدينة التكبير وذلك أن بنى حارثة
أدخلوا قوما من الشاميين من جانب المدينة فترك أهل المدينة القتال ودخلوا المدينة
خوفا على أهليهم فكانت الهزيمة وقتل من قتل وبايع مسلم الناس على أنهم خول ليزيد
يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم بماشاء انتهى.(وأخرج) يعقوب بن سفيان في تاريخه
بسند صحيح عن ابن عباس قال جاء تأويل هذه الآية علي رأس ستين سنة «ولو دخلت

عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها» يعنى ادخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة فى وقعة الحرة قال يعقوب وكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين انتهي.(قالوا) وكلمت امرأة مسلم بن عقبة فى ولدها وقالت أنا مولاتك وابني في الاسر فقال عجلوه لها فضربت عنقه وقال اعطوها رأسه أما ترضين ان لا تقتلي حتى تكلمي في ابنك (قلت) وسموه مسرفا لاسرافه فى القتل (ونقل) الواقدي في كتاب الحرة ان يزيد دخل على مسرف وكان قد جعله فى علية لمرضه فقال له لولا مرضك لكنت أنت صاحب هذا الامر لما أعرف نصيحتك قال مسرف أنشدك الله ياأمير المؤمنين ان تولى أمرهم غيرى فاني والله أنا صاحبهم رأيت في النوم شجرة غرقد تصيح باغصانها ياثارات عثمان فأقبلت وجعلت الشجرة تقول على يدى مسلم بن عقبة حتي جئتها فأخذتها فعبرت ذلك انى أكون القائم بامر عثمان فهم قتلته قال يزيد فسر اليهم على بركة الله فأنت صاحبهم وانظر اذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك حزنا فالسيف السيف لا تبق فيهم وأنهبها ثلاثا وأجهز علي جريحهم واقتل مدبرهم واياك ان تبقى عليهم وان لم يعرضوا لك فامض الى ابن الزبير (وروي) ابن الجوزى من طريق المدايني عن جويرية أن مسلما نظر الى قتلى الحرة فقال لان دخلت النار بعدها ولا انى لشقي وأسر أسرى فحبسهم ثلاثة أيام لم يطعموا وجاءوا بسعيد بن المسيب فقالوا بايع فقال أبايع على سيرة أبي بكر وعمر فأمر بضرب عنقه فشهد رجل أنه مجنون فخلى عنه (وعن) المدايني أيضا عن شيخ من أهل المدينة قال سألت الزهري كم كانت القتلى يوم الحرة قال سبعمائة من وجوه الناس قريش والانصار والمهاجرين ومن وجوه الموالى وممن لا يعرف من عبد وحر وامرأة عشرة آلاف وكانت الوقعه لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين (وفى) كتاب الحرة للواقدى قال حدثنى عبد الله بن جعفر قال سألت الزهرى كم قتل من الناس يومئذ قال أما من وجوه الناس فأكثر من سبعمائة من قريش والانصار ووجوه الموالى ثم عدد علىّ من قتل حتى ما كنت أرى أنه بقى أحد الا قتل يومئذ ثم قال الزهري ولقد قتل ممن لا يعرف من الموالى والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف ودخلوها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين (قلت) وقال القرطبي لليلتين بقيتا من ذى الحجة وعن الاقشهرى عن أبي معشر والواقدى انها يوم الأربع

لليلتين خلتا من ذى الحجة (قلت) ولم أره في كتاب الواقدي ولعله سبق قلم والله أعلم (وذكر) المجد أنهم سبوا الذرية واستباحوا الفروج وانه كان يقال لاولئك الاولاد من النساء اللاتى حملن أولاد الحرة قال ثم احتضر الأعيان لمبايعة يزيد فلم يرض الا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد فمن تلكأ أمر بضرب عنقه وجاءوا بعلى بن عبد الله بن عباس فقال الحصين بن نمير يامعشر اليمن عليكم ابن اختكم فقام معه أربعة آلاف رجل فقال لهم مسلم أخلعتم أيديكم من الطاعة فقالوا أما فيه فنعم فبايعه على أنه ابن عم يزيد انتهي. (وعن) المدايني أيضا عن محمد بن عمر قال قال ذكوان مولى مروان شرب مسلم ابن عقبة دواء بعد ما أنهب المدينة ودعا بالغداء فقال له الطبيب لا تعجل فانى أخاف عليك ان أكلت قبل أن تكمل الدواء قال ويحك انما كنت أحب البقاء حتى أشفى نفسي من قتلة عثمان فقد أدركت ما أردت فليس شئ أحب الي من الموت علي طهارتى فانى لا أشك ان الله قد طهرنى من ذنوبى بقتل هؤلاء الأرجاس (قلت) هذا من عظيم حمقه قاتله الله وأشقاه فان هذا مما يزيد فى عظيم جرمه وممن قتل صبرا يومئذ من الصحابة عبد الله بن حنظلة الغسيل (قال) ابن حزم قتل مع ثمانية من بنيه وعبدالله بن زيد حاكي وضوء النبى صلى الله عليه وسلم ومعقل بن سنان الأشجعي وكان شهد فتح مكة وكان معه راية قومه يومئذ وفيه يقول الشاعر

ألا تلكمُ الانصار تبكى سراتها * وأشجع تبكى معقل بن سنان

ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى وقد ذكر ابن جرير الطبرى الامام ان عبد الله ابن الغسيل كان يقول

بعداً لمن رام الفساد وطغى * وجانب القصد وأسباب الهدى

لا يبعد الرحمن الا من عصي

ثم تقدم فقاتل حتى قتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى وأبوه كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ورد وفد تميم وجعل مسلم بن عقبة يطوف على القتلى ومعه مروان بن الحكم حتى مر على عبد الله ابن الغسيل وهو ماد أصبعه السبابة فقال مروان أما والله لئن نصبتها ميتاً لطالما نصبتها حياً (وروى) عن محمد بن كعب القرطبي قال قال مروان لعبدالله بن حنظلة الغسيل وقد

رآه مشيرا بأصبعه وقد يبست لئن أشرت بها ميتا لطالما دعوت وتضرعت بها الى الله فعالى فقال رجل من أهل الشام ان كان مولا كما تقول فما دعوتنا الا لقتل أهل الجنة تقال مروان خالفوا ونكثوا وفى الذيل على بن النجار للعراقي ذكر محمد بن سعد فى الطبقات أن مروان بن الحكم كان يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة وجاء معه معينا له حتي ظفر بهم وانتهب المدينة فلما قدم مروان على يزيد شكرله ذلك وأدناه (وروى) ابن الجوزى بسنده الى سعيد بن المسيب قال ما أصلى لله تعالى صلاة الادعوت علي بنى مروان و(بسنده) أيضا اليه قال لقد رايني ليالى الحرة مافى المسجد أحد من خلق الله غيرى وان أهل الشام ليدخلون زمرا يقولون انظروا الى هذا الشيخ المجنون ولا يأتى وقت صلاة الا سمعت أذانا من القبر ثم أقيمت الصلاة فتقدمت فصليت وما في المسجد أحد غيري (وسنده) أيضا الى المدايني عن أبى قرة قال قال هشام بن حسان ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج (وعن) المدايني أيضا عن أبى عبدالرحمن القرشى عن خالد الكندى عن عمته أم الهيثم ابنة يزيد قالت رأيت امرأة من قريش تطوف فعرض لها أسود فعانقته وقبلته فقلت يا أمة الله أتفعلين هذا بهذا الاسود فقالت هو ابني وقع علىّ أبوه يوم الحرة (ونقله) العراقي فى ذيله عن شيخه أبى المظفر السمعانى أنه روى بسنده الى أبي غزية الأنصارى قال كان قوم من أهل المدينة يجتمعون في مجالس لهم بالليل يسمرون فيه فلما قتل الناس قتلوا ونجا منهم رجل فجاء الى مجلسه فلم يحس منهم أحدا ثم جاء الليلة الثانية فكذلك ثم جاء الثالثة فكذلك فتمثل بهذا البيت

ألا ذهب الكماة وخلفوني * كفى حزنا بذكرى للكماة

قال فنودى من جانب المجلس

فدع عنك الكماة فقد تولت * ونفسك فابكها قبل الممات

فكل جماعة لابد يوما * يفرق بينها شعب الشتات

(وروى) الطبراني عن أبى هارون العبدى قال رأيت أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه ممعط اللحية فقلت تعبث بلحيتك قال لا هذا مالقيت من ظلمة أهل الشام دخلوا زمن الحرة فأخذوا ما كان فى البيت من متاع أوخرثي ثم دخلت طائفة أخرى فلم يجدوا فى البيت شيأ فأسفوا أن يخرجوا بغير شئ فقالوا أضجعوا الشيخ فجعل كل يأخذ من

لحيتى خصلة و(روى) أيضا عن محمد بن سعيد خبرا قال فيه فلما جاء يزيد خلاف ابن الزبير ودعا به الى نفسه دعا مسلم بن عقبة المرى وقد أصابه الفالج وقال ان أمير المؤمنين يعنى أباه عهد الى فى مرضه ان رابنى من أهل الحجاز ريب ان أوجهك اليهم وقد رابنى فقال انى كما ظن أمير المؤمنين أعقد لى وعب الجيوش قال فورد المدينة فأباحها ثلاثا ثم دعا الى بيعة يزيد على انهم أعبد له قن فى طاعة الله ومعصيته فأجابوه الى ذلك الا رجلا واحدا من قريش أمه أم ولد فقال له بايع ليزيد على انك عبد فى طاعة الله ومعصيته قال بل فى طاعة الله فأبى أن يقبل ذلك منه فقتله فأقسمت أمه قسما لئن أمكنها من مسلم حيا أوميتا أن تحرقه بالنار فلما خرج مسلم بن عقبة من المدينة اشتدت علته فمات فخرجت أم القرشى بأعبد لها الى قبر مسلم فأمرت به أن ينبش من عند رأسه فلما وصلوا اليه اذا بثعبان قد التوى على عنقه قابضا بأرنبة أنفه يمصها قال فكاع القوم عنه وقالوا يامولاتنا انصرفي فقد كفاك الله شره وأخبروها فقالت لأوفى الله بما وعدته ثم قالت أنبشوه من عند الرجلين فنبشوا فاذا بالثعبان لاو ذنبه برجليه قال فتنحت فصلت ركعتين ثم قالت اللهم انك تعلم انما غضبت علي مسلم بن عقبة اليوم لك فخل بيني وبينه ثم تناولت عودا فمضت الى ذنب الثعبان فانسل من مؤخر رأسه فخرج من القبر ثم أمرت به فأخرج من القبر ثم أحرق بالنار (قلت) وفى كتاب الحرة للواقدى ان الثابت بالبلد عندنا ان مسرفا لمادفن بثنية المشلل وكانت أم ولد ليزيد بن عبدالله بن ربيعة تسير وراء العسكر بيومين أوثلاثة حتى جاءها الخبر بذلك فانتهت اليه فنبشته ثم صلبته على المشلل قال الضحاك فحدثنى من رآه مصلوبا يرمي كما يرمي قبر أبى دغال و(حدثنى) عبدالرحمن ابن أبي الزناد عن عبدالرحمن بن الحارث قال والله ماخلصت اليه ولقد نبشت عنه ولكنها لما انتهت الى لحده وجدت أسود من الاساود منطويا على رقبته فاتحا فاه فانصرفت عنه وقال ابن الجوزى لما دخلت سنة أربع وستين وقد فرغ مسلم من قتال أهل المدينة سار متوجها الى مكة واستخلف على المدينة روح بن زنباع وسار الى ابن الزبير فمات في الطريق (قلت) وذلك مصداق ماجاء فى من يقصد أهل المدينة بسوء فأهلكه الله سريعا (قال) القرطبي أهلكه الله منصرفه عن المدينة ابتلاه الله بالماء الأصفر فى بطنه فمات بقديد بعد الوقعة بثلاث ليال (وقال) الطبري مات بهرشى بعد الوقعة

بثلاث وكان لحاقته الموفرة يقول عند موته اللهم اني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لااله الا الله أحب الىّ من قتال أهل المدينة ولئن دخلت النار بعدها انى لشقي ثم دعا حصين بن نمير السكوني وقال له أمير المؤمنين ولاك بعدى فأسرع السير ولا تؤخر ابن الزبير وأمره أن ينصب المجانيق على مكة وقال ان تعوذوا بالبيت فارمه وحاصر مكة أربعة وستين يوما جرى فيها قتال شديد وقذفت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الاول وأخذ رجل قبسا فى رأس رمح فطارت به الريح فاحترق البيت فجاءهم نعى يزيد بن معاوية اهلال ربيع الآخر وكان بين الحرة وبين موته ثلاثة أشهر (وقال) القرطبى دون ثلاثة أشهر لانه توفى بالذبحة وذات الجنب فى نصف ربيع الأول فلقد ذاب ذوب الرصاص واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لاينفرد منهم رجل الا أخذ بلجام دابته فنكس عنها فقال لهم بنو أمية لاتبرحوا حتى تحملونا معكم الى الشام ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتي دخلوا الشام وكانت وقعة الحرة وقتل الحسين ورمي الكعبة بالمنجنيق من أشنع شئ جرى في أيام يزيد وقال عبدالرحمن ابن سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم

فان تقتلونا يوم حرة واقم ٭ فنحن على الاسلام أول من قتل
ونحن قتلناكم ببدر أذلة ٭ وأبنا بأسلاب لنا منكم نفل
فان ينج منها عائذ البيت سالماً ٭ فكل الذى قد نابنا منكم جلل(١)

يعني بعائذ البيت عبدالله بن الزبير وهذه الكائنة غير الاغزاء المذكور في حديث البيداء ولهذا روى ابن شبة عن أبى المهزم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال يجئ جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتلون المقاتلة و يبقرون بطون النساء و يقولون الحبلى فى البطن اقتلوا صبابة الشر فاذا علوا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم (قال) ابو المهزم فلما جاء جيش ابن دلجة قلنا هم فلم يكونوا هم (قلت) وقد جاء في بعض الأخبار بيان أن ذلك الجيش جيش السفيانى يبعثه لقتال المهدى (وقال) يحيى بن سعيد لم تترك الصلاة فى هذا المسجد منذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة أيام يوم قتل عثمان و يوم الحرة قال مالك ونسيت الثالث وفى العتبية

(١) وفى رواية ٭ فكل الذى قد نالنا منكم بطل ٭

عن مالك أنه بلغه ذلك عن سعيد بن المسيب بمعناه قال ابن رشد واليوم الثالث الذى ذكر مالك أنه نسيه قال محمد بن عبدالحكم هو يوم خرج به أبوحمزة الخارجي وكان خروجه فيما ذكروا في دولة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية (قال) خليفة بن خياط سار أبوحمزة في أول سنة ثلاثين ومائة يريد المدينة واستخلف على مكة ابراهيم بن الصباح الحميرى وجعل على مقدمته فلح بن عقبة السعدى وخرج أهل المدينة والتقوا بقديد يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة وفلح في ثلاثين ألف فارس فقال لهم خلوا طريقنا فنأتى هؤلاء الذين بغوا علينا وجاروا فى الحكم فانا لانريد قتالكم فأبوا فقاتلوهم فانهزم أهل المدينة وجاءهم أبوحمزة فقال له علي بن الحصين اتبع هؤلاء القوم وأثخن على جريحهم فان لكل زمان حكما والاثخان فى مثل هؤلاء أمثل قال ما أرى ذلك ومضى أبوحمزة الى المدينة فدخلها يوم الاثنين لثلاث عشر خلت من صفر فقى يوم دخوله اياها والله أعلم خلي مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من ان يجمع فيه وأصيب من قريش يومئذ ثلثمائة رجل ومن آل الزبير اثني عشر رجلا فما سمع الناس بواكي أوجع للقلوب من بواكي قديد مابقى بالمدينة أهل بيت الا فيهم بكاء وقالت نائحة تبكيهم

ما للزمان وماليه ٭ أفنى قديد رجاليه
فلأبكين سريرة ٭ ولأبكين علانيه

(قلت) وذكر الذهبى عن خليفة بن خياط فى خبر أبي حمزة هذا ماملخصه ان عبدالله ابن يحيي الاعور الكندي المسمى طالب الحق بعد أن ملك حضرموت وصنعاء بعث الى مكة أبا حمزة الخارجي الأباضى المذكور فخاف عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك وكان والياً على مكة والمدينة وخذله أهل مكة ففارقها فى النفر الأول وقصد المدينة فغلب أبوحمزة على مكة ثم سار منها بعد ان استخلف عليها فلقى بقديد الجيش الذى أرسله عبدالواحد بن سليمان لقتاله فظفر أبوحمزة وسار الى المدينة فدخلها وقتل فيها جماعة منهم أربعون رجلا من بني عبدالعزى وجهز اليه مروان عسكرا فلقي بوادي القرى فلحا وهو على مقدمة أبى حمزة فاقتتلوا فقتل فلح وعامة أصحابه ثم أدركوا أباحمزة بمكة فقتلوه فى خلق من أصحابه ثم ساروا لطالب الحق فقتلوه انتهى ملخصا (قلت) ويحتمل

انما نقل عن الأخباريين فى الخروج من المدينة انما كان فى هذه الكائنة أو قبل ذلك
كله فى كائنة بشر بن أرطاة فان القرطبى قال وذكر أبو عمر الشيبانى قال لما وجه معاوية
رضى الله عنه بشر بن أرطاة لقتل شيعة علي رضى الله عنه سار الى أن أتى المدينة فقتل
ابني عبيد الله بن العباس رضى الله عنهما وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بنى سليم
ولكنه بعيد والأقرب ماقدمناه والله أعلم

﴿ الفصل السادس عشر ﴾ فى ظهور نار الحجاز التى أنذر بها النبي صلى الله عليه وسلم
فظهرت بأرض المدينة وأطفأها الله تعالى عند وصولها الى حرمها كما سنوضحه *

(روينا) فى مسند أحمد برجال ثقات عن أبى ذر قال (أقبلنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرأينا ذا الحليفة فتعجل رجال الى المدينة وبات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبتنا معه فلما أصبح سأل عنهم فقيل تعجلوا الى المدينة فقال تعجلوا الى المدينة
والنساء أما انهم سيدعونها أحسن ما كانت ثم قال ليت شعرى متي تخرج نار بأرض
اليمن من جبل الوراق تضيء منها أعناق الابل ببصرى بروكا كضوء النهار) ورواه ابن
شبة من غير ذكر بأرض اليمن ولفظه (ليتركنها أحسن ما كانت ليت شعرى متي تخرج
نار من جبل الوراق تضىء لها أعناق الابل ببصرى بروكا كضوء النهار) (وأخرج)
الطبرانى فى آخر حديث لحذيفة بن أسد وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
(لاتقوم الساعة حتي تخرج نار من رومان أو ركوبة تضىء منها أعناق الابل ببصرى)
(قلت) وركوبة كما سيأتى ثنية قريبة من ورقان ولعله المراد بجبل الوراق (قال) الحافظ بن
حجر و(رومان) لم يذكره البكرى ولعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة ثم نقل عن
البكرى ان (ركوبة) بين المدينة والشام وسيأتى رده وهذه النار مذكورة فى الصحيحين
فى حديث (لاتقوم الساعة حتي تظهر نار بالحجاز) ولفظ البخارى (تخرج نار من أرض
الحجاز تضىء أعناق الابل ببصرى) و(روى) الطبرانى بسند فيه ضعيف عن عاصم بن
عدى الانصارى قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثان ماقدم فقال أين حُبس وسيل
قلنا لاندرى فمر بى رجل من بنى سُليم فقلت من أين جئت فقال من حبس وسيل
فدعوت بنعلى فانحدرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله سألتنا
عن حبس وسيل فقلنا لاعلم لنا به وانه مر بى هذا الرجل فسألته فزعم ان به أهله فسأله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين أهلك فقال بحبس وسيل فقال أخرج أهلك
منها فانه يوشك أن تخرج منه نار تضىء أعناق الابل ببصرى) وحديث (يوشك نار تخرج
من حبس وسيل تسير سير بطيئة الابل تسير النهار وتقيم الليل) الحديث أخرجه أحمد وأبو
يعلى من رواية رافع بن بشير السلمى عن أبيه (قال) الحافظ الهيثمى رواه أحمد والطبرانى
ورجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة انتهى. و(فى) مسند الفردوس عن عمر
حديث (لاتقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار يضىء له أعناق الابل
ببصرى) وأخرجه ابن عدى فى كامله من طريق عمر بن سعيد التنوخى عن ابن شهاب
عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رفعه وعمر بن
سعيد ذكره ابن حبان فى الثقات وكتبه ابن عدى والدارقطنى وقد ظهرت هذه النار
بالمدينة الشريفة كما سنبينه ولااشكال فى كون المدينة حجازية وأما كونها يمانية فقد
نص عليه الشافعى (قال) البيهقى فى المعرفة قال الشافعى ومكة والمدينة يمانيتان (قلت) وقد
ذكر الشافعى فى الأم حديث (أتاكم أهل اليمن هم الين قلوبا) الحديث ثم روى (ان النبى
صلى الله عليه وسلم وقف على ثنية تبوك فقال ما ههنا شام وأشار بيده الى جهة الشام
وما ههنا يمن وأشار بيده الى جهة المدينة) هكذا نقلته من الأم بهذا اللفظ وهو فى مسند
الشافعي بلفظ (ماههنا شام وأشار بيده الى الشام ومن ههنا يمن وأشار بيده الى جهة
المدينة) (قال) ابن الأثير فى شرحه الغرض منه بيان حد الشام واليمن وقد جعل المدينة
من اليمن انتهى. والعجب ان النووى قال فى فتاويه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
ليست يمانية ولا شامية بل هى حجازية قال وهذا لاخلاف فيه بين العلماء وكأنه لم يقف
على هذا وأما (حبس سيل) فقد قيل ان حبس بالضم ثم السكون بين حرة بنى سليم
والسوارقية وقد كان اقبال هذه النار من المشرق فى جهة طريق السوارقية كما سيأتى
وقال نصر (حبس سيل) بالفتح احدى حرة بنى سليم (قلت) وأهل المدينة اليوم يسمون
السد الآتى وصفه فيما أحدثته هذه النار بالحبس (وفى) كلام ياقوت مايقتضى انه كان
يسمى بالسد قبل هذه النار فانه لم يدركها ومع ذلك قال ان أعلا وادى قناة عند السد
يسمى بالشظاة انتهى. وظهور النار المذكورة بالمدينة الشريفة قد اشتهر اشتهارا بلغ حد
التواتر عند أهل الأخبار وكان ظهورها لانذار العباد بما حدث بعدها فلهذا ظهرت على

قرب مرحلة من بلد النذير صلوات الله وسلامه عليه وتقدمها زلازل مهولة وقد قال تعالى «وما نرسل بالآيات الا تخويفا» وقال تعالى «ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون» ولما ظهرت النار العظيمة الآتى وصفها واشفق منها أهل المدينة غاية الاشفاق والتجؤا الى نبيهم المبعوث بالرحمة صرفت عنهم ذات الشمال وزاحت عنهم الأوجال وظهرت بركة تربته صلى الله عليه وسلم فى أمته ولعل الحكمة فى تخصيصها بهذا المحل مع ماقدمناه من كونه حضرة النذير الرحمة لهذه الأمة فانها لو ظهرت بغيره وسلطان القهر والعظمة التى هى من آثاره قائم لربما استولت على ذلك القطر ولم تجد صارفا فيعظم ضررها على الأمة فظهرت بهذا المحل الشريف لحكمة الانذار فاذا تمت قابلتها الرحمة فجعلتها بردا وسلاما الى غير ذلك من الأسرار وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مستهل جمادى الآخرة أواخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة لكنها كانت خفيفة لم يدركها بعضهم مع تكررها بعد ذلك واشتدت في يوم الثلاثاء على ماحكاه القطب القسطلاني وظهرت ظهورا عظيما اشترك فى ادراكه العام والخاص ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أورابعه فى الثلث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها وانزعجت القلوب لهيبتها واستمرت تزلزل بقية الليل واستمرت الى يوم الجمعة ولها دوى أعظم من الرعد فتموج الارض وتتحرك الجدارات حتي وقع في يوم واحد دون ليلة ثمانية عشر حركة على ماحكاه القسطلاني (وقال) القرطبى قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة وكان بدؤها زلزلة عظيمة فى ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت الى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت وظهرت بقريظه بطرف الحرة ترى في صفة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وابراج ومواذن وترى رجال يقودونها لاتمر على جبل الادكته واذابته ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي الى محط الركب العراقى واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار الى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر وقال لى بعض أصحابنا رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام وسمعت انها رُأيت من مكة ومن جبال بصرى انتهى. و(قال) النووى تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام

و(نقل) أبوشامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضى المدينة الشريفة وغيره ان فى ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة فى الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها وباتت فى تلك الليلة تزلزل ثم استمرت تزلزل كل يوم وليلة مقدار عشر مرات وفى كتاب بعضهم أربعة عشر مرة قال والله لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر الى ان سمعنا منه صوتا للحديد الذى فيه واضطربت قناديل الحرم الشريف زاد القاشانى ثم في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة زلزلت الارض زلزلة عظيمه الى أن اضطربت منام المسجد وسمع لسقف المسجد صرير عظيم (قال) القطب فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار فثار من محل ظهورها في الجو دخان متراكم غشى الأفق سواده فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار فظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق والحكمة في ظهورها في يوم الجمعة غير خافية ففى الحديث (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على) الحديث وفي الحديث أيضا (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة حين تصبح حتي تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لايصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه) رواه أبو داود وهو اليوم الذى أدخره الله لهذه الأمة وأكمل فيه دينهم فاراد الله ان يخوف عباده فيه بذلك ليردهم اليه فتلك النار نعمة فى صورة نقمة ولهذا وجلت منها القلوب وأشفقت وأيقن الناس ان العذاب قد أحاط بهم (قال) القاضى سنان وطلعت الى الأمير وكان عز الدين منيف بن شيحة وقلت له قد أحاط بنا العذاب ارجع الى الله فأعتق كل مماليكه ورد على الناس مظالمهم زاد القاشانى وأبطل المكس ثم هبط الأمير للنبى صلى الله عليه وسلم وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار ولم يبق أحد في النخل الا جاء الى الحرم الشريف وبات الناس يتضرعون ويبكون وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤسهم مقرين بذنوبهم مبتهلين مستجيرين بنبيهم صلى الله عليه وسلم و(قال) القطب ولما عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة واعتبر ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر وأظهر التوبة والانابة وأعتق جميع

مماليكه وشرع في رد المظالم وعزم أهل المدينة على الاقلاع عن الاصرار وارتكاب
الأوزار وفزعوا الى التضرع والاستغفار وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشريف
سنان وأعيان البلد والتجؤا الى الحجرة الشريفة وباتوا بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى
النساء والاطفال فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال ونجوا من
الأوجال فسارت تلك النار من مخرجها وسالت ببحر عظيم من النار وأخذت في وادى
أُحيلِيَين وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ومالت من مخرجها الى جهة
الشمال واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ماذكره المؤرخون (وذكر) القطب القسطلانى في
كتاب أفرده لهذه النار وهو ممن أدركها لكنه كان بمكة فلم يشاهدها أن ابتداءها
يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة وانها دامت الى يوم الأحد السابع والعشرون
من رجب ثم خمدت فجملة ما أقامت اثنان وخمسون يوما لكنه ذكر بعد ذلك أنها
أقامت منطفية أياما ثم ظهرت قال وهي كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى فهى لا يؤمن
عودها وان طفئ وقودها انتهى . فكان ماذكره المؤرخون من المدة باعتبار انقطاعها
بالكلية وطالت مدتها ليشتهر أمرها فينزجر بها عامة الخلق ويشهدوا من عظمها عنوان
النار التي أنذرهم بها حبيب الحق (وذكر) القسطلاني عن من يثق به ان أمير المدينة
أرسل عدة من الفرسان الى هذه النار للاتيان بخبرها فلم تجسر الخيل على القرب منها
فترجل أصحابها وقربوا منها فذكروا أنها ترمى بشرر كالقصر ولم يظفروا بجلية أمرها
فجرد عزمه للاحاطة بخبرها فذكر أنه وصل منها الي قدر غلوتين بالحجر ولم يستطع أن
يجاوز موقفه من حرارة الأرض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابلة مايتصاعد
من اللهب فعاين نارا كالجبال الراسيات والتلال المجتمعة السائرات تقذف بزبد
الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج وعقد لهيبها فى الأفق قتاما حتى ظن الظان أن
الشمس والقمر كسفا اذ سلبا بهجة الاشراق فى الآفاق ولولا كفاية الله كفتها لأكلت
ماتقدم عليه من الحيوان والنبات والحجر انتهي.و(ذكر) الجمال المطرى مايخالف بعض هذا
فانه قال أخبرنى علم الدين سنجر العزى من عتقاء الأمير عز الدين منيف بن شيحة
صاحب المدينة قال أرسلنى مولاى الأمير عز الدين بعد ظهور النار بأيام ومعى شخص
من العرب وقال لنا ونحن فارسان اقربا من هذه النار وانظرا هل يقدر أحد على القرب

منها فان الناس يهابونها لعظمها فخرجت أنا وصاحبي الى أن قربنا منها فلم نجد لها حرا
فنزلت عن فرسى وسرت الى أن وصلت اليها وهي تأكل الصخر والحجر فأخذت سهماً
من كنانتى ومددت به يدى الى أن وصل النصل اليها فلم أجد لذلك ألما ولا حرا فغرق
النصل ولم يحترق العود فأدرت السهم وأدخلت فيها الريش فاحترق الريش ولم يؤثر فى
العود و(ذكر) المطرى قبل ذلك أنها كانت تأكل كلما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل
الشجر قال وظهر لى في معنى ذلك انه لتحريم النبى صلى الله عليه وسلم شجر المدينة فمنعت
من أكل شجرها لوجوب طاعته صلى الله عليه وسلم على كل مخلوق (قلت) وذكر القسطلانى
ان هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادى الشظاة وهى تسحق
ماوالها وتذيب مالاقاها من الشجر الأخضر والحصى من قوة اللظى وان طرفها الشرقى
أخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت وان طرفها الشامى وهو الذى يلي الحرم اتصل
بجبل يقال له وعيرة على قرب من شرقي جبل أحد ومضت فى الشظاة الذى فى طرفه
وادى حمزة رضى الله عنه ثم استمرت حتي استقرت تجاه حرم النبى صلى الله عليه وسلم
فطفئت قال وأخبرنى شخص أعتمد عليه انه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرة كان
بعضه خارجا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت الى مادخل منه فى الحرم طفئت
وخمدت انتهي . وهذا أولى بالاعتماد من كلام المطرى لان المطرى لم يدرك هذه النار
وان أدرك من أدركها بخلاف القطب فانه أدركها واعتنى بجمع أخبارها وأفردها بالتصنيف
ولم يقف عليه المطرى وهذا أبلغ فى الاعجاز حيث لم تدخل هذه النار حرمه الشريف
اذ هى للانذار والتخويف وهو نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم (وقد) نقل أبوشامة عن
مشاهدة كتاب القاضي سنان الحسينى أن سيل النار انحدر مع وادى الشظاة حتى حاذى
جبل أحد وكادت النار تقارب حرة العريض وخاف الناس منها خوفا عظيما ثم سكن قتيرها
الذى يلي المدينة وطفئت مما يلي العريض بقدرة الله تعالى فرجعت تسير فى الشرق
وهو مؤيد لما ذكره القطب ومشاهدة آثارها اليوم تقضى بذلك (قال) المطرى وأخبرنى
بعض من أدركها من النساء انهن كن يغزلن علي ضوءها بالليل على أسطحة البيوت
بالمدينة الشريفة و(قال) القسطلاني ان ضوءها استوى على ما بطن من القيعان وظهر
من القلاع حتى كأن الحرم النبوى عليه الشمس مشرقة وجملة أماكن المدينة بأنوارها

محدقة ودام على ذلك لهبهـا حتى تأثر له النيّران وصار نور الشمس على الارض تعتريه صفرة ولونها من تصاعد الالتهاب يعتريه حمرة والقمر كأنه قد كسف من اضمحلال نوره قال وأخبرنى جمع ممن توجه للزيارة على طريق المشيان أنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمجدّ وآخرون أنهم شاهدوها من جبال ساية (قلت) نقل أبوشامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضى المدينة ان هذه النار رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ورآها أهل ينبع (قال) أبوشامة وأخبرنى بعض من أثق به ممن شاهـدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوءها الكتب (وقال) المجد والشمس والقمر في المدة التى ظهرت بها مايطلعان الا كاسفين (قال) أبوشامة وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان وكنا حيارى من سبب ذلك الى أن بلغنا الخبر عن هذه النار وكل من ذكر هذه النار يقول في آخر كلامه وعجائب هذه النار وعظمتها يكل عن وصفها البنان والأقلام ويجل عن ان يحيط بشرحها البيان والكلام فظهر بظهورها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لوقوع ماأخبر به وهى هذه النار اذ لم تظهر من زمنه صلى الله عليه وسلم قبلها ولا بعدها نار مثلها و (قال) القسطلاني ان جاء من أخبر برؤيتها ببُصرى فلا كلام والا فيحتمل أن يكون ذكر ذلك فى الحديث على وجه المبالغة فى ظهورها أوأنها بحيث ترى وقد جاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرى منها مثل ماهى من المدينة فى البعد (قلت) قد تقدم عن القرطبي أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرى وصرح الشيخ عماد الدين ابن كثير بما يقتضى انه أضاءت من هذه النار أعناق الابل ببصرى فقال أخبرنى قاضى القضاة صدر الدين الحنفى قال أخبرنى والدى الشيخ صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التى ظهرت فيها هذه النار ممن كان بحاضره بلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق ابلهم فى ضوء تلك النار فقد تحقق بذلك أنها الموعود بها والحكمة فى انارتها بالأماكن البعيدة من هذا المظهر الشريف حصول الانذار ليتم به الانزجار كما اتفق لأهل المدينة وفى هذا المعنى يقول قائلهم

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا * لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكوا اليك خطوبا لانطيق لها * حملا ونحن بها حقا أحقاء
زلازلاً تخشع الصم الصلاب لها * وكيف تقوى على الزلزال شماء

أقام سبعا يرج الأرض فانصدعت * عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجرى فوقه سفن * من الهضاب لها في الارض ارساء
ترى لها شررا كالقصر طائشة * كأنها ديمة تنصب هطلاء
تنشق منها بيوت الصخر ان زفرت * رعبا وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثف فى الجو الدخان الى * ان عادت الشمس منه وهى دهماء
قد أثرت سعفة فى البدر لفحتها * فليلة التم بعد النور عمياء
تحدث النيرات السبع ألسنها * بما تلاقي بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج الى * ان صار يلفحها بالارض أهواء
فباسمك الاعظم المكنون ان عظمت * منا الذنوب وساء القلب أسواء
فاسمح وهب وتفضل بالرضى كرما * وارحم فكل لفرط الجهل خطاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف التعذيب عنهم وعم القوم نعماء
ونحن أمة هذا المصطفى ولنا * منه الى عفوك المرجو دعاء
هذا الرسول الذى لولاه ماسلكت * محجة فى سبيل الله بيضاء
فارحم وصل على المختار ماخطبت * على علا منبر الأوراق ورقاء

(قال) المؤرخون وكان ظهور هذه النار من صدر واد يقال له وادى الأحيلين و (قال) البدر بن فرحون انها سالت فى وادى أحيلين وموضعها شرقي المدينة على طريق السوارقية مسيرة من الصبح الى الظهر (قال) القطب القسطلانى ظهرت فى جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة فى موضع يقال له قارع الهيلاء على قرب من مساكن قريظة شرقي قباء فهى بين قريظة وموضع يقال له أحيلين فثارت من هذا القاع ثم امتدت فيه آخذة في الشرق الى قريب من أحيلين ثم عرجت واستقبلت الشام سائلة الى أن وصلت الى موضع يقال له قُرين الأرنب بقرب من أحد فوقفت وانطفت وانصرفت انتهى. (قال) المؤرخون واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال وتسيل سيلا ذريعا فى واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهى تجرى على وجه الأرض والصخر يذوب حتي يبقي مثل الآنك فاذا خمد اسود بعد أن كان أحمر ولم يزل يجتمع من هذه الحجارة المذابة فى آخر الوادى

عند منتهي الحرة حتي قطعت فى وسط وادى الشظاة الى جهة جبل وعيرة فسدت الوادى المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار ولا كسد ذى القرنين يعجز عن وصفه الواصف ولا مسلك لانسان فيه ولا دابة (قلت) وهذا من فوائد ارسال هذه النار فان تلك الجهة كثيرا مايطرق منها المفسدون لكثرة الأعراب بها فصار السلوك الى المدينة متعسرا عليهم جدا (قال) القسطلانى أخبرني جمع ممن أركن الى قولهم ان النار تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية (قال) المؤرخون وانقطع وادى الشظاة بسبب ذلك وصار السيل اذا سال ينحبس خلف السد المذكور حتي يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا فانخرق من تحته فى سنة تسعين وستمائة لتكاثر الماء من خلفه فجرى فى الوادى المذكور سنتين كاملتين أما السنة الأولى فكان قدملأ ما بين جانبي الوادى وأما الثانية فدون ذلك ثم انخرق مرة أخرى فى العشر الأول بعد السبعمائة فجرى سنة كاملة أو أزيد ثم انخرق فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان ذلك بعد تواتر أمطار عظيمة فى الحجاز فكثر الماء وعلا من جانبي السد ومن دونه مما يلي جبل وعيرة وتلك النواحى فجاء سيل طام لاتوصف ولو زاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل الى المدينة وكان أهل المدينة يقفون خارج باب البقيع على التل الذى هناك فيشاهدونه ويسمعون خريرا توجل القلوب دونه فسبحان القادر على مايشاء (ومن) العجائب ان في السنة التى ظهرت فيها هذه النار احترق المسجد الشريف النبوى بعد انطفائها كما سيأتى وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير وكان ذلك انذارا لهم وليتهم اتعظوا (ثم) في أول السنة التي تلى هذه السنة وقعت الطامة الكبرى وهى أخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة المستعصم وبعده المسلمون وبذل السيف ببغداد نيفا وثلثين يوما وأخرجت الكتب فالقيت تحت أرجل الدواب وشوهد بالمدرسة المستنصرية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللبن وخلت بغداد من أهلها واستولى عليها الحريق على ماذكره سعيد الزهلى واحترقت دار الخلافة وعم الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة وشوهد علي بعض حيطان منها مكتوب

ان ترد عبرة فهذى بنو العباس * دارت عليهم الدائرات

استبيح الحريم اذ قتل الأحياء منهم وأحرق الأموات

ثم كثر الموت والفناء ببغداد وطوى بساط الخلافة منها من ذلك الزمان فلله الخلق والأمر وقد نظم بعضهم خروج هذه النار وغرق بغداد وأصلحه أبوشامة منبها على أن الأمرين فى سنة بقوله

سبحان من أصبحت مشيئته * جارية فى الورى بمقدار

فى سنة أغرق العراق وقد * أحرق أرض الحجاز بالنار

(قال) المجد ومما يناسب هذه النار وتضاهيها ماحكاه ابن جبير انه رأى من أخبره أن في بحر رومية جزيرتين يخرج منهما النار دائما قال وابصرنا الدخان صاعدا منهما وتظهر بالليل نار حمراء ذات السن تصعد فى الجو قال واعلمنا ان خروجها من جبلين يصعد منهما نفس نارى شديد وربما قذف فيها الحجر فتلقى به مسودا الى الهواء بقوة ذلك النفس وتمنعه من الانتهاء الى القعر (قال) وأما الجبل الشامخ الذى بالجزيرة المعروف بجبل النار فشأنه أيضا عجيب وذلك ان نارا تخرج منه فى بعض السنين كالسيل العرم فلا تمر بشئ الا أحرقته حتي تنتهى الى البحر فتركب ثبجه طائرة على صفحته حتى تغوص فيه (قلت) وأقرب من ذلك فى مناسبة هذه النار ماذكره ابن شبة في أخبار المدينة عند ذكر خالد بن سنان العبسى الذى قال النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءته ابنته هذه ابنة نبى ضيعه قومه فروى ابن شبة فى خبره من طرق ماملخصه انه كان بأرض الحجاز نار يقال لها نار الحدثان (حرة بأرض بنى عبس) تعشى الابل بضوءها من مسيرة ثمانى ليال وربما خرج منها العنق فذهب فى الارض فلا يبقى شيئا الا أكله ثم يرجع حتي يعود الى مكانه وان الله تعالى أرسل اليها خالد بن سنان فقال لقومه ياقوم ان الله أمرنى أن أطفئ هذه النار التي قد أضرت بهم فليقم معي من كل بطن رجل فخرج بهم حتى انتهى الى النار فخط عليهم خطا ثم قال اياكم ان يخرج أحد منكم من هذا الخط فيحترق ولا ينوهن باسمى فاهلك وجعل يضرب النار ويقول بدًّا بدًّا(١) كل هدى لله مودًّا حتى عادت من حيث جاءت وخرج يتبعها حتى الجأها فى بئر فى وسط الحرة منها تخرج النار فانحدر فيها خالد (وفى درة الغواص) فاذا هو بكلاب تحتها فرضهن بالحجارة

(١) أى تبددى وتفرقى

يثرب(وروى)عن ابن عباس مايدل له(وقال) ياقوت كان أول من زرع بالمدينة واتخذبها النخل وعمر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع العماليق وهم بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكانت العماليق ممن انبسط فى البلاد فأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز كله الى الشام ومصر وجبابرة الشام وفراعنة مصر منهم وكان منهم بالبحرين وعمان أمة يسمون جاسم وكان ساكن المدينة منهم بنو هف وبنو مطرويل وكان ملكهم بالحجاز الأرقم بن أبى الأرقم وأسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم ان ضبعا رؤيت وأولادها رابضة فى حجاج عين رجل من العماليق(والحجاج) بكسر أوله وفتحه العظم الذى ينبت عليه الحاجب(قال)زيد بن أسلم وكان تمضى أربعمائة سنة ومايسمع بجنازة وأسند رزين عن ابن المنذر الشرقى قال سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيدالله بن حنظلة الغسيل قال وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عبدالله بن عمار بن ياسر قال فجمعت حديثهما لكثرة اتفاقه وقلة اختلافه قالا بلغنا انه لما حج موسى صلوات الله عليه حج معه أناس من بنى اسرائيل فلما كان فى انصرافهم أتوا على المدينة فرأوا موضعها صفة بلد نبى يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به فنزلوا فى موضع سوق بنى قينقاع ثم تألفت اليهم أناس من العرب فرجعوا على دينهم فكانوا أول من سكن موضع المدينة وذكر بعض أهل التواريخ ان قوما من العمالقة سكنوه قبلهم(قلت)وهو الأرجح و(أسند) ابن زبالة مصدرا به كتابه فى بدء من سكنها عن مشيخة من أهل المدينة قالوا كان ساكن المدينة فى سالف الزمان صعل وفالج فغزاهم داود النبى عليه الصلاة والسلام وأخذ منهم مائة ألف عذراء قالوا وسلط الله عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا فقبورهم هذه التي في السهل والجبل وهى التى بناحية الجرف وبقيت امرأة منهم تعرف بزهرة وكانت تسكن بها فاكثرت من رجل وأرادت الخروج الى بعض تلك البلاد فلما دنت لتركب غشيها الدود فقيل لها انا لنرى دودا يغشاك فقالت بهذا هلك قومي ثم قالت رب جسد مصون ومال مدفون بين زهرة ورانون قالوا وقتلها الدود (قلت) وداود بعد موسى عليهما السلام وكان يدعوا الى شريعته وقد عبر ابن النجار عما سبق بقوله (قال)أهل السير أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح قوم يقال لهم صعل وفالج وذكر قصة داود ملخصة ثم

قال قالوا وكان قوم من الأمم يقال لهم بنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق فيما بين مخيض الى غراب الضائلة الى القصاصين الى طرف أحد فتلك آثارهم هنالك و(روى) ابن زبالة عند ذكر جماء أم خالد بواد العقيق عن عثمان بن عبدالرحمن قال وجد قبر في الجماء عليه حجر مكتوب فيه فهبط بالحجر فقرأه رجل من أهل اليمن فاذا فيه أنا عبدالله رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان بن داود الى أهل يثرب وأنا يومئذ على الشمال و(روى) أيضا عن عمر بن سليم الزرقي قال رقينا الجماء فوجدنا قبرا ارميا على رأسها عنده حجران مكتوبان لا تقرأ كتابتهما فحملناهما فثقل علينا أحدهما فرميناه فى الجماء وأخذت الآخر فكان عندى فعرضته على أهل التوراة من يهود فلم يعرفوه ثم عرضته على أهل الانجيل من النصارى فلم يعرفوه فأقام عندى حتى دخل المدينة رجلان من أهل ماه فسألتهما هل كان لكم كتاب قالا نعم فأخرجت اليهما الحجر فقرآه فاذا فيه أنا عبدالله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم الى أهل قرى عرينة وقالا نحن كنا أهل هذه القرية في أس الدهر وسيأتى بقية ماجاء فى ذلك فى رابع فصول الباب السابع(وأسند) ابن زبالة أيضا عن عروة بن الزبير قال كانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطئ الشام وأهلك من بها يعني من الكنعانيين وقيل بعث اليهم بعثا فأهلك من كان بها منهم ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم أن لا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلوهم حتى انتهوا الى ملكهم الأرقم ابن أبي الأرقم فقتلوه وأصابوا ابناله وكان شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح وقالوا لم نستبق منهم الا هذا الفتى فانا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا ابدا فقال الجيش مابلد اذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذى خرجتم منه وكان الحجاز اذ ذاك اشجر بلاد الله واظهره ماء قال وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق وفى الروض الانف عن أبي الفرج الأصبهاني ان السبب في كون

اليهود بالمدينة وهى وسط أرض العرب ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العمالق من أرض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكر نحو ماتقدم ثم قال وأصح من هذا ماذكره الطبرى ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين وطئ بختنصر بلادهم بالشام وخرب بيت المقدس انتهي.(وحكي) ابن النجار عن بعض العلماء ان سببه ان علماؤهم كانوا يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وانه يهاجر الي بلد فيه نخل بين حرتين فاقبلوا من الشام يطلبون الصفة فلما رأوا تيماء وفيها النخل نزلها طائفة منهم وظن طائفة انها خيبر فنزلوها ومضى أشرفهم وأكثرهم فلما رأوا يثرب سبخة وحرة وفيها النخل قالوا هذه البلد التى يكون مهاجر النبي العربي عليه الصلاة والسلام فنزل النضير بطحان ثم حكي ما سيأتى من نزول قريظة والنضير بمذينب ومهزور وحكي ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب الى بني هرون وفى دينهم ان لايزوجوا النصارى فخافوه وانعموا له وسألوه أن يشرفهم باتيانه اليهم فاتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم فى طلبهم فأعجزوا رسله وانتهى الرسل الى ثمد بين الحجاز والشام فماتوا عنده عطشا فسمي الموضع ثمد الروم وهو معروف بذلك والله أعلم أى ذلك كان و(روى) بعض أهل السير عن أبي هريرة رضى الله عنه قال بلغنى أن بنى اسرائيل لما أصابهم ماأصابهم من ظهور بختنصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا وكانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم منعوتا فى كتابهم وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية فى قرية ذات نخل ولما خرجوا من أرض الشام كانوا يعبرون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فينزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه حتي نزل من بني هرون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم انه جاء ويحثون أبناؤهم على اتباعه اذا جاء فادركه من أدركه من ابنائهم فكفروا به وهم يعرفونه أى حسدا للأنصار حيث سبقوهم اليه (وقال) ابن زبالة عقب ماقدمناه عنه من عود الجيش

من بنى اسرائيل الى الحجاز وسكناهم المدينة فركحوا منها حيث شاؤا أى تفسحوا وتبوؤا فكان جميعهم بزهرة وكانت لهم الأموال بالسافلة وزهرة تُبْرة أى (أرض سهلة) بين الحرة والسافلة مما يلى القف ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول مما يلي زغابة قالوا وكانت يثرب سقيفة طويلة فيها بغايا يضرب اليهن من البلدان وكانوا يروّحون في قرية يثرب ثمانين جملا جونا سوى سائر الالوان ثم أسند عن محمد بن كعب القرظى انه قال وخرجت قريظة واخوانهم بنو هدل وعمرو ابناء الخزرج بن الصريح بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى بن جبر بن النحام بن عازر بن عيزر بن هرون بن عمران عليه السلام والنضير بن النحام بن الخزرج بن الصريح بعد هؤلاء فتبعوا آثارهم فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما مذينيب ومهزور فنزلت بنو النضير على مذينيب واتخذوا عليه الاموال فكانوا أول من احتفر بها أى بالعالية الآبار وغرس الأموال قال ونزل عليهم بعض قبائل العرب فكانوا معهم فاتخذوا الأموال وابتنوا الآطام والمنازل و(أسند) هو وابن شبة أيضاً عن جابر مرفوعا أقبل موسى وهرون حاجين فمرا بالمدينة فخافا من يهود فخرجا مستخفيين فنزلا أحدا فغشي هرون الموت فقام موسى فحفر له ولحد ثم قال ياأخى انك تموت فقام هرون فدخل في لحده فقبض فحثى عليه موسى التراب(قلت) واسناد بن شبة لابأس به غير أن فيه رجلا لم يسم وسماه ابن زبالة وذلك المسمى لابأس به أيضاً لكن ابن زبالة لايعتمد عليه في ذلك وهو دال على ان اليهود نزلوا المدينة في زمن موسى عليه السلام وطالت مدتهم بها في حياته حتى وقع منهم مايقتضى خوفه منهم عند مروره وهو انما يتأتى على ماقدمناه من انه لما حج ومعه ناس من بنى اسرائيل فرأوا موضع المدينة صفة بلد خاتم النبيين فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ويكون مااتفق لموسى وهرون عليهما السلام في حجة أخرى بعد ذلك وسيأتى في مسجد عرق الظبية بالروحاء حديث(ولقد مر به موسى بن عمران حاجاً ومعتمرا في سبعين ألفاً من بنى اسرائيل) ومن الغريب مانقل الحافظ بن حجر عن كتاب الأنواء لعبد الملك بن يوسف قال ان قريظة كانوا يزعمون انهم من ذرية شعيب نبي الله عليه السلام وان ذلك محتمل فان شعيباً كان من بني جذام القبيلة المشهورة (قال) الحافظ بن حجر وهو بعيد جدا (ونقل) ابن زبالة ماحاصله ان ممن كان من العرب مع يهود قبل

الأنصار بنو أنيف حى من بلى ويقال انهم بقية من العماليق وبنو مريد حى من بلى وبنو معاوية بن الحرث بن بهثة بن سليم وبنو الجذماء حى من اليمن وكانت الآطام عز أهل المدينة ومنعتهم التى كانوا يتحصنون فيها من عدوهم و(روى) حديث النهى عن هدم آطام المدينة قال وكان لبنى أنيف بقباء الأجش عند البئر التى يقال لها لاوة وأطمان فيما بين المال الذى يقال لها المائة والمال الذى يقال له القائم وآطام عند بئر عذق وغيرها قال شاعرهم فيها

ولو نطقت يوما قباء لخبرت * بأنا نزلنا قبل عاد وتبع

وآطامنا عادية مشمخرة * تلوح فتنكى من نعادى وتمنع

وكان ممن بقى من اليهود حين نزلت عليهم الأوس والخزرج جماعات منها بنو القصيص وبنوا ناغصة كانوا مع بنى أنيف بقباء وكان بقباء رجل من اليهود يقال انه من بنى النضير كان له أطم يقال له عاصم كان فى دار توبة بن حسين بن السائب بن أبى لبابة وفيه البئر الذى يقال لها قباء وقيل ان بنى ناغصة حى من اليمن كانت منازلهم فى شعب بنى حرام حتى نقلهم عمر بن الخطاب الى مسجد الفتح ومنها بنو قريظة فى دارهم المعروفة بهم اليوم وكان لهم بها آطام من ذلك أطم الزبير بن باطا القرظى كان موضعه فى موضع مسجد بنى قريظة وأطم كعب بن أسد يقال له بلحان بالمال الذى يقال له الشجر وله يقول الشاعر

من سره رطب وماء بارد * فليأت أهل المجد من بلحان

وكان مع قريظة فى دارهم اخوتهم بنو هدل وبنو عمرو المتقدم ذكرهم وانما سمى هدلا بهدل كان فى شفته ومن ولده ثعلبة وأسد ابنا سعية وأسد بن عبيد ورفاعة بن سموأل وسخيت ومنبه ابنا هدل ومنها بنو النضير فى النواعم ومنهم كعب بن الأشرف وكان لهم عامة أطم فى المال الذى يقال له فاضجه وأطم فى زقاق الحارث دبر قصر ابن هشام دون بنى أمية بن زيد كان لعمر بن جحاش وأطم البويلة وغير ذلك هذا ماذكره ابن زبالة (ونقل) ابن عساكر عن الواقدى أنه قال كانت منازل بنى النضير بناحية الغرس (قلت) والظاهر أنهم كانوا بالنواعم وتمتد منازلهم وأموالهم الى ناحية الغرس والى ناحية الصافية وما معها من صدقات النبى صلى الله عليه وسلم وبعض منازلهم كانت بجفاف لان فاضجة به ورأيت بالحرة فى شرقى النواعم آثار حصون وقرية بقرب مذينيب يظهر

انها من جملة منازلهم وان ما فى قبلة ذلك فى شرقى العهن من منازل بنى أمية بن زيد كما سيأتى ومنها بنو مريد فى بنى خطمة وناعمة ابراهيم بن هشام وكان لهم أطم يعرف بهم فيه بئر و(منها) بنو معاوية فى بنى أمية بن زيد ومنها بنو ماسكة بقرب صدقة مروان بن الحكم مما يلى صدقة النبى صلى الله عليه وسلم وكان لهم الاطمان اللذان فى القف فى القرية و(منها) بنو محمم فى المكان الذى يقال له بنو محمم وكان لهم المال الذى يقال له خُنافة معروف اليوم وكان رجل منهم قطع يد رجل فى الجاهلية فقال المقطوع اعطنى خنافة عقلا يدى فأبى وحفر للذى قطعه كوة فى خنافة ثم أخرج يده منها من ورا الحائط وقال اقطع فقطع يده فقال حين قطع يده

الآن قد طابت ذرى خنافة * طابت فلا جوع ولا مخافة

و(منها) بنو زعورا عند مشربة أم ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم ولهم الأطم الذى عندها وكان الأطم الذى فى مال جحاف لبعض من كان هناك من اليهود و(منها) بنو زيد اللات قال ابن زبالة وهم رهط عبد الله بن سلام كانوا قريبا من بنى غصينة ومنها بنو قينقاع عند منتهى جسر بطحان مما يلى العالية وكان هناك سوق من أسواق المدينة وكان لهم الأطمان اللذان عند منقطع الجسر على يمينك وأنت ذاهب من المدينة الى العالية اذا سلكت الجسر وغير ذلك (وفى) صحيح البخارى عن ابن عمر أن بنى قينقاع هم رهط عبد الله بن سلام خلاف ماتقدم عن ابن زبالة (قال) الحافظ بن حجر وهم من ذرية يوسف الصديق عليه السلام (ومنها) بنو حُجر عند المشربة التى عند الجسر ولهم أطم يعرف بهم و(منها) بنو ثعلبة وأهل زهرة بزهرة وهم رهط الفطيون وهو ملكهم الذى كان يفتض نساء أهل المدينة قبل أن يدخلن على أزواجهن وكان لهم الأطمان اللذان على طريق العريض حين يهبط من الحرة وكانت بزهرة جُماع من اليهود وكانت من أعظم قرى المدينة وقد بادوا ومنها ناس كانوا بالجوانية بفتح الجيم وتشديد الواو والياء المثناة من تحت موضع بقرب أحد فى شمالى المدينة كما سيأتى ولهم أطمان صارا لبنى حارثة بن الحرث وهما صرار والريان ولذلك يقول نهيك بن سياف

لعل صرارا أن تعيش يباره * ويسمع بالريان تبنى مشاربه

وكانت بنوا الجذماء المتقدم ذكرهم وهم حى من اليمن مابين مقبرة بنى عبد الأشهل وبين

قصر ابن عراك ثم انتقلوا الى رانج و(منها) بنوا عكوة في يمانى بني حارثة و(منها) بنو مرابة في شامى بني حارثة ولهم الأطم الذى يقال له الشبعان في ثمغ صدقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنها ناس براتج وهو أطم سميت به الناحية وهو الذى يقول له قيس بن الخطيم

الا أن بين الشرعبى وراتج ＊ ضرابا كتخديم السبال المعضد

ومنها ناس بالشوط والعنابس والواجوز بالة الى عين فاطمة حيث كان يطبخ الاجر لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لأهل الشوط الأطم الذى يقال له الشرعبى وهو الأطم الذى دون ذباب وقد صار لبنى جشم بن الحارث بن الخزرج أى الأصغر يعنى أخوة بنى عبد الأشهل وكان لأهل الواج أطم بطرفه مما يلى قناة وكان لبعض من هناك من اليهود الأطمان اللذان يقال لهما الشيخان بعفضاهما المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى أحد وكان لأهل زبالة الأطمان عند كومة أبى الحمراء الرابض والذى دونهما (ومنها) أهل يثرب وكانوا جماعا من اليهود بها وقد بادوا فلم يبق منهم أحد (قلت) ونقل رزين عن الشرقى أن يهود كانوا نيفا وعشرين قبيلة وقال ابن النجار ان آطامهم كانت تسعة وخمسين أطما وللعرب النازلين عليهم قبل الأنصار ثلاثة عشر أطما وقد ذكر ابن زبالة اسماء كثير منها حذفناه لعدم معرفته في زماننا فهذا علم من سكن المدينة بعد الطوفان الى قدوم الأوس والخزرج

＊﴿ الفصل الثانى في سبب سكنى الأنصار بها ﴾＊

(نقل) ابن زبالة وغيره ان اليهود لم تزل هى الغالبة بالمدينة الظاهرة عليها حتى كان من أمر سيل العرم ما كان وما قص الله من قصته في مائه يعنى قصة أهل مأرب ومأرب مهموز أرض سبأ المعنية بقوله تعالى «بلدة طيبة» عن ابن عباس انها كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها أى بمغزلها وتسير بين ذلك الشجر فيمتلئ مما يتساقط فيه من الثمر فطغوا وقيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمة الله عليهم فكذبوهم وقالوا مانعرف لله نعمة قال المسعودى وكان طول بلدهم أكثر من شهرين للراكب المجد وكذلك عرضها وكان أهلها في غاية الكثرة مع اجتماع الكلمة والقوة وكانوا كما قص الله من خبرهم بقوله «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها» يعنى قرى الشام قرى ظاهرة يعنى متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها

فكانوا آمنين في بلادهم تخرج المرأة لاتتزود شيئا تبيت في قرية وتقيل في أخرى حتى تأتى الشام فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا لانهم بطروا النعمة وملوها وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الاجابة كما قال «فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق» وعن الضحاك انهم كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فسلط عليهم سيل العرم قيل (العرم) المطر الشديد وقيل جرذ(١) أعمى فنقب عليهم السد وكان فرسخا في فرسخ بناه لقمان الأكبر العادى وكان بناه للدهر على زعمه وكان يجتمع اليه مياه اليمن ثم تتفرق في مجارى على قدر حاجة جناتهم وقيل بناه سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان وساق اليه سبعين واديا ومات قبل ان يكمله فاكمله بعده ملوك حمير وكان أولاد حمير بن سبأ وأولاد كهلان بن سبأ سادة اليمن في ذلك الزمان وكان كبيرهم وسيدهم جد الأنصار عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء مزيقياء بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ويقال الأسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ذكر نسبه كذلك ابن هشام وابن حزم وابن الكلبى فيما نقله عنه بن عبد البر ونقل غيره عنه انه جعل ثعلبة بين حارثة وبين امرىء القيس وكانت الأنصار تقول سمى عمر ومزيقياء لانه كان يلبس في كل يوم حلتين ثم يمزقها لئلا يلبسها أحد بعده وقيل لأبيه ماء السماء لجوده وقيامه عند الجدب مقام الغيث وكان لعمرو مزيقياء أخ كاهن لم يعقب يسمى عمران وكانت زوجة عمرو مزيقياء يقال لها طريفة من حمير وكانت كاهنة فولدت له ثلاثة عشر رجلا ولدت ثعلبة وهو الذى أخرج جرهم من مكة هو وأخوته ومن انخزع معه من الأزد على مانقله رزين ونقل ان والد ثعلبة وهو عمرو بن عامر توفي قبل غلبة ثعلبة لجرهم وثعلبة أبو الأوس والخزرج وولدت له أيضا حارثة والد خزاعة على ما سيأتى وقيل غير ذلك وولدت له أيضا جفنة والد غسان سموا باسم ماء نزلوا عليه يقال له غسان والأشهر انهم بنو مازن بن الأزد بن الغوث وولدت له أيضا وداعة وأبا حارثة والحارث وعوفا وكعبا ومالكا وعمران هؤلاء أعقبوا كلهم والثلاثة الباقون لم يعقبوا (وقال) ابن حزم ان غسان هم بنو الحارث وجفنة ومالك وكعب بني عمرو

(١) جرذ كصرد ضرب من الفأر والجمع جرذان اه قاموس

مزيقياء شربوا كلهم من ماء غسان بخلاف بقية ولد عمرو مزيقياء فلم يشربوا من ذلك الماء فليسوا غسان وكان لعمرو بن عامر بمأرب من القصور والأموال مالم يكن لأحد و(نقل) رزين انه كان أول شيء وقع بمأرب من أمر سيل العرم ان عمران بن عامر رأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم وان بلادهم ستخرب فذكر ذلك لأخيه عمرو ابن عامر فكان بين التصديق والتكذيب فبينا طريفة امرأته ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم انسحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت فذعرت ذعرا شديدا فسكنوها فقالت ياعمرو بن عامر الذى رأيت في الغيم. أذهب عني النوم. رأيت غيما أرعد وأبرق. طويلا ثم أصعق. فما وقع على شيء الا احترق. فما بعده الا الغرق. فلما رأوا مابها خفضوها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فخرجت نحوه فلما خرجت من بيتها عارضها ثلاث مناجذ وهي دواب تشبه اليرابيع منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت على الأرض فلما ذهبت المناجذ خرجت مسرعة فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب وتستعين بيدها فلا تستطيع فتحذف التراب على نفسها وتقذف بالبول من تحتها فلما رأت طريفة ذلك جلست على الأرض حتى عادت السلحفاة الى الماء ثم مضت طريفة حتى دخلت الحديقة التى فيها عمرو بن عامر حين انتصف النهار في ساعة شديد حرها واذا الشجرة من غير ريح تتكفأ فمرت حتى دخلت على عمرو فلما رآها قال هلمى ياطريفة فقالت والنور والظلماء . والارض والسماء ان الماء لغاير وان الشجر لهالك فقال عمرو ومن أخبرك بذلك قالت أخبرتني المناجذ بسنين شدائد. يقطع فيها الولد الوالد . وسلحفاة تحذف بالتراب حذفا. وتقذف بالبول قذفا. ورأيت الشجر من غير ريح ولا مطر تكفأ قال وما ترين ذلك قالت داهية وكيمة. وأمور جسيمة. قال اماان كان ذلك فلك الويل. قالت أجل وما لعمرو فيها من نيل. مما يجيء به السيل. فألقى بنفسه على الفراش وقال ماهذا الذى تقولين الا أمر جليل. وخلف قليل. وأخذ القليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ماتذكرين قالت اذا رأيت جرذا يكثر في السد الحفر. ويقلب منه بيديه الصخر. فاعلم ان قد وقع الامر. فانطلق عمرو الى السد ينظر فاذا جرذ تقلب بيديه ورجليه الصخرة مايقلها خمسون رجلا من

أسد فرجع الى طريفة فأخبرها ثم رأى عمرو رؤيا أنه لابد من سيل العرم وقيل ان آية ذلك أن ترى الحصا قد ظهر في ثمر بالنخل فذهب فرأى ذلك فعرف أن ذلك واقع وأن بلادهم ستخرب فكتم ذلك وأخفاه وأجمع على أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ويخرج منها هو وولده فخشى أن يستنكر الناس ذلك فاحتال في الأمر فأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا وبعث الى أهل مأرب بأجمعهم وكان فيمن دعا يتيما كان رباه وأنكحه وقال له فيما بينه وبينه اذا أنا جلست أطعم الناس فاجلس بجنبي ثم نازعني الحديث واردد عليّ مثل ماأقول لك وافعل بي مثل ماأفعل بك فكلمه عمرو في شيء فرد عليه فضرب عمرو وجهه وشتمه ففعل اليتيم به مثله فصاح عمرو واذلاه اليوم ذهب فخر عمرو ومجده فحلف ليقتلنه فلم يزالوا به حتى تركه وقال والله لاأقيم ببلدة صنع بى هذا فيه أبدا ولأبيعن أموالى كلها وأرحل عنكم فاغتنم الناس غضبه واشتروا منه أمواله فباع جميع عقاره وتبعه ناس من الأزد فباعوا أموالهم ولما كثر البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا فلما اجتمع عند عمرو بن عامر أثمان أمواله أخبر الناس بأمر سيل العرم فخرج من مأرب ناس كثير وأقام بها من قضى عليه بالهلاك هذا مانقله رزين في تاريخه وقد اقتفيت أثره فى ذلك فى كتابى و(ذكر) ابن هشام في سيرته نحوه وقال ان الأسد يعنى الأزد قالوا لانتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه وقيل كانت طريفة زوجة ثعلبة وانه صاحب القصة والمحتال في بيع ماله (وقال) ياقوت ان عمرو بن عامر مات قبل سيل العرم وصارت الرئاسة الى أخيه عمران بن عامر الكاهن وكان عاقرا لايولد له. وأنه صاحب القصة مع طريفة الكاهنة وأنها أقبلت عليه يوما وقالت والظلمة والضياء. والارض والسماء. ليقبل اليكم الماء. كالبحر اذا طما. فيدع أرضكم فلايسفى عليها الصبا. وذكر القصة وأنه احتال لبيع أمواله بأن قال لحارثة أحد أولاد أخيه عمرو بن عامر اذا اجتمع الناس الىّ فانى سآمرك بأمر فأظهر فيه العصيان فاذا ضربت رأسك بالعصى فقم الىّ والطمنى فقال وكيف يلطم الرجل عمه فقال افعل يابني فان فى ذلك صلاحك وصلاح قومك وذكر القصة قال فجاء بعد رحيلهم بهديدة السيل وقد خرب الجرذ السد فلم يجد مانعا فغرق البلاد حتى لم يبق من جميع الارضين والكروم الا ماكان في رؤس الجبال

والامكنة البعيدة مثل ذمار (١) وحضرموت وعدن وذهبت الضياع والحدائق والجنان وجاء السيل بالرمل وطمها فمضى على ذلك الى اليوم و باعد الله بين أسمارهم كما سألوا ونقل رزين أن عمرو بن عامر الكاهن (قال) لهم عند خروجهم سأصف لكم البلاد فقال من كان منكم ذا هم بعيد. وجمل شديد. ومراد حديد. فليلحق بقصر عمان المشيد . فسكنها أزد عمان (قال) ومن كان منكم ذا هم غير بعيد. وجمل غير شديد. ومراد غير حديد . فليلحق بالشعب من كرود وهى من أرض همدان فكان الذين سكنوه وداعة بن عمرو بن عامر فانتسبوا في همدان (قال) ومن كان منكم ذا هم مدن وجمل معيي فليلحق بالثنى من شن وهو بالسراة فسكنه أزد شنوءة (قال) ومن كان منكم ذا جلد و بصر. وله صبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر . فسكنته خزاعة (قال) ومن كان منكم يريد الراسخات في الوحل. المطعمات في المحل. فليلحق بالحرة ذات النخل . فكان الذى سكنوها الأوس والخزرج (قال) ومن كان يريد الخمر والخمير. والديباج والحرير. والامر والتأمير. فليلحق ببصرى وسدير. وهما من أرض الشام فكان الذين سكنوه آل جفنة بن غسان (قال) ومن كان يريد الثياب الرقاق. والخيول العتاق. والكنوز من الارزاق. فليلحق بالعراق. فكان الذين لحقوا بالعراق جذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة من غسان (قلت) وقيل ان الذى سجع لهم بذلك طريفة الكاهنة وانها قالت ومن كان منكم يريد الراسخات في الوحل. المطعمات فى المحل. فليلحق بيثرب ذات النخل. و (روي) ابن زبالة سجع عمرو بن عامر في المدينة بلفظ من كان يريد الراسيات في الوحل. المطعمات في المحل. المدركات بالذحل. فليلحق بيثرب ذات النخل. فلما سمعوا ذلك القول خرج عمرو بن عامر بجميع ولده ومن معه من الأزد يريد أرضا يقيمون بها ففارقهم وداعة بن عامر فسكن همدان ثم سار عمرو حتى كان بين الشراة ومكة أقام هنالك ناس من الأزد وأقام معهم عمران بن عمرو بن عامر ثم سار عمرو في باقى ولده وفي ناس من بني مازن من الأزد حتى نزلوا ماء يقال له غسان وغلب عليهم اسمه حتى قال شاعرهم

(١) ذمار كسحام وقطام قرية على مرحلتين من صنعاء سميت بقيل (القيل) الملك أو هو أول ملوك حمير وهو دون الملك الاعلا وأصله قيل كنيل سمى به لانه يقول ماشاء فينفذ اه قاموس

اما سألت فانا معشر نجب ٭ الأزد نسبتها (٢) والماء غسان

(قال) أبو المنذر الشرقى ومن ماء غسان انخزع لحي واسمه ربيعة بن حارثة بن عمرو بن حارثة فأتى مكة فتزوج بنت عامر الجرهمى ملك جرهم فولدت له عمرو بن لحى الذى غير دين ابراهيم فسمى ولده خزاعة لان أباهم تخزع من غسان و(قال) غيره ما يخالف ذلك فروي الأزرقى أن عمرو ابن عامر سار هو وقومه لا يطؤن بلدا الا غلبوا عليه فلما انتهوا الى مكة وأهلها جرهم قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسماعيل وغيرهم أرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يقول ياقوم انا خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلدا الا فسح أهله لنا فنقيم معهم حتى نرسل روادنا فيرتادون لنا بلدا تحملنا فافسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل روادنا الى الشام والمشرق فحيث ماقيل لنا انه أمثل لحقنا به فأبت جرهم ذلك فأرسل اليهم ثعلبة انه لابد لى من المقام فان تركتمونى نزلت وحمدتكم وواسيتكم فى الماء والمرعى وان أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معى الا فضلا ولا تشربوا الا رنقا (يعنى الكدر) فان قاتلتمونى قاتلتكم ثم ان ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ولم أترك أحدا منكم ينزل الحرم أبدا فأبت جرهم فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم انهزمت جرهم فلم ينفلت منهم الا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها بسا كره حولا فأصابتهم الحمي وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى فدعوا طريفة الكاهنة فشكوا اليها الذى أصابهم فقالت قد أصابنى الذى تشكون ثم ذكر الأزرقى سجعها فى أمر الدلالة على البلاد فى هذا المحل هو غير سجع عمران بن عامر عند تفرقهم من سبأ ثم ذكر لحوق كل فرقة منهم ببلدها على النحو الذى قدمناه وأن الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم الأنصار نزلوا بالمدينة ثم قال وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولى أمر مكة فهذا يقتضى أنهم انما افترقوا من مكة ولا شك ان منها افترق الذين وصلوا اليها وقال ياقوت انهم لما ساروا من اليمن عطف ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السما بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول ابن مازن الراد بن الغوث نحو الحجاز فأقام مابين الثعلبية الى ذى قار وباسمه سميت الثعلبية فنزلها بأهله وولده ومن تبعه فأقام هناك يتبع مواقع القطر فلما كثر ولده وقوى

(٢) ويروى نسبتنا

ركنه سار بهم نحو المدينة وبها يهود فاستوطنوها فأقاموا بها بين قريظة والنضير وخيبر وتيماء ووادى القرى ونزل أكثرهم بالمدينة

﴿ الفصل الثالث فى نسبهم ﴾

قد قدمنا انتسابهم الى عمرو مزيقياء وانتساب عمرو الى قحطان (وقال) رزين نقلا عن الشرقى أصل الأنصار الأوس والخزرج وهما من ولد ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يعرب بن قحطان وكأنه سقط من النسخة بعد الغوث بن نبت فانه بين مالك والغوث كما قدمناه وجماع قبائل اليمن تنتهي الى قحطان وقحطان اختلف في نسبه فالأكثرون قالوا انه عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وقيل هو من ولد هود نفسه وقيل ابن أخيه ويقال قحطان أول من تكلم بالعربية وهو والد العرب المتعربة وأما اسماعيل فهو والد العرب المستعربة وأما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وغيرهم وقيل ان قحطان أول من قيل له أبيت اللعن وعم صباحا وذهب الزبير بن بكار الى أن قحطان من ذرية اسماعيل عليه السلام وانه قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن اسماعيل عليه السلام ويدل له تبويب البخارى بأن نسبة اليمن الى اسماعيل وأورد فيه الحديث المتضمن لمخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم بني أسلم بأنهم من بنى اسماعيل وأسلم هو ابن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس صاحب النسب المتقدم فدل علي أن اليمن بنى قحطان من بنى اسماعيل وهو ظاهر قول أبى هريرة فى الصحيحين فى قصة هاجر فتلك أمكم يابني ماء السما يخاطب الأنصار لأن جدهم عامرا والد عمرو كان يلقب بذلك كما تقدم وأراد أبو هريرة رضى الله عنه العرب كلهم لكثرة ملازمتهم الفلوات التى بها مواقع القطر وهذا متمسك من ذهب الى أن جميع العرب من ولد اسماعيل عليه السلام (قال) ابن حبان فى صحيحه كل من كان من ولد اسماعيل يقال له ماء السماء لان اسماعيل ولد هاجر وقد ربى بماء زمزم وهى من ماء السماء ورجح عياض أن مراد أبي هريرة الأنصار خاصة ونسبتهم الى جدهم المعروف بماء السماء انتهى. ودلالته على ان قبائل اليمن كلهم من ولد اسماعيل ظاهرة (قال) الحافظ بن حجر وهو الذى يترجح فى نقدى (وقد) ذكر ابن عبد البر من طريق

القعقاع بن أبى حدرد ان النبى صلي الله عليه وسلم مر بناس من أسلم وخزاعة وهم يتناضلون فقال (ارموا بنى اسماعيل) وأسلم وخزاعة قد تقدم نسبهما فى قبائل اليمن التى جماع نسبتها قحطان ومما يؤيد ذلك قول المنذر بن عمرو جد حسان بن ثابت الأنصارى

و رثنا من البهلول عمرو بن عامر * وحارثة الغطريف مجدا مؤثلا
مآثر من آل بن نبت بن مالك * ونبت بن اسماعيل ما ان تحولا

وأول ذلك كله المخالفون بتأويلات بعيدة بل الذى أميل اليه ان العرب كلهم من ولد اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه وان لم يتم ذلك فالعرب الذين لهم الشرف بالتقديم فى الكفاءة وغيرها شرعا هم بنو اسماعيل ويدل له قول بعض أصحابنا فى الامامة اذا لم يوجد قرشى مستجمع للشروط نصب كناني فان لم يكن فرجل من ولد اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه فان تعذر انتقلنا الى العجم ولم يقولوا انتقلنا الى بقية العرب لكن فى التتمة للمتولى فان لم يوجد رجل من ولد اسماعيل عليه السلام يولى جرهمى وجرهم أصل العرب فان لم يوجد فرجل من ولد اسحاق عليه السلام انتهي. وهو مخالف لقول البغوى فى التهذيب فان لم يوجد ولد اسماعيل فمن العجم وأيضا فالمتولى جعل جرهم متأخرين عن ولد اسماعيل وجعل لهم فضلا فى الجملة على العجم كذا قدم بعض العجم على بعض واسماعيل أبو العرب الذين شرف نسبهم بمشاركة نسبة أشرف الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وهو الأس فى ذلك وعربي اللسان لاعبرة به على ان فى مستدرك الحاكم من حديث ابن عباس أول من نطق بالعربية اسماعيل لكن في الصحيح ان اسماعيل تعلم العربية من جرهم الذين نزلوا مع أمه (قال) ابن اسحاق وكان جرهم وأخوه قطورا ابنا قحطان أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن (قلت) وهو جار على رأى من يقول ان العرب كلها ليست من ولد اسماعيل وروى الزبير بن بكار فى النسب من حديث علىّ باسناد حسن قال أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة اسماعيل فبهذا القيد يجمع بين الخبر المقدم وبين ما فى الصحيح فيكون أوليته فى ذلك بحسب الزيادة فى البيان لا الأولية المطلقة فيكون بعد تعلم أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فعلى تقدير تسليم أن العرب كلهم ليسوا من ولد اسماعيل فالمستحق للشرف انما هو عربية اسماعيل فيمتاز بنوه بما تقدم وقال ابن دريد فى الوشاح أول من نطق

بالعربية يعرب بن قحطان ثم اسماعيل (ونقل) ابن هشام عن الشرقي أن عربية اسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم وكله جار على خلاف ماقدمناه من أن العرب كلها من ولد اسماعيل والله أعلم . وأم الانصار فى قول الكلبي قيلة بنت عمرو بن جفنة وقال ابن حزم هى بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء ويقال بنت كاهل بن عذرة من قضاعة وقضاعة من حمير عند الأكثر واشتهرت الأنصار ببني قيلة ولهم يقول القائل

بها ليل من أولاد قيلة لم يجد ٭ عليهم خليط من مخالطة عتبا
مطاعيم في المقرى مطاعين فى الوغى ٭ يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

و(ذكر) رزين عن الشرقى عقب ماقدمناه عنه من أن الأنصار أصلهم الأوس والخزرج وهما من ولد ثعلبة بن عمرو فقال فولد ثعلبة بن عمرو بن حارثة الأوس والخزرج وأمهما قيلة فولد الأوس مالكا ومن مالك قبائل الأوس كلها فولد لمالك عمرو وعوف ومرة ويقال لهم أوس الله وهم الجعاذرة سموا بذلك لقصر فيهم (قلت) وسيأتى مايخالف هذا مع بيان قبائل الأوس المنتشرة من هؤلاء و(روى) الخرايطى انه لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو الوفاة اجتمع عليه قومه فقالوا قد حضر من أمر الله ما ترى وقد كنا نأمرك في شبابك أن تتزوج فأبيت وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير مالك فقال لن يهلك هالك ترك مثل مالك ان الذى يخرج النار من الوثيمة قادر أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكل الى موت ثم أقبل على مالك فقال أى بني المنية ولا الدنية وذكر حكما سجع بها قال ثم أنشأ يقول

شهدت السبايا يوم آل محرق ٭ وأدرك عمرى صيحة الله فى الحجر
فلم أر ذا ملك من الناس واحدا ٭ ولا سوقة الا الي الموت والقبر
فعل الذى أردي ثمودا وجرهما ٭ سيعقب لى نسلا على آخر الدهر
تقربهم من آل عمرو بن عامر ٭ عيون لدى الداعى الى طلب الوتر
فان تكن الأيام أبلين جدتى ٭ وشيبن رأسى والمشيب مع العمر
فان لنا ربا علا فوق عرشه ٭ عليما بما يأتى من الخير والشر
ألم يأت قومى ان لله دعوة ٭ يفوز بها أهل السعادة والبر

اذا بعث المبعوث من آل غالب ٭ بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغوا نصره ببلادكم ٭ بنى عامر ان السعادة فى النصر

ثم قضى من ساعته (وقال) ابن حزم ان بنى عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس كانوا كلهم بعمان لم يكن منهم بالمدينة أحد فليسوا من الأنصار (قال) الشرقي وولد الخزرج من حارثة أخو الأوس أيضا خمس بنين وتفرقوا بطونا كثيرة (قلت) وهم عمرو وعوف وجشم وكعب والحارث وسيأتى بيان ماانتشر من قبائلهم (وقال) ابن حزم ان عقب السائب بن قطن بن عوف بن الخزرج لم يكن منهم أحد بالمدينة كانوا بعمان فليسوا من الأنصار وذكر نحو ذلك فى بعض بنى الحارث بن الخزرج الأكبر كما سيأتى وذكر أيضا ان بعض بنى جفنة ابن عمرو مزيقياء كانوا بالمدينة فى عداد الأنصار والله أعلم

٭﴿ الفصل الرابع فى تمكنهم بالمدينة وظهورهم على يهود وما اتفق لهم مع تبع ﴾٭

(قال) الشرقي لما قدمت الأوس والخزرج المدينة تفرقوا في عاليتها وسافلتها ومنهم من نزل مع قوم من بنى اسرائيل فى قراهم ومنهم من نزل وحده لامع بنى اسرائيل ولا مع العرب الذين كانوا قد تألفوا الى بنى اسرائيل وكانت الثروة فى بنى اسرائيل كانوا نيفا علي عشرين قبيلة ولهم قرى أعدوا بها الآطام فنزلت الأوس والخزرج بينهم وحوالبهم (وقال) ابن زبالة عن مشيخة من أهل المدينة قالوا أقامت الأوس والخزرج بالمدينة ووجدوا الأموال والآطام والنخيل فى أيدى اليهود ووجدوا العدد والقوة معهم فمكثت الأوس والخزرج ماشاء الله ثم انهم سألوهم ان يعقدوا بينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض ويمتنعون به ممن سواهم فتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا فلم يزالوا على ذلك زمانا طويلا وأمرت الاوس والخزرج وصار لهم مال وعدد فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم ان يغلبوهم على دورهم وأموالهم فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذى كان بينهم وكانت قريظة والنضير أعد وأكثر وكان يقال لهما الكاهنان وبنو الصريح وفى ذلك يقول قيس بن الحطيم مثنيا عليهم

كنا اذا رامنا قوم بمظلمة ٭ شدت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا
نسوا الرهون وآسونا بأنفسهم ٭ بنو الصريح فقد عفوا وقد كرموا

فأقامت الأوس والخزرج فى منازلهم خائفين ان تجليهم يهود حتى نجم منهم مالك

ابن العجلان أخو بنى سالم بن عوف بن الخزرج وسوده الحيان الأوس والخزرج
وكان الفطيون أى (بالفاء المكسورة) وقال ياقوت الفيطوان ملك اليهود بزهرة وكانت
لا تهدى عروس بيثرب من الحيين الأوس والخزرج حتى تدخل عليه فيكون هو الذى
يفتضها قبل زوجها فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلا من قومها فبينا مالك فى
نادى قومه اذ خرجت أخته فضلاء فنظر اليها أهل المجلس فشق ذلك على مالك ودخل
فعنفها وأنبها فقالت مايصنع بى غدا أعظم من ذلك أهدى الى غير زوجي فلما أمسى
مالك اشتمل على السيف ودخل على الفطيون متنكرا مع النساء فلما خف من عنده عدا
عليه فقتله وانصرف الى دار قومه ثم بعث هو وجماعة من قومه الى من وقع بالشام
من قومهم يخبرونهم بحالهم ويشكون اليهم غلبة اليهود وكان رسولهم الرمق بن زيد
ابن امرئ القيس أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج وكان قبيحا دميا شاعرا بليغا
فمضى حتى قدم على أبي جبيلة أحد بنى جشم بن الخزرج الذين ساروا من يثرب الى
الشام (وقال) بعضهم كان أبو جبيلة من ولد جفنة بن عمرو بن عامر قد أصاب ملكا
بالشام وشرفا (قلت) قد تقدم ان أبناء جفنه من غسان وكانوا بالشام ملوكا ولما ذكر
ابن حزم بنى جشم بن الخزرج (قال) فولد جشم غضب فولد غضب مالك فولد مالك عبد
حارثة فولد عبد حارثة حبيب فولد حبيب عبد الله فولد عبد الله أبا جبيلة الملك الغسانى الذى
جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود انتهى. وفيه نظر اذ ليس من بطون الخزرج غسانى
كما يؤخذ مما قدمناه عن ابن حزم أيضا والمشهور ماقدمناه قالوا فشكى اليه حالهم
وغلبة اليهود عليهم وما يتخوفون منهم وأنهم يخشون أن يخرجوهم وأنشده من شعره
فتعجب من شعره وبلاغته وقبحه ودمامته وقال عسل طيب فى وعاء خبيث فقال
الرمق أيها الملك انما يحتاج من الرجل الى أصغريه لسانه وقلبه فقال صدقت وأقبل
أبو جبيلة فى جمع كثير لنصرة الأوس والخزرج كذا قاله ابن زبالة (وقد) نقل رزين عن
الشرقي مايقتضى أن مالك بن العجلان هو الذى توجه بنفسه وأن ما ذكر من سيرة
الفطيون فى افتضاض الأبكار انما كانت فى غير الأوس والخزرج وانه أراد ان يسير
فيهم بذلك فقتله مالك بن العجلان فانه قال ان الفطيون كان قد شرط ان لا تدخل
امرأة على زوجها حتى تدخل عليه فلما سكن الأوس والخزرج المدينة أراد ان يسير

فيهم بتلك السيرة فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلا من بنى سليم فارسل الفطيون
رسولا فى ذلك وكان مالك أخوها غائبا فخرجت تطلبه فمرت بقوم أخوها فيهم فنادته
فقال أخوها لقد جئت بسبة ياهنتاه تنادينى ولا تستحيي فقالت الذى يراد بي أكبر
فاخبرته فقال لها أكفيك ذلك فقالت وكيف فقال أتزيا بزى النساء وأدخل معك
عليه بالسيف فاقتله ففعل ثم خرج حتى قدم الشام فنزل علي أبي جبيلة وكان نزلها حين
نزلوا هم المدينة فجيش جيشا عظيما وأقبل كأنه يريد اليمن واختفى معهم مالك بن
العجلان فجاء فنزل بذى حُرض وأرسل الى أهل المدينة من الأوس والخزرج فاتوا
اليه فوصلهم وأعطاهم ثم أرسل الى بني اسرائيل يعنى اليهود وقال من أراد الحباء من
الملك فليخرج اليه وانما فعل ذلك خيفة ان يتحصنوا في الحصون فلا يقدر عليهم فخرج
اليه أشراف بني اسرائيل كلهم فأمر لهم بطعام حتى اجتمعوا فقتلهم من عند آخرهم
فلما فعل ذلك صار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة ففى ذلك يقول البلوى يمدح
مالكا فيما فعل

فليشهدن بما أقول عصابة * بلوية وعصابة من سالم
هل كان للفطيون عُقر نسائكم * حكم النصيب وليس حكم الحاكم
حتى حباه مالك عن عرسه * حمرا تضحك عن نجيع قائم

ثم ذكر أبياتا نسبها الى أبى يزيد بن سالم أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج
مدح بها أبا جبيلة ونسبها ابن زبالة للرمق فانه قال ان الأوس والخزرج قالوا لأبي
جبيلة لما قدم لنصرهم ان علم القوم مانريد تحصنوا في آطامهم فلم نقدر عليهم ولكن
ادعهم للقائك وتلطفهم حتى يأمنوك ويطمئنون فتستمكن منهم فصنع لهم طعاما وأرسل
الى وجوههم ورأسائهم فلم يبق من وجوههم أحد الا أتاه وجعل الرجل منهم يأتى بحامته
وحشمه رجاء أن يحبوهم وكان قد بنى لهم حيزا وجعل فيه قوما فامرهم ان يقتلوا من
دخل عليهم منهم ففعلوا حتى أتوا على وجوههم ورأسائهم فعزت الأوس والخزرج
بالمدينة واتخذوا الديار والأموال والآطام فقال الرمق يثني على أبى جبيلة

لم تقض دينك من حسان * وقد غنيت وقد غنينا
قضيت همك فى الحسان * فقد عنيت وقد عنينا

(وفي رواية رزين)

الراشقات المرشقا * ت الجازيات بما جزينا
امثال غزلان الصرا * يم يأتزرن ويرتدين
الريط والديباج وال * حلى المفصل والسبرينا
وأبو جبيلة خير من * يمشي وأوفاه يمينا
وأبرهم برا وأعـ * لمهم بهدي الصالحينا
القائد الخيل الصوا * نع بالكماة المعلمينا
ابقت لنا الايام وال * حرب الملمة تعترينا
كبشا له درء يفل * متونها الذكر السمينا
ومعاقلا شما وأسـ * ـيافا يقمن وينحنينا
ومحله زوراء تجحف بالرجال الظالمينا

وفى بعض الروايات ان مالك بن العجلان لما قتل الفطيون قصد اليمن الى تبع الأصغر فشكى اليه ما كان الفطيون يسير فيهم فعاهد ان لا يقرب امرأة ولا يمس طيبا ولا يشرب خمرا حتى يسير الى المدينة ويذل من بها من اليهود ففعل ذلك وذكر ابن قتيبة فى معارنة تبع ابن حسان قال وهو تبع الأصغر آخر التبابعة وذكر انه صار الى الشام وملوكها غسان فاطاعته قال وصار الى ابن أخيه الحارث وهو بالمستقر من ناحية هجر فأتاه قوم كانوا وقعوا الى يثرب ممن خرج مع عمرو مزيقياء وحالفوا اليهود بيثرب أى وهم الأنصار فشكوا اليهود وذكروا سوء مجاورتهم ونقضهم الشرط الذى شرطوه لهم عند نزولهم ومتوا اليه بالرحم فأحفظه(١) ذلك فصار الى يثرب ونزل فى سفح أحد وبعث الى اليهود فقتل منهم ثلاث مائة وخمسين رجلا صبرا وأراد خرابها فقام اليه رجل من اليهود قد أتت عليه مائتان وخمسون سنة فقال أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب وأمرك أعظم من أن يطير بك برق أو يسرع بك لجاج فانك لا تستطيع ان تخرب هذه القرية قال ولم قال لأنها مهاجر نبى من ولد اسماعيل يخرج من عند هذه البنية يعني البيت الحرام فكف تبع ومضى ومعه هذا اليهودى ورجل آخر من اليهود عالم وهما الحبران

(٢) احفظه أغضبه قاموس

فاتى مكة وكسي البيت ثم رجع الى اليمن ومعه الحبران وقد دان بدينهما وآمن بموسى صلى الله عليه وسلم انتهى. فلعل مالك بن العجلان كان قد توجه الى جهة ملك غسان وبها تبع المذكور فوقع من كل منهما نصرة فاضافه قوم الى تبع وقوم الى أبى جبيلة الغسانى قالوا ولعنت اليهود مالك بن العجلان في كنائسهم وبيوت عباداتهم فبلغه ذلك فقال

تحامى اليهود بتلعانها * تحامى الحمير بأبوالها
وماذا علىّ بأن يلعنوا * وتأتى المنايا باذلالها

(وقالت) سارة القرظية ترثي من قتل من قومها

بأهلى رمة لم تغن شيأ * بذى حرض تعفيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتهم * سيوف الخزرجية والرماح
ولو أذنوا بأمرهم لحالت * هنالك دونهم حرب رداح

قال أهل السير ثم انصرف أبو جبيلة راجعا الى الشام وقد ذلل الحجاز والمدينة ومهدها للأوس والخزرج (ونقل) المجد عن ياقوت أن تبعا كان بالمدينة فانه قال وعكس ياقوت قصة افتضاض الأبكار فجعل انها كانت باليمامة وان أهل المدينة مع تبع هم الذين أزالوا هذه الفضيحة من اليمامة ثم أورد كلام ياقوت وليس مضمونه ماذكره بل مضمونه ان من كان يفعل فيهم هذه الفضيحة باليمامة احتالوا في دفعها وقتلوا من كان يفعل بهم ذلك وغلبوا عليهم فهرب منهم شخص ولحق بتبع فنصره تبع مع أهل المدينة وهو خبر ممتنع فلنورده تبعا للمجد (قال) ياقوت ان طسما وجديسا من ولد لاوذ بن ارم ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام أقاموا باليمامة وكثروا بها حتى ملكوا عليهم عمليق الطسمى وكان جبارا غشوما وكان قد قضى بقضاء جائر بين امرأة وزوجها من جديس فانشدت المرأة أبياتا بلغته فامر أن لا تزوج بكر من جديس حتى تدخل عليه فيكون هو الذى يفترعها ولقوا منه ذلا حتى زوجت منهم أخت الأسود بن غفار سيد جديس وكان جلدا فلما كانت ليلة الاهداء خرجت والقيان حولها لتحمل الى عمليق وهن يضربن بمعازفهن ويقلن

أبدى بعمليق وقومى فاركبى * وبادرى الصبح بأمر معجب

فسوف تلقين الذى لم تطلبي ٭ وما لبكر دونه من مهرب

ثم أدخلت على عمليق فافترعها وقيل كانت أيدة فامتنعت عليه فخاف العار فوجأها بحديدة فى قبلها فأدماها فخرجت وقد تقاصرت اليها نفسها فشقت ثوبها من خلفها ودماؤها تسيل فمرت بأخيها فى جمع من قومه وهى تبكى وتقول

لاأحد أذل من جديس ٭ أهكذا يفعل بالعروس

فى أبيات فأغضب ذلك أخاها ووقفها على نادى قومه وهى تقول

أيجمل ان يؤتى الى فتياتكم ٭ وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيجمل تمشى في الدما فتياتكم ٭ صبيحة زفت فى العشاء الى بعل
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه ٭ فكونوا نساء لاتعب من الكحل
ودونكم ثوب العروس فانما ٭ خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فلو أننا كنا رجالا وكنتموا ٭ نساء لكنا لانقر على الذل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم ٭ وكونوا كنار شب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا ٭ الى بلد قفر وهذل من الهذل
فللموت خير من مقام على أذى ٭ وللفقر خير من مقام على ثكل
فدبوا اليه بالصوارم والقنا ٭ وكل حسام محدث العهد بالصقل
ولاتجزعوا للحرب قومي فانما ٭ يقوم رجال للرجال على رجل
فيهلك فينا كل وغل مواكل ٭ ويسلم فينا ذو الجلادة والفضل

فامتلأت جديس غيظا ونكسوا رؤسهم حياء وتشاوروا فى الأمر فقال الأسود أطيعونى فانه عز الدهر وقد رأيت ان أصنع للملك طعاما ثم ادعوه وقومه فاذا جاؤنا قتلت الملك وقام كل منكم الى رئيس منهم فقتله فلا يبقي للباقين قوة فنهتهم أخت الأسود عن الغدر وقالت ناجزوهم فلعل الله أن ينصركم عليهم لظلمهم فعصوها فقالت

لاتغدرن فان الغدر منقصة ٭ وكل عيب يرى عيبا وان صغرا
انى أخاف عليكم مثل تلك غدا ٭ وفى الأمور تدابير لمن نظرا
جيشوا سعيرا لهم فيها مناهزة ٭ فكلكم باسل أرجوا له الظفرا

٭(فأجابها أخوها)٭

شتان باغ علينا غير متئد ٭ يغشى الظلامة لايبقى وان يذرا
انا لعمرك لانبدى مناهزة ٭ نخاف منها صروف الدهر من ظفرا
انى زعيم بطسم حين تحضرنا ٭ عند الطعام بضرب يهتك الفقرا

وصنع الأسود الطعام ودفن كل منهم سيفه تحته فى الرمل مجردا فلما جلس الملك وقومه للأكل وثبت عليهم جديس حتى أبادوهم ثم قتلوا باقيهم فهرب رجل من طسم حتى لحق بتبع تبان أسعد بن كلكيكرب وقيل بحسان من تبع الحميرى، وكان بالمدينة فاستغاثه وذكر أبياتا فيها غدر جديس بهم فوعده بنصره ثم رأى منه تباطيا فقال

انى طلبت لأوتارى ومظلمتى ٭ بآل حسان آل العز والكرم
المنعمين اذا مانعمة ذكرت ٭ والواصلين بلا قربى ولا رحم

في أبيات أخرى فسار تبع من المدينة فى جيوشه حتى كان عند جبل على ليلة من اليمامة قال له الطسمي توقف أيها الملك فان لى أختا متزوجة فى جديس يقال لها يمامة أبصر خلق الله على بعد وانى أخاف أن ترانا فتنذرهم بنا فأقام تبع وأمر رجلا فصعد الجبل ليرى ماهناك فدخل في رجله شوكة بالجبل فأكب يستخرجها فأبصرته اليمامة وكانت زرقاء العين فقالت لهم انى أرى على الجبل الفلانى رجلا وما أظنه الاعينا فقالوا ما يصنع فقالت اما يخصف نعلا أو ينهش كتفا فكذبوها ثم قال الطسمي لتبع ان بصرها بالليل أنفذ فمر أصحابك ليقطعوا من الشجر أغصانا ليستتروا بها فيشبهوا عليها الأمر ففعلوا حتى اذا دنوا من اليمامة ليلا فنظرت اليمامة فقالت يا آل جديس سارت اليكم الشجر أو جاءتكم أوائل خيل حمير فكذبوها فصبحتهم حمير فهرب الأسود في نفر من قومه لجبلى طئ وفتح أهل المدينة حصون اليمامة وامتنع عليهم حصن زرقاء اليمامة فصابره تبع حتى افتتحه وقبض عليها وسألها كيف أبصرتهم فأخبرته بخبر الذى صعد الجبل فسأله تبع فقال صعدت فانقطع شراك نعلى وأصابتني شوكة فعالجت اصلاحها واصلاح قبالى بفمى فقال لها أنى لك هذا قالت كنت آخذ حجرا اسود فأدقه وأكتحل به فكان يقوى بصرى فيقال انها أول من اكتحل بالاثمد فأمر تبع بقلع عينيها ليرى مافيهما فوجد عروقها كلها محشوة بالاثمد وخربت اليمامة يومئذ لأن تبعا قتل أهلها ولم يخلف بها أحدا ورجع الى المدينة هذا ماذكره المجد عن ياقوت باختصار وليس فيه

عكس القضية فيجوز أن يقع بكل من اليمامة والمدينة مثل هذا والظاهر أن قصة اليمامة كانت بعد قصة المدينة (ونقل) رزين عن الشرقى أن أبا جبيلة لما فرغ من نصر أهل المدينة رجع الى الشام فأقبل تبع الأخير وهو كرب بن حسان بن أسعد الحميرى (والتبابعة كلهم من حمير) يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل فمر بالمدينة فخلف فيها ابنا له ومضى حتى قدم الشام ثم سار حتى قدم العراق فلما كان بالعراق قتل ابنه بالمدينة غيلة فأقبل راجعا يريد تخريب المدينة نزل بسفح أحد فاحتفر بئرا ثم أرسل الى أشراف المدينة فلما جاءهم الرسول قال بعضهم انما أراد ان يملكنا على قومنا وقال أحيحة والله مادعا كم لخير وكان لأحيحة رئي من الجن فخرجوا وخرج أحيحة معه بقينة وخمر وخباء فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر ثم دخل على تبع أول الناس فتحدث معه ففطن بالشر ثم قال ان أصحابي يصلونك الى الظهر فاستأذن في الخروج الى الخيمة فأذن له فشرب وجعلت القينة تغنيه بأبيات صنعها لها تقول

لتبكي قينة ومزهرها * وتبكي قهوة وشاربها
وتبكي عصبة اذا اجتمعت * لايعلم الناس ماعواقبها

وهو يقل من الشراب وجاء أصحابه قريبا من الليل فامر لهم تبع بضيافة فلما كان في جوف الليل أرسل اليهم ليقتلهم ففطن أحيحة فقال للقينة أنا سائر الى أهلى فاذا طلبنى الملك فقولى هو نائم فاذا الحوا فقولى يقول لك أما أحيحة فقد ذهب فاغدر بقينته أودع وانطلق فتحصن في حصنه فحاصروه ثلاثا يقاتلهم بالنهار واذا كان بالليل يرمى اليهم بتمر ويقول هذا ضيافتكم فاخبروا تبعا انه في حصن حصين فأمرهم ان يحرقوا نخله واشتعلت الحرب بين تبع وأهل المدينة من اليهود والأوس والخزرج وتحصنوا في الآطام فخرج رجل من أصحاب تبع حتى جاء بني عدى بن النجار فدخل لهم حديقة فرقي على عذق منها فأخذ يجده فنزل اليه صاحب العذق فقتله وجره الى بئر وألقاه فيها وهو يقول

جانا يجد نخيلنا * وكان الجداد لمن قد أبر

فزاد ذلك تبعا حنقا وجرد الى بنى النجار خيلا فقاتلهم بنو النجار ورئيسهم يومئذ عمرو بن طلحة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار ورمى عسكر تبع حصون الأنصار

بالنبل فلقد جاء الاسلام والنبل فيها وجذع في القتال فرس تبع فحلف لايبرح حتى يخربها بزعمه فسمع بذلك أحبار من اليهود فنزلوا اليه وقالوا أيها الملك ان هذه البلدة محفوظة فانا نجد اسمها في الكتاب طيبة وانها مهاجر نبي من بنى اسماعيل من الحرم وهى تكون قراره فلن تسلط عليها فأعجب تبع بقولهم فصرف تبع نيته عنها وأمر أهل المدينة فتبايعوا مع العسكر وكان تبع قد استوبأ بئره التى حفر فمرض فجاءته امرأة من بنى زريق اسمها فكهة براوية من بئر رومة فأعجبه فاستاذه فلما كان رحيله قال لها يافكهة مانترك فى موضعنا من شئ اذا رحلنا فهو لك فأخذت ذلك فاستغنت منه وخرج تبع يريد اليمن ومعه من الأحبار الذين نهوه عن خراب المدينة رجلان أو ثلاثة فقال لهم تسيرون معى أياما آنس بحديثكم فكانوا يحدثونه عن الكتاب وعن قصة النبى صلى الله عليه وسلم فلم يتركهم حتى وصلوا معه الى اليمن فهم كانوا أول يهودى دخل اليمن واتفق فى مسيره قصة اكسائه الكعبة وقد قدمنا في بعض الروايات أن مالك بن العجلان لما قتل ملك اليهود قصد اليمن الى تبع الأصغر وانه الذى نصرهم علي يهود ولعل هذا مراد ياقوت لقوله ان يهود كانوا أهل المدينة حتي أتاهم تبع فأنزل معهم بني عمرو بن عوف لكن نقل المجد وغيره عن المبتدء لابن اسحق انه قال فى بيت أبى أيوب الذى نزله النبى صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ان تبعاً الأول بناه لما مر بالمدينة قال في المبتدء واسمه تبان أسعد بن كاسكيكرب وكان معه أربعمائة عالم فتعاقدوا على أن لايخرجوا منها فسألهم تبع عن سر ذلك فقالوا انا نجد فى كتبنا أن نبيا اسمه محمد هذه دار مهاجره فنحن نقيم لعل أن نلقاه فأراد تبع الاقامة معهم ثم بني لكل واحد من أولئك دارا واشترى له جارية وزوجها منه وأعطاه مالا جزيلا وكتب كتابا فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد انه * رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده وبنى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا لينزلها اذا قدم المدينة فتداول الدار الملاك الى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم وأهل المدينة الذين نصروه كلهم من أولاد أولئك العلماء انتهى . زاد غير المجد

ويقال ان الكتاب الذى فيه الشعر كان عند أبي أيوب حين نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه له وهو غريب وكتب التواريخ متظاهرة على ماقدمناه فى أمر الأنصار ونسبهم (وقد) ذكر السهيلي ايمان تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم وذكر البيتين وروى حديث (لاتسبوا تبعاً فانه كان مؤمنا) و(روى) عبدالرزاق عن وهب بن منبه قال نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد وهو تبع (قال) وهب وكان على دين ابراهيم و(روى) أحمد من حديث سهل بن سعيد رفعه (لاتسبوا تبعا فانه كان قد أسلم) و(أخرجه) الطبرانى من حديث ابن عباس مثله واسناده أصلح من اسناد سهل وأما ماروواه عبدالرزاق عن أبى هريرة مرفوعا (لاأدري تبع كان لعينا أم لا) فمحمول على أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم بحاله و(قال) المرجانى ن أبا كرب بن سعد الحميرى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال شهدت على أحمد البيتين المقدمين وان أباه أسعد هو تبع الذى كسى الكعبة ونقله عن حكاية بن قتيبة والذى رأيته فى المعارف لابن قتيبة أن أسعد أبا كرب الحميرى هو الموصوف بما ذكره و(روى) ابن زبالة ان تبعاً لما قدم المدينة وأراد اخرابها جاءه حبران من قريظه يقال لهما سحيت ومنبه فقالا أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فانها محفوظة وانها مهاجر نبى من بنى اسماعيل اسمه أحمد يخرج فى آخر الزمان فأعجبه ماسمع منهما فصدقهما وكف عن أهل المدينة

﴿ الفصل الخامس ﴾ فى منازل قبائل الأنصار بعد اذلال اليهود وشئ من آطامهم وما دخل بينهم من الحروب وهو نافع فى معرفة جهات المساجد التي لاتعرف اليوم وغير ذلك

اعلم ان ابن زبالة نقل ماحاصله ان الأوس والخزرج بعد انصراف أبى جبيلة ونصره لهم تفرقوا في عالية المدينة وسافلتها واتخذوا الأمول والآطام (فنزل) بنو عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج الأصغر وبنو حارثة بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة فكلاهما من الأوس دار بنى عبد الأشهل قبلى دار بني ظفر مع طرف الحرة الشرقية قاله المطرى والذى يظهر لى ان منازلهم كانت قريبة من منازل بنى ظفر فى شاميها وتمتد الى الحرة المعروفة اليوم بدشم وما حولها بل سيأتى فى ترجمة الخندق مايقتضى أن منازلهم كانت بالقرب من الشيخين و(ابتنى) بنو عبد

الأشهل أطماً يقال له واقم وبه سميت الناحيه واقما وكان لحضير بن سماك وله يقول شاعرهم

نحن بنينا واقما بالحرة ⁂ بلازب الطين وبالأصرة

وله يقول خفاف بن ندبة

لو أن المنايا جزن عن ذى مهابة ⁂ لهبن حضيرا يوم أغلق واقما
يطيف به حتي اذا الليل جنه ⁂ تبوأ منه مضجعاً متناعماً

و(أطما) يقال له الرعل بالمال الذى يقال له واسط لصخرة أم بنى عبد الأشهل وله يقول شاعرهم يوم بعاث ⁂ نحن بنو صخرة أرباب الرعل ⁂ وآطاما غير ذلك و(ابتنى) بنو حارثة أطما اسمه المسيّر صار لبنى عبد الأشهل بعد خروج بنى حارثة من دارهم فان بني حارثة تحولوا من دارهم هذه الى غربى مشهد سيدنا حمزة رضى الله عنه فى الموضع المعروف اليوم بيثرب فكانت بها منازلهم على ماقدمناه عن المطرى فى الباب الأول والذى تحرر لى من مجموع كلام الواقدى وابن زبالة وغيرهما أن منازلهم التى استقروا بها وجاء الاسلام وهم فيها كانت في شامى بنى عبد الاشهل بالحرة الشرقية ويؤيد ذلك ماسيأتي فى ترجمة الخندق من أن النبى صلى الله عليه وسلم خطه من أجمة الشيخين طرف بنى حارثة كما رواه الطبرانى (وقد) قال المطرى كما سيأتى عنه (الشيخان) موضع بين المدينة وبين جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة الى جبل أحد ويؤيده أيضا أن المطرى قد ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم غدا الى أحد يوم وقعته على الطريق الشرقية المذكورة وسيأتى أنه بات بالشخين (وفى) المعارف لابن قتيبة عن ابن اسحاق فلما سارت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى نزلوا بيوت بنى حارثة فأقاموا بقية يومهم وليلتهم ثم خرج فى غد وذكر انخزال عبدالله بن أبيّ فتحرر أن بيوت بني حارثة عند الشيخين وفى ناحيتهما (وقد) ذكر ابن اسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز ذلك اليوم فى حائط لمربع بن قيظ واتفق له معه ماسيأتي ذكره ومربع هذا من بنى حارثة و(أيضا) فقد قدمنا في الفصل الرابع فى تحريمها قول أبي هريرة فى رواية الاسماعيلى ثم جاء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بنى حارثة وهم فى سند الحرة انتهى. وليس الموضع الذى ذكره المطرى فى سند الحرة بخلاف الموضع الذى قدمناه مع انه يحتمل أن بعض منازل بني حارثة كانت بالموضع الذي ذكره المطري

أيضا (قال) ابن زبالة و(ابتنوا) بها أى بدارهم الثانية أطما يقال له الريان عند مسجد بنى حارثة كان لبني مجذعة بن حارثة وسبب خروج بنى حارثة من دار بني عبد الأشهل حرب كانت بينهم وبين بني عبد الأشهل ووالى بنو ظفر بني عبد الأشهل ثم هزمهم بنو حارثة وقتلوا سماك بن رافع وكان باغيا قتله مسعود أبو محيصة الحارثي وظفرت بهم بنو حارثة فأجلوهم أولا فلحقوا بأرض بنى سليم فسار حضير بن سماك ببني سليم حتى قاتل بني حارثة فقتل منهم واشتد عليهم الحصار بأطمهم المسير المتقدم ذكره فى دار عبد الأشهل فسارت بنو عمرو بن عوف وبنو خطمة اليهم وقالوا اما أن تخلوا سبيلهم واما أن تأخذوا عقل صاحبكم واما أن تصالحوهم فاختاروا أن يجلوهم فخرج بنو حارثة الى خيبر فكانوا بها قريبا من سنة ثم رق لهم حضير وطلب صلحهم فخرجت السفراء في ذلك حتى اصطلحوا وأبت بنو حارثه أن ينزلوا دارهم مع بنى عبد الأشهل ونزلوا الدار المعروفة بهم اليوم انتهى.

و(نزل) بنو ظفر وهو كعب بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس دارهم شرقى البقيع عند مسجدهم أى المعروف بمسجد البغلة بجوار بنى عبد الأشهل و(ذكر) بن حزم فى الجمهرة أن بطون بنو عمرو بن مالك بن الأوس هم النبيت منهم ظفر وحارثة وبنو عبد الأشهل وبنو زعورا بن جشم بن الحرث أخى عبد الأشهل بن جشم بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ولم يذكر ابن زبالة بنى زعورا في هذه البطون بل ولا في بطون الأنصار كلها وذكر ابن حزم أن منهم مالك بن التيهان وبني أوس ابن عتيك وغيرهم و(قال) فى موضع آخر فولد جشم عبد الأشهل بطن ضخم وزعورا بطن وهم أهل راتج و(نزل) بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس قباء فابتنوا أطما يقال له الشنيف عند دار أبي سفيان بن الحرث بين أحجار المرا وبين مجلس بني الموالى كان لبنى ضبيعة بن بريد بن مالك بن عوف وأطما في دار عبد الله بن أبى أحمد كان لكلثوم ابن الهدم من بنى عبيد بن زيد بن أظلم أخي بني عبيد بن زيد بن مالك وأطما يقال له واقم كان بقباء لأحيحة بن الجلاح الجحجبى ثم صار لبنى عبد المنذر بن رفاعة فى دية جدهم رفاعة بن زنبر بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف وله يقول كعب بن مالك

فلا تتهدد بالوعيد سفاهة * وأوعد شنيفا ان عصيت وواقما

(وكان) فى رحبة بني زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطما يقال لها الصياصى (وكان) لهم أطم بالسكبة شرقي مسجد قباء (وأطم) يقال له المستظل كان موضعه عند بئر غرس كان لأحيحة ثم صار لبنى عبد المنذر فى دية جدهم رفاعة ثم خرجت بنو جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف من قباء حين قتلوا رفاعة بن زنبر وغنما أخا بنى عمرو ابن عوف فسكنوا العصبة وهى غربى مسجد قباء (قال) محمد بن عمرو الجحجبى لبشر بن السائب تدرى لم سكنا العصبة قال لا قال لأنا قتلنا قتيلا منكم فى الجاهلية فقال بشر والأمانة لوددت أنكم قتلتم منا آخر وأنكم وراء عير يعني الجبل الذى غربى العصبة و(ابتنى) أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطما يقال له الضحيان وهو الأطم الأسود الذى بالعصبة وكان عرضه قريبا من طوله بناه أولا من بثرة بيضاء فسقط يعني (من حجارة الحرار البيض) وكان يرى من المكان البعيد وفيه يقول أحيحة

وقد أعددت للحدثان حصنا * لو ان المرأ تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مشمخر * يلوح كأنه سيف صقيل

و(ابتنوا) هم وبنو مجذعة أطما يقال له الهجيم عند المسجد الذي صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ان بني أنيف كانوا مع اليهود بقباء وأنهم حي من بلى فلذلك لم يذكر ابن زبالة منازلهم هنا وسيأتي فى المساجد عن المطرى وتبعه المجد أن بني أنيف بطن من الأوس وأن منازلهم كانت بين بنى عمرو بن عوف وبين العصبة ومأخذ المطرى فى نسبتهم الى الأوس قول أهل السير فى المغازى شهد من الأوس كذا كذا رجلا ثم يذكرون فيهم بعض بنى أنيف وذلك لأنهم حلفاء الأوس لا لأنهم منهم نبه عليه ابن اسحاق حيث قال شهد بدرا من الأوس بضع وستون رجلا فذكر من بنى جحجبا جماعة ثم قال ومن حلفائهم من بنى أنيف أبو عقيل ثم نسبه الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة لكن استفدنا من كلام المطرى أن منازلهم بين العصبة وقباء ويستفاد مما قدمناه عن ابن زبالة أن من منازلهم بئر عذق وما حولها والمال الذى يقال له القائم وذلك معروف بقباء و(خرجت) بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فسكنوا دارهم التي وراء بقيع الغرقد المعروفة بهم ولا يشكل عليه ما سيأتى فى دور بنى النجار من الخزرج من أن جديلة لقب لمعاوية بن عمرو بن مالك بن النجار للاشتراك فى

الاسم ولكن الشهرة ببني معاوية لهؤلاء وأولئك يعرفون ببني جديلة (وقد) اشتبه ذلك على المطرى فقال فى مسجد بنى معاوية وهو مسجد الاجابة مالفظه هو مسجد بني معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار ثم قال فى دور بني النجار ان بني جديلة هم بنو معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار ودارهم عند بئر حاء (ثم) قال ودار بني دينار بين دار بني معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار أهل مسجد الاجابة ودار بني جديلة فذكر أولا انهم هم ثم غاير بينهما والصواب المغايرة وأن بني جديلة من الخزرج وبني معاوية من الأوس (وقد) صرح بتغايرهما أهل السير ونسبوهما كما ذكرنا ومسجد الاجابة لبني معاوية من الأوس والذى أوقع المطرى فى هذا ماسيأتي عن عياض فى بني جديلة ان شاء الله تعالى (ومن) بني معاوية هؤلاء حاطب بن قيس وفيه كانت حرب حاطب كما ذكره ابن حزم وخرجت بنو السميعة وهم بنو لوذان ابن عمرو بن عوف فسكنوا عند زقاق ركيح و(ابتنوا) أطما يقال له السعدان وموضعه فى الرّبع (حائط هنالك) ذكره بن زبالة ولعل الربع هو الحديقة المعروفة اليوم (بالربعي) وكان بنو السميعة يدعون فى الجاهلية بنو الصماء فسماهم النبى صلى الله عليه وسلم بنو السميعة (ونزل) بنو واقف والسلم ابنا امرئ القيس بن مالك ابن الأوس عند مسجد الفضيخ فكانا هنالك وولدهما (وابتنى) بنو واقف أطما يقال له الزيدان وله يقول قيس بن رفاعة

وكيف أرجو لذيذ العيش بعدهم * وبعد من قدمضى من أهل زيدان

كان لهم عامة موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ (وأطما) كان موضعه عند بئر عائشة الواقفى وغير ذلك ثم كان بين السلم وواقف كلام ملطم واقف وهو الأكبر عين السلم وكان شرسا فخلف لايساكنه فنزل السلم على بني عمرو بن عوف فلم يزل ولده فيهم (ومن) بقيتهم سعد بن خيثمة بن الحارث ثم انقرضوا سنة تسع وتسعين ومائة و(كان) لبني السلم حصن شرقى مسجد قباء ذكره بن زبالة وقد ذكر ابن حزم انقراض جميع بني السلم قال وكان قد بلغ عددهم فى الجاهلية ألف مقاتل (قلت) وفى قبلة مسجد الفضيخ عند الحديقة المعروفة بالأشرفية والسابور آثار آطام وقرية وحصن عظيم فهي منازل بني واقف (ونزل) بنو وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس فى دارهم المعروفة بهم (وابتنوا) أطما يقال له الموجا كان موضعه في مسجد بني وائل (ونزل) بنو أمية بن زيد بن قيس

ابن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس فى دارهم المعروفة بهم التى بها الكبا يمر فيها سيل مذينيب بين بيوتهم ثم يلتقي هو وسيل بني قريظه بفضاء بني خطمة ويؤخذ مماذكره ابن زبالة فى منازل بني النضير بالنواعم قربه منزل بني أمية بن زيد منهم (وفى) صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه قال كنت أنا وجار لى من الأنصار في بني أمية بن زيد وهى من عوالى المدينة نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) ابن زبالة و(ابتنوا) أطما يقال له أطم العذق كان عند الكبا المواجهة مسجد بني أمية وأطما كان في دار آل رويفع التى في شرقى مسجد بني أمية (ونزل) بنو عطيه بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس بصفنة فوق بني الحبلى و(صفنة) كجفنة باهمال أوله سميت بذلك لارتفاعها عن السيول فلم تشرب بشيء منها (وابتنوا) فيها أطما اسمه شاس كان لشاس بن قيس أخي بني عطية بن زيد وهو الذى على يسارك في رحبة مسجد قباء مستقبل القبلة ووائل وأمية وعطية بنو زيد هم الجعاذرة سموا به لأنهم اذا أجاروا جارا قالوا له جعذر حيث شئت أى (اذهب حيث شئت) فلا بأس عليك فقال الرمق بن زيد

وان لنا بين الجوارى وليدة * مقابلة بين الجعاذر والكسر

متى تدع في الزيدين بن زيد بن مالك * وزيد بن قيس تأتها عزة النصر

(قالوا) والكسر أمية وعبيد وصنيعة بنو زيد بن مالك بن عوف كان يقال لهم كسر الذهب وذلك أراد الرمق بقوله و(الكسر) كذا قاله بن زبالة (وقال) رزين ان الجعاذرة الأوس كلهم فانه قال فيما نقل عن الشرقي فولد لأوس مالكا ومن مالك قبائل الأوس كلها فولد لمالك عمرو وعوف ومرة ويقال لهم أوس الله وهم الجعاذرة سمو بذلك لقصر فيهم انتهى (قلت) وسيأتى عن ابن اسحاق فى آخر الفصل السابع مايقتضى ان أوس الله هم بنو أمية بن زيد ووائل وواقف وخطمة والله أعلم (ونزل) بنو خطمة وخطمة هو عبد الله ابن جشم بن مالك بن الأوس دارهم المعروفة بهم (وابتنوا) بها الآطام وغرسوا النخيل (فابتنوا) بها أطما يقال له (صع ذرع) ليس فيه بيوت جعلوه كالحصن الذى يتحصنون فيه للقتال وكان لخطمة كلها وكان موضعه عند مهراس بني خطمة وانما سمى صع ذرع لأنه كان عند بئر بنى خطمة التى يقال لها ذرع (وابتنى) أمية بن عامر بن خطمة أطما كان موضعه فى مال الماجشون الذى يلى صدقه أبان بن أبي حُدير (قلت) والظاهر انه المسمى

اليوم بالجشونية فان اسمه الأصلى الماجشونية على ما تقدم فى تربة صعيب (وقال) المطرى منازل بنى خطمة لا يعرف مكانها اليوم الا أن الأظهر أنهم كانوا بالعوالى شرقي مسجد الشمس لأن تلك النواحى كلها ديار الأوس وما سفل من ذلك الى المدينة ديار الخزرج انتهى . وفى (قوله) وما سفل الخ نظر والذى يظهر ان أول منازل الخزرج فى هذه الجهة منازل بنى الحارث كما سيأتي وفوقها بنو خطمة وسيأتي في وادى بطحان ووادى مهزور ما يؤيد ذلك (وكان) بنو خطمة متفرقين في آطامهم لم يكن في قصبة دارهم منهم أحد فلما جاء الاسلام اتخذوا مسجدهم وابتني رجل منهم عند المسجد بيتا سكنه فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عدا عليه ثم كثروا في الدار حتى كان يقال لهم غزة تشبيها بغزة الشام من كثرة أهلها وقد انتهى الكلام في منازل الأوس

﴿وهذه منازل الخزرج﴾ قال ابن زبالة (ونزل) بنو الحارث بن الخزرج الأكبر بن حارثة وهم بلحارث دارهم المعروفة بهم بالعوالى أى شرقى وادى بطحان وتربة صعيب يعرف اليوم بالحارث باسقاط بني و(ابتنو) أطما كان لبنى امرئ القيس بن مالك وخرج جشم وزيد ابنا الحارث ابن الخزرج وهما التوأمان فسكنا السنح وهذا هو المراد بقول ابن حزم كان سكنى بنى الحارث بالسنح على ميل من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم انتهى (قال) ابن زبالة وابتنو أطما يقال له السنح وبه سميت الناحية ويقال بل اسمه الريان انتهي . وبالسنح كان منزل أبى بكر الصديق رضى الله عنه بزوجته بنت خارجة بن زيد قاله عياض قال وهو منازل بنى الحارث بن الخزرج بعوالى المدينة وبينه وبين منزل النبي صلى الله عليه وسلم ميل انتهى. فكأن (السنح) وهو كما قال عياض وغيره بالسين المهملة ثم النون بالقرب من منازل بنى الحارث بالعوالى وخرج عتبة بن عمر بن خديج بن عامر ابن جشم بن الحارث بن الخزرجي فسكن الشوط وكوم الكومة يقال لها كومة أبى الحمراء ثم رجع فى السنح وخرجت بنو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرجي حتى سكنوا الدار التي يقال لها جرار سعد مما يلي سوق المدينة وخرجت بنو الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرجى وهم بنو خدرة أخوة بنى خدارة فسكنوا دارهم المعروفة ببنى خدرة وابتنوا أطما يقال له الأجرد وهو الأطم الذى يقال لبئره البصة كان لمالك ابن سنان جد أبى سعيد الخدري وذكر ابن حزم للحارث بن الخزرجي الأكبر ابنا

اسمه الخزرج بن الحارث وقال فيه فأولد الخزرج كعبا فسار بعض بنيه الى الشام مع غسان فليس من الأنصار ثم سمي من بقى منهم الأنصار ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمر بن عوف بن الخزرجي الأكبر الدار التي يقال لها دار بنى سالم على طرف الحرة الغربية غربي الوادى الذى به مسجد الجمعة ببطن رانونا (وابتنوا) آطاما منها المزدلف أطم عتبان بن مالك قاله المطرى وقال المزدلف هو الاطم الذى بناه عتبان بن مالك كان المالك بن العجلان السالمي وله يقول مالك انى بنيت للحروب المزدلف (ومنها) الشماخ كان خارجا عن بيوت بني سالم من جهة القبلة (ومنها) اطم القواقل وهو الذى في طرف بيوت بني سالم مما يلى ناحية العصبة كان لبني سالم بن عوف وتسميته بذلك يرجح ماذكره ابن سيد الناس من ان القواقل بنو غنم وبنو سالم ابني عوف سموا بذلك لأنهم كانوا اذا أجاروا جارا قالوا له قوقل حيث شئت وافهم سياق بعضهم ان القواقل بعض بني سالم بن غنم وهم بنو الحبلي وما قدمناه هو الظاهر لما سيأتى في خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة (وقال) ابن حزم ولد عوف بن عمرو سالم بطن وغنم بطن وعنز بطن وهو قوقل وذكر من ولده عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن قوقل بن عوف بن عمرو و(نزل) بنو غصينة حى من بلى حلفا لبني سالم عند مسجد بني غصينة (ونزل) بنو الحبلي بلفظ المرأة الحبلي واسمه مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدار المعروفة بهم بين قباء وبين دار ابني الحارث بن الخزرج التي شرقى وادى بطحان وصعيب كذا قاله المطرى وأظن مستنده ماتقدم في منازل الأوس من قول ابن زبالة ونزل بنو عطية بن زيد بن قيس بصفنة فوق بني الحبلى الى آخره (وقال) ابن حزم كانت دار بني الحبلى بين دار بنى النجار وبين بني ساعدة (قلت) وسيأتى فى خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة مايؤيده وكذلك مروره صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبيّ في ذهابه لعيادة سعد بن عبادة وماذكره من أن الحبلى اسمه مالك بن سالم ذكره ابن زبالة وقال ابن هشام الحبلى سالم بن غنم بن عوف وانما سمي الحبلى لعظم بطنه انتهي. و(ذكر) ابن حزم نحوه والظاهر ان الحبلى كان يطلق على سالم والد مالك المذكور ثم اشتهر به ابنه هذا من بين بنيه وحينئذ فيحمل ماتقدم عن ابن زبالة فى نزول بني عطية بن زيد

بصفنة فوق بني الحبلي على ان المراد دار سالم بن غنم في دار بني سالم لكونه ذكر في آطام بني الحبلي هؤلاء ما يوافق كلام ابن حزم في نزولهم قرب دار بني ساعدة فقال (وابتنوا) آطاماً منها مزاحم بين ظهران بيوت بني الحبلي وهو لعبد الله بن أبيّ بن سلول (ومنها) أطم كان بين مال عمارة بن نعيم البياضي و بين مال ابن زمانة ومنها أطم كان في جوف بيوتهم انتهى. وسيأتي في منازل بني ساعدة ذكر الحماضة وهي مذكورة في منازل بني بياضة (وقد) صرح ابن حزم وغيره من أهل السير وعلماء النسب بان عبد الله بن أبيّ من بني الحبلي من الخزرج فالظاهر انما وقع للحافظ بن حجر في حديث زوجة ثابت بن قيس بن شماس في الخلع من ان عبد الله بن أبيّ من بني مغالة من بني النجار وهم نعم داره غربي المسجد قريبة من دار بني مغالة فيما يظهر والله أعلم (ونزل) بنو سلمة ابن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن تزيد (بالمثناة من فوق) بن جشم بن الخزرج الأكبر ما بين مسجد القبلتين الى المذاد أطم بني حرام في سند تلك الحرة وكانت دارهم هذه تسمى خُربا قال ابن زبالة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلحة) كذا هو في نسخة ابن زبالة بالطاء ونقله عنه الزين المراغي أيضا كذلك كما رأيته بخطه ولعل الصواب ما ذكره المجد في تاريخه ان النبي صلى الله عليه وسلم سماها (صُلحة) بضم الصاد المهملة وسكون اللام وقال في قاموسه (خربا) كحبلى منزلة كانت لبني سلمة غيرها صلى الله عليه وسلم وسماها صالحة (ونزل) بنو سواد بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد القبلتين الى أرض ابن عبيد الديناري ولهم مسجد القبلتين قاله ابن زبالة وهو يرد ما سيأتي عن المطري وغيره من ان المسجد لبني حرام (وابتنوا) أطما يقال له الأغلب كان على المهد الذي عليه الأحجار التي يستريح عليها السقاؤن حين يفيضون من زقاق رومة الى بطحان (وأطما) يقال له خيط في شرقي مسجد القبلتين على شرف الحرة وعند منقطع السهل من أرض بني سلمة وأطما يقال له منيع في يماني مسجد القبلتين على ظهر الحرة يمين الحزن الذي في أرض ابن أبان أو دون ذلك قليلا (ونزل) بنو عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد الخربة الى الجبل الذي يقال له الدويخل جبل بني عبيد ولهم مسجد الخربة (وابتنوا) الأشنق وهو المواجه لمسجد الخربة كان للبراء ابن معرور صخر بن حسان بن سنان بن عبيد (وابتنوا) الأطول عند قبلة مسجد الخربة أو

عن يسارها (ونزل) بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد بني حرام الصغير الذي بالقاع بين الأرض التي كانت لجابر بن عتيك والأرض التي كانت لمعبد بن مالك وكانوا بين مقبرة بني سلمة الى المذاد والمذاد هو الذي يقول له كعب بن مالك

فليأت مأسدة تسن سيوفها ٭ بين المذاد و بين جزع الخندق

وهو أطم لهم سميت به الناحية (وابتنوا) أطما يقال له جاعس كان في السهل بين الأرض التي كانت لجابر بن عتيك و بين العين التي عملها معاوية بن أبي سفيان كان لعمرو بن الجموح جد جابر بن عبد الله بن عمرو (قلت) وهذه العين لعلها التي ذكر ابن النجار انها تأتي الى النخل الذي بأسفل المدينة حوالي مسجد الفتح يعني في غربيه ويعرف ذلك الموضع بالسيح بالسين المهملة والمثناة التحتية كما قال المطري والله أعلم (وابتنى) بنو مرى بن كعب بن سلمة وهم حلفاء بني حرام أطما يقال له أخنس وهو الأسود القائم في بني سلمة في غربي الحائط الذي كان لجابر بن عتيك مما يلي جبل بني عبيد ذكره ابن زبالة وقوله عند مسجد بني حرام الصغير يفهم أن لهم مسجدا آخر كبيرا وهو الآن في منزلهم الثاني بشعب سلع وسيأتي في المساجد وصف مسجد بني حرام الذي صلي فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بالقاع وانه لم يصل في مسجدهم الأكبر وكل هولاء بنو سلمة وكانوا بهذه الدور وكلمتهم واحدة وملكوا عليهم أمة بن حرام فلبث فيهم زمانا حتى هلك رجل من بني عبيد ذو أموال كثيرة له ولد واحد اسمه صخر فاراد أمة ان ينزع طائفة من أمواله فيقسمها في بني سلمة فعظم ذلك على صخر وشكى ذلك على بني عبيد و بني سواد وقال ان فعل أمة ذلك لأضربنه بالسيف وسألهم ان يمنعوه اذا هو فعل فأطاعوا له فلما فعل أمة ذلك ضربه صخر فقطع حبل عاتقه وقامت دونه بنو عبيد و بنو سواد فنذر أمة أن لا يؤويه ظل بيت ماعاش حتى يقتل بنو سلمة صخرا أو يأتوه به فيرى فيه رأيه وجلس أمة عند الضرب الذي فوق مسجد الفتح مما يلي الجرف في الشمس فمرت به وليدة حطابة فقالت مالك ياسيدي هنا في الشمس فقال

ان قومي اجمعوا لي أمرهم ٭ ثم نادوا لي صخرا فضرب

انني آليت لا يسترني ٭ سقف بيت من حرور ولهب

أبدا مادام صخر آمنا ٭ بينهم يمشي ولايخشى العطب

فذهبت الجارية فأخبرتهم فربطوا صخرا ثم أتوه به فعفى عنهم وأخذ الذى كان يريد ان يأخذ من أمواله فهذا خبر مادخل بين بنى سلمة (وروى) ابن شبة عن جابر بن عبد الله أن بنى سلمة قالوا يارسول الله نبيع دورنا ونتحول اليك فان بيننا و بينك واديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا فانكم أوتادها وما من عبد يخطو الى الصلاة خطوة الا كتب الله له أجرا (وروى) أيضا عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة قال شكي أصحابنا يعنى بنى سلمة وبنى حرام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السيل يحول بينهم و بين الجمعة وكانت دورهم مما يلى نخيلهم ومزارعهم فى مسجد القبلتين ومسجد الخربة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم وما عليكم لو تحولتم الى سفح الجبل يعنى سلعا فتحولوا فدخلت حرام الشعب وصارت سواد وعبيد الى السفح (قلت) وشعب بنى حرام معروف بسلع وهناك آثار منازلهم وآثار مسجدهم فى غربي جبل سلع على يمين السالك الى مساجد الفتح من الطريق القبلية وعلى يسار السالك الى المدينة وعلى مقربة من محاذاته فى جهة المغرب حصن خل (وروى) ابن زبالة ويحيى من طريقه عن جابر بن عبد الله قال كان السيل يحول بين بنى حرام و بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقلهم عمر بن الخطاب الى الشعب وكلم قوما كانوا فيه من أهل اليمن يقال لهم بنو ناغصة فانتقلوا الى الشعب الذى تحت مسجد الفتح فآثارهم هناك واشترت بنو حرام غلاما روميا من أعطياتهم وكان ينقل الحجارة من الحرة وينقشها فبنوا مسجدهم الذى فى الشعب وسقفوه بخشب وجريد وكان عمر بن عبد العزيز زاد فيه مدماكين من أعلاه وطابق سقفه وجعل فيه ذيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) وآثار خرز أساطينه وما تكسر منها موجود اليوم فيه يعرف محله بالشعب المذكور (وقد) روى المجد في فضل المساجد الخبر المتقدم الا أنه قال وجعل فيه ذيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال (والذيت) الساج الذى يظهر على الحائط انتهى ولم يضبطه غير انه بالذال فى كتابه والذى في كتاب ابن زبالة ويحيي ماقدمناه والله أعلم (ونزل) بنو بياضه وزريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك ابن غضب بن جشم بن الخزرج الأكبر و بنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب وبنو عذارة وهم بنو كعب بن مالك بن غضب و بنو اللين وهم بنو عامر بن مالك بن غضب

و بنو أجدع وهم بنو معاوية بن مالك بن غضب دار بني بياضة (قال) المطرى فيما بين دار بني سالم بن عوف بن الخزرج اتي عند مسجد الجمعة الى وادى بطحان قبلى دار بني مازن بن النجار (قلت) الذى يترجح عندى أن دارهم كانت فى شامى دار بنى سالم بن عوف وقبلى دار بني مازن ممتدة فى الحرة الغربية حتى ان فى كلام ابن زبالة مايقتضى أن بعض منازلهم تمد الى منازل بنى ساعدة لما سنذكره (وابتنوا) بدارهم الآطام (وروى) ابن زبالة أنه كان بدارهم تسعة عشر أطما وان الذى أحصاه لبنى أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطما (منها) أطم أسودفى يماني أرض فراس بن ميسرة كان فى الحرة (ومنها) عقرب كان فى شامي المزرعة المسماة بالرحابة في الحرة على الفقارة (ومنها) سويد كان فى شامي الحائط الذى يقال له الحماضة واصاحبه كانت الحماضة وسيأتى ذكر الحماضة فى منازل بني ساعدة لكن يبعد أن يكون هى المراد هنا ومنها اللواء كان موضعه فى حد السرارة بينه و بين زاوية الجدار الشامى الذى يحيط على الحماضة عشرون ذراعا ومنها أطم كان فى السرارة والسرارة ما بين أرض ابن أبى قليع الى منتهى الحماضة وما بين الأطم الذى يقال له اللواء الى الجدار الذى يقال له بيوت بني بياضة والجدار الذى بناه زياد بن عبيد الله لبركة السوق وسط السرارة قاله بن زبالة وهو يقتضى ان السرارة قرب سوق المدينة و يؤيده ذكر الحماضة فى منازل بني ساعدة لكن الظاهر أن المراد ببركة السوق هنا بركة كانت مما يلى سيل بطحان ورانونا لأن بن شبه قال فى سيل رانونا انه يقترن بذى صلب يعنى موضع مسجد الجمعة ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة ثم يفترق فرقتين الى آخر ماسيأتى عنه (ونقل) رزين ان السرارة بين بني بياضة والحماضة (ثم) ذكر ابن زبالة بقية آطامهم وذكر مايقتضى أن ماحول السرارة هو أقصى بيوت بني بياضة (ثم) قال وابتنى بنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأطم الذى فى أدنى بيوت بني بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش ثم قال فلبث بنو غضب بن جشم بن الخزرج أى الفرق المذكورين كلهم فى دار بني بياضة وأمرهم جميع ثم ان زريق بن عامر هلك فأوصى بنيه الى عمه حبيب ابن عبد حارثة فكان حبيب يكلفهم النضح بأيديهم فلما اشتد عليهم عدوا عليه فقتلوه فحالف بنو حبيب بني بياضة على نصرهم على بني زريق فخافت بنو زريق أن يكثروهم

وكانت بنو بياضة حينئذ أثرى من بني زريق فخرجوا من دار بني بياضة حتى حلوا
دارهم المعروفة بهم قبلى المصلى وسور المدينة الموجود اليوم وداخله بالموضع المعروف
بذروان وما والاه (وابتنوا) آطاما منها أطم في زاوية دار كبير بن الصلت بالمصلى وأطما
يقال له الريان عند سقيفة آل سراقة التي يقال لها سقيفة الريان وأقام بنو عمرو بن عامر
ابن زريق مع بني بياضة ولهم الأطم الذى في شامى أرض فراس بن ميسرة فى أدنى
بيوت بني بياضة مما يلى السّبخة فلبثوا هناك حتى انتقل رافع بن مالك هو وولده قبيل
الاسلام فسكنوا طرف السبخة ما بين الأساس الى طرف السبخة الى الدار التي فيها يسكن
اسحاق بن عبيد بن رفاعة وكان يقال لرافع بن مالك الكامل لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون
لمن كان كاتبا شاعرا الكامل وانتقل سائر بني عمرو بن عامر بعد ذلك فاشتروا من
بني عوف بن زريق بعض دورهم وحقوقهم وخرجت بنو عوف بن زريق قبيل الاسلام
الى الشام فيزعمون أن هنالك ناسا منهم ولبث بنو بياضة وبنو حبيب زمانا لا يقاتلونا
بنى زريق والرسل تجرى بينهم وبنو زريق يدعونهم الى الصلح والدية وعرضوا على
بنى حبيب أن يقطعوا لهم طائفة من ديارهم فقبلوا ذلك ووضعوا الحرب وسمي الزقاق
الذى دفعوه لهم زقاق الدية وانتقل بنو مالك بن زيد بن حبيب بن عبد حارثة من
بني بياضة ونزلوا الناحية التي ودت بنو زريق (وابتنوا) أطما كان لبنى المعلا بن لوذان
وتخلف بنو الصمة بن حارثة بن الحارث بن زيد بن حبيب فى بني بياضة فلبثت بنو
المعلا بن لوذان في بني زريق ماشاء الله ثم ان عبيد بن المعلا قتل حصن بن خالد الزرقي
فأراد بنو زريق أن يقتلوه ثم بدا لهم أن يدوا حصن بن خالد من أموالهم عن عبيد
على أن يحالفهم بنو المعلا ويقطعون حلفهم مع بني بياضة ففعلوا وكان عامر بن زريق
ابن عبد حارثة والد زريق وبياضة لما حضرته الوفاة أوصى ابنه بياضة بالصبر فى الحروب
وشدة البأس وأوصاه باخيه زريق وكان أصغرهما فقال بعض شعرائهم فى ذلك
* بالصبر أوصى عامر بياضه * ويقال للأوس والخزرج أبطأهم فرة وأسرعهم كرة بنو بياضة
وبنو زريق وبنو ظفر وان الأوس والخزرج لم يلتقوا فى موطن قط الا كان لهذه القبائل
فضل بين على غيرهم من بطون الأوس والخزرج وأما بنو عذارة بن مالك بن غضب بن
جشم فكانوا أقل بطون بنى مالك بن غضب عددا وكانوا قوما ذوى شراسة وشدة

أنفس فقتلوا قتيلا من بعض بطون بني مالك بن غضب اما من بنى اللين أو بني اجدع
وأبى أهل القتيل الدية وذهبوا الى بني بياضة ليعينوهم على بنى عذارة حتى يعطوهم القاتل
فكلمت بنو بياضة بنى عذارة في ذلك فابوا أن يخلوا بينهم وبينه فارادت بنو بياضة
ان يأخذوه عنوة فخرجوا من دار بنى بياضة حتى نزلوا قباء على بنى عمرو بن عوف
فحالفوهم وصاهروهم وامتنعوا من بنى بياضة ثم انه دخل بين بنى عذارة وبين بنى عمرو
ابن عوف قبيل الاسلام أمر فأجمعوا ان ينتقلوا من عندهم الى بنى زريق وكرهوا أن
يرجعوا الى بنى بياضة فجاؤهم وذكروا لهم ذلك فلقوهم بما يحبون وسددوا رأيهم وأتوا
أبا عبيدة سعيد بن عثمان الزرقي فذكروا له ذلك فرحب بهم وذكر شرفهم وفضلهم ثم قال
اني أشير عليكم أن ترجعوا الى أخوالكم يعنى بنى عمرو بن عوف ولا تنتقلوا الى بني زريق
فان فى اخلاقكم شراسة وفى اخلاق بنى زريق مثلها فتفرقوا عن رأيه فلم يزالوا كذلك
الى ان فرض المهدى للأنصار سنة ستين ومائة فانتقلوا بديوانهم الى بنى بياضة وكان
بطنان من بطون بني مالك بن غضب ممن كان بدار بني بياضة لاندري أهم من اللين
أم من أجدع كان بينهم ميراث في الجاهلية فاشتجروا فيه فلما رأوا أنهم لا يستقيمون فيه
علي أمر تداعوا الى أن يدخلوا حديقة كانت في بنى بياضة فيقتتلوا فيها فدخلوا جميعا ثم
أغلقوها فاقتتلوا حتي لم يبق منهم عين تطرف فسميت تلك الحديقة حديقة الموت وكان
بنو مالك بن غضب سوي بنى زريق ألف مقاتل في الجاهلية وأما بنو أجدع فلم يبق
منهم أحد وأما بنو اللين فكان بقى منهم رجلان ثم انقرضا لا عقب لهما (وذكر) ابن حزم
أن زيد بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب المتقدم ذكر بنيه كان له أخ وهو
عبدالله بن حبيب وأن عبدالله بن حبيب هذا والد أبى جبلة الغسانى الذى جلبه مالك
ابن العجلان لقتل اليهود بالمدينة كما قدمنا الاشارة اليه والله أعلم. (ونزل) بنو ساعدة بن
كعب بن الخزرج الأكبر مفترقين في أربع منازل (فنزل) بنو عمرو وبنو ثعلبة ابنا
الخزرج بن ساعدة دار بنى ساعدة التى بين السوق أي سوق المدينة وبين بنى ضمرة
فهى في شرقي سوق المدينة مما يلى الشام (وقال) المطري قرية بني ساعدة عند بئر بضاعة
والبئر وسط بيوتهم (قال) ابن زبالة (فابتنوا) أطما يقال له مُعرض فى الدار المواجهة مسجد
بنى ساعدة وهو آخر أطم بني بالمدينة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم

يبنونه فاستأذنوه فى اتمامه فأذن لهم فيه وله يقول شاعرهم

ونحن حمينا عن بضاعة كلها ٭ ونحن بنينا معرضا فهو مشرف

فأصبح معمورا طويلا فداله ٭ وتخرب آطام بهـا وتصفصف

(وأطما) في دار أبى دجانة الصغرى التى عند بضاعة و(نزلت) بنو قشبة واسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة قريبا من بني حديلة(١) (وابتنوا) أطما عند خوخة عمرو بن أمية الضمرى (قلت) فمنزلهم في شرقيّ بني ضمرة والمنزل المذكور قبل والله أعلم (ونزلت) بنو أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة وهم رهط سعد بن عبادة الدار التي يقال لها جرار سعد وهى جرار كان يسقى الناس فيها الماء بعد موت أمه (قال) ابن زبالة عرض سوق المدينة مابين المصلى الى جرار سعد بن عبادة (قلت) فهى مما يلى السوق فاما أن يكون من جهة المشرق والمصلى حده من جهة المغرب فيشهد ذلك لأنها الموضع المعروف اليوم بين أهل درب السويقة بسقيفة بني ساعدة ويكون اطلاق السقيفة على ذلك المحل صحيحا لا كما قال المطرى انها بقرية ببنى ساعدة عند بئر بضاعة لأن سعد ابن عبادة لم يكن هناك وانما كان مع رهطه في منزلهم والسقيفة كانت عند منزله واما ان يكون جرار سعد مما يلى السوق من جهة الشام ويكون المصلى حده القبلى وهذا هو الأرجح لأن الجهة التي بالمشرق مما تقدم انما هي من منازل بنى زريق والله أعلم. (قال) ابن زبالة فابتنوا أطما يقال له واسط وقد تقدم أن بني خدارة نزلوا بجرار سعد أيضا فكأنها كانت منزلها وبنو خدارة من بنى الحارث بن الخزرج كما تقدم فدارهم المرادة فى حديث عيادة سعد بن عبادة في بنى الحارث بن الخزرج لادار بني الحارث المعروفة بهم لبعدها جدا عن منازل بنى ساعدة وليسوا قوم سعد الا من حيث أن الكل من الخزرج (وفي) حديث عائشة فى الصحيح بعد قول عروة لها ما كان يعيشكم قالت (الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم منائح) الحديث (قال) الحافظ بن حجر فى بيان ذلك جيرانه صلى الله عليه وسلم من الأنصار سعد بن عبادة وعبدالله بن عمرو بن حزم وأبو أيوب وسعد بن زرارة فيبعد كون سعد بن عبادة في دار بنى الحارث لعده في الجيران ومأخذ الحافظ بن حجر في ذلك مارواه ابن

(١) حديلة ضبطه هنا بالحاء المهملة مضمومة وأما فى الخلاصة فهو بالجيم المعجمة

سعد عن أم سلمة قالت كان الأنصار يكثرون الطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وعمارة بن حزم وأبو أيوب وذلك لقرب جوارهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي والله أعلم (ونزلت) بنو وقش وبنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الدار التى يقال لها بنو ساعدة ويقال لها أيضا بنو طريف وهى بين الحاضة وجرار سعد وسيأتى في ترجمة الشوط مايقتضي أن لبنى ساعدة منزلا في شامى مسجد الراية والظاهر أنه هذا المنزل والله أعلم (ونزل) بنو مالك بن النجار دارهم المعروفة بهم (فابتنى) بنو غنم بن مالك أطما يقال له فويرع وفى موضعه دار حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه (قلت) وهى الدار المقابلة لدار جعفر الصادق التي في قبلة المدرسة الشهابية كما سيأتى نقله عن ابن شبة (وابتنى) بنو مغالة وهم بنو عدى ابن عمرو بن مالك ومغالة أم عدى أطما يقال له فارع وهو الأطم الذى يواجه دور بنى طلحة بن عبيد الله ودخل في دار بن يحيي بن خالد بن برمك وله يقول حسان بن ثابت

أرقت لتوماض البروق اللوامع ٭ ونحن نشاوى بين سلع وفارع

قاله ابن زبالة وقال الزين المراغى ان هذا الأطم كان لثابت والد حسان بن ثابت وأنه دخل فى الدار المواجهة لباب الرحمة التى كانت دار عاتكة ومأخذه في ذلك ان دار عاتكة من جملة دار جعفر بن يحيي لكن سيأتي من كلام ابن زبالة ويحيي عند ذكر أبواب المسجد ان دار جعفر بن يحيى دخل فيها بيت عاتكة وفارع أطم حسان ابن ثابت وبيننا محله هناك في شامي الدار المذكورة أعنى دار عاتكة (وفارع) هذا هو الأطم الذي كانت به صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وعندها حسان (وفي) مسلم في حديث ابن صياد فوجده عند أطم بنى مغالة (قال) عياض بنو مغالة كل ما كان على يمينك اذا وقفت آخر البلاط مستقبل المسجد النبوى (وابتنى) بنو حديلة (بضم الحاء المهملة) وهو كما قال ابن زبالة وغيره لقب معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار أطما يقال له مشعط كان في غربى مسجدهم الذى يقال له مسجد أبىّ يعنى أبي بن كعب وفي موضعه بيت يقال له بيت أبى نبيه وقد أسند ابن زبالة عقب ذكره الحديث المتقدم (ان كان الوباء في شئ فهو في ظل مشعط) وذكر ابن شبة قصر بنى حديلة وقال بناه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ليكون حصنا قال وله بابان باب

شارع على خط بنى حديلة وباب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التيمى
وفي وسطه بئرحاء انتهى. و(قال) عياض في المشارق بئرحاء موضع يعرف بقصر بنى حديلة
وقد قال ابن اسحاق بنو عمرو بن مالك بن النجار هم بنو حديلة أى لأن حديلة بطن
منهم لما قدمناه من أنه لقب أبيهم معاوية بن عمرو بن مالك (قلت) فليس بنو حديلة
هؤلاء بنى معاوية من الأوس أهل مسجد الاجابة كما قدمناه ولكن الاشتراك في
الاسم أوجب الوهم فقد وقع للقاضي عياض في المشارق مايخالف كلام عامة الناس (فقال)
قال الزبير كل ما كان من المدينة عن يمينك اذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بنو مغالة والجهة الأخرى أى التى على يسارك بنو حديلة وهم بنو
معاوية وهم من الأوس (قال) الجوهرى هى قرية من قرى الأنصار قال القاضى هم بطن
من الأنصار سميت جهتهم بهم وهم أيضا بنو حديلة (بحاء ودال مهملتين) وحديلة أمهم
انتهى. والذى نقله غيره عن الزبير أن بني حديلة من بنى النجار من الخزرج و بنو معاوية
من الأوس غيرهم وقد قدمناه عن ابن زبالة شيخ الزبير وقد ذكر بن حزم فى الجمهرة
معاوية من الأوس وذكر بنى حديلة من الخزرج فقال وولد مالك بن النجار معاوية وأمه
حديلة فنسب اليها والظاهر أن قول القاضى وهم من الأوس ليس من كلام الزبير في
هذا الموضع ولكن القاضي لما رأى قوله وهم بنو معاوية ظن أنهم بنو معاوية من
الأوس وهذا موجب ماوقع للمطرى من الخبط فى هذا المحل حيث غاير بينهما مرة
وجعلهما متحدين أخرى ولا يصح الجمع بما ذكره المراغي من احتمال أن يكون بنو معاوية
بطنا أو فخذا من بنى حديلة لما قدمناه (وابتنى) بنو مبذول واسمه عامر بن مالك بن
النجار أطما يقال له السالج وأطما كان فى دار آل حيي بن أخطب كان لبنى مالك بن
مبذول وأطما كان فى دار سرجس مولى الزبير التى الى بقيع الزبير كان لآل عبيد
ابن النعمان أخى النعمان بن عمرو بن مبذول وبقيع الزبير ذكر في أماكن يؤخذ منها
انه كان في شرقى الدور التى تلى قبلة المسجد النبوى الى بنى زريق والى بنى غنم والى
البقال(١) كما سيأتي (ونزل) بنو عدى بن النجار دارهم المعروفة بهم غربى المسجد النبوى
على ما قاله المطرى وكان بها الأطم الذى في قبلة مسجدهم (وابتنوا) أطما يقال له أطم

(١) (البقال) بفتح الموحدة وتشديد القاف موضع بالمدينة.

الزاهرية امرأة سكنته كان في دار النابغة عند المسجد الذى فى الدار (ونزل) بنو مازن
ابن النجار دارهم المعروفة بهم قبلى بئر البصه وتسمى الناحية اليوم أبو مازن غيرها أهل
المدينة (قال) المطرى (وابتنوا) بها أطمين أحدهما يقال له واسط (قلت) والذى يؤخذ من
كلام ابن شبة الآتي فى منازل القبائل أن منازل بنى مازن كانت فى قبلة المدينة شرقى
منازل بنى زريق قريبة منها والله أعلم (ونزل) بنو دينار بن النجار دارهم التى خلف
بطحان المعروفة بهم (وابتنوا) أطما يقال له المنيف عند مسجده الذى يقال له مسجد بني
دينار قاله ابن زبالة (وقال) المطرى فى بيان هذا المسجد ودار بنى دينار بن النجار بين
دار بنى حديلة ودار بني معاوية أهل مسجد الاجابة ودار بنى حديلة عند بئرحاء انتهي
ولا أدرى من أين أخذ هذا وما ذكره ابن زبالة أقرب وأولى بالاعتماد لأمور
سنذكرها فى بيان مسجدهم (قال) ابن زبالة وزعم بنو دينار أنهم نزلوا أولا دار أبى
جهم بن حذيفة العدوى وكانت امرأة منهم هنالك وكان لها سبعة أخوة فوقفت على
بئر لهم بدار أبى جهم ومعها مدرا لها من فضة فسقط منها في البئر فصرخت باخوتها
فدخل أولهم يخرجه فأسر فاستغاث ببعض اخوته حتى دخلوا جميعا فماتوا فى تلك البئر
فهذه منازل بنى النجار (قال) المطرى وتبعه من بعده ان دار النابغة المتقدمة فى بنى عدى
كانت غربى مسجد الرسول وهى دار بنى عدى بن النجار ومسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم وما يليه من جهة الشرق دار بنى غانم بن مالك بن النجار ودور بنى النجار
بالمدينة وما حولها من الشمال الى مسجد الاجابة والنجار هو تيم الله بن ثعلبة وسمى
بذلك لأنه ضرب رجلا فنجره فقيل له النجار وفى دور بنيه هؤلاء قال النبي صلى الله
عليه وسلم (خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل) وهم من الأوس كما سبق
(وفي) رواية أخرى (ألا أخبركم بخير دور الأنصار قالوا بلى قال بنو عبد الأشهل) وهم
رهط سعد بن معاذ (قالوا ثم من يارسول الله قال ثم بنو النجار)وراويهما واحد وقد
صحتا فاختلف عليه وتقديم بني النجار روى عن أنس من غير اختلاف عليه ولها مؤيدات
أخرى وهم أخوال عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك نزل عليهم صلى الله عليه
وسلم كما سيأتي ثم ذكر فى الرواية المذكورة بعد بني عبد الأشهل بني الحارث بن الخزرج
أى الأكبر (ثم بنو ساعدة) وقال فى هذه الرواية أيضا (وفى كل دور الأنصار)خير وكأن

المفاضلة وقعت بحسب السبق الى الاسلام و بحسب مساعيهم في اعلاء كلمة الله (قال) ابن زبالة عقب ذكر جميع منازل الأنصار المتقدمة (ونزل) بنو الشطبة حين قدموا من الشام ميطان فلم يوافقهم فتحولوا قريبا من جذمان ثم تحولوا فنزلوا براتج فهم أحد قبائل راتج الثلاث وقد ذكر راتج في منازل يهود فقال وكان براتج ناس من اليهود وكان راتج أطما سميت به تلك الناحية ثم صار لبنى الجذماء ثم صار بعد لأهل راتج الذين كانوا حلفاء بني عبد الأشهل وهو الذى يقول له قيس ابن الحطيم

* ألاان بين الشرعبي وراتج * البيت وقد قدمنا عن ابن حزم ان أهل راتج هم بنو زعورا بن جشم أخي عبد الأشهل بن جشم وذكر أيضا أن من أهل راتج بني سعد بن مرة بن مالك بن الأوس (وقال) المطرى (راتج) جبيل صغير غربي وادى بطحان وبجنبه جبيل آخر صغير يقال له جبل بني عبيد انتهى . وسيأتي ماينازع فيه مع بيان ان راتجا في ناحية مسجد الراية

﴿ الفصل السادس فيما كان بينهم من حرب بعاث(١) ﴾

نقل رزين عن الشرقي ان الأوس والخزرج لبثوا بالمدينة ماشاء الله وكلمتهم واحدة ثم وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة حتي لم يسمع قط في قوم أكثر منها ولا أطول (أولها) حرب سُمير وسببه رجل من بنى ثعلبة كان حليفا لمالك بن العجلان قتله رجل من الأوس يقال له سمير بالمهملة مصغرا (ثم) حرب كعب بن عمرو (ثم) يوم السرارة وهو موضع بين بني بياضة والحماضة (ثم) يوم الديك وهو موضع أيضا (ثم) حرب بعاث وهو كان آخرها قتل فيه سراة الأوس والخزرج ورؤساؤهم (قلت) في كلام بعضهم انه كان بين الأوس والخزرج وقائع من أشهرها يوم السرارة و يوم فارع و يوم الفجار الأول والثانى وحرب حضير بن الأسلت وحرب حاطب بن قيس الى ان كان آخر ذلك يوم بعاث فقول الخطابى يوم بعاث يوم مشهور كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج و بقيت الحرب قائمة مائة وعشرين سنة الى الاسلام على ماذكره ابن اسحاق وغيره مأول بأن حروب الأوس والخزرج كلها قبل بعاث و بعده مكثت هذه المدة والا فهو مردود وسيأتى تعيين تأريخ يوم بعاث وكان سببه أن الحروب المتقدمة كلها كان الظفر في أكثرها للخزرج على الأوس حتى ذهبت الأوس

(١) بعاث بضم الموحدة و بمهملة ومثلثة غير منصرف حصن

لتحالف قريظة فأرسلت اليهم الخزرج لئن فعلتم فأذنوا بحرب فتفرقوا وأرسلوا الى الخزرج انا لانحالفهم ولا ندخل بينكم فقالت الخزرج لليهود فاعطونا رهائن والا فلا نأمنكم فاعطوهم أربعين غلاما من بينهم ففرقهم الخزرج في دورهم فلما أيست الأوس من نصرة اليهود حالفت بطونا منهم الخزرج منهم بنو عمرو بن عوف وقال مأثرهم والله لانصالح حتى ندرك ثأرنا فتقاتلوا وكثر القتل في الأوس لما خذلهم قومهم وخرج سعد بن معاذ الأشهلي فأجاره عمرو بن الجموح الحرامى فلما رأت الأوس ان أمرهم الى قل عزموا على ان يكونوا حلفا للخزرج في المدينة ثم اشتوروا في أن يحالفوا قريشا فأظهروا أنهم يريدون العمرة وكان بينهم ان من أراد حجا أوعمرة لم يعرض له فأجار أموالهم بعدهم البراء بن معرور فأتوا مكة فحالفوا قريشا ثم جاء أبو جهل وكان غائبا فنقض حلف قريش بحيلة احتالها (قلت) روى ابن شبة عن أفلح بن سعيد مايخالفه في نسبة ذلك لأبى جهل مع بيان الحيلة فقال خرجت الأوس جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها فلما حالفتهم قال الوليد بن المغيرة والله مانزل قوم قط على قوم لا أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم فاقطعوا حلف الأوس فقالوا بأى قال بأى شئ قال ان في القوم حمية قولوا لهم انا نسينا شيئاً لم نذكره لكم انا قوم اذا كان النساء بالبيت فرأى الرجل امرأة تعجبه قبّلها ولمسها بيده فلما قالوا ذلك للأوس نفرت وقالوا اقطعوا الحلف بيننا و بينكم فقطعوه انتهى . فلما لم يتم لهم الحلف ذهبت النبيت الى خيبر (قلت) أراد بالنبيت بعضهم وهم بنو حارثة لما قدمناه من ان النبيت يطلق عليهم وعلى بنى عبد الأشهل و بنى ظفر و بني زعورا والذى انتقل من هؤلاء الى خيبر هم بنو حارثة فقط كما سبق الا أن يريد غيره فأقاموا بها سنة وماتت منهم عجوز فقالوا (أهون حادث موت عجوز في سنة) فذهب مثلا فلما رأت الخزرج ان قد ظفرت بالأوس افتخروا عليهم في أشعارهم وقال عمرو بن النعمان البياضى ياقوم ان بياضة بن عمرو أنزلكم منزل سوء والله لايمس رأسى غسل حتى أنزلكم منازل بنى قريظة والنضير واقتل رهنهم وكان لهم غزار المياه وكرام النخل وقال رجل منهم أيضا شعرا يتغنى به يذكر جلاء النبيت الى خيبر وأخذهم الرهن من اليهود

هلم الى الأحلاف اذ رقّ عظمهم * واذ أصلحوا مالا لجذمان ضائعا

اذا مالمرء منهم أداء عمارة * بعثنا عليهم من بني العير جادعا
فاما الصريح منهم فتحملوا * وأما اليهودى فاتخذنا بضائعا
وذاك بانا حين نلقى عدونا * نصول بضرب يترك العز خاشعا

فبلغ قولهم قريظة والنضير وهم المعنيون بالصريح لأنهم من بنى الكاهن بن هارون و بلغ ذلك أيضا من كان في المدينة من الأوس فمشوا الى كعب بن أسد القرظى فدعوه الى المحالفة على الخزرج ففعل ثم تحالفوا مع قريظة والنضير ثم أرسلوا بذلك الى النبيت فقدموا فاخذت الخزرج في قتل الرهن فقال لهم كعب بن أسد القرظى انما هى ليلة ثم تسعة أشهر وقد جاء الخلف وأرسلوا الى الأوس وقالوا لهم انهضوا الينا فنأتيهم بأجمعنا فجاءت الخزرج الى عبد الله بن أبيّ فقالوا مالك لاتقتل الرهن فقال لاأغدرهم أبدا وأنتم البغاة وقد بلغنى أن الأوس تقول منعونا الحياة فيمنعونا الموت و والله مايموتون أو تهلكون عامتكم فقال له عمرو بن النعمان انتفخ والله سحرك فقال انى لاأحضركم ولكأني انظر اليك قتيلا يحملك أربعة فى كساء فاجتمع الخزرج ورأسوا عليهم عمرو بن النعمان (قلت) الذى ذكره بن حزم ان رئيس الخزرج يومئذ هو والد النعمان وهو رحيلة بن ثعلبة البياضى والله أعلم فاقتتلوا فى بعاث وهو موضع عند أعلى قورى وكانت الدبرة على الخزرج وقتل عمرو بن النعمان وجيء به تحمله أربعة كما قال له ابن أبيّ وحلفت اليهود لتهدمن حصن عبد الله بن أبيّ وكان أبو عمرو الراهب مع الأوس وكانت تحته جميلة بنت أبيّ وهى أم حنظلة الغسيل فلما أحاطوا بالحصن قال لهم عبد الله أما أنا فلم أحضر معهم وهؤلاء أولادكم الذين عندى فانني لم أقتل منهم أحدا ونهيت الخزرج فعصونى وكان جل من عنده من الرهن من أولاد بنى النضير ففرحوا حين سمعوا بذلك فاجاروه من الأوس ومن قريظة فأطلق أولادهم وحالفهم ولم يزل حتى ردهم حلفاء الخزرج بحيل تحيل بها وكان رئيس الأوس فى هذا الحرب حضير الذى يقال له حضير الكتائب والد أسيد بن حضير و بها قتل وقال خفاف ابن ندبة يرثى حضيرا

أتانى حديث فكذبته * وقالوا خليلك فى المرمس
فياعين بكى حضير الندا * حضير الكتائب والمجلس

وكان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي كما تقدم أيضا (قال) بعضهم وكان النصر فيها أولا للخزرج ثم ثبّت حضير الأوس فرجعوا وانتصروا وذكر أبو الفرج الأصبهانى أن سبب ذلك انه كان من قاعدتهم أن الأصيل لايقتل بالحليف فقتل رجل من الأوس حليفا للخزرج فارادوا ان يقيدوه فامتنعوا فوقعت بينهم الحرب لأجل ذلك وكان يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح وقيل بأربعين سنة وقيل بأكثر وهو اليوم الذى تقول فيه عائشة رضى الله عنها كما فى الصحيح كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الاسلام فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملاؤهم وقتلت سراتهم يعنى الأوس والخزرج ومعناه انه قتل فيه من أكابرهم من كان لايؤمن ان يتكبر ويأنف أن يدخل فى الاسلام لتصابه فى أمر الجاهلية ولشدة شكيمته حتى لايكون تحت حكم غيره وقد كان بقى منهم من هذا النمط عبد الله بن أبيّ بن سلول وقصته في ذلك مشهورة وكذلك أبو عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم بالفاسق قال أهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وسيد أهلها عبد الله بن أبيّ بن سلول كان من الخزرج ثم من بنى عوف ابن الخزرج ثم من بنى الحبلى لايختلف في شرفه في قومه اثنان لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من احدى الفريقين حتي جاء الاسلام غيره ومعه في الأوس رجل هو فى قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر بن صيفى بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة الغسيل وكان قد ترهب ولبس المسوح فشقيا بشرفهما (أما) عبد الله بن أبيّ فلما انصرف عنه قومه الى الاسلام ضغن ورأى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارهاً مصرا على نفاق وضغن فكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وهو القائل فى غزوة بنى المصطلق لأن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل و(أما) أبو عامر فأبى الا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الاسلام وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فقال ماهذا الدين الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فأنا عليها فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم انك لست عليها قال انك أدخلت يامحمد في الحنيفية ماليس منها قال مافعلت ولكنى جئت بها بيضاء نقية قال الكاذب

أماته الله طريدا غريباً وحيدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فمن كذب ففعل الله ذلك به فكان هو ذاك عدو الله خرج الى مكة مفارقا الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج الى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا (وروى) بعضهم انه لم يكن فى الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبي عامر المذكور وكان يألف اليهود ويسائلهم فيخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى يهود تيماء والى الشام فسأل النصارى فأخبروه بذلك فرجع وهو يقول أنا على دين الحنيفية وترهب ولبس المسوح وزعم انه ينتظر خروج النبى صلي الله عليه وسلم فلما ظهر بمكة لم يخرج اليه فلما قدم المدينة حسد وبغى وذكر اتيانه النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ماسبق الا انه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاذب أماته الله وحيدا طريدا قال آمين ثم ذكر خروجه الى مكة وزاد فكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه فهذا مصداق ماذكرت عائشة رضى الله عنها

﴿ الفصل السابع ﴾ في مبدء اكرام الله لهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وذكر العقبة الصغرى

اعلم ان تلك الحروب المتقدمة لم تزل بين الأوس والخزرج حتى أكرمهم الله باتباعه صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه فى كل موسم من مواسم العرب على قبائلهم ويقول ألا رجل يحملنى الى قومه فان قريشا قد منعونى ان أبلغ كلام ربى فيأبونه ويقولون قوم الرجل أعلم به (وذكر) ابن اسحاق عرضه عليه الصلاة والسلام نفسه على كندة وعلى كلب وعلى بنى حنيفة قال ولم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم وقال موسى بن عقبة عن الزهرى فكان في تلك السنين أى التى قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل ويكلم كل شريف قوم لايسألهم الا أن يؤووه ويمنعوه ويقول لا أكره أحدا منكم علي شيء بل أريد أن تمنعوا من يؤذينى حتى أبلغ رسالة ربي فلا يقبله أحد (وذكر) الواقدى دعاه صلى الله عليه وسلم بنى عبس الى الاسلام وأنه أتى غسان فى منازلهم بعكاظ وبنى محارب كذلك ولم يزل صلى الله عليه وسلم يدعو الى دين الله ويأمر به كل من لقيه ورآه من العرب الى أن قدم سويد بن الصامت

أخو بني عمرو بن عوف من الاوس وكان يسمى الكامل لجلده وشعره وهو القائل

فرشنى بخير طال ماقد بريتني ٭ فخير الموالى من يرش ولايبرى

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فلم يبعد ولم يجب ثم انصرف الى يثرب فلم يلبث ان قتل يوم بعاث (قال) ابن اسحاق فان كان رجال من قومه ليقولون انا نراه قد قتل وهو مسلم وقدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع وهو فى فتية من قومه بنى عبد الأشهل يطلبون الحلف فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال رجل منهم اسمه اياس بن معاذ وكان شابا هذا والله خير مما قدمنا له فضرب به أبو الحيسر وانتهره فسكت ثم لم يتم لهم الحلف فانصرفوا الى بلادهم ومات اياس بن معاذ فقيل انه مات مسلما (وقال) رزين فى ذكر هذه القصة ثم جاءت الأوس تطلب أن تحالف قريشا فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض نفسه عليهم وقال اسمعوا مني هل لكم فى خير مما جئتم له وتلا عليهم القرآن ثم قال بايعوني واتبعونى فانكم ستجمعون بى فقال عمرو بن الجموح هذا أى قوم والله خير لكم مما جئتم له فانتهروه وقالوا ماجئنا لهذا ولم يقبلوا عليه ثم انصرفوا فكانت وقعة بعاث (وقال) ابن زبالة انه صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على القبائل فيأبونه حتى سمع بنفر من الأوس قدموا فى المنافرة التي كانت بينهم فأتاهم فى رحالهم فقالوا من أنت فانتسب لهم وأخبرهم خبره وقرأ عليهم القرآن وذكر أنهم أخواله وسألهم أن يؤووه ويمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فنظر بعضهم الى بعض وقالوا والله هذا صادق وانه النبي الذي يذكر أهل الكتاب ويستفتحون به عليكم فاغتنموه وآمنوا به فقالوا أنت رسول الله قد عرفناك وآمنا بك وصدقناك فمرنا بأمرك فانا لن نعصيك فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يختلف اليهم ويزدادون فيه بصيرة ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يدعوا قومهم الى دينهم فسألوه أن يرتحل معهم فقال حتى يأذن لى ربى فلحقوا بأهلهم المدينة ثم شخصوا اليه فى الموسم فكان من أمر العقبة ما كان وهو مخالف لما تقدم من أن النفر من الأوس لم يقبلوا (وقد) أخرج الحاكم وغيره باسناد حسن عن علي رضى الله عنه قال لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب وخرج وأنا معه وأبو بكر الى منى حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال من القوم قالوا ربيعة فذكر حديثا طويلا فى مراجعتهم وترفقهم

أخيرا عن الاجابة ثم قال ثم دفعنا الى مجلس الأوس والخزرج وهم الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار لكونهم أجابوه الى ايوائه ونصره قال فما نهضنا حتي بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن اسحاق في ذكر العقبة الأولى لما أراد الله عز وجل اظهار دينه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذى لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينا هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج قال أمن موالى يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وكان مما صنع الله لهم في الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل علم وكتاب وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم في بلادهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا لهم ان نبيا مبعوث قد أظل زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض تعلموا انه للنبي الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه فأجابوه فيما دعاهم اليه وقالوا له انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم ليدعوا قومهم فلما جاؤهم لم يبق دار من دور قومهم الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهم يعني أصحاب العقبة الأولى فيما ذكر لى ستة نفر من الخزرج وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث كلاهما من بني غنم بن مالك بن النجار ورافع بن مالك بن العجلان الزرقي وقطبة بن عامر بن حديدة وجابر بن عبدالله بن رئاب (١) وعقبة ابن عامر بن نابي وهولاء الثلاثة من بني سلمة (وقال) موسى بن عقبة عن الزهرى وأبي الأسود عن عروة (هم) أسعد بن زرارة ومعاذ بن عفراء وهي أمه وهو ابن عمرو بن الجموح من بني غنم بن مالك بن النجار أيضا ورافع بن مالك ويزيد بن ثعلبة البلوى (ثم) من بني غصينة حليفهم وأبوالهيثم مالك بن التيهان الأوسى (ثم) من بني جشم أخي عبد الأشهل بن جشم وعويم بن ساعدة الأوسى (ثم) من بنى أمية بن زيد ويقال كان فيهم عبادة بن الصامت الخزرجي (ثم) من بنى غنم أخي سالم بن عوف وذكوان الزرقى فيكونون ثمانية ومنهم من عدهم سبعة فأسقط جابر بن عبدالله أو عبدالله بن زيد وقيل انما أسلم فى

(١) رئاب ككتاب جد جابر بن عبد الله الصحابي رضي الله عنه قاموس

العام الأول اثنان فقط هما أسعد بن زرارة وذكوان (قال) ابن اسحاق في ذكر العقبة يعني الثانية لما قدمه وبعضهم يسميها الأولى فلما كان الموسم يعني من العام المقبل وافاه منهم اثنا عشر رجلا فذكر الستة الذين قدمهم غير جابر بن عبدالله وزاد ذكوان الزرقي وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة بن نضلة الغنمى السالمى الخزرجي ومعاذ بن عفراء وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة قال فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء أى على وفق بيعة النساء التى نزلت بعد الفتح على أن لا يشركوا بالله شيأ الى آخر الآية ولم يكن أمر بالقتال بعد بل كان جميع ذلك قبل نزول الفرائض ماعدى التوحيد والصلاة وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير ليفقههم في الدين ويعلمهم الاسلام فكان يصلى بهم وقيل بعثه اليهم بعد ذلك يطلبهم ليعلمهم ويقرئهم القرآن فكان يسمى المقرئ وهو أول من سمى به فنزل على أسعد بن زرارة وقيل بعث اليهم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فكان مصعب ابن عمير يؤمهم وذلك ان الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض فجمع بهم أول جمعة في الاسلام (وفي) الدارقطني عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير أن يجمّع بهم فجمّع بهم وكانوا اثني عشر (قال) الزهرى وعند ابن اسحاق أول من جمع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة (وفي) أبي داود من طريق عبدالرحمن بن كعب بن مالك قال كان أبي اذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة فسألته فقال كان أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات (قلت) كم أنتم يومئذ قال أربعون (قال) البيهقى ولا يخالف هذا ماروى عن الزهرى من تجميع مصعب بن عمير بهم وأنهم كانوا اثنى عشر اذ مراد الزهري انه أقام الجمعة بمعونة النفر الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة وبعثه صلى الله عليه وسلم في صحبتهم أو على أثرهم حين كثر المسلمون ومنهم أسعد بن زرارة فالزهرى أضاف التجمع الى مصعب لكونه الامام وكعب أضافه الى أسعد لنزول مصعب أولا عليه ونصره له وخروجه به الى دور الأنصار يدعوهم الى الاسلام وأراد الزهرى بالاثني عشر عدد الذين خرجوا به وكانوا له ظهرا ومراد كعب جميع من صلى معه هذا وقول كعب متصل وقول الزهرى منقطع انتهي. و(روى) الطبراني مرسلا فى خبر طويل قال فيه عن عروة ثم بعثوا

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا رجلا من قبلك يدعو النـاس بكتاب الله فانه أدنى أن يتبع فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير أخا بنى عبد الدار فنزل فى بنى غنم على أسعد بن زرارة فجعل يدعو الناس ويفشو الاسـلام وهم في ذلك مستخفون بدعائهم ثم ان أسعد بن زرارة أقبل هو ومصعب بن عمير حتى أتيا مرقا أو قريبا منها فجلسا هنالك وبعثا الى رهط من أهل الأرض فأتوهم مستخفين فبينا مصعب بن عمير يحدثهم ويقص عليهم القرآن أخبر بهم سعد بن معاذ فأتاهم فى لأمته ومعه الرمح حتى وقف عليه فقال غلام يأتينا في دارنا هذا الوحيد الفريد الطريد الغريب ليسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم لا أراكما بعد هـذا بشىء من جوارنا فرجعوا ثم انهـم عادوا الثانية ببئر مرق أو قريبا منها فأخبر بهم سعد بن معاذ الثانية فوعدهم بوعيد دون الأول فلما رأى أسعد منه اللين قال يا ابن خالة اسمع من قوله فان سمعت منكرا فاردده باهدى منه وان سمعت خيرا فاجب اليه فقال ماذا يقول فقرأ عليه مصعب «حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» فقال سعد وما أسمع الا ما أعرف فرجع وقد هداه الله ولم يظهر أمر الاسلام حتى رجع الى قومه فدعا بني عبد الأشهل الى الاسلام وأظهر اسلامه وقال من شك فيه من صغير أو كبير فليأتنا باهـدى منه فوالله لقـد جاء أمر لتحزن فيه الرقاب فأسلمت بنو عبد الأشهل عند اسـلامه ودعائه الا من لا يذكر فكانت أول دار من دور الأنصار أسلمت بأسرها ثم ان بنى النجار اشتدوا على أسعد ابن زرارة وأخرجوا مصعب بن عمير فانتقل الى سعد بن معاذ فلم يزل يدعو ويهدى على يديه حتى قل دار من دور الأنصار الا أسلم فيها ناس وأسلم أشرافهم وأسلم عمرو ابن الجموح وكسرت أصنامهم فكان المسـلمون أمر أهلها ورجع مصعب بن عمير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى. و(قد) روى هذه القصة ابن اسحاق عن من سمى من شيوخه بزيادة ونقص فقال ان أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بنى ظفر فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فلما سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما يومئذ سيدا قومهما بنى عبد الأشهل وكلاهما مشرك قال سعد لأسـيد لا أبا لك انطلق الى هذين الرجلين الذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن ان يأتيا

دارنا فانه لولا ان أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتى فأخذ أسيد حربته ثم أقبـل اليهما فلما رآه أسـعد بن زرارة قال لمصعب هذا سـيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال فوقف عليهما متشتما فقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجـة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنـك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربتـه وجلس اليهـما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا فى وجهه الاسلام قبل ان يتكلم ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا له تغتسـل فتطهر وتطهر ثيابك ثم تتشهد شهادة الحق ثم تصـلى فقام ففعل ذلك ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم انصرف الى سـعد وقومه وهم جـلوس فى ناديهم فلما نظر اليـه سعد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم أسـيد بغير الوجه الذى ذهب به فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهـما بأسا وقد نهيتهـما فقالا نفعل ما أحببت وقد حـدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتـلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا مبادرا متخوفا للذى ذكر له فأخذ الحربة من يده ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان أسيدا انمـا أراد ان يسمع منهما فوقف عليهـما متشتما ثم قال يا أبا أمامـة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا منى أتغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب بن عـمير أى مصعب جاءك والله سيد من ورائه من قومـه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهـم اثنان فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهتـه عزلنا عنـك ما تكره قال سـعد أنصفت ثم ركز الحربة فجلس فعرض عليه الاسـلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله فى وجهه الاسلام قبل ان يتكلم لاشراقه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم فذكرا له ما تقـدم ففعله ثم أقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا أفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم

حرام عليّ حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ماأمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع مصعب الى منزل أسعد بن زراره فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتي لم يبق دار من دور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بنى أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن صيفى بن الأسلت وكان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه ويطيعون فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى بدر وأحد والخندق ثم أسلموا كلهم وفي التأريخ الأوسط للبخارى ان أهل مكة سمعوا هاتفا يهتف قبل اسلام سعد بن معاذ

فان يسلم السعدان يصبح محمد ٭ بمكة لايخشى خلاف المخالف
فياسعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ٭ وياسعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبا الى داعي الهدي وتمنيا ٭ على الله في الفردوس منية عارف

في أبيات اخرى (وذكر) لها رزين سببا آخر كما سيأتى وهذا أصح ولم يذكر بن اسحاق في الخبر المتقدم اسلام عمرو بن الجموح بل ذكره بعد ذكر العقبة الآتية كما سنذكره نعم ابنه معاذ شهد العقبة

٭﴿ الفصل الثامن في العقبة الكبري ﴾٭ وبعضهم يسميها العقبة الثانية ومقتضى ماقدمناه ان تسمي الثالثة (قال) ابن اسحاق ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين للقائهم النبي صلى الله عليه وسلم ومبايعته في الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتي قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ماأراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله (وروى) بن اسحاق وصححه ابن حبان من طريقه عن كعب بن مالك قال خرجنا حجاجا مع مشركي قومنا وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء ابن معرور سيدنا وكبيرنا فذكر شأن صلاته الى الكعبة قال فلما وصلنا الى مكة ولم نكن رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فسألنا عنه فقيل هو مع العباس فى المسجد فدخلنا فجلسنا اليه فسأله البراء عن القبلة ثم خرجنا الى الحج وواعدناه العقبة فلما كانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا

ومعنا عبدالله بن عمرو والد جابر ولم يكن أسلم قبل فعرفناه أمر الاسلام فأسلم حينئذ وصار من النقباء قال فنمنا تلك الليلة فى قومنا فى رحالنا حتي اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلل القطا مستخفين فاجتمعنا في الشعب عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلا ومعنا امرأتان أم عمارة بنت كعب احدى نساء بني مازن وأسماء بنت عمر بن عدى احدى نساء بنى سلمة قال فجاء ومعه العباس فتكلم فقال ان محمدا منا من حيث علمتم وقد منعناه وهو فى عز وقد أبى الا الانحياز اليكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وذاك والا فمن الآن قال فقلنا قد سمعنا ماقلت فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت فتكلم فدعا الى الله وقرأ القرآن ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نسائكم وأبنائكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده فقال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أصحاب الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ان بيننا و بين الرجال يعني اليهود حبالا ونحن قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم(١) أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا اليّ منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فمن الخزرج (أسعد) بن زرارة نقيب بنى النجار و(سعد) بن الربيع و(عبدالله) بن رواحة نقيبا بنى الحارث بن الخزرج و(رافع) بن مالك بن العجلان نقيب بني زريق و(البراء) بن معرور و(عبدالله) بن عمرو بن حرام نقيبا بنى سلمة و(عبادة) بن الصامت نقيب القبائل (وفى) الطبرانى أنه نقيب بني عدى من الخزرج فكأنه نقيب الجميع و(سعد) بن عبادة و(المنذر) بن عمرو

(١) قال فى النهاية (الهدم) يروى بسكون الدال وفتحها فالهدم بالتحريك القبر يعنى أقبر حيث تقبرون (وقيل) هى المنزل أى منزلكم منزلى (والهدم) بالسكون وبالفتح أيضا هو اهدار دم القتيل والمعنى ان طلب دمكم فقد طلب دمى وان أهدر دمكم فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة بيننا اهـ

نقيبا بنى ساعدة (ومن) الأوس (أسيد) بن حضير نقيب بني عبد الأشهل (وسعد) بن خيثمة و (رفاعة) بن عبد المنذر نقيبا بني عمرو بن عوف (قال) بن اسحاق وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة (قلت) فيكون أبو الهيثم نقيبا ثانيا لبنى عبد الأشهل فانه منهم وقد صرحوا به وجعل صلى الله عليه وسلم النقباء على عدة الاسباط و (روى) أنه نقب على النقباء أسعد بن زرارة فتوفى بعد والمسجد النبوى يبنى قيل فاجتمعت بنو النجار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجعل منهم شخصا بدله نقيبا عليهم فقال لهم أنتم أخوالى وأنا فيكم وأنا نقيبكم وكره صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض فكان ذلك من فضل بني النجار الذى يعدون (قال) ابن اسحاق وحدثني عبدالله بن أبى بكر بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم قالوا نعم (وحدث) عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة أخو بني سالم بن عوف يامعشر الخزرج هل تدرون على م تبايعون هذا الرجل قالوا نعم. قال انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على ماذكرت لكم فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على ماقلت فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه (قال) عاصم ماقال ذلك العباس الا ليشد العقد فى أعناقهم (وقال) غيره أراد التأخير تلك الليلة رجاء أن يحضر عبدالله بن أبى بن سلول فيكون أقوى للأمر قال ابن اسحاق فبنو النجار يزعمون ان أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الأشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان (وفى) حديث كعب المتقدم أنه البراء ابن معرور ثم بايع القوم (وفى) المستدرك عن ابن عباس كان البراء بن معرور أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة (وعند) احمد عن جابر (وعند) الحاكم في الاكليل عن كعب بن مالك قال عبدالله بن رواحة يارسول الله اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فما لنا اذا فعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزل

«ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» الآية (وفي) حديث كعب المتقدم بعد ذكر صراخ الشيطان ان العباس بن نضلة قال للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا فقال صلى الله عليه وسلم لم أومر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج انه بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله مامن حى من العرب أبغض الينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمناه ولقد صدقوا لم يعلموه (وفي) حديث غير كعب انهم أتوا عبدالله بن أبى فقال لهم ان هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا وما علمته كان (وروى) أن مشركي الأنصار الذين حجوا في ذلك العام كانوا خمسمائة نفر وان أهل العقبة كانوا سبعين نفرا (وفي) لفظ عن ابن اسحاق من الأوس أحد عشر رجلا ومن القبائل أربعة نفر حلفاء الخزرج وكان من بني الحارث بن الخزرج اثنان وستون رجلا فكأنه أدخل في الخزرج حلفاءهم الأربعة والا فتزيد العدة على ثلاثة وسبعين أربعة (وروى) رزين ان أهل العقبة كانوا سبعين رجلا وامرأتان فانه روى حديث العقبة هذه عن عبادة بن الصامت بنحو حديث كعب المتقدم فقال قال عبادة ابن الصامت فلما كان العام المقبل أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعون رجلا وامرأتان من قومنا فواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسجد شعب العقبة عن يسارك وأنت ذاهب الى مني فلما توافينا عنده جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس وقال يامعشر الخزرج وهذا الاسم يغلب على الأوس والخزرج جميعا اذ ذاك ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه كما بلغكم فان كنتم تعلمون انكم تقدرون على منعه والا فذروه فهو مع قومه فى عز ومنعة فقام البراء بن معرور فقال قد سمعنا ماقلت وانا ماضربنا اليه أكباد الابل الا وقد علمنا انه نبى فبايعنا يارسول الله واشترط لنفسك ولربك ماشئت فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم فأخذ البراء بيده وقال نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ونحن أهل الحلقة والحصون والحروب فقام

أبوالهيثم بن التيهان فقال يارسول الله ان بيننا و بين الرجال حبالا ونحن قاطعوها فهل عسيت ان نصرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الدم الدم والهدم الهدم المحيا محياكم والممات مماتكم وأحارب من حاربكم وأسالم من سالمكم اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونوا نقباء على الناس فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فبينماهم فى ذلك اذ صرخ الشيطان يقول ياأهل الجباجب وهى المنازل هل لكم فى الصباة قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب(١) العقبة لأفرغن لك أى عدو الله ارجعوا الى رحالكم نصركم الله فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن بأسيافنا غدا على منى فقال له لم أومر بذلك ثم ذكر قصة كلام قريش فى ذلك وحلف مشركى قومهم لهم عن ذلك قال ثم انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنخرج معنا قال ماأمرت به (قال) رزين وقد قيل انه وقع بين قريش والأنصار كلام فى سبب خروج النبى صلى الله عليه وسلم معهم ثم القى الرعب فى قلوب قريش فقالوا ليس يخرج معكم الا فى بعض أشهر السنة ولا يتحدث العرب بأنكم غلبتمونا فقالت الأنصار الأمر في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سامعون لأمره فأنزل الله على رسوله «وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله» أى ان كان كفار قريش يريدوا المكر بك فسيمكر الله بهم فانصرفت الأنصار الى المدينة وقيل ان قريشا بدا لهم فخرجوا في آثارهم فادركوا منهم رجلين كانا تخلفا في أمر فردوهما الى مكة المنذر وعباس بن عبادة فادركهما جبير بن مطعم والحارث بن أمية فخلصاهما ولحقا أصحابهما (قلت) والذى ذكره غيره ان الرجلين هما المنذر وسعد بن عبادة فأما المنذر فأعجز القوم ونجا وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتي أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا شعر كثير ثم خلصه منهم جبير بن مطعم والحارث بن أمية لأنه كان يجير لهما تجارهما ويمنعهم ان يظلموا ببلده و(ذكر) رزين عقب ماتقدم عنه اسلام عمرو بن الجموح كما ذكره أهل السير عقب ذلك أيضا وكان عمرو شيخا كبيرا من سادات بنى سلمة وشهد معاذ ابنه العقبة وكان لعمرو فى داره صنم من خشب يعبده

(١) قال في القاموس وفى حديث العقبة هو شيطان اسمه ازب العقبة اه

يدعى مناة فكان معاذ ابنه ومعاذ بن جبل وفتيان بني سلمة يدلجون بالليل على صنم عمرو فيطرحونه في بعض حفر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكسا على رأسه فاذا أصبح قال عمرو من عدى على آلهتنا هذه الليلة ثم يغدوا يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطيبه ثم يقول والله لوأعلم من فعل هذا بك لاخزيته فتكرر ذلك فطهره يوما وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال انى والله لاأعلم من يصنع بك ما ترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما نام أخذوا السيف وقرنوا كلبا ميتا بالصنم بحبل ثم القوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر فلم يجده عمرو فى مكانه فخرج حتى وجده كذلك فلما أبصر مابه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال فى ذلك

والله لو كنت الاها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن

أف لملقاك الاها مستدن * الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلى ذى المنن * الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذى أنقذنى من قبل أن * أكون فى ظلمة قبر مرتهن

﴿ الفصل التاسع في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليها ﴾

روينا في الصحيحين حديث (رأيت انى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلي الى اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب) و(وقع) للبيهقي من حديث صهيب (أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حرتين فأما ان يكون هجر أو يثرب) ولم يذكر اليمامة و(للترمذى) من حديث جرير (أوحى الى أى هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين) واستغربه وفيه نظر لمخالفته لما فى الصحيح من ذكر اليمامة وأما هجر فيصح التعبير بها عنها لكونها من بلاد البحرين وأما قنسرين فهى من أرض الشام ويحتمل ان يكون أرى ما في الصحيح وأوحى اليه بالتخيير قبل أو بعد فاختار المدينة (وقال) ابن التين أرى النبى صلى الله عليه وسلم أولا دار هجرته بصفة تجمع المدينة وغيرها ثم أرى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت ثم أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة الى المدينة وأقام بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الخروج فتوجه بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم ويقال ان أول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى زوج أم سلمة وذلك انه أوذى لما رجع من الحبشة فعزم على

الرجوع اليها ثم بلغه قصة الاثنى عشر من الأنصار فتوجه الى المدينة فتقدمها بكرة وقد بعده عامر بن ربيعة عشية ثم توجه مصعب بن عمير ليفقه من أسلم من الأنصار كما تقدم ثم توالى خروجهم بعد العقبة الأخيرة فخرجوا ارسالا منهم عمر بن الخطاب وأخوه زيد وطلحة بن عبيدالله وصهيب وحمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة وعبيدة بن الحارث وعبدالرحمن بن عوف والزبير وعثمان بن عفان وغيرهم حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم بمكة الا علي بن أبي طالب والصديق رضي الله عنهما كذا قاله ابن اسحاق وغيره والظاهر ان المراد لم يبق من أعيانهم لما روى من أن من كان بمكة ممن يطيق الخروج من المسلمين خرجوا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة فطلبهم أبوسفيان وغيره من المشركين فردوهم وسجنوهم فافتتن منهم ناس ففى هذا دلالة على بقاء جماعة غير الصديق وعلي رضي الله عنهما مع النبي صلي الله عليه وسلم حينئذ فلما رأت قريش ذلك علموا ان أصحابه قد أصابوا منعة ونزلوا دارا فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاجتمعوا بدار الندوة ليأتمروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أبو جهل وزعم ابن دريد في الوشاح أنهم كانوا خمسة عشر رجلا وفى المولد لابن دحية كانوا مائة رجل وجاءهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فقال أدخلونى معكم فلن تعدموا منى رأيا فأدخلوه فقال بعضهم نخرجه من بين أظهرنا وقال آخرون بل نحبسه ولا يطعم حتى يموت فقال أبو جهل قد رأيت أصلح من رأيكم ان يعطى خمس رجال من خمس قبائل سيفا سيفا فيضربونه ضربة رجل فيتفرق دمه فى هذه البطون فلا يقدر لكم بنو هاشم على شئ فقال النجدى لا أرى غير هذا فأخبر جبريل النبي صلي الله عليه وسلم فأنزل الله على نبيه «واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى نم على فراشى وتسج ببردى فلن يخلص اليك منهم أمر فترد هذه الودائع الى أهلها لأن كفار قريش كانت تودع عنده لأمانته وكان اسمه عندهم الأمين الصادق وأتى النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فأعلمه وقال قد أذن لى فقال الصحبة يارسول الله وكان انما حبس نفسه عليه لما ثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر لأصحابه رؤياه المتقدمة هاجر من هاجر منهم قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر

قبل المدينة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجوا أن يؤذن لى فقال له وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وكان عمر قد تقدم الى المدينة وعلف أبو بكر راحلتين كانتا عنده الخبط أربعة أشهر فعرض على النبى صلى الله عليه وسلم احداهما فقال بالثمن وفي رواية بن اسحاق قال لا أركب بعيرا ليس هو لى قال فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذى ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا قال قد أخذتها بذلك قال هى لك والحكمة فيه كما أفاده بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم أحب ان لا تكون هجرته الا من مال نفسه (وذكر) ابن اسحاق أن الناقة التى أخذها هى الجدعاء وانها كانت من ابل بني الحريش وكذا في رواية أخرجها ابن حبان وانها الجدعاء وأفاد الواقدى ان الثمن كان ثمان مائة درهم وان المأخوذة هي القصوى وأنها كانت من نعم بني قشير وأنها عاشت حتي ماتت في خلافة الصديق وكانت مرسلة ترعى في النقيع وفي طبقات ابن سعد أن ثمنهما ثمان مائة درهم اشتراها أبو بكر من نعم بني قشير وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم منه القصوى بثمنها وسيأتى من رواية يحيي الحسيني أيضا انها القصوى وجاء عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أذن له فى الهجرة الى المدينة بقوله تعالى «وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا» أخرجه الترمذى وصححه هو والحاكم فذهب أبو بكر الى عبد الله بن أريقط قاله بن عقبة (وفى) تهذيب ابن هشام عبد الله بن أرقد (وفى) رواية الأموى عن ابن اسحاق بن أريقد (وفى) الغنية عن مالك اسمه رقيط من بنى الديل من كنانة فاستأجره وكان هاديا خريتا أى ماهرا بالهداية وكان على دين الكفار (قال) النووى لا نعلم له اسلاما فامره أن يأتيهما بعد ثلاث فى غار ثور ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله فجاءه على رضى الله عنه واجتمعت قريش على باب الدار ليقتلوه بزعمهم فقال لهم أبو جهل لا تقتلوه حتى يجتمعوا يعنى الخمسة من القبائل الخمس وجعل يقول لهم هذا محمد كان يزعم لكم انكم ان تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ويكون لكم فى الآخرة جنات تأكلون منها وان لم تتابعوه يكون له فيكم ذبح فى الدنيا ويوم القيامة نار تحرقون فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والله كذا أقول وكذا يكون وأنت أحدهم ثم أخذ حفنة من تراب فرماها فى وجوههم فأخذ

على أبصارهم ولم على أصمختهم فجعل على رأس كل رجل منهم ترابا وهو يقرء أول سورة يس يستتر بها منهم الى فهم لا يبصرون وتلى «واذ قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا» ثم أتى منزل أبي بكر فخرجا من خوخة كانت له وأتيا غار ثور وأقام المشركون ساعة فجعلوا يتحدثون فجاءهم رجل كان اذ ذاك بعيدا منهم فقال لهم وما تنتظرون فقالوا ان نصبح فنقتل محمدا قال قبحكم الله وخيبكم أوليس قد خرج عليكم وجعل على رؤسكم التراب قال أبو جهل أوليس هو ذاك مسجي ببرده الآن كلمنا فلما أصبحوا قام عليّ من الفراش فقال أبو جهل صدقنا ذلك المخبر فاجتمعت قريش وأخذت الطرق وجعلت الجعائل لمن جاء به فانصرفت أعينهم ولم يجدوا شيئا فجاء الديلى بعد ثلاث بالراحلتين ولا ينافى هذا ماوقع في رواية هشام بن عروة عند ابن حبان حيث قال فركبا حتى أتيا الغار فتواريا لاحتمال أنهما ركبا غير هاتين الراحلتين أو هما ثم ذهب بهما عامر بن فهيرة الى الديلى (وذكر) موسي بن عقبة عن ابن شهاب فى الحديث المتقدم أن عليا رقد على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يورى عنه و باتت قريش تختلف وتأتمر أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه حتى أصبحوا فاذا بعلى فسألوه فقال لا علم لى فعلموا أنه فر منهم (وروى) أحمد باسناد حسن عن ابن عباس في قوله تعالى « واذ يمكر بك الذين كفروا» الآية فذكر تشاور قريش ثم قال فبات عليّ على فراشه صلى الله عليه وسلم وخرج هو حتي لحق بالغار و بات المشركون يحرسون عليا يحسبونه رسول الله صلى عليه وسلم يعنى ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا قال لا أدرى فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال وذكر نحوه موسي بن عقبة عن الزهرى وكله مقتض لأن الخروج الى الغار كان فى بقية تلك الليلة وكان ذلك بعد العقبة بشهرين وليال (وقال) الحاكم بثلاثة أشهر أو قريبا منها ويرجح الأول ماجزم به ابن اسحاق من أنه خرج أول يوم من ربيع الأول فيكون بعد العقبة بشهرين و بضعة عشر يوما وكذا جزم به الأموى فقال خرج لهلال ربيع الأول وقدم المدينة لاثنى عشر خلت منه وعلى هذا كان خروجه يوم الخميس وهو الذى ذكره محمد بن موسي لكن قال الحاكم

تواترت الأخبار بأن الخروج كان يوم الاثنين وجمع الحافظ بن حجر بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس أى فى أثناء ليلته لما قدمناه وخروجه من الغار يعنى غار ثور ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال ومن روى ليلتين لعله لم يحسب أول ليلة (وأما) حديث الحاكم لبثت مع صاحبى يعنى أبا بكر في الغار بضعة عشر يوما مالنا طعام الا ثمر البرير (١) أى الاراك فقال الحاكم معناه مكثنا مختفين من الكفار في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما (وقال) الحافظ بن حجر الذى يظهر أنها قصة أخرى لما فى الصحيح من أن عامر بن فهيرة كان يروح عليهما في الغار باللبن وكذا قصة نزولها بخيمة أم معبد وغير ذلك وكان مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة بضع عشر سنة (وقال) عروة عشرا (وقال) ابن عباس خمس عشر سنة (وفي) رواية عنه ثلاث عشرة ولم يعلم بخروجه الا علي وآل أبي بكر وكان من قصة نسج العنكبوت وغيره من أمر الغار ما كان وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما يردفه أبو بكر ويعقبه والدليل فاخذ بهم في أسفل مكة حتى أتى بهما طريق السواحل أسفل من عسفان ثم عارض الطريق على أمج (٢) ثم نزل من قديد خيام أم معبد الخزاعية من بنى كعب و بقية المنازل الى قباء ذكرها ابن زبالة وقد أوضحناه في الأصل واتفق في مسيرهم قصة سراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد على ماذكره ابن سعد وغيرهما من القصص المشتملة على الآيات البينات (قال) رزين وأقامت قريش أياما لا يدرون أين أخذ محمد صلى الله عليه وسلم فسمعوا صوتا علي أبى قبيس وهو يقول

فان يسلم السعدان يصبح محمد * من الأمن لا يخشى خلاف المخالف

فقالت قريش لو علمنا من السعدان فقال

أياسعد سعد الأوس كن أنت مانعا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا الى داعى الهدى وتبوآ * من الله فى الفردوس زلفة عارف

فعلموا اذ ذاك انه أخذ طريق المدينة (قلت) والأقرب ماتقدم من انشاد هذه الابيات قبل ذلك لأن السعدين كانا قد أسلما قبل ثم سمعوا قائلا بأسفل مكة لا يرى يقول

---

(١) البرير كأمير الأول من ثمر الأراك قاموس (٢) وأمج بفتحتين وجيم بين مكة والمدينة نهاية

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد

(قلت) وروى هذا مع الأبيات الآتية مما سمع حينئذ وقيل سمعوا هاتفا على أبى قبيس يقول

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما رحلا بالحق وانتزلا به * فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله * وأعطى لرأس السانح المتجدد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصده

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مر بأم معبد فاستسقاها لبنا فقالت ما عندنا من لبن ونحن فى سنة فنظر الى شاة قد تخلت عجفاء من الهزال فقال قربى لى هذه الشاة فقربتها فمسح ضرعها بيده المباركة وسمى ودعا ثم قال هات قدحا فجاءت بقدح فحلب فيه حتى امتلأ فأمر أبا بكر أن يشرب فقال بل أنت فاشرب يارسول الله قال ساقى القوم آخرهم شربا فشرب أبو بكر ثم حلب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حلب فشربت أم معبد ثم حلب فقال ارفعى هذا لأبى معبد اذا جاءك ثم ركبوا وساروا فلما أتى أبو معبد أخبرته بما رأت وسقته اللبن فعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فركب راحلته وخرج في أثره يطلب أن يسلم فقيل انه قال فى طريقه

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به * فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيالقصى ما زوى الله عنكم * به من فعال لاتجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها في مصدر ثم مورد

(وقال) الشرقي بلغنى ان أبا معبد أدركهما ببطن ريم فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف (قلت) وذكر غير رزين هذه الأبيات كلها فيما سمع بأسفل مكة من

القائل الذى لم يدرون فلما سمع حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك جعل يجاوب الهاتف ويقول

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسكعوا(١) * عمى وهداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يري مالا يرى الناس حوله * ويتلوا كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها فى اليوم أوفي ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

قال أبو سليمان الخطابى لما شارف النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبو بريدة الأسلمى فى سبعين من قومه بنى أسلم فقال من أنت قال أبو بريدة فقال لأبى بكر برد أمرنا وصلح ثم قال ممن قال من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قال من بنى سهم قال خرج سهمنا (وقد) روي بن الجوزى فى شرف المصطفى من طريق البيهقي موصولا الى أبي بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لايتطير وكان يتفاءل وكانت قريش جعلت مائة من الابل لمن يأخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم فيرده اليهم حين توجه الى المدينة فركب أبو بريدة فى سبعين راكبا من أهل بيته من بنى سهم فتلقى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا بريدة فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح ثم قال صلى الله عليه وسلم ممن أنت قال من أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر سلمنا ثم قال ممن قال من بني سهم قال خرج سهمك فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبدالله رسول الله فقال بريدة أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا فلما أصبح قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم لاتدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين

(١) قال فى النهاية فى حديث أم معبد (وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا) أى تحيروا

يديه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تنزل على من فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ناقتي هذه مأمورة قال بريدة الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم طائعين (وفي) الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض (وروي) أن طلحة كان قدم من الشام ومعه ثياب أهداها لأبى بكر من ثياب الشام فلما لقيه أعطاه فلبس منها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قال الحافظ بن حجر فيحتمل أن كلا من طلحة والزبير أهدى لهما والذي فى السير هو طلحة فالأولى الجمع وعند ابن أبى شيبة مايؤيده والا فما فى الصحيح أصح

﴿الفصل العاشر فى دخوله صلى الله عليه وسلم أرض المدينة وتأسيس مسجد قباء﴾

كان المسلمون بالمدينة قد سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يخرجون كل يوم الى الحرة أول النهار فينتظرونه فما يردهم الا حر الشمس فبعد ان رجعوا يوما أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين فلم يملك اليهودى أن قال بأعلي صوته يابنى قيلة يعني الأنصار (وفي) رواية يامعشر العرب هذا جدكم يعنى حظكم (وفي) رواية صاحبكم الذى تنتظرونه فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم(١) قيل وكان يومئذ مشركا وبه جزم بن زبالة (وقال) رزين نزل في ظل نخلة ثم انتقل منها الى دار كلثوم أخي بنى عمرو بن عوف (وفي) أخبار المدينة ليحيي الحسيني جد أمراء المدينة اليوم في النسخة التي رواها ابنه طاهر بن يحيي عنه من طريق محمد بن معاذ قال حدثنا مجمع بن يعقوب عن أبيه وعن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش عن عبد الرحمن بن يزيد ابن حارثة قالا صلى رسول الله صلي الله عليه وسلم بظهر حرتنا ثم ركب فأناخ الى عذق عند بئر غرس قبل أن تبزغ الشمس وما يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى بكر عليهما ثياب متشابهة فجعل الناس يقفون عليهم حتى بزغت الشمس من ناحية أطمهم الذى

(١) كلثوم بن هدم بن امرء القيس الذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الي أبي أيوب فنزل عليه قاموس

يقال له شنيف فأمهل أبو بكر ساعة حتى خيل اليه أنه يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحر الشمس فقام فستر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فعرف القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يأتون فيسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لمجمع بن يعقوب ان الناس يرون أنه جاء بعد ماارتفع النهار وأحرقتهم الشمس (قال) مجمع هكذا أخبرنى أبى وسعيد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن يزيد قال مابزغت الشمس الا وهو جالس فى منزله صلى الله عليه وسلم (قلت) ولم أر هذا الخبر في النسخة التي رواها ولد بن يحيي عن جده وقوله عند بئر غرس الظاهر أنه تصحيف ولعله بئر عذق لبعد بئر غرس من منزله صلى الله عليه وسلم بقباء بخلاف بئر عذق والا فهو قادح فيما يعرفه الناس اليوم من أن بئر غرس هى المعروفة بمحلها الآتى بيانه (وفى) كتاب يحيي أيضا عن محمد بن اسمعيل بن مجمع قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة قال يانجيح لمولاله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم والتفت الى أبى بكر أنجحت أو أنجحنا فقال أطعمنا رطبا قال فأتوا بقنو من أم جرذان فيه رطب منصف وفيه زهو فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا قال عذق أم جرذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فى أم جرذان (وقد) أخرجه أبوسعيد فى شرف المصطفى من طريق الحاكم وقال قوم بمنزله صلى الله عليه وسلم علي سعد بن خيثمة (وقد) رواه يحيي أيضا (قال) رزين والأول أصح انتهي. (وقال) الحاكم انه الأرجح قال وقد قاله ابن شهاب وهو أعرف بذلك من غيره (وقال) بعضهم كان سعد عزبا فكان صلي الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه فى بيته فلذلك قيل انه نزل عنده ويشهد له ما نقله ابن الجوزى عن ابن حبيب الهاشمى قال نزل النبى صلى الله عليه وسلم على كلثوم وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة ويسمى منزل العزاب وفى الصحيح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف (وفي) رواية له علو المدينة وقباء معدودة من العالية وكأن حكمته التفاؤل له ولدينه بالعلو وذلك يوم الاثنين نهارا عند الأكثر (قال) الحافظ بن حجر وهو المعتمد وشذ من قال يوم الجمعة (قلت) لعل مراد هذا القائل القدوم الآتى للمدينة نفسها بعد الخروج من قباء وقيل ليلة الاثنين لقوله فى مسلم ليلا (قال) الحافظ بن حجر ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل فدخل نهارا (قلت) وفيه نظر

وكان ذلك أول ربيع الأول على مارواه موسى بن عقبة عن بن شهاب وقيل لثمان خلون منه (وفى) الاكليل عن الحاكم تواترت الأخبار بذلك (وفى) رواية جرير بن حازم عن ابن اسحاق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ونحوه عن أبى معشر لكن قال ليلة الاثنين ومثله عن ابن البرقى وثبت كذلك فى أواخر صحيح مسلم (وفى) رواية ابراهيم ابن سعد عن بن اسحاق لاثنتي عشرة ليلة خلت منه حين اشتد الضحي وهذا ماجزم به الكلبي فيما نقله عنه الحافظ بن حجر (وحكاه) ابن الجوزى في شرف المصطفى عن الزهرى فقال قال الزهرى قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وبه جزم النووى في السير من الروضة وكذا ابن النجار (ونقل) المراغي هذا عن النووى وابن النجار فقط وتعجب من عدم موافقته لشيء من الأقوال وكأنه فهم ان مرادهما قدوم المدينة نفسها بعد الخروج من قباء وليس ذلك مرادهما فان ابن النجار عبر بقوله فعدل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنى عشر من شهر ربيع الأول وأما النووى وان عبر بالمدينة فليس مراده سوى ذلك والعلماء كلهم يطلقون علي ذلك قدوم المدينة (وفى) شرف المصطفي لابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين (وفي) روضة الأقشهرى، قال ابن الكلبى خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول وقدم المدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت منه (قال) أبو عمر وهو قول ابن اسحاق الا في تسمية اليوم (وعند) أبى سعيد فى شرف المصطفي من طريق أبى بكر بن حزم قدم لثلاث عشرة من ربيع الأول وهذا الجمع بينه وبين الذى قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال (وعنده) من حديث عمر ثم نزل على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول ولعل الرواية خلتا ليوافق ما تقدم (ونقل) ابن زبالة عن ابن شهاب ان ذلك كان فى النصف من ربيع الأول وقيل كان قدومه فى سابعه وجزم بن حزم بأنه خرج من مكة لثلاث ليال بقين من صفر وهذا يوافق قول هشام ابن الكلبى أنه خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول فان كان محفوظا

فلعل قدومه قباء كان يوم الاثنين ثامن ربيع الأول واذا ضم ذلك الى ماسيأتى عن أنس أنه أقام بقباء أربع عشرة ليلة خرج منه ان دخوله المدينة نفسها كان لاثنين وعشرين منه لكن الكلبي جزم بأنه دخلها لاثنتى عشرة خلت منه فعلي قوله تكون اقامته بقباء أربع ليال فقط وبه جزم ابن حبان فانه قال أقام بها الثلاثاء والاربعاء والخميس يعنى وخرج يوم الجمعة فلم يعتد بيوم الخروج وكذا قال موسى بن عقبة أنه أقام فيهم ثلاث ليال فكأنه لم يعد يوم الدخول ولا الخروج (وعن) قوم من بنى عمرو ابن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوما حكاه بن زبالة (وفى) البخارى من حديث أنس أقام فيهم أربع عشر ليلة وهو المراد فى رواية عائشة بقولها بضع عشر ليلة (وقال) موسى بن عقبة عن بن شهاب أقام فيهم ثلاثا (قال) وروى ابن شهاب عن مجمع بن حارثة انه أقام اثنين وعشرين ليلة (وقال) ابن اسحاق أقام فيهم خمسا وبنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك (قال) الحافظ بن حجر أنس ليس من بنى عمرو بن عوف فانه من الخزرج وقد جزم بأربع عشر ليلة فهو أولى بالقبول وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتأريخ فكتب من حين الهجرة في ربيع رواه الحاكم في الاكليل وهو معضل والمشهور أن ذلك كان فى خلافة عمر رضى الله عنه وأن عمر قال الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخ بها وابتدء من المحرم بعد اشارة على وعثمان رضى الله عنهما بذلك وقد ذكرنا ماقيل في سببه في الأصل وأفاد السهيلى أن الصحابة رضى الله عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قوله تعالى «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم» (وفي) الصحيح أنهم لما قدموا قام أبو بكر للناس أى يتلقاهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق من جاء من الأنصار يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي) رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يكن رآه يحسبه أبا بكر حتى اذا أصابته الشمس أقبل أبو بكر بشئ أظله به (وفى) رواية ابن اسحاق حتى رأينا أبا بكر ينحاز له عن الظل فعرفناه بذلك (ونزل) أبو بكر رضى الله عنه على حبيب بن أساف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسنح ويقال على خارجة بن زيد منهم وأقام علىّ رضى الله عنه بعد مخرجه

صلى الله عليه وسلم أياما (قال) بعضهم ثلاثة حتى أدى للناس ودائعهم التى كانت عند
النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه لردها ثم خرج فلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء
فنزل علي كلثوم بن الهدم (قال) فيما رواه رزين فبينا أنا بائت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا برجل يضرب باب امرأة فخرجت فأعطاها شيئا وانصرف ثم فعل ذلك
ليلة ثانية أيضا فذكرت ذلك لها فقالت هذا سهل بن حنيف يغدو كل ليلة على أصنام
قومه فيكسرها ثم يأتى بها لأوقدها حطبا وقد علم ان ليس لى من الحطب شئ (وروى)
يحيي عن عبد العزيز بن عبيد الله بن عثمان بن حنيف قال لما نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنى عمر بن عوف وقد كان بين الأوس والخزرج ما كان من العداوة
وكانت الخزرج تخاف أن تدخل دار الأوس وكانت الأوس تخاف أن تدخل دار
الخزرج وكان أسعد بن زرارة قتل نبتل بن الحارث يوم بعاث فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أين أسعد بن زرارة فقال سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ورفاعة
ابن عبد المنذر كان يارسول الله أصاب منا رجلا يوم بعاث فلما كانت ليلة الأربعاء
جاء أسعد الى النبى صلى الله عليه وسلم متقنعا بين المغرب والعشاء فلما رآه رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال ياأبا أمامة جئت من منزلك الى هاهنا وبينك وبين
القوم مابينك قال أبو أمامة لاوالذى بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك في مكان الا
جئت ثم بات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح ثم غدا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابنى عبد المنذر أجيروه قالوا أنت
يارسول الله فأجره فجوارنا فى جوارك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيره بعضكم
فقال سعد بن خيثمة هو في جوارى ثم ذهب سعد بن خيثمة الى أسعد بن زرارة فى
بيته فجاء به مخاصرة يده فى يده ظهرا حتى انتهى به الى بني عمرو بن عوف ثم قالت
الأوس يارسول الله كلنا له جار فكان أسعد بن زرارة بعد يغدوا ويروح الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتهى.(وكان) لكلثوم بن الهدم بقباء مربد والمربد الموضع الذى
يبسط فيه التمر لييبس فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناه مسجدا
كما رواه ابن زبالة وغيره (وفى) الصحيح عن عروة فلبث في بنى عمرو بن عوف بضع
عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى (وفي) رواية عبد الرزاق عنه قال

الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف وكذا فى حديث ابن
عباس عند ابن عايد ولفظه ومكث فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال واتخذ مكانه مسجدا
فكان يصلى فيه ثم بناه بنو عمرو بن عوف فهو الذى أسس على التقوى (وروى) يونس
ابن بكير في زيادات المغازى عن المسعودى عن الحكم بن عتيبة قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
فنزل بقباء قال عمار بن ياسر مالرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانا يستظل
به اذا استيقظ ويصلى فيه فجمع حجارة فبنا مسجد قباء فهو أول مسجد بنى يعنى لعامة
المسلمين أو للنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو فى التحقيق أول مسجد صلى فيه
باصحابه جماعة ظاهرا وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد (فقد) روى ابن أبي شيبة
عن جابر قال لقد لبثنا بالمدينه قبل أن يقدم علينا رسول الله صلى عليه وسلم سنتين نعمر المساجد
ونقيم الصلاة ولذا قيل كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم
والأنصار بقباء قد بنوا مسجدا يصلون فيه يعنى هذا المسجد فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وورد قباء صلي بهم فيه الى بيت المقدس ولم يحدث فيه شيئا أى فى مبدء الأمر لأن
ابن شبة روى ذلك ثم روى أنه صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء وقدم القبلة الى موضعها اليوم
وقال جبريل يؤم بي البيت وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى «لمسجد أسس على التقوى من
أول يوم» فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم (لمسجد
المدينة هو مسجد كم هذا) اذ كل منهما أسس على التقوى على ما سيأتى ايضاحه (وفى) الكبير
للطبرانى وفيه ضعيف عن جابر بن سمرة قال لما سئل أهل قباء النبى صلى الله عليه وسلم
أن يبنى لهم مسجدا قال رسول الله صلى عليه وسلم ليقم بعضكم فيركب الناقة فقام أبو
بكر رضى الله عنه فركبها فحركها فلم تنبعث فرجع فقعد فقام عمر رضى الله عنه فركبها فلم
تنبعث فرجع فقعد فقال رسول الله عليه وسلم لأصحابه ليقم بعضكم فيركب الناقة فقام على
رضى الله عنه فلما وضع رجله فى غرز الركاب وثبت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرخ زمامها وابنوا على مدارها فانها مأمورة (وروى) الطبرانى وفيه من لم يعرف عن جابر
أيضا قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه قال لأصحابه انطلقوا بنا الى أهل قباء
نسلم عليهم فأتاهم فسلم عليهم فرحبوا به ثم قال يا أهل قباء ائتونى بأحجار من هذه الحرة
فجمعت عنده أحجار كثيرة ومعه عنزة له فخط قبلتهم فأخذ حجرا فوضعه رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم قال ياأبا بكر خذ حجرا فضعه الى حجرى ثم قال ياعمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبي بكر ثم قال ياعثمان خذ حجرا فضعه الي جنب حجر عمر ثم التفت الى الناس فقال ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط (قلت) وهو يقتضى أن هذا البنيان لم يكن عند قدوم النبي صلي الله عليه وسلم الى قباء بل بعد قدوم عثمان رضى الله عنه من الحبشة فانه كان قد هاجر الى أرض الحبشة فارا بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول خارج اليها ثم هاجر لهجرة الثانية الى المدينة فيمكن أن النبي صلى الله عليه وسلم أسسه عند قدومه ثم بناه بعد ذلك والا فلم يكن عثمان رضى الله عنه حاضرا كذا نبه عليه بعضهم ولهذا قال السهيلى أول من وضع حجرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ولم يذكر عثمان ثم قال وصلى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتى المدينة انتهى . وسيأتى عند ذكره في المساجد عن عمر رضي الله عنه أنه قال والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبا بكر وأصحابه ننقل حجارته على بطوننا ويؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل يؤم به البيت ولم أر من نبه على تعيين زمان قدوم عثمان من الحبشة وسيأتى فى بنائه صلى الله عليه وسلم لمسجد المدينة أخبار تقتضى حضور عثمان له وهو محتمل أيضا للبناء الأول والثانى وسبق فى الفصل قبله عد عثمان فيمن قدم المدينة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم اليها وهو كذلك في كلام بن اسحاق (وقال) المحب الطبرى الظاهر أن قدوم عثمان من الحبشة كان قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو بعدها وقبل وقعة بدر لأنه صح أنه كان فى وقعة بدر متخلفا بالمدينة على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ووقعة بدر في الثانية وكان قدوم أكثر مهاجرى الحبشة في السابعة كما سيأتي والله أعلم (وفى) الكبير للطبرانى ورجاله ثقات عن الشموس بنت النعمان قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر وأنظر الى بياض التراب على بطنه أو سرته فيأتى الرجل من أصحابه ويقول بأبي وأمى يارسول الله اعطنى أكفك فيقول لاخذ مثله حتى أسسه ويقول ان جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة قالت فكان يقال انه أقوم مسجد قبلة (قلت) قد صح أنه صلي الله عليه وسلم

كان يستقبل بيت المقدس حتى نسخ ذلك وجاءت القبلة وهم فى صلاة الصبح فاخبرهم وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة فيحتمل ان جبريل عليه السلام كان يؤم به البيت ليستدل به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتين ولعله بما يؤول اليه الأمر من استقبال الكعبة (أو) أنه صلى الله عليه وسلم كان مخيرا في ابتداء الهجرة فى التوجه الي بيت المقدس أو الى الكعبة كما قاله الربيع فأم به جبريل البيت لذلك واختياره الصلاة ببيت المقدس أولا لاستمالة اليهود أو ان استقبال الكعبة كان مشروعا فى ذلك الوقت ثم نسخ ببيت المقدس ثم نسخ بالكعبة لما قاله ابن العربى وغيره من أن القبلة نسخت مرتين أو أن ذلك تأسيس آخر غير التأسيس الأول ويدل لهذا الأخير ماقدمناه من رواية ابن شبة (وقوله) فى حديث الشموس المتقدم حتى يهصره الحجر أى يميله (وأورده) المجد من رواية الخطابى بلفظ آخر (فقال) وروى الخطابى عن الشموس بنت النعمان قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صهره الى بطنه فيضعه فيأتى الرجل يريد ان يقله فلا يستطيع حتى يأمره ان يدعه ويأخذ غيره ثم قال صهره وأصهره اذا ألصقه بالشئ ومنه اشتقاق الصهر فى القرابة (وروى) ابن شبة أيضا أن عبد الله بن رواحة كان يقول وهم يبنون فى مسجد قباء أفلح من يعالج المساجدا . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم المساجدا. فقال عبد الله ويقرأ القرآن قائما وقاعدا . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم وقاعدا. فقال عبد الله ولا يبيت الليل عنه راقدا. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم راقدا. والله أعلم

﴿ الفصل الحادى عشر ﴾ فى قدومه صلي الله عليه وسلم باطن المدينة وسكناه بدار أبى أيوب الانصارى وأمر هذه الدار وما آلت اليه وما وقع من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

(قال) أهل السير ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل الى ملاء بنى النجار فجاءوا متقلدين بالسيوف وكانوا أخواله وذلك أن هاشم بن عبد مناف تزوج منهم امرأة وهى سلمى بنت عمرو فجاءه منها ولد فلما مات هاشم وكبر الغلام مر به قوم من قريش فأبصروه وقد ترعرع وهو ينتضل ويقول أنا القرشى فجاؤا وأخبروا عمه المطلب بن عبد مناف فذهب فجاء به فدخل به مكة وهو ردفه وعليه ثياب السفر فقالت قريش هذا عبد المطلب

فغلب عليه هذا الأسم فلذلك كان أخواله بنى النجار فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اركبوا آمنين مطاعين (وفى) البخارى من حديث أنس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى بنى النجار فجاؤا بالسيوف ثم رواه البخارى بلفظ آخر فقال قدم النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جانب الحرة ثم بعث الى الأنصار فجاؤا النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين فركب حتى نزل جانب دار أبى أيوب (قال) الحافظ بن حجر تقديره فنزل جانب الحرة فأقام بقباء المدة التى أقام بها وبنى بها مسجده ثم بعث الى آخره (وفى) التأريخ الصغير للبخارى عن أنس أيضا قال انى لأسعى مع الغلمان اذ قالوا محمد جاء فننطلق فلا نرى شيئًا حتي أقبل وصاحبه فكمنا في بعض جوانب المدينة وبعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما فاستقبله خمسمائة من الأنصار فقالوا انطلقا آمنين مطاعين الحديث ففيه طى لذكر قصة قباء الا أن يريدان ذلك وقع في مبدء الأمر عند نزوله صلى الله عليه وسلم بقباء وهو مااقتضاه رواية رزين فانه قال عن أنس قال كنت اذ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ابن تسع سنين فأسمع الغلمان والولائد يقولون جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذهب فلا نرى شيأ حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فكمنا في خرب في طرف المدينة وأرسلا رجلا يؤذن لهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا اليهما قال فما رأيت مثل ذلك اليوم قط والله لقد أضاء منها كل شئ ونزلا على كلثوم بن الهدم ثم ذكر تأسيس مسجد قباء ثم قال ثم خرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد المدينة فلا يمر بدار من دور الأنصار الا عرضوا عليه وذكر نحو ماسيأتى فهو صريح فى أن ذلك كان عند مقدمه صلى الله عليه وسلم في بدء الأمر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة وتعيينه من الشهر مرتب على ماتقدم فى قدومها (وروى) يحيي أنه صلى الله عليه وسلم لما شخص أى من قباء اجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا يارسول الله أخرجت ملالا لنا أم تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل القرى فخلوها أى (ناقته) فانها مأمورة فخرج صلى الله عليه وسلم من قباء فعرض له قبائل الأنصار كلهم يدعوه ويعدوه النصرة والمنعة فيقول خلوها فانها مأمورة حتى أدركته الجمعة في بنى سالم فصلى في بطن الوادى الجمعة وادى ذى

صلب (قلت) قيل كانت هذه أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقيل انه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى اقامته هناك والله أعلم (وروى) أيضا عن عمارة بن خزيمة قال لما كان يوم الجمعة وارتفع النهار دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم براحلته وحشد المسلمون ولبسوا السلاح وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته القصوى والناس معه عن يمينه وعن شماله وخلفه منهم الماشى والراكب فاعترضنا الانصار فما يمر بدار من دورهم الا قالوا هلم يارسول الله الى العز والمنعة والثروة فيقول لهم خيرا ويدعوا ويقول انها مأمورة خلوا سبيلها فمر ببنى سالم فقام اليه عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك بن العجلان وهو آخذ بزمام راحلته يقول يارسول الله أنزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة ونحن أصحاب الفضاء والحدائق والدرك يارسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة خائفًا فيلجأ الينا فنقول له قوقل حيث شئت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فقام اليه عبادة بن الصامت وعباس بن الصامت بن نضلة ابن العجلان فجعلا يقولان يارسول الله أنزل فينا فيقول النبى صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم انها مأمورة فلما أتي مسجد بنى سالم وهو المسجد الذى في الوادى فجمع بهم فخطبهم ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين الطريق حتى جاء بنى الحبلي فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبى فلما رآه ابن أبى وهو عند مزاحم أى الاطم محتبيًا قال اذهب الى الذين دعوك فانزل عليهم فقال سعد بن عبادة لاتجد يارسول الله في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه عليها ولكن هذه دارى فمر ببنى ساعدة فقال له سعد بن عبادة والمنذر ابن عمرو وأبو دجانة هلم يارسول الله الى العز والثروة والقوة والجلد وسعد يقول يارسول الله ليس من قومى أكثر عذقا ولا فم بئر منى مع الثروة والجلد والعدد والحلقة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياأبا ثابت خل سبيلها فانها مأمورة فمضى واعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة وبشير ابن سعد فقالوا يارسول الله لاتجاوزنا فانا أهل عدد وثروة وحلقة قال بارك الله فيكم خلوا سبيلها فانها مأمورة واعترضه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو أى من بنى بياضة يقولان يارسول الله هلم الى المواساة والعز والثروة والعدد والقوة نحن أهل الدرك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا سبيلها فانها مأمورة ثم مر ببنى عدى بن النجار

وهم أخواله فقام أبوسليط وصرمة بن أبي أنيس في قومهما فقال يارسول الله نحن أخوالك هلم الى العدد والمنعة والقوة مع القرابة لاتجاوزنا الى غيرنا يارسول الله ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا سبيلها فانها مأمورة ويقال ان أول الأنصار اعترضه بنو بياضة ثم بنو سالم ثم مال الى ابن أبيّ ثم مر على بني عدي بن النجار حتى انتهي الى بني مالك بن النجار (قلت) وقول بني عدى بن النجار نحن أخوالك لأنهم أقارب من جهة الأمومة لأن سلمى بنت عمرو أحد بني عدى ابن النجار كانت أم جده عبد المطلب وقول البراء في حديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ماقدم المدينة نزل على أجداده أوقال أخواله من الأنصار فيه تجوز من حيث أنه صلى الله عليه وسلم انما نزل على اخوتهم بني مالك بن النجار أو اراد انه نزل بمحلة بني النجار لتقارب منازلهم الجميع ومنهم بنو عدى (وقال) الحافظ بن حجر في المقدمة في الكلام على الحديث المذكور هم من بني عمرو بن عوف من الخزرج وكانت أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم منهم واسمها سلمى فهم أجداده حقيقة وأخواله مجازا والشك من راوى الخبر انتهى. وهو وهم سببه اشتباه النزول الأول بقباء بهذا النزول الذى وقع فيه الاستقرار وليس بنو عمرو بن عوف ممن يوصف بذلك وقد تنبه له في الشرح فذكره على الصواب كما قدمناه والله أعلم (وروى) رزين أنه صلى الله عليه وسلم سار من قباء ومعه جماعة من الأنصار في السلاح وجميع المهاجرين وذكر صلاة الجمعة قال ثم ركب فجاء بني الحبلى فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبيّ بن سلول وكان جالسا محتبيا عند أطم له فقال اذهب الى الذين دعوك فانزل عليهم فقال سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجد عليه فان أهل هذه البحرة كانوا قد أجمعوا على أن يعصبوه ويتوجوه فلما رد الله عليه ذلك بالحق الذى أعطاك شرق لذلك (قلت) الذى في الصحيح ذكر سعد لذلك في قصة عيادته صلى الله عليه وسلم له من مرض بعد سكناه بالمدينة والذي في كتب السير عن ابن اسحاق أن الجمعة أدركته في وادى رانونا فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وكانوا أربعين وقيل مائة فأتاه عتبان بن مالك في رجال من بني سالم فقالوا يارسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال

من بني بياضة فأجابهم بمثل ماتقدم فخلوا سبيلها حتى اذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بلحارث فأجابهم بما تقدم فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار عدى بن النجار وهم أخواله دنيا اعترضهم سليط بن قيس في رجال منهم فأجابهم بمثل ماتقدم حتى اذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لايثنيها به ثم التفتت خلفها فرجعت الى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي) رواية أنها لما وثبت من مبركها الأول بركت على باب أبي أيوب الانصارى ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول (وفي) رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المنزل ان شاء الله (وذكر) ابن سيد الناس بعد قصة بني سالم ان راحلته انطلقت حتى وازنت دار بني بياضة فذكر قصتهم ثم قال فانطلقت حتى اذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة وذكر قصتهم ثم قال فانطلقت حتى اذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وذكر قصتهم ثم ذكر بقية القصة كما قدمناه (وذكر) يحيي في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم بعد ان سار من بني سالم تيامن فأتى منزل ابن أبيّ ثم مضى في الطريق والطريق يومئذ فضاء حتى انتهي الى سعد بن عبادة ثم اعترضت له بنو بياضة عن يساره ثم مضي حتي أتى بني عدى بن النجار ثم أتى الى بني مازن بن النجار فقامت اليه وجوههم ثم مضى حتى انتهي الى باب المسجد وقد حشدت بنو مالك بن النجار فهم قيام ينتظرونه الى أن طلع فهش اليه أسعد بن زرارة وأبو أيوب وعمارة بن حزم وحارثة بن النعمان يقول يارسول الله قد علمت الخزرج أنه ليس ربع أوسع من ربعي قال فبركت بين أظهرهم فاستبشروا ثم نهضت كأنها مذعورة ترجع الحنين فساءهم ذلك وجعلوا يعدون بجنبها حتى أتت الى زقاق الحبشي ببئر جمل فبركت والنبي صلى الله عليه وسلم عليها مرخ لها زمامها ثم قامت عودها على بدئها تزيد في المشى حتى بركت على باب المسجد وضربت بجرانها وعدلت ثفناتها وجاء أبو أيوب والقوم يكلمونه في النزول عليهم فأخذ رحله فأدخله فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحله وقد حط فقال المرء مع رحله (وذكر) رزين اعتراض

بنى سالم له وقوله خلوا سبيلها فانها مأمورة ثم قال فمر ببني بياضة فكذلك ثم ببنى ساعدة فكذلك ثم بدار بنى الحارث بن الخزرج فكذلك ثم مر بدار عدى بن النجار فكذلك فمضت حتى اذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب المسجد اليوم ولم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ثم وثبت فسارت غير بعيد ثم التفتت خلفها فرجعت الى مبركها الأول فنزل اذ ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الدور أقرب فقال أبو أيوب دارى هذا بابى وقد حططنا رحلك فيها فقال المرء مع رحله فمضت مثلا (وروى) ابن زبالة أنها لما بركت بباب أبى أيوب جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزل فتحلحل فيطيف لها أبو أيوب فيجد جبار بن صخر أخا بنى سلمة ينخسها برجله فقال أبو أيوب ياجبار عن منزلى تنخسها أما والذى بعثه بالحق لولا الاسلام لضربتك بالسيف فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزل أبى أيوب وقر قراره واطمأنت داره ونزل معه زيد بن حارثة (وعند) الحاكم عن أنس جاءت الأنصار فقالوا الينا يارسول الله فقال دعوا الناقة فانها مأمورة فبركت على باب أبى أيوب (وروى) الطبرانى في الأوسط وفيه صديق بن موسى (قال) الذهبى ليس بالحجة عن عبدالله ابن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فاستناخت راحلته بين دار جعفر ابن محمد بن على ودار الحسن بن زيد فأتاه الناس فقالوا يارسول الله المنزل فانبعثت به راحلته فاستناخت ثم تحلحلت وللناس ثم عريش كانوا يرشونه ويعمرونه ويبردون فيه حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فآوى الى الظل فنزل فيه فأتاه أبو أيوب فقال يارسول الله منزلى أقرب المنازل اليه فأنقل رحلك قال نعم فذهب برحله الى المنزل ثم أتاه آخر فقال يارسول الله انزل على فقال ان الرجل مع رحله حيث كان وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنى عشرة ليلة حتى بني المسجد (قلت) دار جعفر بن محمد هى التى في قبلة دار أبى أيوب ملاصقة لها ودار الحسن بن زيد تقابلها من جهة المغرب بينهما الشارع وعند ابن عائذ وسعيد بن منصور ان ناقته صلى الله عليه وسلم استناخت به أولا فجاءه ناس فقالوا المنزل يارسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها فأتاه أبو أيوب فقال منزلى أقرب المنازل فائذن لى أن أنقل رحلك قال نعم فنقل رحله وأناخ الناقة في منزله (وقال)

الواقدى أخذ أسعد بن زرارة بزمام راحلته فكانت عنده (ونقله) الحافظ بن حجر عن ابن سعد (ونقل) الاقشهرى في روضته عن ابن نافع صاحب مالك في أثناء كلام نقله عن مالك أن ناقته صلى الله عليه وسلم لما أتت موضع مسجده بركت وهو عليها وأخذه الذى كان يأخذه عند الوحى ثم ثارت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد ثم التفتت ثم عادت الى المكان الذى بركت فيه أول مرة فبركت فسرى عنه فأمر أن يحط رحله (وفي) بعض الروايات ان القوم لما تنازعوا أيهم ينزل عليه قال انى أنزل على اخوال عبد المطلب اكرمهم بذلك (وفي) البخارى من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أقبل يسير حتى نزل جانب دار أبى أيوب فقال أى بيوت أهلنا أقرب أى أخوال جده فقال أبو أيوب أنا يانبي الله هذه دارى وهذا بابى قال فانطلق فهيئ لنا مقيلا (وفي) رواية لابن زبالة اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه فنزل منزله وتخيره وأراد أن يتوسط الأنصار كلها (قال) المطرى وهو غير مناف لما تقدم من قوله دعوها فانها مأمورة لان الله اختار له ما كان يختاره لنفسه وفرح أهل المدينة بمقدمه صلى الله عليه وسلم اليهم فرحا شديدا (ففى) البخارى من حديث البراء (مارأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم) الحديث (وروى) أبو داود ان الحبشة لعبت بحرابهم فرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم (قال) رزين وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * مادعا لله داعي

(وفي) رواية أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع * والغلمان والولايد يقولون جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا به (وفي) شرف المصطفى لما بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جوار من بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بني النجار * ياحبذا محمد من جار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحببننى قلن نعم يارسول الله فقال والله وأنا أحبكن قالها ثلاثا (وفي) رواية يعلم الله انى أحبكن (وأخرج) الحاكم من طريق اسحاق بن أبى طلحة فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدف وهن يقلن وذكر البيت المتقدم (وروى) عن أنس قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أظلم منها كل شىء فلما دخل المدينة أضاء منها كل شىء (ورواه) ابن ماجة بلفظ لما كان اليوم الذى دخل فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء (ورواه) أبو داود بلفظ (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم وما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء) الحديث (رواه) ابن أبي خيثمة عنه بلفظ شهدت يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ (وروى) يحيى عن عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس اليه وقيل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت انظر فلما تبينت وجهه علمت ان وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته يتكلم قال أيها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام وهذا الحديث بنحوه في الترمذى وصححه وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة أعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين فقدما عليه لفاطمة وأم كلثوم بنتيه وسودة زوجته وأم أيمن زوج زيد بن حارثة وأسامة بن زيد وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبى بكر فيهم عائشة وأختها أسماء زوج الزبير وأمها أم رومان فلما قدموا المدينة أنزلهم في بيت حارثة بن النعمان (وقال) رزين ان أبا بكر أرسل عبد الله بن أريقط مع زيد بن حارثة ليأتيه بعائشة وأم رومان أمها وعبد الرحمن (قال) بعضهم ووجدوا طلحة بن عبيد الله على خروج فخرج معهم فقدموا كلهم (وروى) ابن اسحاق عن أبى أيوب الأنصارى قال لما نزل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب في العلو فقلت له يانبى الله بأبى أنت وأمي انى أكره وأعظم ان أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون في السفل فقال ياأبا أيوب ان أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن فلقد انكسر جب لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر علي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه (قلت) وذكر بعضهم ان ذلك هو سبب سكناه فى العلو بعد ذلك والذى في صحيح مسلم عن أبى أيوب ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل صلي الله عليه وسلم في السفل وأبو

أيوب فى العلو فانتبه أبو أيوب ليلة فقال نمشى فوق رأس النبى صلي الله عليه وسلم فتنحوا وباتوا فى جانب ثم قال للنبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم السفل أرفق فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها فتحول النبى صلى الله عليه وسلم فى العلو وأبو أيوب فى السفل (وقد) قدمنا فى آخر الفصل الرابع ان ابن اسحاق ذكر ان هذا البيت بناه تبع الأول لما مر بالمدينة للنبى صلى الله عليه وسلم ينزله اذا قدم المدينة فتداول البيت الملاك الى ان صار لأبى أيوب وان أبا أيوب من ذرية الحبر الذى أسلمه تبع كتابه (وقد) نقل الحافظ بن حجر ذلك عن حكاية بن هشام فى التيجان قال وأورده بن عساكر فى ترجمة تبع فما نزل صلى الله عليه وسلم الا في بيته وقد ابتاع المغيرة ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بيت أبى أيوب هذا من ابن أفلح مولى أبى أيوب الأنصارى بالف دينار فتصدق به وهو في شرقيّ المسجد المقدس كما سيأتي في الدور المطيفة بالمسجد (وقد) اشترى الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب بن شادى عرصة دار أبى أيوب هذه وبناها مدرسة للمذاهب الأربعة ووقف عليها أوقافا بميافارقين التى هى دار ملكه وبدمشق لها وقف آخر أيضا ولها بالمدينة الشريفة أيضا وقف من النخيل وغيرها غير أنه شمل ذلك ماعم الأوقاف وكان بها كتب كثيرة نفيسة فتفرقت أيدى سبأ وآل حال هذه المدرسة الى التعطيل فسكنها بعض نظارها فتشاءمت على عياله واتصل ذلك بسلطان مصر فخرج منها ولهذه المدرسة قاعتان كبرى وصغرى وفي ايوان الصغرى الغربى خزانة صغيرة جدا فما يلى القبلة فيها محراب (قال) المطرى يقال أنها مبرك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم لهذه الدار كما أفاده ابن سعد سبعة أشهر اى بتقديم السين علي الباء حين بني مساكنه (وقال) رزين أقام عند أبى أيوب من شهر ربيع الأول الى صفر من السنة الثانية (وقال) الدولابى شهرا (وفى) كتاب يحيي عن زيد بن ثابت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب لم يدخل منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أول من هدية دخلت بها عليه قصعة مثرودة خبز بر وسمنا ولبنا فاضعها بين يديه فقلت يارسول الله أرسلت بهذه القصعة أمى فقال بارك الله فيها ودعا أصحابه فاكلوا فلم أرم الباب حتي جاءت قصعة سعد بن عبادة على رأس غلام مغطاة

فاقف على باب أبى أيوب فأ كشف غطائها لأ نظر فرأيت ثريدا عليه عراق فدخل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) زيد فلقد كنا في بنى مالك بن النجار مامن ليلة الا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت أبى أيوب وكان مقامه فيه سبعة أشهر وما كانت تخطيه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة وفيه أنه قيل لأم أبى أيوب أى الطعام كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم عرفتم ذلك لمقامه عندكم قالت مارأيته أمر بطعام فصنع له بعينه ولا رأيناه أتى بطعام قط فعابه (وقد) أخبرنى أبو أيوب أنه تعشي عنده ليلة من قصعة أرسل بها سعد بن عبادة طفيشل(١) فقال أبو أيوب فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهل تلك القدر مالم أره ينهل غيرها فكنا نعملها له وكنا نعمل له الهريس وكانت تعجبه وكان يحضر عشاءه خمسة الى ستةعشر كما يكون الطعام في الكثرة والقلة (وفيه) عن أبى أيوب أنهم تكلفوا له طعاما فيه بعض هذه البقول فلما أتوه به كرهه وقال لأصحابه كلوا فانى لست كأحدكم انى أخاف أن أوذى صاحبي (وفي) كتاب رزين عنه بعد ذكر نزوله عليه قال ومامرت ليلة من نحو السنة الا وتأتيه جفنة سعد بن معاذ ثم سائر الناس يتناوبون ذلك نوبا قال أبو أيوب فصنعت له ليلة طعاما وجعلت فيه ثوما فلم يأ كل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزعت فنزلت اليه فقلت له أحرام هو فقال انى أناجي وأنا أكرهه لذلك وأما أنتم فكلوه قال فقلت فانى أكره ماتكره يارسول الله (قال) ابن اسحاق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا تاخوا في الله اخوين أخوين ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال هذا أخى (قلت) كانت هذه المواخاة بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر وقيل ثمانية وهو يبنى المسجد وقيل بعده وقيل قبله وذكره أبو حاتم في السنة الأولى والظاهر ان ابتداءها كان فيها واستمرت على حسب من يدخل فى الاسلام أو يحضر كما يعلم من تفاصيلها قيل وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة

(١) قال فى القاموس طفيشل كسميدع نوع من المرق

وأربعون وقيل مائة آخي بينهم على الحق والمواساة والتوارث وكانوا كذلك الى ان نزل بعد بدر «وأولوا الارحام» الآية (وقال) الواقدى لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخي بين المهاجرين وآخي بين المهاجرين والأنصار (وقال) ابن عبد البر كانت المواخات مرتين الأولى قبل الهجرة بمكة بين المهاجرين فآخي بين أبى بكر وعمر وهكذا حتى بقي على رضي الله عنه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أما ترضى أن أكون أخاك قال بلي يارسول الله قال فانت أخي في الدنيا والآخرة والمواخاة الثانية ما تقدم من مواخاة المهاجرين والأنصار وهى المرادة بقول الحسن كان التوارث بالحلف فنسخ بآية المواريث (ولأبي) داود عن انس بن مالك حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا وحديث لاحلف في الاسلام معناه حلف التوارث والحلف على مامنع الشرع منه وعبر رزين عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فيما نقله عن أبي حاتم بقوله ثم آخي بين أصحابه ودعا لكل واحد منهم دعوة وقال أبشروا أنتم في أعلى غرف الجنة وقال لعلى ماأخرتك الا لنفسى أنت أخى ووارث علمي وأنت معى في الجنة فى قصرى مع ابنتي وقصة المواخاة الأولى أقربها الحاكم فذكر المواخاة بين أبي بكر وعمر وذكر جماعة ثم قال فقال على يارسول الله انك آخيت بين أصحابك فمن أخى قال أنا أخوك (وقد) أنكر ابن تيمية في الرد علي ابن المطهر الرافضى المواخاة بين المهاجرين خصوصاً مواخات النبي لعلى قال لأنها شرعت للارفاق والتألف فلا معنى لها بينهم وهو رد للنص وغفلة عن حقيقة الحكمة فى ذلك مع أن بعضهم كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والارتفاق ممكن وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بعلى من عهد الصبا واستمر ذلك (وأخرج) الحاكم وابن عبدالبر بسند حسن أنه صلى الله عليه وسلم آخي بين الزبير وابن مسعود وهما من المهاجرين والتأم شمل الحيين الأوس والخزرج ببركته صلى الله عليه وسلم فمر شاس بن قيس وكان شيخا من اليهود شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم على نفر من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله مالنا معهم اذا اجتمع ملأهم بها من قرار فأمر شابا من يهود كان معه فقال أجلس اليهم ثم اذكر يوم بعاث

وما كان فيه وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ففعل الشاب ذلك فتنازع القوم وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما أوس بن قيظي وجبار ابن صخر فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة وهى الحرة فخرجوا اليها وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يامعشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الأوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وأنزل الله فى شأنه « قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون» وأنزل الله فى الذين صنعوا ماصنعو من الحيين «ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب» الى قوله « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » وكان يحيي بن أخطب وأخوه أبو ياسر من أشد يهود للعرب حسدا لما خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم فكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله تعالى فيهما « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم» الى قوله « حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شئ قدير » وحدثت صفية بنت حيي رضى الله عنها قالت كنت أحب ولد أبى اليه والى عمي أبى ياسر لم ألقهما قط مع ولدهما الا أخذانى دونه فلما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة غدا عليه أبى وعمي مغلسين فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت الى واحد منهما مع مابهما من الغم وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله مابقيت فشقيا بحسدهما والله أعلم

﴿ الفصل الثانى عشر ﴾ فيما كان من أمره صلى الله عليه وسلم بها فى سنين الهجرة الى أن توفاه الله عز وجل مختصرا

وقد لخصه رزين من تاريخ أبى حاتم فزدت فيه نفائس ميزتها فأقول في أولها (قلت) وفي آخرها (والله أعلم) وقد أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين بالاجماع كما حكاه النووى ﴿السنة الأولى﴾ وقد تقدم بعض مافيها من بناء مسجد قباء وغيره (وقال) أبو حاتم كان فيها بناء المسجد النبوى ومات أسعد بن زرارة والمسجد يبني فكان أول من دفن بالبقيع من المسلمين (قلت) ومن هذا يعلم أن عثمان بن مظعون أول من دفن به من المهاجرين جمعا بين النقلين ومات كلثوم بن الهدم قبل أسعد بن زرارة فهو أول من مات من الأنصار بعد مقدم النبى صلى الله عليه وسلم وقيل توفي أسعد بن زرارة فى الثانية والله أعلم . ومات البراء بن معرور قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى أن يوجه الى الكعبة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وكانت الأنصار يتقربون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونساؤهم وكانت أم سليم تتأسف على ذلك وما كان لها شئ فجاءت بابنها أنس وقالت يخدمك أنس يارسول الله قال نعم (قلت) الذى فى الصحيح عن أنس (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم فأخذ أبوطلحة بيدى فانطلق بي الى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك قال فخدمته) الحديث وقد يجمع بأنها جاءت به أولا وانطلق به أبوطلحة ثانيا لأنه وليه وعصبته وهذا غير مجيئه بخدمته صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر كما يفهمه لفظ الحديث والله اعلم. (ثم) زيد في صلاة الحضر ركعتين بعد مقدمه المدينة بشهر (قلت) قال السهيلي ان ذلك كان بعد الهجرة بعام أو نحوه والذى عليه الأكثر ان الصلاة نزلت بتمامها من بدئ الامر والله اعلم. ووعك أصحابه فدعا بنقل وباءها الى الجحفة وقال (اللهم حبب الينا المدينة) (ثم) آخى بين أصحابه كما سبق (ثم) مات الوليد بن المغيرة بمكة وولد عبد الله بن الزبير جاءت أمه أسماء بعد الهجرة فنفست به فى قباء فى شوال فكان أول مولود ولد فى الاسلام بها بعد الهجرة وكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل فى فيه (قلت) سيأتى في مسجد دار سعد بن خيثمة من المساجد التي لا تعلم عينها أن الذهبى قال ان عبد الله ولد فى

في الثانية والله أعلم .(ثم) عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء لابن عمه عبيدة بن الحارث
ابن عبد المطلب على ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري وهي أول راية عقدت
في الاسلام ورمي فيها سعد بن أبي وقاص بسهم فكان أول سهم رمى به في الاسلام
فالتقى مع أبي سفيان بن حرب وقيل عكرمة بن أبي جهل وكان في مائة من المشركين
ببطن رابغ ويعرف بودان فانحاز الى المسلمين من المشركين المقداد بن عمرو بن
الأسود وعتبة بن غزوان وكان حامل اللواء لعبيدة مصلح بن أثاثة (قلت) وذكر
أبو الأسود في مغازيه عن عروة ووصله بن عائذ من حديث بن عباس أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما وصل الى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا وذكر القصة
فيكون ذلك في السنة الثانية وبه صرح بعض أهل السير والله اعلم .(ثم) عقد لواء لعمه حمزة
على ثلاثين من المهاجرين قيل ومن الأنصار ليتعرض عير قريش فلقي أبا جهل في ثلاثمائة
راكب فحجب بينهم مجدي بن عمرو وكان حليفا للفريقين ثم انصرفوا من غير قتال
وكان حامل لواء حمزة يومئذ أبو مرثد (قلت) قدم بعضهم هذه على سرية عبيدة وقال
ان لواء حمزة أول لواء عقد في الاسلام ورجح بن اسحاق الاول وقال انما أشكل
أمرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم شيعهما جميعا وذكر أبو عمران أول راية عقدت لعبد الله
ابن جحش وقيل ان سرية حمزة هذه كانت في السنة الثانية والله أعلم .(ثم) بني رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي بنت تسع وكان عقد بها في مكة قبل الهجرة بثلاث وهي
بنت ست (قلت) وعقد على سودة بنت زمعة بعد عائشة وقيل قبلها وبنى بها بمكة وكان
بناؤه بعائشة على رأس تسعة أشهر وقيل ثانية وقيل ثمانية عشر شهرا من قدومه والله
أعلم .(ثم) عقد لواء لسعد بن أبي وقاص في عشرين يريدون عير قريش في ذى القعدة
فخرجوا على أقدامهم يكمنون بالنهار ويسيرون بالليل وكان حامل اللواء لسعد المقداد
ابن عمرو فلم يجدوا شيأ ثم جاء أبو قيس بن الأسلت ليسلم فلقيه ابن أبي بن سلول فقال
تربص حتى ترى فرجع فمات كافرا (قلت) وأسلم عبد الله بن سلام في أول قدومه صلى
الله عليه وسلم (في) البخارى من حديث عائشة التصريح بأنه جاء قبل دخوله صلى الله
عليه وسلم دار أبي أيوب لما سمع بقدومه صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى أهله ثم قال صلى
الله عليه وسلم لأبي أيوب اذهب فهيء لنا مقيلا فقال قوما على بركة الله أي هو وأبو بكر

قالت فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول
الله وانك قد جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم
فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فانهم ان يعلموا انى قد أسلمت قالوا فيّ ماليس
فيّ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أني رسول الله
حقا واني جئتكم بحق فاسلموا قالوا مانعلمه قال فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا
ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم ان أسلم قالوا حاشا لله ما كان
ليسلم قل أفرأيتم ان أسلم قالوا حاشا لله ما كان ليسلم كرر عليهم ذلك ثلاثا فيقولون له
ذلك قال ياابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يامعشر اليهود اتقوا الله فوالذى
لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه جاء بحق فقالوا
كذبت فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى) رواية ان عبد الله بن سلام
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء فلما أعلمه بها أسلم (وفى) هذه الرواية ذكر
قصة اليهود المتقدمة وأن عبد الله بن سلام لما خرج اليهم وتشهد قالوا شرنا وابن
شرنا وتنقصوه فقال هذا كنت أخاف يارسول الله ونصبت أحبار اليهود العداوة للنبي
صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا (منهم) حيي بن أخطب و(أبو رافع) الأعور و(كعب) بن
الأشرف (وعبد الله) بن صوريا و(الزبير) بن باطا و(شمويل) و(لبيد) بن الأعصم وغيرهم
ودخل منهم جماعة في الاسلام نفاقا وانضاف اليهم من الأوس والخزرج منافقون
وأرى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأذان وقيل كان ذلك في السنة الثانية
عند ماشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما تجمعهم به للصلاة اذ كان اجتماعهم قبل بمناد
(الصلاة جامعة) والله أعلم ﴿السنة الثانية﴾ فلما جاء العاشر من المحرم أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بصومه وقال نحن أحق بموسى من اليهود (ثم) زوج عليا بفاطمة (قلت)
وذلك قبل بدر في رجب على الأصح وبنى بها في ذى الحجة كما سيأتي وكان لها خمس
عشرة سنة وقيل ثمان عشرة (وقيل) تزوجها بعد أحد والله أعلم . (ثم) غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنفسه الى الأبواء وهي من ودان على ستة أميال مما يلي المدينة
(قلت) ولتقاربهما أطلق عليها غزوة ودان والله أعلم. واستخلف على المدينة سعد بن عبادة

وكان حامل لوائه سعد بن أبي وقاص ثم رجع ولم يلق كيدا فانصرف بعد ماوادع مجدى بن عمرو الضمرى (ثم) غزى في مائتين من أصحابه الى ناحية رضوى وحامل لوائه سعد بن أبي وقاص ثم رجع ولم يلق كيدا (قلت) وهى غزوة بواط خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد تجار قريش أيضا حتى بلغ بواط من ناحية رضوى (قال) ابن هشام واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مضعون وفي نسخة السائب بن مظعون (وقال) الواقدى سعيد بن معاذ والله أعلم . (ثم) أغار علي سرح المدينة كرز بن جابر الفهرى فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره فى المهاجرين وحامل لوائه على بن أبى طالب فانتهى الى بدر وفاته كرز وهذه بدر الأولى (قلت) ذكر ذلك ابن اسحاق بعد العشيرة بليال والله أعلم (ثم) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش في سرية وهم الذين قتلوا فى الشهر الحرام في اثنى عشر نفسا فأضل عتبة بن غزوان وسعد بن أبى وقاص راحلتيهما فتخلفا عنهم ومضى العشرة حتى لقوا جماعة من قريش منهم عثمان بن عبد الله بن المغيرة وافتدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكم ابن كيسان أسلم وقتلوا عمرو بن الحضرمى (قلت) ذكرها بعضهم بعد العشيرة ووصلوا نخلة على يوم وليلة من مكة فمرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وأدما من الطائف معها الجماعة المذكورون في آخر يوم من رجب فاستأسروا الأسيرين وقتلوا عمرا واستاقوا العير وكانت أول غنيمة في الاسلام والله أعلم . (ثم) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العشيرة فوادع بنى مدلج وحلفائهم ثم رجع (قلت) وكان خروجه فيها يعترض عيرا لقريش ففاتته بأيام واستخلف أبا سلمة بن عبد الأسد والله أعلم. (قال) أبو حاتم وبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب ان يوجه الى الكعبة فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فدعا الله تعالى فأنزل «قد نرى تقلب وجهك» الى قوله «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» وقت صلاة الظهر يوم الثلاثاء النصف من شعبان ثانية سنين الهجرة (قلت) سيأتى مافيه من الخلاف في الفصل الثالث من الباب بعده والله أعلم (ثم) نزلت فريضة الصوم فى شعبان فصاموا رمضان فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصيام عاشوراء ولا نهاهم (ثم) كانت غزوة بدر في رمضان لاثنى عشرة ليلة خلت منه وقيل يوم جمعة صبيحة سبع عشرة منه وقيل صبيحة أربع

وعشرين منه وكان المسلمون ثلاثمائة وبضع عشرة (قلت) الراجح القول الثانى وخرجت الأنصار معه صلى الله عليه وسلم فيها ولم تكن قبل ذلك خرجت معه ومعهم ثلاثة أفراس وكان المشركون ألفا ويقال تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وهذه بدر الثانية لما تقدم والله أعلم . (ثم) قتل عمير بن عدى الخطمى العصماء امرأة من الأنصار وهى زوج يزيد الخطمي كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر فقتلها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتطح فيها عنزان (قلت) قال في الاكتفاء ان العصماء هذه نافقت لما قتل أبو عفك (بالفاء واهمال أوله) وقالت شعرا تعيب الاسلام وأهله وتؤنب الأنصار فى اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن عميرا رجع الى قومه بعد قتلها وهم يومئذ كثير موجهم فى شأنها ولها بنون خمسة رجال فقال يابنى خطمة أنا قتلت بنت مروان يعنى العصماء فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون فذلك اليوم أول ماعز الاسلام فى دار بني خطمة وكان يستخفى باسلامه فيهم من أسلم ويومئذ أسلم رجال منهم لما رأوا من عز الاسلام انتهى. والذي رواه بن سيد الناس عن ابن سعد أنه قال بعد ذكر قتل عمير للعصماء (ثم) في شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبى عفك اليهودى وكان أبو عفك من بنى عمرو بن عوف شيخا قد بلغ عشرين ومائة وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر فقال سالم بن عمير وهو أحد البكائين وممن شهد بدرا علىّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه وذكر قتله اياه وهو مخالف لما قدمناه عن الاكتفاء من تقديم قتل أبى عفك على قتل العصماء وذكر ابن سعد أيضا ان قتل العصماء كان لخمس ليال بقين من شهر رمضان وان عميرا كان ضرير البصر وسماه رسول الله صلي الله عليه وسلم البصير قيل وكان أول من أسلم من بني خطمة وكان امام قومه وقارئهم وكان يدعى القارئ والله أعلم (ثم) خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفطر بيومين يعلم الناس زكاة الفطر (قلت) وقيل فى أول شوال وصلى صلاة الفطر وفيها فرضت زكاة الأموال أيضا وقيل في الثالثة وقيل فى الرابعة وقيل قبل الهجرة وثبتت بعدها والله أعلم (ثم) غزى بنى قينقاع في شوال (قلت) قد تقدم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان قد وادع اليهود وكانوا يرجعون الى ثلاث طوائف بنى قينقاع والنضير وقريظة فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة فأول من نقض منهم بنو قينقاع

فحاربهم النبي صلي الله عليه وسلم بعد بدر في شوال فالقي الله الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكمه فاراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبيّ وكانوا حلفائه فوهبهم له وأخرجهم من المدينة الى أذرعات (قال) في الاكتفاء وكان منشأ أمرهم يعني في نقض العهد أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ بها فجلعوا يريدونها علي كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فوقع الشر بينهم وبين المسلمين فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه (وروى) ان ابن أبيّ قال للنبي صلى الله عليه وسلم يامحمد أحسن فى موالى فاعرض عنه وانه قال أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم فى غداة واحدة اني والله امرء أخشي الدوائر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك (وقال) مغلطاى فى غزوة بنى قينقاع (قال) الحاكم هذه وبنى النضير واحد وربما اشتبها على من لايتأمل (وقال) الحافظ بن حجر بعد ذكر أنهم أول من نقض العهد فغزاهم النبى صلى الله عليه وسلم ثم بنى النضير واغرب الحاكم فزعم أن اجلاء بنى قينقاع وأجلاء بنى النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك لأن اجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول بن اسحاق (وذكر) الواقدى ان اجلاء بنى قينقاع كان في شوال سنة اثنين يعنى بعد بدر بشهر ويؤيده ماروى بن اسحاق باسناد حسن عن ابن عباس قال لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم ماأصاب قريشا فقالوا انهم كانوا لايعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت أنا الرجال فأنزل الله «قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون» الى قوله «لأولي الأبصار» وأصاب صلى الله عليه وسلم من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف ودرعين أحدهما يسمى فضة والأخرى تسمى السغدية (بالسين المهملة والغين المعجمة) (قال) بعض الحفاظ وكانت السغدية درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت والله أعلم (ثم) غزا غزوة السويق في ذى القعدة (قلت) سميت به لانه كان أكثر زاد المشركين وغنمه المسلمون لان أبا سفيان خرج في مائتي راكب

وقيل فى أربعين حتي أتوا العريض فحرّق نخلا وقتل رجلا من الأنصار وأجيراله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب فيلقون جرب السويق فأخذها المسلمون فرجعوا وذلك بعد بدر فان أبا سفيان حلف بعدها أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتي يغزو محمدا ففعل ذلك ورأى أن يمينه انحلت والله أعلم (ثم) مات عثمان بن مظعون فى ذى الحجة فهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة (ثم) صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد (ثم) ضحى بكبش (ثم) بنى عليّ بفاطمة فى ذى الحجة (قلت) وقال النووى وتوفيت في ذى الحجة منها رقية ابنته صلى الله عليه وسلم لكن ذكر أهل السير مايقتضى أن وفاتها كانت فى رمضان منها والله أعلم ﴿السنة الثالثة﴾ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فقال محمد بن مسلمة أنا له ثم قتله (قلت) ابن الأشرف كان أصله عربيا من نبهان على ما قاله بن اسحاق أتى أبوه المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوج بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا وكان جسيما شاعرا وهجا المسلمين بعد وقعة بدر وخرج الى مكة وأنشدهم الأشعار وبكى أصحاب القليب من قريش ونزل فيهم على المطلب بن أبى وداعة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص ابن أمية فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكة فطردته فرجع الى المدينة وشبب بنساء المسلمين وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وقيل صنع طعاما وواطأ يهود ان يدعو النبى صلي الله عليه وسلم فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء فأعلمه جبريل فقام منصرفا وقال من لكعب بن الأشرف فانتدب له محمد بن مسلمة فى نفر واحتال عليه حتي نزل له ليلا فقتله وقيل أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه والله أعلم (ثم) غزا غزوة الكُدر وكان حامل لوائه عليّ بن طالب فرجع ولم يلق كيدا (قلت) خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بنى سليم واستخلف سباع بن عرفطة وقيل ابن أم مكتوم فبلغ ماء يقال له الكدر وتعرف بغزوة قرقرة ويقال بحران فلم يلق أحدا والله أعلم (ثم) غزا غزوة أنمار فجاءه دعثور فوجده نائما تحت الشجرة فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على رأسه بالسيف فقال له دعثور من يمنعك منى قال الله فوقع السيف من يده وأخذه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى قال لا أحد قال أذهب لشأنك

فولى وهو يقول محمد خير مني فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم وأنا أحق بذلك منك فنذرت غطفان برسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا (قلت) هذه غزوة ذى أمر وسماها الحاكم غزوة أنمار وسما بعضهم الاعرابي غورث ويقال كان ذلك فى ذات الرقاع ولا مانع من تعدد ذلك وكأن أبا حاتم رأى اتحادهما فلم يذكر ذات الرقاع وهى بنخل عند بعضهم فلذلك لم يذكرها أيضا والله أعلم (ثم) كانت سرية القَردة وكان أميرها زيد بن حارثة فلقى بها عير قريش فأخذها وأسر فرات بن حيان وبلغ الخمس من تلك الغنيمة عشرين ألفا (قلت) والقردة ماء من مياه نجد فان قريشا بعد بدر خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون الى الشام فسلكوا طريق العراق وكان فى هذه العير أبوسفيان ابن حرب ومعه فضة كثيرة هى عظم تجارتهم والله أعلم (ثم) كانت أحد (قلت) كانت في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة أربع وقال ابن اسحاق لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال وقيل لثمان وقيل لتسع وقيل في نصفه (وقال) مالك كانت بعد بدر بسنة وفيه تجوز لان بدرا كانت فى رمضان باتفاق فهى بعدها بسنة وشهر لم يكمل ولهذا قال مرة أخرى كانت بعد الهجرة باحدى وثلاثين شهرا وكان السبب فيها أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع من بقى منهم الى مكة ورجع أبوسفيان بعيرهم فكلموا أبا سفيان ومن له فى العير مال فى الاستعانة بها على حرب النبى صلى الله عليه وسلم ففعلوا وقيل كان المال خمسين ألف دينار فسلم الى أهل العير رؤس أموالهم وعزلت الأرباح وكانوا يربحون في تجارتهم الدينار دينارا وجهزوا الجيش بذلك وحركوا من أطاعهم من القبائل وخرجوا بأحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن لئلا يفروا فخرج أبوسفيان وكان قائدهم بهند بنت عتبة وكذلك سائر أشرافهم خرجوا بنسائهم وكان جبير بن مطعم أمر غلامه وحشيا الحبشى بالخروج مع الناس وقال له ان قتلت حمزة عم محمد صلى الله عليه وسلم بعمى طعمة بن عدى فأنت عتيق فأقبلوا حتي نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة قاله بن اسحاق ووادى قناة خلف عينين بينه وبين أحد فان عينين فى مقابلة أحد فنزلوا هم امام عينين مما يلي المدينة وفى غربيه لجهة بئر رومة فلا يخالف ماسيأتي عن المطرى (ونقل) ابن عقبة ان أبا سفيان سار بجمعه حتى طلعوا من بئر الجماوين

ثم نزلوا ببطن الوادى الذى قبل أحد وكان رجال من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر وتمنوا لقاء العدو وأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا فلما أصبح قال رأيت البارحة فى منامي بقرا تذبح والله خير ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند ظبته أو قال به فلولا فكرهته وهما مصيبتان و رأيت انى في درع حصينة وانى مردف كبشا قالوا ماأولتها قال أولت البقر بقرا يكون فينا وأولت الكبش كبش الكتيبة وأولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت (ونقل) ابن اسحاق أيضا ان عبدالله بن أبيّ قال يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فدعهم فقال أولئك القوم يانبى الله كنا نتمني هذا اليوم وأبى كثير من الناس الا الخروج فلما صلي الجمعة وانصرف دعى باللامة فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج فندم ذوو الرأى منهم فقالوا يارسول الله امكث كما أمرتنا فقال ماينبغى لنبى اذا أخذ لامة الحرب أن يرجع حتى يقاتل فخرج بهم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف (وقال) المطرى ان نزول قريش يوم أحد بالمدينة كان يوم الجمعة قال (وقال) ابن اسحاق يوم الاربعاء (قال) المطرى فنزلوا برومة من وادى العقيق وصلى النبي صلي الله عليه وسلم الجمعة بالمدينة ثم خرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية حرة واقم وبات بالشيخين موضع بين المدينة و بين جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة الى جبل أحد وغدا صبح يوم السبت الى أحد انتهى. (ونقل) الأقشهرى أنه صلى الله عليه وسلم دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية فدفع لواء الأوس الى أسيد بن حضير ولواء الخزرج الى الحباب بن المنذر بن الجموح وقيل الى سعد بن عبادة ولواء المهاجرين الى علي بن أبى طالب وقيل الى مصعب ابن عمير واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم ثم ركب فرسه وتقلد القوس ثم أخذ قناته بيده وفى المسلمين مائة دارع وخرج السعدان أمامه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة والناس على يمينه وشماله فمضى حتي اذا كان بالشيخين وهما أطمان التفت فنظر الى كتيبة حسنة لها زجل فقال ماهذه قالوا حلفاء ابن أبيّ من يهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نستنصر بأهل الشرك فلما بلغوا الشوط انخذل عبدالله بن أبيّ بثلث الناس انتهى. (وفى) الاكتفاء أن مخيريقا كان من أحبار يهود فقال لهم يومئذ لقد علمتم أن نصر محمد

عليكم لحق فتعللوا بسبتهم فقال لهم لاسبت لكم وأخذ سيفه وعدته فلحق برسول الله صلي الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل بعد ان قال ان أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيريق خير يهود انتهى.(وروى) الطبراني في الكبير والأوسط برجال ثقات عن أبي حميد الساعدى أن النبي صلي الله عليه وسلم خرج يوم أحد حتى اذا جاوز ثنية الوداع فاذاهو بكتيبة حسناء فقال من هؤلاء قالوا عبدالله بن أبيّ في ستمائة من مواليه من اليهود من بني قينقاع فقال وقد أسلموا قالوا لا يارسول الله قال مروهم فليرجعوا فانا لانستعين بالمشركين على المشركين(قال)الاقشهرى عقب كلامه السابق وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرض ورد من رد في ذلك الموضع يعنى بالشيخين وأذن بلال المغرب فصلى النبى صلىالله عليه وسلم بأصحابه وبات بذلك الموضع صلى الله عليه وسلم واستعمل على الحرس فى تلك الليلة محمدبن مسلمة فى خمسين يطوفون بالعسكر وأدلج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السحر وهو يرى المشركين ودليله أبوخيثمة الحارثى فانتهى الىموضع القنطرة فحانت الصلاة فصلي بأصحابه الصبح صفوفا عليهم السلاح قال(وقال)مجاهد والكلبي والواقدى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة على رجليه الىأحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح وقال ابن اسحاق لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الىأحد حتى اذا كان بالشوط انخذل عبدالله بن أبيّ فى ثلاثمائة (وفى)رواية بثلث الناس وقال أطاعهم وعصاني (وقال) ابن عقبة فبقى صلي الله عليه وسلم فى سبعمائة فلما رجع عبدالله بن أبيّ سقط فى أيدى طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة و بنو سلمة (وقال) الأقشهرى فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ومعه فرسه وفرس لأبى بردة بن نيار وهذه رواية الواقدى (والذى) رواهابنعقبة كما سيأتى انه لم يكن مع المسلمين فرس وفى الاكتفاء بعد ذكر انخذال بن أبيّ ان رسول اللهصلىالله عليهوسلم مضى حتى سلك في حرة بنى حارثة ثم قال من رجل يخرج منا على القوم من كثب أى من قرب من طريق لايمر بنا عليهم فقال أبوخيثمة أخو بنى حارثة أنا يارسول الله فنفذ به في حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى وكان منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلىالله عليه وسلم ومن معه قام فحثي فى وجوههم التراب ويقول ان كنت رسول الله

فانى لا أحل لكأن تدخل حائطي وذكر أنه أخذ حفنة من تراب ثم قال والله لوأعلم انى لا أصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقتلوه فهذا الأعمى أعمي القلب أعمى البصر فمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره الىأحد(وقال) الأقشهرى وجعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين الجبل عن يساره(وقال)ابن عقبة وصف المسلمون بأصل أحد وصف المشركون بالسبخة وتعبوا للقتال وعلى خيل المشركين وهى مائة فرس خالد بن الوليد وليس مع المسلمين فرس وصاحب لواء المشركين طلحة ابن عثمان وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وعهد اليهم أن لايتركوا منازلهم (ونقل) الأقشهرى أنه جعلهم علي جبل عينين(وفى) الاكتفاء انه صلىالله عليه وسلم قال لأميرهم أنضح الخيل عنا لايأتونا من خلفنا انكان لنا أوعلينا فاثبت مكانك لانؤتين من قبلك وظاهر رسول الله صلي الله عليه وسلم بين درعين وتعبا قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائة فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل وقد كان أبو عامر الراهب من الأوس خرج عن قومه الى مكة مباعدا لرسول صلىالله عليه وسلم فكان يعدقريشا ان لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم هو فى الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى يامعشر الاوس أنا أبوعامر قالوا فلا أنعم الله بك عينا يافاسق وبذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسمى فى الجاهلية الراهب فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة انتهى.(وروى) البزار ورجاله ثقات عن الزبير بن العوام قال عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام أبودجانة فقال يارسول الله أنا آخذه بحقه فأعطاه اياه فخرج فاتبعته فجعل لايمر بشيء الا افراه وهتكه حتى أتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند وهى تقول

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * والدر فى المخانق
والمسك فيالمفارق * ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

يعني تحرضهم بذلك قال فحمل عليها فنادت بالصحراء فلم يجبها أحد فانصرف
عنها فقلت له كل سيفك رأيته فأعجبني غير انك لم تقتل المرأة قال فانها نادت فلم يجبها
أحد فكرهت ان أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها (وفى)
الاكتفاء ذكر الزبير رضى الله عنه أن سيف عبدالله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا قائمه منه فقاتل به فكان ذلك السيف
يسمى العرجون ولم يزل بعد يتوارث حتي بيع من بغاء التركى بمائتى دينار (وروى)
البزار برجال الصحيح عن بريدة أن رجلا قال يوم أحد اللهم ان كان محمد علي الحق
فاخسف به قال فخسف به (وقال) ابن اسحاق قتل أصحاب لواء المشركين وهم تسعة
بأحد واحد بعد واحد (وقال) غيره احدى عشر آخرهم غلام لبنى طلحة (وقال) ابن عقبة
وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار فبارز طلحة بن عثمان
من بنى عبدالدار فقتله وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم وحملت خيل المشركين
فنضحهم الرماة بالنبل ثلاث مرات فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوه فرأى ذلك
الرماة فتركوا مكانهم ودخلوا العسكر فأبصر ذلك خالد ومن معه فحملوا على المسلمين
فى الخيل فمزقوهم وصرخ صارخ قتل محمد أخرا كم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم
لا يشعرون وانهزم طائفة منهم وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وثبت نبى الله حين
انكشفوا عنه وهو يدعوهم فى أخراهم حتى رجع اليه بعضهم وهو عند المهراس فى الشعب
وتوجه النبى صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه
وكسروا رباعيته فمر مصعدا في الشعب ومعه طلحة والزبير وقيل معه طائفة من الأنصار
منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم
يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم أصابوا النبى
صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه فقال أبو سفيان يفتخر بآلهه أعل هبل فناداه
عمر الله أعلى وأجل ورجع المشركون الى أثقالهم (قال) ابن اسحاق كان أول من
عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وتحدث الناس بقتله كعب بن مالك
الأنصاري قال عرفت عينيه يزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين
أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الىّ أن انصت فلما عرف المسلمون

رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلى
وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الشعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فقال القوم
يارسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال دعوه فلما دني تناول رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحربة من الحارث بن الصمة يقول بعض القوم فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه
وسلم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وكان أبىّ بن خلف يلقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يامحمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يوم فرقا
من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فلما رجع
الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم (قال) قتلني والله محمد فقالوا
ذهب والله فؤادك والله ان يك بأس قال انه قد كان قال بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق
علىّ لقتلنى فمات عدو الله بسرف وهم قافلون الى مكة وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما قاله يومئذ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسحقا
لأصحاب السعير (وفي) الصحيح عن عائشة قالت لما كان يوم أحد هزم المشركون
هزيمة بينة فصاح ابليس أى عباد الله أخرا كم فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم
فنظر حذيفة فاذا هو بأبيه فنادى أى عباد الله أبى أبى فقالت فوالله ما احتجزوا حتى
قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم (ونقل) الأقشهرى ان أبا سفيان بن حرب قال يومئذ
لبني عبدالدار انكم ضيعتم اللواء يوم بدر فأصابنا مارأيتم فادفعوا اللواء الينا نكفكم
وانما أراد تحريضهم على القتال والثبات فغضبوا وأغلظوا له وأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سأل من يحمل لواء المشركين قيل عبدالدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أين
مصعب بن عمير فقال ها أنا قال خذ اللواء فأعطاه اللواء وان حمزة رضى الله عنه حمل
على عثمان بن طلحة حامل لواء المشركين فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره ثم ان
أصحاب اللواء قتلوا واحدا بعد واحد فانكشف المشركون منهزمين ونساؤهم يدعون
بالويل والثبور وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح ووقفوا يأخذون الغنايم فلما رأى
الرماة ذلك أقبل جماعة منهم وخلوا الجبل فكر خالد بالخيل فتبعه عكرمة فحملوا علي من بقى
من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبدالله بن جبير وانتقضت صفوف المسلمين ونادى ابليس

قتل محمد وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم مايزول يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجارة وثبت معه عصابة من الصحابة أربعة عشر من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وسبعة من الأنصار انتهى (وروى) النسائي عن جابر قال لما ولى الناس يوم أحد كان النبي صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر رجلا من الأنصار فيهم طلحة (ووقع) عند الطبرى من طريق السدى قال تفرق الصحابة فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الناس الى الله فرماه بن قميئة بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله فتراجع الي النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون رجلا فجعلوا يذبون عنه فحمله منهم طلحة وسهل بن حنيف فرمى طلحة بسهم فيبست يده وقال بعض من فر الى الجبل ليت لنا رسولا الى عبد الله ابن أبيّ يستأمن لنا من أبى سفيان فقال أنس بن النضر ياقوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ماقاتل عليه ثم ذكر قصة قتله وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجبل فاراد رجل من أصحابه ان يرميه بسهم فقال أنا رسول الله فلما سمعوا ذلك فرحوا به واجتمعوا حوله وتراجع الناس (وروى) أحمد عن أسعد بن أبي وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره يوم أحد رجلان عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال مارأيتهما قبل ولا بعد (وقد) أخرجه الشيخان (وفي) رواية لمسلم يعني جبريل ومكائيل وقول مجاهد لم تقاتل الملائكة يومئذ ولا قبله ولا بعده الا يوم بدر (قال) البيهقي أراد به انهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ماأمرهم به (وعن) عروة بن الزبير كان الله وعدهم على الصبر والتقوى ان يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وكان قد فعل فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم وتركت الرماة عهده اليهم وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة وأنزل الله «لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بأذنه» فصدق الله وعده واراهم الفتح فلما عصوا أعقبهم البلاء (وعند) ابن سعد ثبت معه صلي الله عليه وسلم سبعة من الأنصار وسبعة من قريش (وفى) مسلم من حديث أنس أفرد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش طلحة وسعد (وقال ابن) اسحاق حدثنى حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج فى وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه وجعل يمسح

الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى «ليس لك من الأمر شيء» الآية (وروى) ابن اسحاق من حديث سعد بن أبى وقاص قال ماحرصت علي قتل رجل قط حرصى على قتل أخي عتبة بن أبى وقاص لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر) ابن هشام في حديث أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص أخا سعد هو الذى كسر رباعية النبى صلى الله عليه وسلم السفلي وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى هو الذى شجه في جبهته وان عبد الله بن قميئة جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وان مالك ابن سنان مص الدم من وجهه ثم ازدرده فقال له لن تمسك النار (وفى) الطبرانى من حديث أبى أمامة قال رمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته وقال خذها وانا ابن قمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه مالك أقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة (وقال) السهيلى الذى كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبة ابن أبي وقاص أخو سعد لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو أبخر أو أهتم تعرف بذلك في عقبه (وروى) ابن الجوزى عن محمد بن يوسف الغزيابي قال لقد بلغنى ان الذين كسروا رباعية النبى صلي الله عليه وسلم لم يولد لهم صبي فنبتت له رباعية (وقيل) كان سبب الهزيمة ان ابن قمية الليثى قتل مصعب بن عمير وكان مصعب اذا لبس لامته يشبه النبي صلى الله عليه وسلم فلما قتله ظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الي قريش وقال قد قتلت محمدا فازدادوا جرأة وصاح ابليس من العقبة قتل محمد فلما سمع المسلمون ذلك وهم متفرقون كانت الهزيمة فلم يلو أحد على أحد (والصواب) ان السبب مخالفة الرماة للأمر وهذا مؤكد له ومتمم مع ان الاصل فى ذلك مع ارادة الله تعالى ما اتفق ببدر من أخذ الفداء (فقد) أخرج الترمذى والنسائى عن على ان جبريل هبط فقال خيّرهم في أسارى بدر القتل أو الفداء على ان يقتل منهم من قابل مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا (قال) الترمذى حسن وذكر غيره له شواهد تقويه (ولهذا) جاء فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وقتلوا سبعين وأسروا سبعين (وفيه) أيضا ان المشركين أصابوا يوم أحد من

المسلمين سبعين ولفظه من حديث البراء قال لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبى صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لاتبرحوا فان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فاخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله عهد الىّ النبى صلى الله عليه وسلم ان لاتبرحوا فابوا فلما أبوا صرف الله وجوههم فاصيب سبعون قتيلا (ووقع) عند مسلم من طريق بن عباس عن عمر في قصة بدر قال فلما كان يوم أحد قتل منهم سبعون وفروا وكسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة علي رأسه وسال الدم على وجهه فانزل الله تعالى «أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها» الآية والمراد بكسر الرباعية وهي السن التى تلى الثنية والناب انها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها وقوله وفروا أى بعضهم أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم والواقع انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا في الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انقضى القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم «ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان» وفرقة صاروا حياري لما سمعوا ان النبى صلى الله عليه وسلم قتل فصار غاية الواحد منهم ان يذب عن نفسه أو يستمر على نصرته في القتال الى ان يقتل وهم أكثرهم وفرقة بقيت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم تراجع اليهم القسم الثانى شيئاً فشيئاً لما عرفوا انه حى وما ورد من الاختلاف فى العدد محمول على تعدد المواطن فى القصة (ووقع) عند أبى يعلى فى حديث عمر المتقدم فلما كان عام أحد عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون (وفي) الاكتفاء انه لما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء علىّ ابن أبى طالب فقاتل فى رجال من المسلمين ولما اشتد القتال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحت راية الأنصار وأرسل الى على ان قدم الراية فتقدم فقال أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبى طلحة هل لك ياأبا القصم فى البراز من حاجة قال نعم فبرزا بين الصفين فأختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله (وقد) قيل ان سعد بن أبي وقاص هو الذى قتل أبا سعد هذا (وروي) الطبرانى برجال الصحيح عن ابن

عباس قال دخل على بن أبى طالب على فاطمة يوم أحد فقال خذى هذا السيف غير ذميم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه سهل بن حنيف وأبو دجانة بن خرشة (وذكر) فى الاكتفاء دخول الحلقتين من حلق المغفر في وجنته صلى الله عليه وسلم واذ وقع فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر الراهب ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ علىّ بيده ورفعه طلحة حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى الدم من وجهه ونزع أبو عبيدة بن الجراح احدى الحلقتين من وجهه صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولنى النبل ويقول ارم فداك أبى وأمي وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأصيب فم عبد الرحمن ابن عوف فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها فى رجله فعرج فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه فبيناهم في الشعب اذ علت عالية من قريش الجبل فقال اللهم انه لا ينبغى لهم ان يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع وقد كان بدن وظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتي استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وصلى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ الظهر قاعدا من الجراح التى أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا (وفي) الصحيح من حديث البراء ان أبا سفيان حين أراد الانصراف قال لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا مانقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم (وفيه) أيضا ان أبا سفيان أشرف يوم أحد فقال أفى القوم محمد فقال لاتجيبوه فقال أفى القوم ابن أبى قحافة قال لاتجيبوه قال أفى القوم ابن الخطاب فلما لم يجبه أحد قال ان هؤلاء قتلوا ولو كانوا احياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت ياعدو الله قد أبقى الله لك مايخزيك (قال) ابن اسحاق فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له هلم الى ياعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ائته فانظر ماشأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك بالله ياعمر اقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه

ليسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وابر ثم نادى أبو سفيان انه قد كان في قتلاكم مثل والله مارضيت وما سخطت وما أمرت وما نهيت ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى ان موعدكم بدرا العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم فخرج على فرآهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة وفزع الناس لقتلاهم وانتشروا يبتغونهم وسيأتى خبرهم وتعيينهم ان شاء الله تعالى فى الفصل السادس من الباب الخامس وبكي المسلمون يومئذ على قتلاهم فسر المنافقون وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق قال العلماء وكان فى قصة أحد من الحكم والفوائد أشياء عظيمة (منها) تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهى لما وقع من الرماة (ومنها) ان عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة (و)اظهار أهل النفاق حتى عرف المسلمون ان لهم عدوا بين أظهرهم (ومنها) ان في تأخير النصر هضما للنفس (ومنها) ان الله هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فسبب لهم ذلك ليبلغوها (ومنها) أن الشهادة من أعلا مراتب الأولياء فساقها لهم بين يدى الرسول ليكون شهيدا عليهم (قال) ابن اسحاق وفي شأن أحد أنزل الله ستين آية من آل عمران (وروى) ابن أبي حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال قلت لعبد الرحمن ابن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها «واذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال» الى قوله «أمنة نعاسا» (ثم) خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد الوقعة مرهبا لعدوه حتى انتهى الى حمراء الأسد فأخذ فى وجهة ذلك أباعزة الجمحي وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد منّ عليه يوم بدر بغير فداء وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا وكان شاعرا فقال له صفوان بن أمية انك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك ولم يزل به حتي خرج معهم فلما أخذه النبي صلي الله عليه وسلم قال يارسول الله أقلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين أضرب عنقه يازبير فضرب عنقه (وفى) رواية انه قال له (ان المؤمن لا يلدغ

من جحر مرتين) اضرب عنقه ياعاصم بن ثابت فضرب عنقه (وفي) هذه السنة أيضا حرمت الخمر ويقال فى التي بعدها (وقال) الحافظ بن حجر الذى يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان واستدل بشئ فيه نظر (وتزوج) النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى شعبان على الاصح وقيل في التى قبلها (وزينب) بنت خزيمة أم المساكين في رمضان فمكثت عنده شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية أشهر وماتت (وولد) الحسن بن علي في منتصف رمضان (وعلقت) أمه بالحسين بعد خمسين ليلة (وتزوج) عثمان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم ﴿السنة الرابعة﴾ وكانت بئر معونة أولها فى المحرم (قلت) في الصحيح من رواية أنس قال ان النبى صلى الله عليه وسلم أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا واستمدوه على قومهم فأمدهم النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين من الانصار قال أنس كنا نسميهم القراء يحطبون بالنهار ويصلون بالليل فانطلقوا بهم حتي بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم فقنت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبنى لحيان وفى بعض الروايات مايقتضى ان الذين استمدوا لم يظهروا الاسلام بل كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد وانهم غير الذين قتلوا القراء لكنهم من قومهم وهو الذى فى كتب السير (وقد) بين ابن اسحاق في المغازى وكذلك موسى بن عقبة عن ابن شهاب أسماء الطائفتين وان أصحاب العهد هم بنو عامر ورأسهم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة وان الطائفة الأخري من بني سليم وان عامر بن أخى ملاعب الأسنة أراد الغدر بأصحاب النبى صلي الله عليه وسلم فدعا بنى عامر الى قتالهم فامتنعوا وقالوا لا نخفر ذمة أبى براء فاستصرخ عليهم عصية وذكوان من بنى سليم فأطاعوه وقتلوهم قالوا ومات أبو براء بعد ذلك آسفا على ماصنع به عامر بن الطفيل وقيل اسلم ابو براء عند ذلك وقاتل حتى قتل وعاش عامر ابن الطفيل حتى مات كافرا بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم اصابته غدة كغدة البعير ولم يكن القراء المذكورون كلهم من الأنصار بل كان بعضهم من المهاجرين مثل عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ونافع بن ورقاء الخزاعى وغيرهما كما يؤخذ من الصحيح أيضا والله أعلم (ثم) كانت غزوة الرجيع فى صفر (قلت) ذكرها ابن اسحاق في الثالثة قبل بئر معونة والرجيع موضع ببلاد هذيل والله أعلم (ثم) كانت غزوة بنى النضير (قلت) ذكرها بعضهم

في الثالثة قبل أحد (وقال) الزهري كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد وذكرها ابن اسحاق في الرابعة بعد بئر معونة وان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم يستعينهم في دية وجلس الى جنب جدار لهم فخلا بعضهم ببعض وأمروا عمرو بن جحاش ان يرقى فيلقي عليه صخرة فأتاه الخبر من السماء فقام مظهرا انه يقضي حاجة وقال لأصحابه لا تبرحوا ورجع مسرعا الى المدينة فأمر بحربهم والسير اليهم وامر بقطع النخل والتحريق قال وحاصرهم ست ليال فسألوا ان يجلوا من أرضهم على ان لهم ماحملت الابل فصولحوا على ذلك فاحتملوا الى خيبر والى الشام فكانت أموالهم له صلى الله عليه وسلم خاصة ووافق ابن اسحاق على ذلك جل اهل المغازي واصح منه مارواه بن مردويه بسند صحيح انهم اجمعوا على الغدر فبعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرج الينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فارسلت امرأة من بنى النضير الى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بامر بني النضير فأخبر أخوها النبي صلى الله عليه وسلم بامر بنى النضير قبل ان يصل اليهم فرجع وصبحهم بالكتائب فحصرهم يومه ثم غدا على بنى قريظة فحاصرهم فعاهدوه فانصرف عنهم الى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى ان لهم ما أقلت الابل الا السلاح فاحتملوا ابواب بيوتهم فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها ويحملون مايوافقهم من خشبها وكان جلاؤهم ذلك اول حشر الناس الى الشام (ورواه) ايضا عبد بن حميد في تفسيره (وروى) ايضا من طريق عكرمة ان غزوتهم كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف (وروى) ان قريشا كتبوا لبنى النضير يحثونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضمر الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولما حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخلهم قال حسان رضى الله عنه يعير قريشا من أبيات

وهان على سراة بنى لؤى ❊ حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ولم يكن أسلم حينئذ

أدام الله ذلك من صنيع ❊ وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه ❊ وتعلم أى أرضينا تصير

أى ستعلم أينا منها ببعد وأى الارضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها الضير أى الضرر

لان بنى النضير اذا خربت أضرت بما جاورها وهو أرض الأنصار لا أرض قريش (ونقل) بن سيد الناس عن أبي عمرو الشيباني ان الذى قال البيت المتقدم المنسوب لحسان هو ابوسفيان بن الحارث وانه لما قال ❊ وعز على سراة بنى لؤى ❊ بدل (هان) قال ويروى (بالبويلة) بدل (بالبويرة) وان المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسان وما قدمناه هو رواية البخارى (قال) ابن سيد الناس وما ذكره الشيباني اشبه (قلت) كأنه استبعد ان يدعو أبوسفيان في حالة كفره على أرض بنى النضير وقد قدمنا وجهه وكان اشراف بنى النضير بنو الحقيق وحيي بن أخطب فكانوا في من سار الى خيبر فدان لهم أهلها وأسلم منهم يامين بن عمير وأبوسعد بن وهب فأحرزا أموالهما (وروى) بن شبة عن الكلبي قال لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أموال بنى النضير قال للانصار ان اخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال بينهم وبينكم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم فقسمت هذه فيهم قالوا بل أقسم هذه فيهم وأقسم لهم من أموالنا ماشئت فنزلت «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (وقال) ابن اسحاق قسمها صلى الله عليه وسلم في المهاجرين الاسهل بن حنيف وأبودجانة ذكرا فقرا فأعطاهما منها والله أعلم (ثم) ولد الحسين بن على (قلت) المشهور في ولادته أنها في الثالثة كما قدمناه والله أعلم (ثم) كانت بدر الموعود (قلت) هي بدر الثالثة لما تقدم والله أعلم (ثم) كان مقتل سلام بن مشكم أى أبورافع ويقال عبدالله بن أبى الحقيق وهى سرية عبيدالله بن عتيك (ثم) رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهوديين الذين كان يحنى أحدهما على الآخر (قلت) وفيها في شوال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة هند وقيل رملة بنت أبى أمية وهى أول من هاجر مع زوجها أبى سلمة الى الحبشة ثم هاجرت الى المدينة كذا ذكر بعض أهل السير (وقال) أبوعمر تزوجها صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين بعد بدر في شوال (وفيها) غزوة ذات الرقاع بعد بنى النضيرة بشهرين عند ابن اسحاق وقيل في الخامسة وذكرها البخارى بعد خيبر لما في الصحيح من حضور أبى موسى الاشعرى فيها وهو من أصحاب السفينة ولامانع من التعدد والله أعلم ﴿ السنة الخامسة ﴾ ثم فك رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان من الرق (ثم) خرج الى دومة الجندل فرجع ولم يلق كيدا (ثم) توفيت أم سعد بن عبادة (ثم) كسف القمر في جمادى الآخرة فصلى بهم كصلاة كسوف

الشمس (قلت) وجعلت اليهود يضربون بالطساس ويقولون سحر القمر (وروى) ابن
حبان فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم صلى لكسوف القمر والله أعلم (ثم) أصابت
قريش شدة فبعث اليهم بفضة يتألفهم بها (ثم) وفد بلال بن الحارث المزنى فكان
أول وافد مسلم الى المدينة (ثم) قدم ضمام بن ثعلبة (ثم) غزا المريسيع في شعبان وفيها
أنزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة رضى الله عنها (قلت) وسيأتي ان الاشبه ان بنى
المصطلق هى هذه والله أعلم (ثم) غزوة الخندق (قلت) هكذا ذكره ابن اسحاق وهو
المعتمد (وقال) موسى بن عقبة كانت فى شوال سنة أربع وصححه النووى فى الروضة
مع قوله بأن بنى قريظة في الخامسة وهو عجيب لما سيأتى من انها كانت عقيب
الخندق سميت بذلك لحفر النبى صلى الله عليه وسلم الخندق باشارة سلمان الفارسى
وتسمى بالاحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب وهم الذين سماهم الله
تعالى الاحزاب وأنزل الله فى ذلك صدر صورة الاحزاب (وذلك)ان حيي بن أخطب
فى نفر من بنى النضير خرجوا من خيبر الى مكة فحرضوا قريشا على الحرب وخرج
كنانة بن أبي الحقيق يسعى في بنى غطفان ويحضهم علي قتال رسول الله صلي الله
عليه وسلم على ان لهم نصف ثمر خيبر فاجابه عيينة بن حصن الفزارى وكتبوا الى
حلفائهم من بنى أسد فاقبل اليهم طليحة بن خويلد فيمن أطاعه وخرج أبو سفيان بن
حرب بقريش فنزلوا مر الظهران فجاءهم من أجابهم من بني سليم وكانوا قد استمدوهم
فصاروا في جمع عظيم (ذكر) ابن اسحاق باسانيد ان عدتهم عشرة آلاف قال وكان
المسلمون ثلاثة آلاف وقيل المسلمون ألفا والمشركون أربعة آلاف (وذكر)موسى بن
عقبة ان مدة الحصار كانت عشرين يوما ونزلت قريش بمجتمع السيول من رومة بين
الجرف وزغابة وغطفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نقمى الى جانب أحد (وفى)
رواية بن مردويه عن ابن عباس ونزل عيينة في غطفان ومن معهم من أهل نجد الى
جانب أحد بباب نعمان وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا
ظهورهم الى سلع والخندق بينه وبين القوم وجعل النساء والذرارى في الآطام (وقال)
ابن اسحاق نزلت قريش بمجتمع السيول فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم
من بنى كنانة وتهامة ونزل عيينة فى غطفان وذكر ماتقدم من رواية ابن عباس

المذكورة (وروى) الطبرانى ورجاله ثقات عن رافع بن خديج قال لم يكن حصن أحصن
من حصن بني حارثة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والذرارى فيه
وقال ان لم يكن أحد فالمعن بالسيف فجاءهن رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له نجدان
أحد بنى جحاش علي فرس حتى كان في أصل الحصن ثم جعل يقول للنساء أنزلن
الىّ خير لكم فحركن السيف فأبصره أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فابتدر
الحصن قوم فيهم رجل من بنى حارثة يقال له ظفر بن رافع فقال يانجدان ابرز فبرز اليه فحمل
عليه فقتله وأخذ رأسه فذهب به الى النبى صلى الله عليه وسلم (وروى) البزار باسناد
ضعيف عن الزبير بن العوام رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج
للخندق جعل نساءه وعمته صفية في أطم يقال له فارع وجعل معهم حسان بن ثابت فرقى
يهودى حتى أشرف على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عمته فقالت صفية
ياحسان قم اليه حتى تقتله قال لا والله ماذاك فىّ ولو كان فىّ لخرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت صفية فاربط السيف على ذراعي ثم تقدمت اليه حتى قتلته
وقطعت رأسه فقالت له خذ الرأس فارم به على اليهود قال ماذاك فىّ فاخذت هى الرأس
فرمت به على اليهود فقالت اليهود قد علمنا ان لم يك يترك أهله خلوفا ليس معهم أحد
فتفرقوا وذهبوا (وروى) أحمد باسناد قوى عن عبد الله بن الزبير قال كانت صفية فى
حصن حسان بن ثابت يوم الخندق أى وهو المسمى بفارع فذكر الحديث فى قتلها
اليهودى وقولها لحسان أنزل فاسلبه فقال مالى بسلبه حاجة (وروى) الطبرانى هذه القصة
عن صفية رضى الله عنها في غزوة أحد وفى اسناده اثنان (قال) الهيثمي لم أعرفها وبقية
اسناده ثقات والمذكور في كتب السير ان هذه القصة فى الخندق وان بعضهم كان
بحصن بنى حارثة وبعضهم بفارع وان صفية رضي الله عنها لما فرغت من قتل اليهودى
ورجعت الى الحصن قالت لحسان أنزل فاسلبه فانى لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل قال
مالى بسلبه من حاجة يابنت عبد المطلب (قال) السهيلى محمل هذا الحديث عند الناس
ان حسان كان جبانا شديد الجبن وقد دفع بعض العلماء هذا وأنكره وقال لو صح هذا
لهجى حسان به فانه كان يهاجي الشعراء وكانوا يردون عليه فما عيره أحد بجبن وان
صح فلعل حسان كان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال انتهى (وروى)

الطبراني برجال الصحيح عن عروة مرسلا ان النبى صلي الله عليه وسلم أدخل نساه يوم الاحزاب أطما من آطام المدينة وكان حسان بن ثابث رجلا جبانا فأدخله مع النساء فأغلق الباب وذكر القصة (وممن) ذكر القصة فى الخندق ابن اسحاق ويؤيده ان اليهود انما غدروا فى الخندق وذلك ان حيي بن أخطب توجه الى بنى قريظة فلم يزل بهم حتى غدروا وبلغ المسلمين غدرهم فاشتد بهم البلاء والحصار حتي تكلم معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف وأوس بن قيظي اخو بنى حارثة وغيرهما من المنافقين بالنفاق وأنزل الله تعالى «اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا» الآيات (قال) ابن عباس وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل منهم قريش وغطفان وكان حيي بن أخطب أتى كعب بن أسد صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فأغلق باب حصنه دونه وقال لم أر من محمد الا وفاء وصدقا فقال له انى جئتك بعز الدهر جئتك بقريش وغطفان على قادتهما وسادتهما قد عاهدونى وعاقدونى ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قدهراق ماءه فهو يرعد ويبرق وليس فيه شئ فلم يزل حتى نقض كعب عهده وبرئ مما كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فاشتد الخوف بالمسلمين (قال) ابن اسحاق ولم يقع بينهم حرب الا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبدود العامرى اقتحم هو ونفر معهم خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق فبارزه علىّ فقتله وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى فبارزه الزبير فقتله ويقال قتله علىّ ورجعت بقية الخيول منهزمة وقيل اقتتلوا ثلاثة أيام قتالا شديدا حتى يحجز الليل بينهم سيما فى اليوم الثالث حتى شغلهم القتال عن صلاة العصر والمغرب وقيل والظهر وذلك قبل ان ينزل قوله تعالى «فان خفتم فرجالا أوركبانا» (قال) مالك ولم يستشهد يوم الخندق الا أربعة أو خمسة وذكر غيره ستة وهم (سعد) بن معاذ كما سيأتى و(أنس) بن أوس بن عتيك وعبد الله بن سهيل وهم من بنى عبد الأشهل و(ثعلبة) بن غنمة و(الطفيل) بن النعمان وهما من بنى سلمة و(كعب) بن زيد من بنى دينار بن النجار وكان من المناوشات بين الفريقين ان مات بعض بنى عمرو بن عوف من أهل قباء فاستأذن أقرباءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدفنوه فأذن لهم فلما خرجوا الى الصحراء لدفن ميتهم وافقوا ضرار بن الخطاب وجماعة من المشركين

بعثهم أبو سفيان ليمتاروا له من بنى قريظة على ابل له فحملوا على بعضها قمحا وعلى بعضها شعيرا وعلى بعضها تمرا وتبنا للعلف فلما رجعوا وبلغوا ساحة قباء وافقوا الذين كانوا يدفنون ميتهم فناهضهم المسلمون وغلبوهم فجرح ضرار جراحات فهرب هو وأصحابه وساق المسلمون الابل بما عليها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان للمسلمين فى ذلك سعة من النفقة (ثم) أتى نعيم بن مسعود الاشجعى الى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما ولم يعلم به قومه فقال له خذل عنا فمضى الى بني قريظة وكان نديما لهم فقال قد عرفتم محبتي قالوا نعم فقال ان قريشا وغطفان ليست هذه بلادهم وانهم ان رأوا فرصة انتهزوها والا رجعوا الى بلادهم وتركوكم فى البلاد مع محمد ولا طاقة لكم به قالوا فما ترى قال لا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا فقبلوا رأيه فتوجه الى قريش فقال لهم ان اليهود ندموا على الغدر بمحمد فراسلوه فى الرجوع اليه فراسلهم بأنا لا نرضي حتي تبعثوا الى قريش فتأخذوا منهم رهنا فأقتلهم ثم جاء غطفان بنحو ذلك فلما أصبح أبو سفيان بعث عكرمة بن أبى جهل الى بني قريظة بأنا قد ضاق بنا المنزل ولم نجد مرعا فاغدوا للقتال حتي نناجز محمدا فأجابوهم ان اليوم يوم السبت ولا نعمل فيه شيأ ولا بد لنا من الرهن منكم لئلا تغدروا بنا فقالت قريش هذا ماحذركم نعيم فراسلوهم ثانيا انا لا نعطيكم رهنا فان شئتم أن تخرجوا فافعلوا فقالت قريظة هذا ما أخبرنا نعيم ثم بعث الله عليهم الريح فما تركت لهم بناء الا هدمته ولا اناء الا أكفته لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يامعشر قريش والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ولقينا من شدة الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل فتحملت قريش وان الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم وقال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا (وفي) الذيل على أخبار المدينة لابن النجار لصاحبه العراقي عن الكلبي انه قال ان الملائكة اتبعوا الاحزاب حتى بلغوا الروحاء يكرون فى أدبارهم فهربوا لا يلوون على شئ والله أعلم (ثم) كانت غزوة بني قريظة (قلت) قال أبو الربيع الكلاعي فى الاكتفاء ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا الى المدينة ومعه المسلمون فلما كانت الظهر أتاه جبريل ويقولون فيما ذكر بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في

المغتسل عند ماجاءه جبريل وهو يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه فجاءه جبريل على فرس عليه اللامة وأثر الغبار حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل غفر الله لك قد وضعتم السلاح قال نعم قال جبريل ماوضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الا من طلب القوم ان الله يأمرك بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم فمزلزل بهم انتهي (وفى) رواية أخرى انه قال انهض اليهم فلأضعضعنهم فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بنى غنم من الانصار وأصله في البخارى فى باب مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الاحزاب من رواية أنس قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا في سكة بنى غنم موكب جبريل (ورواه) ابن سعد من طريق حميد بن هلال مطولا لكن ليس فيه أنس وأوله كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين بنى قريظة عهد فلما جاءت الاحزاب نقضوه وظاهروهم فلما هزم الله الاحزاب تحصنوا فجاء جبريل فقال يارسول الله انهض الى بنى قريظة فقال ان في أصحابى جهدا قال انهض اليهم فلأضعضعنهم قال فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم من الانصار (قلت) زقاقهم هو عند موضع الجنائز فى شرقى المسجد كما علم من ذكر منازلهم (وفى) رواية لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق والمسلمون ووضعوا السلاح أتي جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال أقد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم فقال ماوضعت الملائكة السلاح بعد ومارجعت الا من طلب القوم ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة فأمر النبى صلي الله عليه وسلم بلالا فأذن فى الناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم على بن طالب برايته الى بنى قريظه وابتدرها الناس وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة فى رواية (وفي) أخرى خمس عشر (وعند) ابن سعد عشرة حتى أجهدهم الحصار وقذف فى قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد وقال لهم اما أن تؤمنوا بمحمد فوالله انه نبى أوتقتلوا نساءكم وأبناءكم وتخرجوا مستقتلين ليس وراءكم ثقل وتبيتوا المسلمين ليلة السبت فقالوا لا نؤمن ولا نستحل السبت وأى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا وأرسلوا الى أبى لبابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو بن عوف من الأوس وكانوا

حلفاءهم فاستشاروه في النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى حلقه يعني الذبح ثم ندم فتوجه الى المسجد النبوى وارتبط بسارية تعرف به اليوم حتى تاب الله عليه واستشهد من المسلمين خلاد بن سويد من بنى الحارث بن الخزرج طرحت عليه امرأة من بني قريظة رحا فقتلته وأمر صلى الله عليه وسلم بقتلها بعد ذلك ومات في الحصار أبو سنان بن محصن الأسدى أخو عكاشة بن محصن فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقبرة بنى قريظة التى تدافن فيها المسلمون لما سكنوها ولم يصب غير هذين فلما اشتد بهم الحصار أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأوس قد فعلت فى موالى الخزرج أى بنى قينقاع ماعلمت فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد قد أصابه سهم فى أكحله يوم الخندق فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا معه يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فجاء سعد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم اليه فقال سعد فانى أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أى سموات ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فى المدينة ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق وفيهم عدو الله حيي بن أخطب فانه كان قد عاهد كعب بن أسد لئن رجعت قريش وغطفان لأدخلن معك فى حصنك حتى يصيبني ما أصابك فلما رجعت الاحزاب دخل معه في حصنه فكان ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من أنبت منهم ومن لم ينبت استحياه ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد كما سبق (وعند) ابن سعد من مرسل حميد بن هلال أن سعد بن معاذ حكم أيضاً أن يكون دارهم للمهاجرين دون الانصار فلامه الانصار فقال أحببت أن يستغنوا عن دوركم (واختلف) فى عدتهم (فعند) ابن اسحاق كانوا ستمائة (وعند) ابن عائذ من مرسل قتادة كانوا سبعمائة (وقال) السهيلى المكثر يقول انهم مابين الثمانمائة الى السبعمائة (وفى) النسائى وابن ماجة باسناد صحيح انهم كانوا أربعمائة مقاتل وكان الزبير

ابن باطا القرظى قد مر على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة وهو شيخ كبير وذكره بذلك ثم ذهب فاستوهبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبه اياه فأتاه فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فاستوهب له امرأته وولده فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم فاستوهب له ماله فأتاه فأعلمه فقال أى ثابت مافعل فلان وفلان وصار يذكر قومه ويصفهم فقال له قتلوا قال فانى أسألك ياثابت بيدى عندك ألا ألحقتنى بالقوم فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير فقدمه ثابت فضرب عنقه (ثم) قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناؤهم على المسلمين وأسهم للخيل فكان أول فيء وقعت فيه السهمان وأخرج منه الخمس واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بنى عمرو بن قريظة فكانت عنده حتى توفى وكان يحرص عليها ان يتزوجها فقالت تتركنى فى ملكك فهو أحق على وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك من أمرها فبينا هو مع أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنى باسلام ريحانة فكان كذلك (وقيل) ان النبي صلي الله عليه وسلم أعتقها وتزوجها وانها ماتت فى حياته مرجعه من حجة الوداع وهذا الأثبت عند الواقدى وبعضهم يقول هى من بني النضير (ولما) انقضى شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا (وفى) البخارى مايقتضى ان قريظة كانوا قد حاربوا قبل ذلك مع بني النضير وان النبى صلى الله عليه وسلم منّ عليهم ولم أر التصريح بذلك ولم يتعرض له الحافظ بن حجر فى شرحه وقد قدمنا فى بني النضير من رواية ابن مردويه مايشهد له ولفظ البخارى عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فاجلى بنى النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين الا بعضهم لحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهودى بالمدينة انتهى (ورواه) أبو داود بنحوه الا انه قال حتى حاربت قريظة بعد ذلك يعنى بعد محاربتهم الاولى وتقريرهم ويؤخذ من ذلك ان اجلاء من بقى من طوائف اليهود بالمدينة كان بعد قتل قريظة (وفي) البخارى أيضا من حديث أبي

هريرة رضى الله عنه قال بينما نحن في المسجد خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال انطلقوا الى يهود فخرجنا حتى اذا جئنا بيت المدراس قال أسلموا تسلموا واعلموا ان الارض لله ولرسوله وانى أريد ان أجليكم من هذه الارض فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه والا فاعلموا ان الارض لله ولرسوله وهو مقتض لان ذلك كان بعد خيبر لان اسلام أبى هريرة بها فى السنة السابعة والله أعلم (ثم) كانت سرية عبيد الله بن أنيس الى سفيان بن خالد الهذلى ثم اللحيانى بعرنة (و) فيها سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه فجحش (و) فيها دفت دافة العرب فنهى عن ادخار لحوم الاضاحي فوق ثلاث (قلت) وتزوج زينب بنت جحش وهى بنت عمته أميمة وقيل في الثالثة وبسببها نزلت آية الحجاب (و) أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص والله أعلم ﴿السنة السادسة﴾ فى أولها أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمامة بن اثال أسيرا ثم كسفت الشمس ثانية بعد الكسوف الذى كان يوم مات ابنه ابراهيم (قلت) لعل في النسخة خللا لما سنذكره من ولادة ابراهيم في الثامنة ووفاته فى العاشرة فالكسوف فى السادسة هو الكسوف الاول (و) فيها نزل حكم الظهار والله أعلم (و) فيها قتل المشركون سرية محمد بن مسلمة فلم يفلت منهم غيره وكانوا عشرة (ثم) كانت سرية على بن أبى طالب الى فدك في مائة رجل (ثم) كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فظهر عليهم فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تماضر بنت الاصبغ بن عمرو الكلبى وهو ملكهم (ثم) أجدب الناس فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان في موضع المصلى فسقوا (ثم) أرسل زيد بن حارثة فى سرية فسبا سلمة بن الاكوع فى تلك السرية بنت مالك ابن حذيفة (ثم) كانت الحديبية (ثم) أغار عيينة بن حصين الفزارى على لقاح رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستنقذها (قلت) قد قدمنا في حدود الحرم ان لقاحه صلى الله عليه وسلم كانت ترعى بالغابة وما حولها فأغار عليها عيينة يوم ذي قرد وهو الموضع الذي كان فيه القتال سميت الغزوة به وتسمى أيضا غزوة الغابة (قال) ابن اسحاق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى لحيان وكان فى شعبان سنة ست لم يقم الا ليالى قلائل حتى أغار عيينة في خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلي الله عليه وسلم بالغابة وفيها رجل من بنى غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في

اللقاح وكان أول من نذر بهم سلمة بن الاكوع غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله
حتي اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ
واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم حتى لحقهم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا
رمي خذها وأنا ابن الاكوع . واليوم يوم الرضع . فاذا وجهت الخيل نحوه هرب ثم
عارضهم وهكذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحه فصرخ بالمدينة الفزع الفزع
فترامت الخيل اليه فلما اجتمعوا أمّر عليهم سعد بن زيد الاشهلى وقال اخرج فى طلب
القوم حتى ألحقك في الناس فقتل أبو قتادة رضى الله عنه حبيب بن عيينة بن حصين
وغشاه برده وأقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم في المسلمين فاذا حبيب مسجي ببرد
أبى قتادة ولكنه قتيل فظنوه هو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بابى قتادة
ولكنه قتيل له وأدرك عكاشة بن محصن رضي الله عنه أو بارا وابنه عمر بن أو باروهما
على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح وسار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد وتلاحق به الناس وأقام عليه يوما وليلة
وقال له سلمة يارسول الله لو سرحتني فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت
باعناق القوم فقال له صلي الله عليه وسلم أنهم ليقرون فى غطفان فقسم صلى الله عليه وسلم
فى أصحابه في كل مائة جزورا وأقاموا عليها ثم رجع وأفلتت امرأة الغفارى على ناقة من
اللقاح حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر وقالت انى نذرت
لله ان أنحرها ان أنجانى الله عليها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بئس
ماجزيتيها ان حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لانذر فى معصية الله ولا فيما
لاتملكين هذه رواية ابن اسحاق وقد ذكر فيها قتل اثنين من المسلمين (وخرّج) مسلم
القصة عن سلمة مطولة ومختصرة وخالف ماذكره بن اسحاق فى مواضع (منها) أنها كانت
بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وجعلها ابن اسحاق قبلها (ومنها) ان فيه
ان اللقاح كانت ترعى بذى قرد وكذا هو فى البخارى (وقال) ابن اسحاق بالغابة وكذا
هو فى حديث سلمة الطويل ولهذا قال عياض ان الاول غلط ويمكن الجمع بأنها كانت
ترعى تارة هنا وتارة هناك (ومنها) انه قال فيه خرجت قبل ان يؤذن بالاولى فلقيني
غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرخت

ثلاث صرخات ياصباحاه فاسمعت مابين لابتى المدينة ثم اندفعت على وجهى حتى
أدركتهم وقد أخذوا بذى قرد يسقون من الماء (وفي) رواية لمسلم مايقتضي ان سلمة
كان مع السرح لما أغير عليه وانه قام على أكمة وصاح ياصباحاه ثلاثا وهذا يرجح
ان السرح كان بالغابة ويبعد كونه بذى قرد ولو كان بذى قرد لما أمكنه لحوقهم
(ومنها) ان فيه انه استنقذ سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته (ومنها) انه قال فيه
فرجعنا الى المدينة فوالله ما لبثنا بها الا ثلاث ليال حتى خرجنا الى خيبر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم (وقال) القرطبى لايختلف أهل السير ان غزوة ذى قرد كانت قبل
الحديبية انتهى . ومافى الصحيح من التاريخ لها أصح مما في السير ويمكن الجمع بتكرر
الواقعة (و) يؤيده ان الحاكم ذكر في الاكليل ان الخروج الى ذى قرد تكرر ففى
الاولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل أحد وفي الثانية خرج اليها النبى صلى الله عليه
وسلم في ربيع الآخر سنة خمس والثالية هى المختلف فيها انتهى والله أعلم (م) كانت
قصة العُرنيّين (قلت) وذلك ان ثمانية منهم (وفي) رواية من عُكل قدموا فاسلموا واجتووا
المدينة وقالوا انا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم
الى لقاحه (وفى) رواية أبل الصدقة وكأنهما كانا معا فصح الاخبار بالبعث لكل منهما
ليشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الابل فبعث النبى صلى
الله عليه وسلم فى طلبهم كرز بن خالد النهرى فى عشرين فأتى بهم فأمر بقطع أيديهم
وأرجلهم وسمل أعينهم وطرحهم فى الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا هذا محصل
مافي الصحيح وذكر أهل السير ان اللقاح كانت ترعى ناحية الجماوات (وفى) رواية
بذى الجدر غربى جبل عير على ستة أميال من المدينة وذكر ابن سعد عن ابن عقبة
ان أمير الخيل يومئذ سعيد بن زيد أحد العشرة فادركوهم فربطوهم وأردفوهم علي خيلهم ووردوا
الابل ولم يفقدوا منها الا لقحة واحدة من لقاحه صلى الله عليه وسلم تدعى الحنا فسأل
عنها فقيل نحروها فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة (قال)
بعضهم وذلك مرجعه من غزوة ذى قرد فخرجوا بهم نحوه فلقوه بالزغابة فقطعت
أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هناك والله أعلم (م) غزى بنى المصطلق ومر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في انصرافه على المريسيع (و) فيها كانت قصة الافك

(قلت) قد قدم غزوة المريسيع فى السنة الخامسة وذكران فيها أنزلت آية التيمم وقد اقتضي كلامه ان المريسيع وقعت مرتين فى الأولى التيمم وفى الثانية الافك وفيه جمع ما بين ذكره كثير من أهل السير من ان المريسيع سنة خمس وبين مانقله البخارى عن ابن اسحاق أنها سنة ست لكن قد ثبت فى الصحيح ان سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الافك فلو كانت المريسيع التى هى غزاة بنى المصطلق سنة ست مع كون الافك كان فيها لكان ماوقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس وقيل أربع فالاشبه ان بنى المصطلق والمريسيع واحد كلاهما في سنة خمس (وقد) ذكر ابن عبد البر فى التمهيد ان التيمم كان فى غزاة بنى المصطلق وجزم به فى الاستذكار وسبقه اليه ابن سعد وابن حبان (وفى) البخارى غزوة بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع (وفى) الطبراني حديث كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق وبنى المصطلق بطن من خزاعة وكان رئيسهم الحارث بن أبى ضرار وكان معه عليه الصلاة والسلام بشر كثير خرج بهم اليهم لما بلغه انهم يجمعون له وكان معه ثلاثون فرسا وأم سلمة وعائشة فهزمهم وأسر من الكفار جمعا عظيما وتزوج جويرية بنت الحارث رئيسهم فأعتق الناس مابأيديهم من الأسرى لمكانها وفى هذه الغزاة قال ابن أبيّ «لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل» وقال «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا» (و) ذلك ان ابن أبيّ خرج في عصابة من المنافقين مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما رأوا ان الله قد نصر رسوله وأصحابه أظهروا قولا سيئا واقتتل رجل من المهاجرين ورجل من الانصار فظهر عليه المهاجرى فقال ذلك ابن أبيّ لقومه فأخبر زيد بن أرقم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاجتهد ابن أبيّ يمينه مافعل فحزن زيد بن أرقم لذلك فأنزل الله تصديقه (و) استأذن عبد الله بن عبد الله بن أبيّ النبى صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه فيما رواه عروة بن الزبير فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقتل أباك ولما كان بينهم وبين المدينة يوم تعجل عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى أناخ على مجامع طرق المدينة حتى جاء أبوه فقال له ابنه لاوالله لاتدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الأعز من الاذل فقال له أنت من بين الناس فقال نعم أنا من بين

الناس فانصرف عبد الله حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى اليه ماصنع ابنه فأرسل رسول الله صلي الله عليه وسلم الى ابنه ان خل عنه فدخل المدينة (رواه) بن شبة (وفي) هذه السنة فرض الحج على الصحيح كما سيأتى والله أعلم ﴿السنة السابعة﴾ فيها قصة أبى سفيان مع هرقل فى الشام وفى أولها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وبعث اليهم رسله (ثم) كانت خيبر (قلت) واستصفي صفية بنت حيي بن أخطب من المغنم فاعتقها وتزوجها وجاءته مارية القبطية هدية وبغلته دلدل وأسلم أبو هريرة (و) سمته صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم (ثم) صار النبى صلى الله عليه وسلم الى وادى القرى فحاصر أهله ليال وأصاب غلامه مدعم بينهم غرب فقتله وفى رجوعه الى المدينة كان النوم عن صلاة الصبح (وروى) بعضهم انه كان في الرجوع من غزوة تبوك (وقال) الواقدى وفي المحرم منها جاء رؤساء اليهود الى لبيد بن الأعصم وكان حليفا فى بني زريق وكان ساحرا فقالوا له ياأبا الاعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا لم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه فجعلوا له ثلاثة دنانير وذكر قصة سحره (وفى) رواية عن الزهرى باسناد صحيح ان المدة التى مكث النبى صلى الله عليه وسلم فيها فى السحر سنة (و) فى رواية أربعين ليلة والله أعلم (وفيها) جاءته أم حبيبة بنت أبى سفيان وتزوج بها (ثم) كانت عمرة القضية وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية ﴿السنة الثامنة﴾ فيها كانت موتة ثم كان الفتح (ثم) غزوة هوازن (ثم) غزوة الطائف وأمر على مكة عتاب بن أسيد وأسلم مالك بن عوف النضرى وتألف المؤلفة من غنائم هوازن (ثم) انصرف الى المدينة فى آخر ذى القعدة (قلت) وفى هذه السنة ولد ابنه ابراهيم من مارية القبطية وحلق رأسه يوم سابعه وتصدق بزنة شعره فضة (و) عق عنه بكبشين (و) مات فى عاشر ربيع الاول من السنة العاشرة وسنه عام ونصف وقيل عام وثلث (وفى) الثامنة أيضا توفيت ابنته زينب وهى أكبر أولاده وكانت زوج أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس الذى أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم في صهارته تزوجها قبل البعثة ولما قدم عليها مسلما ردها النبى صلي الله عليه وسلم عليه بالنكاح الاول على الصحيح لقدومه عقب تحريم المسلمات على المشركين وذلك بعد صلح الحديبية والله أعلم ﴿السنة التاسعة﴾ فيها هجر نساءه شهرا (ثم) تتابعت الوفود (ثم) فرض الحج (قلت) قد اختلف في وقته فقيل قبل الهجرة وهو غريب والمشهور

بعدها (فقيل) سنة خمس وجزم به الرافعي في موضع (وقيل) ست وصححه الرافعي في موضع آخر وكذا النووي (وقيل) سبع (وقيل) ثمان (وقيل) تسع وصححه عياض والله أعلم. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أبا بكر رضي الله عنه (ثم) نزلت براءة فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه لينبذ الى الناس عهدهم (قلت) وفيها في شهر رجب كانت غزوة تبوك وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم على ماذكره ابن اسحاق والله أعلم ﴿السنة العاشرة﴾ في أولها قدم عدى بن حاتم بوفد طيء (ثم) قدم وفد بني حنيفة (ثم) وفد غسان (ثم) وفد نجران الذين كانت فيهم قصة المباهلة (ثم) جاء جبريل يعلم الناس دينهم (ثم) غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوكا (قلت) وهو مخالف لما قدمناه عن بن اسحاق من كونها في التاسعة والله أعلم (ثم) أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بالحج في حجة الوداع ورجع (ثم) مرض في صفر لعشر بقين منه وتوفى صلى الله عليه وسلم لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الاول يوم الاثنين انتهى ماذكره رزين عن أبي حاتم (قلت) وشهر ربيع هذا من الحادية عشر وكان ابتداء مرضه في بيت ميمونة وقيل زينب بنت جحش وقيل ريحانة وذكر الخطابي ان ابتدائه يوم الاثنين (وقيل) السبت (وقيل) الاربعاء (وحكى) في الروضة قولين في مدته (فقيل) أربعة عشر وهو لذى صدر به (وقيل) ثلاثة عشر وعليه الاكثر (وقيل) عشرة وبه جزم سليمان التيمى ومقتضي ماتقدم ان المدة تزيد على عشرين يوما ولم أر من صرح به ولا خلاف في أن الوفاة كانت يوم الاثنين وكونه من ربيع الاول كاد يكون اجماعا لكن في حديث بن مسعود عند البزار في حادى عشر رمضان وكونها في ثاني عشر ربيع الاول هو ماعليه الجمهور وذهب جماعة الى أنها في أوله ورواه يحيي عن بن شهاب وقال حين زاغت الشمس وعن أسماء بنت أبي بكر انه توفى للنصف من ربيع الاول وقيل ثانيه ورجحه السهيلي واستشكل قول الجمهور بأنهم اتفقوا على أن الوقفة في حجة الوداع كانت بالجمعة فأول ذي الحجة الخميس فمهما فرضت الشهور الثلاثة توام أو نواقص أو بعضها لم يصح كون الوفاة يوم الاثنين مع كونه ثاني عشر ربيع الاول وأجاب البارزي باحتمال وقوع الثلاثة كوامل واختلاف أهل مكة والمدينة في هلال ذي الحجة فرآه أهل مكة ليلة الخميس ولم يره أهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة ثم رجعوا الى المدينة

فأرخوا برؤية أهلها فكان أول ذي الحجة الجمعة وهو وما بعده كوامل فأول ربيع الاول الخميس وثاني عشره الاثنين ولا يخفى بُعد هذا الجواب (وقد) جزم سليمان التيمي أحد الثقات بأن بدأ مرضه صلي الله عليه وسلم كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول ومنه يعلم أن صفر كان ناقصا ولا يمكن أن يكون أول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم عليه نقص ثلاثة أشهر متوالية وأما على قول من قال أول ربيع الاول فيكون اثنان ناقصين وواحد كاملا وكذا على قول من قال للنصف منه (وقال) البدر بن جماعة يحمل قول الجمهور لاثنى عشرة ليلة خلت أى بأيامها فيكون موته في اليوم الثالث عشر وتفرض الشهور كوامل فيصح قول الجمهور ويعكر عليه مافيه من مخالفة أهل اللسان في قولهم لاثنى عشرة فانهم لا يفهمون منها الا مضى الليالى وان ماأرخ بذلك يكون وانما في الثاني عشر (قال) الحافظ بن حجر فالمعتمد قول أبي مخنف انه في ثاني ربيع الاول وكان سبب غلط غيره تغيير ذلك الى الثاني عشر وتبع بعضهم بعضا في الوهم وغسله صلى الله عليه وسلم علي بوصيته والعباس وابنه الفضل يعيناه وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة (وسحول) بلدة باليمن وعن جعفر بن محمد عن أبيه كفن في ثوبين صحاريين مما يصنع بعمان من كرسف وبرد حبرة (وفي) الاكليل ورواه يحيي عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه كفن في سبعة أثواب وصلى عليه في حجرته بغير امام (ونقل) الاقشهرى عن الحسين بن محمد الصدفى انه صلى الله عليه وسلم صلي عليه في وسط الروضة من مسجده ثم حمل الى بيته ودفن فيه (قلت) هذا انما هو معروف في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (وفي) مستدرك الحاكم ومسند البزار بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم أوصى أن يصلوا عليه ارسالا بغير امام (ودفن) صلى الله عليه وسلم ليلة الاربعاء (وقيل) يومها (وقيل) يوم الثلاثاء بعد ان عرف الموت في أظفاره وقال قائلون ندفنه بمسجده وآخرون بالبقيع ثم اتفقوا على دفنه ببيته فحمل بالفراش وحفر له في موضع الفراش (وروى) يحيي عن بن أبي مليكة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ماهلك نبي الا دفن حيث تقبض روحه وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه باخراج المشركين من جزيرة العرب كما في الصحيح من حديث بن عباس أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذلك

ولفظه وأمرهم بثلاث فقال (أخرجوا) المشركين من جزيرة العرب (وأجيزوا) الوفد بنحو
ما كنت أجيزهم (والثالثة) اما سكت عنها واما أن قالها فنسيتها (قال) سفيان هذا أى قوله
والثالثة الى آخره من قول سليمان أى شيخ سفيان قال الداوودي الثالثة هى الوصية
بالقرآن (وقال) المهلب بل هى تجهيز جيش أسامة وقواه بن بطال بأن الصحابة لما اختلفوا
على أبى بكر فى تنفيذ جيش أسامة قال لهم أبو بكر ان النبى صلى الله عليه وسلم عهد بذلك
عند موته (وقال) عياض يحتمل أن يكون قوله لاتتخذوا قبرى وثنا فانها ثبتت في الموطأ
مقرونة بالامر باخراج اليهود (ويحتمل) أن يكون ماوقع في حديث أنس أنها قوله الصلاة
وما ملكت أيمانكم والذي أجلا المشركين من جزيرة العرب هو عمر رضى الله عنه
(ففى) الصحيح من حديث ابن عمر ان عمر بن الخطاب أجلا اليهود والنصارى من أرض
الحجاز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لماظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود
منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله وللرسول وللمؤمنين فسأل اليهود رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نقركم على ذلك ماشئنا فأقروا حتى أجلاهم عمر فى امارته الى تيماء وأريحاء
(وفي) الصحيح أيضا عن ابن عمر لما فدع أهل خيبر عبدالله بن عمر قام عمر خطيبا فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال نقركم على ما أقركم الله
وان عبدالله بن عمر خرج الى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه
وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت اجلاءهم فلما أجمع عمر على ذلك
أتاه أحد بنى الحقيق فقال يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم
وعاملنا على الاموال وشرط ذلك لنا فقال عمر أظننت أنى نسيت قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف بك اذا أخرجت من خيبر تعدوا بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال
كانت هذه هزيلة من أبي القاسم صلي الله عليه وسلم فقال كذبت ياعدو الله فأجلاهم
عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وابلا وعروضا من أقتاب وحبال وغير ذلك
(و) ظاهر هذا ان عمر رضي الله عنه انما استند فى اجلائهم لهذه القصة (وروى) ابن
زبالة عن مالك عن بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايبقي دينان فى
جزيرة العرب (قال) بن شهاب ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايبقي دينان فى جزيرة العرب فأجلا يهود خيبر
قال مالك وقد أجلا عمر بن الخطاب يهود نجران وفدك (وروى) البيهقى من حديث عمر
مرفوعا لئن عشت الى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب وخرجه مسلم بدون لئن
عشت (و) في مسند أحمد والبيهقى عن أبي عبيدة قال كان آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب الحديث (وروى) أحمد بسند جيد
عن عائشة قالت آخر ماعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال لايترك بجزيرة العرب دينان
(قال) الجوينى والقاضى حسين من أصحابنا الجزيرة هى الحجاز والمشهور ان الحجاز بعض
الجزيرة ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم لم يتفرغ أبو بكر رضى الله عنه لاخراجهم
فاجلاهم عمر رضي الله عنه وهم زهاء أربعين الفا (و) لم ينقل ان أحدا من الخلفاء أجلاهم
من اليمن مع أنها من الجزيرة فدل علي ان المراد الحجاز فقط (و) حكى ان بعض اليهود
أظهر كتابا وادعى انه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه
شهادة الصحابة فعرض على أبي بكر الخطيب البغدادى فقال هذا مزور لان فيه شهادة معاوية
وهو أسلم عام الفتح فلم يحضر ماجرى وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات في بنى قريظة
بسهم أصابه في الخندق وذلك قبل خيبر بسنتين وذلك من فوائد علم التاريخ والله أعلم

﴿ البــاب الرابـع ﴾

فيما يتعلق بامور مسجدها الاعظم النبوى والحجرات المنيفات وما كان مطيفا به من الدور
والبلاط وسوق المدينة ومنازل المهاجرين واتخاذ السور وفيه سبعة وثلاثون فصلا

﴿ الفصل الاول فى أخذه صلى الله عليه وسلم لموضع مسجده الشريف وكيفية بنائه ﴾

تقدم ان ناقته صلى الله عليه وسلم لما بركت عند باب المسجد قال صلى الله عليه
وسلم هذا المنزل ان شاء الله (و) في كتاب يحيي عن الزهرى انها بركت عند مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين وكان مربدا لغلامين
يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته
هذا ان شاء الله المنزل وقال اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قاله أربع
مرات (وروى) رزين نحوه عن أنس ولفظه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا

المنزل ان شاء الله ثم أخذ في النزول فقال رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ولم يقل قاله أربعا (و) في كتاب يحيي عن الزهري أيضا ان المربد كان لسهل وسهيل وانهما كانا في حجر أبي امامة أسعد بن زرارة وان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين بركت به راحلته هذا المنزل ان شاء الله ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى ان يقبله هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا (قال) يحيي تبعا لابن زبالة وقال بعضهم كان لغلامين يتيمين لأبي أيوب هما سهل وسهيل ابنا عمرو فطلب المربد من أبي أيوب فقال أبو أيوب يارسول الله المربد ليتيمين وأنا أرضيهما فارضاهما فاعطاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتخذه مسجدا (و) عند ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن هذا يعني المربد فقال له معاذ بن عفراء هو لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجدا فامر به ان يبنى (و) يؤيده انه وقع في مرسل ابن سيرين عند أبي عبيد في الغريب انهما كانا في حجر معاذ ابن عفراء (و) الذي في صحيح البخاري انهما كانا في حجر أسعد بن زرارة كذا هو في رواية الجميع الا أبا ذر ففي روايته سعد باسقاط الالف ورواية الجماعة هي الوجه اذ كان أسعد من السابقين الى الاسلام وهو المكني بابي أمامة وأما أخوه أسعد فتأخر اسلامه وقد يجمع باشتراك من ذكر في كونهما كانا في حجورهم أو بانتقال ذلك بعد أسعد الى من ذكر واحدا بعد واحد سيما وقد روى ابن زبالة عن بن أبي فديك قال سمعت بعض أهل العلم يقولون ان أسعدا توفي قبل ان يبني المسجد فابتاعه النبي صلى الله عليه وسلم من ولي سهل وسهيل (و) روى ابن زبالة في خبر كان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لسهل وسهيل ابني أبي عمرو من بني غنم فاعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه مسجدا (وفي) الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل الى ملاء بني النجار بسبب موضع المسجد فقال يابني النجار ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله (و) عند الاسماعيلي الا من الله وهو ظاهر في انهم لم يأخذوا له ثمنا (وفي) رواية في باب الهجرة من الصحيح بعد ذكر تأسيس مسجد قباء ثم ركب رسول الله صلي الله عليه وسلم راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل

غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا (و) وقع في رواية ابن عيينة فكلم عمهما أي الذي كانا في حجره ان يبتاعه منهما فطلبه منهما فقالا ماتصنع به فلم يجد بدا من ان يصدقهما فاخبرهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراده فقالا نحن نعطيه اياه فاعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه أخرجه الجندي (و) طريق الجمع بين ذلك كما أشار اليه الحافظ بن حجر انهم لما قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله سأل عن من يختص بملكه منهم فعينوا له الغلامين فابتاعه منهما أو من وليهما ان كانا غير بالغين (و) حينئذ فيحتمل ان الذين قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن (فقد) نقل بن عقبة ان أسعد عوض الغلامين عنه نخلا له في بني بياضة (و) تقدم ان أبا أيوب قال هو ليتيمين لي وأنا أرضيهما فارضاهما وكذلك معاذ بن عفراء فيكون ذلك بعد الشراء (و) يحتمل ان كلا من اسعد وأبي أيوب وابن عفراء أرضي اليتيمين بشيء فنسب ذلك لكل منهم (و) قد روى ان اليتيمين امتنعا من قبول عوض فيحمل ذلك على بدء الامر لكن يشكل على هذا ما نقل عن التاريخ الكبير لابن سعد ان الواقدي قال انه صلى الله عليه وسلم اشتراه من ابني عفراء بعشرة دنانير ذهبا دفعها أبو بكر الصديق وقد يقال ان الشراء وقع من ابني عفراء لانهما كانا وليين لليتيمين ورغب أبو بكر في الخير كما رغب فيه أسعد وأبو امامة ومعاذ بن عفراء فدفع لهم أبو بكر العشرة ودفع كل من أولئك ما تقدم ولم يقبله صلى الله عليه وسلم بلا ثمن أولا لكونه لليتيمين لكن ابن سيد الناس نقل عن البلاذري انه قال عقب كلامه الآتي فعرض يعني أسعد على النبي صلى الله عليه وسلم ان يأخذها ويغرم لليتيمين ثمنها فابى رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك وابتاعها منه بعشرة دنانير اداها من مال أبي بكر انتهى . فيحتمل انه صلي الله عليه وسلم أخذ أولا بعض المربد ثم أخذ بعضا آخر لما سيأتي من انه زاد فيه مرة اخرى فليست القصة متحدة (ورأيت) بخط الاقشهري في كلام نقله عن أبي جعفر الداودي عن عبد الله بن نافع صاحب مالك ان المسجد كان مربدا لابني عفراء (قلت) يحتمل نسبته اليهما

لولا يتهما على اليتيمين أو ان لليتيمين ام تسمى عفراء وأما ابنا عفراء المشهوران فهما معاذ ومعوذ ابنا الحارث والذى في الصحيح من تسمية الغلامين سهل وسهيل أصح والله أعلم (و)في كتاب يحيي مايقتضى ان اسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجدا قبل مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم فانه قال(حدثنا)بكر (بنا)محمد بن عمر (بنا)معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال سمعت ام سعد بنت سعد بن الربيع يقول أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت انها رأت أسعد بن زرارة قال سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد ابن ثابت انها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم فى مسجد بناه في مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عايد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قالت فأنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه فهو مسجده اليوم(ونقل) ابن سيد الناس عن ابن اسحاق ان الناقة بركت على باب مسجده صلي الله عليه وسلم وهو يومئذ ليتيمين من بنى مالك بن النجار في حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابنى عمرو ثم قال وذكر أحمد بن يحيي البلاذرى قال فنزل رسول الله صلي الله عليه وسلم عند أبى أيوب ووهبت له الانصار كل فضل كان في خططها وقالوا يانبى الله ان شئت فخذ منازلنا فقال لهم خيرا قالوا وكان أبوا أمامة أسعد بن زرارة يجمع بمن يليه في مسجد له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ثم انه سأل أسعد أن يبيعه أرضا متصلة بذلك المسجد كانت فى يده ليتيمين في حجره يقال لهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبى عمرو ابن عايد بن ثعلبة بن غنم كذا نسبهما البلاذرى وهو يخالف ما سبق عن ابن اسحاق وغيره والاول أشهر انتهى.وتشهيره للاول وهو كون الغلامين ابنى عمرو تقدم مايقتضيه لكن تقدم أيضا مايقتضى الثانى وهو الارجح فقد صرح ابن حزم فى الجمهرة ورواه ابن زبالة عن بن شهاب وكذا ذكره بن عبد البر (و) ذكر السهيلي فيما نقله عنه الذهبي مايحصل به الجمع ويرفع الخلاف الا ان فيه بعض مخالفة لما تقدم فقال سهل بن عمرو الانصارى النجارى أخو سهيل صاحب المربد وكانا فى حجر أسعد بن زراره ينسبان الى جدهما وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبى عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن النجار انتهى.

فعلى هذا يكون سقط من الرواية المتقدمة ابن عمرو بين رافع وأبى عمرو وتصحف عبيد بعايد والله أعلم (و)قال المجد ذكر البيهقي المسجد فقال كان جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى القدس وكان أسعد بن زرارة بناه وكان يصلي باصحابه فيه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل التى فى الحديقة وبالغرقد أن يقطع وكان فيه قبور جاهلية فأمر بها فنبشت وأمر بالعظام أن تغيب وكان فى المربد ماء مسحل فسيره حتى ذهب (والمسحل) ممشي ماء المطر انتهى . ولم أره فى المعرفة للبيهقى ولافى السنن الكبير ولا في الدلائل (و) المعروف انه كان مربدا للتمر أى يجفف فيه التمر وكأنه سماه حديقة لاشتماله على نخل ففى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذه كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع وبقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت فصفوا النخل قبلة له وجعلوا عضادتيه حجارة وقد قدمنا الكلام على قطع هذا النخل في أحكام الحرم وكأن معنى صف النخل قبلة له جعلها سوارى في جهة القبلة ليسقف عليها كما في الصحيح كان المسجد على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل (و)سيأتى فيما أسند يحيي انه كان في جوف الارض أى أرض المربد قبور جاهلية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت فرمى بعظامها فأمر بها فغيبت وكان فى المربد ماء مستنجل فسيره حتى ذهب (و) وقع فى رواية عطاف بن خالد عند بن عايد انه صلى الله عليه وسلم صلى فيه وهو عريش اثنى عشر يوما ثم بناه وسقفه وسيأتى مايشهد له(و)أسند بن زبالة عن أنس قال بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى المسجد أول ما بناه بالجريد قال وانما بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين(قلت) وهو واه أوماول والمعروف خلافه (وأسند) أيضا عن شهر بن حوشب قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحجر بناء المسجد قيل له عريش كعريش أخيك موسي سبع أذرع (وأسنده) يحيي من غير طريقه عن شهر أيضا بلفظ لما أراد رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يبنى المسجد وأورده رزين بلفظ لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد قال قيل لى عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع ثم الامر أعجل من ذلك (و) أسند يحيي عن الحسن قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال

ابنوا لي مسجدا عريشا كعريش موسى ابنوه لنا من لبن وأورده رزين بلفظ لما أخذ في
بناء المسجد قال ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى
والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام فيه أصاب رأسه السقف وعمل
فيه بنفسه صلى الله عليه وسلم ترغيبا لهم (ففي) الرواية المقدمة في الصحيح عقب قوله حتى
ابتاعه منهما وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في ثيابه ويقول وهو
ينقل اللبن

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول

اللهم ان الأجر أجر الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة

(قال) ابن شهاب فتمثل صلى الله عليه وسلم بشعر رجل من المسلمين ولم يبلغنا في
الاحاديث انه تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات زاد ابن عائذ في آخره التي كان
يرتجزهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد (والحمال) مخفف بمهملة مكسورة أى هذا المحمول
من اللبن أبر عند الله من حمال خيبر أى ذات التمر والزبيب (وقوله) ربنا أي يا ربنا
(وأسند) يحيى عن الزهري في معنى قوله هذا الحمال لا حمال خيبر قال كانت يهود اذا
صرمت نخلها جاءتهم الاعراب بركائبهم فيحملون لهم عروة بعروة الى القرى فيبيعون
يكون لهذا نصف الثمن ولهؤلاء نصفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك (و) في الرواية
المتقدمة في الصحيح عقب قوله وجعلوا عضادتيه حجارة فجعلوا ينقلون ذلك الصخر
وهم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون

اللهم لا خير الا خير الآخرة * فانصر الانصار والمهاجرة

ويذكر ان هذا البيت لعبد الله بن رواحة (وعن) الزهري بلغني ان الصحابة كانوا
يرتجزون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ويقول * اللهم لا خير الا خير
الآخرة فارحم المهاجرين والانصار * وكان لا يقيم الشعر قال الله تعالى «وما علمناه الشعر
وما ينبغي له» وفعل ذلك احتسابا وترغيبا في الخير ليعمل الناس كلهم ولا يرغب أحد بنفسه
عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا أسند ابن زبالة عن مجمع بن يزيد انه قال
عقب ذلك وعملوا فيه ودأبوا فقال قائل من المسلمين

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا للعمل المضلل

(وأسند) أيضا ان علي بن أبي طالب كان يرتجز وهو يعمل فيه يقول

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا
* ومن يرى عن الغبار حائدا *

(و) أسند هو أيضا ويحيى من طريقه والمجد ولم يخرجه عن أم سلمة رضي الله
عنها قالت بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فقرب اللبن وما يحتاجون اليه فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون والأنصار
ألقوا أرديتهم وأكسيتهم وجعلوا يرتجزون ويعملون ويقولون * لئن قعدنا والنبي يعمل *
البيت وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلا نظيفا متنظفا وكان يحمل اللبنة فيجافي
بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شئ من التراب نفضه
فنظر اليه علي بن أبي طالب فانشأ يقول * لا يستوي من يعمر المساجد * الابيات المتقدمة
فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها وهو لا يدري من يعني بها فمر بعثمان فقال يا ابن
سمية ما أعرفني بمن تعرض ومعه جريدة فقال لتكفن أو لأعترض بها وجهك فسمعه
النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل بيتي يعني ام سلمة (و) في كتاب يحيى في
ظل بيته فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين
عيني وأنفي فاذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ ووضع يده بين عينيه فكف الناس عن ذلك
ثم قالوا لعمار ان النبي صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف ان ينزل فينا القرآن
فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يا رسول الله مالي ولاصحابك قال مالك وما لهم قال
يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي اللبنتين والثلاث فاخذ بيده فطاف به في
المسجد وجعل يمسح وفرته بيده من التراب ويقول يا ابن سمية لا يقتلك أصحابي ولكن
تقتلك الفئة الباغية (و) قد ذكر ابن اسحاق القصة بنحوه كما في تهذيب ابن هشام قال
وسألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا ان علي بن أبي طالب
ارتجز به فلا ندري أهو قائله أم غيره وانما قال ذلك علي رضي الله عنه مطايبة
ومباسطة كما هو عادة الجماعة اذا اجتمعوا على عمل وليس ذلك طعنا (و) أخرج ابن أبي
شيبة من مرسل أبي جعفر الخطمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبني المسجد

وعبد الله بن رواحة يقول ۞ أفلح من يعالج المساجد ۞ فيقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ابن رواحة ۞ يتلو القرآن قائما وقاعدا ۞ فيقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي) الصحيح فى ذكر بناء المسجد وكنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وقال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن (و) أسند ابن زبالة ويحيي عن مجاهد قال رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يحملون الحجارة على عمار وهو يبنى المسجد فقال مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وذلك فعل الاشقياء الاشرار (و) أسند الثانى أيضا عن أم سلمة قالت كان رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحمل كل رجل منهم لبنة لبنة وعمار بن ياسر لبنتين لبنة عنه ولبنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره وقال يا ابن سمية لك أجران وللناس أجر وآخر زادك من الدنيا شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية (و) فى الروض للسهيلى ان معمر بن راشد روى ذلك فى جامعه بزيادة في آخره وهى فلما قتل يوم صفين دخل عمرو على معاوية رضى الله عنهما فزعا فقال قتل عمار فقال معاوية فماذا فقال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فقال معاوية دحضت فى بولك أنحن قتلناه انما قتله من أخرجه (وروى) البيهقى في الدلائل عن عبد الرحمن السلمى انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لابيه عمرو قد قتلنا هذا الرجل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ماقال قال اى رجل قال عمار بن ياسر أما تذكر يوم بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فكنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحمل لبنتين لبنتين وأنت ترحض أما انك ستقتلك الفئة الباغية وأنت من أهل الجنة فدخل عمرو على معاوية فقال قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال فقال اسكت فوالله ماتزل تدحض في بولك أنحن قتلناه انما قتله على وأصحابه جاؤا به حتى ألقوه بيننا (قلت) وهو يقتضى ان هذا القول لعمار كان في البناء الثانى للمسجد لان اسلام عمرو كان في الخامسة كما سبق (و) أسند ابن زبالة عن حسن بن محمد الثقفى قال بينا رسول الله صلى الله عليه

وسلم يبنى فى أساس مسجد المدينة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فمر به رجل فقال يارسول الله مامعك الا هؤلاء الرهط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء ولاة الامر من بعدى (و) روى أبو يعلى برجال الصحيح الا ان التابعى لم يسم عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه وجاء عثمان بحجر فوضعه قالت فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال هذا أمر الخلافة من بعدى (و) تقدم في تأسيس مسجد قباء نحو ذلك من غير ذكر امر الخلافة (و) قال الاقشهرى فى روضته روى صاحب السيرة ولم يسمه ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد ان الله يأمرك ان تبنى له بيتا وان ترفع بنيانه بالرهص والحجارة و(الرهص) الطين الذى يتخذ منه الجدار فقال كم أرفعه ياجبريل قال سبعة أذرع وقيل خمسة أذرع ولما ابتدأ فى بنائه أمر بالحجارة وأخذ حجرا فوضعه بيده أولا ثم أمر أبا بكر فجاء بحجر فوضعه الى جنب حجر النبي صلى الله عليه وسلم ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم عليا انتهى ماذكره الاقشهرى ومن خطه نقلته (وروى) البيهقى فى الدلائل عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى النبى صلى الله عليه وسلم المسجد وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى جنب حجرى ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبى بكر ثم قال ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء من بعدى (و) أسند يحيي عن أسامة بن زيد عن أبيه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حجر فلقيه أسيد بن حضير فقال يارسول الله أعطنيه فقال اذهب فاحتمل غيره فلست بافقر اليه منى (و) عن مكحول قال لما كثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اجعل لنا مسجدا فقال خشبات وثمامات عريش كعريش أخي موسى صلوات الله عليه الامر أعجل من ذلك (و) رواه رزين وزاد فيه فطفقوا ينقلون اللبن وما يحتاجون اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم فلقيه رجل ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة فقال أعطنيها يارسول الله فقال اذهب فخذ غيرها فلست بافقر الى الله منى (ونقل) المجد عن رواية محمد بن سعد نحوه قال وجاء رجل يحسن عجن الطين وكان من حضرموت فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أحسن صنعته وقال له الزم أنت هذا الشغل فانى أراك تحسنه (و) فى كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهرى كان رجل من أهل اليمامة يقال له طلق من بنى حنيفة يقول قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون فيه معه وكنت صاحب علاج وخلط طين فاخذت المسحاة أخلط الطين والنبي صلي الله عليه وسلم ينظر الى ويقول ان هذا الحنفى لصاحب طين (و) روى أحمد عن طلق بن على قال بنيت المسجد مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول قربوا اليمامي من الطين فانه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا (و) عنه أيضا قال جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد قال فكأنه لم يعجبه عملهم قال فأخذت المسحاة فخلطت بها الطين فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى فقال دعوا الحنفى والطين فانه من أصنعكم للطين (و) أسند بن زبالة ويحيى من طريقه في اثناء كلام عن بن شهاب فى قصة أخذ المربد قال فبناه مسجدا وضرب لبنه من بقيع الخبخبة ناحية بئر أبى أيوب بالمناصع و (الخبخبة) شجرة كانت تنبت هناك (و) أسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمر عن يزيد بن السائب عن خارجة بن زيد بن ثابت قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين فى ستين ذراعا أو يزيد ولبن لبنه من بقيع الخبخبة وجعله جدارا وجعل سواريه خشبا شقة شقة وجعل وسطه رحبة و بنى بيتين لزوجتيه (قال) عبد العزيز فسألت زيدا أين بقيع الخبخبة قال بين بئر أبى أيوب وتلك الناحية وهذا بقيع الغرقد لبقيع المقبرة وقال سألت عبد العزيز عن بقيع الخبخبة فقال هي أى الخبخبة يسار بقيع الغرقد حين تقطع الطريق وتلقاها عند مسجد يحيي فقلت ومن يحيي صاحب المسجد الذى ذكرت فقال يحيى بن طلحة بن عبيد الله (قلت) بقيع الخبخبة لايعرف اليوم كما ذكره شيخ مشايخنا الزين المراغي لكن الخارج من درب البقيع اذا مشى فى البقيع لجهة مشهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وصار مشهد سيدنا ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم علي يمينه يكون على يساره طريق تمر بطرف الكومة فاذا سلكها انتهى بعد رأس العطفة التى على يمينه الى حديقة تعرف قديما بأولاد الصيفى بها بئر ينزل اليها بدرج تعرف ببئر أيوب قديما وحديثا وعن يسار الخارج من درب البقيع أيضا اذا سلك طريق سيدنا حمزة فى شامى الحديقة المعروفة

بالرومية حديقة تعرف بالرباطية وقف رباط اليمنة بها بئر (قال) المراغي تعرف ببئر أيوب أيضا يتبرك بها الناس وهي بالقرب من الحديقة المعروفة بدار فحل وهى عن يسار بقيع الغرقد أيضا (قال) الزين المراغي ولعلها أقرب الى المراد (قلت) والذى يظهر ان الاولى هى المراد لما سنبينه فى الآبار (و) فى كتاب رزين مالفظه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسميط لبنة على لبنة ثم بالسعيدة لبنة ونصف اخرى ثم كثروا فقالوا يارسول الله لو زيد فيه ففعل فبنى بالذكر والانثى وهى لبنتان مختلفتان وكانوا رفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعلوا طوله مما يلى القبلة الى مؤخره مائة ذراع وكذ في العرض وكان مربعا (وفى) رواية جعفر ولم يسطح فشكوا الحر فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا وظللوا بالجريد ثم بالخصف فلما وكف عليهم طينوه بالطين وجعلوا وسطه رحبة وكان جداره قبل ان يظلل قامة وشيئا انتهى. والظاهر انه ليس جميعه من كلام جعفر بدليل قوله في الاثناء (وفى) رواية جعفر (و) قد ذكر بن زبالة ويحيي من غير طريقه كلام جعفر متمحضا فاسندا عنه ان النبى صلي الله عليه وسلم كان بناء مسجده بالسميط لبنة لبنة ثم ان المسلمين كثروا فبناه بالسعيدة فقالوا يارسول الله لو أمرت من يزيد فيه فقال نعم فامر به فزيد فيه وبني جداره بالانثى والذكر ثم اشتد عليهم الحر فقالوا يارسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل قال نعم فامر به فاقيمت فيه سوارى من جذوع النخل ثم طرحت عليها العوارض والخصف والادخر فعاشوا فيه واصابتهم الامطار فجعل المسجد يكف عليهم فقالوا يارسول الله لو أمرت بالمسجد فطين فقال لاعريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان جداره قبل ان يظلل قامة فكان اذا فاء الفيء ذراعا وهو قدمان يصلى الظهر فاذا كان ضعف ذلك صلى العصر ثم نقلا عنه تفسير السميط والسعيدة والانثى والذكر بما تقدم ولم يذكرا ذرعا (و) فى الاحياء عن الحسن مرسلا لما أراد صلى الله عليه وسلم ان يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولا فى السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه انتهى (و) تقدم فيما نقله الاقشهرى عن صاحب السيرة عن جبريل عليه السلام فى ارتفاعه سبعة أذرع وقيل خمسة (و) أسند يحيي عن أسامة ابن زيد عن ابيه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حجر فلقيه أسيد بن

حضير وذكر ماقدمناه ثم قال قال يعني زيدا ورنموا الاساس قريبا من ثلاثة أذرع
على الارض بالحجارة وكان فى جوف الارض قبور جاهلية فأمر بالقبور فنبشت فرمى
بعظامها وأمر بها فغيبت وكان في المربد ماء مستنجل فسربه حتى ذهب وكان الذين
أسسوا المسجد جعلوا طوله مما يلى القبلة الى مؤخره مائة ذراع وفى الجانبين الآخرين
مثل ذلك فهو مربع ويقال انه كان أقل من مائة ذراع وجعل قبلته الى بيت المقدس
وجعل له ثلاثة أبواب باب فى مؤخره أى وهو فى جهة القبلة اليوم وباب عاتكة الذى
يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة والباب الذى كان يدخل منه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو باب آل عثمان اليوم وهذان البابان لم يغيرا بعد ان صرفت القبلة
ولما صرفت القبلة سد النبى صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان خلفه وفتح هذا الباب
وحذاه هذا الباب أى ومحاذيه هذاالباب الذى سد (وعبر) ابن النجار عن ذلك بقوله
ولما صرفت القبلة سد الباب الذى كان خلفه وفتح بابا حذائه (قال) المجد أى تجاهه انتهى
(و)ذكر الاقشهرى في خبرعن ابن عمر مايخالف هذا فانه قال وعن عبد الله بن عمر قال
كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمانه من اللبن وسقفه من غصن النخل وله
ثلاثة أبواب باب فى مؤخره وباب عاتكة وهو باب الرحمة والباب الذي كان يدخل
منه وهو باب عثمان وهو الذى يسمى اليوم باب جبريل ولما حرفت القبلة سد الباب
الذى خلفه وفتح الباب الآخر وهو الذى يسمى باب النساء انتهي . وهو غريب ولعل
قوله وهو الذى يسمى باب النساء من تصرفه وفهمه فى معني الخبر ولذلك أورد عقبه
حديث أبى داود مرفوعا لو تركنا هذا الباب للنساء لكن أبو داود بيّن ان الاصح
انه من قول عمر كما سيأتى وعلى ماذكره فلم يجعل للمسجد بعد التحويل بابا خلفه ويرده
قول يحيى عقب ماتقدم عنه فكان المسجد له ثلاثة أبواب باب خلفه وباب عن يمين
المصلى وباب عن يسار المصلي ثم انتهوا الى البناء باللبن فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحمل معهم اللبن في ثيابه ويقول ٭ هذا الحمال لاحمال خيبر ٭ الرجز المتقدم (و) روى
أحمد عن أبى هريرة أنهم كانوا يحملون اللبن الى بناء المسجد ورسول الله صلى الله عليه
وسلم معهم قال فاستقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عارض لبنة على بطنه فظننت
أنها شقت عليه فقلت ناولنيها يارسول الله قال خذ غيرها ياأبا هريرة فانه لاعيش الا

عيش الآخرة (قلت) وهذا في البناء الثانى أى لان أبا هريرة لم يحضر البناء الاول
لان قدومه عام فتح خيبر (و) أسند بن زبالة من طريق ابن جريج عن جعفر بن عمرو
قال كان المربد لسهل وسهيل ابنى عمرو فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه وأعان
أصحابه أو بعضهم بنفسه فى عمله وكان على بن أبى طالب يرتجز وهو يعمل فيه قال
وبناه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بناه حين قدم أقل من مائة في مائة فلما فتح الله
عليه خيبر بناه وزاد عليه مثله في الدور (وروى) الطبرانى باسناد فيه ضعيف عن أبى
المليح عن أبيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب البقعة التى زيدت فى مسجد المدينة
وكان صاحبها من الانصار فقال النبى صلى الله عليه وسلم لك بها بيت فى الجنة قال
لا فجاء عثمان فقال له لك بها عشرة آلاف درهم فاشتراها منه ثم جاء عثمان الى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اشتر مني البقعة التي اشتريتها من الانصاري
فاشتراها منه ببيت في الجنة فقال عثمان انى اشتريتها بعشرة آلاف درهم فوضع
النبي صلى الله عليه وسلم لبنة ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة ثم دعا عمر فوضع لبنة ثم
جاء عثمان فوضع لبنة ثم قال للناس ضعوا فوضعوا (و)روى الترمذى وحسنه في حديث
قصة اشراف عثمان علي الناس يوم الدار عن ثمامة بن حزن القشيرى ان عثمان رضى
الله عنه قال أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة
فاشتريتها من صلب مالى فأنتم اليوم تمنعوني ان أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم الحديث
(و) أخرجه الدارقطنى أيضا وكذا أحمد بنحوه و(أخرجا) أيضا حدثناطويلا عن الاحنف بن
قيس فيه ان عثمان رضى الله عنه قال أههنا علىّ قالوا نعم قال أههنا طلحة قالوا نعم قال أنشدكم
بالله الذى لا اله الا هو أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بنى فلان
غفر الله له فابتعته بعشرين ألفا أو خمسة وعشرين ألفا فاتيت النبى صلي الله عليه وسلم فقلت قد
ابتعته فقال أجعله في مسجدنا وأجره لك قالوا اللهم نعم (و) أخرج خيثمة بن سليمان فى
فضائل عثمان عن قتادة قال كانت بقعة الى جنب المسجد فقال النبى صلى الله عليه
وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد له مثلها في الجنة فاشتراها عثمان فوسعها فى المسجد
(وأسند) ابن زبالة عن خالد بن معدان قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم على عبد

الله بن رواحة وأبى الدرداء ومعهما قصبة يذرعان بها المسجد فقال ماتصنعان فقالا أردنا ان نبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنيان الشام فيقسم ذلك على الانصار فقال هاتياها فأخذ القصبة منهما ثم مشى بها حتي أتي الباب فدحا بها وقال كلا ثمام وخشيات وظلة كظلة موسى والامر أقرب من ذلك قيل وما ظلة موسى قال اذا قام أصاب رأسه السقف (وروى) البيهقي فى الدلائل من طريق يعلى بن شداد عن عبادة ان الانصار جمعوا مالا فاتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ابن بهذا المسجد وزينه الى متى نصلى تحت هذا الجريد فقال مابي رغبة عن أخى موسى عريش كعريش موسى (وروى) البيهقي أيضا عن الحسن فى بيان عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعنى السقف وعن ابن شهاب كانت سوارى المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذوعا من جذوع النخل وكان سقفه جريدا وخوصاً ليس على السقف كثير طين اذا كان المطر امتلأ المسجد طينا انما هو كهيئة العريش (وفي) الصحيح في ليلة القدر وانى أُريت انى أسجد فى ماء وطين فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرجع فرجعنا وما نرى في السماء قزعة فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد وكان من جريد النخل واقيمت الصلاة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في الماء والطين حتى رأيت أثر الطين في جبهته

﴿ الفصل الثاني في ذرعه وحدوده التي يتميز بها عن سائر المسجد اليوم ﴾

اعلم ان الذراع حيث أطلق فالمراد به ذراع الآدمى وقد قدمنا في تحديد الحرم انه ذراع غير ثمن من ذراع الحديد المستعمل بمصر وبمكة وهو شبران تقريبا وقد تحصلنا كما تقدم في ذرع المسجد على أربع روايات (الاولى) سبعون ذراعا في ستين أو يزيد (والثانية) مائة ذراع فى مائة وانه مربع (الثالثة) انه أقل من مائة ذراع وهذا صادق بالاولى فليحمل عليها (الرابعة) انه بناه أولا أقل من مائة في مائة ثم بناه وزاد عليه مثله فى الدور ولا يصح ان يراد بذلك الاذرع قطعا لأنها تقتضي انه بعد البناء الثانى صار احد امتداديه اما الطول أو العرض نحو مائتى ذراع والامتداد الآخر نحوها ولا شك ان حد مسجده صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق غايته الحجرة الشريفة فعرضه من جدارها الى جدار المسجد الغربى وذرع هذا القدر اليوم بعد

الزيادات المجمع عليها لاتبلغ مائة وخمسين ذراعا كما أختبرته بل تنقص أزيد من ستة أذرع وقد أجمع المؤرخون على ان عمر وعثمان رضي الله عنهما زادا في المسجد من هذه الجهة ثم غيرهما من الخلفاء فالظاهر ان المراد من هذه الرواية الاشبار لا الاذرع فيقتضي ان المسجد النبوى بعد البناء الثانى صار أحد امتداديه مائتي شبر والامتداد الآخر نحوها فيوافق رواية مائة ذراع فى مثلها على ان ماذكره المتأخرون من التحديد بالامور الآتية يقتضي انه لم يكن مائة ذراع فهو مقتض لترجيحهم الرواية الاولى وهى سبعون ذراعا في ستين وتكون السبعون للطول والستون للعرض (و) قد نقل النووى ذلك فى منسكه عن خارجة بن زيد أحد فقهاء المدينة السبعة ولفظه بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا في ستين أو يزيد وهو الذى جزم به ابن النجار فقال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده مربعا وجعل قبلته الى بيت المقدس وطوله سبعون ذراعا فى ستين ذراعا أو يزيد انتهى . هذا وقد قال يحيي قبيل ماجاء في حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حدثني هرون قال حدثنا محمد بن يحيي يعنى صاحب مالك قال فيما كان انتهى الينا من ذرع مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من القبلة الى حده الشامي أربعة وخمسون ذراعا وثلثا ذراع وحده من المشرق الى المغرب ثلاث وستون ذراعا يكون ذلك مكسرا ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعين ذراعا انتهى (وقال) ابن النجار اعلم ان حدود مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذي كان في زمنه من القبلة الدرابزينات التى بين الاساطين التى فى قبلة الروضة ومن الشام الخشبتان المغروزتان في صحن المسجد وأما من المشرق الى المغرب فهو من حجرة النبى صلي الله عليه وسلم الى الاسطوان الذى بعد المنبر وهو آخر البلاط انتهى . (وفى) ماذكره ابن النجار مناقشة أما ما ذكره من التحديد بالدرابزينات من جهة القبلة وبالخشبتين من جهة الشام فالخشبتان اليوم غير معروفتين وقد نبه على فقدهما الزين المراغي وكلام المطرى يفهمه ولم أر لهما ذكرا فى كلام المتقدمين نعم ذكر ابن زبالة كلاما فيه غموض يقتضى تحديد بعض جهات المسجد بعودين علا الكبس على أحدهما وان الآخر كان موجودا في زمانه فلعل ذلك مأخذ ابن النجار وعبارة ابن زبالة تنبوا عن ذلك اذ لم يذكرهما فى حد جهة الشام والحد من هذه الجهة اليوم على مايعرف فى

زماننا الحجران الآتى ذكرهما في صحن المسجد وسيأتى مايقتضى رد ذلك (و) ذكر
ذلك ابن جماعة فى منسكه فقال قد عرف المتأخرون مقدار المسجد الذى كان عليه
أولا فقالوا كان على التربيع من الحجرة المقدسة الى مكان السارية السابعة من جهة
المغرب ومن موضع الدرابزين الذى هو بين الاساطين المتصل بالصندوق امام المصلى
الشريف الى موضع الحجرين المغروزين فى صحن المسجد الشريف انتهى . ومستنده
في ذلك قول المطرى فى الحجرين المذكورين يذكر انهما حد المسجد من جهة الشام
والمغرب قال لكنهما ليسا على سمت المنبر الشريف بل هما داخلان الى جهة المشرق
بمقدار أربعة أذرع أو أقل وكذا متقدمان الى القبلة بمثل ذلك قال لانى اعتبرت
ذلك بالذرع فوجدتهما ليسا على ذرعة المسجد الاول (قلت) كونهما داخلين عن سمت
المنبر الى جهة المشرق بما ذكر لايقدح فى كونهما الحد المذكور لان المراد ان جهة
المغرب هناك في سمتهما كما ان المراد ان جهة الشام فى سمتهما لا انها ما يحاذى الحجرين
فقط ووقع الاستغناء عن تحرير ابتداء جهة المغرب بما تقدم له نقلا عن ابن النجار من
الاسطوانة التى تلي المنبر من تلك الجهة كما استغنى بكون الحجرة الشريفة حده من
جهة المشرق اذ لم يذكر حد لجهة المشرق مما يلى الحجرين في جهة الشام وفى الحقيقة لم
يقصد بهما سوى بيان جهة الشام على انه يحتمل ان مقدم المسجد كان أعرض من
مؤخره كما هو موجود اليوم فيكون الحجران حده من جهة المغرب حقيقة وأما قوله
انهما متقدمان الى القبلة باربعة أذرع وانهما ليسا على ذرعة المسجد الاول يعنى السبعين
التى ذكرها ابن النجار فقد بناه على ماقاله أيضا من ان الدرابزينات التي ذكرها ابن
النجار من جهة القبلة متقدمة على موضع الحائط القبلى لان الحائط القبلي كان محاذيا لمصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جعل هذا الصندوق الذى في قبلة المصلى الشريف أى
بين المصلى والدرابزينات سترة بين المقام الشريف و بين الاسطوانات قال وورد أيضا انه كان
بين الحائط القبلى و بين المنبر ممر الشاة و بين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع
وربع ذراع والمنبر لم يغير من جهة القبلة وكذا المصلى الشريف انتهي . فلم يعتبر الذرع
من الدرابزينات (وقد) اختبرت أنا ذلك من الدرابزينات المذكورة الى الحجرين
المذكورين فكان سبعين ذراعا بذراع اليد المتقدم ذكره (وقد) قال ابن جماعة انه اختبر

ذلك بذراع العمل فكان ستة وأربعين ذراعا وثلثى ذراع فهو موافق لذرعنا بل يرجح
قليلا لان ذراع العمل ذراع ونصف راجح من ذراع اليد (وأما) ماذكره المراغى فى
كتابه من الذرع فغير موافق لذرعنا لانه اعتمد في ذلك كما صرح به على ذراع المدينة
الشريفة اليوم وقد اختبرته فوجدته يزيد على ذراع اليد الذى حررناه بأكثر من قيراط
وقول المطري ان بين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع مخالف لما اختبرناه
فان بينهما ثلاثة أذرع ونصف بالذراع الذى حررناه لكن سيأتي ان المنبر اليوم ليس
هو ذلك وانه قد اتضح لنا عند الحفر لتأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره صحة ماقاله
المطرى وان المنبر الذى أدركناه قدم عن محل المنبر الاصلى لجهة القبلة أزيد من نصف
ذراع كما سنوضحه ان شاء الله تعالى (وقد) ذكر ابن زبالة ويحيي من طريقه نقلا عن غير
واحد من أهل العلم تحديد المسجد الشريف من هذه الجهة فقالا وعلامته فى القبلة
حروف المرمر الذى المنبر وسطه وعلامته من الشام أربعة طيقان من ناحية المشرق
والمغرب وعلامة الطيقان الاربع أنهن مخضرات الاجراف بالفسيفساء كلهن (قلت) والمرمر
اليوم لايظهر منه شيء لكن يؤخذ من كلام ابن زبالة في وصف هذا المرمر انه كان
دكة مرتفعة حول المنبر قدر الذراع وانه ممتد من المغرب قدر ثلاثة أذرع ومن المشرق
ثلاثة ومن القبلة ثلاثة (فانه) قال حدثنى محمد بن أسماعيل قال رأيت طنفسة كانت لعبدالله
ابن حسن بن حسن تطرح قبالة المنبر على مرمر كان هناك قال فحبس عبدالله بن حسن
سنة أربعين ومائة وبقيت الطنفسة بعده أياما ثم رفعت قال ثم ان الحسن بن زيد بن
الحسن بن على رضى الله عنهم لما ولى المدينة سنة خمسين ومائة فى خلافة أبى جعفر نقض
المرمر ووسعه من جوانبه كلها حتى ألحقه بالسوارى فكلمه أبو مودود عبدالعزيز بن أبى
سليمان أن يدع له مصلاه فتركه ولم يلحق المرمر بالاساطين المقدمة فالمرمر اليوم هو الذى
عمل الحسن بن زيد والمرمر الذى حول المنبر المرتفع عن المرمر الذى عمل الحسن بن
زيد بين ستة أساطين ثلاثة أذرع من قبل القبلة وثلاثة أذرع من قبل المشرق وثلاثة
أذرع من قبل المغرب وهو مرتفع عن الارض نحوا من ذراع انتهى . (وقال) في موضع
آخر عرض المرمر الذى حول المنبر ثمانية أذرع وطوله ثماني عشرة ذراعا وسماه فى موضع
آخر رخاما وهو يطلق عليه لغة وسيأتى ذكر هذه الدكة التى المنبر في وسطها عن ابن

النجار حيث قال وارتفاع الدكة التى المنبر عليها شبر وعقد فكان الكبس علا فانها كانت ذراعا فى زمن ابن زبالة وفي زمن بن النجار شبرا وعقدا ثم علا الكبس فلم يوجد اليوم وقد ظهر أثرها وأثر الرخام المذكور عند حفر ماحول المنبر الشريف وشاهدت الرخام الذى فى قبلته كما سيأتى وتلخص من هذا أن المرمر كان فى جهة القبلة ثلاثة أذرع بعد المنبر والظاهر ان عرض جدار المسجد الشريف أدخل فى ذلك من جهة القبلة (فقد) روى يحيي في ترجمة ماجاء في زيادة الوليد أن عمر بن عبدالعزيز أحضر رجالا من قريش فأروه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى زاد فيه عمر والذي زاد فيه عثمان فعلّم عمر بن عبدالعزيز المسجد الاول الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان جدار القبلة من وراء المنبر ذراعا وأكثر من ذراع (وروى) بن زبالة أخبارا تتضمن أن جدار القبلة كان بينه وبين المنبر قدر ممر العنز وفى العتبية ممر الرجل منحرفا (وفى) الصحيح عن سهل كان بين مصلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة (وفيه) أيضا عن سلمة كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزه فتعين ما أشرنا اليه من ادخال جدار المسجد فى ذلك الممر الذى جعل علامة فى جهة القبلة وأما الطاقات الاربع التى ذكرها علامة لنهاية المسجد من جهة الشام فغير معروفة اليوم الا أنه سيأتى فيما نقله المرجانى عن الحارث المحاسبى مايبين محلها (وأما) الجواب عن ماذكر المطرى من كون الدرابزينات متقدمة فالظاهر ان ابن النجار فهم ان المراد ادخال عرض الجدار الذى كان موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم لما تقرر عندنا من أن جدار المسجد من جملة المسجد ويؤيده ماتقدم من التحديد بالمرمر من تلك الجهة وما سيأتى فى الفصل الثانى عشر من رواية أحمد عن نافع أن عمر رضي الله عنه زاد فى المسجد من الاسطوانة أى التى عند المصلى الشريف الى المقصورة لان ذلك هو الرواق الذى بين الاساطين التى في قبلة الروضة وبين الاساطين التى تليها في القبلة (وقد) قال المراغى ان الذى ظهر له ان الصندوق الذى فى قبلة المصلى الشريف جعل فى مكان الجدار القديم ويشهد له ما يأتى عن يحيي في ذرع مابين المصلي الشريف وجدار القبلة اليوم لكن عرض هذا الصندوق ذراعان وبينه وبين الدرابزين أرجح من نصف ذراع وذلك فيما يظهر أزيد من عرض الجدار القديم بنحو الذراع لانى شاهدت لبنا أخرج من جدرات الحجرة الشريفة فى العمارة

التي أدركناها أولا يزيد فى الطول على الذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه ربع ذراع وفيه شيء مرتفع طوله وعرضه وسمكه واحد وكل ثنتين منه طول لبنة مما قدمناه والذي يظهر أنه كان من بقايا لبن الحجرة الشريفة التى كانت مبنية به أولا جعل للتبرك لانه آنى غير مستوى والجدار مبنى بالحجارة الوجوه المحكمة وبالقصة فلا يناسبه وضع ذلك فيه ولهذا جعل بين الحجارة الوجوه في أعال الجدار وقد تقدم ان الذى استقر عليه عرض الجدار في زمنه صلى الله عليه وسلم الانثى والذكر وهما لبنتان مختلفتان واللبنتان المختلفتان من هذا اللبن الذى رأيناه أو اللبنة ونصف الأخرى وهو السعيدة يزيد على ذراع ونصف يسيرا فيكون ذلك هو عرض الجدار في زمنه صلى الله عليه وسلم ويشهد له ماشاهدناه أيضا فى عرض جدار الحجرة الشريفة على ماسنذكره ثم اتضح الحال بظهور المرمر الذى فى قبلة المنبر فانا وجدنا بينه وبين الدرابزين المذكور أرجح من ذراع وبينه وبين طرف محل المنبر الاصلى من جهة القبلة ثلاثة أذرع سواء كما ذكر ابن زبالة فذلك هو عرض الجدار مع ما كان بين المنبر وبينه (وأما) ماذكره ابن النجار من التحديد بالاسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب وانها آخر البلاط وبالحجرة الشريفة من جهة المشرق فالبلاط الذى ذكره لايوجد اليوم وكأنه يريد به الرخام الذي كان المنبر وسطه وقد عبر عن ذلك ابن جماعة كما تقدم بقوله من الحجرة الى مكان السارية السابعة من جهة المغرب فان السابعة من صف الاساطين المذكورة هى التي تلي المنبر من المغرب ان عددنا الاسطوان الملاصق للحجرة ولم أر لما ذكره ابن جماعة مستندا في كلام المؤرخين سوى ماذكره ابن النجار فيتعين الحمل علي الاسطوانة المذكورة وقد ذرعت مابين الاسطوانة التى تلي المنبر عند ظهره من المغرب الى حائز عمر بن عبدالعزيز الذى داخله الحجرة الشريفة فقط فكانت مساحته سبعة وخمسين ذراعا ونصف ذراع راجح وعرض الحائز المذكور ذراع وربع راجح كما تحرر لى عند عمارة ماقض منه وليس بينه وبين جدار الحجرة من هذه الجهة فضاء أصلا بل هو لاصق به ليس بينهما مغرز ابرة خلاف ماذكره المؤرخون فيكون مابين الاسطوانة المذكورة والحجرة الشريفة تسعة وخمسون ذراعا ينقص يسيرا وكان ابن النجار جرى على قول من تقدمه من المؤرخين فى ان بين الحائز وجدار الحجرة فضاء من هذه الجهة وظن ان عرض الحائز أكثر مما ذكرناه فجعل نهاية

قولهم في عرض المسجد ستين ذراعا أويزيد الى الاسطوانة التى تلى المنبر اوان ذلك القدر الناقص لتفاوت الاذرعة على ان الظاهر ان ابن جماعة لم يعتبر الاسطوانة اللاصقة بالحجرة وأنه جعل السارية السابعة هى التى تلى السارية التي تلي المنبر فى جهة المغرب وهى الثانية من المنبر في تلك الجهة فانه قال انه ذرع مابين الاسطوانة السابعة الى حائز الحجرة الشريفة فكان ذلك اثنين وأربعين ذراعا وثلثى ذراع بذراع العمل (قلت) وقد اعتبرت ماذكره من الذرع بذراع العمل فرأيته ينتهى الى الاسطوانة الثانية من المنبر فى جهة المغرب وذرعته بذراع اليد الذى حررناه فكان خمسا وستين ذراعا وهو مطابق لما قاله ابن جماعة ولما اختبرناه بذراع العمل لأن ذراع العمل ذراع وثلث من ذراع الحديد المستعمل بمصر وذلك اثنان وثلاثون قيراطا والذراع الذى حررناه أحد وعشرين قيراطا فذراع العمل ذراع ونصف ونصف قيراط بالذراع الذى حررناه وقد مال المراغى الى اعتبار التحديد بهذه الاسطوانة أعنى الثانية من المنبر فانه ذكر عدم وجود البلاط اليوم ثم قال لكني اعتبرت ذرعه من المشرق الى المغرب على رواية يحيي ثلاثة وستين وهى من أقل الروايات فكان من جدار الحجرة الشريفة يعنى الحائز الظاهر الى الاسطوانة الثانية من المنبر لاالتى بعده ستون ذراعا تقريبا قال وعلى هذا يكون عرض جدار عمر بن عبد العزيز وما بينه وبين جدار الحجرة الشريفة الاصلى ثلاث أذرع تقريبا انتهى.ولا يخفى مافيه لانه جعل المسافة المذكورة ستين ذراعا تقريبا وهى خمسة وستون تحريرا وتبع من تقدمه من المؤرخين في ثبات فضاء بين حائز عمر بن عبد العزيز وجدار الحجرة فخمن ان ذلك مع عرض الحائز ثلاثة أذرع وقد علمت ان عرض الحائز ذراع وربع يرجح يسيرا وليس بينه وبين جدار الحجرة شئ (وقد) روى ابن زبالة ويحيي من طريقه أشياء في تحديد المسجد وذرعه يقتضى ان جدار المسجد الشريف فى زمنه صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق لم ينته الى حائز عمر بن عبدالعزيز بل الحائز وبعض مايليه من المغرب فى موضع حجرة عائشة رضى الله عنها وان جدار حجرة عائشة كان فيما بين الاساطين اللاصقة بجدار القبر وبين الاساطين التى بينها المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة وانه صلى الله عليه وسلم كان قد بنى المسجد أولا وجعل له ثلاث أساطين عن يمين المنبر في المغرب وثلاث أساطين عن يساره في المشرق وان نهايته من

جهة المشرق كانت أولا اسطوان التوبة لانها تكون فى موضع الجدار بعد الاساطين الثلاث وان مساحة ذلك من المشرق الى المغرب ثلاث وستون ذراعا وقيل خمس وخمسون وانه زاد فيه بعد ذلك من المشرق والمغرب ومع ذلك لم ينته زيادته فى المشرق الى موضع حائز عمر بن عبد العزيز وانه لم يزد فيه من جهة القبلة ولا من جهة الشام (قلت) وهو موافق لما روى انه كان مائة ذراع كما سنبينه ويرجح عندى أن المنبر الشريف يكون حينئذ متوسطا للمسجد اذ يبعد انه صلى الله عليه وسلم لايتوسط أصحابه ويقف على منبر فى طرفهم وكون المسجد النبوى لاينتهى الى موضع حائز عمر بن عبد العزيز كما قدمناه خلاف ما عليه متأخروا المؤرخين لكنه حسن اذ يبعد أن يبنى عمر بن عبدالعزيز حائزه في شئ من المسجد وينتقص الروضة الشريفة به حاشاه من ذلك والذى صح أن محل القبور الشريفة في صفة بيت عائشة ولا بد للصفة من مرافق فيظهر ان الحائط الذى في جوف الحائز هو حائط الصفة والحائز فيما خرج عنها من بقية البيت (ثم) ظفرت في كلام المرجانى نقلا عن الحارث المحاسبي بما يصرح بذلك لما سيأتى من أنه ذكر فى تحديد المسجد ستة أساطين من جهة شرقى المنبر (ثم) قال والروضة مابين القبر والمنبر فما كان منها فى الاسطوانة السادسة التى حددت لك عن يمين المنبر فليس من المسجد الاول انما كان من حجرة عائشة رضي الله عنها فوسع به المسجد وهو من الروضة انتهى (ولنورد) عبارة بن زبالة فان يحيي روى ذلك عنه من غير زيادة ولامخالفة مع مافيها من أشياء لاتعرف اليوم ولكن افادة هذه الأمور الغريبة التى لم يذكرها متأخروا المؤرخين اقتضت ايرادنا لذلك فنقول (أسند) بن زبالة عن عبيد بن عمر بن حفص بن عاصم ان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين ممايلى المشرق وثلاث أساطين مما يلي المغرب سوى ماخرج في الرحبة أى الاساطين المصفوفة من الرحبة الى القبلة ولولا ماسيأتى من التصريح بأن هذه الست كانت ثلاثة منها على يمين المنبر وثلاثة عن يساره يعنى فى البناء الاول لحملنا ذلك على ان ابتداء هذه الست من الاسطوانة التى تلى المنبر فيكون نهايتها الاسطوان التى يلى اسطوان التوبة ويكون جدار الحجرة بعدها فيوافق التحديد المتقدم لكنه قال عقبه وقال جمهور الناس من أهل العلم وغيرهم هو الى الفرضتين اللتين فى الاسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتي فى القبر (قلت)

لا تعرف اليوم فى المسجد القديم مربعة غربية غير ان الذى ظهرلى من مقابلتها بمربعة القبر ومما سيأتى في بيان الحائز الذى عمل لمنع ماء المطر أن يغشى المسقف القبلي أنها الاسطوانة العظيمة المثمنة اليوم في المسقف القبلى فانها كانت ركن رحبة المسجد فى هذا المسقف من جهة المغرب كما ان مربعة القبر كانت ركن الرحبة فى جهة المشرق قبل زيادة الرواقين اللذين ذكرهما فى المسقف القبلى كما يؤخذ من مواضع في كلام ابن زبالة ويحيي والذى يظهر أن تثمين الاسطوانة المذكورة حادث وانما كانت مربعة كما عنوا ماظهر من مربعة القبر ومايلى الحجرة منها باق على تربيعه ومربعة القبر هى التى فى نهاية الصفحة الغربية من الحائز الدائر على الحجرة من جهة الشام وتعرف باسطوان مقام جبريل عليه السلام كما سيأتى ايضاحه والاسطوان التى دونها هى الملاصقة بالشباك الدائر على الحجرة اليوم وهى بين المربعة وبين اسطوان الوفود فيكون جدار الحجرة على هذا كان فيما بين مربعة القبر والتى بليها (قال) ابن زبالة عقب ماقدمناه عنه واحتجوا بأن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يعتكف في المسجد فى موضع مجلس بنى عبدالرحمن بن الحارث وان عائشة رضى الله عنها كانت ترجل رأسه وهو معتكف فى المسجد وهى فى بيتها وكان مالك بن أنس يقول الجدار من المشرق في حد القناديل التى بين الاساطين التى في صفها اسطوان التوبة وبين الاساطين التي تلى القبر وأرفة عمر بن عبد العزيز من ورائها فى الاسطوانة التى تلى القبر (قلت) مانقله عن مالك صريح فيما قدمناه من أن جدار المسجد الشرقي كان فيما بين الاساطين اللاصقة بالقبر وبين الاساطين المقابلة لها فيكون فى محاذات القناديل لآخرة من القبلة الى الشام فيما بين هذه الاساطين ويكون عمر بن عبدالعزيز أخره الى الاسطوان اللاصق بجدار القبر وسيأتى مايصرح بذلك من كلام المحاسبي أيضا (وأما) قوله واحتجوا الى آخره فوجه الاحتجاج أن معتكفه صلى الله عليه وسلم كان لاصقا بحجرته بحيث أن عائشة رضى الله عنها كانت ترجل رأسه وهو في معتكفه وهى في بيتها ولهذا أورد ابن زبالة عقبه حديث (كان يدنو مني وأنا حائض فأرجله وهو فى المسجد) ومجلس بنى عبدالرحمن بن الحارث الذى ذكره بن زبالة لا يعرف اليوم (روى) ابن زبالة ويحيي في بيان معتكفه صلى الله عليه وسلم أشياء سنذكرها ان شاء الله تعالى والمناسب لما نحن فيه (منها) أنه كان للنبى صلي الله عليه وسلم سرير من جريد فيه سعفه يوضع بين الاسطوان التى وجاه القبر وبين القناديل كان

يضطجع عليه صلي الله عليه وسلم وقوله التى وجاه القبر يريد به المواجهة له وهى اللاصقة بشباك الداير علي الحجرة اليوم فى صف اسطوان التوبة بل قيل انها اسطوان التوبة كما سيأتى وهذا مطابق لما ذكره مالك من أن الجدار كان في حد القناديل المذكورة (واسند) ابن زبالة أيضا عن غير واحد من أهل العلم ان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين عن يمين المنبر وانت مستقبل القبلة في موضع معتكف حسن ابن زيد الذى كان يعتكف فيه ومن الشق الآخر الى اسطوان التوبة وكان ذرعه من المشرق الى المغرب ثلاثة وستين ذراعا وقال عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه كان خمسين فى خمسين (قلت) فيكون الحجر التى فى شرقي المسجد أدخلت بعد أو بعضها في الزيادة الآتية أو انها لم تستقر فى شرقيه الا بعد ذلك (ثم) قال ابن زبالة قالوا وعلامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذي بني عند مقدمه من مكة وذكر علامات كانت فى السقف المحترق والفسيفساء التى زالت فلا تعرف اليوم (ثم) قال وعلامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بنى عند مقدمه من خيبر قالوا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد من القبلة فى تلك البنية على حده الاول وزاد فيه من ناحية المشرق الى الاسطوان التى دون المربعة التى عند القبر وعلامة تلك الاسطوان ان لها نجافا طالعا فى الرحبة من بين الاساطين ومن المغرب الى الاسطوان التى تلى المربعة التى لها نجاف ايضا من بين الأساطين وظهر ذلك أى حد المسجد بحجارة وعبارة يحيي وقد صمد بحجارة تحت الحصباء منها أرفة عند الاسطوان التى بين اسطوان التوبة وبين القبر فى صف الاسطوان التى لها نجاف ومن المغرب مثل ذلك بأرفة حجارة فى الارض مبنية وترك مما يلى الشام لم يزد فيه انتهى كلام ابن زبالة بحروفه (وقوله) ومن المغرب مثل ذلك أى ظهر الحد بأرفة حجارة في الارض ولا أدرى معنى قوله بأرفة(١) و (ذكر) بن زبالة أيضا فى موضع آخر ذرع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان في زمنه يعنى ما استقر عليه فى آخر الامر ثم قال وحده من شرقى المنبر أربع أساطين وعن غربيه أربع أساطين انتهي. والعجب من

(١) (لأرفة) بالضم الحد بين الارضين وأرف على الأرض تأريفا جعلت لها حدودا وقسمت كذا في القاموس . ولعل المصنف رحمه الله تعالى تصحف عليه (بالأزفة) بالزاى المعجمة كما هو في نسخ الكتاب فلذا قال لا أدرى مامعنى قوله بأزفة والله أعلم

ابن النجار فمن بعده من المؤرخين حيث لم يتعرضوا لهذا لكن ابن النجار اعتذر فى أول كتابه بأنه كان مجاورا بالمدينة ولم تكن كتبه حاضرة عنده وذكر مايقتضى انه كتب ذلك مما علق بفكره والمطرى جرى على منواله وابن زبالة ويحيى عمدة فى ذلك فانهما أقدم من أرخ للمدينة لان ابن زبالة هو محمد بن الحسن أحد أصحاب الامام مالك ابن أنس ويؤخذ من كلامه انه وضع كتابه في صفر سنة تسع وتسعين ومائة (واما) يحى فهو من أصحاب أصحابه وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومايتين عن ثلاث وستين سنة (وأما) ابن شبة فكان معاصرا ليحى وقبله بيسير ولم أظفر من كتابه بهذا المحل المشتمل على ذكر المسجد ولو ظفرت به لكان الشفاء فانه يوضح الامور أيضاحا تاما وهو امام ثقة وابن زبالة وان كان ضعيفا لكن اعتضد بموافقة يحي له وروايته لكلامه من غير تعقيب (ثم) ظفرت فى كلام المرجاني نقلا عن المحاسبى بما يوافق كلامه فهو العمدة عندى (قال) المرجانى قال الحارث بن أسد المحاسبي حد المسجد الاول ستة أساطين فى عرضه عن يمين المنبر الى القناديل التى حذاء الخوخة وثلاث سوار عن يساره من ناحية المنحرف منه ومنتهى طوله من قبلته الى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد اليوم أى فى زمنه ومازاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الاول قال يعني المحاسبى وقد روى عن مالك انه قال مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثانى من الباب الذي يقال له باب عثمان أعنى العضادة الآخرة السفلى وهو اربع طيقان من المسجد ثم قال والروضة مابين القبر والمنبر الى آخر ماقدمناه عنه وقوله عن يمين المنبر أى فى جهة المشرق لما سبق عنه خلاف ماتقدم فى كلام ابن زبالة فانه عنى يمين مستقبل المنبر والطيقان التى ذكرها لها ذكر في كلام ابن زبالة ويحى كما تقدم وهى غير موجودة اليوم والباب الثانى من باب عثمان هو المعروف اليوم بباب النساء فهو صريح فى ردما تقدم من تحديد جهة الشام بالحجرين الموجودين اليوم فى صحن المسجد ومؤيد للرواية المتقدمة في الذرع وهى رواية مائة ذراع فى مائة ذراع لانه يقرب من ذلك (وقد) تحصلنا من هذا مع ماتقدم عن المتأخرين على خلاف فى نهاية المسجد النبوى من جهة المغرب (فاحد) الاقوال انه الى الاسطوانة التى تلى المنبر من تلك الجهة وهو الذى عول عليه ابن النجار ومن اتبعه (والثانى) انه الى التى تليها وهى الثانية من المنبر من تلك الجهة أيضا وهما بعيدان

(والثالث) انه الى الاسطوانة الثالثة من المنبر في تلك الجهة وقد اقتضي كلام ابن زبالة أن ذلك حد المسجد قبل زيادة النبى صلى الله عليه وسلم فيه خلاف مايظهر من كلام المحاسبى (والرابع) انه الى الاسطوانة الرابعة من المنبر لما تقدم من انه كان على ثلاثة أساطين عن يمين المنبر فيكون جداره الغربى في موضع الاسطوانة الرابعة في صفها من جهة القبلة اسطوان مربع من أسفله رفع عن الارض قدر الجلسة وفى صفه من جهة الشام اسطوان محراب الحنفية المحدث (والخامس) انه الى الاسطوانة الخامسة من المنبر لما تقدم من ان النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم زاد فيه بعد فتح خيبر من جهة المغرب بقدر اسطوان آخر كما يؤخذ مما تقدم ولما صرح به ابن زبالة كما قدمناه أيضا حيث قال في حده وعن غربيه أربع اساطين فينتهى حده الى الاسطوانة الخامسة من المنبر وهى التى تلى الاسطوانة المذكورة فى جهة المغرب في صفها وهى مربعة من اسفلها بقدر الجلسة أيضا وفى صفها من جهة الشام الاسطوان التي تلى محراب الحنفية من جهة المغرب فهاتان المربعتان هما اللتان يتردد فيما يكون منهما فى موازة حد المسجد النبوى من جهة المغرب وقد ذهب تربيعهما فى العمارة المتجددة في زماننا بعد الحريق والمربعة الثانية اعني الخامسة من المنبر هي التى يترجح عندى أيضا لان تجاهها في حائط القبلة طراز آخذ من السقف نازل الى العصابة السفلى الظاهرية لكنه انقشر بعضه عند اصلاح العصابة العليا وتبييض الجدار فى العمارة التى ادركناها أولا وذهب منه ما كان بين العصابتين و بعض مافوق العليا وبقى منه ما بين العصابة العليا والسقف ثم ذهب بقيته فى الحريق الحادث فى زماننا وبقي موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الاقدمين وقد ذهب ذلك عند هدم الجدار القبلى فالظاهر انه علامة نهاية المسجد النبوى من هذه الجهة خلاف ماسيأتى عن المطرى في جعله علامة لنهاية زيادة عثمان رضى الله عنه لوجوه (الاول) انى ذرعت من الاسطوان التى تلى المنبر الى الاسطوان المحاذية لهذا الطراز فكان ذلك سبعا وثلاثين ذراعا فاذا اضفنا ذلك الى الذرع المتقدم فيما بين الاسطوان التي تلى المنبر وبين الحجرة الشريفة وهو نحو الستين ذراعا كما تقدم قارب ذلك المائة التى تقدمت الرواية بها (الثانى) انه يبعد أن يجعل هذا الطراز لزيادة عثمان رضى الله عنه كما زعمه المطرى ويترك التعليم للمسجد الاصلى والاعتناء به أشد (وقد) قال ابن زبالة أن له علامات فى الفسيفساء والظاهر ان

الفسيفساء لما زالت جعل هذا بدلها (الثالث) انه سيأتى أن عمر لما زاد فى المسجد جعل
عرضه مائة وعشرين ذراعا وانه لم يزد فيه من جهة المشرق شيئا فيكون نهاية المسجد فى
زمنه من جهة المشرق الحجرة الشريفة وقد علمت ان من الحجرة الشريفة الى مايحاذى
الطراز المذكور ينقص عن المائة فكيف يكون نهاية زيادة عثمان وعثمان قد زاد اسطوانا
من جهة المغرب علي زيادة عمر فلو كان ذلك الطراز نهاية زيادة عثمان لزم أن يكون
عرض المسجد فى زمن عمر نحو التسعين ولا قائل به (الرابع) انه سيأتى ان عثمان رضي
الله عنه لم يزد في جهة المغرب غير اسطوانة واحدة وان زيادة الوليد من المغرب
اسطوانتان ولاشك انمن لاسطوانة التى تحاذى الطراز المذكور الى جدار المسجد
الغربي خمس أساطين فاذا سقط منها ثلاث أساطين لعثمان رضى الله عنه وللوليد بقى
اسطوانتان لزيادة عمر رضي الله عنه وهما يقربان من عشرين ذراعا التى زادها عمر
رضي الله عنه على المائة كما سيأتى (الخامس) أن موضع المنبر لم يغير كما سيأتى ويبعد كل
البعد أن يجعل النبى صلى الله عليه وسلم موضع منبره فى طرف مسجده ولا يتوسط أصحابه فى
حال قيامه (السادس) انه سيأتى أن عمر رضى الله عنه زاد في المسجد شيأ من دار العباس
وأن مابقى منها زاد عثمان رضى الله عنه بعضه ومابقى دخل فى دار مروان ابن الحكم
(وروى) يحيي فى قصة زيادتها مايصرح بأنها كانت ملاصقة بجدار المسجد النبوى
بل روى انه كان لها ميزاب يصب فيه (وقد) نقل يحيى أنها كانت فيما بين الاسطوان
المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم أى والباب الذى يلى دار مروان بن الحكم لما
تقدم من دخول بعضها في دار مروان فوجب أن تكون المربعة المذكورة أول دار
العباس وآخر المسجد النبوى (السابع) ماقدمناه من أن المربعة الغربية اذا أطلقت
فالمراد بها الاسطوانة التى كانت ركن صحن المسجد في المغرب عند نهاية السقف القبلى
قبل زيادة الرواقين الآتيين فيه وهى المثمنة اليوم فهى المرادة بما تقدم عن الجمهور من أن
المسجد النبوي كان الى الفرضتين اللتين في الاسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية
والتي فى القبر كما نقله ابن زبالة ولاشك ان الاسطوانة الخامسة من المنبر في جهة المغرب
دون المربعة المذكورة لان المربعة المذكورة هى السادسة من المنبر فوضح أنها المراد
بذلك فيكون الجمهور على رواية أن المسجد كان مائة في مائة ومما يرجح هذه الرواية

أيضا ماتقدم عن المحاسبى من تحديد مؤخر المسجد الاول نقلا عن مالك بمضادة الباب
الثاني من باب جبريل وهو باب النساء وما سيأتى من أن باب الرحمة ويعرف بباب عاتكة
لم يغيره عمر رضى الله عنه يعنى انه نقله فأخره فقط وجعله فى تجاه الباب الاول لانه زاد
فى المسجد من جهة المغرب وبين باب الرحمة وبين الحجرين اللذين ذكر انهما حد
المسجد من جهة الشام تفاوت ظاهر لتأخره عن موازاتهما كثيرا وكأنهما أجعلا هناك
تميزا لفوهتى بالوعة عندهما الحجران المذكوران هناك فالذى يترجح في النقد رواية المائة
وما ذكرناه من التحديد ويحتمل ان ابن النجار لما رأى اختلاف الروايات أراد الاخذ
بالاقل لانه المحقق فذكر التحديد المتقدم وتبعه من بعده على انه اعتذر فى أول كتابه
بغيبة كتبه وان الحفظ قد يزيد وينقص ولما اتضح ذلك للمقر الشجاعى شاهين الجمالى
ناظر الحرم الشريف النبوى وشاد عمايره وشيخ خدامه اتخذ لاعالى الاسطوانة الخامسة
من المنبر من صف الاساطين التى في قبلة المنبر طرازا متصلا بالسقف منقوشا فيه ان
ذلك هو الذى استقر عليه الامر فى نهاية المسجد النبوى وحده فالله تعالى يوفقه للمداومة
على حفظ الحدود ويلحقه بالمقربين الشهود (ويتفرع) على ذلك مسئلة ذكرها النووى فقال في
شرح مسلم والمناسك وغيرهما أن الصلاة انما تتضاعف فى المسجد الذى كان في زمنه صلى الله
عليه وسلم دون بقية الزيادات ولم يحك غيره لكن الخطيب بن حملة نقل عن المحب
الطبرى أن المسجد المشار اليه في حديث المضاعفة هو ما كان في زمنه صلي الله عليه وسلم
مع مازيد فيه لأخبار وآثار وردت في ذلك واستحسنه ابن حملة على ماذهب اليه النووى
في كتبه من التخصيص مع ان البرهان بن فرحون نقل في شرحه لابن الحاجب الفرعي
انه لم يخالف في هذه المسئله غير النووى وان الشيخ محب الدين الطبرى نقل في كتابه
الاحكام أن النووى رجع عن ذلك قال (ونقل) أبوعبدالله بن فرحون في شرح مختصر
الموطأ انه وقف على كتاب من كتب المالكية فيه أن مالكا سئل عن ذلك فقال ما أراه
عليه السلام أشار بقوله في مسجدى هذا الا لما سيكون من مسجده بعده وان الله أطلعه
على ذلك انتهى (قلت) أما قوله انه لم يخالف فى ذلك الا النووى فممنوع فقد نقل ذلك
ابن الجوزى في الوفاء عن بن عقيل الحنبلى وأما ما نقله عن الاحكام للطبرى فقد راجعتها
فرأيته ترجم لبيان ان مسجده صلى الله عليه وسلم المشار اليه بالتفضيل هو الموجود في زمنه

مع مازيد فيه وأورد بعض الاخبار الآتى ذكرها في آخر الفصل الثانى عشر ثم قال وقد يتوهم بعض من لم يبلغه ذلك قصر الفضيلة على الموجود في زمنه صلى الله عليه وسلم لمكان الاشارة وقد وقع ذلك لبعض أئمة العصر فلما رويت له ماسبق جنح اليه وتلقاه بالقبول انتهى. فكأن ابن فرحون فهم ان المراد من قولهم بعض أئمة العصر النووى (واما) ماحكاه عن مالك فقد نقله الاقشهرى فى روضته عن عبد الله بن نافع صاحب مالك عن مالك ولفظه فى اثناء كلام قيل له أى لمالك فحد المسجد الذى جاء فيه الخبر هو على ما كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أو علي ماهو الآن قال بل هو على ماهو الآن قال لان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بما يكون بعده وزويت له الارض فأرى مشارقها ومغاربها وتحدث بما يكون بعده فحفظ ذلك من حفظه فى ذلك الوقت ونسى ذلك من نسيه ولولا هذا ما استجار الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة ولم ينكر عليهم ذلك منكر انتهي (قلت) ومتمسك من ذهب الى التخصيص الاشارة فى قوله (مسجدى هذا) ولعله صلى الله عليه وسلم انما جاء بها ليدفع توهم دخول سائر المساجد المنسوبة اليه بالمدينة غير هذا المسجد لا لاخراج ماسيزاد فيه وقد سلم النووى ان المضاعفة في المسجد الحرام تعم مازيد فيه فليكن مسجد المدينة كذلك كما اشار اليه ابن تيمية قال وهو الذى يدل عليه كلام الائمة المتقدمين وعملهم وكان الامر عليه فى عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما فان كلا منهما زاد في قبلة المسجد وكان مقامه فى الصلوات الخمس في الزيادة وكذلك مقام الصف الاول الذى هو افضل مايقام فيه ويمتنع أن تكون الصلاة في غير مسجده أفضل منها فى مسجده وان يكون الخلفاء والصفوف الاول كانوا يصلون في غير مسجد قال وما بلغنى عن أحد من السلف خلاف هذا الا أن بعض المتأخرين ذكر ان الزيادة ليست من مسجده وما علمت له سلفا فى ذلك (و) سيأتي في زيادة عمر بن الخطاب ماورد من الاخبار والآثار المقوية لذلك وليست مسألة الحلف على ان لا يدخل هذا المسجد فزيد فيه من هذا القبيل لان الايمان مبناها على العرف

﴿ الفصل الثالث ﴾ في مقامه الذى كان يقوم به صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قبل تحويل القبلة وبعد ماجاء في تحويلها *

روينا في البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر أوسبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يوجه الى الكعبة فانزل الله تعالى « قد نرى تقلب وجهك في السماء » فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود « ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الي صراط مستقيم » فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ماصلي فمر على قوم من الانصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال هو يشهد انه صلى مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وانه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتي توجهوا نحو الكعبة (وأسند) يحيى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف يصلى أنتظر أمر الله في القبلة وكان يفعل أشياء ممالم يؤمر بها ولم ينه عنها من فعل أهل الكتاب قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فأشار له جبريل يامحمد صلى الى البيت وصلي جبريل عليه السلام الى البيت قال فدار النبى صلى الله عليه وسلم الى البيت قال فأنزل الله تعالى « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » الى « وماالله بغافل عما تعملون » قال فقال المنافقون حن محمد الى أرضه وقومه وقال المشركون أراد محمد أن يجعلنا له قبلة وأن يجعلنا له وسيلة وعرف أن ديننا أهدى من دينه وقالت اليهود للمؤمنين ماصرفكم الى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والانبياء والله ما أنتم الا تعبثون وقال المؤمنون لقد ذهب منا قوم ماتوا ماندرى أكنا نحن وهم على قبلة أم لا فأنزل الله تعالى فى ذلك « سيقول السفهاء من الناس » الى قوله « ان الله بالناس لرؤف رحيم » (وروى) ابن زبالة عن عثمان بن عبدالرحمن قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا وقف يصلى انتظر أمر الله فى القبلة وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم ينه عنها من فعل أهل الكتاب فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر في مسجده قد صلى ركعتين اذ نزل عليه جبريل فأشار اليه ان صل الى البيت وصلى جبريل الى البيت وذكر نحو ماتقدم (وأسند) يحيى عن رافع بن خديج قال صلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين وأمر أن يوجه الى المسجد الحرام فاستدار قال رافع فأتانا آت ونحن نصلى فى بنى عبدالاشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يوجه الى الكعبة قال فأدارنا امامنا الى الكعبة ودرنا معه (وعن) ابن عمر قال بينا نحن في صلاة الصبح بقباء جاءهم رجل فقال ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها
وكانت قبلة الناس الى الشام فاستداروا وتوجهوا الى الكعبة وهو في الصحيحين بلفظ
كانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفى لفظ كانوا ركوعا في صلاة الصبح
(و) عن عثمان بن محمد بن الاخنس انه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه فيه يعني في مسجد
القبلتين الظهر فلما صلى ركعتين أمر أن يوجه الى الكعبة فاستدار رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الكعبة واستقبل الميزاب (وعنه) أيضا نحوه وان الفريضة كانت الظهر وانها
يومئذ كانت أربع ركعات (وعن) سعيد بن المسيب قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا وصرفت القبلة قبل بدر بشهرين والثبت عندنا أنها
صرفت فى الظهر فى مسجد القبلتين (وفي) رواية أخرى عنه صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ان قدم المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم حولت القبلة قبل بدر
بشهرين (وعن) كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده قال صرفت القبلة يوم الاثنين
النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا (وفى) مسلم عن البراء بن عازب صليت مع
النبى صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ستة عشر شهرا حتى نزلت الآية التي فى البقرة
«وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» فنزلت بعد ماصلى النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق
رجل من القوم فمر بناس من الانصار وهم يصلون فحدثهم بالحديث فولوا وجوههم قبل
البيت (وفى) رواية له عنه أيضا ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا على الشك (وعند) الزمخشرى
صرفت القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة يعنى مسجد القبلتين
وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول
الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال (وروى) ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق
تويلة بنت أسلم قالت صليت الظهر والعصر فى مسجد بنى حارثة فاستقبلت مسجد ايلياء
فصلينا سجدتين أي ركعتين ثم جاءنا من يخبرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استقبل
البيت الحرام فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فصلينا السجدتين الباقيتين
الى البيت الحرام (قال) الحافظ بن حجر وهذه القصة المرادة بقوله في الحديث المتقدم فمر
على قوم من الانصار يصلون فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فهؤلاء القوم هم بنو حارثة
والمار عباد بن بشر ووصل الخبر وقت الصبح الى أهل قباء فلا منافاة بين الحديثين

(و) سيأتي في مسجد القبلتين ان ابن زبالة قال أن القبلة صرفت ونفر من بني سلمة
يصلون الظهر فى مسجد القبلتين فأتاهم آت فأخبرهم وقد صلوا ركعتين فاستداروا حتى
جعلوا وجوههم الى الكعبة فبذلك سمي مسجد القبلتين (قال) المجد فعلى هذا كان
مسجد قباء أولى بهذه التسمية (وعند) أبي القاسم القشيرى في لطائف التفسير صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس بعد قدومه المدينة مهاجرا ستة عشر
شهرا عن قتادة وقيل سبعة عشر شهرا عن ابن عباس (وقال) أنس كان تسعة أشهر أو عشرة
أشهر (وقال) معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهرا استمالة لقلوب اليهود أن يصلى الى قبلتهم ربما
يرغبون فى دينه ثم انه صلى الله عليه وسلم كره موافقتهم في أمر القبلة لما قالوا لولا ان
ديننا حق لما صلى الى قبلتنا ولما استن بسنتنا فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت
ان ربي صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال جبريل انما أنا ملك عبد لا أملك شيأ فسل
ربك فصعد جبريل السماء وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحراء نحو أحد
يصلى ههنا ركعتين وههنا ركعتين ويدعو الله أن يجيزه في ذلك فلم يزل كذلك يديم
النظر الى السماء حتى دخل ناحية أحد فأنزل الله تعالى فى رجب بعد زوال الشمس قبل
الظهر «قد نرى تقلب وجهك فى السماء» الآية وصرفت القبلة وذلك قبل بدر بشهرين
(وفى) السير لابن حبان حولت بعد سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام وحديث البراء المتقدم
رواه بن خزيمة فى صحيحه ستة عشر شهرا على الجزم كرواية مسلم الأولى (وقال) الشيخ
شرف الدين الدمياطي حولت القبلة نصف رجب بعد خمسة عشر شهرا ونصف (ونقل)
النووى فى سير الروضة عن محمد بن حبيب الهاشمي ان التحويل يوم الثلاثاء النصف
من شعبان من السنة الثانية (ونقل) المجد عن ابن حبيب أنها حولت في النصف من
شعبان فى الركعة الثالثة وقيل في صلاة العصر (وعند) النحاس بعد بضعة عشر شهرا (وعن)
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك صرفت في جمادى قال وهو أولى الاقوال
بالصواب (وقال) ابن جرير عن معاذ بعد ثلاثة عشر شهرا من مقدمه المدينة قال (وعن) أنس
عشرة أو تسعة أشهر انتهى مانقله المجد (وقال) ابن سعد يقال انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين
من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار ودار معه
المسلمون ويقال زار النبى صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة

وصنعت له طعاما وحانت الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ركعتين ثم أمر فاستدار الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمى مسجد القبلتين (قال) ابن سعد قال الواقدى هذا أثبت عندنا (وفى) الصحيح ان أول صلاة صلاها أى متوجها الى الكعبة صلاة العصر (قال) الحافظ بن حجر التحقيق ان أول صلاة صلاها فى بني سلمة الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر (قال) وأسانيد الروايات المتقدمة أعنى رواية ثلاثة عشر شهرا وتسعة عشر شهرا ونحوها شاذة (قال) واما رواية الصحيح فطريق الجمع بين رواية سبعة عشر شهرا وستة عشر ورواية الشك في ذلك ان من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا وألغي الايام الزائدة ومن جزم بسبعة عشر شهرا عدهما معا ومن شك تردد في ذلك وذلك ان القدوم كان في شهر ربيع الاول بلا خلاف وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس وقول ابن حبان سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام مبنى على ان القدوم كان في ثاني عشر ربيع الاول (وقال) الربيع كان النبى صلى الله عليه وسلم في ابتداء الهجرة مخيرا في التوجه الى بيت المقدس أو الكعبة الا أنه أمره الله بالتوجه الى بيت المقدس فكان التوجه اليه فرضا وان كان مخيرا فيه كالمخير في كفارة اليمين أى واحد اختار فهو فرض عليه وقال ابن عباس بل كان الفرض التوجه الى بيت المقدس ثم نسخ (وقال) ابن العربي وغيره نسخت القبلة مرتين (وقال) ابن رشد في البيان ولم يختلف في أن صلاته صلى الله عليه وسلم كانت بالمدينة الى بيت المقدس حتى حولت القبلة وانما اختلف في صلاته بمكة قبل قدومه المدينة (فروى) أنها كانت الى الكعبة (وروى) أنها كانت الى بيت المقدس (وروي) انه كان يصلى الى بيت المقدس والكعبة بين يديه أى بين الركنين اليمانيين (وحكي) ابن عبد البر الاختلاف فى صلاته صلى الله عليه وسلم بمكة هل كانت الى الكعبة أو بيت المقدس ثم قال وأحسن من ذلك قول من قال كان يصلى بمكة مستقبل القبلتين يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس (وروى) الطبرى وغيره عن ابن عباس قال لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالي أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر

الى السماء فنزلت وهو ظاهر في أن استقبال بيت المقدس كان بوحي لا باجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم وانه انما وقع بعد الهجرة لكن أخرج أحمد عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه فيجمع بأنه لما هاجر أمر بأن يستمر على الصلاة لبيت المقدس (وروى) الطبرى أيضا من طريق ابن جريج قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم أول ماصلى الي الكعبة ثم صرف الي بيت المقدس وهو بمكة وصلى ثلاث حجج وهاجر فصلى اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة (وقال) ابن النجار وصلي النبى صلى الله عليه وسلم فيه أى في مسجده الى بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم أمر بالتحول الى الكعبة فأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال يارسول الله ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده هكذا فاماط كل جبل بينه وبينها فوضع القبلة وهو ينظر الى الكعبة لا يحول دون نظره شئ فلما فرغ قال جبريل هكذا فأعاد الجبال والشجر والاشياء على حالها وصارت قبلته الى الميزاب (وأسند) يحيي من طريق ابن زبالة وغيره عن الخليل بن عبد الله الازدى عن رجل من الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل فقال يارسول الله ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده هكذا فأماط كل جبل بينه وبين القبلة فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الى الكعبة لا يحول دون نظره شئ فلما فرغ قال جبريل بيده فأعاد الجبال والشجر والاشياء على حالها وصارت قبلته الى الميزاب (وعن) نافع بن جبير من طرق مرفوعا ماوضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت الى الكعبة فوضعتها أمها (وعن) ابن عجلان قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجده وجبريل قائم ينظر الى الكعبة ثم كشف له مابينه وبينها (وعن) ابن شهاب مرفوعا ماوضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى مابينى وبين الكعبة فوضعتها أمها (وأسند) العراقى فى ذيله من طريق أبى على بن شاذان بسنده عن ابراهيم بن دينار عن مالك بن أنس عن زيد بن أنس عن زيد بن أسلم قال قال ابن عمر وضع جبريل عليه السلام القبلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تفرد به عن مالك ومحمد بن ابراهيم (قلت) وهو ثقة (وفى) العتبية قال مالك سمعت ان جبريل هو الذى أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة

المسجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة انتهى (وأسند) ابن زبالة عن أبى هريرة قال كانت قبلة النبى صلى الله عليه وسلم الشام وكان مصلاه الذى يصلى فيه بالناس الى الشام في مسجده ان تضع موضع الاسطوان المخلق اليوم خلف ظهرك ثم تمشى الى الشام حتى اذا كنت بيمنى باب آل عثمان كانت قبلته ذلك الموضع (قال) الذهبى هذه القبلة كانت فى شمالى المسجد فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الاولى مكان أهل الصفة انتهى . والاسطوانة المخلقة هى التى تدعى اسطوان عائشة رضي الله عنها فيما قاله المطرى وسيأتى مانقله ابن زبالة فيها من ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليها المكتوبة بضعة عشر يوما بعد ان حولت القبلة ثم تقدم الى مصلاه الذى وجاه المحراب في الصف الاوسط هذا لفظه بحروفه (وقوله) وجاه المحراب يريد المحراب العثمانى الكائن في جدار القبلة (وقال) المطرى ان الحائط القبلى أى الاول كان محاذيا لمصلى النبى صلى الله عليه وسلم لما ورد ان الواقف فى مصلى رسول الله صلي الله عليه وسلم تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الايمن قال فمقام النبى صلي الله عليه وسلم لم يغير باتفاق وكذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الاول أى من جهة القبلة لما سيأتى انه زيد فيه من جهة الشام قال وانما جعل هذا الصندوق الذى قبلة مصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم سترة بين المقام وبين الاسطوانات انتهي . وسيأتى في ذكر الجذع الذى كان يخطب النبي صلي الله عليه وسلم اليه اختلاف في محله هل هو عن يمين المصلى الشريف أو عن يساره لجهة القبر الشريف (و) سيأتى ماعبر به ابن النجار في حكاية الرواية الاولى حيث قال كان في موضع الاسطوانة المخلقة التى عن يمين محراب النبى صلى الله عليه وسلم عند الصندوق والرواية الثانيـة هى المرادة بما أسنده يحيي عن ابن أبي الزناد وغيره من علماء المدينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع فى المسجد كان موضعه عند الاسطوانة المخلقة التى تلي القبر أى في جهة القبر التي عن يسار الاسطوانة المخلقة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى عندها التى هي عند الصندوق هذا لفظه والغرض من ايراده هنا قوله التى عن يسار الاسطوانة المخلقة الى آخره فهذه الاسطوانة المشار اليها أعنى التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى اليها هى التى عن يمين الواقف فى المصلى الشريف من جهة القبلة وعلم ان وضع الصندوق هناك كان من

الزمن القديم لكنه كان صندوق مصحف كما سيأتي ووصفها بالمخلقة لا يشكل عليك بما اشتهر من وصف اسطوانة المهاجرين وهى اسطوانة عائشة بالمخلقة فالوصف بالمخلقة يطلق علي أساطين متعددة كما سنوضحه ولهذا اشتمل هذا الكلام على وصف كل من هاتين الاسطوانتين بهذا الوصف (ونقل) المرجانى ان في العتبية مالفظه أحب مواضع التنفل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه حيث العمود المخلق انتهى (وقال) ابن القاسم أحب مواضع الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم في النفل العمود المخلق وفي الفرض في الصف الاول قال ابن رشد في كون العمود المخلق كان قبلة النبى صلى الله عليه وسلم أو أقرب الى قبلته صلي الله عليه وسلم قول ابن القاسم وسماعه (قلت) وهو دال على ان العمود المخلق هو الذى عند المصلى الشريف ولهذا روى ابن وهب عن مالك انه سئل عن مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل له أى المواضع أحب اليك الصلاة فيه قال أما النافلة فموضع مصلاه وأما المكتوبة فاول الصفوف انتهي. فعبر هنا عن العمود المخلق بمصلاه (ورأيت) فى جامع العتبية من البيان لابن رشد مالفظه قال مالك ليس العمود المخلق قبلة النبى صلى الله عليه وسلم وقبلة النبى صلى الله عليه وسلم هو حذو قبلة الامام وانما قدمت القبلة حذو قبلة النبى صلى الله عليه وسلم سواء (قال) ابن رشد عقبه وقدمر في كتاب الصلاة عن ابن القاسم ان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم هو العمود المخلق خلاف قول مالك هنا انتهى . وقول مالك وانما قدمت القبلة يشير به الى المحراب الذى فى جدار القبلة بزيادة عثمان رضى الله عنه وهذا الذى ذكره يكاد ان يكون قطعياً وليس مراد ابن القاسم الا ان العمود المخلق أقرب شئ الى قبلة النبى صلى الله عليه وسلم فيعرف به ولهذا نقل ابن النجار عن مالك ما يقتضي ان الاسطوانة المذكورة علم لمصلى النبى صلى الله عليه وسلم فانه قال قال مالك بن أنس أرسل الحجاج بن يوسف الى امهات القرى بمصاحف فأرسل الى المدينة بمصحف منها كبير وكان في صندوق عن يمين الاسطوانة التى عملت علما لمقام النبى صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن زبالة فيما سيأتي عنه ان الخيزران لما أمرت بان تخلق المسجد أشار عليهم ابراهيم بن الفضل فزادوا فى خلوق اسطوانة التوبة والاسطوان التى هى علم عند مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما وزادوا فى الخلوق فى أعلاهما

انتهى.وقد توهم جماعة ان المراد من كلام ابن القاسم ومانقل عن مالك الاسطوانة المعروفة اليوم بالمخلقة وهى التى باوسط الروضة وهو مردود لان الاسطوانة المذكورة ليست علما على مصلى الرسول عليه السلام اتفاقا ومنشأ الوهم ظنهم اختصاصها بوصف المخلقة وممن اعتقد ذلك الحافظ بن حجر فقال في الكلام على قول يزيد بن عبيد كنت آتى مع سلمة بن الاكوع فيصلى عند الاسطوانة التى عند المصحف مالفظه هذا دال على انه كا للمصحف موضع خاص به ووقع عند مسلم بلفظ يصلى وراء الصندوق وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه قال والاسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا انها المتوسطة في الروضة وانها تعرف باسطوانة المهاجرين وأسرت بها عائشة لابن الزبير ثم وجدت ذلك فى تاريخ المدينة لابن النجار وذكره قبله محمد بن الحسن في اخبار المدينة هذا كلام الحافظ بن حجر ومراده بمحمد بن الحسن بن زبالة وليس فى كلامه ولا فى كلام ابن النجار مايقتضي ان الاسطوانة التي عند الصندوق هى اسطوانة المهاجرين الا من حيث وصف كل منهما بالمخلقة فتوهم اتحادهما وليس كذلك والله أعلم . وسيأتى ان المسجد الشريف لم يكن له محراب في عهده صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد الخلفاء بعده وان أول من أحدثه عمر بن عبد العزيز فى عمارة الوليد وزعم الاقشهرى في روضته ان مصلى النبي صلي الله عليه وسلم فى موضع الصندوق وفى موضعه اليوم المحراب المرخم المرتفع عن المصلى الشريف وبنائه فانه قال ومن خطه نقلت انه قيل ان منبر النبى صلى الله عليه وسلم لم يتغير تقديما ولا تأخيرا فالزيادة وقعت فى المنبر شماليا لاغير وحد المنبر الاصلى اليوم مساوية مع مصلى الامام ومصلى رسول الله صلي الله عليه وسلم أمامه فى موضع الصندوق اليوم فهو خارج عن حد المنبر انتهى.واستنتج من ذلك ان يكون ماحاذا الصندوق يمنة ويسرة قال وهو مما زاده عمر روضة من رياض الجنة قال لان المصلى الشريف روضة بلا شك أى فما حاذاه كذلك وهو عجيب لم أر من سبقه اليه وما زعمه من ان حد المنبر يعني من القبلة مساو لمصلى الامام اليوم يريد به ان نهاية مصلى الامام اليوم مساوية لنهاية المنبر من جهة القبلة فانه صور ذلك بخطه كما ذكرناه وكأنه توهم ان مصلاه صلى الله عليه وسلم كان فى محراب بارز عن سمت المسجد لانه جعل ماعن يمينه ويساره من زيادة عمر

رضي الله عنه ولم يقل به أحد مع ان مازعمه من الاستواء لايشهد له عقل ولا نقل لان المنبر الذى كان في زمنه هو المنبر الذى كان فى زمن المطرى فانهما متعاصران وقد سبق عن المطرى في الفصل قبله ان بين المنبر والدار بزين الذى فى القبلة مقدار أربع أذرع وربع وانه اتضح لنا صحة ماقاله وذلك هو محل المنبر النبوى كما سنوضحه وعرض الصندوق المذكور وما بعده الى الدرابزين المذكور ذراعان ونصف راجح والمنبر الذى أدركناه أولا لم يكن بينه و بين الدرابزين القبلي سوى ثلاثة أذرع ونصف راجحة ومع ذلك فحد المنبر متأخر عن حد مصلى لامام من جهة القبلة بنحو الذراع وعلى ماذكره المطرى وهو الصواب يكون متأخرا بازيد من ذلك وذلك فيما يظهر هو القدر الوارد فيما كان بين المنبر والجدار القبلي وأوضح من ذلك في الرد عليه ان يحيي نقل في كتابه عن محمد بن يحيي صاحب مالك قال وجدنا ذرع مابين مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان بعهده الى جدار القبلة اليوم الذى فيه المحراب عشرين ذراعا وربعا وهذه هى الزيادة التى زيدت بعد النبى صلي الله عليه وسلم انتهي (قال) المراغي وقد اعتبرته من وجه سترة مصلى النبي صلى الله عليه وسلم الى جدار القبلة فكان كذلك وبه يظهر ان المصلى الشريف لم يغير عن مكانه وان الصندوق انما جعل في مكان الجدار الاول انتهي . وقد اعتبرت ماذكره من جدار المسجد القبلى الى طرف المصلى الشريف المحاذى لطرف صندوق السترة فكان ذلك احدى وعشرين ذراعا ونصف وربع يرجح قيراطا فاذا أسقط من ذلك عرض الجدار وهو ذراع ونصف راجح كان الباقى عشرين ذراعا وربعا كما ذكره يحيي وقد علمت ان الصندوق المذكور له أصل قديم هناك فكيف يكون في موضع المصلى الشريف ولا ينبه عليه أحد بل يذكرون ما يدل على خلافه بل كيف يمكنون من ذلك ويحرمون المسلمين التيمن بمكانه صلى الله عليه وسلم هذا مما يكاد العقل يحيله (وقال) النووى في مناسكه مالفظه وفي احياء علوم الدين انه أى المصلى يجعل عود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التى الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التى في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (قلت) وكان المراد من استقبال السارية المذكورة جعلها عن جهة اليمين كما عليه وضع المصلى اليوم (وقد) ذكر ابن زبالة هذه الاسطوانة ثم قال

حدثنى ابراهيم بن محمد عن غير واحد منهم خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك
قال اذا عدلت عنها أى عن الاسطوانة المذكورة قليلا وجعلت الجزعة التى في المقام
بين عينيك والرمانة التى في المنبر الى شحمة أذنك قمت في مقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان الرمانة المذكورة كانت فى أعلا عمود المنبر النبوى ولذا عبر به في
الاحياء وسيأتى انه لما حفر بعد الحريق الثانى لتأسيس المنبر الرخام وجدوا محل المنبر
الاصلى شبه حوض من حجر وفي جانبيه من المشرق والمغرب فرضتان منقورتان في
الحجر بهما شئ من الرصاص بحيث لايخفى على من أحاط علما بصفة المنبر النبوى
انهما محل عموديه كانا محكمين بالرصاص فيهما وقد وقعت فى المصلى الشريف مما يلى
مؤخره وتأملت الفرضة التى مما تلى الروضة فوجدتها في محاذات يمنى فظهر أنها المرادة
(وأما) الجزعة (فذكر) المطرى ان هذه الجزعة كانت في المحراب القبلى المقابل للمصلى
الشريف وأنها ازيلت منه قال وما حققه الغزالى عند ذكر المصلى الشريف بقوله اذا
وقف المصلى في مقام النبى صلى الله عليه وسلم تكون رمانة المنبر حذو منكبه الايمن
ويجعل الجزعة التى في القبلة بين عينيه فيكون واقفا في مصلي النبي صلى الله عليه وسلم
انما كان قبل حريق المسجد وقبل ان يجعل هذا اللوح القائم فى قبلة مصلى النبى صلى
الله عليه وسلم أى فانه صار يحجب عن مشاهدة مافى المحراب القبلى قال وانما جعل بعد
حريق المسجد قال وكان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة وتشويش على من يكون
بالروضة الشريفة من المجاورين وغيرهم (و) ذلك انه كان يجتمع اليها الرجال والنساء
ويقال هذه خرزة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عالية لاتنال
بالايدى فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقي علي ظهرها وكتفيها حتى تصل اليها فربما
وقعت المرأة وانكشفت عورتها وربما وقعتا معا (فلما) كان سنة احدى وسبعمائة جاور
الصاحب زين الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حنا المصرى فرأى ذلك فاستعظمه
وأمر بقلع الجزعة فقلعت قال وهي الآن في حاصل الحرم ثم توجه الى مكة في أثناء السنة
فرأى أيضا مايقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام وتعلق الناس بعضهم ببعض وحمل
النساء على أعناق الرجال للاستمساك بالعروة الوثقي في زعمهم فأمر بقلع ذلك المثال
وزالت تلك البدعة أيضا ولله الحمد (قلت) والظاهر ان هذه الجزعة هى التى ذكرها

ابن جبير فى رحلته فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لما قدم المدينة قال رأيت على المحراب
مسمارا مثبتا فى جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أى شئ هو يزعمون انه كاس
كسرى وشاهدت على رأس المحراب حجرا مربعا أصفر قدر شبر في شبر ظاهر البريق
والبصيص يقال انه مرآة كسرى والله أعلم بحقيقة ذلك كله انتهى . ثم رأيت في العقد
لابن عبد ربه وهو أقدم من ابن جبير ان على ترس يعني المحراب العثمانى فضة ثابتة غليظة
فى وسطها مرآة مربعة ذكر انها كانت لعائشة رضي الله عنها ثم فوقه ازار رخام فيه
نقوش صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبى الصغير مسمرة ثم تحتها الى
الارض أزار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذى كان صلى الله عليه وسلم يتوكأ
عليه فى المحراب الاول انتهى (قلت) وقد سألت عن هذه الجزعة المتولى لامر
حاصل الحرم الشريف وخازن داره وكان قديم الهجرة وغيرهما فقالوا انه ليس
عندهم بالحاصل شئ من ذلك ولعل ذلك ذهب فيما أخذه الامير جماز عند
كسر حاصل الحرم الشريف وقد وسع المحراب القبلى عما كان عليه وزيد في
طوله بعد هدم الجدار القبلى بعد الحريق الثاني وقال ابن زبالة ان درع مابين المنبر
ومقام النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه حتى توفى صلى الله عليه وسلم
أربعة عشر ذراعا وشبرا (قلت) وقد ذرعت مابين المنبر الموجود قبل الحريق الثانى
وأعلا الحفرة الذى ينزل منه الى درجتها من ناحية مؤخر المصلى الشريف فكان
أربعة عشر ذراعا وعرض الدرجة شبر راجح فصح ذلك وأما حده من جهة المشرق
فسيأتى ان جعله على هذه الهيئة الموجودة اليوم أمر حادث (وقد) قال ابن زبالة ان
ذرع مابين مصلى النبى صلى الله عليه وسلم من مسجده الاول وبين اسطوان التوبة
سبع عشر ذراعا واسطوان التوبة فى جهة المشرق وقد ذرعت ما بينها وبين درجة
الحفرة الشرقية فكانت ست عشرة ذراعا فعلمنا بذلك ان المصلى الشريف فى جانب
الحفرة الغربى وان مايلى المشرق منها ليس منه ويشهد له ماسبق من كلام مالك
والاحياء لذكرهما السارية التى عندها الصندوق بل فى خط الاقشهرى في مصنفه في
الزيادة ضبط قول ابن زبالة فيما بين المصلى الشريف واسطوان التوبة تسع عشر ذراعا
بتقديم التاء على السين وقد ذرعت مابين طرف اسطوان التوبة الشرقى وبين طرف الحفرة

الغربى فكان كذلك (ونقل) الاقشهرى أيضا عن أبى غسان أحد أصحاب مالك ان مابين الحجرة الشريفة ومقام النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يقوم فيه ثمانية وثلاثون ذراعا وان ماينه وبين المنبر الشريف مثل ماسبق عن ابن زبالة وقد اختبرت مابين طرف الحفرة الغربي ورخام جدار الحجرة الشريفة فكان ثمانية وثلثين ذراعا فعلمنا ان المحافظ عليه في حد المصلى الشريف هو طرف الحفرة الغربى ولم تكن هذه الحفرة في الزمن القديم ولهذا قال المجد حكى ابن النجار الاجماع على ان المصلى الشريف لم يغير بتقديم وتأخير وانما غيرت هيئته فى هذا العصر الاخير بجعل المصلى شبه حفير أو حوض صغير منخفض عن موقف المأمومين نحو ذراع بسبب ترخيمه وتكاثر الرمل المفروش به الروضة (قلت) وهو الآن شبه حوض مربع ينزل اليه بدرجة طوله ذراعان ونصف وثمن وعرضه ذراعان ونصف ونصف ثمن لكن زادوا في طوله فى العمارة الحادثة بعد الحريق أرجح من نصف ثمن ذراع ونحوه في العرض (قال) البدر بن فرحون وغيره ومازال العلماء الائمة يتحرجون من ذلك وفى أيام القاضى السراج وهو أول قاض ولى لاهل السنة فمن بعده كانت ترفع تلك الحفيرة بالرمل حتى تزول الكراهة الى أيام الشرف الاسيوطى فأراد طمس الحفرة أو رفعها وازالة الخشب المنقوش امامها الآتى ذكره فقام عليه بعض الناس من الخدام واستعانوا عليه بالاشراف فكف وانتقل عن المحراب وصار يصلي الى الاسطوانة التى تقابل اسطوانة لوفود أى من مقدم الروضة ولزمها الى ان مات وصار من الفقهاء من يرفع الكراهة بما يحصل من القرب الى مقامه صلى الله عليه وسلم وموضع قدمه وهذه نزغة فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الموقف سواء فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى (قلت) وهذه الحفرة بعيدة من موقف النبى صلى الله عليه وسلم لعلو الارض لما سيأتي عن البدر بن فرحون انهم وجدوا عند تجديد المنارة التي بباب السلام باب مروان وتحصيب المسجد الشريف القديم بعد حفر قامة ولما اتضح لنا في العمارة الآتي ذكرها فقد اعتبرت أرض الحجرة الشريفة وأرض المسجد فكان بينهما من التفاوت ذراعان ونصف وأزيد لكن مقتضى ماظهر من الرخام الذى وصفه ابن زبالة حول المنبر ومشاهدتنا لما انكشف منه فيما بين المنبر والاساطين التي خلفه عدم بعد أرض هذه الحفرة من محل الموقف

الشريف في ذلك العصر لان نسبة مابين هذه الحفرة والرخام المذكور أقل من نصف ذراع وقد حققت مسألة انخفاض المصلى الشريف فى كتابى الموسوم (بكشف الجلباب والحجاب عن القدوة فى الشباك والرحاب) ولم يتحرر لي ابتداء ترخيم المصلى الشريف وجعله على هذه الهيئة وسماه ابن جبير فى رحلته بالروضة الصغيرة وقال ان الامام يصلى بالروضة الصغيرة المذكورة الى جانبها الصندوق وقال قبل ذلك فى وسطها وبازائها لجهة القبلة عمود مطبق يقال انه على بقية الجذع الذى حن للنبى صلى الله عليه وسلم وعلي حافتها في القبلة منها الصندوق انتهى.ولم يذكو فيها ترخيما ولا انخفاضا مع ذكره لذلك فى المحل الذي عليه المنبر كما سيأتى والظاهر ان حدوث انخفاض المصلى الشريف بما حوله تجدد بعد الحريق لاول وقد اقتضى رأى متولى العمارة الحادثة بعد الحريق الثاني ان يخفض أرض المسجد حتى تكون مساوية للمصلى الشريف فقطع من الارض نحو ذراع فكانوا يجدون طبقة من التراب وتليها طبقة من الرمل حتى وصلوا الى الارض المساوية للمصلى الشريف وظهر لهم الرخام الذى كان عليه المنبر الشريف بعد حفر نحو نصف ذراع وحصل بذلك ازالة هذه البدعة ولله الحمد والمنة.وكان فى قبلة المصلى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة يعلوه محراب قد أنتج الصناع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة والمحراب المذكور شبه باب مقنطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور مكتوب فى داخله امام مستقبله بعد البسملة آية الكرسي وعلى ظاهر الباب المقنطر بعد البسملة « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » الآية وفيه صنعة عجيبة وصبغ باللاز ورد وتذهيب عجيب يشغل الخاطر ويفرق القلب الحاضر اذ لاقلب أجمع وأعلى وأرفع من قلب سيد الآنام عليه أفضل الصلاة والسلام (وقد) قال فى شأن الخميصة من أجل تلك الاعلام اذهبوا بخميصتى هذه الى أبى جهم وائتونى بأنبجانية أبى جهم فانها ألهتني آنفا عن صلاتى وسيأتى انه لما قال عمر بن عبدالعزيز بعد زخرفة المسجد لعمرو بن عثمان رضى الله عنه بناؤنا أحسن أم بناؤكم فقال له بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس (وقال) مالك فيما نقل عنه صاحب التبصرة كره الناس مافعل فى قبلة المسجد بالمدينة من التزاويق لانه يشغل الناس فى صلاتهم وأرى أن يزال كل مايشغل الناس عن الصلاة وان عظم ما كان أنفق فيه فالله تعالى يبعث لهذا المصلى

الشريف من يزيل عنه هذه الزخارف ويسويه كما كان فى زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أوهم هذا المحراب الخشبي من ورائه بدعامة شبه التاج العظيم حتى اتصل بالدرابزين الذى بين الأساطين في قبلة الروضة وبرزءها وجعل في أعلاه وعن يمينه وشماله مع امتداد الروضة مغارزا لفرخات القناديل المسماة بالبزاقات تسرج فى ليالى الزيارات وفى داخله كسوة جليلة من الحرير من جنس كسوة الحجرة الشريفة ذات طراز منسوج وقد احترق ذلك كله فى الحريق الثانى الآتى ذكره وذلك بعد تمام هذا التأليف فاقتضى رأى متولى العمارة الحادثة بعد ذلك أبداله بمحراب مرخم في دعامة تبني في محل الصندوق المذكور فحفروا هناك لأساسها نحو القامة فوجدوا هناك قبرا بدا لحده مسدودا باللبن أخرجوا منه بعض العظام ووجدوا الاقدمين لما أسسوا الاسطوانة التى عنده حرفوا أساسها عنه قليلا فتركوه على حاله واسسوا للمحراب المذكور ورخموه بالرخام الملوّن ترخيما بديعا فيه صبغ ذهبى وغيره وهو أبهى منظرا من الأول وجعلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلا عن المصلى الشريف لانه انما جعل فى محل الصندوق الذى كان امام المصلي الشريف فليتنبه لذلك والله أعلم ﴿ تنبيهات ﴾ الأول قال البخارى في صحيحه (باب) قدركم ينبغى أن يكون بين المصلى والسترة ثم روى عن سهل ابن سعد قال كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة ثم روى عن سلمة يعنى ابن الاكوع قال كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزها أى المسافة وهي مابين المنبر والجدار وقوله في الحديث الاول كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مقامه في صلاته وكذا هو في رواية أبى داود وقوله وبين الجدار أى جدار المسجد مما يلى القبلة كما صرح به من طريق ابن غسان في الاعتصام ومنه يعلم مافى قول النووى فى شرح مسلم يعنى بالمصلى موضع السجود والحديث الثانى رواه الاسماعيلى بلفظ كان المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين حائط القبلة الاقدر ماتمر العنز (قال) الكرمانى في بيان مطابقته للتبويب أن ذلك من حيث انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم بجنب المنبر أى ولم يكن لمسجده محراب فيكون مسافة مابينه وبين الجدار نظير مابين المنبر والجدار فكأنه قال الذى ينبغي أن يكون بين المصلى وسترته قدرما كان بين منبره صلى الله عليه وسلم وجدار القبلة (قلت) وكان الكرمانى بنى ذلك على ماعهده

في غالب المساجد من أن مصلى الامام يكون الى جانب المنبر وقد تقدم بيان مابينهما من المسافة وحكاية الاجماع على انه لم يغير وأيضا فلا يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الى جانب المنبر أن يكون بينه وبين الجدار نظير مابين المنبر والجدار كما لايخفى وأوضح مماذكره كما قال الحافظ بن حجر ماذكره بن رشيد من أن البخارى أشار الى حديث سعد بن سهل الذى في باب الصلاة على المنبر فان فيه انه صلي الله عليه وسلم قام على المنبر حين عمل وصلي عليه فاقتضى ذلك أن مابين المنبر والجدار يؤخذ منه موضع قيام المصلى (قلت) لكن يلزم من ذلك التأخر عند السجود لان ذلك المقدار لايتأتى فيه السجود وقد ثبت رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى من أجل السجود لماصلى على المنبر لعدم تأتيه عليه وقال ابن بطال هذا أقل مايكون بين المصلى وسترته يعنى قدر ممر الشاة وقيل أقل ذلك ثلاثة أذرع لحديث بلال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي في الكعبة وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع كما في الصحيح وجمع الداودى بأن أقله ممر الشاة وأكثره ثلاثة أذرع وجمع بعضهم بأن الاول فى حال القيام والقعود والثانى في حال الركوع والسجود قاله الحافظ بن حجر (قلت) ويلزمه التأخر عن موقفه الاول عندهما كما قدمناه وهو متعين اذ لايتأتى السجود فى أقل من ثلاثة أذرع ولهذا كان حريم المصلى الذى يكون بينه وبين سترته ثلاثة أذرع عندنا وقال ابن الصلاح قدروا ممر الشاة بثلاث أذرع (قال) الحافظ بن حجر ولا يخفى مافيه (قلت) الظاهر ان البخارى انما أورد حديث سلمة المشتمل علي بيان مابين المنبر والجدار ليستدل به علي مقدار ممر الشاة فان مابينهما كان معلوما عندهم وقد تقدم عن العتبية انه كان بينهما قدر ماتمر الرجل منحرفا والذى اقتضي حمل ابن الصلاح ممر الشاة علي ماذكره أن ذلك هو القدر الذى يتأتى فيه السجود مع الاستمرار فى الموقف (وقد) قال البغوى استحب أهل العلم الدنومن السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر امكان السجود وكذلك بين الصفوف وقد ورد الامر بالدنو من السترة مع بيان حكمة ذلك وهو مارواه أبو داود وغيره مرفوعا (اذا صلى أحدكم الى سترة فليدن منها لايقطع الشيطان عليه صلاته) (قال) الحافظ بن حجر وهو حديث حسن والله أعلم ﴿ التنبيه الثاني ﴾ فى العود الذى كان فى المصلى الشريف (روينا) في كتاب يحيى عن مصعب بن ثابت قال طلبنا علم العود الذي كان في مقام

النبى صلى الله عليه وسلم فلم نقدر علي أحد يذكر لنا فيه شيأ قال مصعب حتي أخبرني محمد ابن مسلم بن السائب صاحب المقصورة قال جلس الى أنس بن مالك فقال تدرى لم صنع هذا العود وما أسأله عنه فقلت لا والله ما أدرى لم صنع فقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع عليه يمينه ثم يلتفت الينا فيقول استووا واعدلوا صفوفكم و(عن) أنس ابن مالك قال لما سرق العود الذى كان في المحراب فلم يجده أبو بكر حتى وجده عمر رضى الله عنهما عند رجل من الانصار بقباء قد دفن فأرض أكلته الارضة فأخذ له عودا فشقه فأدخله فيه ثم شعبه فرده في الجدار وهو العود الذى وضعه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في القبلة وهو الذى في المحراب اليوم باق فيه (وعند) أبي داود عن محمد بن أسلم صاحب المقصورة قال صليت الى جنب أنس بن مالك يوما فقال هل تدرى لم صنع هذا العود فقلت لا والله قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يضع يده عليه فيقول استووا واعدلوا صفوفكم (قلت) سيأتي في الكلام على الجذع ان الاسطوانة المتقدم ذكرها التى هى علم المصلى الشريف كان بها خشبة ظاهرة محكمة بالرصاص يقول الناس أنها من الجذع الذى حن للنبى صلى الله عليه وسلم (و) ان المطرى قال ان الامر ليس كذلك (و) ان العز بن جماعة أمر بازالتها فأزيلت عام خمس وخمسين وسبعمائة (قال) المجد ورأى بعض العلماء أن ازالتها كانت وهما منهما وذلك ان اتقان هذه الخشبة وترصيصها بين حجارة الاسطوان وابرازها لم يكن سدا وانما شاهد الحال يشهد بأنه كان من عمل عمر ابن عبدالعزيز فالظاهر انه كان من الجذع (قلت) بل الظاهر أنها ليست منه اذ لم ينقل بقاء شيء منه بل الظاهر أنها من هذا العود المذكور لما قدمناه فيه ولما سيأتى عن ابن النجار (وقول) الزينى المراغى ان احتمال ذلك كان يمكن تسليمه قبل حريق المسجد أما بعده فمردود لانه بقى من حريق المسجد بقايا خشب كثيرة كما سنحققه وقول المؤرخين انه لم يبق ولا خشبة واحدة مردود فقد شاهدت عند ازالة هدم الحريق من الحجرة الشريفة ما لا يحصي من أطراف الخشب المحترق حتى ميزاب الحجرة الشريفة رأيته من عرعر فيما اظن احترق بعضه وبقي منه قدر الذراع وأخذ الناس كثيرا من تلك الاخشاب واتخذ متولى العمارة وغيره منها سبحاً كثيرة وعبارة ابن النجار صريحة فيما ذكرناه من كون العود المذكور كان بالاسطوانة المذكورة فانه ترجم عليه بقوله

ذكر العود الذى فى الاسطوانة التى عن يمين القبلة (ثم) روى عن أهل السير خبر مصعب ابن ثابت المتقدم (و) شيوع أن تلك الخشبة من الجذع قديم (فقد) قال ابن جبير فى رحلته ان بازاء الروضة يعني المصلى الشريف منها لجهة القبلة عمودا مطبقا يقال انه على بقية الجذع الذى حن للنبى صلى الله عليه وسلم وقطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح خدودهم فيها وعلى حافتها في القبلة منها الصندوق انتهى. واستفيد منه أيضا ان وضع الصندوق هناك كان قبل حريق المسجد فى زمنه وسبب الشيوع المذكور فى تلك الخشبة ماسيأتى من أن الجذع كان قريبا من محل الاسطوانة المذكورة فالظاهر ان الخشبة المذكورة كانت قريبا منه فى الجدار فجعلت في تلك الاسطوانة لقربها من المحل الاول (فقد) روى يحيي أيضا عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستمسك بعود كان فى القبلة ثم يلتفت عن يمينه وعن شماله فاذا استوت الصفوف كبر (وروى) ابن زبالة عن عمرو بن مسلم قال كان النبى صلي الله عليه وسلم حين أسن قد جعل له العود الذى في المقام اذا قام فى الصلاة توكأ عليه قال ثم ألصق اليه عود معه (وروى) أيضا هو ويحيي من طريقه عن مسلم بن خباب قال لما قدم عمر رضى الله عنه القبلة فقد العود الذى كان مغروسا فى الجدار فطلبوه فذكر لهم انه فى مسجد بنى عمرو بن عوف أخذوه فجعلوه في مسجدهم فأخذه عمر فرده الى المحراب وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة أمسكه بكفه يعتمد عليه ثم يلتفت فى شقه الايمن فيقول عدلوا صفوفكم ثم يلتفت الى الايسر فيقول مثل ذلك ثم يكبر للصلاة وذلك العود من طرفاء الغابة ﴿التنبيه الثالث﴾ أسند يحيى عقب ماتقدم عن ابن عباس قال كنت أرى صفحة خد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى في مسجده يتيامن (وعن) عروة كان الزبير بن العوام وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيامنون ويقولون ان البيت تهامى (قال) يحيي وسمعت غير واحد من مشايخنا ممن يقتدى به يقول المنبر على القبلة (قلت) لعل ماذكره من التيامن في غير المصلى الشريف والذى ذكره أصحابنا أنه لا يجتهد فى محراب النبى صلى الله عليه وسلم لانه صواب قطعا اذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فى اليمنة واليسرة بخلاف محاريب المسلمين سيما وقد تقدم انه وضعه وجبريل يؤم به البيت والمراد بمحرابه صلى الله عليه وسلم مكان مصلاه فانه لم

يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم محراب نعم ان ثبت تيامنه صلى الله عليه وسلم في مكان مصلاه فما نقله متجه و يؤيده أن الدكة التى ظهرت في محل المنبر و وجد فيها آثار قوائم المنبر النبوي كما سيأتى متيامنة ولذا حرضت على بقائها على ماوجدت عليه فبقيت على حالها الا أنهم وضعوا المنبر عليها غير متيامن فصار محرفا عنها وعبارة النووى فى التحقيق وكل موضع صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبط موقفه تعين ولا يجتهد فيه بتيامن ولا تياسر انتهى (وقال) الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه ومن خطه نقلت ان قيل محرابه صلى الله عليه وسلم على عين الكعبة اذ لا يجوز فيه الخطأ فيلزم مما قلتم انه لا يصح صلاة من بينه و بينه من أحد جانبيه أكثر من سمت الكعبة الامع الانحراف (قلنا) من أين لكم انه على يمين الكعبة فيجوز أن يكون ذلك ولا خطأ بناء على ان الغرض الجهة نعم ان روى فى الصحيح انه نصب على العين فنقول مقتضى الدليل ماذكرتموه على القولين اما على العين فظاهر واما على الجهة فانما ذلك عند عدم المشاهدة وهذا المحراب منزل منزلة الكعبة فمشاهده كمشاهدها الا أن اجماع الصحابة رضي الله عنهم على بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واسعا وصلاتهم في أقطاره من غير أن ينقل الانحراف عنهم دليل على طرد حكم البعد في كل مكان سواء تحقق صوب عين الكعبة أم لا توسعة وتعميما للحكم وتحقيقا للقول بأن فرض البعيد هو الجهة مطلقا ولا أعلم أحدا تكلم فى هذه المسئلة والظاهر فيها ماذكرته انتهي . وفيه نظر بل صلاة من بينه و بين المصلي الشريف أكثر من سمت الكعبة صحيح واعتبار العين من غير انحراف لما تقرر من أن المسامتة تصدق مع البعد ألا ترى ان الدائرة اذا عظمت اتسعت الخطوط فيسامت الخط الخارج من جبين المصلي الكعبة ظنا وهو المكلف به في البعد نعم هذا يقتضى جواز الاجتهاد بالتيامن والتياسر لمن بينه و بين المصلى الشريف أكثر من سمت الكعبة الا أن ينقل عدمه عن الصحابة في زمنه صلى الله عليه وسلم مع اقراره صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك والله أعلم

* ﴿ الفصل الرابع ﴾ * في خبر الجذع الذى كان يخطب اليه صلى الله عليه وسلم واتخاذه المنبر وما اتفق فيه وما جعل بدله بعد الحريق واتخاذ الكسوة له *

روينا فى صحيح البخاري عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى

جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه (وفيه) عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الانصار أو رجل يارسول الله ألا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه اليه وهو يئن أنين الصبى الذى يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها (وفيه) أيضا عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار الحديث (وعند) النسائى في الكبرى عن جابر اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج أى التى انتزع ولدها منها (و) عند ابن خزيمة عن أنس فحنت الخشبة حنين الواله (و) فى روايته الأخرى عند الدارمى خار ذلك الجذع كخوار الثور (وفي) حديث أبى بن كعب عند أحمد والدارمي وابن ماجة فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق (وفي) حديثه فأخذ أبى بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وعاد رفاتا (وفي) حديث أبى سعيد عند الدارمى فأمر به أن يحفر له ويدفن وسيأتي أحاديث بذلك ولا تنافي بين ذلك لاحتمال أن يكون ظهر بعد الهدم عند التنظيف فأخذه أبى بن كعب (وقال) أبو اليمن بن عساكر في تحفته وفي رواية فلما جلس عليه أى المنبر حنت الخشبة حنين الناقة علي ولدها حتى نزل النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فلما كان من الغد رأيتها قد حولت فقلنا ماهذا قال جاء النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فحولوها انتهى (وفي) مسند الدارمي من حديث بريدة كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليه قيامه فأتي بجذع نخلة فحفر له وأقيم الى جنبه قائما للنبى صلي الله عليه وسلم فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكي عليه فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائما الى جنب ذلك الجذع فقال لمن يليه من الناس لو أعلم أن محمدا يحمدنى فى شيء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه فان شاء جلس ماشاء وان شاء قام فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائتوني به فأتوه به فأمر أن يضع له هذه المراقى الثلاث أو الاربع هي الآن في مسجد المدينة فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك راحة فلما فارق النبى صلى الله عليه وسلم

الجذع وعمد الى هذه التى صنع له جزع الجذع فحن كما تحن الناقة حين فارقه النبى صلى الله عليه وسلم فزعم ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع حنين الجذع رجع اليه فوضع يده عليه وقال اختر ان أغرسك في المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت وان شئت ان أغرسك فى الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فتحسن زينتك وتثمر فتأ كل أولياء الله من ثمرتك وتخلد فعلت فزعم انه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له نعم قد فعلت مرتين فسئل النبى صلى الله عليه وسلم فقال اختار ان أغرسه فى الجنة (و) لفظه عند عياض ان شئت أردك الى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت أغرسك فى الجنة فتأ كل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبى صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بل تغرسنى في الجنة فيأ كل منى أولياء الله وأ كون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه قال صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه وهو فى كتاب يحيي بنحوه وفى حديث سهل بن سعد عند أبي نعيم فقال النبى صلي الله عليه وسلم ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم (وفى) لفظ عند ابن عبدالبر فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق فرجع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع الى المنبر قال فكان اذا صلى صلى اليه فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبى بن كعب فلم يزل عنده حتى أ كلته الارضة وعاد رفاتا (وهذا) يبعد ماقدمناه من التأويل اذ ظاهره انه لم يدفن (و) يحتمل أن ذلك كان بعد دفنه ومشى يصلى اليه قريبا منه لانه كان عند مصلاه كما سنحققه (وفي) كتاب يحيى عن أبى سعيد كان صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع نخلة فأتاه رجل رومى فقال أصنع لك منبرا تخطب عليه فصنع له منبره الذى ترون فلما قام عليه فخطب حن الجذع حنين الناقة الى ولدها فنزل اليه النبى صلى الله عليه وسلم فضمه فسكن وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفن ويحفر له (وعن) عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع يتساند اليه فمر رومى فقال لو دعانى محمد لعملت له ماهو أرفق له من

هذا فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فدعاه فجعل له المنبر ثم ذكر حنين الجذع وتخيير النبي صلى الله عليه وسلم له قال فقالت فسمعنا النبي صلى الله وهو يقول نعم فغار الجذع فذهب (وعن) أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى الجذع فلما اتخذ المنبر وعدل اليه حن الجذع حتي أتاه فاحتضنه فسكن وقال لولم أفعل هذا لحن الى يوم القيامة (وذكر) الاسفرايينى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم أمره فعاد الى مكانه (وفى) كتاب ابن زبالة عن خالد بن سعيد مرسلا ان تميما الدارى كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه وجع كان يجده فى فخذيه يقال له الزجر فقال له تميم يارسول الله ألا أصنع لك منبرا تقوم عليه فانه أهون عليك اذا قمت واذا قعدت قال وكيف المنبر قال أنا يارسول الله اصنعه لك قال فخرج الى الغابة فقطع منها خشبات من اثل فعمل له درجتين أى غير المقعد فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخشبة التى كان يستند اليها اذا خطب ثم ذكر حنينها (وقال) بلغنا انها دفنت تحت المنبر (وعن) المطلب بن حنطب انه صلى الله عليه وسلم أمر بالجذع فحفر له تحت المنبر فدفن هنا لك قال والذى عمل المنبر غلام نصيبة المخزومي وكان المنبر من أثلة كانت قريبا من المسجد (وعن) سهل بن سعد الساعدى نحو مافى الصحيح ان رجالا أتوا سهلا وقد امتروا فى المنبر مم عوده فسألوه عن ذلك فقال والله انى لأعرف مم هو ولقد رأيته أول يوم وضع وأول يوم جلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فلانة امرأة من الانصار قد سماها سهل مرى غلامك النجار ان يعمل لي أعوادا اجلس عليها اذا كلمت الناس فامرته فعملها من طرفاء الغابة ثم جاء بها فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بها فوضعت ههنا ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليها وكبر وهو عليها ثم ركع وهو عليها ثم نزل القهقرى فسجد في أصل المنبر هذا لفظ الصحيح وزاد فيه ابن زبالة وقطعت خشب المنبر بيدى مع الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملت احدى الدرجات (ورواه) يحيي بلفظ عمل من أثل يعنى المنبر وكنت ممن حمل درجته هذه (ثم) ذكر حنين الجذع وفى رواية للبخارى فى كتاب الهبة فجاؤا به يعنى المنبر فاحتمله النبى صلى الله عليه وسلم فوضعه حيث ترون (وقال) الحافظ بن حجر صحف بعض الرواة قوله الى فلانة امرأة من

الانصار فقال الى علاثة (بالعين المهملة والمثلثة) وهو خطأ والمرأة لايعرف اسمها (و) نقل ابن التين عن مالك ان النجار كان مولا لسعد بن عبادة فيحتمل انه كان فى الاصل مولى امرأته ونسب اليه مجازا واسم امرأته فكيهة بنت عبيد بن دليم وهى ابنة عمه فيحتمل ان يكون هى المرأة (لكن) رواه ابن راهويه عن ابن عيينة وقال مولى لبنى بياضة (و) وقع عند الكرماني قيل اسمها عائشة واظنه صحف المصحف (ثم) وجدت في الاوسط للطبرانى من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى الى سارية فى المسجد ويخطب اليها و يعتمد عليها فامرت عائشة فصنعت له منبره هذا فذكر الحديث واسناده ضعيف ولو صح لما دل على ان عائشة هى المرادة فى حديث سهل هذا الا بتعسف والله أعلم (وأسند) ابن سعد في الطبقات من حديث أبى هريرة ورجاله ثقات الا الواقدى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب وهو مستند الى جذع فقال ان القيام قد شق علىّ فقال تميم الداري ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام فشاور النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين في ذلك فرأوا ان يتخذه فقال العباس بن عبد المطلب ان لى غلاما يقال له كلاب اعمل الناس فقال مره ان يعمل الحديث (وأسند) يحيي منقطعا عن ابن أبي الزناد وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة الى جذع فى المسجد كان موضعه عند الاسطوانة المخلقة التى تلي القبر التى عن يسار الاسطوانة المخلقة التى كان النبي صلي الله عليه وسلم يصلى عندها التى هى عند الصندوق فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان القيام قد شق على وشكى صلى الله عليه وسلم ضعفا فى رجليه قالوا فقال تميم الدارى وكان رجلا من لخم من أهل فلسطين يارسول الله أنا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام قالوا فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذو الرأى من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب ان لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس فقال النبى صلي الله عليه وسلم مره يعمل فارسله الى أثلة بالغابة فقطعها ثم عملها درجتين ومجلسا ثم جاء بالمنبر فوضعه في موضعه اليوم ثم راح رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الجمعة فلما جاوز الجذع يريد المنبر حن الجذع ثلاث مرات كأنه خوار بقرة حتي ارتاع الناس وقام بعضهم على رجليه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي مسه بيده فسكن فما سمع له صوت بعد ذلك ثم رجع رسول الله صلى

الله عليه وسلم الى المنبر فقام عليه فلم يزل كذلك فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما هدم عثمان المسجد اختلف في الجذع فمنهم من قال أخذه أبى بن كعب فكان عنده حتى أكلته الارضة ومنهم من قال دفن في موضعه (وقال) عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر (وقال) البيهقي قصة حنين الجذع من الامور الظاهرة التى حملها الخلف عن السلف ورواية الاخبار الخاصة فيها كالتكلف (و) فيه دليل على ان الجمادات قد يخلق الله لها ادراكاً كأشرف الحيوان (وقد) نقل ابن أبى حاتم في مناقب الشافعى عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال ماأعطى الله نبيا ماأعطى محمدا فقلت أعطى عيسي احياء الموتى قال أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك (ونقل) ابن زبالة اختلافا في دفن خشبته (فمن) عثمان بن محمد دفنت دوين المنبر عن يساره (وقال) بعضهم دفنت شرقي المنبر الى جنبه (وقال) بعضهم دفنت تحت المنبر (و) تقدم في رواية انه دفن في موضعه الذي كان فيه ومحصل الرواية المتقدمة في كلام يحيي انه كان في جهة المشرق يسار المصلى الشريف (ونقل) ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد ان الاسطوان الملطخ بالخلوق ثلثاها أونحو ذلك محرابها موضع الجذع الذى كان النبي صلي الله عليه وسلم يخطب اليه بينها و بين القبلة اسطوان و بينها و بين المنبر اسطوان (قلت) وهذه الاسطوانة هى التى تقدم انها علم المصلي الشريف عن يمينه ولهذا روى عقبة ماقدمناه من القيام بمقام رسول الله صلي الله عليه وسلم فى الصلاة لمن عدل عنها قليلا وهذا مستند المطرى في قوله وكان هذا الجذع عن يمين مصلي رسول الله صلي الله عليه وسلم لاصقا بجدار المسجد القبلى في موضع كرسى الشمعة اليمني التى توضع عن يمين الامام المصلي في مقام النبى صلى الله عليه وسلم والاسطوانة التي قبلي الكرسى متقدمة عن موضع الجذع فلا يعتمد على قول من جعلها فى موضع الجذع قال وفيها خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص سدادة لموضع كان فى حجر من حجارة الاسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض والخشبة ظاهرة تقول العامة هذا الجذع الذى حن الى النبى صلى الله عليه وسلم وليس كذلك بل هو من جملة البدع التى يجب ازالتها لئلا يفتن بها الناس كما أزيلت الجزعة التى كانت في المحراب القبلى وذكر قصة الجزعة التي قدمناها (وقال)

المجد ان الخشبة المذكورة كان يزدحم على زيارتها والتمسح بها ويعتقد الناس عامة انها
الجذع فظن بعض الفقهاء ان هذا من المنكر الذى يتعين ازالته وصرح بهذا في كتبه
الى ان وافق على ذلك شيخنا العز بن جماعة فامر بازالتها الى آخر ماقدمناه عنه (قال)
وكان موضع الخشبة من الاسطوان المذكور على مقدار ذراعين من الارض ارتفاعا وقد
طلى عليه بالقصة ولا عين منه ولا أثر (قلت) الذى يظهر كما قدمته ان هذه الخشبة
كانت من العود الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يضع يده عليه ويقول عدلوا
صفوفكم لما تقدم والله أعلم (ونقل) ابن زبالة الاختلاف في الذى عمل المنبر فقيل غلام
نصيبة المخزومى وقيل غلام للعباس وقيل غلام لسعيد بن العاص يقال له باقول (بموحدة
وقاف مضمومة) وقيل غلام لامرأة من الانصار من بنى ساعدة أو لامرأة لرجل منهم
يقال له مينا وقوله يقال له مينا يحتمل المولى وزوج المرأة لكن عند يحيي قال اسماعيل
ابن عبد الله الذى عمل المنبر غلام الانصارية واسمه مينا (و) عند ابن بشكوال عن
أبي بن أويس عمل المنبر غلام لامرأة من الانصار من بنى سلمة أو بني ساعدة أو
امرأة لرجل منهم يقال له مينا وهذا محتمل كالاول وقيل عمله تميم الدارى هذا حاصل
ماذكره بن زبالة (وفى) رواية ليحيي عمل المنبر صباح غلام العباس (بضم المهملة بعدها
موحدة خفيفة) وتقدم تسميته كلابا (ونقل) المراغي عن بعض شيوخه ان الذى عمله
باقوم (بالميم) بانى الكعبة لقريش (وفي) الاستيعاب عن باقوم الرومى قال صنعت لرسول
الله صلي الله عليه وسلم منبرا من طرفاء له ثلاث درجات المقعدة ودرجتيه (قال) ابن عبد
البر واسناده ليس بالقائم (وفي) طبقات ابن سعد ان الصحابة قالوا يارسول الله ان
الناس قد كثروا فلو اتخذت شيئا تقوم عليه اذا خطبت قال صلى الله عليه وسلم ماشئتم
قال سهل رضى الله عنه ولم يكن بالمدينة الا نجار واحد فذهبت انا وذاك النجار الى الغابة
فقطعنا هذا المنبر من أثلة (وفى) لفظ فحمل سهل منهن خشبة (قال) المجد اسنادهما صحيح
(وعند) قاسم بن أصبغ وكان بالمدينة نجار واحد يقال له ميمون فذكر الحديث (وعند)
الطبرانى عن سهل كنت جالسا مع خال لى من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اخرج الى الغابة وأتنى من خشبها فاعمل لى منبرا الحديث (و) أخرج الطبراني باسناد
فيه متروك ان اسم صانع المنبر ابراهيم (وفي) أسماء الصحابة لابن شبة مرسلا اسمه

قبيصة أو قصيبة بتقديم الصاد المخزومى مولاهم (وعند) أبى داود باسناد جيد ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما بدن قال تميم الدارى يارسول الله الا تتخذ لك منبرا يحمل أو
يجمع عظامك قال صلى الله عليه وسلم بلى فاتخذ له منبرا مرقاتين أى غير المقعدة (قال)
الحافظ بن حجر وليس فى الروايات التى سمى فيها النجار قوى السند الا هذا وليس
فيه تصريح بان الذى اتخذ المنبر تميم بل قد تبين من رواية ابن سعد المتقدمة ان تميما
لم يعمله وأشبه الاقوال بالصواب انه ميمون لكون الاسناد من طريق سهل ولا اعتداد
بالاقوال الاخرى لكونها واهية (قلت) ولا ينافيه قوله فى مقدمة الشرح (باقوم) أشهر
الاقوال فقد يشتهر الواهى (وفي) التحفة لابن عساكر روينا من حديث أبى كبشة
السلولى عن معاذ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ منبرا
فقد اتخذه أبى ابراهيم وان اتخذ العصا فقد اتخذها أبى ابراهيم صلى الله عليهما وسلم
(وأسند) ابن النجار من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم
الجمعة الى جنب خشبة مسندا ظهره اليها فلما كثر الناس قال ابنوا لى منبرا فبنوا له منبرا
له عتبتان وهو يقتضى ان المنبر كان بناء (و) يحتمل انه أطلق على تأليفه من الاخشاب
اسم البناء لكن قال الحافظ بن حجر حكي بعض أهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان
يخطب على منبر من طين قبل ان يتخذ المنبر الذى من خشب ويعكر عليه ماتقدم فى
الاحاديث الصحيحة من انه كان يستند الى الجذع اذا خطب (قلت) يحتمل ان ذلك
المنبر المتخذ من الطين كان الى جانب الجذع وكأنه كان بناء مرتفعا فقط وليس له
درج ومقعدة بحيث يكمل الارتفاق به فلا ينافي ماتقدم فى سبب اتخاذ المنبر من خشب
(و) يؤيد ذلك ماورد فى حديث الافك فى الصحيحين عن عائشة قالت فثار الحيان
الأوس والخزرج حتى كادوا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
الحديث وهذه القصة متقدمة على اتخاذ المنبر من الخشب فقد جزم ابن النجار بان عمله
كان سنة ثمان وجزم ابن سعد بانه كان فى السنة السابعة على ان ذكر تميم والعباس
في عمله كما تقدم يقتضى تأخره عن ذلك أيضا فقد كان قدوم العباس بعد الفتح
فى آخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة تسع وفى بعض طرق الحديث كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدرى أيهم هو فطلبنا اليه ان

نجعل له مجلسا يعرفه الغريب اذا أتاه فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه الحديث (وفى) بعض طرقه انه جاء والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب أى على ذلك الدكان والله أعلم (وروى) يحيي عن ابن أبى الزناد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس على المجلس ويضع رجليه على الدرجة الثانية فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه علي الدرجة السفلى فلما ولى عمر قام علي الدرجة السفلي ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما ولى عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته (ثم) علا الى موضع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال قالوا فلما استخلف معاوية زاد فى المنبر فجعل له ست درجات وكان عثمان أول من كسي المنبر قبطية قالوا فلما قدم معاوية عام حج حرك المنبر وأراد ان يخرجه الى الشام فكسفت الشمس يومئذ حتى بدت النجوم فاعتذر معاوية الي الناس وقال أردت انظر الى ما تحته وخشيت عليه من الارضة (قال) بعضهم وكساه يومئذ قبطية اولينة (ثم) أسند عن سعيد بن عمرو قصة تحريك معاوية للمنبر وان الشمس كسفت واعتذاره بانه خشى عليه الارضة وانه كساه يومئذ قبطية يكون عليه أولينة فكان يقال هو أول من كساه (قال) يحيي وأثبتهما عندنا ان عثمان هو أول من كساه (وقد) نقل ذلك ابن النجار عن الواقدى عن ابن أبى الزناد قال فسرقت الكسوة امرأة فاتى بها عثمان فقال لها هل سرقت قولي لا فاعترفت فقطعها (و) تفق لامرأة مع ابن الزبير مثل ذلك (وفى) تاريخ الواقدى أراد معاوية رضى الله عنه سنة خمسين تحويل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمشق فكسفت الشمس يومئذ وكلمه أبو هريرة رضى الله عنه فيه فتركه فلما كان عبد الملك أراد ذلك فكلمه قبيصة فتركه فلما كان الوليد أراد ذلك فأرسل سعيد بن المسيب الى عمر بن عبد العزيز فكلمه فيه فتركه فلما كان سليمان قيل له فى تحويله قال لا ها الله أخذنا الدنيا ونعمد الى علم من أعلام الاسلام نريد تحويله ذاك شئ لا أفعله وما كنت أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد مالنا ولهذا (وأسند) ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال بعث معاوية رضى الله عنه الى مروان يأمره أن يحمل اليه منبر النبي صلى الله عليه وسلم فأمر به أن يقلع فأظلمت المدينة وأصابتهم ريح شديدة قال فخرج عليهم مروان فخطبهم وقال يا أهل المدينة انكم تزعمون ان أمير المؤمنين بعث الى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين أعلم بالله من أن يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما

وضعه عليه انما أمرنى ان أكرمه وأرفعه قال فدعا نجارا فزاد فيه الزيادة التي هو عليها اليوم ووضعه موضعه اليوم (وفى) رواية له عن ابن قطن قلع مروان بن الحكم منبر رسول الله وكان درجتين والمجلس وأراد أن يبعث به الى معاوية قال فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم قال فزاد فيه ست درجات وخطب الناس فقال انى انما رفعته حين كثر الناس (وعند) يحيي في رواية أخرى كتب معاوية رضى الله عنه الى مروان وهو علي المدينة ان أرسل لى بمنبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرج مروان فقلعه فأصابتنا ريح مظلمة بدت فيها النجوم نهارا ويلقي الرجل الرجل يصكه فلا يعرفه وذكر اعتذار مروان المتقدم وقال انما كتب الى يأمرنى ان أرفعه من الارض فدعا له النجاجرة فعمل هذه الدرجات ورفعوه عليها وهى أى الدرجات التي زادها ست درجات قال ثم لم يزد فيه أحد قبله ولا بعده (وقال) ابن زبالة عقب حديث رواه من طريق سفيان عن كثير بن زيد عن المطلب مالفظه والذى زاد في درج المنبر معاوية بن أبى سفيان (قال) سفيان قال كثير فأخبرنى الوليد بن رباح قال كسفت الشمس يوم زاد معاوية في المنبر حتى رؤيت النجوم (وروى) ابن النجار زيادة مروان فيه وانه صار تسع درجات بالمجلس عن ابن أبى الزناد ثم قال قال ولما قدم المهدى المدينة سنة احدى وستين ومائة فقال لمالك بن أنس انى أريد أن أعيد منبر النبى صلى الله عليه وسلم على حاله فقال له مالك انما هو من طرفاء وقد سمر الى هذه العيدان وشد فمتى نزعته خفت أن يتهافت ويهلك فلا أري أن تغيره فانصرف المهدى عن تغييره (وروى) ابن شبه قصة المهدى عن محمد بن يحيي عن محمد ابن أبى فديك (قلت) وجميع ماقدمناه من كلام المؤرخين مقتضى لاتفاقهم علي أن منبره صلى الله عليه وسلم كان درجتين غير المجلس (ونقله) ابن النجار عن الواقدى لكن سبق في رواية الدارمى هذه المراقى الثلاث او الاربع على الشك وفى صحيح مسلم هذه الثلاث درجات من غير شك وقال الكمال الدميرى في شرح المنهاج وكان صلى الله عليه وسلم منبره ثلاث درج غير الدرجة التى تسمي المستراح ولعل مأخذه ظاهر ذلك مع حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فلما رقي الدرجة الأولى قال آمين ثم رقي الدرجة الثانية فقال آمين ثم رقي الدرجة الثالثة فقال آمين فقالوا يارسول الله سمعناك قلت آمين ثلاث مرات قال لما رقيت الدرجة الاولي جاء جبريل عليه السلام فقال شقي

عبد أدرك رمضان فانسلخ عنه فلم يغفر له قلت آمين ثم قال شقي عبد ذكرت عنده
فلم يصل عليك قلت آمين ثم قال شقي عبد ادرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة
فقلت آمين (رواه) يحيى ابن الحسن عن جابر (ورواه) الحاكم عن كعب بن عجرة (وقال)
صحيح الاسناد ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احضروا المنبر فحضرنا
فلما رقى درجة قال آمين فلما ارتقي الدرجة الثانية قال آمين فلما ارتقي الدرجة الثالثة قال
آمين فلما نزل قلنا يارسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيأ ما كنا نسمعه قال ان جبريل
عرض لى فقال بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت آمين فلما رقيت الثانية قال بعد
من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه
الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين ويمكن حمله على انه صلى الله عليه
وسلم ارتقى حينئذ على المجلس وهى الدرجة الثالثة (قال) ابن زبالة وطول منبر النبى صلى
الله عليه وسلم خاصة ذراعان فى السماء وعرضه ذراع في ذراع وتربيعه سواء وفيه مما كان
يلى ظهره اذا قعد ثلاثة أعواد تدور ذهب احداهن وانقلعت احداهن سنة ثمان
وتسعين ومائة وأمر به داود بن عيسي فاعيد وفيما عمل مروان فى حائط المنبر الخشب
عشرة أعواد لايتحركن وطول منبر النبى صلي الله عليه وسلم مرتفع في السماء مع الخشب
الذى عمله مروان أى الاعواد المتقدمة ثلاث أذرع ونصف (وقال) عقب كلامه
الآتى في ذرع ماعليه المنبر اليوم يعنى فى زمنه مالفظه وطول المجلس أى مجلسه صلى الله
عليه وسلم شبران وأربع أصابع في مثل ذلك مربع فقوله أولا وعرضه ذراع في ذراع
انما أراد به مقعد المنبر لما قاله هنا في وصف المقعد بدون درجتيه ولانه قال هنا
عقب ما تقدم وما بين أسفل قوائم منبر النبى صلى الله عليه وسلم الاول الى رمانته
خمسة أشبار وشئ وعرض درجه شبران وطولها شبر وطوله من ورائه يعنى محل الاستناد
شبران وشئ فيؤخذ من ذلك ان امتداد المنبر النبوى من أوله وهو مايلى القبلة الى
مايلى آخره في الشام أربعة أشبار وشئ لقوله ان عرض درجه شبران وان المجلس
شبران وأربع أصابع وقوله وما بين أسفل قوائم منبر النبى صلى الله عليه وسلم الى آخره
معناه ان من طرف المنبر النبوى الذى يلى الارض الى طرف رمانته التي يضع عليها
يده الكريمة خمسة أشبار وشئ وذلك نحو ذراعين ونصف وقد تقدم ان ارتفاع المنبر

النبوى خاصة ذراعان فيكون ارتفاع الرمانة نحو نصف ذراع (وقال) ابن النجار طول
منبر النبى صلى الله عليه وسلم ذراعان وشبر وثلاث أصابع وعرضه ذراع راجح وطول
صدره وهو مستند النبى صلى الله عليه وسلم ذراع وطول رمانتي المنبر اللتين كان
يمسكهما بيده الكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان وعرضه ذراع في ذراع يزيد وتربيعه
سواء ولا يخفى مافيه من المخالفة لكلام ابن زبالة (وقال) ابن زبالة فى الكلام على فضل
مابين القبر والمنبر بعد ذكر المرمر الذى حول المنبر مالفظه وفى المنبر من أسفله الى أعلاه
سبع كوى مستطيرة من جوانبه الثلاث وفي جنبه الذى عمل مروان من قبل المشرق
ثمانى عشرة كوة مستديرة شبه المربعة ومن قبل المغرب ثمانى عشرة كوة مثل ذلك
وكان فيه خمسة أعواد تدور فذهب بعضها وبقى اثنان منها فسقط أحدهما فى سلطان
داود بن عيسي على المدينة فى سنة ثمان وتسعين ومائة فامر به فاعيد (وقال) فى موضع
آخر وفيما عمل مروان في حائط المنبر الخشب عشرة أعواد لايتحركن ثم قال وفي منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة خمسة أعواد من جوانبه الثلاث فذهب بعضها (وقال)
بعد ماتقدم عنه في ذرع منبره صلى الله عليه وسلم مالفظه وذرع طول المنبر اليوم أربع
أذرع وعرضه ذراع وشئ يسير وما بين الرمانة المؤخرة والرمانة التى كانت فى منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم القديم ذراع وشئ وما بين رمانة منبر النبي صلى الله عليه وسلم
الى الرمانة المحدثة في مقدم المنبر ذراعان وعظم الذراع وما بين الرمانة والارض ثلاث
أذرع وشئ وطول المنبر اليوم من أسفل عتبته الى مؤخره سبع أذرع أى بتقديم
السين وشبر وطوله فى الارض الى مؤخره ست أذرع هذه عبارته بحروفها ويتعين حمل
كلامه على ان امتداد المنبر في الارض من أسفل عتبته الرخام التى امامه الى مؤخر المنبر
سبعة أذرع وشبر وطول امتداده وهو فى الارض الى مؤخره مع اسقاط العتبة ست
أذرع حتى يلتئم كلامه (وقد) ذكر فيما قدمناه عنه ان حول المنبر مرمر مرتفع قدر
الذراع وفيه شئ محدث غير مرتفع زاده الحسن بن زيد (وقال) في موضع اخر والمنبر
مبنى فوق رخام وهو فى وسط الرخام فسمي المرمر رخاما وقال ان هذا الرخام حده من
الاسطوانتين اللتين فى قبلة المنبر أى خلفه الى الاسطوانتين اللتين تليانهما مما يلى الشام
أي امام المنبر وقد سمي ابن النجار هذا الرخام الذى عليه المنبر دكة وقال ان طولها

شبر وعقد يعنى فى الارتفاع وسمى ذلك أبو الحسين بن جبير في رحلته حوضا وكأنه أخذ هذه التسمية مما ورد فى ان المنبر على الحوض وذكر في طول هـذا الرخام وعرضه مايقرب مما قدمناه فى حدود المسجد النبوى قال وارتفاعه شبر ونصف (قلت) ولما حفر متولى العمارة في زماننا أرض المسجد الشريف وسواها بارض المصلى الشريف وجدهذا الرخام المذكور وارتفاعه عن أرض المصلى الشريف نحوماذكره ابن النجار وابن جبير (ثم) لما أرادوا تأسيس المنبر الرخام الآتي ذكره حفروا حول الدكة المذكورة فظهر أنها منخفضة عن أرض المصلى الشريف التى استقر عليها الحال اليوم يسيرا وخلفها من جهة القبلة افريز نحو ثلث ذراع وطولها سبع أذرع بتقديم السين وشبر وهى مجوّفة شبيهة بالحوض فصح ماذكره ابن جبير فى تسميتها حوضا وصح أيضا ماسيأتى عنه من ان سعة المنبر خمسة أشبار لان جوف هذا الحوض الذى وجدناه بما دخل من عمودى المنبر في أحجاره خمسة أشبار وقول ابن زبالة أولا وذرع طول المنبر اليوم أربع أذرع مراده ارتفاعه في الهواء مع الدرج الست التى زادها مروان فيكون طول الدرج الست ذراعين فتكون كل درجة ثلث ذراع فيقرب مما قدمه ابن زبالة في طول درج منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى تقتضيه المناسبة (ونقل) الزين المراغي عن ابن زبالة انه قال طول منبر النبى صلى الله عليه وسلم بما زيد فيه أربعة أذرع ومن أسفل عتبته الى أعلاه تسعة أذرع وشبر (قلت) كذا رأيته بخط الزين وضبط قوله تسعة أذرع بتقديم التاء الفوقية وهو غلط فى النسخة التى وقعت له لان الذى قدمناه عن ابن زبالة انما هو من أسفل عتبته الى مؤخره وقررناه بما تقدم وانما قضينا على ذلك بالغلط لانه حينئذ لايلتئم أطراف كلامه ولأنه يقتضي أن يكون ارتفاع المنبر في الهواء تسعة أذرع بتقديم التاء وشبرا فاذا قام عليه القائم يقرب من سقف المسجد ويبعد كل البعد كون منبر فى ذلك الزمان ارتفاعه هذا القدر وأيضا فابن زبالة قد صرح بأن الذى زاده مروان ست درج فيلزم أن يكون كل درجة ذراعا وشيأ وهو في غاية البعد وما نقلناه عن ابن زبالة يقرب مماذكره ابن النجار فانه قال عقب ماقدمناه عنه فى وصف منبر النبى صلى الله عليه وسلم مالفظه وطول المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاث أصابع والدكة التي عليها من رخام طولها شبر وعقد ومن رأسه أى المنبر دون دكته الى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع وقد زيد فيه اليوم عتبتان

وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة انتهى. فهو قريب مما ذكره ابن زبالة من أن طول المنبر يعنى في الهواء أربعة أذرع وامتداده هو خاصة في الارض من عتبته الى مؤخره ستة أذرع ويوافق أيضا ماذكره الفقيه أبو الحسين محمد بن جبير من حديث القدر فانه قال رأيت منبر المدينة الشريفة فى عام ثمان وسبعين وخمسمائة وارتفاعه من الارض نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار وطوله خمس خطوات وأدراجه ثمانية وله باب على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة وطوله أى الباب أربعة أشبار ونصف شبر وهـذا المنبر هو الذى وضعه ابن النجار فيما يظهر لانه وضع تاريخه سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وتوفي قبل حريق المسجد سنة ثلاث وأربعين وستمائة وكان احتراق المسجد كما سيأتى سنة أربع وخمسين وستمائة وفيه احترق هذا المنبر وفقد الناس بركته (وقد) زاد ابن جبير على ابن النجار فى وصف هذا المنبر فقال وهو مغشي بعود الابنوس ومقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعلاه ظاهر قد طبق عليه لوح من الأبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه فيدخل الناس أيديهم اليه ويمسحونها بها تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم وعلى رأس رجل المنبر الايمن حيث يضع الخطيب يده اذا خطب حلقة فضة مجوّفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط التى يضعها في أصبعه الا أنها أكبر منها وهى لاعبة تستدير فى موضعها انتهى . والظاهر ان هذا المنبر غير الذى وصفه بن زبالة لانه لم يصفه بذلك ويوضح ذلك ماذكره في الطراز لسند من المالكية حيث قال ان منبر النبي صلى الله عليه وسلم جعل عليه منبر كالغلاف وجعل في المنبر الأعلى طاق مما يلى الروضة فيدخل الناس منها أيديهم يمسحون منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتبركون بذلك انتهي فهذا شئ حدث بعد ابن زبالة (وقد) قال المطرى حدثنى يعقوب بن أبى بكر من أولاد المجاورين وكان أبوه أبو بكر فراشا من قوام المسجد وهو الذى كان حريق المسجد على يده أن المنبر الذى زاده معاوية ورفع منبر النبى صلي الله عليه وسلم عليه تهافت على طول الزمان وان بعض خلفاء بنى العباس جدده واتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلى الله عليه وسلم امشاطا للتبرك وعمل المنبر الذى ذكره ابن النجار فيما تقدم (قال) يعقوب سمعت ذلك من جماعة بالمدينة ممن يوثق بهم وان المنبر المحترق هو الذى جدده الخليفة المذكور وهو الذى أدركه ابن النجار لان وفاته قبل الحريق (قلت) وظاهر كلام بن عساكر في تحفته انه

كان قد بقى من المنبر الشريف بقايا فقط الى احتراق المسجد وهو ممن أدرك حريقه وأورد
فى كتابه ماذكره شيخه ابن النجار (ولفظه) وقد احترقت بقايا منبر النبى صلى الله عليه وسلم
القديمة وفات الزائرين لمس رمانة المنبر التي كان صلي الله عليه وسلم يضع يده المقدسة
المكرمة عليها عند جلوسه عليه ولمس موضع جلوسه منه بين الخطبتين وقبلهما ولمس موضع
قدميه الشريفتين بركة عامة ونفع عائد وفيه صلي الله عليه وسلم عوض من كل ذاهب
ودرك من كل فائت انتهى . وهو صريح في بقاء ماذكره الى حين الحريق (و) يؤيده
ماتقدم عن رحلة ابن جبير وصاحب الطراز بل ظفرنا بما يشهد لصحة ذلك فانه لما أراد
متولى العمارة تأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره حفروا على الدكة التى تقدم أن المنبر
كان عليها فوجدت مجوفة كالحوض وبه عبر ابن جبير عنها فوجدوا فيما يلى القبلة منها قطعا
كثيرة من أخشاب المنبر المحترق أعنى الذى كان فيه بقايا منبر النبى صلى الله عليه وسلم
فوضعها الاقدمون فى جوف ذلك المحل حرصا على البركة وبنوا فوقها بالآجر بحيث سدوا
جوف ذلك الحوض كله فصار دكة مستوية ووضعوا المنبر الآتى ذكره عليها وشاهدت
آثار قائمتى المنبر الشريف اللتين كان بأعلاهما رمانتاه قد نحت لهما في الحجر المحيط
بالحوض المذكور على نحو ذراع وثلث من طرف باطن الحوض المذكور مما يلى القبلة
وسعة الحوض المذكور خمسة أشبار كما ذكره ابن جبير في سعة المنبر وعرض جدار الحوض
المذكور خلف المنبر نحو نصف ذراع وقد حرضت على وضع ماوجد من تلك الاخشاب
فى محلها فوضع مابقى منها فى محله من الحوض المذكور وبنوا عليه كما سيأتى والله أعلم
ولما احترق المنبر المذكور فى جملة الحريق أرسل الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ست
وخمسين منبرا له رمانتان من الصندل فنصب في موضع منبر النبى صلى الله عليه وسلم كما
ذكره المطرى فمن بعده قال ولم يزل يخطب عليه عشر سنين فلما كان فى سنة ست وستين
وستمائة أرسل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى هذا المنبر الموجود اليوم
أى زمن المطرى فقلع منبر صاحب اليمن وحمل الى حاصل الحرم ونصب هذا المنبر مكانه
وطوله أربع أذرع فى السماء ومن رأسه الى عتبته سبع أذرع يزيد قليلا وعدد درجاته
تسع بالمقعد (قال) المجد وله باب بمصراعين في كل مصراع رمانة من فضة ومكتوب على
جانبه الايسر اسم صانعه (أبو بكر بن يوسف النجار) وكان من أكابر الصالحين الاخيار

وهو الذى قدم بالمنبر الى المدينة فوضعه في موضعه فأحسن وضعه وأتقن نجارته وصنعته
ثم انقطع في المدينة (قال) الزين المراغى وبقى منبر الظاهر بيبرس يخطب عليه من سنة ست
وستين وستمائة الى سنة سبع وتسعين وسبعمائة فكانت مدة الخطبة عليه مائة سنة واثنين
وثلاثين سنة فبدأ فيه أكل الارضة فأرسل الظاهر برقوق صاحب مصر هذا المنبر
الموجود اليوم أى زمن المراغى أرسله فى آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة وقلع منبر الظاهر
بيبرس انتهى (قلت) ولم يزل هذا المنبر موجودا الى مابعد العشرين وثمانمائة كما
أخبرني به جماعة من مشايخ الحرم منهم الشيخ الصالح المعمر الجمال عبدالله بن قاضي القضاة
عبدالرحمن بن صالح قال فأرسل سلطان مصر الملك (المؤيد شيخ) هذا المنبر الموجود اليوم
عام اثنين وعشرين وثمانمائة (ثم) رأيت في كلام الحافظ شيخ الاسلام بن حجر ان
المنبر الموجود اليوم أرسله المؤيد سنة عشرين وثمانمائة فهذا هو المعتمد لكن لم يطلع
ابن حجر على ماذكره المراغى من منبر الظاهر برقوق وجعل اتيان منبر المؤيد هذا بدلا
عن منبر الظاهر بيبرس وكلام المراغى أولى بالاعتماد في ذلك فانه كان بالمدينة حينئذ
وعلى هذا فمدة الخطبة على منبر الظاهر برقوق ثلاث أو أربع وعشرون سنة ثم وضع منبر
المؤيد (وأخبرنى) السراج النفطى انه صنعه أهل الشام وجاؤا به المؤيد ليجعله بمدرسته
المؤيدية فوجدوا أهل مصر قد صنعوا لها منبرا فجهز المؤيد منبر أهل الشام الى المدينة
الشريفة وقال لى الجمال عبدالله بن صالح شاهدت وضعه موضع المنبر الذى كان قبله (قلت)
ويدل على صحة ذلك ماقدمناه من اختبار ذرع ما بينه وبين المصلى الشريف اذا المنقول
ان بينهما أربعة عشر ذراعا وشبرا وقد اختبرته من ناحية مؤخر المصلى الشريف الى
ماحاذاه من المنبر فى المغرب فكان كذلك فوضعه من هذه الجهة صحيح لاشك فيه وأما
من جهة القبلة فقد قال المطرى ان المنبر الذى أدركه بينه وبين الدرابزين الذى فى قبلة
الروضة مقدار أربعة أذرع وربع ذراع (وقد) ذكر الزين المراغى في كتابه ماذكره
المطرى من الذرع ولم يتعقبه فاقتضى ان المنبر الذي تقدم وضعه فى زمنه وضع موضع المنبر
الذى كان فى زمان المطرى وأقر أيضا قول المطرى فى حدود المسجد ان المنبر لم يغير عن
منصبه الاول (وقد) ذكر ابن جماعة أيضا ذرع مابين المنبر والدرابزين وهو يعنى المنبر
الموجود زمن المطرى فقال ان بينهما ثلاثة أذرع بذراع العمل وهو أزيد مماذكره

المطرى بربع ذراع راجح لان ذراع العمل كما تقدم ذراع ونصف وكان المطرى يعنى ذراع المدينة اليوم كما يؤخذ من كلام المراغى فيوافق كلام ابن جماعة والذى بين هذا المنبر الموجود اليوم وبين الدرابزين المذكور ذراعان وثلث بذراع العمل وذلك ثلاثة أذرع ونصف من الذراع الذى قدمنا أنه المراد عند الاطلاق فيحتمل أن يكون هذا المنبر مقدم الوضع لجهة القبلة على المنبر الذى كان قبله وهو مقتضى ماقلته الاثبات لكنى أستبعده للاخبار ممن لقيناه بوضعه موضع ذلك ثم تبين عند انكشاف الدكة التى تقدم ذكرها من آثار المنبر المحترق قديما ماعلمنا به صواب ماذكره المطرى وغيره ان هذا المنبر مقدم الوضع علي الذى قبله من جهة القبلة بما تقرب من ذراع وكذا ظهر زيادته من جهة الشام أيضا علي الدكة الاصلية المتقدم وصفها بقريب من ذراع ووجد محرفا عنها من طرفه الشامى نحو المغرب قدر شبر لما فيها من التيامن الذى تقدمت الاشارة اليه في التنبيه الثالث من الفصل قبله وكنت قد أيدت وضعه بكونه أقرب الى ماورد فيما كان بين المنبر والجدار القبلى كما سيأتى فانكشف الحق لذى عينين والذى لقيناه وأخبر بوضعه موضع المنبر الذى كان قبله هو الجمال بن صالح فى آخر عمره وكان غير تام الضبط حينئذ وكنت قد أيدت خبره بأنا قد قدمنا الى الصندوق الذى في قبلة المصلى الشريف في عرض الجدار وان المصلى الشريف لم يغير باتفاق وان منبر النبى صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين الجدار القبلى ممر الشاة أو ممر الرجل منحرفا وأقصى ماقيل فيه ذراع وشئ كما قدمناه فاذا أسقطت قدر مابين طرف المصلى الشريف والدرابزين الذى أمامه مما بين المنبر اليوم والدرابزين المذكور وهو ثلاثة أذرع ونصف بقى ذراع وهو نحو القدر المنقول فيما بين المنبر القديم وجدار المسجد الشريف ثم تبين لنا مما سبق فى حدود المسجد النبوى وبانكشاف المرمر الذى في قبلة المنبر تقدم الدرابزين المذكور عن ابتداء المسجد النبوى بازيد من ذراع كما قدمناه فى حدود المسجد النبوى فالصواب ماذكره المطرى ومن تبعه وطول هذا المنبر فى السماء سوى قبته وقوائمها بل من الارض الى محل الجلوس ستة أذرع وثلث وارتفاع الخافقتين اللتين يمين المجلس وشماله ذراع وثلث وامتداد المنبر في الارض من جهة بابه الى مؤخره ثمانية أذرع ونصف

راجحة وعدد درجه ثمانية وبعدها مجلس ارتفاع نحو ذراع ونصف وقبته مرتفعة ولها هلال قائم عليها مرتفع أيضا وما أظن منبرا وضع قبله فى موضعه أرفع منه وله باب بمصراعين (وقد) احترق هذا المنبر فى حريق المسجد الثانى الحادث في رمضان عام ستة وثمانين وثمان مائة فكانت مدة الخطبة عليه نحو سبع وستين سنة (ولما) نظف أهل المدينة محله جعلوا في موضعه منبرا من آجر مطلى بالنورة واستمر يخطب عليه الى اثناء شهر رجب سنة ثمان وثمانين فهدم رابع الشهر المذكور وحفروا لتأسيس المنبر الرخام الموجود اليوم ظاهر الدكة المتقدم ذكرها فوجدت على النحو المتقدم ونقضوا من بعضها قريب القامة فلم يبلغوا نهايتها ووجدوها محكمة التأسيس في الارض فاعادوها كما كانت الا ما كان فوقها من نحو أزيد من نصف ذراع من الآجر وسووا ماوجد مجوفا منها كالحوض بالبناء بعد وضع ماتقدم ذكره مما وجد بقدمها من بقايا المنبر القديم المحترق في الحريق الاول بعقدمها أيضا وكانوا قد سألونى عن ابتداء حد المنبر القديم من جهة القبلة والروضة فاخبرتهم بذلك وان ذلك الحوض وما به من محل قوائم المنبر الاصلى امام يقتدى به لموافقته ماذكره المؤرخون قديما وحديثا فشرعوا فى وضع رخام المنبر عليها على سمت ماظهر من الفرضة التى وجدوها في الحوض المذكور على الاستقامة من غير انحراف وبينها وبين طرف الدكة الشرقى خمسة أصابع لما ظهر من ان المنبر الاصلى كان بالحوض المذكور ومشاهدة محل قوائمه نقرا فى الحجر وبقايا الرصاص الذى كانت القوائم مثبتة به وما وصفه المؤرخون في أمر المنبر الاصلى شاهد لذلك ومعلوم ان الحوض الموجود في باطن تلك الدكة لا يمكن وضع المنبر فيه الا على الاستقامة سيما وقد طابقت سعته ماذكره ابن جبير في سعة المنبر الاصلى وأحكام تلك الدكة بحيث انهم حفروا منها قرب القامة ولم يدركوا آخرها واتقان فرضتى الحوض المذكور بالرصاص وترخيم تلك الدكة قديما كله قاض بجعل السلف لها من أجل وضع المنبر فيها كما صرح به المؤرخون ولم يكن السلف مع عظيم اتقانهم يجعلونها لوضع المنبر ويحرفونها عن وضعه لان وضعها تابع لوضعه اذ جعلت من أجله (و) قد كان وضعه مشاهدا لهم لوجود المنبر النبوى بين أظهرهم واتقانها وما سبق من المتقدمين فى ذكر ترخيمها شاهد بعملها في عمارة عمر بن عبد العزيز للمسجد ان لم يكن من زمن معاوية

رضى الله عنه عند تحريكه المنبر كما سبق ولم ارتب عند مشاهدتها في وضع المنبر بها كذلك وتيامن حوضها الذى كان المنبر به يسير جدا لايخرج صدر المستقبل عن القبلة (وقد) أشار يحيى فيما قدمناه عنه فى التنبيه الثالث الى تصويب وضعه (و) أيضا فقد يكون النبى صلى الله عليه وسلم وضعه متيامنا لما أوضحناه فى الرسالة الموسومة بالنصيحة والمنبر جماد ليس بعصل حتي يحرر أمره في الاستقبال ويترك ماوجد من حدوده لاملية المجمع عليها فى الاعصر الماضية المترتب عليها حدود الروضة الشريفة فشرعوا في وضع رخام المنبر المذكور على النحو الذى ذكرته غير أنهم حعلوا جداره من حهة القبلة على الاحجار التى خلف الحوض من جهة القبلة لاقتضاء نظرهم ذلك ولو كان لى من الامر شئ ماوافقت عليه (ثم) وقع من بعض ذوى النفوس ماأوضحناه في الرسالة الموسومة (بالنصيحة الواجبة القبول في بيان وضع منبر الرسول) صلى الله عليه وسلم والحاصل انهم نقضوا ماسبق وزادوا خلف أحجار الحوض المذكور نحو ربع ذراع العمل حتى ساوى ذلك محل المنبر المحترق من جهة القبلة وحرفوه على تلك الدكة لجهة المغرب أزيد من تحريف المنبر المحترق وجعلوا هذا المنبر فى محل المحترق من جهة القبلة ومساو لطرفها الشرقي مما يلى القبلة أيضا وزعموا أنه لايعول على كلام من قدمناه من الائمة ويتحرر مما سبق انه مقدم على محل المنبر الاصلى لجهة القبلة بعشرين قيراطا من ذراع الحديد وهو نحو ذراع اليد وان المنبر النبوى لم يقع فى محله تغير الامن تاريخ وضع المنبر المحترق في زماننا لانه خفى على واضعه مافى جرف الدكة المذكورة ولم يدركه أحد من مؤرخي المدينة (و) كان مفرط الطول بحيث كان قاطعا للصف الباقى من الروضة وقد اقتدى به واضع هذا المنبر لكونه من أبائه ولم يبال بتفويته ولى الامر المنقبة العظيمة فى اعادة وضع منبر الرسول صلي الله عليه وسلم على ما كان عليه وهذا المنبر أعنى الرخام أقصر من امتداد المنبر المحترق فى الارض بنحو ثلاثة أرباع ذراع وعدد درجه مع مجلسه كالمحترق ومحل عود المنبر الاصلى منه مما يلى الروضة وهو الذى كان باعلاه رمانة المنبر النبوى قبل عمود هذا المنبر بازيد من قيراط وذلك علي نحو ذراعين وشئ من طرف المنبر المذكور من القبلة (وقد) اشتهر محله من أحجار الدكة المذكورة بسبب تحريف المنبر المذكور بحيث تغيرت حدود الروضة الشريفة ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وفى

يوم الجمعة يجعل على باب المنبر ستر من حرير اسود مرقوم بحرير أبيض وقد قدمنا أول من كسا المنبر (وأسند) ابن زبالة عن هشام بن عروة ان ابن الزبير كان يلبس منبر النبى صلى الله عليه وسلم القباطى فسرقت امرأة قبطية فقطعها وقال ابن النجار ولم يزل الخلفاء الى يومنا هذا يرسلون فى كل سنة ثوبا من الحرير الاسود له علم ذهب يكسي به المنبر قال ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا علي أبواب الحرم (قلت) قد استقر الامر بعد قتل الخليفة المستعصم على حمل الكسوة من مصر كما قاله الزين المراغي قال والابواب مستقلة اليوم ستور قال وانما يظهرونها في أوقات المهمات كقدوم أمير المدينة وذكر ماسيأتي فى كسوة الحجرة من وقف قرية بمصر على ذلك وعلى كسوة الكعبة الشريفة فالكعبة تكسى كل عام مرة والحجرة والمنبر في كل ست سنين مرة (وقال) المجد والمنبر يحمل له في كل سبعة أعوام أونحوها من الديار المصرية كسوة معظمة ملوكية يكساها من الجمعة الى الجمعة ورايتان سوداوان ينسجان أبدع نسج يرفعان امام وجه الخطيب فى جانبى المنبر قريبا من الباب (قلت) في زماننا تمضى السبع سنين والعشر وأكثر من ذلك ولا تصل كسوة والذى يجعل اليوم على المنبر انما هو الستر المتقدم ذكره مع الرايتين اللتين ذكرها المجد والله أعلم

﴿ الفصل الخامس في فضائل المسجد الشريف ﴾

(قال) الله تعالى «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين» (روينا) في صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدري قال دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت لبعض نسائه فقلت يارسول الله أى المسجدين الذى أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا لمسجد المدينة (ولاحمد) والترمذى من وجه آخر عن أبى سعيد اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو هذا (و) في ذلك يعنى مسجد قبا خير كثير (وأخرجه) أحمد من وجه آخر مرفوعا وفي العتبية عن مالك مالفظه وقال المسجد الذى ذكر الله عز وجل انه أسس على التقوى من أول يوم الآية هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أى مسجد المدينة ثم قال أين كان يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

أليس في هذا ويأتونه أولئك من هنالك (وقد) قال الله سبحانه وتعالى «واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما» فانما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقد) قال عمر بن الخطاب لولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعته يريد أن يقدم القبلة وقال عمر بيده هكذا ماقدمتها ثم قدمها عمر موضع المقصورة الآن انتهى (قال) ابن رشد فى بيانه ماذهب اليه مالك مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (و) ذهب قوم الى انه مسجد قباء فاستدلوا بما روى ان الآية لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ان الله قد أثنى عليكم خيرا الحديث قال ولا دليل فيه لان أولئك كانوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان معمورا بالمهاجرين والانصار ومن سواهم قال واستدلال مالك بقول عمر المتقدم ظاهر لان الله تعالى لما ذكر فيه انه أسس على التقوى لم يستجز نقض بنائه وتبديل قبلته الا بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ورآه قد أراد ان يفعله (قلت) ماذكره مالك من كون مسجد المدينة هو المراد هو ظاهر ماقدمناه لكن قوله تعالى من أول يوم يقضى انه مسجد قباء لانه ليس المراد أول أيام الدنيا بل أول أيام حلوله صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة وذلك هو مسجد قباء الا ان يدعى ان النبي صلى الله عليه وسلم شرع في تأسيس مسجد المدينة أيضا من أول يوم قدومه لها أو يقال المراد من أول يوم تأسيسه (و) سيأتى فى مسجد قباء أشياء صريحة فى انه المراد فتعين الجمع بأن كلا منهما يصدق عليه انه أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه كما هو معلوم وانهما المراد من الآية لكن يشكل عليه كون النبى صلى الله عليه وسلم أجاب عند السؤال عن ذلك بتعيين مسجد المدينة وجوابه ان السر في ذلك انه صلى الله عليه وسلم أراد به رفع توهم ان ذلك خاص بمسجد قباء كما هو ظاهر مافهمه السائل وتنويها بمزية مسجده الشريف لمزيد فضله والله أعلم (وفي) الصحيحين حديث أبى هريرة لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (وعند) مسلم انما يسافر الى ثلاثة مساجد الكعبة ومسجدى ومسجد ايلياء (وعند) أبى داود بلفظ ومسجدى هذا (وفي) الكبير والاوسط للطبرانى برجال ثقات عن ابن عمر (و) برجال الصحيح عن أبي الجعد الضمرى لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وذكر نحو رواية

الصحيحين (وفي) صحيح ابن حبان ومسند أحمد والاوسط للطبرانى واسناده حسن من حديث جابر خير ماركبت اليه الرواحل مسجدى هذا والبيت العتيق (و) هو عند البزاز بلفظ خير ماركبت اليه الرواحل مسجد ابراهيم ومسجد محمد صلى الله عليه وسلم ورجاله رجال الصحيح الا عبد الرحمن بن أبى الزناد وقد وثقه غير واحد (وفى) الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى ماسواه من المساجد لا المسجد الحرام هذا لفظ البخارى زاد مسلم فاني آخر الانبياء وان مسجدى آخر المساجد (قلت) يريد آخر مساجد الانبياء كما نقله المحب الطبرى عن أبى حاتم والا فهو من أول مساجد هذه الامة واذا كانت الالف واللام هنا لمعهود وهو مساجد الانبياء فالالف واللام أيضا فى قوله فيما سواه من المساجد للعهد والمراد مساجد الانبياء فيتحصل من معناه ان الصلاة فى مسجده أفضل من الصلاة في سائر مساجد الانبياء بألف صلاة لا المسجد الحرام فيقتضى ذلك ان يكون الصلاة بمسجده أفضل من ألف صلاة في بيت المقدس لانه من جملة مساجد الانبياء ولم يستثن ويدل على ذلك مارواه البزار عن أبى سعيد قال ودع رسول الله صلي الله عليه وسلم رجل فقال له أين تريد قال أريد بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة في غيره الا المسجد الحرام (وأسنده) يحيى بزيادة تسمية الرجل فقال عن الارقم انه تجهز يريد بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبي صلي الله عليه وسلم يودعه وقال فيه فجلس الارقم ولم يخرج (وأسنده) ابن النجار عن الارقم بلفظه انى أريد الخروج الى بيت المقدس قال صلي الله عليه وسلم ولم قلت للصلاة فيه قال ههنا أفضل من الصلاة هناك ألف مرة (ورواه) الطبرانى برجال ثقات عن الارقم بلفظ صلاة ههنا خير من ألف صلاة ثم (وقد) روى أبو يعلى برجال ثقات عن ميمونة قالت يارسول الله أفتنا فى بيت المقدس قال أرض المحشر وأرض المنشر ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة أى في غيره من مساجد الانبياء قبله ومساجد غير الانبياء ماعدى المسجدين لقيام الدليل على ذلك فيكون الصلاة بمسجد المدينة خير من ألف ألف صلاة فيما سواه من المساجد لا المسجد الحرام والمسجد الاقصي فأما المسجد الاقصى فانها أفضل من الف صلاة فيه فقط ولا يعلم قدر زيادتها في

الفضل على ذلك الا الله تعالى ولمثل هذا تضرب أباط الابل ويستحق الرحلة ولا يعكر
على ذلك ما رواه أحمد برجال الصحيح عن أبي هريرة وعائشة قالا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة في مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد
الاقصى لأن المحفوظ انما هو استثناء المسجد الحرام وحديث أبي هريرة في الصحيح
خلا قوله الا المسجد الأقصي وهو معارض بما تقدم ولأن الهيثمى أورده في مجمع
الزوائد ثم قال رواه أحمد وأعاده بعد هذا بسنده فقال الا المسجد الحرام فاتضح بذلك
ماقلناه (وأما) المسجد الحرام فاختلف الناس في معنى استثنائه فذهب مالك في رواية شهب
عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة من أصحابه الى أن معنى الاستثناء ان الصلاة في مسجد
الرسول أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة
في مسجد النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الالف (وذهب) بعضهم
الى أن الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في مسجد مكة بمائة صلاة وحمل على
ذلك الاستثناء في الحديث المتقدم واحتجوا برواية سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة في ماسواه فيأتي
فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بألف (و) تعقب أن المحفوظ بالاسناد
المتقدم صلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه لا مسجد الرسول فانما
فضله عليه بمائة صلاة (قلت) وروى الطبراني في الأوسط عن عائشة مرفوعا صلاة في
المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في غيره لكن فيه سويد بن عبد العزيز (قال) البخاري
في حديثه نظر لا يحتمل وقد صح مايقتضى رد ماذهب اليه هؤلاء (فقد) روى أحمد
والبزار وابن خزيمة برجال الصحيح من طريق حبيب المعلم عن عطاء عن عبد الله بن
الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف
صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة
صلاة في هذا زاد ابن خزيمة يعنى في مسجد المدينة لكن لفظ البزار صلاة في مسجدى
هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه بمائة (و) هي محتملة
لأن يكون الضمير في فانه يزيد لمسجده أو للمسجد الحرام (وقد) صحح ابن عبد البر حديث
أحمد وقال هو الحجة عند التنازع نص في موضع الخلاف قاطع له عند من ألهم رشده

ولم تعل به العصبية قال ولا مطعن فيه الا لمتعسف لايعرج على قوله في حبيب وقد كان
الامام أحمد يعدله ويوثقه ويثني عليه وكان عبد الرحمن بن مهدى يحدث عنه ولم يرو
عنه القطان وروى عنه أئمة ثقات يقتدى بهم ومنهم من أعله باختلاف على عطاء لان
قوما يروونه عنه عن ابن الزبير وآخرين يروونه عنه عن ابن عمر وآخرين عنه عن جابر
ومن العلماء من يجعل مثل هذا علة في الحديث وليس كذلك لأنه يمكن أن يكون عن
عطاء عنهم والواجب أن لايدفع خبر نقله العدول الا بحجة (قال) البزار هذا الحديث قد
روى عن عطاء واختلف على عطاء فيه ولا نعلم أحدا قال بأنه يزيد علي مسجد المدينة
مائة الا ابن الزبير وقد تابع حبيبا المعلم الربيع بن صبيح فرواه عن عطاء عن ابن الزبير
ورواه عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن عمر ورواه ابن جريج عن عطاء بن أبي
سلمة عن أبي هريرة أو عائشة ورواه ابن أبي ليلى عن عطاء عن أبي هريرة انتهي (وقال) الذهبي
في مختصر سنن البيهقي اسناده صالح ولم يخرجه أصحاب السنن (قلت) هذا أمر آخر وهو
ان الحديث المذكور لما اختلف لفظه على وجهين أحدهما ليس نصا في الدلالة كما قدمناه
احتمل أن تكون الرواية في الواقع به ومن رواه بالوجه الآخر رواه بالمعني بحسب فهمه
الا أن وروده من الطرق الأخرى بذلك اللفظ توهن هذا الاحتمال وعلى تقدير ثبوته
فهو من ابن الزبير وهو أعرف بفهم مرويه لأن عبد الرزاق روى عن ابن جريج قال أخبرنى
سليمان بن عتيق وعطاء عن ابن الزبير أنهما سمعاه يقول صلاة في المسجد الحرام خير من مائة
صلاة فيه ويشير الى مسجد المدينة (وقال) قال ابن عبد البر ان رجال اسناد حديث ابن عمر
علماء أجلاء (ورواه) ابن وضاح عن ابن الزبير من كلام عمر بن الخطاب بنفسه (قال)
ابن حزم وسنده كالشمس في الصحة (و) روى ابن أبي خيثمة عن أبيه حدثنا مسلم عن
الحجاج عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال الصلاة في المسجد الحرام تفضل على مسجد
النبى صلى الله عليه وسلم بمائة ضعف قال فنظرنا فاذا هى تفضل على سائر المساجد بمائة
ألف صلاة قال ابن عبد البر وابن حزم فهذان صحابيان جليلان يقولان بفضل المسجد
الحرام على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ولا مخالف لهما من الصحابة فصار كالاجماع
منهم على ذلك (وفي) ابن ماجة من حديث جابر مرفوعا صلاة في مسجدى أفضل من
ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف

صلاة فيما سواه وفي بعض النسخ من مائة صلاة فيما سواه فعلى الاول معناه فيما سواه الا مسجد المدينة وعلى الثاني معناه من مائة صلاة في مسجد المدينة لما تقدم عن جابر (قلت) وقد روى مجي حديث الصحيحين المتقدم عن جبير بن مطعم بلفظ ان صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد غير الكعبة (وفي) رواية النسائى وغيره الا مسجد الكعبة ولهذا ذهب بعضهم الى أن المراد من المسجد الحرام الكعبة وبه قال العمراني من أصحابنا وغيره (وروى) البزار عن عائشة حديث أنا خاتم الانبياء ومسجدى خاتم مساجد الانبياء أحق المساجد أن يزار ويشد اليه الرواحل المسجد الحرام ومسجدى وصلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وروى) ابن ماجة مرفوعا برجال ثقات الا أبا الخطاب الدمشقي فهو مجهول صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذى يجمع فيه بخمس مائة صلاة وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وهو يقتضي أن الصلاة بمسجد المدينة مساوية لمسجد بيت المقدس وانهما معا على النصف من الصلاة بالمسجد الحرام وهو مخالف لما في الصحيح مع ان مفهوم العدد ليس بحجة فلا ينبغى ماثبت من الزيادة لمسجد المدينة على مسجد بيت المقدس سيما بالطريقة التى قدمناها (وفى) الطبرانى وهو حسن وفى بعض رجاله كلام عن أبي الدرداء مرفوعا الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدى بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة (ورواه) ابن خزيمة في صحيحه بنحوه والبزار وحسنه (وقال) المجد أخرجه الترمذى وقال حسن غريب قال ولا نعلم حديثا يشتمل على فضيلة الصلاة بالمساجد الثلاثة خصوصا سواه مما يصح عند الاعتبار معناه (قلت) لم أره فى الترمذى وقد ساقه ابن عبدالبر محتجا به وهو غير مانع مما قدمناه من كون الصلاة بمسجد المدينة أفضل من ألف صلاة بمسجد بيت المقدس لأن العدد لا ينفى الزائد وكذا حديث الأوسط للطبرانى برجال الصحيح عن أبى ذر تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما أفضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلي هو وقد يقال في ذلك كما قيل فى نظائره من احتمال

انه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا ببعض ذلك بحسب ما أوحي اليه ثم أعلم بالزيادة ويكون حديث الأقل قبل حديث الأكثر ثم تفضل الله بالاكثر شيأ بعد شئ ومحصله ماقررناه من الاخذ بالزائد ويحتمل أن ينزل تلك الاعداد على اختلاف الاحوال فالحسنة بعشر أمثالها الى غير نهاية (ونقل) الزركشى فى أعلام المساجد عن الكبير للطبرانى بسند فيه مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بعشرة أمثالها مائة ألف صلاة وصلاة الرجل فى بيت المقدس ألف صلاة وصلاة الرجل فى بيته حيث لا يراه أحد أفضل من ذلك كله (قلت) وهو ضعيف ولم يورده الهيثمى في مجمعه فى فضل الصلاة فى المساجد الثلاث (وهذه) المضاعفة المذكورة فى هذه المساجد لا تختص بالفريضة بل تعم الفرض والنفل كما قال النووى في شرح مسلم انه المذهب (قال) الزركشى وهو لازم تعليل الاصحاب استثناء النفل بمكة في الاوقات المكروهة بمزيد الفضيلة (وقال) الطحاوى من الحنفية هو مختص بالفرض وفعل النوافل بالبيت أفضل واليه ذهب ابن أبى زيد من المالكية وهو المرجح عندهم وفرق بعضهم بين ان يكون المسجد خاليا أم لا (فان قيل) كيف تقولون ان المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت الاصحاب ونص الحديث الصحيح على ان فعل النافلة في بيت الانسان أفضل (قلنا) لا يلزم من المضاعفة فى المسجد ان يكون أفضل من البيت كما قاله الزركشى وغيره (و) غاية الامر ان يكون فى المفضول مزية ليست في الفاضل ولا يلزم من ذلك جعله أفضل فان للافضل مزايا ان كان للمفضول مزية ولهذا بحث التاج السبكي مع أبيه فى صلاة الظهر بمنى يوم النحر اذا جعلنا مني خارجة عن محل المضاعفة هل يكون أفضل من صلاتها في المسجد لانه صلى الله عليه وسلم فعلها بمنى ومنذ أوفى المسجد للمضاعفة فقال والده بل في منى وان لم يحصل بها المضاعفة فان في الاقتداء بافعال النبى صلى الله عليه وسلم مايربوا على المضاعفة (على) ان الحافظ بن حجر ذكر مايقتضى اثبات المضاعفة للتنفل فى البيوت بالمدينة ومكة عملا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة نقال وقد تقدم النقل عن الطحاوى وغيره ان ذلك يعنى التضعيف مختص بالفرائض لحديث أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة (و) يمكن ان يقال لامانع من ابقاء الحديث على

عمومه فتكون النافلة في بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرهما وكذا في المسجدين وان كانت في البيوت أفضل مطلقا ثم ان التضعيف المذكور يرجع الى الثواب بتلك الاعداد لا الى الاجزاء باتفاق العلماء كما نقله النووي وغيره فلو كانت عليه صلوات فصلى في أحد المسجدين صلاة لم تجزه الا عن واحدة (وقد) أوهم كلام أبي بكر النقاش في تفسيره خلاف ذلك فانه قال حسبت الصلاة في المسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عمر خمسة وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة انتهى . وهذا مع قطع النظر عن التضعيف بالجماعة والسواك ونحوه لكن هل تجمع التضعيفات أولا محل بحث (قلت) وينبغي ان لا يختص هذا التضعيف بالصلاة بل سائر أنواع الطاعات كذلك قياسا على ماثبت في الصلاة كما صرحوا به في مسجد مكة المشرفة وصرح به فيما يتعلق بالمدينة صاحب الانتصار أبو سليمان داود من المالكية ثم رأيته في كلام الغزالي في الاحياء كما قدمناه في فضل الخصائص ويشهد له مافي الكبير للطبراني عن بلال بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان في ماسواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان (ونقل) المجد عن أبي الفرج الاموي انه أخرجه بسنده عن ابن عمر (قلت) ورواه ابن الجوزي في شرف المصطفى عن ابن عمر أيضا بلفظ صيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواها وصلاة الجمعة بالمدينة كالف صلاة فيما سواها (وروى) البيهقي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه الا المسجد الحرام وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواها الا المسجد الحرام (ورواه) أيضا عن ابن عمر بنحوه وهذه الاحاديث وان كانت ضعيفة فاذا ضمت الى ما قدمناه من القياس على الصلاة تم الاستدلال وقد قدمنا في حدود مسجده صلى الله عليه وسلم الخلاف المذكور في المراد بقوله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا وترجيح ان ذلك يتناول مازيد فيه (وروى) أحمد والطبراني في الاوسط ورجاله ثقات عن أنس بن مالك حديث من صلى في مسجدي أربعين صلاة زاد الطبراني لاتفوته صلاة كتب له براءة

من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق (تقدم هذا الحديث بدون زيادة الطبراني) وهو عند الترمذي بغير هذا اللفظ (وروى) ابن المنذر وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من حين يخرج أحدكم من منزله الى مسجدي فرجل تكتب حسنة ورجل تحط عنه خطيئة (وقال) البيهقي بعد ذكر حديث فضل مسجد قباء مالفظه (و) رواه يوسف بن طهمان عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد ومن خرج على طهر لايريد الا مسجدي هذا يريد مسجد المدينة ليصلي فيه كانت بمنزلة حجة (وقد) أسند ذلك ابن زبالة ومن طريقه ابن النجار عن سهل أيضا (وفي) اسناده ابن طهمان أيضا وهو ضعيف عند البخاري وابن عدي وذكره ابن حبان في الثقات (و) لفظ ابن زبالة من خرج على طهر لايريد الا الصلاة في مسجدي حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة (وأسند) هو ويحيي عن سهل بن سعد حديث من دخل مسجدي هذا يتعلم فيه خيرا أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذي يري مايعجبه وهو لغيره (وفي) رواية لهما عن عبد العزيز ابن أبي حازم عن أبيه من دخل مسجدي هذا لايدخله الا ليعمل خيرا أو يتعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى مايعجبه وهو في يدي غيره (وروى) ابن ماجة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاء مسجدي هذا لم يأته الا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر الى متاع غيره (ورواه) الطبراني من حديث سعد مرفوعا بمعناه الا انه قال من دخل مسجدي ليتعلم خيرا أوليعلمه (ورواه) ابن حبان في صحيحه بلفظ الطبراني لكن من حديث أبي هريرة (وأسند) ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل مسجدي هذا لصلاة أو لذكر الله أو يتعلم خيرا أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله ولم يجعل ذلك لمسجد غيره (و) عند يحيي أيضا عن كعب انه قال مامن مؤمن يغدوا ويروح الى المسجد لايغدو أولا يروح الا ليتعلم خيرا أو يعلمه أو يذكر الله أو يذكر به الا كان مثله في كتاب الله كمثل الجهاد في سبيل الله وما من رجل يغدوا أو يروح الى المسجد لايغدوا ولايروح الا لأخبار الناس وأحاديثهم الا كان مثله في

كتاب الله كمثل الرجل يرى الشيء يعجبه ويرى المصلين وليس منهم ويرى الذاكرين
وليس منهم (و) عنده أيضا عن أبي سعيد المقبري عن الثقة ان النبي صلي الله عليه
وسلم قال لااخال الا ان لكل رجل منكم مسجدا في بيته قالوا نعم يارسول الله قال
فوالله لو صليتم في بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم ولو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سنته
ولو تركتم سنته اذاً لضللتم (وفي) الصحيح من حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في غزوة خيبر من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدنا (قال) المكرمانى
قال التيمى قال بعضهم النهي انما هو عن مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة من
أجل ملائكة الوحى والاكثر على انه عام انتهي.(وقد) حكى ابن بطال القول بالاختصاص
عن بعض أهل العلم ووهاه والله أعلم

﴿ الفصل السادس فى فضل المنبر المنيف والروضة الشريفة ﴾

روينا في الصحيحين حديث عبد الله بن زيد المازنى رضي الله عنه ما بين بيتى
ومنبرى روضة من رياض الجنة زاد البخارى من حديث أبي هريرة ومنبرى على
حوضى (وروى) أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه على بن زيد وقد وثق عن جابر بن عبد
الله مرفوعا مابين بيتى الى منبرى روضة من رياض الجنة وان منبرى على ترعة من ترع
الجنة (وروى) أحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد مرفوعا منبرى على ترعة من
ترع الجنة وفيه تفسير الترعة بالباب وقيل الترعة الروضة تكون على المكان المرتفع
خاصة وقيل الدرجة (ورواه) يحيي عن أبى هريرة وغيره بلفظ على رتعة من رتع الجنة
وكذا هو فى رواية لرزين وظنه بعضهم تصحيفا فكتب في هامشه صوابه ترعة وليس
كذلك بل معناه صحيح اذا الرتع الاتساع فى الخصب والرتعة بسكون التاء وفتحها
الاتساع في الخصب وكل مخصب مرتع (وفي) الحديث اذا مررتم برياض الجنة
فارتعوا (و)روى البزار عن معاذ بن الحارث نحوه (وفي) الكبير للطبرانى من طريق
يحيي الحمانى وهو ضعيف عن أبى واقد الليثى مرفوعا قوائم منبرى رواتب فى الجنة
(ورواه) ابن عساكر وابن النجار ويحيى عن ام سلمة (وقال) المجد أخرجه عنها النسائى
(وفى) رواية لابن عساكر وضعت منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة و(أسند) يحيي

عن أبي المعلا الانصارى وكانت له صحبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على
المنبر ان قدمى على ترعة من ترع الجنة (وعن) أبى سعيد الخدرى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على منبره أنا قائم الساعة على عقر حوضي (وفى) رواية
له انى على الحوض الآن وأسند ابن زبالة عن نافع بن جبير عن أبيه حديث أحد
شقى المنبر على عقر الحوض فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها حق امرء مسلم
فليتبوأ مقعده من النار قال وعقر الحوض من حيث يصب الماء في الحوض (وفي) سنن
أبى داود من حديث جابر مرفوعا لايحلف أحد عند منبرى هذا على يمين آثمة ولو على
سواك أخضر الا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار (ورواه) ابن خزيمة وابن
حبان والحاكم وصححوه (وروى) النسائى برجال ثقات عن أبى أمامة ابن ثعلبة مرفوعا
من حلف عند منبرى هذا يمينا كاذبة استحل بها مال امرء مسلم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا (وفي) الاوسط للطبرانى وفيه ابن لهيعة
عن أبى سعيد الخدري مرفوعا منبرى على ترعة من ترع الجنة وما بين المنبر وبيت
عائشة روضة من رياض الجنة (وفي) الصحيحين حديث ابن عمر مابين قبرى ومنبرى
روضة من رياض الجنة (وروى) أحمد برجال الصحيح عن أبى هريرة وأبى سعيد
حديث مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى علي حوضى (وروى) البزار
برجال ثقات عن سعد بن أبي وقاص حديث مابين بيتى ومنبرى أوقبرى ومنبرى
روضة من رياض الجنة (وفى) الاوسط للطبرانى وفيه متروك عن أنس بن مالك
حديث ما بين حجرتي ومصلاى روضة من رياض الجنة (وفي) رواية لابن زبالة من
طريق عائشة بنت سعد عن أبيها مابين منبرى والمصلى (وفى) رواية مابين مسجدى الى
المصلى روضة من رياض الجنة (ورواه) أبو طاهر بن المخلص فى انتقائه ويحيي في اخبار
المدينة بلفظ مابين بيتى ومصلاى روضة من رياض الجنة قال جماعة المراد به مصلى العيد
وقال آخرون مصلاه الذى يصلى فيه فى المسجد كذا قاله الخطابى (قلت) ويؤيد الأول
ان فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيي عن أبيه يحيي عقب الحديث المذكور مالفظه
قال أبى سمعت غير واحد يقولون ان سعدا لما سمع هذا الحديث من النبى صلى الله عليه
وسلم بني داره فيما بين المسجد والمصلى (وكذا) ما سيأتى في مصلي العيد من رواية ابن

شبة عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص (قت) وهو شاهد لما سيأتي من عموم الروضة لجميع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولما زيد فيه من جهة المغرب (ورو .) عبد الله ابن أحمد في زوائد المسند برجال الصحيح الا ان فيهم لبحا وقد روى له الجماعة (وقال) الحاكم اتفاق الشيخين عليه يقوى أمره (وقال) الساجي ذكره ابن حبان في الثقات وقال الدارقطني فليح يختلفون فيه (وقال) بعضهم انه كثير الخطأ عن عبد الله بن زيد المازني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين هذه البيوت يعني بيوته الى منبري روضة من رياض الجنة والمنبر على ترعة من ترع الجنة (وقد) اختلف في معنى ذلك فقال الخطابي معنى قوله ومنبرى على حوضى ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه وهذا قول الباقى (والثانى) ان منبره الذي كان يقوم عليه صلى الله عليه وسلم يعيده الله كما يعيد سائر الخلائق و يكون على حوضه فى ذلك اليوم واعتمد ذلك ابن النجار (وحكى) ابن عساكر القول بان المراد منبره بعينه الذى كان فى الدنيا ثم قال وهو أظهر وعليه أكثر الناس فتبع شيخه ابن النجار في ذلك (والثالث) أن المراد منبر يخلقه الله تعالى له في ذلك اليوم ويجعله على حوضه (قلت) ويظهر لى معنى رابع وهو ان البقعة التى عليها المنبر تعاد بعينها في الجنة ويعاد منبره ذلك على هيأة تناسب مافي الجنة فيجعل المنبر عليها عند عقر الحوض وهو مؤخره وعن ذلك عبر بترعة من ترع الجنة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأمته للترغيب في العمل لهذا المحل الشريف ليفضى بصاحبه الى ذلك وهذا في الحقيقة جمع بين القولين الاولين وسيأتى في الزيارة ماذكره ابن عساكر من أن الزائر يأتى المنبر الشريف و يقف عنده ويدعو واختلفوا أيضاً فى معني ماجاء فى الروضة الشريفة (قال) الحافظ بن حجر محصل ما أول به العلماء ذلك أن تلك البقعة كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل فيها من ملازمة حلق الذكر لاسيما في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون مجازا (أو) المعنى أن العبادة فيها تؤدى الى الجنة فيكون مجازا أيضا (أو) هو على ظاهره وان المراد أنها روضة حقيقة بأن ينقل ذلك الموضع الى الجنة ثم قال وهذه الاقوال على ترتيبها هذا فى القوة وهو محتمل لتقوية الاول أو الاخير والاخير أقواها عندى وهو الذى ذهب اليه ابن النجار ونقله البرهان بن فرحون فى منسكه عن

ابن الجوزى وغيره عن مالك فقال وقوله مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة حمله مالك رحمه الله علي ظاهره فنقل عنه ابن الجوزى وغيره أنها روضة من رياض الجنة تنقل الى الجنة وأنها ليست كسائر الارض تذهب وتفنى ووافقه علي ذلك جماعة من العلماء انتهي (ونقله) الخطيب بن حملة عن الدراوردى وصححه ابن الحاج فى مدخله لأن العلماء فهموا من ذلك مزية عظيمة لهذا المحل (ثم) رأيت في كلام الحافظ بن حجر ترجيحه في موضع آخر فقال فى الكلام على الحوض والمراد بتسمية ذلك الموضع روضة أن تلك البقعة تنقل الى الجنة فتكون روضة من رياضها أو أنها على المجاز لكون العبادة فيه تأول الى دخول العابد روضة الجنة ثم قال وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة والخبر مسوق لمزيد شرف تلك البقعة على غيرها انتهى (قلت) وأحسن من ذلك ماذهب اليه ابن أبى جمرة من الجمع بين هذا وما قبله ومنه استنبطنا ماقدمناه فى أمر المنبر فانه لم يعول علي ذكر المعني الاول وقال بعد ذكر المعنيين الاخيرين الاظهر والله أعلم الجمع بين الوجهين لان لكل منهما دليلا يعضده أما الدليل على ان العمل فيها يوجب الجنة فلما جاء في فضل مسجدها من المضاعفة ولهذه البقعة زيادة على باقى بقعه وأما الدليل على كونها بعينها في الجنة فلاخباره صلي الله عليه وسلم بأن المنبر على الحوض لم يختلف أحد من العلماء انه على ظاهره وانه حق محسوس موجود على حوضه (قلت) وفيه نظر لما قدمناه قال وقد تقرر في قواعد الشرع ان البقع المباركة مافائدة بركتها لنا والاخبار بذلك الا تعميرها بالطاعات قال ويحتمل وجها ثالثا وهو ان تلك البقعة نفسها روضة من رياض الجنة كما ان الحجر الأسود من الجنة فيكون الموضع المذكور روضة من رياض الجنة الآن ويعود روضة في الجنة كما كان ويكون للعامل بالعمل فيه روضة في الجنة قال وهو الاظهر لعلو مكانته عليه السلام وليكون بينه وبين الأبوة الابراهيمية في هذا شبه وهو انه لما خص الخليل بالحجر من الجنة خص الحبيب بالروضة منها (قلت) وهو من النفاسة بمكان وفيه حمل اللفظ على ظاهره اذ لا مقتضي لصرفه عنه ولا يقدح في ذلك كونها تشاهد على نسبة رياض الدنيا فانه ما دام الانسان في هذا العالم لاينكشف له حقائق ذلك العالم لوجود الحجب الكثيفة والله أعلم . وتخصيص ماأحاطت به البينية المذكورة بذلك اما تعبد واما لكثرة تردده صلى الله عليه وسلم بين بيته ومنبره وقرب

ذلك من قبره الشريف الذى هو الروضة العظمى كما أشار اليه ابن أبى جمرة أيضا (وقال) الجمال محمد الراسانى الريمي اتفقوا علي ان هذا اللفظ معقول المعني مفهوم الحكمة وانما اختلفوا فى ذلك المعنى ماهو فقيلى للفظ على حقيقته وان ذلك روضة من رياض الجنة بمعني انه بعينه نقل من الجنة أوانه سينقل اليها وقيل مجاز معناه ان العبادة فيه تؤدى الى الجنة أولما ينزل فيه من الرحمة وحصول المغفرة كما سمى مجالس الذكر رياض الجنة في حديث (اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) (و) في رواية لأبي هريرة (قلت) مارياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله أكبر وقال ابن عبد البر لما كان صلى الله عليه وسلم يجلس فى ذلك الموضع ويجلس الناس اليه للتعلم شبهه بالروضة لكريم ما يجتنى فيه وأضافها الى الجنة لأنها تؤول الى الجنة كقوله الجنة تحت ظلال السيوف أى انه عمل يدخل الجنة (وقال) الخطابي روضة من رياض الجنة بالطاعة فيه كقوله عائد المريض في مخرفة الجنة أى يرجي له بذلك مخرفة الجنة فأطلق اسم المسبب على سببه كقول (الجنة تحت أقدام الامهات) هذا مانقله الخطيب بن حملة من المعانى ثم يعقب الأخير بأنه لايبقي حينئذ لهذه الروضة مزية وقد فهم الناس من ذلك المزية العظيمة التى بسببها فضلها مالك على سائر البقاع (وقد) تعقب الجمال الريمى الخطيب في ذلك وقال أظهر المعانى تضعيف أجر الطاعات وتعليم الناس وجوه الخير لاتفاق الخطابي وابن عبدالبر عليه وهما عمدة الأمة فى فقه الحديث ولأن النظائر تؤيده وأما المعنيان الآخران فلم يعزهما الخطيب الى أحد فدل على ضعفهما ولم يذكر عياض القول بأن هذا الموضع بعينه نقل من الجنة وذكر ماعداه فدل على شذوذه لان مثل هذا طريقه التوقيف كما جاء فى الركن والمقام على ان القول به يؤدى الى انكار المحسوسات أوالضروريات وجواب ماذكره الخطيب ان المزية ظاهرة وهو ان العمل في النظائر المتقدمة يؤدى الى رياض الجنة والعمل فى هذا المحل يؤدى الى روضة أعلا من تلك الرياض (قلت) انما حمله على هذا ذهابه الى أن اسم الروضة يعم جميع مسجده صلي الله عليه وسلم وانه اذا ثبت لما زيد فيه حكم المضاعفة تعدى ذلك اليه فاختار كون التسمية بذلك مجازية ووضع فى ذلك كتابا سماه (دلالات المسترشد على ان الروضة هى المسجد) وقد صنف الشيخ صفى الدين الكازرونى المدني مصنفا في الرد عليه (و) قد لخصتهما مع سلوك

طريق الانصاف بينهما في كتابي الموسوم (بدفع التعرض والانكار لبسط روضة المختار) (وسنذكر) الصواب فى ذلك واستدلاله على ضعف القول بأن ذلك الموضع بعينه نقل من الجنة بأن عياضا لم يذكره عجيب لاحتمال انه لم يطلع عليه وقوله أن ذلك طريقة التوقيف كما جاء فى الركن (فنقول) أى توقيف أعظم من اخبار الصادق المصدوق بذلك وهو المخبر بأمر الركن والمقام والأصل في الاطلاق الحقيقة فكيف سلمه فى الركن والمقام ولم يسلمه هنا والذى فهمه العلماء من الحديث ان هذا الموضع روضة سواء كان بهذا كرون ومصلون أم لم يكن بخلاف حلق الذكر مثلا فان ذلك يزول عنها بقيامهم فالروضة ماهم فيه بخلاف هذه ولهذا فسر الرتع هناك بالذكر والمراد في حديث (الجنة تحت أقدام الامهات) أن لزوم خدمتهن تؤدى اليها وقوله ان القول بذلك يؤدى الي ماذكره عجيب وقد قدمنا السبب المانع من شهود ذلك على حقيقته وأى حسن أحسن من القول بأن ذلك روضة من الجنة أكرم الله به نبيه ويؤيده أحاديث المنبر المتقدمة وما سيأتى فى أحد وعير اذ لم يقل أحد ان المراد ان المتعبد عند أحد يفضى به ذلك الى الجنة والمتعبد عند عير يفضي به ذلك الى النار (وأما) قوله فى بيان المزية أن العمل فى ذلك المحل يؤدى الى روضة أعلا فليس فى الحديث وصفه بأنه أعلا الرياض بل أطلق ذلك فاذا ثبت ذلك لغيره فلا خصوصية بل قد يقول الذاهب الى تفضيل مكة ان العمل فيها يؤدي الى روضة أعلا وأفضل ولظهور مزية تلك البقعة على غيرها بذلك استدل به بعض الأئمة على تفضيل المدينة على مكة باضافة حديث (لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير من الدنيا ومافيها) وتعقبه ابن حزم بأن جعلها من الجنة انما هو علي سبيل المجاز اذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة «ان لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى» قال وانما المراد ان الصلاة فيها تؤدى الى الجنة كما يقال فى اليوم الطيب هذا يوم من أيام الجنة (قلت) لا يلزم من ثبوت عدم الجوع والعرى لمن حل في الجنة ثبوته لمن حل فى شئ أخرج منها اذ يلزمه أن ينفى بذلك عن حجر المقام كونه من الجنة حقيقة ولا قائل به (ومسئلة) عموم الروضة لجميع مسجده صلى الله عليه وسلم ذات خلاف (فقد) قال الاقشهرى سئل أبوجعفر بن نصر الداودى المالكي عن قوله مابين بيتى ومنبرى روضة فقال هو روضة كله ونقل الريمى عن الخطيب بن حملة انه قال قوله ما بين بيتى مفرد مضاف قد يفيد العموم فى بيوته ثم ذكر بيان مكان بيوته

ثم قال ولهذا قال السمعاني في آماليه لما فضل الله مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفه وبارك في العمل فيه وضعفه سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة فتراه جعل المسجد كله روضة والمشهور ان المراد بيت خاص وهو بيت عائشة رضي الله عنها للرواية الاخرى (مابين قبرى ومنبرى)(قال) ابن خزيمة أراد بقوله ما بين بيتى الذي أقبر فيه اذ النبى صلى الله عليه وسلم قبر في بيته الذي كانت تسكنه عائشة (قال) الخطيب فعلى هذا تسامت يعنى الروضة حائط الحجرة من القبلة والشمال من جهة الحجرة ولا تزال تقصر الى جهة المنبر أو توجد المسامتة مستوية فلينظر هذا كله كلام الخطيب (قلت) فتلخص من ذلك ثلاثة أراء (الاول) أنها المسجد الموجود في زمنه صلى الله عليه وسلم (الثانى) أنها ماسامت المنبر والحجرة فقط فتتسع من جهة الحجرة وتضيق من جهة المنبر لما تقدم في مقداره وتكون منحرفة الاضلاع لتقدم المنبر في جهة القبلة وتأخر الحجرة في جهة الشام فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعاه على قدر المنبر (الثالث) أنها ماسامت كلا من طرفي الحدين فتشمل ماسامت المنبر من مقدم المسجد في جهة القبلة وان لم يسامت الحجرة ويشمل ماسامت الحجرة من جهة الشمال وان لم يسامت المنبر فتكون مربعة وهى الاروقة الثلاثة رواق المصلى الشريف والرواقان بعده وذلك هو مسقف مقدم المسجد في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه قد تحررلنا في هذه العمارة التي أدركناها ان صف اسطوان الوفود وهى التى كانت الى رحبة المسجد كما سيأتى واقع خلف الحجرة سواء حتى ان الاسطوانة التى تلى مربعة القبر في صفها الداخلة في الزور بعضها داخل في جدار الحجرة الشامى كما سيأتى بيانه (وأما) أدلة هذه الاقوال فقد استدل الريمى للاول بأشياء غالبها ضعيف مبناه على ان اطلاق الروضة من قبيل المجاز لما في ذلك من المضاعفة ونحوه (و) أحسنها ما أشار اليه الخطيب بن حملة وأيده الريمي بأشياء فقال قوله (بيتى) من قوله (مابين بيتى) مفرد مضاف فيفيد العموم في سائر بيوته صلى الله عليه وسلم وقد كانت بيوته مطيفة بالمسجد من القبلة والمشرق وفيه بيت عائشة والشام كما سيأتى عن ابن النجار وغيره ولم يكن منها في جهة المغرب شئ فعرف الحد من تلك الجهة بالمنبر الشريف فانه كان في آخر جهة المغرب بينه وبين الجدار يسير لان آخره من تلك الجهة الاسطوانة التي تلى المنبر والمنبر على ترعة من ترع

الجنة فقد حدد الروضة بحدود المسجد كلها (قلت) وهو مفرع على ماذكره ابن النجار في تحديد المسجد من جهة المغرب وقد مشيت عليه في تواليفى قبل ان أقف على ماقدمته في حد المسجد وقد مشى على ذلك الزين المراغي فقال ينبغى اعتقاد كون الروضة لاتختص بما هو معروف الآن بل تتسع الى حد بيوته صلى الله عليه وسلم من ناحية الشام وهو آخر المسجد في زمنه صلى الله عليه وسلم فيكون كله روضة وهذا اذا فرعنا على ان المفرد المضاف للعموم وقد رجحه في كتب الأصول جماعة ثم ذكر ماتقدم (قلت) وفاتهم الجميع الاستدلال بحديث زوائد مسند أحمد المتقدم بلفظ (مابين هذه البيوت) يعنى بيوته (الى منبرى روضة من رياض الجنة) والعجب ان المعتنين بأمر الروضة لم يذكروه مع ان فيه غنية عن التمسك بكون المفرد المضاف يفيد العموم فقد ناقش الصفى الكازروني في ذلك بأشياء (منها) ان رواية (مابين قبرى ومنبرى) بينت المراد من البيت المضاف (قلت) ليته قال رواية (مابين المنبر وبيت عائشة) لانه يلزم عليه أن يكون الروضة بعرض القبر فقط والتخصيص بذلك بعيد ومن قال أن المراد من البيت القبر ليس مراده والله أعلم الا أن رواية القبر لعدم ابهامها تعين البيت ولعله مراد الصفى ولهذا قال الطبرى واذا كان قبره صلى الله عليه وسلم في بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف انتهى (و) لك أن تقول رواية قبرى ورواية حجرة عائشة من قبيل أفراد فرد من العام وذكر بحكم العام ولا هو يقتضى التخصيص على الاصح بل يقتضي الاهتمام بشأن ذلك الفرد على ان القرطبى قال الرواية الصحيحة بيتى ويروى قبرى وكأنه بالمعنى والله أعلم (ومنها) أن القرافي حمل اطلاق عموم اسم الجنس على مايقع منه على القليل والكثير كالماء والمال بخلاف مالا يصدق الا على الواحد كالعبد والبيت والزوجة فلا يعم ولهذا لوقال عبدى حر أوامرأتى طالق لايعم سائر عبيده ونسائه قال ولم أره منقولا (قلت) قال التاج السبكى خالف بعض الأئمة في تعميم اسم الجنس المعروف والمضاف والصحيح خلافه وفصل قوم بين أن يصدق على القليل والكثير فيعم أولا فلا واختاره ابن دقيق العيد انتهى. فقد جعل مابحثه القرافي وجهاً ثالثاً مفصلا وذلك يأبى حمل اطلاق المطلقين عليه فما بحثه منقول لكن الصحيح خلافه وما استدل به من عدم عموم عبدى حر وامرأتي طالق جوابه من أوجه ذكرناها في دفع التعرض وأحسنها ما أشار اليه الاسنوى من أن عدم العموم

فى ذلك لـكونه من باب الايمان والايمان يسلك فيها مسلك العرف انتهي (و) نقل الازرقي في نفائسه عن ابن عبدالسلام انه قال الذى تبين لى طلاق الجميع وعتق الجميع وفي كتب الحنابلة نص أحمد على انه لوقال من له زوجتان أوعبيد زوجتى طالق أوعبدى حر ولم ينو معينا وقع الطلاق والعتق على الجميع تمسكا بالقاعدة المذكورة فقدجرى ابن عبدالسلام والحنابلة على مقتضي ذلك فهذه الطريقة من أحسن الأدلة ولـكن على شمول الروضة لما بين المنبر والبيوت الشريفة فهو رأى آخر وقد قدمنا من الحديث مايصرح به ويؤيده ما أشار اليه الريمى من أن المقتضي لـكون ذلك روضة كثرة تردده صلى الله عليه وسلم فيه وكان يصلى قبل تحويل القبلة في طرفه الذى يلى الشام ومتهجده كما سيأتى فى جهة المشرق الى الشام أيضا ومنبره الشريف فى نهاية هذا الموضع المحدود من جهة المغرب ومصلاه الشريف بمقدمه وبه الاساطين الآتية ذوات الفضل (وأما) الرأى الثانى فدليله التمسك بظاهر لفظ البينية الحقيقية وحمل البيت علي حجرة عائشة رضى الله عنها ويضعفه أن مقدم المصلى الشريف يلزم خروجه عن اسم الروضة حينئذ لخروجه عن موازاة طرفي المنبر والحجرة مع ان الظاهر أن معظم السبب فى كون ذلك روضة تشرفه بجبهته الشريفة على اني لم أر هذا القول لأحد وانما أخذته من تردد الخطيب بن حملة المتقدم (وأما) الرأى الثالث فهو ظاهر ماعليه غالب العلماء وعامة الناس ووجهه حمل البيت على مافي الرواية الأخرى من ذكر حجرة عائشة وجعل ماتقدم في أمر خروج مقدم المصلى الشريف دليلا على ان المراد من البينية ماحاذى واحدا من الطرفين وان المراد مقدم المسجد المنتهي من جهة مؤخر الحجرة الشريفة لصف اسطوان الوفود كما قدمناه وفي كلام الاقشهرى اشارة له وهذا انما علمناه فى العمارة التى سنذكرها ولم يكن معلوما قبل ذلك ولهذا قال المجد في الباب الاول فى فصل الزيارة من كتابه ما لفظه ثم يأتى يعني الزائر الى الروضة المقدسة وهى ما بين القبر والمنبر طولا ولم أر من تعرض له عرضا والذي عليه غلبة الظنون انه من المحراب الى الاسطوانة التى تجاهه وأنا لا أوافق على ذلك وقد بينته في موضعه من هذا الـكتاب وذكرت أن الظاهر من لفظ الحديث يقتضى أن يكون أكثر من ذلك لأن بيت النبى صلى الله عليه وسلم بجميع مرافق الدار كان أكثر من هذا المقدار انتهي. ولم يذكر فى الموضع الذى أحال عليه شيأ وقوله من المحراب الى الاسطوانة

التى تجاهه كأنه يريد به الاسطوان المخلق وما حاذاها فتكون الروضة على ذلك التقدير الرواق الاول منها فقط وهو غلط لأن الحجرة الشريفة متأخرة عن ذلك لجهة الشام وصف الاسطوان المذكور محاذ لطرف جدارها القبلى وقال ابن جماعة قد تحرر لى طول الروضة ولم يتحرر لى عرضها يريد أن طولها من المنبر الى الحجرة وهو كما قال ابن زبالة ثلاثة وخمسون ذراعا وشبرا وقال في موضع آخر أربعة وخمسون ذراعا وسدس (قلت) وما ذكره أولا أقرب الى الصواب كما اختبرناه فاني ذرعت بحبل من صفحة المنبر القبلية الى طرف صفحة الحجرة القبلية فكان ثلاثة وخمسين ذراعا (وذكر) ابن جماعة ذراعا أقل من هذا وكأنه ذرع على الاستقامة ولم يعتبر الفرع من الطرفين المذكورين فقال وذرعت ما بين الجدار الذى حول الحجرة الشريفة وبين المنبر فكان أربعا وثلاثين ذراعا وقيراطا بذراع العمل (قلت) وذلك نحو اثنين وخمسين ذراعا بذراع اليد الذى قدمنا تحريره وأما قول من قال أن طول الروضة اليوم ينقص عن خمسين ذراعا بثلثى ذراع فلا وجه له الا أن يكون اعتبر بذراع اليد المفرط الطول والله أعلم (وأما) نهاية الحجرة فلم تكن معلومة لابن جماعة وغيره وعليها يتوقف بيان العرض ولهذا قال الريمى لاندرى الحجرة في وسط البناء المحيط بها أم لا ولا ندرى الى أين ينتهى امتدادها وغالب الناس يعتقدون أن نهايتها في محاذات اسطوان علي رضى الله عنه ولهذا جعلوا الدرابزين الذى بين الاساطين ينتهى الى صفها واتخذوا الفرش لذلك فقط والصواب ماقدمناه فقد انجلى الامر ولله الحمد

﴿ الفصل السابع فى الاساطين المنيفة ﴾

(منها) الاسطوان الذى هو علم علي المصلى الشريف ويعرف بالمخلق وقد قدمنا قول ابن زبالة المخلق نحو من ثلثيها وقول ابن القاسم أن المصلى الشريف حيث الاسطوان المخلق وبينا ان المراد أنها أقرب اسطوان اليه وان الجذع الذى كان يخطب اليه صلى الله عليه وسلم ويتكئ عليه كان هناك وان الاسطوان الموجود اليوم متقدم على المحل الاول وان المحل الاصلي هو موضع كرسى الشمعة التى عن يمين الامام الواقف في المصلى الشريف فمن أراد التبرك بذلك فليصل هناك (وروى) ابن زبالة عن يزيد بن عبيد انه كان يأتى مع سلمة بن الاكوع الى سبحة الضحى فيعمد الي الاسطوان دون المصحف فيصلى قريبا منها فأقول لا تصلى ههنا وأشير له الى بعض نواحى المسجد فيقول انى رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى هذا المقام وهذا الحديث فى الصحيحين ولفظ البخارى
كنت آتى مع سلمة بن الاكوع فيصلى عند الاسطوان التى عند المصحف فقلت يا أبا
سلمة أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة قال فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتحرى الصلاة عندها (ولفظ) مسلم عن سلمة انه كان يتحرى موضع المصحف يسبح
فيه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحرى ذلك وقد قدمنا فى الكلام على
المصلى الشريف ما يبين ان المراد هذه الاسطوانة (ومنها) اسطوان القرعة وتعرف
باسطوان عائشة رضي الله عنها وبالاسطوان المخلق أيضا وباسطوان المهاجرين (روينا)
فى كتاب ابن زبالة عن اسماعيل بن عبد الله عن أبيه ان عبد الله بن الزبير ومروان
ابن الحكم وثالثا كان معهما دخلوا على عائشة رضي الله عنها فتذاكروا المسجد فقالت
عائشة انى لأعلم سارية من سوارى المسجد لو يعلم الناس مافي الصلاة اليها لاضطربوا
عليها بالسهمان فخرج الرجلان وبقى ابن الزبير عند عائشة فقال الرجلان ما تخلف الا
ليسألها عن السارية ولئن سألها لتخبرنه ولئن أخبرته لا يعلمنا وان أخبرته عمد لها اذا خرج
فصل اليها فاجلس بنا مكانا نراه ولا يرانا ففعلا فلم ينشب أن خرج مسرعا فقام الى
هذه السارية فصلي اليها متيامنا الى الشق الأيمن منها فعلم انها هى وسميت اسطوانة عائشة
بذلك وبلغنا ان الدعاء عندها مستجاب هذا لفظ ابن زبالة (وفي) الاوسط للطبرانى عن عائشة
رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى مسجدى لبقعة قبل هذه
الاسطوانة لو يعلم الناس ماصلوا فيها الا أن تطير لهم قرعة وعند عائشة جماعة من أبناء
الصحابة فقالوا يا أم المؤمنين وأين هى فاستعجمت عليهم فمكثوا عندها ساعة ثم خرجوا
وثبت عبدالله بن الزبير فقالوا انها ستخبره بذلك المكان فأرقبوه في المسجد حتى تنظروا
حيث يصلى فخرج بعد ساعة فصلى عند الاسطوانة التي صلى اليها عامر بن عبد الله بن
الزبير فقيل لها اسطوانة القرعة (قال) عتيق وهي الاسطوانة التى واسطة بين القبر والمنبر
عن يمينها الى المنبر اسطوانتان وبينها وبين القبر اسطوانتان وبينها وبين الرحبة اسطوانتان
وهي واسطة بين ذلك وهي تسمى اسطوانة القرعة هذا لفظ الاوسط (وقال) ابن زبالة
حدثنى غير واحد من أهل العلم منهم الزبير بن حبيب ان الاسطوان التى تدعى اسطوان
عائشة هى الثالثة من المنبر والثالثة من القبر والثالثة من القبلة والثالثة من الرحبة أى قبل

زيادة الرواقين الآتى ذكرهما المتوسطة للروضة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليها
بضع عشرة المكتوبة ثم تقدم الى مصلاه الذى وجاه المحراب في الصف الاوسط أى
الرواق الاوسط وان أبا بكر وعمر والزبير بن العوام وعامر بن عبد الله كانوا يصلون
اليها وان المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها وكان يقال لذلك المجلس مجلس
المهاجرين انتهى (وقد) ذكر ابن النجار هذه الرواية عن الزبير بن حبيب (و) زاد
وقالت عائشة فيها لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان فسألوها عنها
فابت ان تسميها فاصغى اليها ابن الزبير فسارته بشئ ثم قام فصلى الى التى يقال لها اسطوان
عائشة قال فظن من معه ان عائشة أخبرته انها تلك الاسطوانة فسميت اسطوان
عائشة قال وأخبرنى بعض أصحابنا عن زيد بن أسلم قال رأيت عند تلك الاسطوانة
موضع جبهة النبي صلى الله عليه وسلم ثم رأيت دونه موضع جبهة أبي بكر ثم رأيت دون
موضع جبهة أبي بكر موضع جبهة عمر ويقال الدعاء عندها مستجاب هذا لفظ رواية ابن
النجار عقب ما قدمناه من رواية ابن زبالة (وزاد) فيما ذكره ابن زبالة عقب قوله ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليها المكتوبة بضع عشرة ثم تقدم الي مصلاه اليوم
مالفظه وكان يجعلها خلف ظهره (قلت) ولم أره فى كلام غيره والظاهر ان مراده ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يستند اليها اذا جلس هناك لانه يجعلها خلف ظهره اذا
صلي لما ذكره عن زيد بن أسلم من انه رأى موضع جبهة النبي صلى الله عليه وسلم
عندها ووصف هذه الاسطوانة بالمخلقة يؤخذ مما تقدم عن ابن زبالة من قول أبي
هريرة وكان مصلاه صلى الله عليه وسلم الذى يصلى فيه بالناس الى الشام من مسجده
ان تضع موضع الاسطوان المخلقة خلف ظهرك ثم تمشى الى الشام الى آخر ما تقدم
(قلت) وهذه الاسطوان بصف الاساطين التى خلف الامام الواقف بالمصلى الشريف
وهي الثالثة من القبلة وكانت الثالثة أيضا من رحبة المسجد كما تقدم وذلك قبل ان يزاد
فى مسقف مقدم المسجد الرواقان الآتى بيانهما فى رحبته وبهما صارت خامسة من
الرحبة (ومنها) اسطوان التوبة وتعرف باسطوان أبي لبابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو
ابن عوف الاوسى أحد النقباء واسمه رفاعة وقيل غير ذلك سميت به لأنه ارتبط اليها حتى
أنزل الله توبته كما قدمناه في غزوة بنى قريظة وقال الاقشهرى اختلف أهل السير

والتفسير فى ذنب أبى لبابة فقال قوم كان من الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى غزوة تبوك (وقال) ابن هشام تبعا لابن اسحق سببه قضية بنى قريظة
واستشارتهم اياه (وأسند) يحيي عن عبد الرحمن بن يزيد قصته معهم وانهم قالوا له
أننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه وهو الذبح (وفى) رواية اخرى انه
لما جاءهم قام اليه الرجال واجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فكان
منه ما تقدم قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى حتى علمت انى خنت الله ورسوله
(قال) يحيي في الرواية المتقدمة فلم يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ومضي الى
المسجد وارتبط الى جذع فى موضع اسطوانة التوبة وأنزل الله عز وجل فيه «ياأيها
الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (وفى) رواية فربط
نفسه فى السارية وحلف لايحل نفسه حتى يحله رسول الله صلي الله عليه وسلم أو تنزل
توبته قال فجاءت فاطمة رضي الله عنها تحله فقال لا حتى يحلنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انما فاطمة بضعة مني (وفى) رواية لابن النجار
ان أبا لبابة عاهد الله تعالى ان لا يطأ بني قريظة أبدا وقال لايرانى الله في بلد خنت
الله ورسوله فيه أبدا وان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما بلغه خبره وكان قد استبطاه
أما لو جاءني لاستغفرت الله له فاما اذ فعل مافعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى
يتوب الله عليه فانزلت توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت ام سلمة قالت
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك فقلت مم تضحك أضحك
الله سنك قال تيب على أبي لبابة قلت الا ابشره بذلك يارسول الله قال بلى ان شئت
فقامت على باب حجرتها قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت ياأبا لبابة ابشر فقد
تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه قال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه خارجا الى صلاة الصبح أطلقه (وروى)
البيهقي فى الدلائل عن سعيد بن المسيب قصة أبى لبابة في بنى قريظة وانه تخلف في
غزوة تبوك فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه يسلم عليه فاعرض عنه ففزع أبو
لبابة فارتبط بسارية التوبة التي عند باب أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم سبعا
بين يوم وليلة في حر شديد لايأكل فيهن ولا يشرب قطرة (وروى) مالك بن أنس

عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ان ابا لبابة ارتبط اليها بسلسة ربوض والربوض الثقيلة
بضع عشر ليلة حتي ذهب سمعه فما يكاد يسمع وكاد بصره يذهب وكانت ابنته تحله
اذا حضرت الصلاة واذا أراد أن يذهب لحاجته حتى يفرغ ثم تأتى به فترده في
الرباط كما كان (وأورد) الزمخشرى قصة أبى لبابة في تفسير قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا
لاتخونو الله والرسول» الآية وقال فيها قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتي علمت انى قد
خنت الله ورسوله فنزلت أى الاية المتقدمة فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد
وقال والله لاأذوق طعاما ولا شرابا حتي أموت أو يتوب الله علىّ فمكث سبعة أيام
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه وذكر في القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه
فحله فقال ان من تمام توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وان انخلع
من مالى فقال عليه السلام يجزئك الثلث ان تتصدق به (ونقل) ابن النجار عن
ابراهيم بن جعفر ان السارية التى ربط اليها ثمامة بن اثال الحنيفي هى السارية التى ارتبط
اليها أبو لبابة (ونقل) ذلك أيضا عن ابن شبة (وروى) البيهقى عن ابن عباس في قوله
تعالى «وآخرون اعترفوا بذنوبهم» الآية قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما حضر رجوع النبى صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة
منهم أنفسهم بسوارى المسجد فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال من هولاء قالوا
هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك الحديث وفيه توبة الله عليهم وانه صلى الله عليه
وسلم أرسل اليهم وأطلقهم (وروى) ابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر عن محمد
ابن كعب ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يصلى نوافله الى اسطوانة التوبة (وفى)
رواية له عن عمر بن عبد الله لم يذكر ابن كعب انه قال في اسطوان التوبة كان أكثر
نافلة النبى صلى الله عليه وسلم اليها وكان اذا صلي الصبح انصرف اليها وقد سبق
اليها الضعفاء والمساكين وأهل الضر وضيفان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤلفة قلوبهم
ومن لامبيت له الا فى المسجد قال وقد يحلقوا حولها حلقا بعضها دون بعض فينصرف
اليهم من مصلاه من الصبح فيتلوا عليهم ماأنزل الله عليه من ليلته ويحدثهم ويحدثونه
حتى اذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغنى فلم يجدوا اليه مجلسا فتاقت
أنفسهم اليه وتاقت نفسه اليهم فأنزل الله تعالى« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم

بالغداة والعشى يريدون وجهه» الى منتهى الآيتين فلما نزل ذلك فيهم قالوا يارسول الله اطردهم عنا ونكون نحن جلساءك واخوانك ولا نفارقك فأنزل الله عز وجل «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه» الى منتهى الآيتين (وفى) العتبية عن مالك وصف اسطوان التوبة بالمخلقة وقد قدمنا في الكلام على المصلى الشريف ماذكره ابن زبالة من خلوقها وخلوق غيرها من الاساطين (وروى) ابن زبالة خبر مالك بن أنس المتقدم عن عبد الله بن أبى بكر بنحو ماتقدم وقال فيه وهى الاسطوان المخلق نحو من ثلثيها تدعا اسطوان التوبة منها حل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالبابة حين نزلت توبته وبينها وبين القبر اسطوان (وأسند) أيضا عن ابن عمر انه كان يقول في الاسطوان التى ارتبط اليها أبولبابة هى الثانية من القبر وهى الثالثة من الرحبة (قلت) كانت الثالثة من الرحبة قبل تجدد الاسطوانتين المشار اليهما فى اسطوانة القرعة بسبب تجدد الرواقين الآتى ذكرهما وهذه الاسطوانة الى جانب الاسطوانة المتقدم ذكرها من جهة المشرق فهى الرابعة من المنبر والثانية من القبر والثالثة من القبلة والخامسة في زماننا من رحبة المسجد وفيها اليوم هيئة محراب من الجص تتميز به عن سائر الاساطين لكنه أزيل في الحريق الثانى (وفهم) البدر بن فرحون من رواية ابن عمر المتقدمة أنها التى تلى هذه الاسطوانة في جهة المشرق وهى اللاصقة بالشباك اليوم كما سيأتى فقال ان اسطوان التوبة هى اللاصقة بالشباك على ماقاله عبدالله بن عمر وتبعه مالك بن أنس وما قيل أنها غيرها فغلط أوجبه أشياء يطول ذكرها انتهي كلامه (قلت) بل الصواب ماقدمناه في بيانها ومنشأ مافهمه عادة للاسطوانة اللاصقة بجدار القبر فحمل قول ابن عمر أنها الثانية من القبر وقول مالك بينها وبين القبر اسطوان على الاسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم وقد علم من كلامهم في اسطوان القرعة أنهم لا يعدون اللاصقة بجدار القبر لما تقدم من قولهم فيها أنها الثالثة من المنبر والثالثة من القبر ولو عدوا اللاصقة بجدار القبر لكانت الرابعة من القبر وأيضاً فاللاصقة بجدار القبر أحدثها عمر بن عبد العزيز ولم يدرك ذلك ابن عمر وأوضح من ذلك ان ابن زبالة قال ان بين اسطوان التوبة وبين جدار القبر الشريف عشرين ذراعا وقد اعتبرت ذلك من الاسطوانة التى ذكرناها فكان كذلك (وقال) أيضا فيما قدمناه عنه ان ذرع مابين مصلى النبى صلي الله عليه وسلم وبينها سبع عشرة ذراعا وقد

قدمنا في المصلى الشريف مايقتضى صحة ذلك عند اختبارنا لما بينهما مع بيان أن المصلى الشريف فى طرف الحفر الذى يلى المغرب وان جعل المصلي الشريف على تلك الهيئة حادث (وفى) نسخة من ابن زبالة تسع عشرة ذراعا بتقديم التاء فان صحت فقد علمت انه لم يكن المصلى الشريف في عهد ابن زبالة على هذه الهيئات بل كانت الارض مستوية فكأنه اعتبر الذراع من ابتداء طرف المصلى الشريف الغربى ومنه الى الاسطوان المذكور تسع عشرة ذراعا بتقديم التاء وأما ذرع مابين المصلى الشريف والاسطوانة التى يعنيها البدر فخمس وعشرون ذراعا فلا يصح ارادتها بوجه (وأسند) ابن زبالة ويحيي في بيان معتكف النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اعتكف طرح له فراشه ووضع له سرير وراء اسطوانة التوبة (وروى) ابن ماجة عن نافع ان ابن عمر أراه المكان الذى كان يعتكف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم روى عن نافع عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا اعتكف طرح له فراشه ووضع له سرير وراء اسطوانة التوبة (قال) البدر بن فرحون ونقل الطبرانى فى معجمه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن ذلك مما يلي القبلة يستند اليها (قلت) ورواه البيهقى بسند حسن ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اعتكف يطرح له فراشه أوسريره الى اسطوانة التوبة ممايلى القبلة يستند اليها (ونقل) عياض عن ابن المنذر أن مالك بن أنس كان له موضع في المسجد قال وهو مكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو المكان الذى كان يوضع فيه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف كذا قال الاويسى (ومنها) اسطوان السرير أسند ابن زبالة ويحيي فى بيان معتكف النبي صلى الله عليه وسلم عقب ذكر ماتقدم من وضع فراشه وسريره وراء اسطوان التوبة عن محمد بن أيوب انه كان للنبى صلى الله عليه وسلم سرير من جريد فيه سعفه يوضع بين الاسطوان التى تجاه القبر وبين القناديل كان يضطجع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) وهذه الاسطوانة هى اللاصقة بالشباك اليوم في شرقى اسطوان التوبة وابن فرحون يجعلها اياها كما تقدم ويؤيده ماتقدم فى اسطوان التوابة من ان سريره صلى الله عليه وسلم كان يوضع اليها الا ان يجاب بانه كان يوضع مرة عند هذه ومرة عند تلك بدليل انه تقدم فى اسطوان التوبة ان وضع ذلك كان مما يلى القبلة يستند اليها وذكر فى هذه انه كان

يوضع بينها و بين القناديل وذلك في جهة شرقيها (وقال) البدر بن فرحون روينا بالسند الصحيح الى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اعتكف يطرح له وسادة و يوضع له سرير من جريد فيه سعفه يوضع له فيما بين الاسطوان التي وجاه القبر الشريف و بين القناديل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع عليه قال أبو وحرة (بحاء مهملة) السعدى وهو يذكر السرير ويمتدح آل الزبير لقرب مجالسهم منه

واذا غدا آل الزبير غدا الندا ٭ واذا انتدى فاليهم ماينتدى
واذاهم راحوا فانهم هم ٭ أهل السرير وأهل صدر المسجد

(ومنها) اسطوان المحرس ويسمي اسطوان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه (قال) يحيى حدثنا موسى بن سلمة قال سألت جعفر بن عبد الله بن الحسين عن اسطوان على بن أبى طالب فقال ان هذه المحرس كان على بن أبى طالب يجلس في صفحتها التى تلى القبر مما يلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس النبى صلى الله عليه وسلم (قال) الجمال المطرى وتبعه من بعده وهو مقابل الخوخة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج منها اذا كان فى بيت عائشة الى الروضة للصلاة وهى خلف اسطوان التوبة من جهة الشمال (قلت) هى الاسطوان الذى يصلى عندها أمير المدينة يجعلها خلف ظهره ولذا قال الاقشهرى ان اسطوان مصلى على كرم الله وجهه اليوم أشهر من ان يخفى على أهل الحرم ويقصد الامراء الجلوس والصلاة عندها الى اليوم وذكر انه كان يقال لها مجلس القلادة لشرف من كان يجلس فيه وذلك انما هو فى اسطوان الوفود لما سيأتى (ومنها) اسطوان الوفود (قال) المطرى هى خلف اسطوان المحرس من جهة الشمال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس اليها لوفود العرب اذا جاءته وكانت مما يلي رحبة المسجد قبل ان يزاد في السقف القبلي الرواقان وكانت تعرف أيضا بمجلس القلادة يجلس اليها سروات الصحابة وأفاضلهم رضوان الله عليهم (وقال) الاقشهرى ومن خطه نقلت وأما الاسطوان الذى كان يجلس اليها صلى الله عليه وسلم لوفود العرب اذا جاءته فقال اذا عددت الاسطوان التى فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هى الثالثة انتهى وكأنه سقط من خطه فاءدد فقال وقد أخذه من تحفة ابن عساكر وقد رأيت في نسخة

معتمدة منها موضع بياض بعد فقال . وهذا مطابق لما تقدم عن المطرى لان الاسطوان التى فيها مقام جبريل هى مربعة القبر كما سيأتي و بينها و بين اسطوان الوفود المذكور اسطوان (وقال) ابن زبالة حدثنا غير واحد من أهل العلم منهم عبد العزيز بن محمد ان الاسطوان التي الى الرحبة التى فى صف اسطوان التوبة بينها وبين اسطوان التوبة مصلى على بن أبى طالب وانه المجلس الذى يقال له مجلس القلادة كان يجلس فيه سراة الناس قديما (وأورده) المجد وزاد فى آخره وانما سمي القلادة لشرف من كان يجلس اليها من بنى هاشم وغيرهم (ومنها) اسطوان مربعة القبر وسيأتي انه يقال لها أيضا اسطوان مقام جبريل عليه السلام وقد تقدم فيما نقله الاقشهرى فى اسطوان الوفود ما يشهد له وأسند ابن زبالة ويحيي عن سليمان بن سالم عن مسلم بن أبى مريم وغيره كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المربعة التى في القبر (قال) سليمان قال لى مسلم لاتنس حظك من الصلاة اليها فانها باب فاطمة رضي الله عنها الذى كان علي يدخل عليها منه (قلت) وهى في حائز عمر بن عبدالعزيز عند منحرف الصفة الغربية منه الى جهة الشمال فى صف اسطوان الوفود بينهما الاسطوانة اللاصقة بالشباك التي شرقى اسطوان الوفود وسيأتى لها مزيد بيان ان شاء الله تعالى (ومن) فضلها ما أسنده يحيي عن أبى الحمراء قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين صباحا يجيئ الى باب على وفاطمة وحسن وحسين حتي يأخذ بعضادتي الباب ويقول السلام عليكم أهل البيت «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» و(فى) رواية له رابطت بالمدينة سبعة أشهر كيوم واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى باب على كل يوم فيقول الصلاة الصلاة ثلاث مرات «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» (وقد) حرم الناس الصلاة الى هذه الاسطوان لادارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وغلق أبوابه (ومنها) اسطوان التهجد (أسند) يحيي عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج حصيرا كل ليلة اذا انكفت الناس فيطرح وراء بيت على ثم يصلى صلاة الليل فرآه رجل فصلى بصلاته ثم آخر فصلى بصلاته حتى كثروا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بهم فأمر بالحصير فطوى ثم دخل فلما أصبح جاءوه فقالوا يارسول الله كنت تصلي الليل فنصلى بصلاتك فقال انى خشيت ان

ينزل عليكم صلاة الليل ثم لا تقوون عليها (قال) عيسى بن عبد الله وذلك موضع الاسطوان التى على طريق باب النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى الزوراء (قلت) صحف بعضهم هذه اللفظة فقال مما يلى الدورة (و) رأيت بخط الاقشهرى لعله مما يلي دوره انتهى. والظاهر ان الرواية مما يلي الزور بالزاي يعنى الموضع المزور فى بناء عمر بن العزيز خلف الحجرة كما سيأتى والله أعلم (قال) عيسى وحدثنى سعيد بن عبد الله بن فضيل قال مرّ بى محمد بن الحنفية وأنا أصلى اليها فقال لى أراك تلزم هذه الاسطوانة هل جاءك فيها أثر قلت لا قال فالزمها فانها كانت مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل (قلت) تقدم في حدود المسجد النبوى مايقتضي ان الموضع المذكور كان خارج المسجد تجاه باب جبريل قبل تحويله الى محله اليوم وهو موافق لما سيأتي عن المؤرخين فى بيان موضع هذه الاسطوانة والمعروف من حاله صلى الله عليه وسلم ان قيامه فى غير رمضان انما كان فى بيته وهذا الموضع ليس منه وفيما سبق مع أحاديث قيام رمضان مايوهم ان القصة المذكورة كانت فيه (ففى) صحيح البخارى عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة قال حسبت انه قال من حصير فى رمضان فصلى فيها ليالى فصلى بصلاته ناس الحديث (ورواه) مسلم عنه بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلا حتى اجتمع اليه ناس فذكر نحوه (وفي رواية) لابى عوانة عن زيد اتخذ حجرة من حصير في المسجد فى رمضان الحديث ولعلها القبة التى كان يعتكف صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان (فقد) روى الطبرانى فى الكبير عن أبى ليلي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف في قبة من خوص (وفى) الكبير والاوسط عن معيقيب قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة من خوص بابها من حصير والناس في المسجد (وأسند) يحيى عن أبى حازم مولى الانصار قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد في رمضان في قبة على بابها حصير (وعن) ابن عمر قال بنى النبى صلى الله عليه وسلم بيتا من سعف فى المسجد فى آخر شهر رمضان يصلى فيه (وقال) المطرى فى بيان موضع هذه الاسطوانة هى خلف بيت فاطمة رضى الله عنها والواقف اليها يكون باب جبريل المعروف قديما بباب عثمان علي يساره وحولها الدرابزين أى لاصقا بها يمينا ويسارا وهو الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وعلي بيت فاطمة رضي الله

عنها (وقد) كتب فيها بالرخام هذا متهجد النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن النجار هذه الاسطوانة وراء بيت فاطمة من جهة الشمال وفيها محراب اذا توجه المصلى اليه كانت يساره الى باب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل (قلت) وقد جدد محرابها في هذه العمارة التى أدركناها أولا وزيد في رخامه فوق المحراب الاول وكتبوا فى ذلك بالرخام بروز الامر بتجديد عمارة الحجرة الشريفة من السلطان الاشرف قايتباى أعز الله أنصاره وان ذلك على يد الخواجا الجناب الشمسى بن الزمن وتاريخ العمارة المذكورة كل ذلك مكتوب بالرخام فى أعلا محراب الاسطوانة المذكورة (ثم) لما جاء الحريق الحادث بعد تمام هذا التأليف أزال ذلك كله ثم اقتضى رأيهم عند بناء الدعائم التى اتخذوها للقبة الحاذية لاعلا الحجرة والعقود التى خلفها ابدال هذه الاسطوانة بدعامة اتخذوا فيها محرابا وهذه الاسطوانة آخر الاساطين التى ذكرلها أهل التاريخ فضلا خاصا والا فجميع سوارى المسجد الشريف لها فضل (ففى) البخارى من حديث أنس قال لقد أدركت كبار أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يبتدرون السوارى عند المغرب (قال) ابن النجار فعلى هذا جميع سوارى مسجد النبى صلي الله عليه وسلم يستحب الصلاة عندها لانه لايخلوا ان كبار الصحابة صلوا اليها والله أعلم

﴿ الفصل الثامن في الصُّفة وأهلها وتعليق الاقناء لهم بالمسجد ﴾

(قال) عياض الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء ظلة في مؤخر مسجد النبى صلي الله عليه وسلم يأوى اليها المساكين واليها ينسب أهل الصفة على أشهر الاقاويل (وقال) الحافظ الذهبي ان القبلة قبل أن تحول كانت في شمالى المسجد فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الاعلى مكان أهل الصفة (وقال) الحافظ بن حجر الصفة مكان فى مؤخر المسجد النبوى مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لامأوى له ولا أهل وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر (وقد) سرد أسماءهم أبو نعيم في الحلية فزادوا على المائة (وقد) أخرج أبو نعيم في الحلية من مرسل الحسن قال بنيت صفة في المسجد لضعفاء المسلمين (وقال) المجد نقلا عن الدار قطنى الصفة هى ظلة كان المسجد في مؤخرها ثم قال المجد وذكر ابن جبير في رحلته عند ذكر قباء قال وفي آخر القرية تل مشرف يعرف بعرفات يدخل اليه على دار الصفة حيث كان عمار وسلمان وأصحابهما المعروفون بأهل الصفة

وكان هذا وهم والله أعلم (قلت) يظهر من قول عياض فيما قدمناه عنه على أشهر الاقوال أن في ذلك خلافا فيكون ماذكره ابن جبير أحد الاقوال لكنه مرجوح أو مأول بأن من ذكر من أهل الصفة اتخذوا تلك الدار بعد فاشتهرت بذلك (وقد) روى ابن سعد في مرسل يزيد بن عبدالله بن قسيط كان أهل الصفة ناسا فقراء لامنازل لهم فكانوا ينامون في المسجد لامأوى لهم غيره (وروى) البيهقي عن عثمان بن اليمان قال لما كثرت المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا مأوى أنزلهم رسول الله صلي الله عليه وسلم المسجد وسماهم أصحاب الصفة فكان يجالسهم ويأنس بهم (وأسند) يحيي عن فضالة ابن عبيد قال كنا نصلي مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فيخر قوم من قامتهم من الخصاصة حتى يقول الاعرابي مجانين وهم أهل الصفة فاذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون مالكم عندالله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة (وفي) صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن أبي بكر ان أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء وان النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس الحديث (وفيه) من حديث أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مامنهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوه فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (وفيه) من حديث أبي هريرة أيضا انه كان يقول والله الذى لااله الا هو ان كنت لأعتمد بكبدى على الارض من الجوع وان كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما في طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ماسألته الا ليستتبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف مافي نفسي وما في وجهي ثم قال أباهر قلت لبيك يارسول الله قال الحق فمضي فتبعته فدخل فاستأذن فاذن لي فدخلت فوجدنا لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن فقالوا أهداه لك فلان أوفلانة قال أباهر قلت لبيك يارسول الله قال الحق الى أهل الصفة فادعهم لي وأهل الصفة أضياف الاسلام لايأوون على أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة

كنت أحق ان اصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فلما جاؤا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى ان يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فاتيتهم فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فاذن لهم فاخذوا مجالسهم من البيت قال ياأبا هريرة قلت لبيك يارسول الله قال خذ فاعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فآخذه فاعطيه الرجل فيشرب حتي يروى ثم انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فاخذ القدح فوضعه على يده فنظر الى فتبسم وقال ياأبا هر قلت لبيك يارسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يارسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتي قلت لاوالذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمي وشرب الفضلة (وقد) وقع لأبي هريرة رضى الله عنه قصة أخري في تكثير الطعام مع أهل الصفة (وأخرج) ابن حبان من طريق مسلم بن حيان عن أبيه عنه قال أتت على ثلاثة أيام لم أطعم فجئت أريد الصفة فجعلت أسقط فجعل الصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى انتهيت الى الصفة فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقصعة من ثريد فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها فجعلت اتطاول كى يدعوني حتى قاموا وليس في القصعة الاشئ في نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصارت لقمة فوضعها على أصابعه فقال لى كل باسم الله فوالذى نفسى بيده مازلت آكل منه حتى شبعت (وروى) أبو نعيم في الحلية من حديث معاوية بن الحكم فقال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفة فجعل يوجه الرجل مع الرجل من الانصار والرجلين والثلاثة حتى بقيت في أربعة ورسول الله صلي الله عليه وسلم خامسنا فقال انطلقوا بنا فقال ياعائشة عشينا الحديث (وروى) أيضا من طريق نعيم المجمر عن أبي هريرة كنت من أهل الصفة وكنا اذا أمسينا حضرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فيأمر كل رجل فينصرف برجل أوأكثر فيبقى من بقي عشرة أوأقل أوأكثر فيؤتى النبى صلى الله عليه وسلم بعشائه فيتعشى معهم فاذافرغنا قال ناموا في المسجد (وروى) ابن شبة عن طلحة البصرى قال كان من قدم المدينة فكان له بها عريف نزل علي عريفه ومن لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت فيمن نزل الصفة فوافقت رجلين كان يجرى علينا في كل يوم مدين

من تمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداه رجل من أهل الصفة يارسول الله أحرق التمر بطوننا وتحرقت علينا الحرف فمال النبي صلي الله عليه وسلم الى منبره فحمد الله وأثنى عليه وذكر مالقى من قومه حتى ان كان ليأتي عليّ وعلى صاحبى بضعة عشر يوما مالنا طعام الا البرير فقدمنا على اخواننا من الانصار وجل طعامهم التمر فواسونا ولو أجد لكم الخبز واللحم لاطعمتكم ولكن لعلكم ستدركون زمانا أو من أدركه منكم يلبسون فيه مثل أستار الكعبة ويغدا ويراح عليكم بالجفان (وقال) ابن النجار روى أهل السير ان محمد بن مسلمة رأى أضيافا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقال ألا نفرق هذه الاضياف فى دور الانصار ونجعل لك فى كل حائط قنوا ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الاقوام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فلما جد ماله جاء بقنو فجعله في المسجد بين ساريتين فجعل الناس يفعلون ذلك وكان معاذ بن جبل يقوم عليه وكان يجعل حبلا بين الساريتين ثم تعلق الاقناء على الحبل ويجمع العشرين وأكثر فيهش عليهم بعصاة من الاقناء فيأكلون حتى يشبعون ثم ينصرفون ويأتى غيرهم فيفعل بهم مثل ذلك فاذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك (قلت) بوب البخارى للقسمة وتعليق القنو فى المسجد ولم يذكر فى الباب تصريحاً بتعليق القنو فأشار بذلك الى مارواه النسائى عن عوف بن مالك الاشجعي قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم وبيده عصا وقد علق رجل قنو حشف فجعل يطعن فى ذلك القنو ويقول لوشاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا ان رب هذه الصدقة يأكل حشفا يوم القيامة وليس على شرط البخارى وان كان اسناده قويا فأشار اليه بالتبويب ولم يذكره كعادته (وروى) ابن زبالة عن ابراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه أن ناسا كانوا يقدمون على النبى صلي الله عليه وسلم لاشئ لهم فقالت الانصار يارسول الله لوعجلنالك قنوا من كل حائط لهؤلاء قال أجل فافعلوا ففعلوا فجرى ذلك الى اليوم فهى الاقناء التي تعلق فى المسجد عند جدار النخل فيعطاها المساكين وكان عليها على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم معاذ بن جبل (وقال) يحيى حدثنى هرون بن موسي عن غير واحد من أهل المدينة أن الناس أصابتهم فى ثمارهم عاهة من العاهات في زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماعلى أحدكم لو بعث بقنو من نخله للمساكين فبعث ذلك الناس واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاقناء معاذ بن جبل فكان يمد حبلا بين جذعين ويعلق عليه الاقناء فرفع الله تلك العاهة فصارت سنة ولم تزل الأئمة عليها الى اليوم (وروى) يحيى أيضا عن عاصم بن سويد قال سمعت أبي يقول عويم بن ساعدة أتي بقنو الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتسى الناس به أهل العالية وأهل السافلة (و) أخرج ثابت فى الدلائل أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر من كل حائط بقنو يعلق في المسجد يعنى للمساكين (و) في رواية له وكان عليها معاذ بن جبل أى على حفظها أو على قسمتها والله أعلم

﴿ الفصل التاسع في الحجرة الشريفة وبيان احاطتها بالمسجد الشريف الا من جهة المغرب ﴾

قد تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما بنى مسجده الشريف بني بيتين لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل (قال) ابن النجار وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أوساج قال ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بنى لهن حجرا وهى تسعة أبيات وهى مابين بيت عائشة رضي الله عنها الى الباب الذى يلي باب النبى صلى الله عليه وسلم انتهى . ومراده بالباب الذى يلي باب النبي صلى الله عليه وسلم الباب الذى فى الجهة المقابلة له من المغرب وهو المعروف الآن بباب الرحمة وانما حملنا كلامه على ذلك لانه وقع فى كلامه استعمال الباب الذى يليه بمعنى الباب الذى يقابله ولانه قال عقبه قال أهل السير ضرب النبى صلى الله عليه وسلم الحجرات مابينه وبين القبلة والشرق الى الشام ولم يضربها في غربيه وكانت خارجة من المسجد مديرة به الا من المغرب وكانت أبوابها شارعة فى المسجد انتهى (و) كان الخطيب ابن حملة فهم من هذا اختلافا فى مواضع الحجر فقال قيل كانت كلها فى جهة المشرق وقيل في جهات المسجد ماعدى المغرب (قلت) ويرجح ماقررناه مارواه ابن الجوزى فى شرف المصطفى بسنده الى محمد بن عمر قال سألت مالك بن أبى الرجال أين كانت منازل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرنى عن أبيه عن أمه أنها كانت كلها فى الشق الايسر اذا قمت الى الصلاة الى وجه الامام فى وجه المنبر هذا أبعدها ولما توفيت زينب أدخل أى النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة بيتها انتهى ووجه المنبر ووجه الامام يعنى اذاقام على المنبر بجهة الشام في جهة الباب المعروف الآن بباب الرحمة قبل أن ينقل الى محله

اليوم وهو يقتضي انه لم يكن من الحجر شيء في جهة القبلة الا أن تكون الرواية الى وجه الاماء وفى وجه المنبر فيوافق ماتقدم عن أهل السير (وأسند) ابن زبالة عن محمد بن هلال قال أدركت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة في القبلة وفى المشرق والشام ليس فى غربي المسجد شيء منها وكان باب عائشة مواجه الشام وكان بمصراع واحد من عرعر أوساج (وأسند) يحيى من طريق الواقدي عن عبدالله بن يزيد الهذلى قال رأيت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبدالعزيز كانت من لبن ولها حجر من جريد مطرورة بالطين عددت تسعة أبيات بحجرها وهى مابين بيت عائشة الى الباب الذى يلى باب النبى صلي الله عليه وسلم الى منزل أسماء بنت حسن اليوم (قلت) وقوله الى الباب الذى يلى باب النبى صلي الله عليه وسلم قد تقدم مايؤخذ منه أن المراد به باب الرحمة وقوله الى منزل أسماء الى آخره يقتضى أن البيوت المذكورة كان بعضها خارجا عن سمت المسجد لان بيت أسماء المذكور كان فى مقابلة البـاب الذى كان يلى باب النساء من شاميه (ويبعد) أن يكون المسجد النبوى ممتدا الى تلك الجهة فى زمنه صلى الله عليه وسلم لكن سيأتى في بيت فاطمة رضى الله عنها مايصرح بأن بيتها كان ينتهى الى الباب المذكور فيحتمل أن المسجد كان ممتدا اليه ويحتمل أن بعض البيت المذكور لم يكن فى محاذاة المسجد على ان البخارى روى في صحيحه حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وعنده أزواجه فرجعن فقال لصفية بنت حيي لاتعجلى حتى انصرف معك وكان بيتها فى دار أسامة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم معها الحديث (وفي) رواية له عن صفية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقلبنى وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الانصار الحديث (وفي) رواية له انها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الاواخر من رمضان ثم قامت تنقلب فقام معها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ قريبا من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مر بهما رجلان من الانصار الحديث وهو يقتضى ان صفية لم يكن مسكنها في الحجر المحيطة بالمسجد (و) لم يتعرض ابن شبة لاتخاذ أسامة لدار وذكر ان أباه

اتخذ دارين أحديهما دخلت في المسجد لما زيد فيه ولعلها المرادة والله أعلم (و) لنرجع الى بقية ماأسنده يحيى عن عبد الله بن زيد قال ورأيت بيت أم سلمة زوج النبى صلي الله عليه وسلم وحجرتها من اللبن فسألت ابن ابنها فقال لما غزي رسول الله صلي الله عليه وسلم دومة الجندل بنت حجرتها بلبن فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى اللبن ودخل عليها أول نسائه فقال ماهذا البناء فقالت أردت يارسول الله ان أكف أبصار الناس فقال ياأم سلمة ان من شر ماذهب فيه مال المسلم البنيان (قال) الواقدى فحدثت بهذا الحديث معاذ بن محمد الانصارى فقال سمعت عطاء الخراسانى في مجلس فيه عمران بن أبى أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر أدركت حجرات أزواج النبى صلي الله عليه وسلم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمرنا بهدم حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فما رايت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم (قال) عطاء فسمعت سعيد بن المسيب يقول والله لوددت أنهم تركوها علي حالها ينشؤ ناشئ من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فيرى ماا كتفى به رسول الله صلي الله عليه وسلم فى حياته ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها (قال) معاذ فلما فرغ عطاء الخراسانى من حديثه (قال) عمران بن أبى أنس كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لاحجر لها على أبوابها مسوح الشعر ذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع فى ذراع وعظم الذراع فاما ماذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتنى فى المسجد وفيه نفر من أبناء أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة بن زيد وانهم ليبكون حتى أفضل لحاهم الدمع وقال يومئذ أبو أمامة ليتها تركت حتى ينقص الناس من البنيان ويروا مارضى الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الدنيا بيده (وروى) رزين عن عبد الله بن يزيد الهذلى قال رأيت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز يدخلها في المسجد مبنية باللبن حولها حجر من جريد ممدودة الاحجرة أم سلمة وذكر نحو ما تقدم باختصار (وقال) ابن الجوزى في الوفاء قال محمد بن عمر كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله وكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا نزل

له حارثة عن منزله حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه (قلت) وظاهره يخالف ماتقدم من أنه صلى الله عليه وسلم بنى أولا بيتين لزوجتيه وانه لما تزوج نساءه بنى لهن حجرا وظاهره انه كان كلما أحدث زوجة أحدث لها بناء حجرة فيحمل ما هنا على ان حارثة كان ينزل له عن مواضع المساكن وكان صلى الله عليه وسلم يبنيها (ونقل) الزركشى عن الشمس الذهبى انه قال لم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ولا أحسبه فعل ذلك انما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين ثم لم يحتج الى بيت آخر حتى بنى لعائشة رضى الله عنها في شوال سنة اثنين فكأنه صلى الله عليه وسلم بناها فى أوقات مختلفة انتهى . وهو مقتضي ماقدمناه غير انه مخالف لما قدمناه فى بيت عائشة رضى الله عنها لما تقدم انه بناه مع بناء المسجد وهو الظاهر لانها كانت حينئذ زوجته غير انه لم يبن لها فتأهب لذلك بأن بنى لها حجرتها (وذكر) الاقشهرى أن ابن عبدالبر روى من طريق الزبير بن بكار عن عائشة رضي الله عنها خبرا طويلا في قدومها المدينة قالت فيه ثم انا قدمنا المدينة فنزلت مع آل أبى بكر ونزل آل النبى صلى الله عليه وسلم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى مسجده وأبياتا حول المسجد فانزل فيها أهله فمكثنا أياما ثم قال أبو بكر يارسول الله ما يمنعك أن تبنى بأهلك قال الصداق فأعطاه أبو بكر اثنتى عشرة أوقية ونشا(١) فبعث بها الينا وبنى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى هذا الذي أنا فيه وهو الذى توفي فيه ودفن فيه (قلت) ولم أر فى كلام المؤرخين من تعرض للمشربة التى اعتزل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آلى من نسائه شهرا ومقتضى ذلك انه لم يكن بابها من بيت واحدة منهن ليتاتى عدم الدخول عليهن والذى في الصحيح قول حفصة هوذا في المشربة (وفي) رواية تسميتها علية وفي رواية غرفة وقد بوب عليه البخارى باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم نساءه في غير بيوتهن (وفي) رواية هو في خزانته فى المشربة (وفى) رواية فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشربة يرقى عليها بعجلة (وفي) رواية فدخلت فاذا انا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على أسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينحدر (وقال) السهيلى

(١) (النش) نصف أوقية وهو عشرون درهما

قال الحسن البصرى كنت أدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدى وكان لكل بيت حجرة وكانت حجره من أكسية من خشب عرعر (وورد) أن بابه صلي الله عليه وسلم كان يقرع بالاظافير أى لاحلق له (و) قال مالك كان المسجد يضيق عن أهله وحجر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة في المسجد (وقال) ابن سعد أوصت سودة بيتها لعائشة رضي الله عنها وباع أولياء صفية بنت حيي بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم واشترى معاوية من عائشة منزلها بمائة ألف وثمانين ألف درهم وقيل بمائتى ألف وشرط لها سكناها حياتها وحمل اليها المال فما قامت من مجلسها حتى قسمته وقيل بل اشتراه ابن الزبير من عائشة وبعث اليها خمسة أجمال تحمل المال وشرط لها سكناها حياتها ففرقت المال (وأسند) ابن زبالة عن هشام بن عروة قال ان ابن الزبير ليعتد بمكر متين مايعتد أحد بمثلهما أن عائشة أوصته ببيتها وحجرتها وانه اشتري حجرة سودة (قلت) وهذا يقتضى أن الحجر الشريفة كانت على ملك نسائه صلى الله عليه وسلم ويؤيده ماتقدم من تصرف أم سلمة وبنائها لحجرتها في غيبته صلى الله عليه وسلم ويعارضه ماتقدم من أن زينب بنت خزيمة لما توفيت أدخل النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بيتها وقد أضيفت البيوت فى القرآن العظيم مرة اليه صلى الله عليه وسلم ومرة اليهن والظاهر أن الاضافة الأولى هى الحقيقية لما تقدم من أن النبى صلى الله عليه وسلم بناها ولأنه كان يجب عليه اسكانهن غير ان لهن فيها بعده حق السكني لحبسهن لحقه صلي الله عليه وسلم (وقال) الزين بن المنير ان غرض البخارى حيث ترجم بقوله باب ماجاء فى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما نسب من البيوت اليهن وقول الله عز وجل «وقرن في بيوتكن» «ولا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم» أن يبين أن بهذه النسبة تحقيق دوام استحقاقهن البيوت مابقين لأن نفقتهن وسكناهن من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم والسر فيه حبسهن عليه انتهى . ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان قد ملك بعضهن بيتها أو ملكهن كلهن كما ذهب اليه بعضهم (قال) الطبرى قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم ملك كلا من أزواجه البيت التى هى فيه فسكن بعده فيهن بذلك التمليك وقيل انما لم ينازعن فى مساكنهن لأن ذلك من جملة مؤنتهن التى كان النبى صلى الله عليه وسلم استثناه لهن مما كان بيده

أيام حياته حيث قال ماتركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة (قال) الطبرى وهذا أرجح (ويؤيده) ان ورثتهن لم يرثوا عنهن منازلهن ولو كانت البيوت ملكا لهن لانتقلت الى ورثتهن وفى ترك ورثتهن حقوقهم منها دلالة على ذلك ولهذا زيدت بعدهن فى المسجد لعموم نفعه للمسلمين انتهى.وقد يناقش فيما ذكره من عدم ارث ورثتهن لمنازلهن اذ لايلزم من عدم نقله انتفاءه مع ان في قصة ادخال بيت حفصة فى المسجد وما وقع من آل عمر في أمر طريق بيت حفصة مايشهد لأن ورثتهن ورثوا ذلك ويحتمل ان ادخال الحجر فى المسجد كان بعد شرائها من الورثة (وقد) تقدم عن ابن سعد مايشهد لذلك (وقد قال) فى طبقاته أيضا أخبرنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوص الا بمسكن أزواجه وأرض انتهى.وهذا يحتمل الوصية للازواج بذلك ويحتمل غيره والله أعلم (وادعى) المهلب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد حبس عليهن بيوتهن ثم استدل به على ان من حبس دارا جاز له ان يسكن منها فى موضع (وتعقبه) ابن المنير بمنع أصل الدعوى وقد ترجم ابن شبة لدور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وذكر عن جماعة منهن اتخاذ دور فى أماكن متفرقة من المدينة فتلك غير الحجر المذكورة والظاهر ان اتخاذهن لذلك كان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم

﴿ الفصل العاشر فى حجرة فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها ﴾

(أسند) يحيي عن عيسى بن عبدالله عن أبيه أن بيت فاطمة رضى الله عنها في الزور الذى في القبر بينه وبين بيت النبى صلى الله عليه وسلم خوخة (وأسند) عن عمر بن على بن عمر ابن على بن الحسين قال كان بيت فاطمة فى موضع الزور مخرج النبى صلى الله عليه وسلم وكانت فيه كوة الى بيت عائشة رضى الله عنها فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قام الى المخرج اطلع من الكوة الى فاطمة فعلم خبرهم وان فاطمة رضى الله عنها قالت لعلى ان ابنى أمسيا عليلين فلو نظرت لنا أدما نستصبح به فخرج علىّ الى السوق فاشترى لهم ادما وجاء به الى فاطمة فاستصبحت فدخلت عائشة المخرج في جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم وذكر كلاما وقع بينهما فلما أصبحوا سألت فاطمة النبى صلى الله عليه وسلم أن يسد الكوة فسدها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأسند) يحيي عقب ذلك حديث عائشة قلت يارسول الله ندخل كنيفك فلا نرى شيأ من الاذى فقال الارض تبلع

ما يخرج من الانبياء من الأذى فلا يرى منه شئ فأشعر صنيع يحيي أن المراد من المخرج موضع الكنيف وأفهم ذلك أن المخرج المذكور كان خلف حجرة عائشة رضى الله عنها بينها وبين بيت فاطمة رضى الله عنها وذلك يقتضى ان يكون محله فى الزور أعنى الموضع المزور شبه المثلث فى بناء عمر بن عبد العزيز في جهة الشام (ويشهد) لذلك ما أسنده يحيى عن مسلم عن ابن أبى مريم ان عرض بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسطوانة التى خلف الاسطوان المواجهة الزور قال وكان بابه فى المربعة التي في القبر (وقد) أسند أبو غسان كما قاله ابن شبة عن مسلم ابن سالم بن مسلم بن أبى مريم قال عرس على رضى الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسطوان التى خلف الاسطوان المواجهة الزور وكانت داره في المربعة التى في القبر قال سليمان وقال مسلم لاتنس حظك من الصلاة اليها فانه باب فاطمة التى كان علىّ يدخل اليها منه وقد رأيت حسن بن زيد يصلى اليها (وقد) ذكرنا فى فضل اسطوان مربعة القبر ماورد من انه صلى الله عليه وسلم كان يأتى باب على كل يوم (وفي) رواية عند صلاة الصبح (وفى رواية) يجى الى باب على وفاطمة وحسن وحسين حتى يأخذ بعضادتي الباب ويقول السلام عليكم أهل البيت (وفي) رواية فيقول الصلاة الصلاة ثلاث مرات «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» وذكرنا أيضا ان اسطوان التهجد خلف بيت فاطمة رضى الله عنها (وروى) الطبرانى من حديث أبي ثعلبة كان النبى صلي الله عليه وسلم اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثنى بفاطمة ثم يأتي أزواجه (وفي) لفظ ثم بدا ببيت فاطمة ثم يأتي بيوت نسائه (وأسند) يحيي عن محمد بن قيس قال كان النبى صلى الله وسلم اذا قدم من سفر أتي فاطمة فدخل عليها وأطال عندها المكث فخرج مرة في سفر وصنعت فاطمة مسكتين من ورق وقلادة وقرطين وسترت باب البيت لقدوم أبيها وزوجها فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها ووقف أصحابه على الباب لايدرون أيقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرف الغضب في وجهه حتي جلس على المنبر ففطنت فاطمة انه فعل ذلك لما رأى من المسكتين والقلادة والستر فنزعت قرطيها وقلادتها ومسكتيها ونزعت الستر

و بعثت به الى رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالت للرسول قل له تقرأ عليك ابنتـك
السلام وتقول لك اجعل هذا فى سبيل الله فلما أتاه قال قد فعلت فداها أبوها ثلاث
مرات ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخـير
جناح بعوضة ماسقي كافرا منها شربة ماء ثم قام فدخل عليها (وعن) جعفر بن محمـد عن
أبيه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم عراة كانوا غزاة بالروم فدخل على
فاطمة وقد سترت سترا قال أيسرك ان يسترك الله يوم القيامة فأعطنيه فأعطته فخرج
به فشقه لكل انسان ذراعـين فى ذراع (وعن) على رضى الله عنـه قال زارنا النبى صلي
الله عليه وسلم فبات عندنا والحسن والحسين نائمان واستسقي الحسن فقام النبى صلى الله
عليه وسلم الى قربة لنا فجعل يعصرها فى القـدح ثم جعل يعبعبه فتناول الحسـين فمنعه
و بدأ بالحسن فقالت فاطمة يارسول الله كأنه أحب اليك قال انما استسقى أول ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى واياك وهـذان وهذا الراقد يعنى عليا يوم القيامة فى
مكان واحد (وعن) أبى سعيد الخدرى أيضا مثـله (وعن) على قال زارنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعملنا له خزيرة وأهـدت لنا أم أيمن قعبا من لبن وصحفة من تمر
فأ كل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأ كلنا معه ثم وضأت رسول الله صلي الله عليـه
وسلم فمسح رأسه وجبهته ولحيته بيده ثم استقـل القبلة فدعا بما شاء ثم أ كب الى الارض
بدموع غزيرة يفعل ذلك ثلاث مرات فتهيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نسأله
فوثب الحسين على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم و بكي فقال له بابى وامي مايبكيك
قال ياأبت رأيتك تصنع شيأ مارأيتك تصنع مثله فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم
يابنى سررت بكم اليوم سرورا لم أسر بكم مثله قط وان حبيبي جبريل عليه السلام أتانى
وأخبرنى انكم قتلا وان مصارعكم شـتى فأحزننى ذلك ودعوت الله تعالى لكم بالخيرة
(وقال) ابن النجار و بيت فاطمة اليوم حوله مقصورة وفيه محراب وهو خلف حجرة النبى
صلى الله عليه وسلم (قلت) المقصورة اليوم دائرة عليـه وعلى حجرة عائشـة رضى الله
عنها كما سيأتى بيانه والمحراب الذى ذكره خلف حجرة عائشة من جهة الزور بينه و بينه
موضع تحترمه الناس ولا يدوسونه بارجلهم يذكر انه موضع قبر فاطمة رضى الله عنها كما
هو أحد الاقوال الآتية فيـه وقد اقتضي ماقدمناه ان بيت فاطمة رضى الله عنها كان

فيما بين مربعة القبر واسطوان التهجد وانه عرس بها الى الاسطوان الذى اليه المحراب
الموجود اليوم فى بيتها لان الاسطون المواجه للزور هو الاسطوان الذى فى صف المربعة
اللاصق بالجدار الداخـل من الحجرة الشريفة كان بعضه في حائطها الشامى وأدخـل
كله فيه فى العمارة التى أدركناها وخلفه الاسطوانة التى التي عندها زاويتا الزور وخلفها
الاسطوانة التى اليها المحراب المذكور فيصدق عليها ماتقدم فى كلام ابن شبة نقلا عن
رواية أبى غسان من ان عليا رضى الله عنه عرس بفاطمة الى الاسطوان التى خلف
الاسطوان المواجه الزور لكن قال ابن شبة قبل ذلك مالفظه واتخذ على بن أبي طالب
بالمدينة دارين احداهما دخلت فى مسجد رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وهى منزل
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كان يسكن وموضعها من المسجد بين دار
عثمان بن عفان التى في شرقى المسجد و بين الباب المواجه دار أسماء بنت حسـن بن
عبيدالله بن عبيد الله بن عباس فى شرقى المسجد والاخرى دار على التى بالبقيع وهى بايدي ولد
على على حوز الصدقة انتهى. وقوله بين دار عثمان أى مايحاذيها وقوله و بين الباب المواجه
دار أسماء أى مايحاذيه أيضا وسيأتى ان هذا الباب كان بعد باب النساء مقابلا لرباط
النساء المعروف اليوم برباط السبيل وهو بعيد من وجوه (أحدها) ماتقدم في اسـطوان
التهجد من انه كان خلف بيت فاطمة (الثانى) انهم متفقون على ان باب جبريل المقابل
لدار عثمان كان مأخوذا فى زمنه صلى الله عليه وسلم فكيف تصح كون دار على فى ذلك
الموضع (الثالث) ان عمر بن الخطاب أول من زاد فى المسجد وأحدث باب النساء وهو
فيما بين باب جبريل والباب الذى ذكره ابن شبة و بيت فاطمة انمـا أدخله في المسجد
الوليد وسنذكر ماتفق عنـد ادخاله في زيادة الوليد (وقد) يقال ان الشارع كان بين
المسجـد النبوى و بين بيت فاطمة من جهـة مؤخره فيتأتى مع ذلك اتخاذ عمـر لباب
النساء من غـير تعرض لبيت فاطمة وكـذا يقال في باب جبريـل انه كان في محاذاة
موضعه اليوم لكن كان الشارع بينـه و بين بيت فاطمة من تلك الجهة (ويؤيد) ذلك
انهم لما حفروا للدعامة الغربية التي اليها باب الحجرة الشامى عند بناء القبة والعقود التي
حولها بالحجرة الشريفة بعد الحريق الذى أدركناه وجـدوا في محاذاة باب جبريـل
امام باب الحجرة المذكور درجا تحت الارض آخذة لجهة الشام (وقد) سبق فى حدود

المسجد النبوى مايقتضى ان جداره فى المشرق كان هناك فترجح عندى ان تلك الدرج كانت لباب جبريل عليه السلام وانه كان هناك قبل تحويله والله أعلم

﴿ الفصل الحادى عشر ﴾ فى الامر بسد الابواب الشارعة فى المسجد الشريف وبيان ما استثنى من ذلك

قال البخارى (باب) قول النبى صلى الله عليه وسلم سدوا الابواب الا باب أبى بكر قاله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد وصله البخارى في الصلاة بلفظ سدوا عنى كل خوخة فكأنه ذكره هنا بالمعنى (ثم) أسند البخارى في الباب حديث أبى سعيد الخدرى قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ماعند الله قال فبكي أبو بكر فتعجبنا لبكائه ان يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس علىّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام ومودته لايبقين فى المسجد باب الا سد الا باب أبي بكر (ورواه) مسلم من طريق مالك بن أنس بنحوه وقال لايبقين فى المسجد خوخة الا خوخة أبى بكر (والخوخة) طاقة فى الجدار تفتح لاجل الضوء ولا يشترط علوها وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول الى مكان مطلوب وهو المقصود هنا ولهذا أطلق عليها باب وقيل لايطلق عليها باب الا اذا كانت تغلق (وفى) حديث ابن عباس المشار اليه في الصلاة ان ذلك في مرضه صلى الله عليه وسلم الذى مات فيه ولمسلم من حديث جندب سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بخمس ليال وذكر الحديث (وروى) عبد الله بن أحمد برجال ثقات عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر (وروي) الطبراني باسناد حسن عن معاوية رضى الله عنه نحوه (وفيه) ان ذلك بعد ان صب عليه صلى الله عليه وسلم من سبع ترب من آبار شتى (ولفظه) انظروا هذه الابواب الشوارع فى المسجد فسدوها الا ما كان من باب أبى بكر (وروى) أبو يعلى ورجاله ثقات عن عائشة نحوه أيضا (وفى طبقات) ابن سعد أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخى ثنا

الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الناس علىّ منا في صحبته وذات يده أبو بكر فاغلقوا هذه الابواب الشارعة كلها فى المسجد الا باب أبى بكر (قال) قتيبة بن سعيد قال الليث بن سعد قال معاوية بن صالح فقال ناس أغلق أبوابنا وترك باب خليله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغني الذى قلتم في باب أبى بكر وانى أرى على باب أبى بكر نورا وأرى على أبوابكم ظلمة (وفيها) أيضا أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابواب تسد الا باب أبى بكر قال عمر يارسول الله دعنى افتح كوة انظر اليك حين تخرج الى الصلاة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا (قال) الخطابى وابن بطال وغيرهما فى هذا الحديث أشارة قوية الى استحقاق أبي بكر رضي الله عنه للخلافة ولا سيما وقد ثبت ان ذلك كان في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذى أمرهم فيه ان لا يؤمهم الا أبو بكر (قال) الحافظ بن حجر وقد ادعي بعضهم ان الباب كناية عن الخلافة والامر بالسد كناية عن طلبها كأنه قال لا يطلبن أحد الخلافة الا أبا بكر فانه لاحرج عليه في طلبها والى هذا جنح ابن حبان وقوى بعضهم ذلك بأن منزل أبى بكر كان بالسنح من عوال المدينة فلا يكون له خوخة الى المسجد (قال) الحافظ بن حجر وهذا الاستناد ضعيف لانه لا يلزم من كون منزله كان بالسنح أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد ومنزله الذى كان بالسنح هو منزل أصهاره من الانصار وقد كان له اذ ذاك زوجة أخرى وهى أسماء بنت عميس بالاتفاق وأم رومان على القول بأنها كانت باقية يومئذ وقد ذكر عمر بن شبة في أخبار المدينة ان دار أبى بكر التى أذن له في ابقاء الخوخة منها الى المسجد كانت ملاصقة للمسجد ولم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج الى شيء يعطيه لبعض من وفد عليه فباعها فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم (قلت) وسيأتي بقية ما ذكره في ادخالها في المسجد في زيادة عمر رضى الله عنه (وقال) ابن شبة أيضا في ذكر دور بني تيم اتخذ أبو بكر رضى الله عنه دارا في زقاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى واتخذ منزلا آخر أيضا عند المسجد وهو المنزل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا عنى هذه الابواب الا ما كان من باب أبى بكر (قال) أبو غسان أخبرنى محمد بن اسماعيل بن أبي فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة فى دار القضاء في غربى المسجد

خوخة أبى بكر الصديق التى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا عنى هذه الابواب الا ما كان من خوخة أبى بكر الصديق واتخذ أبو بكر أيضا بيتا بالسنح انتهى كلام ابن شبة (وقال) الجمال المطرى وأما خوخة أبو بكر رضى الله عنه فان ابن النجار قال قال أهل السير ان باب أبى بكر كان غربى المسجد (ونقل) أيضا انه كان قريب المنبر ولما زادوا فى المسجد الى حده في الغرب نقلوا الخوخة وجعلوها فى مثل مكانها أولا كما نقل باب عثمان الى موضعه اليوم (قال) المطرى وباب خوخة أبى بكر اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل الحرم اذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريبا من الباب (قلت) وهذه الخزانة جعل فى جهتها عند عمارة المدرسة الاشرفية ثلاثة أبواب ومحل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك اذا دخلت من باب السلام وتعرف قديما بخزانة النورة لوضعها فيها للعمارة وكلامه فى ذلك يوافق ماذكره ابن زبالة فانه قال وحدثنى محمد بن اسماعيل عن اسحاق بن مسلم أن الخوخة التى الى جنب باب زياد في غربي المسجد الشارعة فى رحبة القضاء هى بنى خوخة أبي بكر لما زيد في المسجد نحيت فجعلت بمناها أى في موازاتها من جهة اليمين ورحبة القضاء خلف الخوخة المتقدم وصفها من جهة الحصن العتيق المتخذ مدرسة للسلطان الاشرف بعد الحريق الذى أدركناه (قال) الحافظ بن حجر وقد جاء في سد الابواب التى حول المسجد أحاديث يخالف ظاهرها ما تقدم (منها) حديث سعد بن أبى وقاص قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب الشارعة فى المسجد وترك باب علي أخرجه أحمد والنسائي واسناده قوى (وفي) رواية للطبرانى فى الاوسط رجالها ثقاة فقالوا يارسول الله سددت أبوابنا فقال ما أنا سددتها ولكن الله سدها (وعن) زيد بن أرقم قال كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا هذه الابواب الا باب علىّ فتكلم ناس في ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني والله ماسددت شيأ ولا فتحته ولكن أمرت بشئ فاتبعته أخرجه أحمد والنسائي والحاكم ورجاله ثقات (قلت) لفظ رواية أحمد عن زيد بن أرقم قال كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب شارعة في المسجد قال فقال يوما سدوا هذه الابواب الا باب علىّ فتكلم أناس في ذلك فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فانى قد أمرت بسد هذه

الابواب غير باب على فقال فيه قائلكم واني والله ماسددت شيأ ولا فتحته الحديث (وعن) ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبواب المسجد فسدت الا باب على (وفى) رواية وأمر بسد أبواب المسجد غير باب على فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره أخرجهما أحمد والنسائى ورجالهما ثقات (وعن) جابر بن سمرة قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب كلها غير باب على فربما مر فيه وهو جنب أخرجه الطبرانى (وعن) ابن عمر كنا نقول فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس ثم أبو بكر ثم عمر ولقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال لأن يكون لى واحدة منهن أحب الى من حمر النعم زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته وولدت له وسد الابواب الا بابه فى المسجد وأعطى له الراية يوم خيبر اخرجه أحمد واسناده حسن (وأخرج) النسائي من طريق العلاء بن عرار (بمهملات) قال قلت لابن عمر أخبرنى عن على وعثمان فذكر الحديث وفيه وأما على فلا تسأل عنه أحدا وانظر الى منزله من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سد أبوابنا في المسجد وأقر بابه ورجاله رجال الصحيح الا العلاء وقد وثقه يحيي بن معين وغيره (قال) الحافظ بن حجر وهذه الاحاديث تقوى بعضها بعضا وكل طريق منها صالحة للاحتجاج فضلا عن مجموعها وقد أورد ابن الجوزى هذا الحديث في الموضوعات وأخرجه من حديث سعد ابن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصرا على بعض طرقه منهم وأعله ببعض من تكلم فيه من رواته وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق وأعله أيضا بأنه مخالف للاحاديث الصحيحة الثانية فى باب أبي بكر وزعم انه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح فى باب أبي بكر (قال) الحافظ بن حجر وقد أخطأ فى ذلك خطأ شنيعا فانه سلك رد الاحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة مع ان الجمع بين القصتين ممكن (وقد) أشار الى ذلك البزار فى مسنده فقال ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان في قصة على وورد من روايات أهل المدينة في قصة أبي بكر فان ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دل عليه حديث أبى سعيد الخدرى يعنى الذى أخرجه الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنبا غيرى وغيرك والمعني أن باب على كان الى جهة المسجد ولم يكن لبيته باب غيره فلذلك لم يؤمر بسده

(ويؤيد) ذلك ما أخرجه اسماعيل القاضى في أحكام القرآن من طريق المطلب بن عبد الله ابن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يمر في المسجد وهو جنب الا لعلى بن أبى طالب لأن بيته كان في المسجد (ويحصل) الجمع ان الامر بسد الابواب وقع مرتين ففى الأول استثني عليا لما ذكره من كون بابه كان الى المسجد ولم يكن له غيره وفى الأخرى استثني أبابكر ولكن لا يتم ذلك الا بأن يحمل ما في قصة على على الباب الحقيقي وما فى قصة أبى بكر على الباب المجازى والمراد به الخوخة كما صرح به فى بعض طرقه وكأنهم لما أمروا بسد الابواب سدوها وأحدثوا خوخا يستقربون الدخول الى المسجد منها فأمروا بعد ذلك بسدها فهذه طريقة لا بأس بها في الجمع بين الحديثين المذكورين وبها جمع بينهما الطحاوى فى مشكل الآثار والكلاباذى فى معانى الاخبار وصرح بأن بيت أبى بكر كان له باب من خارج المسجد وخوخة الى داخل المسجد وبيت على لم يكن له باب الا من داخل المسجد انتهى ما أورده الحافظ بن حجر في ذلك (قلت) والعبارة تحتاج الى تنقيح لان ماذكره بقوله ومحصل الجمع طريقة أخرى فى الجمع غير الطريقة المتقدمة اذ محصل الطريقة المتقدمة ان البابين بقيا وان المأمورين بالسد هم الذين كان لهم أبواب الى غير المسجد مع أبواب من المسجد وأما على فلم يكن بابه الا من المسجد وان الشارع صلى الله عليه وسلم خصه بذلك وجعل طريقه الى بيته المسجد لما سبق فباب أبى بكر هو المحتاج الى الاستثناء ولذلك اقتصر الاكثر عليه ومن ذكر باب على فانما أراد بيان انه لم يسد وانه وقع التصريح بابقائه أيضا والطريقة الثانية تعدد الواقعة وان قصة على كانت متقدمة على قصة أبي بكر رضى الله عنهما (ويؤيد) ذلك ما أسنده يحيي من طريق ابن زبالة وغيره عن عبدالله بن مسلم الملاى عن أبيه عن أخيه قال لما أمر بسد أبوابهم التى فى المسجد خرج حمزة بن عبد المطلب يجر قطيفة له حمراء وعيناه تذرفان يبكى يقول يارسول الله أخرجت عمك وأسكنت بن عمك فقال ما أنا أخرجتك ولا أسكنته ولكن الله أسكنه فذكر حمزة رضي الله عنه في القصة يدل على تقدمها (وروي) البزار وفيه ضعفاء قد وثقوا عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فرهم فليسدوا أبوابهم فانطلقت فقلت لهم ففعلوا الا حمزة فقلت يارسول الله قد فعلوا الا حمزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لحمزة فليحول بابه فقلت ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يأمرك أن تحول بابك فحوله فرجعت اليه وهو قائم يصلى فقال ارجع الى بيتك (وروى) البزار باسناد قال الهيثمى فيه من لم أعرفه عن على رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال ان موسي سأل ربه أن يطهر مسجده بهارون وانى سألت ربى أن يطهر مسجدي بك وبذريتك ثم أرسل الى أبى بكر أن سد بابك فاسترجع ثم قال سمع وطاعة فسد بابه ثم أرسل الى عمر ثم أرسل الى العباس بمثل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله فتح باب على وسد أبوابكم (قلت) ذكر العباس بدل حمزة هنا وفيما سيأتى فيه نظر لانه يقتضى تأخر ذلك لانه انما قدم المدينة عام الفتح (وأسند) بن زبالة ويحيي من طريقه عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما الناس جلوس في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ خرج مناد فنادى أيها الناس سدوا أبوابكم فتحسحس الناس لذلك ولم يقم أحد ثم خرج الثانية فقال أيها الناس سدوا أبوابكم فلم يقم أحد فقال الناس ما أراد بهذا فخرج فقال أيها الناس سدوا أبوابكم قبل أن ينزل العذاب فخرج الناس مبادرين وخرج حمزة بن عبد المطلب يجر كساءه حين نادى سدوا أبوابكم قال ولكل رجل منهم باب الى المسجد أبوبكر وعمر وعثمان وغيرهم قال وجاء علي حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مايقيمك ارجع الى رحلك ولم يأمره بالسد فقالوا سد أبوابنا وترك باب علي وهو أحدثنا فقال بعضهم تركه لقرابته فقالوا حمزة أقرب منه وأخوه من الرضاعة وعمه وقال بعضهم تركه من أجل ابنته فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرج اليهم بعد ثالثة فحمد الله وأثنى عليه محمرا وجهه وكان اذا غضب احمر عرق فى وجهه ثم قال أما بعد ذلكم فان الله أوحى الى موسى أن اتخذ مسجدا طاهرا لا يسكنه الا هو وهارون وأبناء هارون شبرا وشبيرا وان الله أوحى الى ان أتخذ مسجدا طاهرا لا يسكنه الا أنا وعلى وأبناء على حسن وحسين وقد قدمت المدينة واتخذت بها مسجدا وما أردت التحول اليه حتى أمرت وما أعلم الا ماعلمت وما أصنع الا ما أمرت فخرجت على ناقتي فلقيني الانصار يقول يارسول الله انزل علينا فقلت خلوا الناقة فانها مأمورة حتى نزلت حيث بركت والله ما أنا سددت الابواب وما أنا فتحتها وما أنا أسكنت عليا ولكن الله أسكنه (وروى) أحمد باسناد حسن عن سعد بن

مالك قال أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم بسد الابواب الشارعة فى المسجد وترك باب على رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الاوسط و زاد قالوا يارسول الله سددت أبوابنا كلها الا باب على قال ماأنا سددت أبوابكم ولكن الله سدها (وأسنده) يحيي عنه بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالابواب فسدت الا باب علي فقال العباس يارسول الله سددت أبوابنا الا باب على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأنا سددتها ولا أنا فتحتها (وعن) جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا أبواب المسجد لا باب على فقال رجل اترك لى قدر ماأخرج وأدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أومر بذلك قال اترك بقدر ماأخرج صدرى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أومر بذلك وانصرف قال رجل فبقدر رأسى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أومر بذلك وانصرف كأنه واجدا باكيا حزينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أومر بذلك سدوا الابواب الا باب على (و) رواه الطبرانى عن جابر مختصرا وفيه ناصح بن عبد الله وهو متروك ولفظ الطبراني أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب كلها غير باب على رضى الله عنه فقال العباس يارسول الله اترك لى قدر ماأدخل أنا وحدى وأخرج فقال ماأمرت بشئ من ذلك فسدها كلها غير باب علي قال وربما مر وهو جنب (و) أسند ابن زبالة ويحيي من طريقه عن عمرو بن سهل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسد الابواب الشوارع فى المسجد قال له رجل من أصحابه يارسول الله دع لى كوة انظر اليك منها حين تغدوا وحين تروح فقال لا والله ولا مثل ثقب الابرة (قلت) وقد اقتضى ذلك المنع من الخوخة أيضا بل ومما دونها عند الامر بسد الابواب أولا فان صح ذلك فيحمل الاذن بعده في اتخاذ الخوخ ثم كانت قصة أبى بكر بعد ذلك (وفي) طبقات ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الرحمن ابن الواقدى عن صالح بن حسان عن أبى البداح بن عاصم بن عدى قال قال العباس ابن عبد المطلب يارسول الله مابالك فتحت أبواب رجال فى المسجد وما بالك سددت أبواب رجال في المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباس مافتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى والله أعلم

﴿ الفصل الثاني عشر في زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد ﴾

سيأتى في الفصل الرابع عشر من رواية البخارى وأبى داوود عن ابن عمر ان أبا بكر رضي الله عنه لم يزد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ وزاد فيه عمر وسيأتى فى رواية لابى داود ان سوارى المسجد نخرت في خلافة أبى بكر فبناها بجذوع النخل وهو لاينافى رواية انه لم يزد فيه وقال أهل السير لم يزد أبو بكر في المسجد شيئاً لانه اشتغل بالفتح ثانيا فلما ولى عمر قال انى أريد ان أزيد في المسجد ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينبغى ان يزاد فى المسجد مازدت فيه شيأ (وفي) تاريخ اليافعى ان زيادته فيه كانت فى سنة سبع عشرة وذكر غيره انه زاد فى هذه السنة في المسجد الحرام ولم يتعرض لتاريخ زيادته في مسجد المدينة (وأسند) ابن زبالة عن أنس قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر لم يحول المسجد فلما ولى عمر جعل أساطينه من لبن ونزع الخشب ومده في القبلة وكان حد جدار عمر من القبلة على أول أساطين القبلة التى اليها المقصورة أى التى كانت بين صف الاساطين التى تلى القبلة على الرواق القبلى (والذى) فى صحيح البخارى وسنن أبى داود كما سيأتى ان عمر رضى الله عنه زاد في المسجد وبناه على بنائه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا وهذا مخالف لما فى رواية ابن زبالة من ان عمر جعل أساطينه من لبن والمعول عليه رواية الصحيح (وروى) أحمد عن نافع ان عمر رضي الله عنه زاد فى المسجد من الاسطوانة الى المقصورة وقال عمر لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينبغى ان نزيد في مسجدنا مازدت (وأسند) يحيي عن ابن عمر ان عمر رضي الله عنهما قال لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينبغي ان نزيد في المسجد مازدت فى المسجد شيئاً (وفى) رواية له ان ابن عمر قال ان الناس كثروا في عهد عمر فقال له قائل ياأمير المؤمنين لو وسعت في المسجد فقال عمر لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا مازدت فيه (و) أسند ابن زبالة عن مسلم ابن حباب ان النبى صلي الله عليه وسلم قال يوما وهو في مصلاه فى المسجد لو زدنا فى مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة فادخلوا رجلا وأجلسوه في موضع مصلي النبى صلى الله عليه وسلم ثم رفعوا يد الرجل وخفضوها حتى

رأوا ان ذلك نحو مارأى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يده ثم مدوا مقطا فوضعوا طرفه
بيد الرجل ثم مدوه فلم يزالوا يقدمونه و يؤخرونه حتى رأوا ان ذلك فيه بما أشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزيادة فقدم عمر القبلة فكان موضع جدار عمر في موضع
عيدان المقصورة و (قال) ابن سعد (انا) يزيد بن هارون (أنا) أبو أمية بن يعلى عن سالم أبي
النضر قال لما كثر المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه وضاق بهم المسجد فاشترى عمر
ماحول المسجد من الدور الا دار العباس بن عبدالمطلب وحجر أمهات المؤمنين فقال
عمر للعباس يا أبا الفضل ان مسجد المسلمين قد ضاق بهم وقد ابتعت ماحوله من المنازل
نوسع به على المسلمين في مسجدهم الا دارك وحجر أمهات المؤمنين فأما حجر أمهات
المؤمنين فلا سبيل اليها و أما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أوسع بها في
مسجدهم فقال العباس ما كنت لأفعل قال فقال له عمر أختر مني احدى ثلاث اما أن
تبيعنيها بما شئت من بيت المال واما ان أخطك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من
بيت مال المسلمين واما أن تصدق بها على المسلمين فتوسع في مسجدهم فقال لا ولا واحدة
منها فقال عمر اجعل بيني و بينك من شئت فقال أبي بن كعب فانطلقا الى أبي فقصا عليه
القصة فقال أبي ان شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا
حدثنا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أوحى الى داود أن ابن لي
بيتا أذكر فيه فخط له هذه الخطة خطة بيت المقدس فاذا تربيعها بزاوية بيت رجل
من بني اسرائيل فسأله داود أن يبيعه اياها فأبى فحدث داود نفسه أن يأخذه منه فأوحى
الله اليه أن ياداود أمرتك أن تبني لي بيتا أذكر فيه فأردت أن تدخل في بيتي الغصب
وليس من شأني الغصب وان عقوبتك أن لا تبنيه قال يارب فمن ولدي قال فمن ولدك
فأخذ عمر بمجامع أبي بن كعب فقال جئتك بشئ فجيئت بما هو أشد منه لتخرجن مما
قلت فجاء يقوده حتى دخل المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم أبوذر فقال أبي نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه الا ذكره فقال أبوذر أنا سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر أنا سمعته يعني من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فأرسل أبيا قال فأقبل أبي على عمر فقال ياعمر أتتهمني على حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال عمر والله يا أبا المنذر ما أتهمتك عليه ولكن أردت أن يكون
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا قال وقال عمر للعباس اذهب فلا أعرض
لك في دارك فقال العباس أما اذ قلت ذلك فاني قد تصدقت بها على المسلمين أوسع
عليهم في مسجدهم فاما وأنت تخاصمني فلا قال فخط له عمر داره التي هي اليوم وبناها
من بيت مال المسلمين (وفي) سنن البيهقي قبل كتاب الرجعة عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال لما أراد عمر رضي الله عنه أن يزيد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت
زيادته على دار العباس رضي الله عنه فأراد عمر أن يدخلها في المسجد و يعوضه منها فأبى
وقال قطيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلفا فجعل بينهما أبي بن كعب رضي الله عنه
فأتياه في منزله وكان يسمي سيد المسلمين فأمر لهما بوسادة فألقيت لهما فجلسا عليها بين
يديه فذكر عمر ما أراد وذكر العباس قطيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبي
رضي الله عنه ان الله عز وجل أمر عبده ونبيه داود أن يبني له بيتا قال أي رب وأين
هذا االبيت قال حيث ترى الملك شاهرا سيفه فرآه علي الصخرة واذا ما هناك يومئذ أندر
لغلام من بني اسرائيل فأتاه داود عليه السلام فقال اني قد أمرت ان أبني هذا المكان
بيتا لله تعالى فقال له الفتى الله أمرك أن تأخذ مني بغير رضاي قال لا فأوحي الله
الى داود اني قد جعلت في يدك خزائن الأرض فأرضه فأتاه داود عليه السلام فقال
اني قد أمرت برضاك فلك بها قنطار من ذهب فقال قد قبلت فياداود هي خير أم القنطار
فقال بل هي قال فأرضني قال فلك بها ثلاث قناطير فلم يزل يشدد على داود حتي رضي
منه بتسع قناطير قال العباس رضي الله عنه اللهم لا آخذ لها ثوابا وقد تصدقت بها على
جماعة المسلمين فقبلها عمر فأدخلها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) وهذا
يفهم أن داود صلوات الله وسلامه عليه بنى بيت المقدس وانه أول من بناه والرواية
المتقدمة تقتضي أن سليمان صلوات الله وسلامه عليه هو الذي بناه (و يؤيده) ماروى
الطبراني من حديث رافع بن عميرة مرفوعا قال الله عز وجل لداود ابن لي بيتا في
الأرض وان داود عليه السلام بنى المسجد فلما تم السور سقط ثلثاه فشكي ذلك الى
الله تعالى فأوحى الله اليه انه لا يصلح أن يبني لي بيتا وذكر قصة غير ماتقدم فشق ذلك
على داود فأوحى الله تعالى اليه اني سأقضي بناءه على يد ابنك سليمان (وروى) النسائي

من حديث عمرو بن العاص مرفوعا باسناد صحيح أن سليمان لما بني بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا الحديث وسواء كان الباني له داود أوسليمان عليهما السلام يشكل عليه مافى الصحيحين عن أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع علي الارض فقال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الأقصى قلت وكم بينهما قال أربعون عاما ووجه الاشكال كما ذكره بن الجوزي ان ابراهيم عليه السلام بنى الكعبة و بينه و بين سليمان أكثر من ألف سنة وقد مشى ابن حبان على ظاهر الحديث المذكور فقال فيه رد على من زعم ان بين داود وابراهيم ألف سنة ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة وهذا عين المحال للاتفاق على طول الزمان بين ابراهيم وموسى عليهما السلام ثم ان نص القرآن أن قصة داود في قتل طالوت كانت بعد موسى بمدة (وأجاب) ابن الجوزى بأن الاشارة في حديث الصحيحين الى أول البناء و وضع أساس المسجد وليس ابراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بني بيت المقدس فقد روي ان أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده فى الارض فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس بعد ذلك بأربعين سنة ثم بني ابراهيم الكعبة بنص القرآن (وذكر) ابن هشام فى كتاب التيجان ان آدم عليه السلام لما بنى البيت أمره جبريل عليه السلام بالمسير الي بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه (وأجاب) بعضهم بأن داود وسليمان عليهما السلام انما كان لهما من المسجد الاقصى تجديده لا تأسيسه والذى أسسه هو يعقوب بن اسحاق عليهما السلام بعد بناء ابراهيم الكعبة بهذا القدر ويشكل على ذلك ذكر القصة المتقدمة لانه حينئذ لا يحتاج الى شراء أرضه نعم قال الخطابي يشبه ان يكون المسجد الاقصى وضع قبل داود وسليمان ثم زادا فيه ووسعاه فاضيف اليهما بناؤه فيحتمل حينئذ ان القصة المتقدمة وقعت فيما وقع الامر بزيادته فيه و يؤيد ذلك مارواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى يحيى الضرير زيد بن الحسن البصري حدثنا عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب انه قال للعباسي رضي الله عنهما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نزيد في المسجد ودارك قريبة من المسجد فاعطناها نزيدها فيه واقطع لك أوسع منها قال لا أفعل قال اذا أغلبك عليها قال ليس لك ذلك قال فأجعل بينى و بينك من يقضي بالحق قال ومن هو قال حذيفة

ابن اليمان قال فجاؤا الى حذيفة رضي الله عنه فقصوا عليه فقال حذيفة عندي فى هذا خبر قالوا وما ذاك قال ان داود النبى صلى الله عليه وسلم أراد ان يزيد فى بيت المقدس وقد كان بيت قريب من المسجد ليتيم فطلب اليه فأبي فأراد أن يأخذه منه فأوحى الله عز وجل اليه ان أنزه البيوت عن الظلم لبيتى قال فتركه فقال له العباس فبقي شئ قال لا قال فدخل عمر المسجد فاذا ميزاب للعباس شارع فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيل ماء المطر منه فقال عمر بيده فقلع الميزاب فقال هذا الميزاب لا يسيل في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له العباس والذى بعث محمدا بالحق انه هو الذي وضع هذا الميزاب في هذا المكان ونزعته أنت يا عمر فقال عمر رضي الله عنه ضع رجليك على عنقى اترده الى ما كان ففعل ذلك العباس ثم قال العباس رضى الله عنه(٣) في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادها عمر فى المسجد ثم قطع للعباس دارا أوسع منها بالزوراء وقال الحاكم هذا الحديث كتبناه ولم ينسبه الا بهذا الاسناد والشيخان لم يحتجا بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال وقد وجدت له شاهدا من حديث أهل الشام ثم ساقه من طريق أبى شعيب الخراساني عن عطاء الخراسانى عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد ان يزيد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت ساقه على دار العباس فذكر نحوه (وروى) ابن زبالة ويحيى من طريقه عن عبد الله بن أبي بكر قال كان للعباس بيت فى قبلة المسجد وكثر الناس وضاق المسجد فقال عمر للعباس انك فى سعة فاعطنى بيتك هذا أوسع به فى المسجد فأبي العباس ذلك عليه فقال عمر انى أعطيك وأرضيك قال لا أفعل لقد ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاتقي وأصلح ميزابه بيده فلا أفعل قال عمر لآخذنه منك فقال أحدهما لصاحبه فأجعل بينى و بينك حكما فجعلا بينهما أبى ابن كعب فأتياه فاستأذنا على الباب فحبسهما ساعة ثم أذن لهما وقال انما حبستكما انى كنت كما كانت الجارية تغسل رأسى فقص عليه عمر قصته ثم قص عباس قصته فقال ان عندى علما مما اختلفتما فيه ولاقضين بينكما بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان داود لما أراد ان يبنى بيت المقدس وكان بيت ليتيمين من بني اسرائيل في قبلة المسجد فأراد منهما البيع فابيا عليه فقال لآخذنه فاوحى الله عزوجل الى داود ان أغنى البيوت عن

(٣) ههنا خرم بالنسخة التى بأيدينا ولم يكن لدينا نسخة أخرى نقابل عليها والكلام لا يخرج عن معنى تصدق العباس بالدار المذكورة على المسجد كما يفهم من الروايات الأخر

المظلمة بيتي وقد حرمت عليك بنيان بيت المقدس قال فسليمان فاعطاه سليمان فقال عمر لأبي ومن لي بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا فقال أبي لعمر أتظن انى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن من بيتى فخرج الى الانصار فقال أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فقال هذا انا وقال هذا أنا حتى قال ذلك رجال فلما علم ذلك عمر قال أما والله لو لم يكن غيرك لأجزت قولك ولكنى أردت ان أستثبت (وفي) رواية ليحيي عن أبي الزناد انّ عمر بن الخطاب لما زاد في المسجد دعى من كان له الى جانبه منزل فقال اختاروا منى بين ثلاث خصال اما البيع فأثمن واما الهبة فأشكر وأما الصدقة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه الناس وكان للعباس دار عن يمين المسجد فدعاه عمر فقال ياأبا الفضل اختر منى بين ثلاث خصال وذكر نحو ماتقدم فقال العباس ماأجيبك الى شئ مما دعوتنى اليه فقال عمر اذا أهدمها فقال العباس مالك ذلك وذكر التحاكم الى أبى وقصة بيت المقدس مع مخالفة فى ذكر قصته لبعض ما تقدم (وفى) رواية له عن ابن عمر ان عمر رضى الله عنه كلم العباس في داره وكانت فى مابين موضع الاسطوان المربعة التي تلى دار مروان بن الحكم قطيعة كان قطع له النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه عمر رضي الله عنه يدخلها فى المسجد واعطاه بها ثمنا حسنا وقال ياأبا الفضل ان الناس قد شكوا ضيق مسجدهم وأحبوا الاتساع فابي العباس ان يبيعه فقال عمر أنا أعطيك خيرا منه أى نواحي المدينة شئت فأبى العباس ذلك فقال عمر فتصدق على الناس فأبى فقال عمر لآخذنه فقال العباس ليس ذلك لك قال عمر اجعل بينى وبينك رجلا فجعلا أبى بن كعب فأتياه فحبسهما ساعة ثم أذن لهما ثم قال ان جاريتى كانت تغسل رأسى فأيكما يستعدى على صاحبه فقال عمر انا جعلناك حكما بيننا وما رأيت من أمر لزمنا فقال أبي ما تقول ياأبا الفضل قال أقول ذلك فذهب عمر يتكلم فقال أبى تكلم ياأبا الفضل دعه يابن الخطاب يتكلم لمكانه من نبي الله صلى الله عليه وسلم فتكلم العباس فقال هذه خطة خطها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتنيتها وبناها رسول الله صلى الله عليه وسلم معى وهو والله شد هذا الميزاب الذى يصب فى المسجد وذكر القصة أيضا وان العباس قال أما اذ قضيت به لى فهو صدقة علي المسلمين أما والله

ياعمر لقد هدمت الميزاب وما شددته الا ورجلاى على عاتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فوالله لاتشده الا ورجلاك على عاتقى قال ثم هدم الدار ووسع في المسجد وغير جذوعا كانت على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم كان أسفلها قد أكلته الارضة (وقد) أورد رزين في كتابه خبر ابن عمر المتقدم ولفظه عن نافع عن ابن عمر قال ان الناس كثروا في عهد عمر رضى الله عنه فقالوا له ياأمير المؤمنين لو وسعت لنا في المسجد فزاد فيه عمر فكلم عمر العباس في داره وكانت لاصقة بالمسجد وقال له اعطيك خيرا منها وتصدق بها على الناس فأبى العباس وقال خطها لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع ميزابها بيده فقال عمر فانى آخذها قال العباس ليس لك ذلك فجعلا بينهما أبيا فحجبهما ساعة ثم أذن لهما فقصا عليه خبرهما فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أراد داود عليه السلام ان يبنى بيت المقدس كان ليتيمين من بنى اسرائيل بيت في الموضع الذى خط ان يبنى المسجد عليه فقال لهما بيعاه منى ورغبهما فى الثمن فباعاه ثم قالا له الذى أخذت منا خير أم الذى أعطيتنا قال الذى أخذت قالا فانا لانجيز البيع فزادهما حتى كان ذلك منهما ومنه سبع مرات فقال أزيدكما كذا وكذا على ان لاتسألاني فقالا له نبيعك بحكمنا ولا نسألك قال افعلا فطلبا منه مالا كثيرا فتعاظم ذلك داود فأوحى الله سبحانه وتعالى الى داود ان كنت انما تعطيهما من مالك فانت اعلم وان كنت انما تعطهما من رزقنا فاعطهما حتى يرضيا فان أغنى البيوت عن مظلمة بيتى وقد حرمت عليك بناءه فقال داود يارب فاعطه سليمان فقضى به أبى للعباس فقال العباس أما اذ قضيت لى به فهو صدقة على المسلمين فذهب عمر فهدم الميزاب فأسف العباس لما وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال والله لقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رجليه لعلى عاتقى فقال عمر للعباس والله لتردنه ورجلاك على عاتقى فرده ثم قال عمر للعباس اهدم الآن بيدك (وقد) روى ان نزع الميزاب كان قبل ذلك لاجل انه كان يسكب الماء داخل المسجد للزوقة به انتهى لفظ رواية رزين (وروي) يحيي بسند جيد عن سفيان ابن عيينة عن موسى بن أبي عيسى قال كان في دار العباس ميزاب يصب في المسجد فجاء عمر فقلعه فقال العباس ان النبى صلى الله عليه وسلم الذى وضعه بيده فقال عمر

للعباس لايكن لك سلم الا ظهرى حتى ترده مكانه (و) روى ابن اسحق عن اسباط ابن محمد عن هشام بن سعد عن عبدالله بن عباس قال كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافا الميزاب صب فيه ماء فيه من دم الفرخين فأصاب عمر فأمر عمر بقلعه ثم رجع فطرح ثيابه ثم لبس غيرها ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس فقال والله انه الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر للعباس فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهرى حتى تضعه في الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك العباس (ورواه) الامام أحمد في مسنده من حديث هشام بن سعد عن عبيد الله بن عباس أخى عبد الله فذكره وكذا رواه ابن سعد وقال ابن أبى حاتم انه سأل أباه عنه وقال هو خطأ وأخرجه ابن سعد من طريق موسى بن عبيدة عن يعقوب ان عمر خرج فى يوم جمعة فذكره بنحوه (وروى) يحيي عن أبى مصعب الزهرى الفقيه قال حدثنا يوسف بن الماجشون عن الثقة انه كان فى دار مروان ميزاب يصب على الناس اذا خرجوا من المسجد في المطر وكانت دار مروان للعباس بن عبد المطلب فأمر عمر بن الخطاب بذلك الميزاب فنزع فجاءه العباس بن عبد المطلب فقال أما والله لوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده قال فأعاده عمر حيث كان وقال والله لاتعيده الا وأنت على رقبتى فأعاده العباس يومئذ علي رقبة عمر (قلت) وهذه الدار بقية من التى وقع النزاع المتقدم فيها ونسبتها الى مروان لما سيأتى انها دخلت في داره (وروى) انها مربدها فكأن هذا الميزاب كان فى تلك البقية فيجمع بين الروايات بأنه كان للدار المذكورة ميزابان ميزاب يصب فى المسجد وميزاب يصب في الطريق واتفق في كل منهما قصة (ويؤيد) ذلك مارواه يحيي فى زيادة عثمان رضى الله عنه عن الاعمش قال بنى عباس بن عبد المطلب داره التي الى جنب المسجد فجعل يرتجز يقول

بنيتها باللبن والحجارة ٭ والخشبات فوقها مطاره ٭ ياربنا بارك لاهل الداره

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فى هذه الداره قال وجعل العباس ميزابها لاصقا بباب المسجد يصب عليه فطرحه عمر بن الخطاب فقال عباس أما والله ماشده الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لعلي منكبي فقال له عمر لاجرم والله لاتشده

الا وأنت على منكبي فشده عمر وابتاع عثمان بن عفان تلك الدار فزادها في المسجد الا ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا فقال لاأدرى كان ابتاع البقية أم لا (قلت) فالذى يظهر ان العباس أبقى لنفسه بقية الدار بعد أخذ مااحتيج الى زيادته منها وانه كان فى تلك البقية ميزاب فلما أحدث عمر الباب الذى عند دار مروان كما سيأتى صار الميزاب يصب على الباب فى طريق المسجد ثم اشترى عثمان من تلك البقية ما احتاج الى ادخاله في زيادته (وروي) ابن أبى الدنيا قصة دار العباس هذه مطولة وقال ان العباس قال لعمر أما والله ماشده الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه حملنى وانه على عاتقه حين شده قال وبعض الناس يقول بل العباس حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) محمد بن عقبة يعنى رواية ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع قدميه على رقبة أبيه أو عمه ولكنه حمل العباس على عاتقه وقول يحيي فى رواية ابن عمر المتقدمة وكانت يعنى دار العباس فيما بين الاسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم أى والباب الذى يلى دار مروان لدخول بعضها في دار مروان (قال) الزين المراغي وسيأتي بيان المربعة أى فى زيادة عثمان رضى الله عنه (وقد) ذكر هناك تبعا للمطرى انها الاسطوانة التى فى صف الاساطين التي تلى القبلة وقد رفع أسفلها مربعا قدر الجلسة (قلت) والتى تليها مربعة أيضا وهى التى تلى دار مروان فهي المراد هنا كما قدمنا الاشارة اليه فى تحديد المسجد النبوى وهى الخامسة من المنبر في جهة المغرب فيكون ابتداء زيادة عمر رضي الله عنه من جهة المغرب من الاسطوانة المذكورة خلاف قول المطرى والمراغي ان المربعة التي ذكراها قبل هذه منتهى زيادة عمر رضى الله عنه وكيف يكون منتهى زيادته مع كونها مبتدأ دار العباس التى هى أول الزيادة وأيضا فذرع مابين الاسطوان التى ذكراها والحجرة الشريفة نحو تسعين ذراعا وقد قال يحيي فى رواية بن عمر أيضا ان المسجد كان طوله أى من القبلة الى الشام على عهد عمر رضى الله عنه أربعين ومائة ذراع وعرضه عشرون ومائة وطول السقف أى مابينه وبين الارض أحد عشر ذراعا انتهى. وكيف يصح ان يكون الاسطوان المذكور نهاية زيادته بل ابتداء زيادته من الاسطوان التى تليها فيكون زيادته بعد الاسطوان المذكورة فى جهة المغرب عشرين ذراعا لما قدمناه من رواية ان المسجد كان عرضه مائة ذراع فزيادته عشرون وذلك نحو اسطوانين فيكون نهاية المسجد فى زمنه من تلك الجهة

الاسطوانة السابعة من غربى المنبر ومن المشرق الحجرة الشريفة لانه لم يزد في تلك الجهة
شيأ ومن القبلة صف الاساطين التى تلى القبلة وكانت اليها المقصورة الآتى ذكرها
وقد احترقت ومن بقاياها خشبة في سفل الاسطوان التى في هذا الصف عن يسار مستقبل
المحراب العثمانى مثبتة تلك الخشبة فى الاسطوان المذكور مما يلى الارض وقد زالت فى
الحريق الثانى فزيادة عمر رضي الله عنه من جهة القبلة الرواق المتوسط بين الروضة
ورواق القبلة وذلك نحو عشرة أذرع وأما الشام فيستفاد من كون المسجد كان طوله فى
زمنه أربعين ومائة ذراع وان منها فى جهة القبلة نحو عشرة أذرع انه يمتد في زمنه بعد
الحجرين المتقدم ذكرهما فى حدود المسجد الاصلى اللذين فى صحنه نحو ستين ذراعا
لانا قدمنا ان من مقدم المسجد الأصلى اليهما نحو السبعين فقط (وبقى) أمر آخر لم أر
من نبه عليه وهو ان حجر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم كان بعضها فى جهة الشام
كما تقدم ومقتضى ماقدمناه من رواية ابن سعد وهو ظاهر ماسيأتي فى زيادة الوليد ان
عمر رضي الله عنه لم يدخل منها شيأ في المسجد وانما أدخلها الوليد فكأن عمر ترك ماكان
منها فى جهة الشام قائما على حاله وصار المسجد حواليها (وقال) السيد القرافي فى ذيله واشترى
عمر أيضا نصف موضع كان خطه النبى صلي الله عليه وسلم لجعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة
دارا بمائة ألف فزاده في المسجد (قلت) سيأتى من رواية يحيى ان الذى شرى ذلك
عثمان رضى الله عنه كذا في النسخة التى رواها ابن ابنه الحسن بن محمد عنه ثم رأيت فى
النسخة التى رواها ابنه طاهر عنه ماذكره القرافى ولم يذكر ابن زبالة ويحيى وغيرهما
ادخال عمر دار أبى بكر رضى الله عنه فى المسجد ويتعين أن يكون عمر هو الذى أدخلها
لما سبق في الفصل قبله من أن باب خوختها كان غربى المسجد وان الخوخة المجعولة في
محاذاتها عند ادخال الدار هى الخوخة الموجودة اليوم غربى المسجد وهذا لاخلاف فيه
عند المؤرخين ولهذا قال ابن النجار نقلا عن أهل السير كانت خوخة أبى بكر في غربى
المسجد فعلمنا بذلك ان دار أبى بكر كانت فى غربى المسجد وان عمر رضى الله عنه أدخلها
لكن قال الحافظ بن حجر أن ابن شبة ذكر فى أخبار المدينة ان دار أبى بكر التي
أذن له فى ابقاء الخوخة منها الى المسجد كانت ملاصقة للمسجد ولم تزل بيد أبى بكر حتى
احتاج الى شئ يعطيه لبعض من وفد عليه فباعها فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة

آلاف درهم فلم تزل بيدها الى أن أرادوا توسيع المسجد فى خلافة عثمان فطلبوها منها
ليوسعوا بها المسجد فامتنعت وقالت كيف بطريقى الى المسجد فقيل لها نعطيك دارا
أوسع منها ونجعل لك طريقا مثلها فسلمت ورضيت (قلت) هذه القصة انما ذكرها
ابن شبة فى دار حفصة التى فى قبلة المسجد وذكر معها شراءها لدار أبى بكر المذكورة
بصيغة تقتضى التضعيف واقتضى ذلك ان دار أبى بكر كانت فى قبلة المسجد على تلك
الرواية الضعيفة وان طريق آل عمر اليوم منها فنسب اليه الحافظ بن حجر الجزم به وليس
الامر كذلك كما سنوضحه ان شاء الله تعالى في الفصل الرابع عشر (وقال) يحيي في روايته
المتقدمة وجعل أساطينه من جزوع نخل وسقفه بالجريد ذراعين فوق المسجد سترة
حائطة ثلاثة أذرع وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله وسقفه جريد ذراعان وبنى فوق ظهره
سترة ثلاثة أذرع انتهي. والذى يظهر أن فى عبارة يحيي خللا وتبعه عليه ابن النجار وان
المراد ماذكره رزين فى هذه الرواية بعينها فانه قال فيها وجعل عمر سترة المسجد فوقه
ذراعين أو ثلاثة فكأن لفظ (أو) سقط قبل قوله ثلاثة أذرع (وقال) يحيي ورزين عقب ذلك وكان
بني أساسه بالحجارة الى أن بلغ قامة زاد يحيي وكان لبنه ضرب بالبقيع وجعل له ستة
أبواب بابين عن يمين القبلة وبابين عن يسارها وبابين خلف القبلة ولم يغير باب عاتكة
أى المعروف بباب الرحمة ولا الباب الذى كان يدخل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو
فتح الباب الذى عند القبر فهذان البابان من الشق الايسر أى المشرق وفتح الباب الذى
عند دار مروان بن الحكم وفتح بابين من مؤخر المسجد انتهى (وقوله) انه لم يغير باب
عاتكة ولا الباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم مسلم في الباب الذى كان
يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم (قال) المراغي تبعاً للمطرى وهو باب جبريل لانه لم يزد
في جهة المشرق شيأ وأما باب عاتكة ففيه نظر لانه زاد من جهة المغرب كما تقدم فالمراد
بكونه لم يغير انه أخره في محاذات الباب الاول وهذه الرواية تقتضى أن الباب المعروف
اليوم بباب النساء لم يكن موجودا فى زمن عمر رضى الله عنه لان المستفاد مما ذكره أن
الباب الذى زاده في جهة المشرق جعله عند القبر ولعله تصحيف لانه اذا لم يزد من جهة
المشرق شيأ كيف يحدث بابا عند القبر ويترك الجهة التى زادها من جهة الشام بغير باب
والمنقول كما سيأتى ان احداث الباب الذى عند القبر انما هو فى زيادة الوليد وسيأتى في

سبب تسميته باب النساء ان عمر رضي الله عنه قال حين بنى المسجد هذا باب النساء كما رواه يحيي فتبين أن باب النساء هو الباب الباقى فى جهة المشرق على عهد عمر رضى الله عنه وانه الذى أحدثه وسيأتى في زيادة عثمان عند ذكر اقتصاره على الابواب التى جعلها عمر ماهو كالصريح في ذلك والله أعلم (وفي) البخارى تعليقا عن أبى سعيد قال أمر عمر ببناء المسجد وقال أكن الناس من المطر واياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس (وروى) ابن شبة ويحيي من طريق عبد العزيز بن عمران عن مليح بن سليمان عن ابن أبى عمرة قال زاد عمر بن الخطاب في المسجد من شاميه ثم قال لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد يحيي وجاء الله بعامر وعبد العزيز هو ابن أبى ثابت تركوه كانت كتبه قد احترقت فحدث من حفظه فاشتد غلطه (وروى) يحيي من طريق ابن زبالة وهو ضعيف حدثنى محمد بن اسماعيل عن ابن أبى ذئب قال قال عمر ابن الخطاب لو مد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذى الحليفة لكان منه (ورواه) ابن شبة من طريق أبى غسان المدني بدل ابن زبالة وعلى كل حال هو معضل (وروى) ابن شبة ويحيي والديلمى في مسند الفردوس بسند فيه متروك عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بنى هذا المسجد الى صنعاء كان مسجدى وكان أبو هريرة يقول لو مد هذا المسجد الي باب دارى ماعدوت ان أصلى فيه (ثم) قال يحيي وحدثنا هرون بن موسى (نبا) عمر بن أبي بكر الموصلى عن ثقاة من علمائه قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مسجدى وما زيد فيه فهو منه ولو بلغ بمسجدى صنعاء كان مسجدى (قلت) وهو منقطع لكن اجتماع هذه الروايات تقوى ماقدمناه فى آخر الفصل الثانى عن مالك رحمه الله من ان المضاعفة الواردة فى المسجد النبوى يعم مازيد فيه والله أعلم

﴿ الفصل الثالث عشر ﴾ في البطيحاء التى بناها عمر رضى الله عنه بناحية المسجد ومنعه من انشاد الشعر ورفع الصوت فيه وماجاء في ذلك *

(روى) ابن شبة ويحيي بسند جيد عن سالم بن عبد الله ان عمر يعنى ابن الخطاب اتخذ مكانا الى جانب المسجد يقال له البطيحاء وقال من اراد أن يلغط أو يرفع صوتا أو ينشد شعرا فليخرج اليه ولفظ يحيي ان عمر بن الخطاب بنى فى ناحية المسجد رحبة تدعا

البطيحاء ثم قال من أراد ان يلغط أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج الى هذه الرحبة زاد ابن شبة عقيب روايته من طريق محمد بن يحى قال محمد وقد دخلت تلك البطيحاء في المسجد فيما زيد فيه بعد عمر رضى الله عنه (وذكر) ابن شبة فى موضع آخر مايبين ان البطيحاء كانت في جهة شرقى المسجد مما يلى مؤخره زمن عمر رضى الله عنه فانه قال اتخذ خالد بن الوليد داره التى كانت بالبطيحاء الى آخر ماسيأتي عنه مع بيان انها الرباط المعروف اليوم برباط السبيل فى شرقى المسجد (وروى) ابن شبة أيضا بسند جيد عن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه كان اذا خرج من الصلاة نادى في المسجد اياكم واللغط ويقول ارتفعوا في أعلا المسجد (ورواه) يحى بلفظ كان اذا خرج لى الصلاة (وروى) ابن شبة بسند جيد الا ان فيه عنعنة بن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتاده ان عمر رضي الله عنه سمع ناسا من التجار يذكرون تجارتهم والدنيا في المسجد فقال انما بنيت هذه المساجد لذكر الله فاذا ذكرتم تجاراتكم ودنياكم فاخرجوا الى البقيع (وروى) أيضا عن شيخه سليمان بن داود قال حدثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه سمع صوت رجل فى المسجد فقال اتدري اين أنت كانه كره الصوت (وعن) عبد الرحمن بن حاطب قال كان بين عثمان وطلحة تلاح فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ عمر رضى الله عنه فاتاهم وقد ذهب عثمان وبقى طلحة فقال أفي مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم تقولان الهجر ومالا يصلح من القول قال فجثى طلحة على ركبتيه وقال انى والله لانا المظلوم المشتوم فقال أفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولان الهجر ومالا يصلح من القول ماأنت منى بناج فقال الله الله ياأمير المؤمنين فوالله انى أنا المظلوم المشتوم فقالت أم سلمة من حجرتها والله ان طلحة لهو المظلوم المشتوم قال فكف عمر رضى الله عنه (وعن) السائب بن يزيد قال كنت مضطجعا في المسجد فحصبني رجل فرفعت رأسى فاذا عمر رضي الله عنه فقال اذهب فاتنى بهذين الرجلين فجئت بهما فقال من أنتما أو من أين أنتما قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد ما فارقتمان حتي أوجعكما جلدا ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعن) طارق بن شهاب ان عمر رضى الله عنه أتى برجل في المسجد وقد أخذ فى شئ فقال أخرجاه من المسجد فاضرباه أواضربوه

(وروى) يحيى عن نافع ان عمر بينما هو فى المسجد عشاء اذ سمع ضحك رجل فأرسل اليه فقال من أنت فقال أنارجل من ثقيف فقال أمن أهل البلد أنت فقال بل من أهل الطائف فتوعده فقال لو كنت من أهل البلد لنكلت بك ان مسجدنا هذا لا يرفع فيه الاصوات (وعن) ابن سيرين ان ابن مسعود سمع رجلا يرفع صوته في المسجد فسبه فقيل له ما كنت فحاشا فقال أمرنا بهذا (وروى) ابن زبالة ويحيي عن سعيد ابن المسيب ان عمر بن الخطاب مر بحسان بن ثابت وهو ينشد في المسجد فلحظ اليه فقال حسان قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ثم التفت الى أبى هريرة فقال أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عنى اللهم أيده بروح القدس قال اللهم نعم (وقد) رواه البخارى في الصحيح بنحوه (وفي) رواية ليحيى عقب قوله قد كنت أنشد فيه من هو خير منك فانصرف عمر وقد عرف انه يريد النبي صلى الله عليه وسلم (وفي) رواية ذكرها الحافظ بن حجر فقال كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك (وفى) الترمذى من طريق أبى الزناد عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ينصب لحسان منبرا فى المسجد فيقوم عليه يهجوا الكفار (وأما) مارواه ابن خزيمة فى صحيحه والترمذى وحسنه من طريق عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تناشد الاشعار في المساجد (قال) الحافظ بن حجر صحيح الى عمرو فمن يصحح نسخته يصححه وفي هذا المعنى عدة أحاديث لكن فى أسانيدها مقال والجمع بينها وبين ماتقدم ان يحمل النهى على تناشد أشعار الجاهلية والمبطلين وهو مراد عمر بقوله من أراد ان ينشد شعرا فليخرج الى هذه يعنى البطيحاء والمأذون فيه ماسلم من ذلك وقيل المنهى عنه مااذا كان غالبا على المسجد حتي يتشاغل به من فيه وأبعد بعضهم فاعمل أحاديث النهى وادعى نسخ الاذن ولم يوافق على ذلك (وروى) ابن زبالة عن على بن زيد بن جدعان قال أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أبيات

* بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * والله أعلم

﴿ الفصل الرابع عشر فى زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

روينا فى صحيح البخارى وسنن أبى داود عن نافع ان عبد الله يعنى ابن عمر

أخبره ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج (وروى) أبو داود أيضا وسكت عليه عن عطية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان مسجد النبى صلى الله عليه وسلم كانت سواريه علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جذوع النخل أعلاه مظلل بجريد النخل ثم انها نخرت فى خلافة أبي بكر رضى الله عنه فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل ثم انها نخرت فى خلافة عثمان رضى الله عنه فبناها بالآجر فلم تزل ثابتة حتى الآن هكذا رأيته في أصول متعددة معتمدة من السنن (وأورده) المجد بلفظ ثم انها نخرت في خلافة عمر بدل أبى بكر ولم أره فى شيء من النسخ وفي هذا الخبر مايقتضى ان السبب في بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التى هى السوارى نخرت وان عثمان بناها بالآجر لا الحجر فلعل البعض كان فى زمنه مبنيا بالآجر وهو بعيد وما تقدم من رواية الصحيح أصح (وفي) صحيح مسلم عن محمود بن لبيد ان عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا ان يدعه على هيئته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا لله بنى الله له فى الجنة مثله (وفيه) (وفي) البخارى عن عبيد الله الخولاني انه سمع عثمان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول انكم قد أكثرتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا لله عز وجل الحديث (وقوله) فى الرواية الاولى ان عثمان أراد بناء المسجد يبين ان المراد من قوله حين بناء المسجد حين أراد بناءه الا ان يكون ذلك قد تكرر من عثمان لتكرر كلامهم قبل البناء وبعده وهو الاقرب وقوله وأحبوا ان يدعه على هيئته أى بجذوع النخل واللبن كما فعل عمر رضى الله عنه لموافقته لفعله صلى الله عليه وسلم ولهذا (قال) البغوى في شرح السنة لعل الذى كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة لامجرد توسيعه انتهي (ويؤيده) ماسيأتى من ان الناس شكوا اليه ضيق المسجد (فقوله) لما أراد عثمان بناء المسجد أى على الهيئة التى بناه عليها ويؤخذ من هذا اطلاق البناء المرغب فيه فى حق من جدد ووسع لان عثمان لم يبن المسجد كله انشاء وقوله انكم

أكثرتم أى الكلام بالانكار ونحوه (وروى) يحيى عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال لما ولى عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين كلم الناس ان يزيد فى مسجدهم وشكوا اليه ضيقه يوم الجمعة حتى انهم ليصلون فى الرحاب فشاور فيه عثمان أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوا على ان يهدمه ويزيد فيه فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى قد أردت ان اهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزيد فيه وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة وقد كان لى فيه سلف وامام سبقنى وتقدمنى عمر بن الخطاب كان قد زاد فيه وبناه وقد شاورت أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه فحسن الناس يومئذ ذلك ودعوا له فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه وكان رجلا يصوم الدهر ويصلى الليل وكان لايخرج من المسجد وأمر بالقصة المنخولة تعمل ببطن نخل وكان أول عمله فى شهر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين فكان عمله عشرة أشهر (قلت) قوله أولا لما ولى عثمان سنة أربع وعشرين الى قوله فأصبح ودعا العمال يفهم انه في تلك السنة وقوله أخيرا وكان أول عمله الى آخره يأباه وما ذكره أخيرا هو الصواب المذكور فى كلام غيره فيحمل ماذكره أولا على انه لم يشرع في المشاورة والعمارة عقب كلام الناس له بل استمر تلك السنين وربما تكرر الكلام فخطبهم فى السنة التي وقعت فيها العمارة (وقد روى) رزين الخبر المذكور عن المطلب المذكور بلفظ لما ولى عثمان وكان سنة أربع من خلافته كلمه الناس ان يزيد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوا اليه ضيقه فشاور عثمان أهل الرأى فأشاروا عليه بذلك وذكر نحو ماتقدم وينبغى حمله أيضا على ان الكلام وقع من الناس سنة أربع من خلافته وتأخرت العمارة الى سنة تسع وعشرين بتقديم المثناة الفوقية على السين والا فهو مخالف لما تقدم لان عثمان رضى الله عنه ولى غرة المحرم افتتاح سنة أربع وعشرين فسنة أربع من خلافته هى سنة سبع وعشرين بتقديم السين على الموحدة والاول هو الاصح (فقد) روى يحيى وابن زبالة ان عثمان زاد في المسجد قبل ان يقتل باربع سنين وعثمان قتل فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين (وقال) الحافظ

ابن حجر كان بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور وقيل في آخر سنة من خلافته (ففى) كتاب السير عن الحارث بن مسلم عن ابن وهب أخبرنى مالك ان كعب الاحبار كان يقول عند بنيان عثمان المسجد لوددت ان هذا المسجد لا ينجز فانه اذا فرغ من بنيانه قتل عثمان (قال) مالك فكان كذلك (قال) الحافظ بن حجر ويمكن الجمع بان الاول كان تاريخ ابتدائه والثانى تاريخ انتهائه (قلت) قد تقدم مايرد هذا الجمع وان الفراغ منه كان فى سنة ثلاثين لكن يمكن ان عثمان رضي الله عنه أحدث فيه عمارة اخري آخر سنة من خلافته (وقد) وصل ابن شبة مانقله مالك عن كعب فروى بسنده من طريق الاعمش عن أبي صالح قال قال كعب ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم يبني والله لوددت انه لايفرغ من برج الاسقط برج فقيل له ياأبا اسحق أما كنت تحدثنا ان صلاة فيه أفضل من الف صلاة في غيره الا المسجد الحرام قال بلى وأنا أقول ذلك الآن ولكن فتنة نزلت من السماء ليس بينها وبين ان تقع الا شبر ولو فرغ من بناء هذا المسجد وقعت وذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان بن عفان فقال رجل وهل قاتله الا كقاتل عمر قال بل مائة الف أو يزيدون ثم يحل القتل مابين عدن أبين الى دروب الروم (وروى) يحيي عن أفلح بن حميد عن أبيه قال لما أراد عثمان ان يكلم الناس على المنبر ويشاورهم قال له مروان بن الحكم فداك أبى وامي هذا أمر خير لو فعلته ولم تذكر لهم فقال ويحك انى أكره ان يروا انى أستبد عليهم بالامور قال مروان فهل رأيت عمر حيث بناه وزاد فيه ذكر ذلك لهم قال اسكت ان عمر اشتد عليهم فخافوه حتى لو أدخلهم في جحر ضب دخلوا وانى لنت لهم حتي أصبحت أخشاهم قال مروان ابن الحكم فداك أبى وأمى لايسمع هذا منك فيجترأ عليك (وعن) عبد الرحمن بن سفينة قال رأيت القصة تحمل الى عثمان وهو يبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بطن نخل رأيته يقوم علي رجليه والعمال يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم وربما نام ثم رجع وربما نام فى المسجد (وعن) خارجة بن زيد (قال) هدم عثمان بن عفان المسجد وزاد فى قبلته ولم يزد فى شرقيه وزاد فى غربيه قدر اسطوان وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وعسب النخل والجريد وبيضه بالقصة وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها علي قدر النخل وجعل فيه طيقان مما يلى المشرق والمغرب وذلك قبل ان يقتل باربع سنين

وزاد فيه الى الشام خمسين ذراعا (وعن) محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه
قال زاد عثمان فى المسجد قبل ان يقتل باربع سنين فزاد من القبلة فوضع جداره على
حد المقصورة اليوم وزاد فيه من المغرب اسطوانا بعد المربعة وزاد فيه من الشام خمسين
ذراعا ولم يزد من المشرق شيئاً وزعم المطرى وتبعه المراغي ان المراد بهذه المربعة
المربعة المتقدم وصفها في تحديد المسجد النبوى فى زيادة عمر رضي الله عنه وهى الأولى
من المربعتين اللتين يليان القبلة في صف الاسطوان الرابع من المنبر في جهة المغرب وجعلا
نهاية زيادة عثمان الى الاسطوانة التى تليها فى المغرب المقابلة للطراز المتقدم وصفه فقالا
أراد بالمربعة الاسطوانة التى تليها فى المغرب التى فى القبلة التى رفع أسفلها مربعا قدر الجلسة
وهى منتهى زيادة عثمان من المغرب وقبالة الاسطوانة التى زادها عثمان فى الحائط القبلى
طراز آخر من العصابة السفلى الى سقف المسجد وهو حد زيادة عثمان انتهي (ومحصله)
ان زيادة عثمان هى الرواق الكائن بين الاسطوانتين المذكورتين ولم أر من سبقهما
لذلك وقد قدمنا فى تحديد المسجد النبوى مايقتضي ان الطراز المذكور في موازاة حد
المسجد النبوى على الراجح وان زيادة عمر وعثمان رضى الله عنهما من بعد ذلك فى جهة
المغرب وان عمر رضى الله عنه جعل المشرق الى المغرب مائة وعشرين ذراعا وان من
المربعة التى ذكرا انها نهاية زيادته الى الحجرة الشريفة ينقص عن تسعين ذراعا والى
محاذات الطراز نحو المائة فيبقى لعمر فى جهة المغرب بعد الطراز رواقان آخران فيكون نهاية
المسجد فى زمنه الاسطوانة السابعة من المنبر وفى صف السابعة من المنبر اسطوان
أسفله مربع لكنه ليس مرتفعاً عن الارض بقدر الجلسة بل تربيعه على وجه الارض
وقد زال تربيعه فى العمارة الحادثة بعد الحريق الثاني وليس هو في صف الاساطين التى
تلى القبلة بل في صف الاساطين التى خلف محراب الحنفية فالظاهر ان هذه المربعة
هى المرادة هنا فيكون لعثمان رضي الله عنه فى جهة المغرب الرواق الذى بعدها فيكون
نهاية المسجد في زمنه الاسطوانة الثامنة من المنبر فى جهة المغرب ويدل على صحة ذلك
ماسيأتى ان الوليد زاد بعد عثمان رضى الله عنه في جهة المغرب اسطوانين ولم يزد أحد بعد
الوليد فى جهة المغرب شيأ والباقي من الاسطوانة الثامنة من المنبر اسطوانتان فقط فى جهة
المغرب فهما زيادة الوليد وهناك اسطوان مربعة مرتفعة قدر الجلسة أيضا امام الاسطوانة

بوجاه الداخل من باب السلام الظاهر أنها جعلت علامة لنهاية زيادة عثمان رضى الله عنه
وابتداء زيادة الوليد وان قلنا بأن نهاية المسجد النبوى المربعة الأولى التى تلي القبلة كما
سبقت الاشارة اليه فحينئذ يكون لعمر رضي الله عنه منها الي جهة المغرب اسطوانتان فيكون
نهاية زيادة الاسطوانة السادسة من المنبر وفي صفها اسطوان مربع قدر الجلسة أيضا امام
الاسطوانة المثمنة اليوم وتكون زيادة عثمان رضي الله عنه الى الاسطوانة التي بعدها في
جهة المغرب وهى السابعة وتبقى للوليد منها الى جدار المسجد ثلاثة أساطين وسيأتى في
عمارته رواية تقتضى ذلك علي أن الذى أفهمه من كلام متقدمى المؤرخين كما قدمناه في حدود
المسجدان المربعة حيث أطلقت في جهة المغرب فالمراد بها الاسطوانة المقابلة لمربعة القبر فى
جهة المغرب عند ركن صحن المسجد قبل زيادة الرواقين الآتى بيانهما وهى المثمنة اليوم وفى
ركنى الصحن الشاميين اسطوانتان على هيأتها أيضا وتثمينها حادث كما تقدم بيانه ويعبرون
عنها بالمربعة الغربية وهى السادسة من المنبر فيترجح بذلك أنها نهاية زيادة عمر وابتداء
زيادة عثمان رضى الله عنه ولو كان كما زعم المطرى ومن تبعه لكان بعد نهاية زيادة عثمان رضى
الله عنه فى المغرب خمس أساطين فيكون كلها للوليد ولا قائل بذلك وفيما قدمناه فى تحديد
المسجد النبوى كفاية في رد ماقالاه (وروى) يحيى عن عبدالله بن عطية بن عبدالله بن
أنيس قال بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده حجارة منقوشة وبها
عمد الحديد فيها الرصاص وسقفه ساجا وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين
ومائة ذراع وجعل أبوابه ست أبواب على ما كان على عهد عمر رضى الله عنه (باب)
عاتكة أى المعروف بباب الرحمة (والباب) الذي يليه أى بقرب من محاذاته فى المشرق
وهو باب النساء (وباب) مروان أى المعروف بباب السلام (والباب) الذى يقال له باب
النبي صلى الله عليه وسلم أى المعروف بباب جبريل (وبابين) فى مؤخر المسجد (قلت) قوله
وجعل طوله ستين ومائة ذراع مخالف لما تقدم من كونه زاد فيه من جهة الشام خمسين
ذراعا لانه قد تقدم أن عمر رضى الله عنه جعل طول المسجد أربعين ومائة ذراعا فلو زاد
فيه عثمان خمسين ذراعا لكان طوله في زمنه تسعين ومائة ذراع على ان الاقرب أن طوله في
زمن عثمان كان ستين ومائة ذراع لما سيأتى في الزيادة بعده وقوله وعرضه خمسين ومائة
ذراع مخالف لما تقدم من كونه لم يزد من جهة المغرب سوى اسطوانة واحدة ولم يزد فى

جهة المشرق شيأ بل هذه الرواية خلافا للاتفاق على ان عثمان رضى الله عنه لم يزد من جهة
المشرق شيأ فيكون نهايته فى زمنه الحجرة الشريفة وذرع المسجد اليوم من جداره الغربى
الى جدار الحجرة الشريفة لا يبلغ خمسين ومائة ذراع بل ينقص عن ذلك أكثر من
سبعة أذرع ثم تبقى زيادة الوليد من جهة المغرب وهى متفق عليها أيضا فالصواب انه
لم يزد من المغرب سوى اسطوانة وان عرض المسجد فى زمنه نحو مائة وثلاثين ذراعا والله
أعلم (وروى) يحيى كما في النسخة التى رواها ابنه عن أبى الحسن المدائنى انه قال في
حديث ساقه أن النبى صلى الله عليه وسلم خط لجعفر بن أبى طالب دارا وهو بأرض
الحبشة فاشترى عثمان نصفها بمائة ألف فزادها فى المسجد (قلت) تقدم في زيادة عمر
رضى الله عنه (نقل) مثل ذلك عن فعل عمر رضى الله عنه فيحتمل ان كلا منهما شرى
نصف ذلك وأدخله مرتبا والله أعلم (وروى) ابن زبالة عن عبدالله بن عمر بن حفص
قال مد عمر بن الخطاب جدار القبلة الى الاساطين التى اليها المقصورة اليوم ثم زاد
عثمان بن عفان حتى بلغ جداره اليوم قال فسمعت أبى يقول لما احتيج الى بيت حفصة
قالت فكيف بطريقي الى المسجد فقال لها نعطيك أوسع من بيتك ونجعل لك طريقا
مثل طريقك فأعطاها دار عبيدالله بن عمر وكانت مربدا (قلت) وهذه العبارة محتملة
لان القائل نعطيك الى آخره عمر أو عثمان رضى الله عنهما ويرجح الثانى أنه أورده في سياق
زيادة عثمان رضى الله عنه وانه روى عقبه عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه ان
عمر قدم جدار القبلة الى المقصورة ثم قدمه عثمان الى موضعه اليوم وأدخل بقية دار
العباس بن عبد المطلب مما يلى القبلة والشام والمغرب وأدخل بعض بيوت حفصة
بنت عمر مما يلى القبلة فقام المسجد علي تلك الحال حتى زاد فيه الوليد (قلت)
تقدم فى زيادة عمر رضى الله عنه أن الحافظ بن حجر نقل عن ابن شبة ان دار أبى
بكر التي أذن له في ابقاء الخوخة منها الى المسجد اشترتها حفصة أم المؤمنين فلم تزل فى
يدها الى أن أرادوا توسيع المسجد في خلافة عثمان فطلبوها منها ليوسع بها فى المسجد
فامتنعت وقالت كيف بطريقى الى المسجد فقيل لها نعطيك دارا أوسع منها ونجعل لك
طريقا مثلها فسلمت ورضيت والذى ذكره ابن شبة فى علم دور أزواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ماسنذكره عنه في الدور التى كانت حول المسجد من أن حفصة اتخذت دارها

التى في قبلة المسجد لها خوخة في المسجد فورثها عبدالله بن عمر وذكر ماسيأتى فى أصل
هذه الدار من كونها كانت مربدا كما سيأتي ثم ذكر لحفصة دارا أخرى ثم قال وأخبرنى
مخبر قال كان بيت أبى بكر الذى أذن له النبى صلى الله عليه وسلم فى ابقاء خوخته بيد عبد
الله بن عمر وهو البيت الذى على يمينك اذا دخلت دار عبدالله من الخوخة التى في المسجد
فتلقاك هناك خوخة في جوف الخوخة التى هى الطريق مبوب فتلك الخوخة خوخة أبى
بكر قال وكانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر والدار الذي ذكرت فوق
هذه الشارعة علي باب دار عبدالله الى جنب دار هشام فباع أبوبكر رضي الله عنه ذلك
المسكن وتلك الدار من حفصة بأربعة آلاف درهم ونقدها عنها عثمان بن عفان وانما باع
ذلك أبو بكر لناس قدموا عليه من بنى تميم فسألوه ثم قال ابن شبة (حدثنا) محمد بن يحيى
عن عبدالله بن عمر بن حفص قال سمعت أبى يقول لما احتيج الى بيت حفصة قالت
وكيف طريقي فى المسجد فقيل لها نعطيك أوسع من بيتك ويجعل لك طريقا مثل طريقك
فأعطاها دار عبدالله بن عمر وكانت مربدا انتهي . والذى يقتضيه قوله وأخبرنى مخبر
تضعيف هذه الرواية (وقد) روى في ذكر دور بنى تيم كما قدمناه ان دار أبى بكر
المذكورة كانت شارعة فى دار القضاء في غربى المسجد وقد صدر كلامه بأن أصل
دار حفصة انما هو المربد وختم كلامه بذلك (وقوله) لما احتيج الى بيت حفصة المراد به
سكنها هو الذى كان شارعا في المسجد في زمنه صلي الله عليه وسلم كما سيأتى بيانه والله
أعلم (وتقدم) في زيادة عمر رضى الله عنه مارواه يحيى من أن عثمان رضى الله عنه شرى
دار العباس فزادها في المسجد الا ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا فقال الراوى
لا أدرى أكان ابتاع البقية أم لا وحملناه علي ان المراد بدار العباس مابقي منها بعد مازاده
عثمان رضى الله عنه والظاهر أن تلك البقية هى التى دخلت في دار مروان (وقد) ذكر ابن
زبالة ويحيى وابن النجار اتخاذ مروان لداره عقب ذكر زيادة عثمان رضي الله عنه
فيحتمل انه اتخذها في حال زيادة عثمان رضي الله عنه أو بعده وهو الظاهر لانهم ذكروا
انه اتخذ لها خوخة في المسجد من جهة القبلة ثم قال أخشى ان أمنعها فجعل لها بابا عن
يمينك حين تدخل ثم جعل الباب الثالث الذي على باب المسجد كما سيأتى والله أعلم

﴿ الفصل الخامس عشر ﴾ في المقصورة التي اتخذها عثمان رضى الله عنه في المسجد وما كان من أمرها بعده

(روى) ابن زبالة وابن شبة عن عبدالرحمن بن سعد عن أشياخه ان أول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان وانه كانت فيه كوى ينظر الناس منها الى الامام وان عمر ابن عبدالعزيز هو الذى جعلها من ساج حين بنى المسجد (وروي) الاول أيضا عن عيسى بن محمد بن السائب ومحمد بن عمرو بن مسلم بن السائب بن خباب وعمر بن عثمان بن عبد الرحمن ان عثمان بن عفان أول من وضع المقصورة من لبن واستعمل عليها السائب بن خباب وكان رزقه دينارين في كل شهر فتوفي عن ثلاثة رجال مسلم وبكير وعبدالرحمن فتواسوا في الدينارين فجريا في الديوان على ثلاثة منهم الى اليوم قال ابن زبالة وقال مالك بن أنس لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمل عثمان مقصورة من لبن فقام يصلى فيها للناس خوفا من الذى أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت صغيرة (وروى) يحيى هذا كله فى زيادة عثمان رضي الله عنه (ثم روى) في زيادة الوليد عن عبدالحكيم بن عبدالله ابن حنطب قال أول من أحدث المقصورة في المسجد مروان بن الحكم بناها بالحجارة المنقوشة وجعل لها كوى وكان بعث ساعيا الى تهامة فظلم رجلا يقال له دب فجاء دب الى مروان فقام حيث يريد أن يقوم مروان حتى أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم يصنع شيأ فأخذه مروان فقال ماحملك على ماصنعت قال بعثت عاملا فأخذ ذودى بمرة وتركنى وعيالى لانجد شيأ فقلت اذهب الى الذى بعثك فاقتله فهو أصل هذا فجاء ماترى فحبسه مروان حينا في السجن ثم أمر به فاغتيل سرا فكانت المقصورة (ورواه) ابن شبة بنحوه الا أنه سمى الرجل فى موضع دبا وفى آخر ذبابا وقال بعثت عاملك فأخذ منى بقرة فتركنى وعيالى لانجد شيأ وأنا امرؤ خبيث النفس فقلت اذهب الى الذى بعثه فاقتله فهو أصل هذا فجاء ماترى فحبسه مروان في الحبس حينا ثم أمر به فاغتيل سرا وعمل المقصورة (قلت) وجزم بذلك في العتبية فيما حكاه ابن رشد في بيانه فقال فى كتاب الصلاة (مسئلة) قال مالك أول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليمانى قال فجعل مقصورة من طين وجعل فيها تشبيكا انتهى (قال) ابن رشد في شرح ذلك وجه قوله هذا الاعلام بأن المقصورة محدثة لم تكن على عهد النبى صلي الله عليه وسلم ولا على عهد

الخلفاء بعده وانما أحدثها الامراء لخوف على أنفسهم فاتخاذها في الجوامع مكروه انتهى (وفي) شرح مسلم للنووى ان أول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية رضى الله عنه حين ضربه الخارجي انتهى (وافهم) كلام ابن زبالة أنها كانت في زمن عمر بن عبدالعزيز مرتفعة عن أرض المسجد لانه ذكر فى زيادة المهدى انه أمر بالمقصورة فهدمت وخفضت الى مستوى المسجد وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأها مع المسجد وكان المراغي فهم أن المراد بذلك سقف المقصورة لا أرضها فانه قال في زيادة المهدى وخفض سقف المقصورة وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأها مع المسجد انتهى (ورأيت) لفظة سقف ملحقة بخطه والظاهر أن ذلك هو المراد وذكر المطرى مايقتضى أن المهدى جعلها من خشب على الرواق القبلي بأجمعه وهو مراد ابن جبير بقوله فى رحلته بعد ان ذكر أن في الجهة القبلية من المسجد خمس بلاطات يعنى أروقة قال والبلاط المتصل بالقبلة من الخمس المذكورة تحويه مقصورة تكنفه طولا من غرب الى شرق والمحراب فيها انتهى (وقد) احترقت هذه المقصورة فى حريق المسجد الاول والله أعلم

﴿ الفصل السادس عشر فى زيادة الوليد بن عبد الملك على يد عمر بن عبدالعزيز ﴾

(نقل) رزين ان المسجد بعد ان زاد فيه عثمان رضى الله عنه لم يزد فيه على ولا معاوية رضى الله عنهما ولا يزيد ولا مروان ولا ابنه عبد الملك شيئاً حتى كان الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله علي المدينة ومكة بعث الوليد الى عمر بن عبد العزيز بمال وقال له من باعك فاعطه ثمنه ومن أبي فاهدم عليه واعطه المال فان أبى ان يأخذه فاصرفه الى الفقراء انتهى (وقال) ابن زبالة حدثنى عبد العزيز بن محمد عن بعض أهل العلم قال قدم الوليد بن عبد الملك حاجا فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ حانت منه التفاتة فاذا بحسن بن حسن بن على بن أبى طالب فى بيت فاطمة في يده مرآة ينظر فيها فلما نزل أرسل الى عمر بن عبد العزيز فقال لا أرى هذا قد بقى بعد أشتر هذه المواضع وأدخل بيت النبى صلى الله عليه وسلم في المسجد وأسدده (وروى) يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن عبد العزيز بن محمد بنحوه (وروى) أيضا عن موسى بن جعفر بن أبى كثير قال بينما الوليد يخطب علي المنبر اذ انكشفت الكلة عن بيت فاطمة عليها السلام واذا حسن بن حسن يسرح لحيته وهو

يخطب على المنبر فلما نزل أمر بهدم بيت فاطمة رضى الله عنها (قال) يحيي وحدثني عبد الله
ابن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على رضى الله عنهما مثله وزاد فيه ان حسن
ابن حسن وفاطمة بنت الحسين أبوا ان يخرجوا منه فأرسل اليهم الوليد بن عبد الملك ان
لم تخرجوا منه هدمته عليكم فابوا ان يخرجوا فأمر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما فنزع
أساس البيت وهم فيه فلما نزع أساس البيت قالوا لهم ان لم تخرجوا قوضناه عليكم فخرجوا
منه حتى أتو دار على نهارا (وروى) ابن زبالة عن منصور مولى الحسن بن علي قال كان
الوليد بن عبد الملك يبعث كل عام رجلا الى المدينة يأتيه باخبار الناس وما يحدث بها قال
فأتاه في عام من ذلك فسأله فقال لقد رأيت أمرا لا والله مالك معه سلطان ولا رأيت مثله قط
قال وما هو قال كنت فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فاذا منزل عليه كلة فلما اقيمت
الصلاة رفعت الكلة وصلى صاحبه فيه بصلاة الامام هو ومن معه ثم أرخيت الكلة
وأتى بالغداء فتغدا هو وأصحابه فلما أقيمت الصلاة فعل مثل ذلك واذا هو يأخذ
المرآة والكحل وأنا أنظر فسألت فقيل ان هذا حسن بن حسن قال ويحك فما أصنع
هو بيته وبيت أمه فما الحيلة فى ذلك قال تزيد فى المسجد وتدخل هذا البيت فيه قال
فكتب الى عمر بن عبد العزيز يأمره بالزيادة في المسجد ويشترى هذا المنزل قال فعرض
عليهم ان يبتاع منهم فابوا وقال حسن والله لانأكل له ثمنا أبدا قال واعطاهم به سبعة
آلاف دينار أوثمانية فابوا فكتب الى الوليد بن عبد الملك في ذلك فأمره بهدمه وادخاله
وطرح الثمن في بيت المال ففعل وانتقلت منه فاطمة بنت حسين بن على الى موضع
دارها بالحرة فابتنتها (قلت) وسيأتى بقية هذا الخبر فى ذكر بئرها ان شاء الله تعالى
(قال) ابن زبالة وحدثنى غير واحد من أهل العلم منهم ابراهيم بن محمد الزهري عن
أبيه عن عبد الرحمن بن حميد ومحمد بن اسماعيل عن محمد بن عمار عن جده ومحمد بن
عبد الله عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر بن حفص وعبد العزيز بن محمد عن عبيد
الله بن عمر بن حفص وسليمان بن محمد بن أبى سبرة ومحمد بن طلحة عن عثمان بن عبد
الرحمن بن عثمان وبعضهم يزيد على بعض ان عمر بن عبد العزيز لما جاءه كتاب الوليد
بهدم المسجد والزيادة فيه بعث الى رجال من آل عمر فقال ان أمير المؤمنين كتب
الى ان ابتاع بيت حفصة وكان عن يمين الخوخة أى خوخة آل عمر وكان بينه وبين منزل

عائشة الذى فيه قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم طريق وكانت أبنيتها ديان الكلام
وهما في منزليهما من قرب مابينهما فلما دعاهم قال ان أمير المؤمنين قد أمرنى ان أبتاع
هذا المنزل وأدخله في المسجد قالوا مانبيعه بشئ قال اذا أدخله فى المسجد قالوا أنت
وذاك فاما طريقنا فانا لانقطعها فهدم البيت وأعطاهم الطريق ووسعها لهم حتى انتهى بها
الى الاسطوان وكانت قبل ذلك ضيقه قدر ما يمر الرجل منحرفا (قال) عبد العزيز بن
محمد فكنت أسمع عبيد الله بن عمر يقول لاأخرجني الله من الدنيا حتي أراها قد
سدت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايلتقي الصور الصور (قلت) وسنورد بقية هذا
الخبر (وروى) يحيي فى قصة هذه الدار عن مالك بن أنس فى جملة خبر ان الحجاج قال
لعبد الله بن عبد الله بن عمر يعنى منزل حفصة قال لا والله ما كنت لآخذ لبيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثمنا أبدا قال اذا والله أهدمه قال والله لاتهدمه الا على ظهرى
فامر الحجاج صائحا صاح في الناس بالعتل والمساحي والفوس فقام عبد الله فدخل بيت
حفصة وجاء الغوغاء بالعتل والفوس فامرهم الحجاج بهدمه فصعدوا ليهدموه وعبيد الله
فيه فجاءت بنوا عدي الى عبيد الله فقالوا له ماأضعفك هو يتأسف على قتل أبيك
ويزع عن قتلك فأخرجوه فهدمه الحجاج وكتب الى الوليد يعلمه ماصنع وامتناع عبيد
الله من الثمن فكتب الوليد الى عمر بن العزيز يأمره يعرض على عبيد الله الثمن فان
أبى جعل له مكرمة بدله فى المسجد فجعل له عمر الخوخة التى فى قبلة المسجد التى الى دار
حفصة اليوم وهو يقتضى ان الذى هدم دار حفصة هو الحجاج (وعن) جعفر بن وردان
عن أبيه قال لما استعمل الوليد عمر بن عبد العزيز على المدينة أمره بالزيادة في المسجد
وبنيانه واشتراء ماحوله من المشرق والمغرب والشام فلما خلص الى القبلة قال له عبيد الله
ابن عبد الله بن عمر لست أبيع هذا هو من حق حفصة وقد كان النبى صلي الله عليه
وسلم يسكنها فقال له عمر ماأنا بتارككم أو أدخلها المسجد فلما كثر الكلام بينهما
قال له عمر اجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه وأعطيكم دار الرقيق مكان هذا
الطريق وما بقي من الدار فهو لكم ففعلوا وأخرج بابهم فى المسجد وهو الخوخة التى
في المسجد تخرج في دار حفصة بنت عمر وأعطاهم دار الرقيق وقدم الجدار فى موضعه
اليوم وزاد في المشرق مابين الاسطوان الربعة الى جدار المسجد اليوم ومعه عشرة

أساطين من مربعة القبر الى الرحبة الى الشام ومده في المغرب اسطوانين وادخل فيه
حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث
التى كان يقال لها القرائن اللاتي يقول فيهن أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا ۞ بقيع المصلى أو كعهدى القرائن

وقد سمعنا من يقول القرائن كانت جنابذ ثلاث لعبد الرحمن بن عوف انتهى
(قلت) وأخبار المؤرخين متطابقة على ان حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أدخلت
فى المسجد بامر الوليد وقد قدمنا في الفصل التاسع قول عطاء الخراسانى أدركت
حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد على أبوابها المسوح من شعر اسود
فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بادخال حجر أزواج النبى صلى الله عليه
وسلم فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم قال عطاء فسمعت سعيد بن
المسيب يقول والله لوددت انهم تركوها على حالها لكن نقل الزين المراغي عن السهيلي
انه نقل ان الحجر والبيوت خلطت بالمسجد في زمن عبد الملك بن مروان قال ويرده
تصريح رزين وغيره بضد ذلك (قلت) ولعل مراد من نسب ذلك الى عبد الملك انه
جعلها للمسلمين يصلون فيها لضيق المسجد من غير هدم لها وقد كان الناس يصلون فيها
قبل ادخالها فى المسجد في يوم الجمعة (فقد) نقل مالك رحمه الله عن الثقة عنده ان الناس
كانوا يدخلون حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يصلون فيها يوم الجمعة بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم وكان المسجد يضيق عن أهله قال وحجر أزواج النبى صلى الله
عليه وسلم ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فى المسجد انتهى (وأما) بقية خبر ابن
زبالة المتقدم فقد قال عقب ذلك ثم سام عمر بن عبد العزيز بني عبد الرحمن بن عوف
بدارهم فأبوا فهدمها عليهم وأدخلها في المسجد قال عبد الرحمن بن حميد فذهب لنا متاع
في هدمهم وأدخل حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى المشرق ومن الشام
وأدخل القرائن دور عبد الرحمن بن عوف وأدخل دار عبد الله بن مسعود التى يقال
لها دار القراء وأبيات هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وأدخل فيه من المغرب دارا كانت
لطلحة بن عبيد الله ودارا كانت لابي سبرة بن أبى رُهم كانت في موضع المربعة التى
فى غربى المسجد ودارا لعمار بن ياسر كانت الى جنب دار أبى سبرة وبعض دار

العباس بن عبد المطلب فاعلم مادخل منها في المسجد فجعل منابر سواريها التى تلي السقف
أعظم من غيرها من سوارى المسجد وأدخل دار كانت لمخارق مولى العباس بن عبد المطلب
(قلت) قوله وأدخل الى آخره وان كان مبنيا لما لم يسم فاعله لكن ايراده هنا يقتضى
ان ذلك كله في زيادة الوليد المذكورة وفيه نظر لما تقدم من ان عثمان رضى الله عنه
زاد في المسجد اسطوانا بعد المربعة فيكون زيادة الوليد بعد ذلك في جهة المغرب فلا
يصح ادخاله لدار أبي سبرة لقوله انها كانت في موضع المربعة الا ان يريد بالمربعة هنا
الاسطوانة التى عن يمينك اذا دخلت من الباب الذى يلى دار مروان وهو باب
السلام وهى الثانية من الباب المذكور فانها أول زيادة الوليد لقوله في رواية يحيي
المتقدمة ومدّه في المغرب اسطوانين لكن قال ابن شبة نقلا عن ابن أبي يحيي انه كانت
لابى سبرة بن أبى رهم دار موضعها عند الاسطوان المربعة التى في المسجد اليمانية الغربية
وكانت جديدة كانت هناك دار لعمار بن ياسر فأدخلتا فى المسجد انتهى. وهو ظاهر
فى ان المراد بالمربعة الاسطوان المثمنة اليوم التى قدمنا وضعها فى زيادة عثمان رضى الله
عنه (وقوله) وبعض دار العباس بن عبد المطلب ظاهر أيضا في ان الوليد أدخل من دار
العباس شيأ ولعله مما كان بقى منها وأدخله مروان فى داره فيستفاد منه ان الوليد أدخل
بعض دار مروان وهو ظاهر لما قدمناه من ان دار مروان كانت ملاصقة للمسجد في
جهة المغرب ولها خوخة فيه ولاشك أنه اتخذها قبل زيادة الوليد فان وفاة مروان
كانت في سنة خمس وستين بعد ان أقام فى الخلافة عشرة أشهر (ولنرجع) الى تكميل
خبر ابن زبالة المتقدم قال قالوا وكتب الوليد بن عبد الملك الى ملك الروم انا نريد
ان نعمر مسجد نبينا الاعظم فاعنا فيه بعمال وفسيفساء قالوا فبعث اليه باحمال من فسيفساء
وبضعة وعشرين عاملا (وقال) بعضهم بعشرة عمال وقال قد بعثت اليك بعشرة يعدلون
مائة وبثمانين ألف دينار عونا له (قلت) روى ذلك يحيى أيضا وذكر في رواية
أخرى عن قدامة بن موسى أن ملك الروم بعث اليه بأربعين يعنى عاملا من الروم
وبأربعين من القبط وبأربعين ألف مثقال ذهب (وفي رواية) لرزين فبعث اليه ثلاثين
عاملا وأربعين من الروم ومثلهم من القبط وبثمانين ألف مثقال وبأحمال من الفسيفساء
وبأحمال من سلاسل القناديل انتهي (ولنرجع) الى تكميل خبر ابن زبالة له أيضا قال

عقب ماتقدم وبعث بهذه السلاسل التى فيها القناديل قالوا وهدمه عمر بن عبدالعزيز سنة احدى وتسعين أى بتقديم التاء الفوقية على السين وبناه بالحجارة المنقوشة المطابقة وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه بالساج وماء الذهب وهدم حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلها فى المسجد ونقل لبن المسجد ولبن الحجرات فبنا به داره التى بالحرة فهو فيها اليوم له بياض علي اللبن قال فبينما أولئك العمال يعملون فى المسجد اذ خلالهم المسجد فقال بعض أولئك العمال من الروم ألا أبول على قبر نبيهم فتهيأ لذلك فنهاه أصحابه فلما هم أن يفعل اقتلع فألقى على رأسه فانتثر دماغه فأسلم بعض أولئك النصارى وعمل أحد أولئك الروم على رأس خمس طاقات فى جدار القبلة فى صحن المسجد صورة خنزير فظهر عليه عمر بن عبدالعزيز فأمر به فضربت عنقه وقال بعض أولئك العمال الذين عملوا الفسيفساء انا عملناه على ماوجدنا من صورة شجر الجنة وقصورها انتهى خبر ابن زبالة (وفي) خبر يحيى المتقدم عن قدامة بن موسي أن عمر بن عبدالعزيز أخمر النورة التى تعمل بها الفسيفساء سنة وحملوا القصة من بطن نخل منخولة وعمل الاساس بالحجارة والجدار بالحجارة المطابقة والقصة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص وكان طوله مائتى ذراع وعرضه فى مقدمته مائتين وفى مؤخره ثمانين ومائة وهو من قبل كان مقدمه أعرض انتهى. وماذكره فى ذرع عرض المسجد غير صحيح لما سيأتى عن ابن زبالة فى الفصل الحادى والثلاثين انه ذكر في موضع آخر ان عرض المسجد من مقدمه في زمنه مائة وخمسة وستون ذراعا وعرضه من مؤخره مائة وثلاثون ذراعا وسيأتى أيضا ان الذى حررناه ان عرضه اليوم من مقدمه في جهة القبلة مائة ذراع وسبعة وستون ذراعا ونصف وان عرضه من مؤخره في جهة الشام مائة وخمسة وثلاثون ذراعا ولا شك ان المسجد لم ينقص من عرضه شيء فهذا الذرع المذكور فى هذه الرواية غير صحيح (وقد) نقله ابن النجار عن أهل السير وتعقبه المطرى بنحو ماذكرناه (وروى) ابن زبالة عن محمد ابن عمار عن جده قال لما صار عمر بن عبدالعزيز الى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والانصار والعرب والموالى فقال لهم تعالوا احضروا بنيان قبلتكم لاتقولوا غير عمر قبلتنا فجعل لاينزع حجرا الا وضع مكانه حجرا فكانت زيادة الوليد بن عبدالملك من المشرق الي المغرب ستة أساطين وزاد الى الشام من الاسطوان

المربعة التى في القبر أربع عشر اسطوانا منها عشر في الرحبة وأربع في السقايف الأولى التى كانت قبل وزاد من الاسطوان التى دون المربعة الى المشرق أربع أساطين في السقايف فدخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد وبقي ثلاث أساطين في السقايف (قلت) فاستفدنا من ذلك أن الستة أساطين التي زادها في المشرق والمغرب ليس منها في جهة المغرب سوى اثنتين وان أربعة منها في جهة المشرق فيكون ابتداء زيادته في المشرق من الاسطوان اللاصق اليوم بالشباك الدائر حول الحجرة الشريفة على ماقدمناه فى تحديد المسجد النبوى وذلك هو المراد بقوله من الاسطوان التى دون المربعة الى المشرق (وقوله) وبقى ثلاث أساطين أى من الاربعة المذكورة فى السقايف أى المسقف الشرقى كما هو اليوم لكن في رواية يحيى المتقدمة انه زاد فى المشرق مابين الاسطوان المربعة أى مربعة القبر الى جدار المسجد يعنى الشرقي فعلى هذا يكون له فى المشرق ثلاثة أساطين فقط فيحتمل أن يكون له في المغرب ثلاث أيضا (وقوله) وزاد الى الشام من الاسطوان المربعة التى فى القبر الى آخره معناه انه لما أحدث المسقف الشرقى جعل ابتداءه ممايلى رحبة المسجد مربعة القبر وجعل فى صفها الى جهة الشام أربع عشر اسطوانا منها عشر فى الرحبة وأربع فى السقايف التي كانت قبل أي في المسقف الشامى فيكون قد صير المسقف الشامى رحبة وجعل المسقف الشامي بعد أربع عشر اسطوانا فهذا معنى زيادته لهذا العدد (ويستفاد) منه أن جدار المسجد من جهة الشام في زمنه كان بعد ثمان عشرة اسطوانة من مربعة القبر لانك اذا ضممت أربع أساطين للسقايف التي أحدثها بدل الأولى الى الاربع عشرة المذكورة بلغ ذلك فيكون محل الجدار المذكور قريبا مما يوازى الاسطوان التى قبل المسقف الشامى باسطوان فيما يليه من الرحبة وذلك موافق لما تقدم من انه جعل طوله يعنى من القبلة الى الشام مائتى ذراع فيتحرر من ذلك أن زيادته من جهة الشام على ماذكر من الذرع في زمن عثمان رضى الله عنه أربعون ذراعا ويحتمل أن يكون معنى قوله وزاد الى الشام من الاسطوان المربعة التي فى القبر أربع عشرة أسطوانة أن المسجد ينتهى فى جهة الشام في زمنه بعد أربع عشرة اسطوانا من المربعة الى جهة الشام فيكون الجدار الشامي في موازاة الاسطوانة الخامسة من طرف الدكاك التى هى المسقف الشامي وهناك اسطوان فى الصف الأوسط من المسقف الشرقى مربع

أسفله قدر الجلسة فعلى هذا يكون علامة لذلك لكنه مخالف لما تقدم من أنه جعل طوله
مائتى ذراع بل يكون طوله على هذا التقدير نحو مائة وستين ذراعا وذلك هو ماتقدم فى
طوله زمن عثمان رضى الله عنه فيكون هذا الاحتمال مردودا لكن سيأتى فى زيادة المهدى
مايقتضيه والله أعلم (وروى) يحيي عن محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن من يثق به
من مشايخ البلد أن عمر بن عبدالعزيز أمر حين بنى المسجد بأسفل الاساطين فجعل قدر
ستره اثنين يصليان اليها وقدر مجلس اثنين يتساندان اليها (وعن) صالح بن كيسان قال
لما جاء كتاب الوليد من دمشق لهدم المسجد سار خمس عشرة فجرد فى ذلك عمر
ابن عبدالعزيز قال صالح واستعملنى على هدمه وبنائه فهدمناه بعمال المدينة فبدأنا بهدم
بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد وقال
ابن زبالة فيما رواه عن محمد بن عمار عن جده وكان فى موضع الجنائز أى شرقي المسجد
في زمان الوليد بن عبدالملك نخلتان اذا أتي بالموتى وضعوا عندهما فيصلي عليهم فأراد عمر
ابن عبدالعزيز قطعهما حين ولى عمل المسجد للوليد بن عبدالملك وذلك فى سنة ثمان
وثمانين فاقتتلت فيهما بنو النجار من الانصار فابتاعهما عمر بن عبد العزيز فقطعهما (قلت)
ولا ينافي ذلك ماتقدم من أن عمر هدم المسجد فى سنة احدى وتسعين لجواز أن يكون
ولايته لذلك سنة ثمان وثمانين واستمر في تحصيل الاهبة وشراء الاماكن وتخمير النورة
الى سنة احدى وتسعين (وفيما رواه) يحيي عن حفص بن مروان عن أبيه أن عمر مكث
في بنائه ثلاث سنين (قلت) فعلى هذا يكون قد فرغ منه في آخر سنة ثلاث وتسعين وهى
السنة التى عزل فيها عمر عن المدينة وفيه رد لقول من زعم أن هدمه كان في سنة ثلاث
وتسعين لكن في رواية لابن زبالة مايقتضي أن البداءة فى هدم المسجد وعمارته كانت
في سنة ثمان وثمانين فانه قال فيها وابتدأ عمر بن عبدالعزيز بناء المسجد سنة ثمان وثمانين
وفرغ سنة احدى وتسعين وفيها حج الوليد (قال) ولما فرغ عمر بن عبدالعزيز من
بنيان المسجد أرسل الى أبان بن عثمان فحمل فى كساء خز حتى انتهى به اليه فقال أين هذا
البناء من بنيانكم فقال بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس قال وقال الوليد
حين رأى خوخة آل عمر صانعتهم لمكان الخوخة هكذا فى النسخة التى وقعت لنا ولعلها
لمكان الخؤولة لان المطرى قال ان الوليد قال له صانعت أخوالك وقد كانت أم عمر بن

عبدالعزيز منهم (وروى) يحيي عن جعفر بن وردان عن أبيه مايقتضى أن المخاطب
لأبان بن عثمان هو الوليد فانه قال فلما قدم الوليد حاجا جعل يطوف في المسجد وينظر
اليه ويصيح بعمر هاهنا ومعه أبان بن عثمان فلما استنفد الوليد النظر الى المسجد التفت
الى أبان وقال أين بناؤنا من بنائكم قال أبان انا بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء
الكنائس (قلت) وكان قد اعتنى عمر بتحسينه (فقد) روى يحيي عن النضر بن أنس
قال كان عمر بن عبدالعزيز اذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن
عملها نفله عمر ثلاثين درهما وذكر هو وابن زبالة ما كان فيه من الكتابات داخلة
وخارجة وعلى أبوابه فترك ذكره لزواله و(روى) ابن زبالة عن ابراهيم بن محمد الزهرى عن
أبيه قال ولما قدم الوليد بن عبدالملك المدينة حاجا بعد فراغ عمر بن عبدالعزيز من
المسجد جعل يطوف فى المسجد وينظر الى بنيانه فقال لعمر بن عبدالعزيز حين رأي
سقف المقصورة الا عملت السقف كله مثل هذا قال اذاً ياأمير المؤمنين تعظم النفقة
جدا قال وان قال وكان نفقته في ذلك أربعين ألف دينار و(روى) ابن النجار هذا الخبر
عن أهل السير بهذا اللفظ الا أنه قال فقال يا أمير المؤمنين اذاً تعظم النفقة جدا قال
وان قال أتدرى كم أنفقت على عمل جدار القبلة ومابين السقفين قال وكم قال خمسة
وأربعون ألف دينار وقال بعضهم أربعون ألف دينار قال والله لكأنك أنفقتها من مالك
وقيل كانت النفقة في ذلك أربعين ألف مثقال انتهى (وذكر) يحيي رواية ابن زبالة
المتقدمة عن غير طريقه وقال عقب قوله وكانت النفقة فى ذلك أربعين ألف دينار قال ثم
انتهى الى القبر فقال ابن الوليد لعمر بن عبد العزيز من هذا فى القبر قال رسول الله وأبو بكر
وعمر قال فأين أمير المؤمنين عثمان قال فأعرض عنه فألح عليه فقال دفن في حال تشاغل
من الناس وقد أمي أدبك (وروى) ذلك ابن زبالة أيضا وزاد فقال وسمعت بعض أهل
العلم يقول السائل بكار بن عبدالملك وكان ضعيفا (وقال) ابن شبة حدثنا أيوب بن عمر
ابن أبى عمرو وقال أخبرني موسى بن عبدالعزيز قال قال عمر بن عبدالعزيز لى اتكأ
الوليد على يدى حين قدم المدينة فجعل يطوف المسجد ينظر الى بنائه ثم أتى بيت النبي
صلى الله عليه وسلم فوقف عليه ثم أقبل عليّ فقال أمعه أبو بكر وعمر قلت نعم قال فأين أمير
المؤمنين عثمان قال فالله أعلم انى لظننت انه لايبرح حتي يخرجهما فقلت ياأمير المؤمنين

ان الناس كانوا حين قتل عثمان فى فتنة وشغل فذاك الذى منعهم من أن يدفنوه معهم فسكت (وروى) يحيى أنه جعل المقصورة من ساج قال وكانت قبل من حجارة وان الواقدى قال حدثنى عبدالله بن يزيد قال كان عمل القبط مقدم المسجد وكانت الروم تعمل ماخرج من السقف جوانبه ومؤخره فسمعت سعيد بن المسيب يقول عمل هؤلاء أحكم يعنى القبط

﴿ الفصل السابع عشر ﴾ فيما اتخذه عمر في المسجد فى زيادة الوليد من المحراب والشرفات والمنائر واتخاذ الحرس ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه *

(أسند) يحيى عن عبدالمهيمن بن عباس عن أبيه قال مات عثمان وليس فى المسجد شرفات ولا محراب فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز وعن القاسم وسالم أنهما نظرا الى شرفات المسجد فقالا انها من زينة المسجد وأسند أيضا من طريق ابن زبالة ورأيته فيه أن عمر بن عبدالعزيز هو الذى عمل الرصاص على طنف المسجد والميازيب التى من الرصاص فلم يبق من الميازيب التى عمل عمر بن عبدالعزيز غير ميزابين أحدهما في موضع الجنائز والآخر على الباب الذى يدخل منه أهل السوق الذي يقال له باب عاتكة ولم يكن المسجد شرفات حتى عملها عبد الواحد بن عبدالله النصرى وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة انتهي (فهذا) يقتضى أن عمر بن عبدالعزيز لم يحدث الشرفات فى زيادة الوليد بل ولا في زمن خلافته بعده لان وفاته كانت في رجب سنة احدى ومائة (وفي) سنن البيهقى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابنوا المساجد واتخذوها جما (وعن) ابن عمر نهانا أو نهينا أن نصلي فى مسجد مشرف (قال) أبوعبيد الجم التى لاشرف لها حكاه فى شرح المهذب (قال) الزين المراغي وليس للمسجد شرفات منذ حريقه وقد جددت له شرافات سنة سبع وستين وسبعمائة في أيام (الاشرف شعبان) بن حسين بن محمد صاحب مصر انتهي (والمراد) بالشرفات المذكورة ماعلى ماأحاط بجدرات صحن المسجد من جوانبه الاربعة وبينها فرج شبه طاقات الشباك وهى المرادة فيما حكاه البدر بن فرحون عن القاضى فخر الدين بن مسكين الفقيه الشافعى انه كان يجلس فى مصلاه حتي تطلع الشمس فيصلى الضحى وانه رأى الناس يرتقبون بصلاتهم الشيخ أباعبدالله بن فرحون ولد البدر قال وكان يقوم اذا وصلت الشمس في

الحائط الغربى الى تحت الشبابيك الصغار قال فاجتمعت به وكنت به جاهلا فقلت له رأيتك تقوم للضحى قبل وقتها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها حتى ترتفع الشمس وتبيض فالتفت الى وقال بعد اليوم نأخر كما قلت وسكت عنى (قلت) وانما ذكرت ذلك لان كثيرا من الناس اليوم يشرعون في الصلاة عند وقوع الشمس على روس الشراريف وذلك قبل ارتفاع الشمس كرمح والله أعلم (وروى) ابن زبالة ويحيى من طريقه عن محمد بن عمار عن جده قال جعل عمر بن عبدالعزيز لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بناه أربع منارات فى كل زاوية منه منارة (قال) كثير بن حفص وكانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبدالملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت الى ظهر المسجد وبابها على باب المسجد وفى نسخة يحيي وبابها علي المسجد مما يلى دار مروان من قبل المسجد (قلت) فكان المسجد بعد ذلك له ثلاث منارات فقط وهو المراد من قول ابن زبالة في موضع آخر ولمسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعا وقال فى موضع آخر وطول المنارة الشرقية اليمانية فى السماء خمس وخمسون ذراعا والمنارة الشرقية الشامية خمس وخمسون والمنارة الغربية الشامية ثلاث وخمسون وعرض المنارات ثمانى أذرع فى ثمانى أذرع انتهى. وذكر ابن جبير فى رحلته مايقتضى أن المنارتين الشاميتين كانتا صغيرتين بخلاف الشرقية اليمانية فانه قال وللمسجد المبارك ثلاث صوامع احداها في الركن الشرقى المتصل بالقبلة والاثنتان فى ركني الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين والصومعة الأولى المذكورة على هيئة الصوامع (قلت) فكأن الشاميتين غيرتا بعد ابن جبير فانهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالريسة لاختصاص الريس بها وكان طول المنارة الريسية في زماننا أولا من رأس هلالها الى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة وسبعين ذراعا بتقديم السين ثم سقط منها نحو ثلثها بسبب الصاعقة التى نشأ عنها حريق المسجد الثانى كما سيأتي فاقتضي الحال هدم جميعها ثم أعيدت فكان طولها اليوم أزيد من مائة ذراع فصارت أطول المنارات ثم ظهر منها خلل بعد فبعث السلطان الاشرف الشجاعى شاهين الجمالى وأمره بهدمها فهدمها غير محكم فحفر أساسها الى الماء وأعادها متقنة جدا فى عرض جدارها الشرقي من موضع الجنائز شرقى المسجد وزاد في

ارتفاعها أيضا حتى بلغ زيادة عن مائة وعشرين ذراعا وطول المنارة الشرقية الشامية وهي المعروفة بالسنجارية تسعة بتقديم التاء على السين وسبعون ذراعا وطول الشامية الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين فيهما كل ذلك من أعلا الهلال الى الارض الخارجة عن المسجد وبه يعلم ان المنارات التى كانت في زمن ابن زبالة ليست هى الموجودة اليوم (قال) المطري ولم يزل المسجد على ثلاث منارات الى ان جددت المنارة الرابعة وذكر في موضع آخر تجديدها فقال بعد ذكر خوخة مروان المتقدم ذكرها في ركن المسجد الغربى انه شاهد الخوخة المذكورة عند بناء المنارة الكبيرة المتجددة في سنة ست وسبعمائة أمر بانشائها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (قال) المطرى وكان باب الخوخة عليها وهو من ساج فلم يبل الى هذا التاريخ كان مروان يدخل من داره الى المسجد منها وقد انسدت يعنى الخوخة بحائط المنارة الغربى انتهى (قلت) وقد ذكر البدر بن فرحون بناء هذه المنارة فانه أدرك ذلك وذكر انه لم يوجد عند الحفر أثر لما ذكر من وجود منارة قبلها فقال ماملخصه انه لما حج سلار وبيبرس كلهما شيخ الخدام شبل الدولة كافور المظفرى المعروف بالحريرى في بناء المنارة التى بباب السلام اليوم فأنعما ثم خشى أنهما يشتغلان عن ذلك ويستثقلان النفقة (فقال) أنا لا أطلب منكم مالا عندى من قناديل الذهب والفضة مايقوم بها وزيادة فأنعما له بارسال الصناع وأمر بالحفر لها فى مكانها اليوم فلم ينزلوا الا قليلا اذ وجدوا باب مروان بن الحكم أسفل من أرض المسجد بقدر قامة ثم وجدوا تحصيب المسجد في أيام مروان بالرمل الاسود يشبه أن يكون من جبل سلع ثم نزلوا فى الاساس حتى بلغوا الماء ثم أمر الحريرى من كان بالمدينة يتعانى البناية كالشيخ ابراهيم البنا والشيخ علي الفراش الحجار وغيرهما ممن ليس له فى البناية كبير قدم فدكوا الاساس فلما حضر الصناع في الموسم قال مقدمهم للشيخ لاتبنى حتى تنقض ذلك فانا لا نأمن عاقبته فامتنع الشيخ فرجع الى مصر من حينه (فقال) الشيخ لمن كان معه من المعلمين اعملوا أنتم فعملوها على ماهى عليه اليوم وعم نفعها لانها متوسطة المدينة حتى ان رئيس المؤذنين محمد بن ابراهيم قال لى لو تركت لى هذه المأذنة لكفيت المدينة وهو حق فان امتداد المدينة وقوة عمارتها من جهة المغرب يعنى فى محاذات المنارة المذكورة (قال) وكان بعض المؤرخين يذكر أنه كان هناك مأذنة مشرفة على دار مروان

فهدمها غيرة علي أهله من مؤذنيها فلم يوجد لذلك صحة ولا أثر البتة انتهى ماذكره ابن فرحون (قلت) وجواب ماذكره أخيرا أن تلك المنارة تحتمل أن تكون على باب المسجد وسطحه مما يلى دار مروان وليس لها في الارض أساس ويدل على ذلك قوله فى الرواية المتقدمة وبابها على المسجد أوعلى باب المسجد فلا يلزم من عدم وجود أثرها عند الحفر عدم وجودها أصلا ورأسا في تلك الجهة ولم يتعرضوا لذرع هذه المنارة وكانت أطول منارات المسجد (وقد) ذرعتها من أعلا هلالها الى الارض فكان ذلك خمسة وتسعين ذراعا بتقديم التاء على السين لكن صارت المنارة الريسية المجددة بعد الحريق أطول منها كما سبق والله أعلم (ويظهر) من سياق ماتقدم ان أول جعل المنارات في المسجد كان في زيادة الوليد ويشهد لذلك مارواه ابن اسحاق وأبوداود والبيهقي ان امرأة من بنى النجار قالت كان بيتى من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة فيأتى بسحر فيجلس على البيت لينظر الى الفجر فاذا رآه تمطى ثم قال اللهم انى أحمدك واستعينك على قريش أن يقيموا دينك قالت ثم يؤذن (وروى) خالد بن عمرو عن أبى برزة الاسلمى قال من السنة الآذان فى المنارة والاقامة فى المسجد (وروى) غيره ان الآذان في زمنه صلى الله عليه وسلم كان على اسطوانة فى دار عبدالله بن عمر التى فى قبلة المسجد (قال) ابن زبالة حدثنى محمد بن اسماعيل وغيره قال كان فى دار عبدالله بن عمر اسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقي اليها باقتاب والاسطوان مربعة قائمة الى اليوم يقال لها المطمار وهى في منزل عبيدالله بن عبد الله بن عمر (قلت) والظاهر أنها المرادة بقوله في الرواية المتقدمة فى قصة الخوخة التي جعلت بدل طريق بيت حفصة ووسعها لهم حتي انتهى بها الى الاسطوان (وقال) الاقشهري ومن خطه نقلت عن عبدالعزيز ابن عمر قال كان في دار عبدالله بن عمر اسطوان في قبلة المسجد يؤذن عليها وهى مربعة قائمة الى اليوم (قال) الاقشهرى وهى باقية الى يومنا هذا قال يعني عبدالعزيز وكان يقال لها المطمار (وأسند) يحيى من طريق عبدالعزيز بن عمران عن قدامة العمرى عن نافع عن ابن عمر قال كان بلال يؤذن على منارة فى دار حفصة ابنة عمر التى تلى المسجد قال وكان يرقى على أقتاب فيها والاسطوان فى البيت الذى كان بيد عبيدالله بن عمر الذي يقال له بيت عبدالله بن عمر وقد كانت خارجة من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم تكن فيه وليست فيه اليوم والظاهر انه تجوّز فى تسمية الاسطوان منارة وعبدالعزيز
ابن عمران كان كثير الغلط لان كتبه احترقت فكان يروى من حفظه فتركوه ثم الظاهر
أن عمر وعثمان رضي الله عنهما لم يتخذا في المسجد منارة والا لنقل (وروى) يحيى عن جابر
ابن عبدالله قال كان أول من خلّق المسجد ورزق المؤذنين وجلس على الدرجة الثالثة
من المنبر بعد النبى صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه (وروى) ابن زبالة عن موسى
ابن عبيدة أن عمر بن عبدالعزيز استأجر حرسا المسجد لايخترف فيه أحد (وعن) كثير
ابن زيد قال نظرت الى حرس عمر بن عبدالعزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلى
على الجنائز فيه (وعن) عثمان بن أبي الوليد عن عروة بن الزبير انه قال له تضربون الناس
فى الصلاة فى المسجد على الجنائز قال قلت نعم قال اما ان أبابكر قد صُلى عليه في المسجد
(قلت) وذكر يحيي مايقتضي أن الحرس كانوا قبل زمن عمر بن عبدالعزيز يمنعون
الناس من الصلاة على الجنائز فى المسجد فانه روي عن ابن أبى ذئب عن المقبرى انه رأى
حرس مروان بن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا فيه على الجنائز
(قلت) وأما ما كان من ذلك في زمنه صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن شبة عن صحابى سقط
اسمه من النسخة التى وقفت عليها حديثا محصله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان
اذا احتضر الميت آذنوه فحضره واستغفر له حتى اذا قبض انصرف النبي صلى الله عليه وسلم ومن
معه وربما قعد ومن معه فربما طال حبس ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما خشينا
مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض لو كنا لا نؤذن النبى صلى الله عليه وسلم باحد
حتي يقبض فاذا قبض آذناه فلم يكن عليه في ذلك مشقة ولا حبس ففعلنا ذلك وكنا
نؤذنه بالميت بعد ان يموت فيأتيه فيصلى عليه فربما انصرف وربما مكث حتى يدفن
فكنا على ذلك حينا فقلنا لو لم نشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملنا جنائزنا
اليه حتي يصلى عليها عند بيته كان ذلك أرفق به ففعلنا فكان ذلك الامر الى اليوم
(وعن) ابن شهاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك الهالك شهده يصلى
عليه حيث يدفن فلما ثقل رسول الله صلي الله عليه وسلم وبدن نقل اليه المؤمنون موتاهم
فصلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنائز عند بيته في موضع الجنائز اليوم
ولم يزل ذلك جاريا (قال) ابن شبة وحدثنى محمد بن يحيي قال حدثنى من أثق به انه كان

في موضع الجنائز نخلتان اذا أتى بالموتى وُضعوا عندهما فصلي عليهم فأراد عمر بن عبد
العزيز حين بنى المسجد قطعهما فاقتتلت فيهما بنو النجار فابتاعهما عمر فقطعهما (وفى)
صحيح البخارى من حديث ابن عمر في قصة اليهوديين فرجما قريبا من موضع الجنائز
عند المسجد فدل ذلك على ان الموضع المذكور كان معروفا بذلك (وفي) صحيح مسلم
من حديث عائشة انها أمرت ان يمر بجنازة بن أبي وقاص فى المسجد فتصلى عليه
فأنكر الناس ذلك عليها فقالت ماأسرع مانسى الناس ماصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على سهيل بن البيضاء الا في المسجد (وفي) رواية لها والله لقد صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ابنى بيضاء في المسجد سهيل وأخيه (قلت) ويفهم منه ان ذلك نادر
وان الكثير من فعله صلى الله عليه وسلم ماتقدمت الاشارة اليه (وروى) يحيي بسند جيد
عن عبد الله بن عمر أنه صلى على عمر بن الخطاب في المسجد (وفى) رواية أخرى له عن
يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب ان عمر بن الخطاب صلي على أبى بكر في المسجد وان
صهيبا صلي على عمر بن الخطاب فى المسجد وبيّن فى رواية اخرى ان ذلك كان عند
المنبر (وقد) روى ذلك ابن أبى شيبة وقال فى رواية وضعت الجنازة فى المسجد تجاه المنبر
(قال) الحافظ بن حجر وهذا يقتضي الاجماع على جواز ذلك وقد تقررت المذاهب في
ذلك (وقال) ابن النجار عقب ذكر ماتقدم عن عمر بن عبد العزيز في ذلك والسنة فى
الجنائز باقية الى يومنا هذا الا فى حق العلويين ومن أراد الامراء من الاعيان وغيرهم
والباقون يصلى عليهم خلف الحائط الشرقى من المسجد اذا وقف الامام على الجنائز
هناك كان النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه انتهي (قلت) وقد انتسخ ماذكره ابن
النجار وصار يصلي على الجنائز كلها في المسجد ويخص الاعيان بالصلاة عليهم بالروضة
الشريفة بين القبر والمنبر وغيرهم يصلى عليه امام الروضة بعد ان يوقف بالجنازة بين يدى النبى
صلي الله عليه وسلم أمام الوجه الشريف الى عام اثنين وأربعين وثمانمائة في دولة السلطان
الظاهر جقمق فوردت مراسيمه على شيخ الحرم فارس بالامر بمنع جنائز الشيعة من
المسجد فمنع المنسوبون للشيعة من ادخال جنائزهم الى المسجد الا الاشراف العلويين
وجرى الامر على ذلك الى يومنا هذا لايدخل المسجد الا جنائز الاشراف وأهل
السنة وحاول بعض أهل المدينة ادخال بعض الشيعة غير الاشراف فقام في ذلك بعض

امراء الترك ومنع منه وكان صاحبنا العلامة أحد شيوخ المالكية الشيخ شهاب الدين أحمد بن يونس القسنطيني ينكر الصلاة على الموتي بالروضة الشريفة ومقدم المسجد لكون رجلي الميت تصيران الى جهة الرأس الشريف حتى انه أوصى ان يصلى عليه خارج المسجد فى موضع الجنائز وأكثر قبل وفاته من الاستفتاء فى ذلك وأراني خطوط جماعة من علماء الشام وغيرها من الشافعية وغيرهم يتضمن موافقته على ذلك (وفي) كلام بعض الشافعية ينبغي ان يكون الصلاة بالمسجد خلف الحجرة الشريفة أو شرقيها والتمس مني الكتابة فى ذلك فكتبت بما حاصله ان الله تعالى قد أوجب على هذه الامة تعظيم نبيها صلى الله عليه وسلم وتوقيره وسلوك الأدب التام معه ولاشك ان الميت اذا وضع في مقدم الروضة أو المسجد كما يوضع اليوم وان لم تكن رجلاه في محاذات الرأس الشريف حقيقة لان الرأس الشريف في محاذات صف اسطوان التوبة والحلقة أى حذاء الاسطوانات التي تكون خلف المصلى على الميت لكن تكون رجلاه في محاذات الجهة المذكورة وقد تصدق المحاذات مع البعد ولو رأينا شخصا اضطجع بذلك المحل من الروضة وجعل رجليه لتلك الجهة الشريفة لأنكرنا ذلك عليه وما ننكره على الاحياء لاينبغى ان نفعله بالاموات وقد تأملت كتب المذاهب الاربعة فلم أر فيها تعرضا لذكر السنة في جهة رجلى الميت بل ذكر الشافعية فيما اذا حضرت جنائز وصلى عليها الامام دفعة وجهين (أصحهما) وضع الجميع صفا بين يدي الامام فى جهة القبلة زاد أبو زرعة العراقى فى شرح البهجة والاولى جعلها عن يمينه (والثانى) يوضع الجميع صفا واحدا رأس كل انسان عند رجل الآخر ويجعل الامام جميعهم عن يمينه ويقف في محاذات الاخير هذا اذا اتحد النوع فان اختلف النوع تعين الوجه الاول ذكره فى أصل الروضة ويؤخذ منه استحباب جعل رجلى كل ميت عن يمين الامام على الوجه الثاني والا فلا يكون الجميع صفا عن يمينه وأما على الوجه الاول فيؤخذ ذلك أيضا مما تقدم عن أبى زرعة ولعل مأخذه فيه ماذكر فى الثانى واذا ثبت ذلك فى الجماعة فالواحد كذلك فيكون الاولى جعل رجليه عن يمين الامام ولكن الذي عليه الناس جعلهما علي يساره (ورأيت) فى كتب المالكية مايقتضى ان ذلك هو الاولى وان الناس مضوا على ذلك (وقد) ظهر لى ان السر فى ذلك ان السلف كما يؤخذ مما قدمناه انما كانوا يصلون على الجنائز خارج المسجد في شرقيه في الموضع

المعروف بذلك والواقف هناك يكون القبر الشريف عن يمينه فرأوا والله أعلم ان الأدب جعل الرجلين عن يسار الامام صرفا لهما عن تلك الجهة الشريفة ثم توارثوا ذلك واستمر العمل عليه فلما ترك ذلك وصلوا على الجنائز في المسجد مشوا على مااعتادوه من جعل رجلى الميت عن يسار الامام مع الغفلة عن ذلك واذا لم تثبت سنة في جعل رجلى الميت عن يسار الامام فينبغى جعلهما عن يمينه في هذا المحل الشريف استعمالا لكمال الادب وقد قال لى الشيخ فتح الدين بن تقي الكازرونى وكان يعد من فضلاء الشافعية وقد ذاكرته بذلك اذا أنامت فليجعل رجلاى عن يمين الامام ففعل به ذلك رحمه الله على ان الموضع الذى يلي الارجل الشريفة من المسجد هو من موضع الجنائز في زمنه صلى الله عليه وسلم فيما يظهر ويدل عليه ماأتفق لبنى النجار لما أراد عمر بن عبد العزيز قطع النخلتين عند عمارته للمسجد فلو صلى فيه اليوم على من يدخل به المسجد من الجنائز لكان أولى فانه يتأتى فيه كون الرجلين عن يسار الامام والرأس فى جهة الارجل الشريفة ويكون أفضل لما جرت به العادة من الخروج بالميت من باب جبريل وأوفق لفعل السلف في الصلاة على موتاهم هناك ولم يوافق على شيء من ذلك المتمسكون بالعادات وقد ذكرت نص ماأجبت به فى ذلك مبسوطا استطرادا فى كتابى (دفع التعرض والانكار لبسط روضة المختار) والله أعلم

﴿ الفصل الثامن عشر فى زيادة المهدى ﴾

(نقل) ابن زبالة ويحيي ان المسجد لم يزل على حاله مازاد فيه الوليد الى انهم أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه ثم توفى ولم يزد فيه حتي زاد فيه المهدى لكن ذكر يحيي في حكاية ما كان مكتوبا في جدار القبلة مالفظه ثم الى جنب هذا الكتاب أى ما كتب في زمن المهدى كتاب كتب في ولاية أبى العباس يعنى السفاح وصل هذا الكتاب أى كتاب المهدى اليه وهو أمر عبد الله عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينه وتوسعته مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنين وثلاثين ومائة ابتغاء رضوان الله وثواب الله وان الله عنده ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا انتهى. وهو يقتضى ان أبا العباس السفاح وهو أول خلفاء بنى العباس زاد فى المسجد أول ولايته وولايته سنة اثنين وثلاثين ووفاته سنة ست وثلاثين ومائة وسنشير الي محل ذلك آخر

الفصل (ولفظ) مانقله ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم منهم عبد العزيز بن محمد ومحمد ابن اسماعيل قالوا لم يزل المسجد على حال ما زاد فيه الوليد بن عبد الملك حتى ولى أبو جعفر عبد الله يعني المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فهم بالزيادة وأراده وشاور فيه وكتب اليه الحسن بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز ويقول ان زيد فى المسجد من ناحيته الشرقية توسط قبر النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فكتب اليه أبو جعفر انى قد عرفت الذى أردت فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضى الله عنه فتوفي أبو جعفر ولم يزد فيه شيئاً ثم حج المهدى يعني ابن أبي جعفر سنة ستين ومائة فقدم المدينة منصرفه عن الحج فاستعمل عليها جعفر بن سليمان سنة احدى وستين ومائة وأمر بالزيادة فيه وولى بناءه عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز وعبد الملك ابن شبيب الغساني فمات ابن عاصم فولى مكانه عبد الله بن موسى الحمصي وزاد فيه مائة ذراع من ناحية الشام ولم يزد في القبلة ولا في المشرق والمغرب شيئاً وذلك عشر أساطين فى صحن المسجد الى سقائف النساء وخمسا لسقائف النساء الشامية (وروى) يحيي ذلك من طريق ابن زبالة وغيرها (وقال) في رواية له عقب قوله واستعمل عليها جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وأمره بالزيادة في مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وولاه بناءه هو وعبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان وعبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام فزيد في المسجد من جهة الشام الى منتهاه اليوم وكانت زيادته مائة ذراع ولم يزد فيه من المشرق ولا المغرب ولا القبلة شيئاً (قلت) مارو ياه من انه زاد في مؤخر المسجد مائة ذراع يخالفه ماتقدم فى زيادة الوليد انه جعل طوله مائتى ذراع لانه يقتضي ان يكون طول المسجد بعد زيادة المهدى ثلاثمائة ذراع وطول المسجد اليوم على ماصرح به ابن زبالة مائتا ذراع وأربعون ذراعا (وقد) اختبرته فزاد على ذلك ثلاثة عشر ذراعا كما سيأتى ومع ذلك فهو مؤيد لما قدمناه من الاحتمال المتبادر الي الفهم فى الرواية المتقدمة فى زيادة الوليد المقتضى لان نهاية المسجد من جهة الشام في زمنه كانت بعد أربع عشر اسطوانة من مربعة القبر ومنها الى آخر المسجد أربع وعشرون اسطوانة فاذا أسقطنا من ذلك أربع عشرة للوليد بقى عشرة أساطين وقدرها نحو مائة ذراع وهذا معنى قوله فى الرواية المتقدمة وذلك عشر أساطين فى صحن المسجد

الى سقائف النساء أى الى آخر سقائف النساء وهى المسقف الشامى وقوله وخمس فى السقائف أى من العشرة المذكورة مع انه يقتضى ان المهدى جعل المسقف المذكور خمس أساطين وهذا كان في ذلك الزمان كما سنوضحه وهو اليوم أربع فقط وقد قدمنا ترجيح ان المراد مما ذكر في زيادة الوليد انه جعل أربع عشرة اسطوانة فى الرحبة بما فيها من أربع أساطين فى السقائف التى كانت أولا وانه جعل السقائف الشامية فى زمنه بعد الاربع عشرة المذكورة لموافقة ماذكره فى ذرع المسجد في زمنه ولما ذكر في زيادة عثمان رضى الله عنه من انه جعل المسجد مائة وستين ذراعا فان ذلك يقتضى ان يكون نهايته في جهة الشام يقرب من أربعة عشر اسطوانة من المربعة المذكورة فيتحصل من ذلك ان زيادة الوليد على ماذكر في زيادة عثمان رضى الله عنه أربعون ذراعا وان زيادة المهدى نحو خمسة وخمسين ذراعا فقط فيكون للمهدى نحو ستة أساطين في مؤخر المسجد لكن سيأتى في ذكر أبواب المسجد مايقتضى ان الباب الذى كان يواجه دار خالد بن الوليد كان مكتوبا عليه زيادة المهدى وكذا الباب الذى بعده فى الشام عليه مايقتضي ذلك وكذا البابان المقابلان لهما فى جهة المغرب دون ماقبل ذلك من الابواب وذلك يقتضى ترجيح رواية انه زاد في المسجد مائة ذراع وقد رأيت فى المسقف الشرقى اسطوانة هى التاسعة من جدار المسجد الشامي مربع أسفلها مرتفع عن الارض بقدر الجلسة وهى محاذية لما وصفوه من الباب المقابل لدار خالد بن الوليد فان صحت هذه الرواية فهي علامة على ابتداء زيادة المهدى والله أعلم (وقال) ابن زبالة ويحيي في روايتهما المتقدمة أيضا وكان يعني المهدى قبل بنائه قد أمر به فقدروا ماحوله فابتيع وكان مما أدخل فى المسجد من الدور دار مليكة (قال) ابن زبالة وأخبرني ابراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه قال كانت دار مليكة لعبد الرحمن بن عوف وانما سميت دار مليكة لان عبد الرحمن أنزلها مليكة ابنة خارجة بن سنان فغلب عليها اسمها ثم باعها بنو عبد الرحمن بن عوف من عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فباعها عبد الله حين بناء المسجد فأدخل بعضها فى المسجد وبعضها فى رحبة المسارب وبعضها في الطريق قالوا وأدخل دار شرحبيل بن حسنة وكانت صدقة فابتاعوا دورا ومنازل فأوقفوها صدقة وبقيت منها بقية فابتاعها منهم يحيي بن خالد بن برمك فدخلت في الحش حش طلحة (قلت) وقد ذكر ابن شبة دار

مليكة وقال فباعها عبد الله من معاوية رضى الله عنه فصارت في الصوافى فأدخلها المهدى في المسجد وذكر دار شرحبيل هذه في ترجمة علم دور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة أي غير الحجر فقال قال أبو غسان اتخذت أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها الدار التى يقال لها دار آل شرحبيل فوهبتها لشرحبيل بن حسنة فلم يزل لبنيه حتى باعوا صدرها من المهدى فزادها في مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة احدى وستين ومائة (ثم) ذكر ما سنورده فى ذكر الدور المطيفة بالمسجد (وقال) ابن زبالة عقب ما تقدم وأدخل بقية دار عبد الله بن مسعود التى يقال لها دار القراء ودار المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة (قلت) ذكر ابن شبة هذه الدار في دور بني زهرة فقال واتخذ مخرمة بن أهيب بن نوفل دارا وهي في زاوية المسجد عند المنارة الشرقية اليمانية فاشترى المهدى بعضها فأدخله في رحبة المسجد القصيا وفى الطريق وبيعت بقيتها فصارت لرجل من آل مطرف ثم صارت لبعض بني برمك ثم صارت صافية اليوم انتهى. (وقوله) المنارة الشرقية اليمانية تحريف والصواب الشامية (قال) ابن زبالة ويحيى عقب ما تقدم وفرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة وقد كان هم لسد خوخة آل عمر وأمر بالمقصورة فهدمت وخفضت الى مستوى المسجد وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأها مع المسجد فكلمه آل عمر في خوختهم حتى كثر الكلام بينهم فأذن لهم ففتحوها وخفضوها في الارض شبه السرب فصارت في المسجد أى خارج المقصورة عليها شباك حديد وزاد في المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات فهي على ذلك الى اليوم ويؤخذ مما ذكره ابن زبالة من الكتابة علي أبواب المسجد فى زمن المهدى انه زخرفه بالفسيفساء كما فعل الوليد ويشهد لذلك بقية من الفسيفساء كانت فيما زاده فى مؤخر المسجد عند المنارة الغربية الشامية وفيما يقرب منها من الحائط الغربي ولم أر في كلام أحد من مؤرخى المدينة ان المسجد الشريف زيد فيه بعد المهدى لكن قال الزين المراغى مالفظه وقيل ان المأمون زاد فيه وأتقن بنيانه أيضا في سنة ثنتين ومائتين (قال) السهيلى وهو على حاله ورزين ينكر ذلك ويمكن الجمع بأنه جدده ولم يزد انتهى (قلت) ولم أر فى كلام رزين تعرضا لحكاية ذلك حتى ينكره وهذا بعيد جدا لان من أدرك زمن المأمون من مؤرخي المدينة لم يتعرض لشئ من ذلك نعم رأيت في المعارف لابن

قتيبة بعد ذكر زيادة المهدى مالفظه وزاد فيه المأمون زيادة كثيرة ووسعه وقرأت على موضع زيادة المأمون أمر عبد الله بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنين ومائتين وذكر أشياء من الامر بالعدل وتقوى الله وهذا لادلالة فيه على زيادة المأمون في المسجد لاحتمال انه وقع في زمنه عمارة من غير ان يزيد فيه على ان فى كلام يحيى وغيره فى حكاية ما كان مكتوبا في المسجد مايدل على كتابة مثل ذلك لمن تجددت ولايته من الخلفاء فقط والله أعلم

﴿ الفصل التاسع عشر ﴾ فيما كانت عليه الحجرة الشريفة الحاوية للقبور المنيفة في مبدء الامر

(قد) قدمنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بنى المسجد بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل قال ابن النجار وكان لبيت عائشة رضي الله عنها مصراع واحد من عرعر أوساج وتقدم أيضا في الفصل التاسع عن جماعة ممن أدرك بيوت النبى صلى الله عليه وسلم لما أدخلت في المسجد أنها كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر وان عمران بن أبى أنس قال كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد الخبر المتقدم (قلت) وكان بيت عائشة رضى الله عنها أحد الاربعة المذكورة لكن سيأتى من رواية ابن سعد انه لم يكن عليه حائط زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان أول من بنى عليه جدارا عمر بن الخطاب وليحمل على ان حجرة الجريد التى كانت مضافة له أبدلها عمر بجدار جمعا بين الروايات وتقدم أيضا قول عبد الله بن يزيد الهذلى رأيت حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز مبنية باللبن حولها حجر من جريد ممدورة الا حجرة أم سلمة وقول الحسن البصرى كنت أدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدى وكان لكل بيت حجرة وكانت حجره من أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر (قلت) والظاهر أن مايستر به الحجر المذكورة هو المراد فى حديث كشفه صلى الله عليه وسلم لسجف حجرته كما في الصحيح و(السجف) لغة الستر (وفى) التحفة لابن عساكر عن داود ابن قيس انه قال أظن عرض البيت من الحجرة الى باب البيت نحو من ست أو سبع أذرع وأظن سمكه بين الثمان والتسع نحو ذلك ووقفت عند باب عائشة فاذا هو مستقبل

المغرب وهو صريح فى أن الباب كان في جهة المغرب وسيأتي مايؤيده (وكذا) ماروى فى الصحيح من كشفه صلى الله عليه وسلم سجف الباب في مرضه وأبو بكر رضى الله عنه يؤم الناس وترجيل عائشة رضى الله عنها شعره وهو في معتكفه وهى في بيتها كما تقدم في حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف يدني الىّ رأسه فأرجله (وفي) رواية النسائى يأتيني وهو معتكف فى المسجد فيتكئ على عتبة باب حجرتى فأغسل رأسه وأنافي حجرتى وسائره فى المسجد لكن سبق أيضا مايقتضي أن الباب كان مستقبل الشام وهو ضعيف أومأول أما ضعفه فلما تقدم من أن بيت فاطمة رضى الله عنها كان ملاصقا له من جهة الشام وان مربعة القبر كانت باب على ويحتمل أن بعضه من جهة الشام كان ملاصقا بيت فاطمة دون بعضه فيتأتى ذلك ويدل له ماقدمناه فى بيت فاطمة رضى الله عنها من أن الموضع المزور في بناء عمر بن عبدالعزيز كان مخرجا للنبى صلى الله عليه وسلم وأما تأويله فبأحد أمرين كما أشار اليه الزين المراغى أحدهما حمله على انه باب شرعته عائشة رضى الله عنها لما ضربت حائطا بينها وبين القبور المقدسة بعد دفن عمر رضى الله عنه لأنه الباب الذى كان في زمنه صلى الله عليه وسلم وفيه بعد لانه سيأتى مايؤخذ منه أن الحائط الذى ضربته كان في جهة المشرق ثانيهما لانه كان له بابان اذ لامانع من ذلك وهذا محمل مارواه ابن عساكر عن محمد بن أبى فديك عن محمد بن هلال انه رأى حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد مستورة بمسوح الشعر فسألته عن بيت عائشة فقال كان بابه من جهة الشام قلت مصراعا كان أومصراعين قال كان باب واحد قلت من أى شئ كان قال من عرعر أوساج وهذا مستند ابن عساكر في قوله وباب البيت شامى ولم يكن على الباب غلق مدة حياة عائشة انتهى (ثم) ظفرت فى طبقات ابن سعد بما يصرح بأن الحجرة الشريفة كان لها بابان فانه روى من طرق انهم صلوا على النبى صلي الله عليه وسلم بحجرته (وروى) في أثناء ذلك عن أبى عسيم قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف نصلى عليه قالوا ادخلوا من ذا الباب ارسالا ارسالا فصلوا عليه واخرجوا من الباب الآخر والله أعلم (وكان) بيت حفصة بنت عمر رضى الله عنها ملاصقا لبيت عائشة رضي الله عنها من جهة القبلة (ونقل) ابن زبالة فيما رواه عن عبدالرحمن بن حميد وعبيد الله ابن عمر بن حفص وأبي سبرة وغيرهم انه كان بين بيت حفصة وبين منزل عائشة الذى

فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم طريق وكانتا يتهاديان الكلام وهما فى منزليهما من قرب مابينهما وكان بيت حفصة عن يمين الخوخة (قلت) فهو موقف الزائرين اليوم داخل المقصورة وخارجها كما ذكره المطرى وتقدم في حدود المسجد النبوى ان جدار الحجرة مما يلي المسجد كان في حد القناديل التي بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر وبين الأساطين المقابلة لها وهى التى اليها المقصورة الدائرة على الحجرة من جهة المغرب وان المسجد زيد فيه من تلك الجهة شئ من الحجرة وان الظاهر ان ماترك فى المسجد من الحجرة كان من مرافقها كالدهليز للباب وان مابنى عليه من ذلك هو صفة بيت عائشة رضى الله عنها التى وقع الدفن بها هذا ما تحصل لى من كلام متقدمى المؤرخين خلاف مااقتضاه كلام متأخريهم من ان جدار الحجرة الذى جوف الحائز الدائر عليها اليوم هو جدارها الأول واليه ينتهى حد المسجد وان جدار الحائز الذى جعله عمر بن عبد العزيز انما جعله فيما يلى الحجرة من المسجد وقد قدمنا من كلام ابن زبالة والمحاسبى نقلا عن مالك مايرد ذلك والله أعلم

﴿ الفصل العشرون ﴾ فيما حدث من عمارة الحجرة بعد ذلك والحائز الذى أدير عليها

(روى) ابن زبالة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما زلت اضع خمارى وأتفضل في ثيابى حتي دفن عمر فلم أزل متحفظة في ثيابى حتى بنيت بينى وبين القبور جدارا (وعن) المطلب قال كانوا يأخذون من تراب القبر فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم وكانت فى الجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسدت (وقال) ابن سعد في طبقاته أخبرنى موسى بن داود قال سمعت مالك بن أنس يقول قسم بيت عائشة باثنين قسم كان فيه القبر وقسم كان تكون فيه عائشة وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا فلما دفن عمر لم تدخله الا وهى جامعة عليها ثيابها (وقال) ابن سعد أيضا أخبرنا يحيى بن عباد قال حدثنا حماد بن زيد قال سمعت عمرو بن دينار وعبيدالله ابن أبى يزيد قالا لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم على بيت النبى صلي الله عليه وسلم حائط وكان أول من بني عليه جدارا عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال) عبيد الله ابن أبى يزيد كان جداره قصيرا ثم بناه عبدالله بن الزبير (وقال) الاقشهرى قال أبو زيد

ابن شبة قال أبو غسان بن يحيى بن علي بن عبد الحميد وكان عالما باخبار المدينة ومن بيت كتابة وعلم لم يزل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذى دفن فيه هو وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ظاهرا حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار المزور الذى هو عليه اليوم حين بنى المسجد فى خلافة الوليد بن عبد الملك وانما جعله مزورا كراهة ان يشبه تربيعه تربيع الكعبة وان يتخذ قبلة فيصلى اليه (قال) أبو زيد قال أبو غسان وقد سمعت غير واحد من أهل العلم يزعم ان عمر بني البيت غير بنائه الذى كان عليه وسمعت من يقول بنى على بيت النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أجدر فدور القبر ثلاثة أجدر (جدار) بناء بيت النبى صلى الله عليه وسلم و(جدار) البيت الذى يزعم انه بنى عليه يعنى عمر بن عبد العزيز (وجدار) الحظار الظاهر انتهي مانقله الاقشهرى (قلت) ولولم يوجد على الحجرة الشريفة عند انكشافها فى العمارة التى أدركناها غير جدار واحد جوف الحظار الظاهر (وقال) ابن سعد أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الازرقى المكي قال حدثنا مسلم بن خالد قال حدثنى ابراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمي عن أبيه قال انهدم الجدار الذى علي قبر النبي صلى الله عليه وسلم في زمان عمر بن عبد العزيز فأمر بعمارته قال فانه لجالس وهو يبني اذ قال لعلى بن حسين قم يا على فقم البيت يعني بيت النبى صلى الله عليه وسلم فقام اليه القاسم بن محمد قال وأنا أصلحك الله قال نعم وأنت فقم ثم قال له سالم بن عبد الله وأنا أصلحك الله قال اجلسوا جميعا وقم يامزاحم فقمه فقام مزاحم فقمه (قال) مسلم وقد أثبت لى بالمدينة ان البيت الذى فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم بيت عائشة وان بابه وباب حجرته تجاه الشام وان البيت كما هو سقفه على حاله وان فى البيت جرة وخلق رخالة انتهى (وروى) ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه قال جاف بيت النبي صلى الله عليه وسلم من شرقيه فجاء عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر فامر ابن وردان ان يكشف عن الاساس فبيناهو يكشفه الى ان رفع يده وتنحا واجما فقام عمر بن عبد العزيز فزعا فقال عبد الله بن عبيد الله أيها الامير لايروعنك فتانك قد ماجدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له فى الاساس فقال يابن وردان غط مارأيت ففعل (وروى) أيضا عن المطلب انه لما سقط الجدار من شق موضع الجنائز أمر عمر بقباطي فخيطت ثم ستر بها وأمر

أبا حفصة مولى عائشة وناسا معه فبنوا الجدار فجعلوا فيه كوة فلما فرغوا منه ورفعوه دخل مزاحم مولى عمر فقم ماسقط على القبر من التراب والطين ونزع القباطى وكان عمر يقول لأن أكون وليت ما ولى مزاحم من قم القبور أحب الى من أن يكون لى من الدنيا كذا وكذا وذكر موغوبا من الدنيا (وروى) يحيى من طريقه أيضا عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتى المسجد فابدأ بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه ثم آتى مصلاى فأجلس به حتى أصلى الصبح فخرجت في ليلة مطيرة حتى اذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتني رائحة لا والله ما وجدت مثلها قط فجئت المسجد فبدأت بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جداره قد انهدم فدخلت فسلمت على النبي صلي الله عليه وسلم ومكثت فيه مليا وذكر صفة القبور كما سيأتى عنه قال فلم ألبث ان سمعت الحس فاذا عمر بن عبد العزيز قد أخبر فجاء فأمر به فستر بالقباطى فلما أصبح دعا وردان البناء فقال له أدخل فدخل فكشف فقال لا بدلى من رجل يناولنى فكشف عمر بن عبد العزيز ساقيه يريد يدخل فكشف القاسم بن محمد فكشف سالم بن عبد الله فقال عمر مالكم فقالوا ندخل والله معك قال فلبث عمر هنيهة ثم قال والله لانؤذيهم بكثرتنا اليوم أدخل يامزاحم فناوله فقال عمر يامزاحم كيف ترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم قال متطاطيا قال فكيف ترى قبر الرجلين قال مرتفعين قال أشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورواه) رزين عن عبد الله المذكور باختصار وخالف سياق يحيي فى وصف القبور كما سيأتى التنبيه عليه وقال فيه فأخبرت بذلك عمر فجاء فأمر به فستر بالقباطى وذكره بنحوه (وفى) العتبية قال مالك انهدم حائط بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي فيه قبره فخرج عمر بن عبد العزيز واجتمعت رجالات قريش فأمر عمر ابن عبد العزيز فستر بثوب فلما رأى ذلك عمر بن عبد العزيز من اجتماعهم أمر مزاحما أن يدخل ليخرج ما كان فيه فدخل فقم ما كان فيه من لبن أوطين وأصلح فى القبر شيأ كان أصابه حين انهدم الحائط ثم خرج وستر القبر ثم بنى انتهى (وروي) البخارى فى الصحيح من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال لما سقط عنهم الحائط زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا أحدا يعلم ذلك حتي قال لهم عروة لا والله ماهى قدم النبي صلى الله عليه وسلم ماهى الا

قدم عمر (ويستفاد) مما تقدم أن السبب فى هذا البناء سقوط الجدار المذكور بنفسه ولعله بسبب المطر المشار اليه في الرواية المتقدمة (ويخالفه) مارواه أبو بكر الآجرى من طريق شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي قال كان الناس يصلون الي القبر فأمر به عمر بن عبدالعزيز فرفع حتى لايصل اليه أحد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبدالعزيز فأتاه عروة فقال هـذا ساق عمر وركبته فسرى عن عمر بن عبدالعزيز (ومن) طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حيوة قال كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبدالعزيز وكان قد اشترى حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن اهدمها ووسع بها المسجد فقعد عمر في ناحية ثم أمر بهدمها فما رأيت باكيا أكثر من يوميه ثم بناها كما أراد فلما ان بنى البيت على القبر وهدم البيت الاول ظهرت القبور الثلاثة وكان الرمل الذي عليها قد انهار ففزع عمر بن عبدالعزيز وأراد أن يقوم فيسويها بنفسه فقلت له أصلحك الله انك ان قمت قام الناس معك فلو أمرت رجلا أن يصلحها ورجوت أن يأمرني بذلك فقال يامزاحم يعنى مولاه قم فأصلحها (ونقل) الاقشهرى عن الرشيد أبى المظفر الكازروني شارح المصابيح أنه قال سألت جمعا من العلماء عن سبب ستر القبور عن أعين الناس أى باتخاذ جدار لاباب له فذكر بعضهم أنه لما مات الحسن ابن على أوصى أن تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع ويقبر في البقيع فلما أراد الحسين أن يجيز وصيته ظن طائفة انه يدفن في الحضرة فمنعوه وقاتلوه فلما كان عبدالملك أوغيره سدوا وستروا (وقال) أبو غسان فيما حكاه الاقشهرى أخبرني الثقة عن عبدالرحمن بن مهدى عن منصور بن ربيعة عن عثمان بن عروة قال قال عروة نازلت عمر بن عبدالعزيز في قبر النبي صلي الله عليه وسلم أن لايجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال كتاب أمير المؤمنين لابد من انفاذه قال فقلت فان كان لابد فاجعل له حوجوا أى (وهو الموضع المزور خلف الحجرة) (وروى) ابن زبالة عن محمد بن هلال وعن غير واحد من أهل العلم أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه قبره صلى الله عليه وسلم وهو بيت عائشة الذى كانت تسكن وانه مربع مبنى بحجارة سود وقصة الذى يلى القبلة منه أطوله والشرقي والغربى سواء والشامى أنقصها وباب البيت مما يلى الشام وهو مسدود بحجارة سود وقصة ثم بنى عمر بن عبدالعزيز على ذلك البيت هذا

البناء الظاهر وعمر بن عبدالعزيز زوّاه لأن يتخذه الناس قبلة تخص فيه الصلاة من بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وقال (اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد) الحديث قالوا والبناء الذى حول البيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين البناء الظاهر اليوم مما يلى المشرق ذراعان ومما يلي المغرب ذراع ومما يلى القبلة شبر ومما يلى الشام فضاء كله وفى الفضاء الذى يلى الشام مركن مكسور ومكيل خشب قال عبدالعزيز بن محمد يقال ان البنائين نسوه هناك انتهي (وروى) يحيي عن أبى غسان محمد بن يحيى قال سمعت من يقول في الحظار الذى على قبر النبى صلى الله عليه وسلم مركن وخشبة وحديدة مسندة (قال) محمد بن يحيي وقال عبد الرحمن بن أبى الزناد هو مركن تركه العمال هناك (وقال) محمد بن يحيى يعني أباغسان فأما أنا فاني اطلعت فى الحظار فلم أرشيأ فزعم لى زاعم انه قد رأى ثم المركن وشيأ موضوعا مع المركن وأما أنا فلم أره ولم أعلم أحدا يدرى من أخذه ولم أر للبيت الذى فى الحظار بابا ولا موضع بابه وقد أخبرنى ابن أبى فديك انه رأى باب بيت النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى الشام انتهى (وقد) حكي الاقشهرى عن أبى غسان أيضا نحو ذلك (قلت) ولم نر للبيت عند انكشافه في العمارة التى أدركناها بابا ولا موضع باب ولم يوجد في الفضاء الذى يلي الشام من الحظار المذكور مركن ولاغيره مما ذكر وسيأتى في الفصل الثالث والعشرين ان ابن عاث ذكر أنهم وجدوا عند عمارة حائط سقط بالحجرة قعبا انكسر عند سقوط الحائط وانه حمل الى بغداد فان صح فلعله المراد وفيما قدمناه اشعار بأن موضع القبور الشريفة كان مسقفا تحت سقف المسجد كما سيأتى التصريح به ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا مابين الحظار الظاهر والحجرة ولم يروا جوف الحجرة ويدل له ماسيأتى عن أبى الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت فانظروا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا الخبر الآتى لكن سيأتى في الفصل الرابع والعشرون عن ابن رشد انه قال في بيانه أن الثقة أخبره انه لاسقف له فى زمنه تحت سقف المسجد وكنت أظن أن ذلك بعد حريق المسجد فان كلام المؤرخين الآتي متطابق على انه لاسقف للحجرة بعد الحريق الا

سقف المسجد ثم تبين ان زمن ابن رشد كان قبل الحريق بمدة مديدة لان وفاته سنة عشرين وخمسمائة ثم اطلعنا في العمارة التي أدركناها على وجود سقف جعل بعد الحريق وعلى آثار السقف الذى كان قبله كما سيأتي بيانه والله أعلم

٭(الفصل الحادى والعشرون)٭ فيما روى من الاختلاف في صفة القبور الشريفة بالحجرة المنيفة وماجاء من أنه بقي بها موضع قبر وان عيسى بن مريم عليه السلام يدفن بها وما جاء في تنزل الملائكة حافين بالقبر الشريف وتعظيمه والاستسقاء به ٭

(اعلم) أن ابن عساكر ذكر في تحفته الاختلاف فى صفة القبور الشريفة فذكر فى ذلك سبع روايات وسبقه الى ذلك شيخه ابن النجار لكنه ذكر ستا فقط (الأولى) مارواه عن نافع بن أبى نعيم ان صفة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر أبى بكر وقبر عمر قبر النبى صلى الله عليه وسلم امامها الى القبلة مقدما ثم قبر أبى بكر حذاء منكبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر عمر حذاء منكبى أبى بكر وهذه صفته

النبى صلى الله عليه وسلم

أبو بكر رضى الله عنه

عمر رضي الله عنه

(قلت) وهذه الرواية هى التي عليها الاكثر (ونقل) الزين المراغى ان رزينا ويحيى جزما بها وهو كذلك فى كلام رزين ورواها عن عبد الله بن محمد بن عقيل فقال عقب خبره المتقدم فى قصة سقوط جدار الحجرة ورأيت القبور فاذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من امام وقبر أبى بكر خلفه وقبر عمر خلف قبر أبى بكر ورأس أبى بكر عند منكبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند منكبي أبى بكر (وأما) يحيي فلم أر فى كلامه الجزم بذلك بل رأيته حكي اختلاف الروايات كغيره (ولفظه) فى حكاية هذه الرواية حدثنا هرون بن موسى قال

سمعت أبى يذكر عن نافع بن أبى نعيم وغيره من المشايخ ممن له سن وثقة ان صفة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ما تقدم (ورأيت) في نسخة من كتاب يحيى تصوير القبور الشريفة علي هذه الصفة وقال انها صفة القبور الشريفة فيما وصف بعض أهل الحديث عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ثم ذكر ماسيأتى في الصفة السادسة (وروى) ابن سعد في طبقاته فى ذكر أبى بكر رضى الله عنه من طريق الواقدى عن أبي بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن عمر بن عبد الله بن عروة انه سمع عروة والقاسم بن محمد يقولان أوصي أبو بكر عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبر هناك (ثم) روى من طريق الواقدى أيضا عن ربيعة ابن عثمان عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال رأس أبى بكر عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند حقوي أبى بكر (قلت) وفي هذه مخالفة يسيرة لما تقدم بالنسبة الى عمر رضى الله عنه (الثانية) روي أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها ياأمة اكشفى لى عن قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء (زاد) الحاكم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما وأبا بكر رأسه بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم وعمر رأسه عند رجلي النبى صلى الله عليه وسلم (قال) ابن عساكر وهذه صفته

عمر رضي الله عنه	النبى صلى الله عليه وسلم

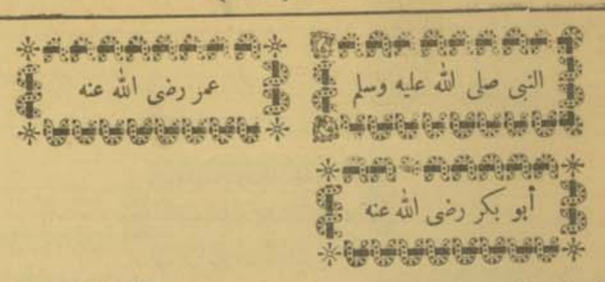
أبو بكر رضى الله عنه

(قلت) وقد صحح الحاكم اسناد هذه الرواية والله أعلم (الثالثة) ما رواه الزبير بن بكار عن ابن زبالة قال حدثني اسحق بن عيسى عن عثمان بن نسطاس قال رأيت قبر النبي صلي الله عليه وسلم لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعا نحوا

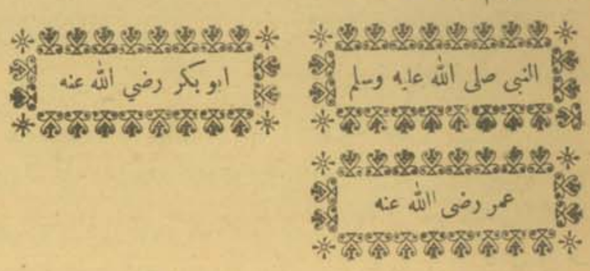
من أربع أصابع عليه حصباء الى الحمرة ماهى ورأيت قبرأبى بكر وراء قبر النبى صلى الله عليه وسلم ورأيت قبر عمر أسفل منه وصوره لنا كما صوره له عثمان (قلت) ولم يكن فى النسخة التى وقفت عليها من ابن زبالة تصوير وصور ذلك ابن عساكر هكذا



(قلت) وابن زبالة ضعيف واسحق بن عيسي هو ابن بنت داود بن أبى هند صدوق يخطئ وعثمان بن نسطاس هو عثيم مصغر بن نسطاس بكسر النون المدنى أخو عبيد مولى آل كثير بن الصلت مقبول حيث يتابع والافلين الحديث (وقد) ذكر الحافظ بن حجر ان أبا بكر الآجرى روي هذا الخبر فى كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحاق بن عيسى المذكور عن ابن نسطاس وليس فيه ذكر تصوير ولم يذكر الحافظ بن حجر الواسطة بين الآجرى واسحاق بن عيسى وهذه الرواية مع مافيها من الضعف قابلة للتأويل بردها الى الرواية التى قبلها وان كان التصوير يأباه لجواز حمله علي التقريب والله أعلم (الرابعة) روى ابن زبالة عن المنكدر بن محمد عن أبيه قال قبر النبى صلى الله عليه وسلم هكذا وقبر أبى بكر خلفه وقبر عمر خلفه عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم وصوره ابن عساكر هكذا



(قلت) ويمكن رد هذه الرواية مع ضعفها الى الثانية لان قوله وأبو بكر خلفه صادق بأن يكون رأسه عند منكبي النبى صلى الله عليه وسلم (الخامسة) روى يحيى باسناد فيه اسماعيل بن عبد الله بن أبى أويس عن أبيه واسماعيل صدوق لكن أخطأ فى أحاديث من قبل حفظه وأبوه صدوق يهم وبقية رجاله ثقات عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها وصفت لنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر أبى بكر وقبر عمر وهذه القبور فى سهوة فى بيت عائشة رأس النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى المغرب وقبر أبى بكر رأسه عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم وقبر عمر خلف النبى صلى الله عليه وسلم وبقى موضع قبر وهذه صفة قبورهم على ماوصف ابن أبى أويس عن يحيى بن سعيد وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة ولم يصور يحيي لذلك شيئاً (وروى) ابن زبالة نحو ذلك وقد ذكره من طريق ابن عساكر ثم قال وهذه صفته



(قلت) ويردها ماروى من أن رجلى عمر رضي الله عنه ضاق عنها الحائط فحفر لهما فى الاساس (وفي) الصحيح كما سبق قول عروة ماهى الا قدم عمر (السادسة) روى ابن زبالة عن القاسم بن محمد قال دخلت على عائشة فقلت ياامة أريني قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فكشفت لى عن قبورهم فاذا هى لا مرتفعة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء

حمراء من بطحاء العرصة فاذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم امامهما ورجلا أبي بكر عند رأس النبي صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند رجليه (قلت) قال ابن عساكر وهذه صفته

النبي صلى الله عليه وسلم

أبو بكر رضى الله عنه | عمر رضى الله عنه

(قلت) وهذه الرواية مع ضعفها معارضة بما تقدم في الرواية الثانية عن القاسم بن محمد المذكور وتلك أصح وما سيأتي في صفة الحجرة الشريفة يأبي ذلك أيضا (وقد) رأيتها في نسخة من كتاب يحيى رواه ابنه طاهر عنه على هذه الصورة

النبي صلى الله عليه وسلم

أبو بكر رضي الله عنه | عمر رضى الله عنه

وقال أنها عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها ثم قال ابن فراس أحد رواة النسخة المذكورة عن طاهر بن يحيي سألت طاهر بن يحيى ان يصور لي بخطه صفة قبر النبي صلي الله عليه وسلم وقبر أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فصورلي بيده هذه الصورة انتهى (السابعة) ماروى يحيى من طريق ابن زبالة في الخبر المتقدم في الفصل قبله فى قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة في تلك الليلة المطيرة عن عبد الله بن محمد ابن عقيل قال عقب قوله فيما تقدم فدخلت فسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ومكثت فيه مليا ورأيت القبور فاذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر أبى بكر عند رجليه وقبر عمر عند رجلى أبى بكر وعليهما حصى من حصباء العرصة قال ابن عساكر وهذه صفته

النبي صلي الله عليه وسلم

ابو بكر رضى الله عنه

عمر رضى الله عنه

(قلت) وهذه الرواية نقلها رزين عن عبد الله بن عقيل وساقها باللفظ السابق الا انه قال ورأيت القبور فاذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من امام وذكر ماقدمنا عنه في الرواية الاولى وهو مخالف لما في هذه الرواية وهو أولى بالاعتماد لان هذه الرواية ضعيفة مع بعدها مما سيأتي في وصف الحجرة الشريفة سيما على ماسبق من قسم عائشة رضي الله عنها الحجرة باثنين ولها شاهد لكنه ضعيف أيضا وهو مافي طبقات ابن سعد عن مالك بن اسماعيل اظنه مولى لآل الزبير قال دخلت مع مصعب بن الزبير البيت الذى فيه يعنى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضى الله عنهما فرأيت قبورهم مستطيلة انتهي (وفي) رواية الآجرى ما يوهم صفة ثامنة فانه ذكر عقب الخبر المتقدم عن رجاء بن حيوة في ادخال الحجرة في المسجد مالفظه قال رجاء فكان قبر أبى بكر وسطه ولم يذكر فيه عمر رضى الله عنه فان الضمير في قوله وسطه ان كان للبيت فواضح وان كان للنبي صلي الله عليه وسلم فهذه صفة أخرى لكن ينبغى تأويلها أيضا على التجوز في لفظ الوسط ليوافق رواية غيره (وأما) ماأخرجه أبو يعلى عن عائشة أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف أيضا ويمكن تأويله كما قاله الحافظ بن حجر (و) حينئذ فلم يبق الا الروايتان الاولتان فهما اللتان يتردد بينهما فى الترجيح والاولى هى المشهورة ومقتضى تصحيح الحاكم لاسناد الثانية ترجيحها وهى أصح الروايات وقد اشتملت على ان القبور لم تكن مسنمة (وقد) قال يحيي حدثنى هرون بن موسى (قلت) ولا بأس به قال حدثنى غير واحد من مشايخ أهل المدينة ان صفات القبور الشريفة مسطوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة حمراء (وروى) ابن زبالة من طريق عمرة عن عائشة قالت ربع قبر رسول الله

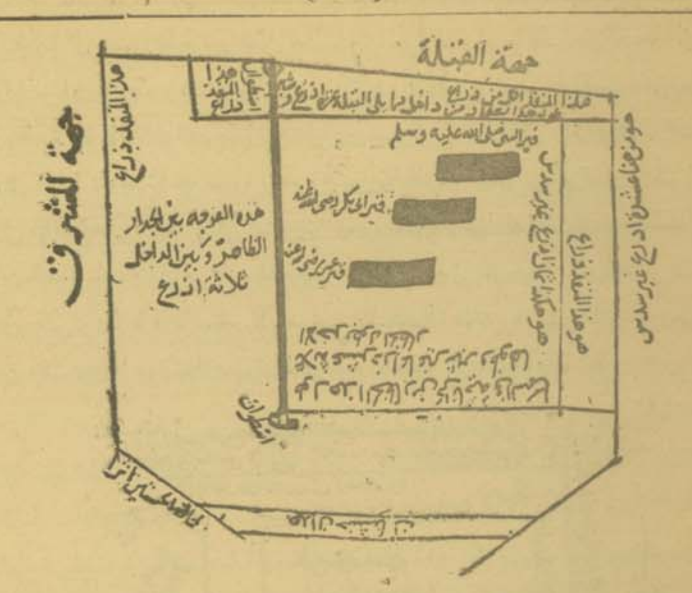
صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه مما يلي المغرب (وأما) مافي صحيح البخارى عن سفيان التمار انه رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما زاد أبو نعيم فى المستخرج وقبر أبى بكر وعمر رضي الله عنهما كذلك ورواه ابن سعد عنه بلفظ رأيت قبر النبى صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر مسنمة فلا يعارض ماقدمناه لان سفيان ولد في زمان معاوية فلم يرى القبر الشريف الا في آخر الامر فيحتمل كما قال البيهقى ان القبر لم يكن في الاول مسنما ثم سنم لما سقط عن الجدار (فقد) روى يحيى عن عبد الله بن الحسين قال رايت قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما فى زمن الوليد بن هشام (وفى) رواية اخرى عنه ان القبر جثوة مرتفعة مسنمة غير شديدة الارتفاع عليها قزع من حصى وتربة طيبها الله عز وجل (وروى) ابن سعد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال كان نبيث قبر النبى صلى الله عليه وسلم شبرا (و)يؤيد التسطيح مارواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد انه أمر بقبر فسوى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها (وقد) تقدم فى الرواية الرابعة انه بقي بعد القبور الشريفة موضع قبر (ويؤيده) ماروى ان عائشة رضى الله عنها أرسلت الى عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت أن هلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اخويك فقال ما كنت مضيقا عليك بيتك الخبر الآتى فى ذكر قبره وكذلك ماسيأتى فى اذنها للحسن ان يدفن عندها ومنع بنى امية له (وكذلك) مافي صحيح البخارى عن هشام بن عروة ان عائشة أوصت عبد الله بن الزبير لاتدفنى معهم أي النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وادفنى مع صواحبي بالبقيع لاأزكى به أبدا (وقد) أخرجه الاسماعيلى وزاد فيه وكان فى بيتها موضع قبر لكن فى الصحيح ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أرسل الى عائشة فسألها ان يدفن مع صاحبيه قالت كنت أريده لنفسى فلأوثرنه اليوم على نفسى (قال) الحافظ بن حجر فكأن اجتهادها في ذلك تغير أولا قالت ذلك لعمر كان قبل ان يقع لها قصة الجمل فاستحيت بعد ذلك وان كانت زوجته صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة كما قاله عمار أحد من حاربها انتهى (وقال) ابن التين كلامها فى قصة عمر يدل على انه لم يبق مايسع الا موضع قبر واحد فهو يغاير قولها لاتدفنى عندهم فانه يشعر بموضع للدفن والجمع بينهما انها كانت تظن أولا انه لايسع الا قبرا واحدا فلما دفن ظهر لها أن هناك وسعا لقبر آخر أو أن الذى

آثرته به المكان الذى دفن فيه من وراء قبر أبيها بقرب النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لاينفى وجود مكان آخر في الحجرة (وروى) يحيي بسنده الى عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام عن ابيه عن جده قال يدفن عيسى بن مريم مع النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ويكون قبره الرابع (وفي) سنن الترمذى من طريق أبى مودود عن عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه عن جده قل مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قل فقال أبومودود وقد بقي فى البيت موضع قبر قال الترمذى هذا حديث غريب وفى بعض النسخ حسن غريب هكذا قال عثمان بن الضحاك والمعروف الضحاك بن عثمان المدنى انتهى كلام الترمذى (وفي) رواية للطبرانى عن عبدالله ابن سلام قال يدفن عيسي بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فيكون قبرا رابعا وهو من رواية عثمان بن الضحاك وقد وثقه بن حبان وضعفه أبوداود (وذكر) الزين المراغى ان ابن الجوزى روى فى المنتظم عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له فيمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معى فى قبرى فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبى بكر وعمر (وقال) ابن النجار قال أهل السير وفي البيت موضع قبر في السهوة الشرقية قال سعيد بن المسيب فيه يدفن عيسى بن مريم (والسهوة) بيت صغير منحدر فى الارض قليلا شبيه بالمخدع والخزانة وقيل هو كالصفة يكون بين يدى البيت وقيل هو شبيه بالرف والطاق يوضع فيه الشئ (ولعل) المراد بذلك الموضع الذى ضربت عليه عائشة جدارا وسكنت به كماسبق (وسنذكر) فيما استقر عليه بناء الحجرة انه عقد علي نحو ثلثها الشرقى عقد فصار ذلك المحل مميزا عن بقية البيت وكان قبله في البناء مايشهد لجدار آخر من الشام الى القبلة فى تلك الجهة فلعله الموضع المذكور (وروى) يحيي وابن النجار عن كعب الاحبار قال مامن فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتي يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى صلي الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة صلي الله عليه وسلم (وفي) صحيح الدارمى نحوه من رواية عائشة رضي الله عنها وقال فيه سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار ذكره في باب ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم

بعد موته رواه البيهقي في شعبه (وقد) تقدم قول عمر رضى الله عنه ان مسجدنا هذا لاترتفع فيه الاصوات (وقال) أبو بكر رضي الله عنه لاينبغى رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا (وروى) ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن أبى حازم ونوفل بن عمارة قالوا ان كانت عائشة تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لايؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل على مصراعى داره الابالمناصع توقيا لذلك (وفى) الوفاء لابن الجوزى من طريق أبى محمد الدارمي بسنده عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة رضى الله عنها فقالت فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق (قال) الزين المراغى واعلم ان فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن يفتحون كوة فى سفل قبة الحجرة أى القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة وان كان السقف حائلا بين القبر الشريف وبين السماء (قلت) وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة والاجتماع هناك والله أعلم

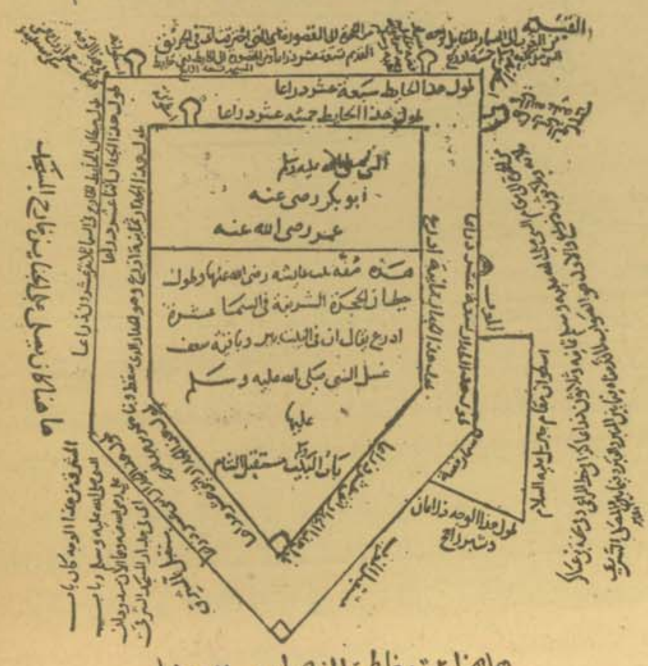
﴿ الفصل الثانى والعشرون ﴾ فيما ذكروه من صفة الحجرة الشريفة والحائز المخمس الدائر عليها وبيان ماشاهدناه مما يخالف ذلك

قال الاقشهرى فيما رواه من طريق ابن شبة قال أبو غسان يعنى محمد بن يحيي وأما الحظار الظاهر والبيت الذى فيه فاني اطلعت فيه من بين سقفى المسجد حتى عاينت ذلك الحظار الذى على البيت وما فيه وصورته ومافيه وذرعته على مافيه من الذرع وذلك حين انكسر خشب سقف لمسجد فكشف السقف من تلك الناحية لعمارته وأبو البختري ابن وهب بن رشد يومئذ على المدينة وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين ومائة (قال) أبو زيد يعنى ابن شبة فهذه صورته ثم صورها الاقشهرى فى كتابه المسمى (بعنسك القاصد الزائر) بهذه الصورة



وفى هذا التصوير وماذكر فيه من الذرع مخالفة لما تقدم عن نقل ابن زبالة حيث قال والبناء الذى حول البيت بينه وبين البناء الظاهر اليوم مما يلى المشرق ذراعان والتصوير المذكور قد اشتمل على ان الفرجة المذكورة ثلاثة أذرع ويستفاد من التصوير أيضا أن الفرجة بينهما في جهة القبلة مختلفة فبعضها دون الذراع وهو الشبر المشار اليه فى كلام ابن زبالة وبعضها ذراع (وسنذكر) أن ماشاهدناه في صورة الحجرة الشريفة عند انكشافها أقرب الى التصوير المذكور مما ذكره ابن زبالة وان الحال شاهد بأنه وقع في بنائها الداخل تغيير فلم يبق على الصورة المذكورة (وقد) أدرك ابن زبالة عمارة أبى البختري التى كشف فيها سقف المسجد مما يلى الحجرة الشريفة وذكرها في كتابه فقال وكان أبو البختري اذ كان واليا على المدينة لهارون أمير المؤمنين كشف سقف المسجد فى سنة ثلاث وتسعين ومائة فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة فأدخل مكانها خشبا صحاحا انتهى. وكأنه لم يشاهد ذلك كما شاهده أبو غسان وعبارة يحيي فى ذكر هذه العمارة وقد كان خشب من خشب المسجد فوق القبر مما يليه انكسر في ولاية أبي البختري فأمر بكشف السقف وذكر ماتقدم عن ابن زبالة على ان ابن زبالة ويحيي أشارا في

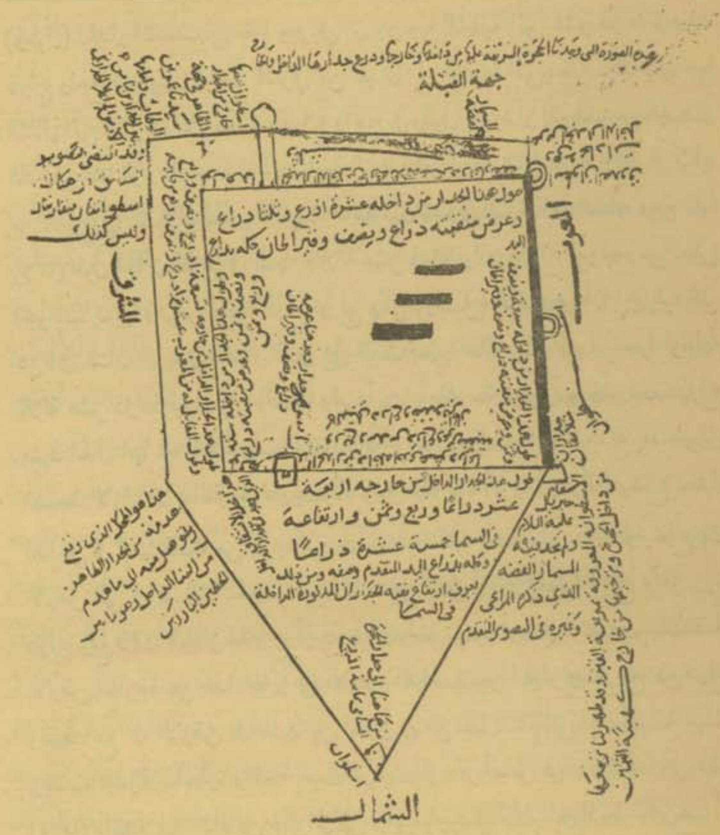
كتابيهما الى تصوير الحجرة والحائز الدائر عليها لكن الصورة ساقطة من النسخة التى وقعت لنا (وقد) صور ذلك ابن النجار فى كتابه وأظنه أخذه من نسخة وقعت له من ابن زبالة مشتملة على تلك الصورة وتبعه عليها ابن عساكر فى تحفة الزائر والمراغى فى تاريخه وهى بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة فلنبدأ بتصويره ثم تصوير الصورة التى شاهدناها ثم الصورة التى استقر بناء الحجرة الشريفة عليها وقد تبعت في حكاية تصوير ابن النجار ماصنعه المراغى فانى نقلته من خطه فقال وجعل عمر بنيان الحجرة الشريفة على خمس زوايا لأن لايستقيم لأحد استقبالها بالصلاة لتحذيره صلي الله عليه وسلم من ذلك وهذه صورتها وصورة الحائز حولها كما ضبطه ابن النجار والله أعلم



هاهنا بيت فاطمة الزهراء رضي الله عنها

(وهذا التصوير) ينافي ماتقدم من رواية ابن زبالة وغيره ان البيت مربع مبنى بحجارة سود وقصة (ثم) بني عليه عمر بن عبد العزيز هذا البناء الظاهر المخمس لانه صور فيه البيت مخمسا أيضا كما ترى وهو خلاف الذي شاهدناه عند انكشافه فى العمارة التى أدركناها فرأيناه مربعا مبنيا بالاحجار السود المنحوتة لونها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة ولها من الهيبة والانس مالا يدرك الا بالذوق (ولم) نجد بين الجدار الخارج والداخل من جهة المغرب فضاء أصلا ولا مغرز ابرة (ولم) نجد للبيت الداخل بابا أصلا ولا موضع باب لافى الجهة الشامية ولا في غيرها (ووجدنا) الفضاء الذى خلف البيت الشريف من جهة الشام بينه وبين البناء الظاهر شكله مثلث ومساحته نحو ثمانية أذرع بذراع اليد المتقدم تحريره وذلك من جدار البيت الشامى الى زاوية البناء الظاهر المقابلة له وهى الزاوية الشمالية التى ينحرف عنها صفحتى الشكل المثلث المذكور وهناك اسطوانة ملاصقة لجدار البيت الشامى في صف اسطوانة مربعة القبر واسطوانة الوفود و بعض الاسطوانة المذكورة داخل فى الجدار المذكور وقد طوق على أعاليها باطواق من الحديد وأدعمت بجزع من جزوع النخل رأسه فى أعاليها ورأسه الآخر فى زاوية البناء الظاهر الشمالية المتقدم ذكرها والظاهر ان ذلك جعل بعد الحريق لتشقق الاسطوانة المذكورة وتأثير النار فيها وهى الاسطوانة التى تقدم ذكرها في التصوير الاول المأخوذ من كلام ابن شبة عند نهاية جدار البيت الشامى مما يلى المشرق لكنا لم نجدها كذلك بل قريبة من وسط الجدار الشامى غير ان متولى العمارة ومن كان معه أخبرونى انهم وجدوا عند نقض جدار البيت الشامي من داخله رأس جدار فى محاذات الاسطوانة المذكورة يشهد الحال انه كان آخذا من الشام الى مايحاذيه من القبلى فكأنه كان نهاية الحجرة الشريفة من جهة المشرق وكأنه لما انهدم زيد فيها ذلك القدر قالوا ولا يخفى علي الناظر ان بقية الجدار الشامى مما يلى المشرق لم يبن مع الجانب الآخر منه بل هى ملصقة الى رأس الجدار المذكور بحيث لم يدخل أحجار أحدهما في الآخر ولا هى مرتبطة كما هو عادة البناء الواحد ورأيت أنا ما يقابل هذا الجانب من الجدار القبلى مما يلى المشرق فرأيت مايشهد باحداث بنائه بحيث انه مبنى بالحجارة غير الوجوه كنسبة الجدار الشرقي بخلاف بقية جدارات الحجرة الشريفة فانها

كلها من داخلها وخارجها مبنية بالحجارة الوجوه المنحوتة وانما لم أشاهد ماقدمته مما حكى لى فى أمر الجدار الشامى لانى اجتنبت حضور الهدم احتياطا لنفسى وظهر بذلك ان البيت الشريف كان من جهة المشرق على ماصوره ابن شبة ثم حدث ذلك بعده ولم ينبه عليه أحد من المؤرخين ويحتمل ان ذلك الجدار هو الذى أحدثته عائشة رضى الله عنها بينها وبين القبور الشريفة فقد تقدم عن ابن سعد روايته عن مالك بن أنس قال قسم بيت عائشة باثنين (قسم) كان فيه القبر (وقسم) كان تكون فيه عائشة وبينهما حائط قلت فهذا الاحتمال هو الذى يترجح عندى والله أعلم . ووجد بين جدار البيت الشرقى وبين الجدار الظاهر الشرقى فضاء مختلف كالزقاق الرقيق فعند ابتدائه من جهة الشام نحو ذراع اليد يمر فيه الرجل منحرفا فاذا قرب من جهة القبلة تضاعف بحيث لايمر فيه الا الصغير منحرفا وسعته هناك نحو ثلث الذراع (وقد) نقل ابن شبة انه كان ثلاثة أذرع فهذا مؤيد لما قدمناه من حدوث التغيير فى الجدار الشرقى الداخل ورؤيته تقضى بذلك دون بقية الجدران (ووجدنا) بين جدار البيت القبلى والجدار الظاهر القبلى فضاء مختلفا أيضا كالزقاق الرقيق فأوله من جهة المشرق نحو ذراع اليد فاذاقرب من الوجه الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر ثم أقل من ذلك الى ملتقى الحائطين في جهة المغرب وهذا الفضاء لايمكن المرور فيه لان الاسطوانة التى فى البناء الظاهر عند مواجهة موقف الزائر لسيدنا عمر رضي الله عنه بعضها بارز فى الفضاء المذكور وفى محاذاتها بناء بنحو عرضها قد سد مابين الجدارين من الفضاء وكأنه جعل لادعام الجدار من أجل الانشقاق الآتي ذكره أولمنع المرور هناك جزى الله فاعله خيرا



(وأما) طول جدران الحائز الظاهر من كل زاوية الى الأخرى من خارجه فطول الجدار القبلى من زاويته التى تلى القبلة من المغرب الى زاويته التى تلي المشرق سبعة عشر ذراعا بتقديم السين ينقص يسيرا وذلك موافق لما تقدم في تصوير ابن النجار (وطول) الجدار الغربي من القبلة الى طرف مقام جبريل ستة عشر ذراعا ونحو نصف ذراع ومنعطف مقام جبريل هناك الشام وذرع منعطفه ذراعان ونصف ذراع وجملة ذلك تسعة عشر ذراعا فهو المراد مما تقدم فى تصوير ابن النجار لكنه يوهم ان وجه مقام جبريل غير داخل فى التسعة عشر ذراعا التى ذكرها للجدار الغربى وليس كذلك

(وطول) الجدار المنعطف من مقام جبريل الى الزاوية الشمالية اثنى عشر ذراعا ونصف ذراع راجح (وطول) الجدار الشرقي من القبلة الى الزاوية التى ينحرف منه الى جهة الشمال اثنى عشر ذراعا ونصف ذراع راجح (وطول) الجدار المنعطف من الجدار المذكور عند الزاوية المذكورة الى الزاوية الشمالية نحو أربعة عشر ذراعا وفيما ذكرناه من الذرع في الثلاثة الجدر الاخيرة مخالفة لما تقدم في تصوير ابن النجار ومن تبعه (وأما) طول الحائز الظاهر فى السماء فثلاثة عشر ذراعا وثلث ذراع ويرجح من بعض الجوانب يسيرا وعرض منقبته ذراع وربع وثمن (ونقل) الاقشهرى أن ابن شبه نقل عن أبى غسان ان طول الحظار الذى على البيت يعني الحائز المذكور من جهة ارتفاعه ثلاثة عشر ذراعا غير سدس (قلت) وقد رأيت بأعلاه سترة من آجر قدر نصف ذراع يشهد الحال انها محدثة لاحداث السقف الآتي ذكره للحجرة الشريفة بعد حريق المسجد الاول فلا مخالفة بين ماوجدناه وبين ماذكره أبو غسان (وأما) ارتفاع الجدار الداخل فى السماء فقسته من خارجه من جهة الشام فكان خمسة عشر ذراعا وارتفاع تلك الارض التى فى شامىّ الحجرة بين الجدارين على أرض الحجرة ذراع ونحو ربع ذراع ومع ذلك فالحائز الخارج أرجح من الداخل بيسير أومساوله وسبب ذلك علو الارض الخارجة عن هذا الحائز على الارض الداخلة بين الحائزين بارجح من ذراع ونصف مع ان الارض الداخلة بين الحائزين من جهة الشام التي هى كهيئة المثلث وجدت مجدولة بالحجارة والقصة بحيث لم يتأت لهم حفر أساس فيها ولله الحمد على ذلك (وأما) ماتقدم فيما نقلناه من خط المراغى وهو موجود في كلام ابن النجار وابن عساكر من ان طول حيطان الحائز الخارج في السماء ثلاثة وعشرون ذراعا فهذا مخالف لما شاهدناه ولما قدمناه عن أبى غسان وكأنهم أرادوا بهذا ذرع مابين الارض المحيطة بالحجرة وبين سقف المسجد وهذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقا بل فوقه شباك من خشب متصل ذلك الشباك بسقف المسجد كما يظهر عند رفع الكسوة وكان ابن النجار توهم ان الحائط المذكور متصل بالسقف لانه قال وبنى عمر ابن عبد العزيز على حجرة النبى صلى الله عليه وسلم حائزا من سقف المسجد الى الارض وصارت الحجرة فى وسطه وهو على دورانها (وينبغى) حمل كلامه على ان المراد انه بناه

من سقف المسجد الى الارض بما جعل عليه من الشباك وكذلك يحمل ماذكره في ذرعه لان الشباك المذكور له ذكر فى كلامه فانه ذكر ماسيأتى من ان الجمال الاصفهانى جدد تأزير الحجرة بالرخام ثم قال وعمل لها مشبكا من خشب الصندل والابنوس واداره حولها مما يلى السقف أى على رأس الجدار المذكور (قلت) ولعله أول من أحدث هذا الشباك لانه ذكر له فى كلام متقدمى المؤرخين والله أعلم (وقال) ابن النجار واعلم ان على حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أسيء على سقفها ثوبا مشمعا مثل الخيمة وفوقه سقف المسجد وفيه أى فيما تحت المشمع المذكور خوخة عليها ممرق أى طابق مقفول وفوق الخوخة فى سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة وعليها ممرق مقفول أيضا وبين سقف المسجد وبين سقف السطح أى السقف الثانى لسطح المسجد فراغ نحو الذراعين (قلت) أما الممرق الذى ذكره في سقف المسجد الذى يلى الحجرة الشريفة فقد أدركناه موجودا عليه قفل من حديد ومشمع جدده متولى العمارة التى أدركناها الى أن احترق المسجد في زماننا وعملت القبة التى جعلت بدلا عن القبة الزرقاء (وأما) الممرق الذى ذكره فى سقف الحجرة تحت المشمع الذى أشار اليه فهذا كان قبل حريق المسجد الأول ولم يوجد في السقف الذى عمل بدله بعد الحريق ممرق نعم وجد عليه ستارة من الحابس اليمنية مبطنة وسنذكر وصفه ان شاء الله تعالى عند ذكر العمارة المتجددة فى زماننا على ان الذى يقتضيه كلام المطرى ومن بعده انه ليس ثم غير طابق واحد فى سقف المسجد فانه قال وعلى سقف الحجرة بين السقفين أى سقفى المسجد ألواح وقد سمر بعضها على بعض وسمر عليها ثوب مشمع وفيها طابق مقفل اذا فتح كان النزول منه الى مابين حائط بيت النبى صلى الله عليه وسلم وبين الحائط الذى بناه عمر ابن عبدالعزيز (قلت) وليس ماذكره فى وصف هذا الطابق بصحيح لان النزول منه يكون على وسط الحجرة سواء كما شاهدناه مع ان المطرى ومن تبعه اتفق كلامهم كما سيأتي على ان سقف الحجرة بعد الحريق انما هو سقف المسجد وهو خلاف ماوجدنا الامر عليه أيضا والله أعلم

﴿الفصل الثالث والعشرون﴾ في عمارة أتفقت بالحجرة الشريفة على مانقله الاقشهري عن ابن عاث وما وقع من الدخول اليها عند الحاجة له وتأزيرها بالرخام

(قال) الاقشهري ومن خطه نقلت مالفظه (أخبرنا) الشيخ الراوية أبوعبدالله محمد بن أحمد الانصاري الشاطبي قال حدثنا أبوبكر محمد بن عبدالله القضاعي الحافظ قال حدثنا صاحبنا الرحال أبوعمر أحمد بن أبي محمد هارون بن عاث النفري قال حدثت بالمدينة الشريفة أوقال بمدينة السلام بأنهم سمعوا منذ سنين قريبا من الاربعين هدة في الروضة الشريفة أي الحجرة فانه يعبر عنها بذلك فكتب في ذلك الى الخليفة فاستشار الفقهاء فأفتوا أن يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد فاختاروا لذلك (بدر) الضعيف وهو شيخ فاضل يقوم بالليل ويصوم النهار وهو من فتيان بني العباس فدلي حتى دخل الروضة أي الحجرة فوجد الحائط الغربي قد سقط وهو حائط دون الحائط الظاهر فصنع له لبن من تراب المسجد فبناه وأعاده على هيئته كما كان ووجد هناك قعبا من خشب قد أصابه وقوع الحائط فكسره فحمل الى بغداد مع شئ من تراب الحائط وكان يوم وصول ذلك بغداد يوما مشهودا تجمع لاستقباله الناس وازدحموا على رؤيته وعطلت الصناعات والبيع وكانت رحلة ابن عاث سنة ثلاث عشر وستمائة وقد قال قريبا من أربعين سنة فيكون ذلك سنة سبعين وخمسمائة أومادون ذلك وهكذا ذكره في رحلته ومنها نقلته ويكون ذلك في دولة المستضئ بالله بن المستنجد بالله انتهى كلام الاقشهري. ولعل هذا الحائط المنهدم في هذه العمارة انما هو الشرقي من الجدار الداخل وأطلق عليه اسم الغربي بالنظر الى الجدار الخارج الذي يليه فتكون هذه الواقعة هي التي اتفق فيها بناء الجدار المتقدم وصفه ووقع فيها تقديمه عن محله الاول وأبقوا رأسه كما تقدمت الاشارة اليه وهو انما بني بالحجر ولا يتأتى هناك بناء باللبن الا في السترة التي جعلت على رأس الجدار فلعله أراد باللبن المتخذ من تراب المسجد هذا لكن في كلام ابن النجار ونقله من بعده وأقره مايقتضي انه لم يقع دخول الى الحجرة الشريفة من سنة أربع وخمسين وخمسمائة الى زمانه وقد توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة فانه قال في كتابه الدرة الثمينة ما لفظه واعلم ان في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمعوا صوت هدة في الحجرة وكان الاميرقاسم ابن مهنى الحسيني فأخبروه بالحال فقال ينبغي أن ينزل شخص الى هناك ليبصر ماهذه

الهدة فافتكروا في شخص يصلح لذلك فلم يجدوا لذلك الا عمر النسائي شيخ شيوخ الصوفية بالموصل وكان مجاورا بالمدينة فذكروا ذلك له فذكر ان به فتقا والريح والبول يحوجه الى دخول الغائط مرارا فألزموه فقال أمهلوني حتى أروض نفسي وقيل انه امتنع من الاكل والشرب وسأل النبي صلي الله عليه وسلم امساك المرض عنه بقدر مايبصر ويخرج ثم أنهم أنزلوه في الحبال من الخوخة الى الحظير الذي بناه عمر ودخل منه الى الحجرة ومعه شمعة يستضئ بها فرأى شيأ من طين السقف قد وقع على القبور فأزاله وكنس التراب بلحيته وقيل انه كان مليح الشيبة وأمسك الله تعالى ذلك الداء بقدرماخرج من الموضع وعاد اليه وهذا ماسمعته من أفواه جماعة والله أعلم بحقيقة الحال في ذلك (وعبارة) المراغي تبعا للمطري في النقل عن ابن النجار فأنزلوه بالحبال من بين السقفين من الطابق المذكور ونزل بين حائط النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحائز ومعه شمعة يستضئ بها ومشي الى باب البيت ودخل من الباب الى القبور المقدسة فرأى شيأ من الردم اما من السقف أومن الحيطان الى آخره (قلت) وهذا لايطابق ماذكره ابن النجار وعليه رتب المراغي اشكاله الآتي بيانه (ثم) قال ابن النجار وفي شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة في أيام قاسم أيضا وجدوا من الحجرة رائحة منكرة وكثر ذلك حتى ذكروه للامير فأمرهم بالنزول الى هناك فنزل بيان الأسود الخصي أحد خدام الحجرة ومعه الصفي الموصلي متولي عمارة المسجد ونزل معهما هارون الشادي الصوفي بعد ان سأل الأمير في ذلك وبذل له جملة من المال فلما نزلوا وجدوا هرا قد هبط ومات وجيف فأخرجوه وكان في الحائز بين الحجرة والمسجد (وقال) المراغي وغيره في النقل عن ابن النجار فوجدوا هرا قد سقط من الشباك الذي في أعلا الحائز ووقع بين الحائز وبيت النبي صلى الله عليه وسلم (قال) ابن النجار وكان نزولهم يوم السبت الحادي عشر من ربيع الآخر ومن ذلك التاريخ الي يومنا هذا لم ينزل أحد الى هناك فاعلم ذلك انتهى (فهذا) يخالف مانقله الاقشهري عن ابن عاث لاقتضائه أن تلك الواقعة في سنة سبعين وخمسمائة أوماقاربها والظاهر أن القضية واحدة ولم نجد من دونها فنقل كل منهما بحسب مابلغه (وقال) الزين المراغي عقب ذكره للواقعة الأولى التي حكاها ابن النجار المتضمنة للدخول الى القبور الشريفة مالفظه (وينبغي) تأمل هذا النقل لان الوصول

الى القبور الشريفة متعذر ان كان الجدار الذى أحدثته عائشة المتقدم ذكره باقيافان
جاء فقل بازالته و بامكان الاستطراق معه من باب أونحوه فهو واضح والافقيه نظر (قلت)
نظره انما يتوجه على ما قدمه من أن النزول كان الى ما بين الحائطين وانه مشي الى باب
البيت وليس في كلام ابن النجار تعرض لشئ من ذلك بل مقتضى ماقدمناه عنه في أن
الحجره الشريفة بها ممرق و بسقف المسجد مثله أن النزول انما هو من العلو الى سقف
الحجره ثم منه اليها فلانظر على ان الجدار الذى أشار اليه وان عائشة بنته ولم نجدله أثرا
الا ماتقدمت الاشارة اليه من رأس جدار الحائط الشامى مقتض لانه كان هناك جدار من
الشام الى القبلة وكذلك الباب لم نجد له أثرا كاقدمناه (وأما) تأزير الحجرة بالرخام فليس
له ذكر فى كلام ابن زبالة وله ذكر في كلام يحيي فانه روى ماحاصله ان بيت فاطمة
الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث
حسن بن حسن ابنه جعفرا وكان أسن ولده فقال له أذهب ولا تبرحن حتي يبنوا فتنظر
الحجر الذى من صفته كذا وكذا هل يدخلونه فى بنيانهم فلم يزل يرصدهم حتى رفعوا
الاساس وأخرجوا الحجر فجاء جعفر الى أبيه فأخبره فخر ساجدا وقال ذلك حجر كان
النبى صلى الله عليه وسلم يصلى اليه اذا دخل الى فاطمة أوكانت فاطمة تصلى اليه الشك
من يحيي (وقال) على بن موسى الرضي ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك
الحجر (قال) يحيي ورأيت الحسين بن عبدالله بن عبدالله بن الحسين ولم أر فينا رجلا
أفضل منه اذا اشتكى شيئا من جسده كشف الحصى عن الحجر فيمسح به ذلك الموضع
ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ففقدناه عند ما أزر القبر بالرخام وكان
الحجر لاصقا بجدار القبر قريبا من المربعة (قال) بعض رواة كتاب يحيي الصانع هذا هو
اسحاق بن سلمة كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة (قلت) وكانت خلافة
المتوكل سنة اثنين وثلاثين ومائتين وتوفي فى شوال سنة سبع وأربعين وكان هذا مأخذ
ابن النجار في قوله أن المتوكل فى خلافته أمر اسحاق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين
من قبله أن يؤزر الحجرة بالرخام ففعل (ثم) فى خلافة المقتفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
جدده جمال الدين وزير بنى زنكي وجعل الرخام حولها قامة و بسطه (قلت) ولم يذكر
أحد من المؤرخين تجديدا لهذا الرخام بعد ذلك وقد جدده فى زماننا متولى العمارة الآتى

ذكرها الجناب الشمس المحسنى الخواجكى بن الزمن بأمر المقام الشريف السلطاني قايتباي
عز نصره (ووجد) في الصفحة القبلية عند ابتدائها من جهة المغرب فى اللوح السماقى
اللون الثاني فى تلك الجهة من الالواح الملونة التى يحيط بها الرخام الابيض البارز قطعة
أوسع من الدينار ملصقة فى ظاهر اللوح المذكور بالجص فأشيع أنها جوهرة نفيسة ذات
لمعان ثم ان متولى العمارة أرانيها فاذا هى حجر عسلى اللون يميل حمرته الى الصفرة (قال)
وأظنه حجر اليرقان وقد خشى عليه متولى العمارة ان أعيد لصقا كهيئته الأولى فأمر
بنقر الرخامة المذكورة وتنزيله فيها ففعلوا ذلك وأعادوا تلك الرخامة الى محلها (ولم) أر
من نبه على ابتداء حدوث الرخام الذى حول الحجرة الشريفة بالارض والظاهر انه حدث
عند حدوث تأزيرها بالرخام لما تقدم من كلام يحيي في أمر الحجر الذى كان يتبرك به
من ان الحسين بن عبد الله كان يكشف عنه الحصى وانه لم يدخل في البناء وانه فقده
عند تأزير الحجرة بالرخام فدل ذلك على انه رخم الارض أيضا والا لما استتر الحجر
المذكور (وأما) ترخيم المصلى الشريف فلا أدرى متى زمن حدوثه وله ذكر في رحلة
ابن جبير (وأما) الرخام الذى بالمحراب العثماني وما حوله فالقديم منه أعنى بعد الحريق
الاول ترخيم المحراب وشئ يسير عن جنبتيه (وفى) دولة السلطان الملك الظاهر جقمق
في أول عشر الستين وثمانمائة أمر بعمل الوزرة التى في الجدار القبلى فاتصل ذلك
بترخيم المحراب المذكور وقد جدد غالب ذلك في العمارة التى أدركناها أيضا وأبدل
الطراز الاول الذى كان بأعلى الوزرة وكان محررا بماء الذهب بالطراز الموجود اليوم (ثم)
زال ذلك كله فى حريق المسجد الثانى ثم اعيد مع زيادة فيه مما يلى المنارة الرئيسية
ومع ترخيم ماحول الحجرة الشريفة وتأزيرها بالرخام ومع ماسبق من عمل محراب المصلى
الشريف وترخيمه ورخموا أيضا الدعائم المواجهة للوجه الشريف التى أحدثوها عند عمارة
القبة الثانية من داخل المقصورة وخارجها وجميع ما يوجد من الرخام بالمسجد اليوم من
عمل سلطان زماننا الأشرف قايتباى أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره والله أعلم

﴿الفصل الرابع والعشرون﴾ فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الشريف والمسمار الفضة
المواجه للوجه الشريف ومقام جبريل من الحجرة الشريفة وكسوتها وتخليقها

(أما) الصندوق فلم أعلم ابتداء حدوثه وكذلك القائم المحلى فوقه الا انه قد ظهر

لنا في هــذه العمارة التى أدركناها انه كان موجودا قبـل حريق المسجد الاول لان متولى العمارة كان قد قلعه لاقتضاء رأيه قلع حلية الفضة التى كانت على القائم الخشب الذى فوق الصندوق ليحكم صوغها وزاد ذلك فضة وموهها بالذهب وأصلح حلية الصندوق أيضا وكان ذلك سـببا لاصـلاح أصل الاسطوانة التى كان بها فلما قلعوا الصـندوق المذكور ظهر فيه قوائم صندوق عتيق وفي تلك القوائم أثر الحريق وكأنهم جـددوا عليه صندوقا وجعلوا ذلك المحترق فى جوفه وقد أعيد كذلك (وقد) ذكر المجد الشيرازى هذا الصندوق والقائم فقال وفى الصفحة الغربية من الحجرة الشريفة صندوق أبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها. هو قبالة رأس النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اسطوان وفوق الصـندوق قائم من خشب مجـدد وأما الصندوق فطوله خمسة أشـبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه فى الهواء أربعة أشـبار (قلت) وقد ظفرت بذلك كله في كلام ابن جبير في رحلته غـير مايتعلق بالقائم المذكور ومن ذلك أخـذ المجد وصف القائم بكونه مجددا وكانت رحلة ابن جبير عام ثمانين وخمسمائة فاستفدنا بذلك وجود ذلك الصندوق قبل الحريق في ذلك الزمان وما ذكره من ان الصندوق المذكور قبالة الرأس الشريف فيه تجوز لانه قد ظهر لنا في هذه العمارة انه في محاذات الجدار الداخل القبلى وسيأتى ان الوجه الشريف الى الجدار فالرأس الشريف متأخر عن الصـندوق المذكور يسيرا (ومستند) المجد وغيره في هذا الاطلاق ماروي جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضي الله عنه عن أبيه عن جده انه كان اذا جاء يسلم علي النبى صلى الله عليه وسلم وقف عند الاسطوانة التى تلى الروضة ثم يسلم ثم يقول هاهنا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به ماقدمناه والله أعلم (وذرع) الصندوق المذكور فى الارتفاع ذراع ونصف وربع بذراع اليـد وأعلا القائم فوقـه محاذ لرأس الوزرة الرخام وطول القائم المذكور ثـلاثة أذرع وهو خمس صفحات الصق بعضها على بعض وجعلت محيطة بما ظهر من الاسطوانة الـتى الصندوق بأصلها فوقه فان بعض الاسطوانة في البناء الملاصق لها من الحائز المـذكور ولو أحاطت الصفحات بجميع الاسطوانة لكانت أكثر من خمس ولكانت شكلها مثمنا وهو مختم بالخشب الاسود الهندى معصب بصفائح الفضة المموهة طولا وعرضا باحسـن صناعة وصفائحه الطولية من الفضة أربع والمقاطعة لها من

جهة العرض خمس وفى رأسه من أعـلاه حلية رقيقـة كالزيق وزنة ما عليـه من الفضة زيادة على الفى قفلة وأخذوا لاجل تمويهه من حاصل المسجد أربعين مثقالا من الذهب كما أخبرني به متولى العمارة وأما الصندوق فلم يغير وكله مغشا بالفضة وقد احترق فى حريق المسجد الثانى ووجدوا حليته من الفضة فجددوا صـندوقا في محله وجعلوا موضع القائم الذى كان فوقه رخاما مكتوبا فيه البسملة والصـلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم والترضى عن أصحابه وغير ذلك (وأما المسمار) المواجه للوجه الشريف فقد تقدم ان بينه وبين أول الصفحة الغربية من المغرب خمسـة أذرع وقد اعتبرت ذلك فنقص يسيرا نحو سدس ذراع وكانه لاختلاف الاذرعة ولم أعلم ابتداء حدوث التعليم بهذا المسمار أيضا والمذكور فى كلام المتقدمين انما هو التعريف بان يجعل القنديل على رأسـه لكن (قال) المطرى ان ماذكر من القيام تحت القنديـل تجاه الحجرة الشريفة للسلام كان قبل احتراق المسجد الشريف فانه لم يكن يقابل وجه النبى صلى الله عليه وسلم الا قنديل واحد ولمـا جدد جعل هناك عدة قناديل وانمـا عـلامة الوقوف تجاه الوجه الكريم اليوم مسمار فضة فى رخامة حمراء انتهى. وهو يوهم حدوث التعليم به بعد الحريق وليس كذلك لأن ابن النجار ذكر التعليم به كما سـيأتى ولم يدرك الحـريق ولان ابن جبير ذكره في رحلته وهو أقـدم من ابن النجار فقال عنـد وصف الحجرة الشريفة وفى الصفحة القبلية أمام وجه النبى صـلى الله عليه وسـلم مسمار فضة هو أمام الوجه الكريم فتقف الناس امامه للسلام انتهى. وأيضا (فقد) روى ابن الجوزى في (مثير الغرام الساكن) ان ابن أبى مليكة كان يقول من أحب ان يقوم وجاه النـبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه (ثم) قال ابن الجوزى وثم ماهو أوضح علما من القنديـل وهو مسمار من صفر في حائط الحجرة اذا حاذاه القائم كان القنـديل فوق رأسـه انتهى (وقال) يحيي فى كتابه كان ابن أبي مليـكة يقول اذا جعلت القنديل على رأسك والمرمرة المدخولة فى جدار القبر قبالة وجهك استقبلت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) وكان هذا المسمار في موضع تلك المرمرة ولهذا (قال) ابن النجار ان اليوم هناك علامة واضحة وهى مسمار من فضة فى حائط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم اذا قابله الانسان كان القنديل على رأسه فيقابل وجه النبى صلى الله

عليه وسلم انتهى (ولم) أر لهـذا المسمار ذكرا فى كلام من صنف في المناسك قبـل ابن
جماعة والذى فى مناسك ابن الصلاح أخذا من الاحياء ذكر القنديل وجعله حذاء رأس
الزائر ونقـله عن ابن أبى مليكة واقتضى كلامه ان الواقف هناك يكون بينه و بين
السارية التى عند رأس القبر عند زاويته الغربية وهى اسطوان الصندوق نحو أربعة أذرع
فهو قريب ممـا تقدم فى التعليم بالمسمار المذكور وان لم يصرح به لكن قال الاقشهرى
ومن خطه نقلت (أخبرنا) الامام العالم رضى الدين أبو أحمد ابراهيم بن محمد بن أبى بكر
امام مقام ابراهيم الخليل بمكة توفي فى تاسع شهر ربيع الاول من عام اثنـين وعشرين
وسبعمائة والشيخ الوزير أبو عبد الله محمد بن أبي بكر محمد بن عيسي المومنانى (قالا) أخبرنا
الامام أبو عمرو عثمان بن عبـد الرحمن بن الصـلاح السهروردى (قال) ثم يأتى الزائر
الضريح المقدس فيستدبر القبلة و يستقبل جـداره نحو ثلاثة أذرع أو أربعة أذرع من
الجدار وجاه المسمار الذى في الجدار القبلي من الحجرة المشرفة هـذا ما نقلته من خط
الاقشهرى بحروفه (ولم) أره فى كلام ابن الصلاح والذى نقله بن عساكر في تحفته عن ابن
الصلاح وهو من تلامذته انما هو ماقدمناه وروايته عن ابراهيم الطبرى عن ابن الصلاح
تخليط فان وفات ابن الصلاح فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة والذى أدركه انمـا هو
والد ابراهيم المذكور وهو المعروف بالرضى الطبري فان مولد الوالد المذكور سنة ثلاث
وثلاثين وسـتمائة فانما أدرك من زمن ابن الصلاح عشر سنين فكيف يكون ولده راويا
عن ابن الصلاح بلا واسطة (وقال) الاقشهرى عقب ماتقدم عنه وقد سقط هذا المسمار
سنة عشرين وسبعمائة ولم يرد الى موضعه الا في رجب عام أربع وعشرين وسـبعمائة
(قلت) وقد أخرج فى هـذه العمارة من موضعه عند ترخيم جـدار الحجرة الشريفة ثم
أعيد في محله الاول بعينه فى الرخامة الحمراء التى كان بها ثم سقط من محـله في الحريق
الثانى وجدد مسمار آخر في محله ولا يختلف أحد ممن أدركناه بالمدينة الشريفة فى ان
ذلك الموضع تجاه الوجه الشريف وهو الذى يقتضيه الحال عند مشاهدة الحجرة الشريفة
من داخلها غير انى رأيت في كلام يحيي مايوهم خلاف ذلك فانه ذكر ان الموضع الذى
يواجه الوجه الشريف هو مابين الاسطوانة المتوسطة فى قبلة جدار قبر النبى صلى الله عليه
وسلم بين هـذا الموضع و بين الاسطوان شـبران وثلاث أصابع متفرجة من الحفيرة الى

الوسطى وان كل من أدركه من أهـل بيته كانوا اذا وقفوا للسلام على النبى صـلى الله
عليه وسلم وقفوا قريبا من هذا الموضع وكانت ثم علامة قد تعلموا بها حفيرة ولم تزل ثم منذ
عملت الى أن عمر الصانع المسجد فى ولاية أمير المؤمنين المتوكل فانه أزر القبر بالرخام فذهبت
العلامة منذ ذلك (وقال) ان موسى بن جعفر قال من وقف فى هذا الموضع منحرفا واضعا
شق وجهه الايمن استقبل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على بن الحسين يقف ثم
انتهى (قلت) الاسطوانة الوسطى التى يشير اليها هى البارزة في الصفحة القبلية من جدار
القبر يقف قربها المسلّم على عمر رضي الله عنـه و بينها و بين المسمار المـذكور نحو ثلاث
أذرع أو أزيد (وقد) قال ان الموضع الذى ذكره بينه و بين الاسطوانة المذكورة شبران
وثلاثة أصابع فيكون بعيدا من المسمار المذكور بنحو الذراعين وقد شاهدنا الاسطوانة
المذكورة من داخل الحجرة فرأيناها قريبة من نهايتها بحيث ان من دفن هناك ووجهه
فى محاذات الموضع الذى ذكره يحيى كانت رجلاه في جدار الحجرة الشرقي كما نقل ذلك
فى دفن عمر رضى الله عنه فيبعد كل البعد كون الوجه الشريف فى محاذات ذلك الموضع
علي ان مانقله عن موسى بن جعفر يقتضى ان استقبال الوجه الشريف للواقف في الموضع
الذى ذكره انما يكون مع الانحراف و وضع شق الوجـه الايمن يعنى على جـدار القبر
وعلى هذا فيستقبل الزائر جهـة المغرب حتى يحصـل ذلك وذلك لأن الحائط القبلي
منحرف كما أشرنا اليه فى التصوير المتقدم فلا يقتضى ذلك ان المستقبل للمحل الذى عينه
من غير وضع وجهه يكون مقابلا للوجه الشريف وانمـا يسامت الواقف الوجـه الشريف
اذا حاذى المسمار المتقدم وصفه وكأن يحيي يرى ان الزائر يلصق خده بجدار القـبر على
الهيئة السابقة فيصير محل المسمار المذكور أمامه ولذلك أورد عقب ماتقدم عنه قصة أبى
أيوب الانصارى الآتى ذكرها في التزامه القبر (واعلم) أن تشـبيك باب المقصورة التى
حدثت ادارتها على ماحول الحجرة الشريفة قد يمنع من مشاهدة المسمار المذكور الا لمن
يتأمل ذلك من تشبيكه وذلك يشغل قلب الزائر وقد تحرر لنا ان مايقابله من ذلك هو
الصرعة الثانية من باب المقصورة القبلى الذى على يمين مستقبل القبر الشريف فمن حاذى
هذه الصرعة كان محاذيا لذلك وهـذا المسمار مموه بالذهب رأسه مستدير وقد أحـدث
متولى العمارة مسمارا آخر رأسه فضة لـكنه فى أول هذه الصفحة القبلية ممـا يلى المغرب

قريبا من جهة الصندوق المتقدم وصفه ورأس هذا المسمار مكوكب كالقبة فلا يشتبه بالمسمار
المتقدم وأحدث أيضا مسمارين آخرين فى ابتداء الصفحة الغربية مما يلي القبلة قريبا من
مسماره المتقدم وماعلمت السبب فى احداث ذلك وقد زالت هذه المسامير الثلاثة المحدثة
بالحريق الثانى (وأما) الموضع المعروف بمقام جبريل عند مربعة القبر فقد تقدم انه كان
هناك مسمار فى منحرف المربعة الى الزاوية الشمالية من الحجرة علامة عليه فلم نجده هناك
وسألت عنه الخدام والمرخمين فقالوا انهم لم يجدوا هناك شيأ وتسمية ذلك الموضع بمقام
جبريل تقدم مستنده فى الكلام على اسطوان مربعة القبر ولم أدر لم سمى بذلك الآن
ابن جبير ذكر هذا المحل من الحجرة الشريفة وقال وعليه ستر مسبل يقال انه كان
مهبط جبريل عليه السلام انتهي. لكن ترجم ابن شبة فى كتابه لمقام جبريل ثم قال (قال)
أبو غسان علامة مقام جبريل عليه السلام الذى يعرف بها اليوم انك تخرج من الباب
الذى يقال له باب آل عثمان فترى على يمينك اذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة
أذرع وشبر وهو من الارض على نحو من ذراع وشبر حجرا أكبر من الحجارة التى بها
جدار المسجد قال فكان مالك بن أنس يقول وسقط مابعد ذلك من كتاب ابن شبة فلم
أدر ماهو لكن يستفاد من ذلك حكاية خلاف فى مقام جبريل هل هو داخل المسجد
عند المربعة المذكورة أو خارجه عند باب آل عثمان وهو المعروف اليوم بباب جبريل
ولعل ذلك سبب تسمية الباب المذكور بذلك كما ستأتى الاشارة اليه (وقال) ابن زبالة
أخاف المسجد من شرقيه في سلطان محمد بن عبد الله بن سليمان الربعى من ولد ربيعة
ابن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز فأمر به فبنى وتعلم مقام جبريل
عليه السلام بحجر ونقش فيه خاتم سليمان ومُشق لان يعرف به مقام جبريل ومقام
جبريل بمناه داخل في المسجد فبلغ ذلك مالك بن أنس فتكلم فيه وأنكره وعابه فغير
وجُعل مكانه حجر طويل مصمت لاعلم فيه مخالف لحجارة المسجد انتهى. فيحتمل ان
يريد بقوله ومقام جبريل بمناه داخل في المسجد الموضع المتقدم ذكره من الحجرة الشريفة
ويحتمل أن يريد ان الباب قد قدم عن محله الاول في محاذاته فصار مقام جبريل داخل
المسجد في محاذاة ذلك ويرجح هذا ان الظاهر ان الاصل فى مقام جبريل ماقدمناه في
غزوة بنى قريظة من رواية صاحب الاكتفاء أن جبريل عليه السلام أتي فى ذلك اليوم

على فرس عليه اللامة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز وان على وجه جبريل
لأثر الغبار انتهي. فلذلك سمى الباب المذكور بباب جبريل اذ لم يكن حينئذ للمسجد
باب فى ناحية الجنائز غيره (وفى) رواية البيهقي عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى
صلى الله عليه وسلم عندنا فسلم علينا رجل ونحن في البيت فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فزعا فقمت فى أثره فاذا بدحية الكلبى فقال هذا جبريل عليه السلام يأمرني ان
اذهب الى بنى قريظة والله أعلم (وأما كسوة الحجرة الشريفة) فقد ذكر ابن النجار ماقدمناه
فى تأزيز الحجرة الشريفة بالرخام وعمل الجوار الاصبهانى في الشباك المتخذ من خشب الصندل
المتقدم وصفه باعلا جدارها ثم قال ولم تزل الحجرة الشريفة على ذلك حتي عمل لها
الحسين بن أبى الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك المصريين ستارة من الديبقى الابيض
وعليها الطروز والجامات المرقومة بالابريسم الاصفر والاحمر ونيطها وادار عليها زنارا من
الحرير الاحمر والزنار مكتوب عليه سورة (يس) باسرها وقيل انه غرم على هذه الستارة
مبلغا عظيما من المال وأراد تعليقها على الحجرة فمنعه قاسم بن مهنى أمير المدينة وقال حتي
تستأذن الامام المستضئ بامر الله فبعث الى العراق يستأذن في تعليقها فجاءه الاذن فى ذلك
فعلقها نحو العامين ثم جاءت من الخليفة ستارة من الابريسم البنفسجي عليها الطرز
والجامات البيض المرقومة وعلى دوران جاماتها مكتوب بالرقم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى
وعلى طرازها اسم الامام المستضئ بامر الله فشيلت تلك ونفذت الى مشهد على بن أبي طالب
بالكوفة وعلقت هذه عوضها فلما ولى الامام الناصر لدين الله نفذ ستارة اخرى من
الابريسم الاسود وطرزها وجاماتها من الابريسم الابيض فعلقت فوق تلك فلما حجت الجهة
ام الخليفة وعادت الى العراق عملت ستارة من الابريسم الاسود أيضا على شكل المذكورة
ونفذتها فعلقت على هذه ففى يومنا هذا على الحجرة ثلاث ستائر بعضهن على بعض
انتهى. وهو يقتضي ان ابن أبى الهيجاء أول من كسى الحجرة فى خلافة المستضئ بامر الله
وكانت خلافته في سنة ست وستين وخمسمائة ومات سنة خمس وسبعين وخمسمائة (وفى)
كلام رزين مايقتضى مخالفته فانه قال فى ضمن كلام نقله عن محمد بن اسماعيل مالفظه
فلما كانت ولاية هرون أمير المؤمنين وقدمت معه الخيزران أمرت بتخليق مسجد
رسول الله صلي الله عليه وسلم وتخليق القبر وكسته الزنانير وشبائك الحرير انتهى (وقد)

رأيت فى العتبية مايصلح ان يكون مستندا في أصل الكسوة فانه قال في أوائلها قيل لمالك قلت انه ينبغي ان ينظر في قبر النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكسون سقفه فقيل يجعل عليه خيش فقال وما يعجبنى الخيش وانه ينبغى ان ينظر فيه انتهى . (قال) ابن رشد في بيانه كره مالك كشف سقف قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من صونه ان يكون مغطى ولم ير ان يكتفى من ذلك بالخيش وكأنه ذهب الى ان يغطى بتغطية البيوت المسكونة (ولقد) أخبرني من أثق به انه لاسقف له اليوم تحت سقف المسجد انتهى.(وقد) يضم الى ذلك انه انما جاز كسوة الكعبة لما فيه من التعظيم ونحن مأمورون بتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قبره من تعظيمه وهذا أولى بالجواز مما سيأتي عن السبكي في مسألة القناديل من الذهب حيث سلك بها هذا المسلك وليس فى كلام ابن زبالة ويحيي تعرض لأمر كسوة الحجرة ولعله لأنها انما حدثت بعدهما مع ان ابن زبالة ذكر ماقدمناه في كسوة المنبر الشريف وجعل الستور على الابواب ونقل أن كسوة الكعبة كان يؤتى بها المدينة قبل أن تصل الى مكة فتنشر فى مؤخر المسجد ثم يخرج بها الى مكة ولم يذكر للحجرة كسوة (ثم) ذكر تخليق الحجرة والمسجد فقال وقدمت الخيزران أم موسي أمير المؤمنين المدينة في سنة سبعين ومائة فأمرت بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فخلق وولى ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها فقام اليها ابراهيم بن الفضل ابن عبيدالله بن سليمان مولى هشام بن اسماعيل فقال هل لكم أن تسبقوا من بعدكم وان تفعلوا مالم يفعل من كان قبلكم قالت له مؤنسة وماذلك قال تخلقون القبر كله ففعلوا وانما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل وأشار عليهم فزادوا في خلوق اسطوان التوبة والاسطوان التي هى علم عند مصلى النبي صلى الله عليه وسلم فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما وزادوا فى الخلوق في أعلاهما انتهى. ولو كان لكسوة الحجرة وجود في زمانه لتعرض له (واعلم) ان فى عشر الستين وسبعمائة في دولة السلطان الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاون اشترى قرية من بيت مال المسلمين بمصر ووقفها على كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة المقدسة والمنبر الشريف فى كل خمس سنين مرة هكذا ذكره التقى الفاسى (في شفاء الغرام) و(ذكره) الزين المراغي الا انه قال فى الوقف على كسوة الحجرة فى كل ست سنين مرة تعمل من الديباج الاسود مرقوم

بالحرير الابيض ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائر عليها الا كسوة المنبر فانها بتقصيص أبيض (قلت) وما ذكراه من المدة المذكورة بالنسبة الى الحجرة كأنه كان معمولا به في زمانهما وأما في زماننا فيمضى عشر سنين ونحوها ولا تعمل نعم كلما ولى ملك بمصر فانه يعتنى بارسال كسوة (وذكر) الحافظ بن حجر فى الكلام على كسوة الكعبة ان الصالح هذا اشترى حصة من بلد يقال لها سنديس اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال ووقفها على هذه الجهة ولم يتعرض لكسوة الحجرة فلعل الثلث الثالث الذى لم يذكره يتعلق بكسوة الحجرة لما قدمناه ويحتمل أن مايرد من الكسوة من جهة الملوك لامن وقف وعادتهم اذا وردت كسوة جديدة قسم شيخ الخدام الكسوة العتيقة على الخدام ومن يراه من غيرهم ويحمل الى السلطان بمصر منها جانبا وحكم بيع كسوة الحجرة كحكم بيع كسوة الكعبة (وقد) اختلف العلماء فى ذلك قديما وفي المسئلة عندنا وجهان (وقال) الحافظ صلاح الدين خليل العلائى انه لايتردد في جواز ذلك الآن لان وقف الامام للضيعة المتقدمة على الكسوة كان بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها انتهى والله أعلم

۞﴿ الفصل الخامس والعشرون ﴾۞ فى قناديل الذهب والفضة التى تعلق حول الحجرة الشريفة وغيرها من معاليقها ۞

(اعلم) انى لم أر في كلام أحد ذكر ابتداء حدوث ذلك الا أن ابن النجار قال مالفظه وفى سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة علي رأس الزوار اذا وقفوا معلق نيف وأربعون قنديلا كبارا وصغارا من الفضة المنقوشة والساذجة وفيها اثنان بللور وواحد ذهب وفيها قمر من فضة مغموس في الذهب وهذه تنفذ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والاموال انتهى (قلت) واستمر عمل الملوك وأرباب الحشمة الى زماننا هذا على الاهداء الى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة (ورأيت) بخط شيخنا العلامة ناصر الدين العثمانى أشياء نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبدالرحمن بن صالح يتضمن ما كان يرد في كل سنة من ذلك فذكر في سنة خمسة عشر قنديلا وفى أخرى ثلاثة عشر وفى أخري عشرة وفى أخرى احدى وعشرين (قلت) وفي زماننا هذا يرد في غالب السنين مايزيد على العشرين ولاضابط لذلك فانه يرد من نذور من ناس مختلفين وكأن هذه

القناديل كانت اذا كثرت رفعوا بعضها ووضعوه بالحاصل الذى في وسط المسجد فاجتمع فيه شئ كثير فاتفق على ماذكره الحافظ بن حجر فى سنة احدى عشرة وثمانمائة ان فوض السلطان الناصر فرج لحسن بن عجلان سلطنة الحجاز فاتفق موت ثابت ابن نعير وقرر حسن مكانه أخاه عجلان بن نعير المنصورى فثار عليهم جماز بن هبة بن جماز الجمازى الذى كان أمير المدينة وأرسل الى الخدام بالمدينة يستدعيهم فامتنعوا من الحضور اليه فدخل المسجد الشريف وأخذ ستارتى باب الحجرة وطلب من الخدام تسعة آلاف درهم على أن لايتعرض لحاصل الحرم فامتنعوا فضرب شيخهم وكسر قفل الحاصل هكذا رأيته في (أنباء الغمر) للحافظ بن حجر (والذى) رأيته في محضر عليه خطوط غالب أعيان المدينة الشريفة ماحاصله أن جماز بن هبة المذكور كان أمير المدينة فبرزت المراسيم الشريفة بتولية ثابت بن نعير أمرة المدينة وان يكون النظر فى جميع الحجاز لحسن بن عجلان ولم يصل الخبر بذلك الابعد وفاة ثابت بن نعير فاظهر جماز بن هبة الخلاف والعصيان وجمع جموعا من المفسدين وأباح نهب بعض بيوت المدينة ثم حضر مع جماعة الى المسجد الشريف وأهان من حضر معه من القضاة والمشايخ وشيخ الخدام باليد واللسان وشهر سيفه عليهم وكسر باب القبة حاصل الحرم الشريف وأخذ جميع مافيها من قناديل الذهب والفضة التى تحمل على تعاقب السنين من سائر الآفاق تقربا الى الله ورسوله وأشياء نفيسة وختمات شريفة وزيت المصابيح وشموع التراويح وأكفان ودراهم يوارى بها الطرحاء وقطع مكاتيب الاوقاف وغسلها وقصد الحجرة الشريفة وأحضر السلم لانزال كسوة الضريح الشريف والقناديل المعلقة حوله فلم يقدر له ذلك ومنعه الله منه وأخذ ستر أبواب الحجرة الشريفة من خزانة الخدام وتعطل في ذلك اليوم وليلته والذى يليها المسجد الشريف من الأذان والاقامة والجماعة وأخذ جماعته وأقاربه في نهب بيوت الناس ومصادرتهم وأخذ جمال السوانى وارتحل هاربا عقب ذلك ولما اتصل بحسن بن عجلان مافوض اليه من أمر الحجاز استدعى بعجلان بن نعير وأقامه فى امرة المدينة وعرفه مابرزت به المراسيم أولا فى ولاية أخيه انتهى .(وذكر) الحافظ بن حجر أنه أخذ من الحاصل المذكور احدى عشر خوشخانا وصندوقين كبيرين وصندوقا صغيرا بمافي ذلك من المال وخمسة آلاف شقة من البطاين وصادر بعض الخدام ونزح عنها فدخل

عجلان بن نعير ومعه آل منصور فنودي بالامان ثم قدم عقبه أحمد بن حسن بن عجلان ومعه عسكر يعنى من مكة (قلت) ورأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين المراغى قائمة ذكر انه نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبدالرحمن بن صالح صورتها الذي كان في القبة واخذه جماز بن هبة .هو من القناديل الفضة ثلاثة وعشرون قنطارا وثلث قنطار غير الذى في الرفوف والصندوقين الذهب ثم ذكر تفصيل ذلك في ثمان عشرة وزنة ثم كتب ماصورته خوشخانة مختومة لم تفتح والظاهر انها ذهب وزنة القناديل التي فى الرفوف أربع قناطير الاثلث وتسع قناديل ذهب بالعدد في صندوق وصندوق صغير مقفول انتهي (وبلغنا) انه دفن غالب ذلك ثم أخذه الله أخذا وبيلا فقتل هو ومن اطلع معه على دفن ذلك فلم يعلم مكانه الى اليوم (وقد) ذكر الحافظ بن حجر قتله فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فقال وفيها قتل جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى أمير المدينة وقد كان أخذ حاصل المدينة ونزح عنها فلم يمهل وقتل فى حرب جرت بينه وبين أعدائه انتهى (قلت) انما بيتته بعض عرب مطير فاغتاله وهو نائم (ورأيت) فى القائمة المتقدم ذكرها التى نقلها شيخنا المتقدم ذكره ماصورته . وزن مافى الحجرة من قناديل الذهب تسع قناطير وورد بعد ذلك من أم السلطان قنديل زنته ألف مثقال وورد من أخت السلطان قنديل زنته ألف وخمسمائة وأربع قناديل كبار في الواحد منهم أربعة صغار وفى الثانى اثنان صغار وفي الثالث عدة قناديل معفوسة وفي الرابع قنديل زنة الجميع ثلاثة آلاف وسبعمائة وعشرون مثقالا وعلى يد الطواشى صندل قنديلين صغار ومعلق بعد ذلك عدة قناديل لم تكتب انتهي . والظاهر انه سقط بعد قوله من قناديل الذهب لفظ والفضة وفي هذه القائمة أيضا أن بالقبة يعنى بعد قصة جماز المتقدمة من قناديل الفضة مائة رطل وسبعة عشر رطلا وضعها بيسق بيده انتهى (ثم) ان الامير غرير بن هيازع بن هبة الحسينى الجمازى أخذ جانبا من الحاصل المذكور فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة زاعما انه على سبيل القرض وامتحن بعض قضاة المدينة لسبب ذلك ثم حمل غرير المذكور الى القاهرة محتفظا به ومات بها مسجونا ولم تزل هذه القناديل في زيادة (حتى) عدا عليها فى ليلة السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ستين وثمانمائة برغوث بن بتير بن جريس الحسينى فدخل الدار المعروفة بدار الشباك بجانب باب الرحمة ليلا ولم يكن بها ساكن وتسور

جدار المسجد ودخل بين سقفي المسجد الشريف من شباك هناك ومشى حتى بلغ ما يحاذي
سقف الحجرة الشريفة فأخذ من تلك القناديل شيأ كثيرا وكأنه تردد لذلك لمرة بعد
الأخرى ولم يشعر أهل المسجد ونظاره بشيء من ذلك غير ان أمة لبعض جيران الدار
المذكورة رأت من سطح دارهم شخصين في أعلى دار الشباك يتعاطيان شيئا له حجم
كبير وصوت صليل فلما أصبحت أخبرت بواب المسجد فلم يعبأ بذلك لخلو تلك الدار
وبعد ذلك الامر عن الافكار ولكن الله أراد هتك المذكور وحلول النقمة به فانهى
بعض الناس الى أمير المدينة ان المذكور معه شيء كثير من المال غير معهود فامسكه
الامير وضيق عليه بالسجن فانخلس ليلا ثم شاع بالمدينة بيع شبابيك من الفضة
والذهب فكثر القال والقيل ثم فى شهر ربيع الاول من سنة احدى وستين استفاض
ان برغوثا بالينبع ومعه قطع من ذهب القناديل فافتقد النظار الحجرة الشريفة فرأوا
أكثر القناديل مأخوذا فعلموا الحال لكن لم يعلموا الكيفية واتهمت ابنة السراج النفطي
بمالأة برغوث على ذلك وانه انما تسور من بيت أبيها لكونه متصلا بالمسجد فى قبلته
وأظهر الله براءتها بعد ذلك وكان بالمدينة اذ ذاك زين الدين استدار الصحبة فعقد
مجلسا لذلك واجتمع أعيان أهل المدينة وكتبوا الى أمير الينبع بالقبض على برغوث
وارساله فقبض عليه فاعترف انه فعل ذلك هو ودبوس بن سعد الحسيني الطفيلي وجعل
ان دخوله من بيت المرأة المتقدم ذكرها وان بعض الخدام واطئه على ذلك ثم أظهر
الله الحق وان دخوله انما كان من دار الشباك وان شريكه المعين له على ذلك دبوس
المذكور ولم ير أمير ينبع ارساله الى المدينة بل تركه عنده منتظرا الاوامر السلطانية
ثم ان أمير المدينة أمسك دبوسا وبعض أقاربه فانكر هو واقر عليه بعض جماعته
وأحضروا جانبا من الذهب والفضة ثم هرب برغوث من الحبس بالينبع ثم ساقه الله
الى المدينة فلما وصل دل عليه أميرها فامسكه وحبسه مع دبوس وذويه فهربوا ثم أظفر
الله بهم ولم يغب منهم الا دبوس وبرزت المراسيم بقتل من تجرأ على هذه العظيمة فقتل
أمير المدينة برغوثا وآخر معه من أقاربه يسمي ركابا وصلبهما ثم ظفر بدبوس وقتله أيضا
(وأخبرت) عن برغوث انه قال كنت كلما توجهت فى حال هربي لغير جهة المدينة كأنى
أجد من يصدنى عن ذلك واذا قصدت جهة المدينة تيسرت لى وكأن شخصا يقودنى

اليها حتى دخلتها (وأما) عدة القناديل الموجودة في زماننا هذا بالحجرة الشريفة فقد ضبطت
في أول سنة احدى وثمانين وثمانمائة بأمر السلطان الأشرف لشيخ الحرم الامير اينال والقضاى
الزكوى فكان عدة معاليق الذهب ثمانية عشر قنديلا وبعض قنديل وأربع مشنات ومغرافان
وسواران وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة وستمائة وخمسة وثلاثون من ذلك قنديل كبير في جهة
الوجه الشريف زنته أربعة آلاف وستمائة قفلة أهداه سلطان الكارجه شهاب الدين أحمد
وعدة معاليق الفضة ثلاثمائة قنديل وأربعة وأربعون قنديلا وثرية كبيرة زنة ذلك ستة وأربعون
الف قفلة وأربعمائة وخمسة وثلاثون قفلة وكانت ضبطت قبل ذلك فى سنة اثنين وستين وثمانمائة
على يد الامير بردبك التاجي فتحرر من النظر بين المقدارين ان الزائد على ما ضبط في التاريخ
المتقدم من الذهب الف قفلة ومائة وخمسة وخمسون ومن الفضة ثلاثة عشر الف قفلة وسبعمائة
وخمسة وثمانون قفلة فذلك القدر هو الوارد من عام ثلاث وستين الى آخر عام تسع وسبعين
وهناك من المعاليق أيضا غير ما تقدم قنديل من بلور بتابوت من فضة وقناديل نحاس أربعة
وفولاذ واحد مكفت بالذهب مشبك مكتوب عليه أن الناصر محمد بن قلاوون علقه من
يده الى عام حجه ثم ورد فى سنة ثمانين في مشيخة الشيخ اينال ولم يدخل في الجملة المتقدمة
قنديلان من الذهب زنتهما مائة وخمسة وعشرون قفلة ومن الفضة اثنان وثلاثون قنديلا
زنتها الف ومائتان وخمسة وسبعون قفلة وفي سنة احدى وثمانين قنديل ذهب زنته مائة
واثنان وأربعون قفلة وأربعة وعشرون قنديلا من الفضة زنتها تسعمائة وخمسون قفلة وفي
سنة اثنين وثمانين من الفضة أحد وثلاثون قنديلا زنتها الف وخمسمائة وخمسون قفلة
ولم يرد شيء من الذهب وفى سنة ثلاث وثمانين من الذهب قنديل واحد زنته عشرون
قفلة ومن الفضة خمسة وعشرون قنديلا زنتها ألف ومائة وخمسة وثلاثون قفلة وفى سنة
أربع وثمانين من الفضة تسعة عشر قنديلا زنتها سبعمائة وخمسة وأربعون قفلة ولم يرد
شيء من الذهب فجملة ما ورد في ولاية الامير اينال في المدة المذكورة من الذهب أربعة
قناديل جملة زنتها مائتان وسبعة وثمانون قفلة ومن الفضة مائة قنديل وتسعة وعشرون
قنديلا جملة زنتها خمسة آلاف وستمائة وخمسون قفلة ولما شرعوا فى عمارة الحجرة
الشريفة الآتى ذكرها في سنة احدى وثمانين وثمانمائة رفعوا جميع المعاليق التى كانت
حولها ووضعت بالقبة التي بصحن المسجد بأمر متولى العمارة الجناب الشمسي ولم يزل

بها الى تاريخه ولم يكن اليوم حول الحجرة الشريفة من المعاليق الا ماتجدد فى آخر سنة احدى وثمانين الى آخر سنة أربع وثمانين ثم حسن متولى العمارة للسلطان صرف ذلك فى مصالح المسجد والمدينة الشريفة فحمل بعضه من الحاصل المذكور الى مصر قبيل الحريق الثاني ثم وجدوا ماسقط لسبب الحريق من القناديل التى كانت معلقة بحالها ثم صرف متولى العمارة بعض ذلك فى تذهيب السقف المعادة بعد الحريق ثم وضع بهذه القبة ماتجمد من مصاريف حب السماط المجدد فاجتمع بها نحو ثلاثة عشر الف دينار فاتفق ان أمير المدينة حسن بن زبيرى المنصورى حضر بجماعة مع الاستعداد بالاسلحة والسيوف المسلولة فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الاول عام أحد وتسعمائة وأمر خازندار الحرم الشريف باحضار مفاتيح الحاصل المذكور فامتنع من ذلك فضربه ضربا مبرحا ثم عمد الى باب الحاصل المذكور وأحضر فأساً وكسره وأخذ جميع ما فيه من النقد والقناديل والسبايك فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين و بغل وغراير تسع على ظهور الحمالين ثم ذهب الى حصنه وأحضر الصياغ وسبك تلك القناديل وذكر انه صنع ذلك رغبة عن امرة المدينة لان ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الاشرف اليه أمر الحجاز وان المشار اليه صار يأخذ حصته مما يحمل له من الاقطاع ومن الصدقات وعطل عليه أهل مصر بعض اقطاعه فحمله ذلك على ماسبق (وأما) حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق المتقدم ذكره والقائم الذى باعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها وقد تكلم السبكي في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التى حول الحجرة الشريفة وألف في ذلك كتابا سماه (تنزل السكينة على قناديل المدينة) فاورد حديث البخارى وغيره في كنز الكعبة وماتضمنه من اقرار النبى صلى الله عليه وسلم له بمحله ثم أبى بكر بعده ورجوع عمر رضى الله عنه لذلك لما ذكره به ابن شيبة (وقال) هما المرآن يقتدى بهما قال فهذا الحديث عمدة في مال الكعبة وهو مايهدى اليها أوماينذر لها ومايوجد فيها من الاموال (قال) ابن بطال أراد عمر انفاقه في منافع المسلمين ثم لما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعرض له أمسك وانما ترك ذلك والله أعلم لان ماجعل فى الكعبة وسبل لها يجرى مجرى الاوقاف فلايجوز تغييره عن وجهه وفى ذلك تعظيم للاسلام وترهيب للعدو (قلت) قد تعقب ذلك الحافظ بن حجر

باحتمال أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم انما تركه رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد ابراهيم ويؤيده ماوقع عندمسلم في بعض طرق حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه (لولا أن قومك حديثوا عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض) الحديث فهذا التعليل هو المعتمد (قلت) لكن قد يقال حيث تركه النبى صلى الله عليه وسلم لهذه العلة ثم تركه أبو بكر ثم عمر بعد الهم به ورجوعه عن ذلك ثم من بعده فهو اجماع على تركه فلا نتعرض له لمايترتب عليه من الشناعة والله أعلم (قال) السبكى ولايغلط فى أن ذلك يصرف الى فقراء الحرم فانما يكون ذلك اذا كان الاهداء الى الحرم أو الى مكة أما اذا كان للكعبة نفسها فلايصرف الااليها كأن تعرض لها عمارة فحينئذ ينظر فان كانت تلك الاموال قد أرصدت لذلك صرفت فيه والا فيختص بها الوجه الذى أرصد له فالمرصد للبخور مثلا لايصرف للسترة (قال) وأما القناديل التى فيها والصفائح التى عليها فلا يصرف منها شئ بل تبقي على حالها وقول عمر لقد هممت أن لاأدع فيها صفرا ولا بيضا محتمل للنوعين ولم ينقل الينا صفتها التى كانت ذلك الوقت ومن قال أول من ذهب البيت فى الاسلام الوليد لاينفى أن يكون البيت ذهب في الجاهلية وبقى الى عهد عمر (قلت) قد نقل التقى الفاسى عن خط الحافظ رشيد الدين بن المنذرى في اختصاره لتاريخ المستحى مالفظه (وفيها) أى سنة خمس وستين استتم ابن الزبير بناء الكعبة (ويقال) انه بناها بالرصاص المذوب المخلوط بالورس وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب ومفاتحها ذهبا انتهى . فان صح فهو أولى مايحتج به (ثم) نقل السبكي عن الرافعى انه قال لايجوز تحلية الكعبة بالذهب والفضة وتعليق قناديلها (ثم) نقل ان في تحلية الكعبة والمساجد بالذهب والفضة وتعليق قناديلها وجهين مرويين في الحاوى وغيره (أحدهما) الجواز تعظيما كما في المصحف وكما يجوز ستر الكعبة بالديباج وأظهرهما المنع اذ لم ينقل ذلك عن فعل السلف (ثم) استشكل كلام الرافعى فقال وأما التسوية بين الكعبة والمساجد فلا ينبغى لأن للكعبة من التعظيم ماليس للمساجد بدليل جواز سترها بالحرير اجماعا وفي ستر المساجد به خلاف فحكاية الخلاف فيهامشكل وترجيح المنع أشكل وكيف وقد فعل ذلك في صدر هذه الأمة وقد تولى عمر بن عبدالعزيز عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوليد وذهب سقفه بأمره من

غير مراجعة بل لما ولى الخلافة بعد ذلك أراد أن يزيل ما في جامع بنى أمية من الذهب فقيل له انه لا يتحصل منه شئ يقوم بأجرة حكه فتركه. والصفائح التى على الكعبة يتحصل منها شئ كثير فلو كان فعلها حراما لأزالها فى خلافته فلما تركها ومعه جميع من يحج كل عام وجب القطع بجوازها وهذا فى تحلية الكعبة بالصفائح ولا منع من جريان الخلاف في التمويه لازالة المالية ولا من اجراء الخلاف فى سائر المساجد تمويها وتحلية على ان القاضي الحسين جزم بحل تحلية المسجد بالقناديل من الذهب ونحوها وان حكمها حكم الحلى المباح وهذا أرجح مما قال الرافعي لانه ليس على تحريمهما دليل والحرام من الذهب انما هو استعمال المذكور له والاكل والشرب ونحوهما وليس في تحلية المسجد بالقناديل ونحوها شئ من ذلك لكن لا أقول انه ينتهي الى حد القربة في سائر المساجد وتعليل الرافعي لماقاله بأن ذلك لم ينقل عن فعل السلف عجيب اذ لا يقتضى ذلك التحريم ومن حرم اتخاذ الآنية وهو الاصح فانما حرمه لان النفس تدعو الى الاستعمال المحرم وذلك اذا كانت له وأما اذا جعلها للمسجد فلا تدعو النفس لذلك فكيف يحرم وهى لا تسمي أواني (قال) ورأيت الحنابلة قالوا بتحريمها للمسجد وجعلوها من الاوانى أو مقيسة عليها وليس بصحيح ومن يقول بجواز التحلية والقناديل في سائر المساجد فلاشك أنه يقول بها فى المساجد الثلاثة بطريق الأولى ومن منع فلم يصرح فى المساجد الثلاثة بشى لكن عموم كلامهم يشملها وينبغى ترتيب الخلاف ففى المساجد غير الثلاثة وجهان أصحهما الجواز ومسجد بيت المقدس أولى بالجواز والمسجدان مسجد مكة ومسجد المدينة أولى منه ثم المسجدان على الخلاف في تفضيلهما وقد يقال أن مسجد المدينة أولى لمجاورة النبى صلى الله عليه وسلم وقصد تعظيمه بمافى مسجده من ذلك هذا كله بحث والمنقول ماتقدم (وهذا) فى الاتخاذ من غير وقف فان وقف المتخذ من ذلك فقد قطع القاضى حسين والرافعى بأنه لا زكاة فيه وقد رجح الرافعى فيها التحريم فكيف يرجح ذلك اذ مقتضاه صحة وقفها فلعل مراد الرافعى اذا وقفت على قصد صحيح واذا فرعنا على صحة وقفها (قال) وهذا حكم المساجد فى ذلك (وأما) الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها أمر معتاد من زمان ولا شك انها أولى بذلك من غيرها والذين ذكروا الخلاف فى المساجد لم يذكروها وكم من عالم وصالح قد أتى للزيارة ولم يحصل من أحد انكار لذلك (فهذا)

وحده كاف فى جواز ذلك مع ماتقدم واستقراء الأدلة فلم يوجد فيها مايدل على المنع (قال) فنحن نقطع بالجواز والحجرة الشريفة هى بيت عائشة وما حوله وأشار الى بيان أن ماحوله اما منه أو من بقية الحجر المدخلة في المسجد (قال) والمدفن الشريف بالحجرة له شرف على جميع المساجد وعلى الكعبة فلا يلزم من المنع فى المساجد والكعبة المنع هنا (قال) ولم نر أحدا قال بالمنع هنا فما وقف من ذلك اكراما لذلك المكان صح وقفه وان اقتصر على اهدائه صح أيضا كالمهدى للكعبة وكذلك المنذور له وقد يزاد هنا فيقال انه مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم حى وانما يحكم بانقطاع ملكه بموته عما كان فى ملكه وجعله صدقة بعده (وأما) هذا النوع فلا يمتنع ملكه له وهو الذى في اذهان كثير من الناس حيث يقولون هذا للنبى صلى الله عليه وسلم (ثم) أورد ماروا يحيي بن الحسين بسنده من الخبر الآتى فى اجمار المسجد عن عبدالله بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده قال أتى عمر بن الخطاب بمجمرة من فضة فيها تماثيل فدفعها الى سعد أحد المؤذنين (وقال) أجمر بها في الجمعة وفى شهر رمضان فكان سعد يجمر بها بين يدى عمر بن الخطاب الخبر الآتى (ثم) قال عبدالله بن محمد بن عمار بن سعد القرظ ضعفه ابن معين وكذا الراوى عنه ومحمد بن عمار حسن له الترمذى فلو سلم ممن دونه كان جيدا ومقتضي اشتراط الفقهاء الاحتواء في المجمرة عدم تحريم هذا الصنيع لكن العرف دال على عد ذلك استعمالا فاما أن يكون الحديث ضعيفا واما أن يكون احتمل ذلك لاجل المسجد تعظيما له فتكون القناديل بطريق الاولى اذ لا استعمال فيها (قال) ولا يجوز صرف شئ من قناديل الحجرة في عمارتها ولا في عمارة المسجد لانها انما أعدت للبقاء وليس قصديها جهات الا ذلك سواء وقفها أو اقتصر على اهدائها (قال) وقد سئلت عن جواز بيعها لعمارة المسجد النبوى فأنكرته واستقبحته وكيف يبلغ ملوك الارض انا بعنا قناديل نبينا لعمارة حرمه ونحن نفديه بانفسنا فضلا عن أموالنا وما برحت الملوك يفتخرون بعمارته (قلت) وقد تعقبه جماعة والمحل قابل للمناقشة وليس ذلك من غرضنا غير انا نقول ستر الكعبة بالديباج قام عليه الاجماع (وأما) التحلية بما ذكر فلم يثبت عن من يحتج بفعله وترك عمر بن عبد العزيز يحتمل اعذارا ليس هذا محل بيانها (وقد) نقل الشيخ الموفق الاجماع على تحريم استعمال أوانى الذهب والقناديل من الاوانى بلا شك واستعمال

بحروفه وليس فيه قوله وقنديلا أو قنديلين من الذهب ولا قوله وحليت مسجده (ومنها) ماروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما دخل الشام تلقاه معاوية بعساكر وجنود كثيرة وخيول مسومة وأسلحة مخوصة بالذهب والفضة ولبوس الحرير والديباج وزينة حسنة كزينة فارس والروم فقال عمر ماهذا يامعاوية وما هذه الزينة والفخار لقد أتيت أمرا امرا وارتقيت مرتقا صعبا (فقال) ياأمير المؤمنين هذا غيظ كفارنا ومقهرة لاعدائنا وان فرائصهم لترتعد وان قوائمهم لتخور من ذلك وانا لنجد بذلك المظهر عليهم والذلة والصغار فيهم وأشربوا فى قلوبهم الرعب حين يرون مساجدنا محلاة بالذهب وسقوفها منقطة بقناديل الذهب الخبر وفيه ان عمر سكت عنه (قلت) الخبر ذكره المؤرخون ومثله لاتقوم الحجة به ولم أر فيه الزيادة المتعلقة بتحلية المساجد (وقد) رأيت فى بعض النسخ نسبة ذلك للذهبى في تاريخ الاسلام وأسقط العزو في نسخة اخري فليراجع ذلك من تاريخ الاسلام فان لم يكن فيه هـذه الزيادة فالذى يظهر لى ان بعض المتعصبين الحق هذه الاشياء فى الروايات المتقدمة ليتم بها الاستدلال فان المسئلة وقع فيها تعصبات وكأن الجمال الكازروني انما أراد افادة أصل وضع القناديل وذكر مايشعر بهذا الامر فلما رأى ذلك المتعصب ان الاستدلال لايتم الا بذلك الحقه ولم يشعر انه لوكان ذلك موجودا لم يكن فيه حجة لعدم اتصال السند الصحيح في ذلك ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله لم يخف عليه ان كل ذلك لم يكن يعجبه فى حياته هـذا الذى اعتقده والله أعلم

﴿الفصل السادس والعشرون﴾ فى الحريق الاول القديم المستولى على تلك الزخارف المحدثة بالحجرة الشريفة والمسجد وسقفهما وما أعيد من ذلك وما تجدد من توسعة المسقف القبلى بزيادة الرواقين فيه وغير ذلك

(قال) المؤرخون احترق المسجد النبوى ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وستمائة فى أول الليل ونقل أبوشامة ان ابتداء حرقه كان من زاويته الغربية من الشمال وسبب ذلك كما ذكره أكثرهم ان أبا بكر بن أوحد الفراش أحد القوام بالمسجد الشريف دخل لى حاصل المسجد هناك ومعه نار فغفل عنها الى أن علقت في بعض الآلات التى كانت في الحاصل وأعجزه طفيها ثم احترق الفراش المذكور والحاصل

كل شئ بحسبه فاستعمال ماذكر بتعليقه للزينة وقد سلم تحريم اتخاذ الابنية منها أيضا (وقد ذكر) الجمال الكازرونى المدني أشياء أيد بها كلام السبكى (منها) ان الله تعالى قال «فى بيوت اذن الله ان ترفع» قال وهى بيوت النبى صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد ومعنى ترفع تعظم ويرفع شأنها وتزين وتزيينها تعليق قناديل الذهب فيها وتطهر من الانجاس والاقذار وتطيب (قلت) قوله ومن تعظيمها تعليق ذلك فيها هو محل النزاع لان من حرم ذلك لايسلمه والله أعلم (ومنها) انه روى عن عثمان تعليق قناديل الذهب بالمسجد النبوى (قلت) ولعله من اختلاف أعدائه عليه ولم أره مسطورا فى تأليف ولو كان له أصل لذكره مؤرخوا المدينة (ومنها) ان عمر بن عبد العزيز فعله في بنيانه للوليد ولم ينكر عليه (قلت) ولم أره في تأليف أيضا (ومنها) انه روي ان سليمان بن داود عليه السلام بنى مسجد بيت المقدس وبالغ في زينته وتعليق القناديل فيه وشرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ناسخ (قلت) لم ينقل تعليق داود عليه السلام لقناديل الذهب به ولو صح ذلك فالناسخ في شرعنا تحريم الآنية وهذا آنية وما تقدم عن السبكى فى كونه ليس بآنية ممنوع (ومنها) مارواه الثعلبى في حديث (اتيان المساجد يوم القيامة) وفيه (وأئمتها يسوقونها وعمارها ومزينوها ومحلوها متعلقون بها) الحديث (قلت) أخذ ذلك من رواية القرطبي عن الثعلبى كما رأيته فى بعض النسخ وقد راجعت القرطبى أيضا فى ذلك فرأيته روى الحديث المذكور من طريق الثعلبي وليس فيه ومزينوها ومحلوها بل لفظه وعمارها متعلقون بها (ومنها) مارواه سعيد بن زربان بالموحدة المشددة (قال) حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن أبي هند قال حمل تميم يعنى الدارى من الشام الى المدينة قناديل وزيتا ومقطا وقنديلا أوقنديلين من الذهب (فلما) انتهى الى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة فامر غلاما يقال له أبو البراد فقام فبسط المقط وعلق القناديل وصب فيها الماء والزيت وجعل فيها الفتل فلما غربت الشمس أمر أبالبراد فأسرجها وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا هو بها تزهر فقال من فعل هـذا قالوا تميم الدارى يارسول الله فقال نورت الاسلام وحليت مسجده نور الله عليك في الدنيا والآخرة الحديث (قلت) قد أخذ ذلك من تفسير القرطبى كما رأيته فى بعض النسخ وفى بعضها اسقاط عزوه للقرطبى وقد راجعت تفسير القرطبى فرأيته أورد الحديث المذكور

وجميع مافيه (وقد) صنف القطب القسطلاني في ذلك وفي النار المتقدم ذكرها في الفصل الثالث من الباب الثاني وهي نار الحجاز التي ظهرت بالمدينة الشريفة في ذلك العام كتابا سماه (عروة التوثيق في النار والحريق) ذكر فيه بدائع من حكم الله تعالى في حدوث ذلك وقد كان القطب بمكة حين وقع ذلك وقد نبه فيه على مايوافق ماقدمناه عن المؤرخين (فقال) كتب الي الصادق في الخبر وشافهني من شاهد الاثر أن السبب في حريق المسجد الشريف دخول أحد قومة المسجد في المخزن الذي في الجانب الغربي من آخر باب المسجد لاستخراج قناديل لمنائر المسجد فاستخرج منها ما احتاج اليه ثم ترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل وفيه مشاق فاشتعل فيه وبادر لان يطفئه فغلبه وعلق بحصر و بسط وأقفاص وقصب كان في المخزن ثم تزايد الالتهاب وتضاعف الى أن علي الى سقف المسجد انتهى (وفي) العبر للذهبي ان حرقه كان من مسرجة القوام (قال) المؤرخون ثم دبت النار في السقف مسرعة آخذة قبله وأعجلت الناس عن اطفائها بعد ان نزل أمير المدينة فاجتمع معه غالب أهل المدينة فلم يقدروا على قطعها وما كان الا أقل من القليل حتي استولى الحريق على جميع سقف المسجد الشريف واحترق جميعه حتي لم تبق خشبة واحدة (قلت) لعل مرادهم لم تبق خشبة كاملة لما قدمناه من مشاهدة بقايا خشب كثير عند اخراج الهدم الذى كان بالحجرة (قال) القطب القسطلاني وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوى والابواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق وما اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها احدى عشر ستارة (ثم) ذكر القطب حكما لذلك وأسرارا لكون تلك الزخارف لم ترضه صلى الله عليه وسلم ولكون القلوب لما لاحظت المساجد الثلاثة بعين التعظيم ولا يجوز في ذلك أن تنزل فوق قدرها بل لابد ان يعتقد ان صفة قهره تعالى وعظمته مستولية على الجميع فهو الواحد القهار فوقع الحريق في الكعبة و بيت المقدس قديما ثم وقع بهذا المسجد في هذا الزمان عقب ظهور المعجزة العظيمة في ظهور نار الحجاز التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم وحماية جيرانه منها لما التجؤا اليه وانطفائها عند الوصول الى حرمه كما سبق وربما خطر ببال العوام ان حبس النار عنهم ببركة الجوار موجب بحبسها عنهم في الآخرة فاقتضى الحال التبيين بذلك (و نظم) الاقشهرى أبياتا مضمونها ان تسليط

النار كان على تلك الزخارف المنهى عنها وان ما كان حقا فيبقى وما كان زورا فبالنار يحرق (قال) وأنشدني الحافظ الصالح الشيخ ابراهيم بن محمد الكناني رئيس المؤذنين هو وأبوه (قال) وجد بعد الحريق في بعض جدران المسجد بيتان وهما

لم يحترق حرم النبي لريبة * يخشى عليه وما به من عار
لكنه أيدى الروافض لامست * تلك الرسوم فطهرت بالنار

(قلت) وأوردهما المجد بلفظ

لم يحترق حرم النبي لحادث * يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما أيدي الروافض لامست * ذاك الجناب فطهرته النار

وأورد بعدهما بيتين آخرين هما

قل للروافض بالمدينة مابكم * لقيادكم للذم كل سفيه
ماأصبح الحرم الشريف محرقا * الا لسبكم الصحابة فيه

(قلت) وهذا لان الاستيلاء علي المسجد والمدينه كان في ذلك الزمان للشيعة وكان القاضى والخطيب منهم حتى ذكر ابن فرحون ان أهل السنة لم يكن أحد منهم يتظاهر بقراءة كتب أهل السنة قال المؤرخون ولم يسلم سوى القبة التى أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثماني وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت يعني تلك الصناديق بعد الثلاثمائة وهي باقية الى اليوم يعنى في زمانهم وذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد و ببركة المصحف الشريف العثمانى (وكانت) عمارة القبة المذكورة على ماذكره ابن فرحون سنة ست وسبعين وخمسمائة قالوا وبقيت سوارى المسجد قائمة كأنها جذوع النخل اذا هبت الرياح تتمايل وذاب الرصاص من بعض الاساطين فسقطت ووقع السقف الذى كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا في الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة وعبارة الذهبي وتبعه التقى السبكي فوقع بعض سقف الحجرة وكل ذلك قبل أن ينام الناس واصبحوا يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة وكتب بذلك للخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان فوصلت الآلات صحبة الصناع مع ركب العراق في الموسم وابتدئ بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وستمائة (قال) المطري ولما شرعوا في العمارة

قصدوا ازالة ماوقع من السقوف على القبور الشريفة فلم يجسروا على ذلك واتفق رأى صاحب المدينة يومئذ وهو الامير منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنى الحسيني ورأى أكابر أهل الحرم الشريف من المجاورين والخدام أن يطالع الامام المستعصم بذلك ليفعل مايصل به أمره فارسلوا بذلك وانتظروا الجواب فلم يصل اليهم جواب لاشتغال الخليفة وأهل دولته بازعاج التتار لهم واستيلائهم على أعمال بغداد في تلك السنة فتركوا الردم على ماكان عليه ولم ينزل أحد هناك ولم يتعرضوا له ولا حركوه (وعبارة) المجد الشيرازى فتركوا الردم على ما كان عليه ولم يجسر أحد على التعرض لهذه العظيمة التي دون مرامها تزل الاقدام ولا يتأتى من كل أحد بادئ بدئه الدخول فيه والاقدام (قلت) وقد كنت في تعجب عظيم من أهل ذلك الزمان في تركهم لذلك والفت كتابا سميته الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى بينت فيه ان الواجب في سلوك الادب مع هذا النبي العظيم والقيام بما وجب على الامة من تعظيمه وتعظيم قبره الشريف هو ازالة ذلك عنه وقمه من حجرته الشريفة حتى اتفقت العمارة الآتى بيانها ولم يكن تأليفي السابق سببا في شئ من ذلك كما سيأتى بيانه حتى انى لم أطلع عليه متولى العمارة الا بعد هدمه لشئ من جدار الحجرة فلما نقبوا الجدار الظاهر شاهدت بين الجدارين فى الفضاء الذى خلف الحجرة أمرا مهولا من الهدم الذي خص ذلك الموضع فانه كما سيأتى كان فيه نحو القامة فعلمت ان أهل ذلك الزمان لم يتركوه الا لعلمهم بان ازالته لاتتأتى الا بانتهاك الحرمة فتوقفوا فى ذلك فجزاهم الله تعالى خيرا وما كنت أعتقد الا انه أمر خفيف يتأتى قمه مع رعاية الادب فوجدته أمرا مهولا معظمه ردم سقف المسجد الأعلى ومابين السقفين من البناء الذى على رؤس السوارى وغير ذلك ولذلك استخرت الله تعالى فى عدم حضور ذلك عند اخراجه ووقفت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وسألت منه المدد فى ان يوفقني الله تعالى لما يرضيه فى ذلك فحفظني الله من حضور ذلك (وقال) المطرى عقب قوله ولم يتعرضوا له ولاحركوه انهم أعادوا سقفا فوقه على رؤس السوارى التى حول الحجرة الشريفة فان الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز حول بيت النبى صلى الله عليه وسلم بين هذه السواري التي حول بيت النبي صلي الله عليه وسلم لم يبلغ به السقف (قلت) تبع المطرى علي ذلك من جاء بعده فتوافقوا علي انهم لم يجعلوا للحجرة بعد الحريق سقفا

لان السقف الذى على رؤس السوارى هو سقف المسجد فاقتضى ذلك انهم جعلوا سقف المسجد سقف الحجرة وذكروا انهم أداروا الشباك على رأس جدار عمر بن عبد العزيز حتى بلغوا به سقف المسجد وأول شئ ابتدأوا به من سقف المسجد ماحاذى الحجرة الشريفة منه وفيه مخالفة لما شاهدناه في العمارة الآتى بيانها فانهم وجدوا عليها سقفا مربعا على جدارها الداخل ويتصل بالخارج من المشرق والمغرب وهو دون رأس الجدار الخارج بنحو شبر ثم تبين عند كشفه آثار السقف المنهدم وان أخشابه كانت في الجدار الداخل ولم يعيدوا هذا السقف المجدد موضع الاول لانه لايتأتى الا بهدم سترته واصلاح أماكن لرؤس الخشب فتركوا ذلك تأدبا واحتراما ووضعوا ذلك السقف على أعلى سترة الجدار وبنوا فوقه سترة لطيفة وجعلوا على ذلك السقف ستارة من المحابس اليمنية المبطنة بقماش أزرق مربوطة بمقط فى الشباك الذى بأعلى الحائز الظاهر وليس ذلك السقف مطينا وهو سقف محكم من ألواح ثخينة جدا من الساج الهندى وسمروا بعضها الى بعض على قوائم من خشب وجعلوه أربع قطع كل قطعة كالباب العظيم وجعلوا عند ملتقى كل قطعتين من تلك القطع مقصاة من حديد وكلبوا بعضها الى بعض تكليبا محكما وجعلوا تحته ثلاث جزم من الساج الهندى تحمله وأوصلوا أطراف تلك الالواح بالجدار الظاهر كما تقدم ولم يجعلوا في تلك الالواح دهانا ولانقوشا ولا كتابة غير ان النجار الذى صنع السقف المذكور كتب اسمه علي طرفه نقرا وكذلك سقف المسجد المحاذي للحجرة الشريفة مما يلي هذا السقف جميعه من الساج النقى ليس عليه دهان ولا نقوش وفي وسطه طابق عليه قفل فوقه انطاع ومشمع ولم يزل موجودا الى أن عملت القبة الثانية بعد الحريق الثانى وجعلوا على جدار الحجرة الداخل من جهة الشام ألواحا من رأس الجدار الى سقف المسجد (والعجب) انهم عند رفع هذا السقف وجدوا جزمتين من الاخشاب التى تحته قد تأكلتا ولم يبق الا جزمة واحدة ومع ذلك كانت كافية في حمله فجزا الله تعالى أهل ذلك الزمان خيرا والظاهر أن ذلك فعل عند اعادة سقف المسجد الذي ذكره المطرى و (لنرجع) الى ماذكره عقب ماتقدم عنه (قال) وسقفوا فى هذه السنة وهى سنة خمس وخمسين الحجرة الشريفة وما حولها الى الحائط القبلى والى الحائط الشرقى الى باب جبريل عليه السلام المعروف قديما بباب عثمان ومن جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها الي المنبر الشريف (ثم) دخلت

سنة ست وخمسين وستمائة فكان في المحرم منها واقعة بغداد واستيلاء التتار عليها وقتلهم الخليفة المذكور مع أهلها (قلت) وهى من أعظم الوقائع وقد ذكرتها فى كتابى الوفاء وأشرت اليها في الفصل الثالث من الباب الثانى عند ذكر نار الحجاز وذكرت ما أفاده الذهبى من استيلاء الحريق على بغداد أيضا حتي تربة الخلفاء وكانوا فى العام قبله قد أشرفوا على الغرق فسبحان الملك العظيم (قال) المطرى عقب ماتقدم فوصلت الآلات من مصر وكان المتولى عليها حينئذ الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين ايبك الصالحي ووصل أيضا آلات وأخشاب من صاحب اليمن يومئذ وهو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور عمر بن على بن رسول فعملوا الى باب السلام المعروف قديما بباب مروان ثم عزل صاحب مصر المذكور يعني في آخر سنة سبع وخمسين فى ذى القعدة منها وتولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى واسمه الحقيق محمود بن ممدود وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه وأبوه بن عمه أسر عند غلبة التتار فبيع بدمشق ثم انتقل بالبيع الى مصر وتملك في سنة ثمان وخمسين (قلت) انما ولى في يوم السبت ثامن عشر ذى القعدة من سنة سبع وفي شهر رمضان من سنة ثمان كانت وقعت عين جالوت التى أعز الله فيها الاسلام وأهله على يديه ولم يستكمل في ملكه السنة بكمالها بل قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل الى مصر فكان العمل بالمسجد الشريف تلك السنة من باب السلام الى باب الرحمة المعروف قديما بباب عاتكة ومن باب جبريل الى باب النساء المعروف قديما بباب ريطة ابنة أبى العباس السفاح وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ويعرف بالبندقدارى فعمل في أيامه باقي سقف المسجد الشريف من باب الرحمة الى شمالى المسجد ثم الي باب النساء وكمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفا فوق سقف (قلت) وذكر المؤرخون أن الظاهر ركن الدين المذكور لما ولى حصل منه الاهتمام بذلك فجهز الاخشاب والحديد والرصاص ومن الصناع ثلاثة وخمسين صانعا ومايمونهم وأنفق عليهم قبل سفرهم وأرسل معهم الامير جمال الدين محسن الصالحى وغيره ثم صار يمدهم بما يحتاجون اليه من الآلات والنفقات ثم لم يزل المسجد على ذلك حتى جددوا السقف الشرقى والسقف الغربى أى الذي عن يمين صحن المسجد وشماله فى سنتي خمس وست وسبعمائة فى أوائل دولة

السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى فجعلا سقفا واحدا نسبة السقف الشمالى أى سقف الدكاك فانه جعل فى عمارة الملك الظاهر كذلك (ثم) في سنة تسع وعشرين وسبعمائة أمر السلطان الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين في المسقف القبلى متصلين بمؤخره فاتسع مسقفه بهما وعم نفعهما (قلت) ثم حصل فيها خلل فجددهما الملك الاشرف برسباى فى ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وثمانمائة على يد مقبل القديدى من مال جوالى قبرص على ماأخبرنى به بعض مشايخ الحرم ورأيته مكتوبا كذلك باللوح التى كانت بظاهر العقود من المسقف القبلى مما يلى رحبة المسجد وهو سقف واحد في موازاة سقف المسجد الاسفل ولذلك صار سقف مقدم المسجد القديم مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين وغيرهما من بقية المسجد وله باب يدخل اليه من بين السقفين شارع فى مبدء الرواقين المذكورين مما يلى المشرق وجدد الاشرف المذكور أيضا شيأ من السقف الشامى ممايلى المنارة السنجارية (ثم) حصل خلل فى سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد فى دولة الظاهر جقمق فجدد ذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة وماقبلها على يد الامير بردبك الناصر المعمار وغيره (ثم) في دولة مولانا السلطان الملك الاشرف قايتباى أدام الله تعالى تأييده ونصره أنهى اليه احتياج سقوف المسجد الشريف للعمارة فبرز أمره الشريف بذلك كما ستأتى الاشارة اليه للجناب الخواجكي الشمسي شمس الدين بن الزمن أعزه الله بعز طاعته فحضر لذلك في اثناء سنة تسع وسبعين صحبة أمير جدة ورتب أمر العمارة وسافر صحبته أيضا فهدموا عقود المسجد التى تلى رحبته من جهة المشرق وسقف الرواق الذى كان عليها لاقتضاء نظرهم ذلك ونقضوا بعض أساطينه فوجد بعضها لارصاص فيه وبعضها فيه رصاص ثم أعادوا ذلك فى سنتهم (وهدموا) أيضا جانبا من سوار المسجد الشريف ممايلى المشرق من جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية من باب سلمها وهو الباب الثاني جوف بابها الظاهر الي مايوازى حرف الدكاك من القبلة وذلك آخر المسقف الشامي ومقدار ذلك سبعة وعشرون ذراعا بذراع اليد المتقدم وصفه هدموا ذلك من أعلاه الى أسفله وبلغوا به دك الأس القديم وظهر في أصل جدار المنارة المذكورة انشقاق وكانت تضطرب عند الهدم بحيث خشي سقوطها فسكبوا فى ذلك الشق كثيرا من الجص المذاب حتي امتلأ وكان ماهدموه من

سور المسجد وعقوده مبنيا بالجص السكب فذكر مهندس العمارة أن الجدار انما اختل لان السباخ له تأثير فى اذابة الجص واقتضى رأيه أن يؤسسه بالطين والنورة المخلوطة بناعم الحصباء ففعلوا ذلك في الجدار المذكور كله وفى العقود المذكورة أيضا وكحلوا أطراف وجوه الاحجار بالجص من داخل المسجد وخارجه ورفعوا السقف الكائن امام المنارة المذكورة الى جنب ماهدموه من الجدار المذكور وأعادوا ذلك من سنتهم أيضا (ثم) اتفقت أمور اقتضت تأخير العمارة فتعطلت فى سنة ثمانين (ثم) ورد الخواجا الشمسى ابن الزمن الى المدينة الشريفة صحبة أمير جدة فى جمادى الأولى سنة احدى وثمانين وأقام لمباشرة العمارة بنفسه (فرفعوا) سقف الروضة الأعلى وما اتصل به مما حول القبة لزرقاء الآتى ذكر عملها بأعلى الحجرة الشريفة في سقف المسجد الأعلى ورفعوا أيضا شيأ مما يلى ذلك من جهة مايوازى غربى المنبر الشريف لتكسر كثير من أخشابه وكان ذلك السقف مع بقية سقف مقدم المسجد على عبّارات من خشب موضوعة على ابنية فوق رؤس السوارى بعرض تلك السوارى كما ان السقف الاسفل المشاهد مما يلى المسجد موضوع على عبارات كذلك فوق رؤس السوارى فاقتضى رأى متولى العمارة ابدال تلك الاخشاب بعقود من آجر كهيئة القناطر التى حول رحبة المسجد ورأى ان ذلك أبقى وأحكم من الاخشاب مع ان عبارات السقف الاسفل كما قدمناه على رؤس السوارى باصل تلك العقود ولكنه رأى الاحكام فى ذلك ففعله فى القطعة التى رفعها من السقف المذكور فقط ووضع أخشاب ذلك السقف على تلك القناطر فارتفع بسببه ذلك المكان من السقف الاعلى على بقية ماحوله منه وصار الماشى بين السقفين في تلك الجهة يمشي منتصبا أو منحنيا قليلا وكان لا يتأتي قبل ذلك المشي هناك الا مع انحناء كثير وتلك القناطر موضوعة على مايحاذي صف الاساطين التى هى قبلة الروضة والمصلى الشريف من أولها من جهة المشرق الى الاسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب وعلى مايحاذى الصف الثانى وهو صف اسطوان عائشة رضى الله عنها في موازاة الصف المتقدم ذكره من المشرق الى المغرب وعلى مايوازي الصف الثالث وهو صف اسطوان المحرس من المشرق الى المغرب أيضا وأما مايوازى صف اسطوان الوفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز لما بين السقف الاسفل والأعلى فيه باب يدخل منه الى مابين السقفين

فهدموا ذلك الحائط وأحكموا بناءه وجعلوا أطراف الخشب عليه أيضا فهذه الثلاثة الاروقة هى التى ارتفع سقفها الاعلى على ماحوله من الاساطين اللاصقة بالمقصورة الى الاساطين التى تلى المنبر وصار سقف الرواقين اللذين بين الروضة والجدار القبلى مع سقف مايحاذى الحجرة الشريفة الى الجدار الشرقى وسقف ما كان غربى المنبر من مقدم المسجد كله منخفض عن ذلك (ووجدوا) أخشابا كثيرة متفرقة نحو الاربعين من السقف الأعلى أيضا قد تكسرت فزرقوا بدلها ووضعوا الى جوانب بعضها أخشابا مزرقه وسمروها من غير كشف للسقف وقلعوا السقف الاسفل الذى بالرواق الشرقى مما يلى الارجل الشريفة وجانبا من سقف رواق باب جبريل الى باب النساء وسقف الرواق الاوسط الذى يلي الرواق الذى سبقت عمارتهم اياه في العام الماضي وأعادوا ذلك وقلعوا السقف الاسفل المحاذى لموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف وكان من أقدم السقف ومع ذلك تعبوا فى قلعه أكثر من غيره لاتقانه واحكامه فانه من عمل الاقدمين وأظنهم وجدوا اسم الظاهر بيبرس عليه ثم أعادوه وأصلحوا شيئا فى المسقف الشامي وغيره وجددوا أيضا دهان بعض السقف التي حول الحجرة داخل المقصورة التى تعرف اليوم بالحجرة من غير قلع لتلك السقف (ثم) احترق ذلك كله فى جملة حريق المسجد الثانى الآتى ذكره في الفصل التاسع والعشرين وجعلوا سقف المسجد عند اعادته سقفا واحدا جميعه كما سيأتى

﴿ الفصل السابع والعشرون ﴾ فى اتخاذ القبة الزرقاء التى جعلت على مايحاذى سقف الحجرة الشريفة بأعلى سقف المسجد تمييزا لها وابدالها بالقبة الخضراء والمقصورة الدائرة بالحجر الشريفة *

(أما) القبة المذكورة فاعلم انه لم يكن قبل حريق المسجد الشريف الاول وما بعده على الحجرة الشريفة قبة بل كان حول مايوازى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فى سطح المسجد حظير مقدار نصف قامة مبنيا بالآجر تمييزا للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد كما ذكره ابن النجار وغيره واستمر ذلك الى سنة ثمان وسبعين وستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون الصالحى فعملت تلك القبة وهى مربعة من أسفلها مثمنه من أعلاها بأخشاب أقيمت على رؤس السوارى وسمر عليها ألواح من خشب ومن فوقها ألواح

الرصاص وفيها طاقة اذا أبصر الشخص منها رأى سقف المسجد الاسفل الذى فيه الطابق وعليه المشمع المتقدم ذكره وحول هذه القبة علي سقف المسجد ألواح رصاص مفروشة فيا قرب منها ويحيط به وبالقبة درابزين من الخشب جعل مكان الحظير الآجر وتحته أيضا بين السقفين شباك خشب يحكيه محيط بالسقف الذى فيه الطابق وعليه المشمع المتقدم ذكره ولم أر في كلام مورخي المدينة تعرض لمن تولى عمل هذه القبة (ورأيت) في الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد في ترجمة الكمال أحمد بن البرهان عبد القوى الربعى ناظر قوص انه بنى على الضريح النبوى هذه القبة المذكورة قال وقصد خيرا وتحصيل ثواب (وقال) بعضهم أساء الادب بعلو النجار بن ودق الحطب قال وفي تلك السنة وقع بينه وبين بعض الولاة كلام فوصل مرسوم بضرب الكمال فضرب فكان من يقول انه أساء الادب ان هذا مجازاة له وصادره الامير علم الدين الشجاعى وخرب داره وأخذ رخامها وخزائنها ويقال انهم بالمدرسة المنصورية انتهى. ويؤيد مانقله عن بعضهم ماروواه أبو داود فى سننه عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال ماهذه قال له أصحابه هذه لفلان رجل من الانصار قال فسكت وحملها فى نفسه حتى اذا جاء صاحبها رسول الله صلي الله وسلم عليه سلم عليه في الناس فاعرض عنه صنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه والأعراض عنه فشكا ذلك الى أصحابه فقال والله انى لأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خرج فرأى قبتك قال فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها بالارض فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها قال مافعلت القبة قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك عنه فاخبرناه فهدمها فقال أما ان كل بناء وبال على صاحبه الا مالا الا مالا اى الا مالا بد منه (وقد) جددت هذه القبة في أيام الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون فاختلت الالواح الرصاص عن وضعها فخشوا من كثرة الامطار فجددت وأحكمت في أيام الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد في سنة خمس وستين وسبعمائة قاله الزين المراغي (وقد) ظهر فى بعض أخشابها خلل في سنة احدى وثمانين وثمانمائة فعضدها متولى العمارة الشمس بن الزمن باخشاب سمرت معها وقلع ماحولها من ألواح الرصاص التى علي أعلى السطح بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره

فوجدوا تحت ذلك أخشابا قد تأكلت من طول الزمان ونداوة مياه الامطار فاصلحوا ذلك وأعادوه بعد ان أضافوا اليه كثيرا من الرصاص من حاصل المسجد ومما أحضر من مصر وجددوا الدرابزين المحيط بها أيضا وقد كانت مياه الامطار تتسرب من بين تلك الالواح وتصل الي سقف الحجرة الشريفة فان آثار المياه قد وجدت هناك وأثرت فى الشباك الذى بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز بحيث تأكل بعضه فأصلحه متولى العمارة أيضا وأثرت الامطار أيضا في الستارة التى على سقف الحجرة الشريفة بحيث تأكل بعضها (ثم) احترق ذلك كله في حريق المسجد الثانى فاقتضى رأيهم تأسيس القبة البيضاء الموجودة اليوم على دعائم بارض المسجد وعقود من الآجر وجعلوا تلك الدعائم فى موازاة الاساطين التى كان بينها داربزين المقصورة الآتى وصفها وزادوا من جهة الشام دعائم بعضها عند المثلث الذى بالحجرة الشريفة من بناء عمر بن عبد العزيز وزادوا هناك اسطوانا وعند التأسيس لذلك وجدوا عند صفحة المثلث الشرقية قبرا بدا لحده و بعض عظامه وان صح القول بدفن فاطمة رضى الله عنها فى بيتها كما ستأتي الاشارة اليه فهو قبرها وأبدلوا بعض الاساطين بدعائم وأضافوا الى بعضها اسطوانة اخرى وقرنوا بينهما ليتأتى لهم العقد عليها وحصل فيما بين جدار المسجد الشرقى و بين تلك الدعائم ضيق لاتحاد بعض تلك الدعائم هناك فخرجوا بجدار المسجد الشرقي في البلاط الذى يلي الجدار المذكور نحو ذراع ونصف فانهم هدموا ذلك الجدار وأعادوه الى باب جبريل عليه السلام ولم ينقلوا باب جبريل عن محله ثم ان القبة المذكورة تشققت من أعاليها ولم ينفع الترميم فيها ففوض السلطان للشجاعي شاهين الجمالى النظر فى أمرها وأمر المنارة الرئيسية أيضا عند توليته شيخ الحرم الشريف فاقتضى رأيه بعد مراجعة أهل الخبرة هدم أعالى المنارة المذكورة واختصار قليل منها فاتخذ أخشابا فى طاقاتها وجعل عليها سقفا يمنع مايسقط عند الهدم للحجرة الشريفة ثم هدم أعاليها واعاد بناءها أحكم من البناء الاول بحيث حمل لها الجبس الابيض من مصر وجعله في بنائها فجاءت حسنة محكمة وأزيل ذلك السقف عند تمامها وذلك فى عام اثنتين وتسعين وثمانمائة (وأما المقصورة) الدائرة على الحجرة الشريفة بين الاساطين حول جدار الحجرة الظاهر وحول بيت فاطمة رضي الله عنها فقد أحدثها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وذلك انه لما حج سنة سبع وستين وستمائة أراد ان يجعل على الحجرة

الشريفة درابزينا من خشب وهو المقصورة المذكورة فقاس ماحول الحجرة الشريفة بيده وقدره بحبال وحملها معه وعمل الدابزين وأرسله فى سنة ثمان وستين وأداره عليها وعمل له ثلاثة أبواب قبليا وشرقيا وغربيا ونصبه بين الاساطين التى تلى الحجرة الا من ناحية الشام فانه زاد فيه الى متهجد النبى صلى الله عليه وسلم (ثم) زيد لهذه المقصورة باب رابع أحدث عند زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة وهو من جهة الشمال في رحبة المسجد وكان عليه قبل الحريق الاول سقف مرتفع يحيط به رفرف ثم أحدث هذا الباب وأمامه من جهة رحبة المسجد سقف لطيف أيضا نحو ستة أذرع دوين السقف المتقدم وجعل له رفرف أيضا يمنع الشمس وبسط تحته الرخام الملون شبه الرخام الذى تقدم ذكره حول حائز عمر بن عبد العزيز بالارض داخل هذه المقصورة وذلك فى دولة الظاهر جقمق سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة (قال) الزين المراغى (واعلم) ان الذى عمله الملك الظاهر أى ركن الدين من الدرابزين نحو القامتين فلما كان فى سنة أربع وتسعين وستمائة زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائرا عليه ورفعه حتى وصله سقف المسجد انتهي (وقد) جدد متولى العمارة المتقدم ذكره بعض هذه المقصورة أيضا مما يلى الروضة الشريفة في العمارة الاولى ثم احترقت في الحريق الثانى فجعلوا بدلها شبابيك من النحاس في جهة القبلة وعلى أعلاها شبكة من شريط النحاس كالزرد بين أخشاب متصلة بالعقود المحيطة بالحجرة الشريفة وجعلوا لبقيتها من جهة الشام وما اتصل بها من المشرق والمغرب مشبكا من الحديد المشاجر وباعلاه شريط النحاس أيضا وأحدثوا مشبكا من الحديد المشاجر أيضا لم يكن قبل ذلك جعلوه فاصلا بين الرحبة التي خلف مثلث الحجرة الشريفة وبينها وبها بعض المثلث المذكور وبه بابان أحدهما عن يمين المثلث والآخر عن يساره وصار هذا المشبك متوسطا بين مشبك الحجرة الشامي وما يقابله (وقد) صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة وأبوابها بابواب الحجرة وما يعلق بسقفها بقناديل الحجرة كما تقدم فى عبارة السبكي (وفي) كلام البدر ابن فرحون مايقتضي انه كان ثم مقصورة متصلة بهذه المقصورة من جهة المغرب ثم ازيلت ولفظه (وقد) تساهل من كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة عملت وقاية من الشمس اذا غربت وكانت بدعة وضلالة تصلى فيها الشيعة لانها قطعت

الصفوف واتسمت بمن ذكر من الصنوف وندم على ذلك واضعها ولقد كنت اسمع بعضهم يقف على بابها ويؤذن بأعلى صوته حى على خير العمل وكانت مواطن تدريسهم وخلوة علمائهم حتى قيض الله لها من سعى فيها فاصبحت ليلة منخلعة أبوابها مقوسة أخشابها متصلة صفوفها وأدخل بعضها في الحجرة الشريفة يعنى مااشتمل عليه الدابزين المذكور وجعل فيها الباب الشامي وكان ذلك مع زيادة الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر انتهى (وذكر) لى بعض مشايخ المدينة نقلا عن من أدركه من المشايخ ان هذه المقصورة كانت فى شامى اسطوان الوفود الى جهة باب الحجرة الشامى والشيعة اليوم يصلون في ذلك الموضع ومقتضى ماقدمناه عن ابن النجار فى بيت فاطمة رضى الله عنها حيث قال وبيتها اليوم حوله مقصورة وفيه محراب وهو خلف حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وجود مقصورة هناك قبل حريق المسجد فلعل ذلك مستند الظاهر ركن الدين فى احداث ذلك (وقد) ذكر المطرى ماصنعه الظاهر من هذه المقصورة (ثم) قال وظن الملك الظاهر ان ما فعله تعظيما للحجرة الشريفة فحجر طائفة من الروضة المقدسة مما يلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ومنع الصلاة فيها مع ماثبت من فضلها وفضل الصلاة فيها فلو عكس ماحجره وجعله خلف بيت النبى صلى الله عليه وسلم من الناحية الشرقية والصق الدرابزين بالحجرة مما يلى الروضة لكان أخف اذ الناحية الشرقية ليست من الروضة ولا من المسجد المشار اليه بل مما زيد فى المسجد أيام الوليد قال ولم يبلغنى ان أحدا من أهل العلم والصلاح ممن حضر ولا ممن رآه بعد تحجيره أنكر ذلك أو تفطن له والقى له بالا وهذا من أهم ماينظر فيه (قال) الزين المراغي عقبه ينبغي أن يعلم ان للظاهر سلفا في ذلك وهو ماحجره عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة من جهة الروضة أيضا لكنه قليل انتهى (قلت) وهذا بناء على ماتقرر عنده من ان جدار الحجرة الذى داخل الحائز هو نهاية المسجد في زمنه صلي الله عليه وسلم وقد قدمنا فى حدود المسجد مايرد ذلك ولو سلم ان ذلك نهاية المسجد وان عمر بن عبد العزيز اتخذ الجدار المذكور فيه فذلك لمصلحة حفظ القبر الشريف ولجعل بنائه على هيئة لا يتأتى معها استقبال القبر الشريف كما قدمناه وهذه المقصورة بضد ذلك والله أعلم (وقال) البدر بن فرحون فى ترجمة ولى الله سيدى الشيخ على الواسطى مالفظه (حكى) لى جمال الدين يعنى المطرى انه

الشيخ بعث الى الملك الناصر يقول له أنا أضمن لك على الله تعالى قضاء ثلاث حوائج
ان قضيت لى حاجة واحدة وهى ازالة هـذا الشباك الذى على الحجرة الشريفة يعنى
هذه المقصورة فبلغه ذلك فتوقف ولم يفعل (قال) البدر بن فرحون وليته فعل فان الشباك
الذى يدور على الحجرة قطع جانبا من المسجد وحجر كثيرا من الروضة وفي كل زمان
يجدد ويعمر بمـا يتقوى به ويتأيد وادخل فيـه قطعة كبيرة لمـا أزيلت المقصورة يعنى
المتقدم ذكر ازالتها (وقال) المجد الشيرازى عقب ذكره لمـا تقدم عن المطرى والذى
ذكره موجه غير ان أحـد الابواب مفتوح دائما لمن قصـد الدخول والزيارة فيمكن
من أراد الصلاة الدخول والوقوف مع الصف الاول فى الروضة ولا يخفى ان في تقريب
الدرابزين من الحجـرة اخراجا للبناء عن وضعه اللائق وأيضا فيـه تضييق عظيم على
الزائرين لاسيما عند زحام المواسم فانه مع هذا الاتساع ينخنق المكان بالخلق فكيف
لوضيق بحيث يتصل الدرابزين بجـدار الحجرة لايقال انه كان يتسع من جهة المشرق
للزائرين لان الناس انمـا يقصدون هـذه الجهة لكون الرأس الشريف هناك وليكون
الابتداء بالتسليم على النبي صلي الله عليه وسلم دون ان يتخطوا الشيخين رضي الله عنهما
فتأمل ذلك فانه صحيح (قال) وهذه الكيفية لامزيد عليها في الحسن ولم يتعطل شئ من الروضة
بسبب ذلك بل بسبب كسل المصلين (وقد) رأيت جماعة من الخدام يصلون داخل الدرابزين
أيام الجمعة انتهى (قلت) وماذكره صحيح بالنسبة الى زمنه فان البـاب المذكور كان
مفتوحا فى سائر الأوقات (وقد) نبه على ذلك ابن جماعة فى منسكه محاولا غلقه في المواسم
فقط (فقال) ان هذا الدرابزين حجر طائفة من الروضة الشريفة ممايلى بيت النبي صلي
الله عليه وسـلم وصار مابين الحجرة والدرابزين مأوى للنساء بأولادهن الصغار في أيام
المواسم وربما قذر الصغار فيه وقد تحدثت مع الملك الناصر رحمه الله لما حج وزار سنة
اثنين وثلاثين وسبعمائة في غلق الدرابزين أيام الموسم فسكت لما ذكرته ولم يجبنى بشئ
وهذا من أهم ماينظر فيه انتهى . فحدث بعد ذلك غلق الابواب كلها دائما ولا يفتح منها
شيء الا فى وقت اسراج القناديل ونحوه ولا يدخل لذلك الا بعض الخدام والفراشين أو بعض
من له وجاهة باذن شيخ الخدام فيدخل للزيارة ليـلا وتحقق بسبب ذلك تعطيـل تلك
البقعة وحرم الناس التبرك بأسطوان السرير فان محله في شرقي اسطوانه كما تقدم وكذلك

الوقوف للزيارة فى موقف السلف بينها وبين الحجرة الشريفـة أوعلى نحو أربع أذرع
من جدار القبر على مايأتي بيانه وكذلك التبرك بمربعة القبر ومقام جبريل كما قدمناه وبيت
فاطمة رضى الله عنها فان ذلك كله فى جوف المقصورة بل كانت هذه المقصورة سببا لما
هو أعظم من ذلك وأطم وهو ابتناء دعائم القبة المتقدم ذكره بأرضها فانها صارت عند العوام
بل وعند من لااحاطة له بأحوال المسجد أنها ليست من المسجد بل من الحجرة فعاملوها
معاملة غير المسجد ولما وقعت المفاوضـة فى عملها صرحت بتحريم ذلك فأشار بعضهـم
بعمل القبة المذكورة على رؤس الاساطين من غير بناء ثم رجعوا عن ذلك وأنا غائب
بمصر (وسبب) غلق الابواب المذكورة أن النجم بن حجـى قاضى الشام لمـا حج في
الموسم الشامى رأى ازدحام الناس بذلك المحل وماأشار اليه ابن جماعة فيما تقدم عنه فأفتى
بغلقها وخالفه الولى العراقي عند قدومه مع الحاج المصرى فأفتى بفتحها (وأخبرنى) بعض
مشايخ الحرم أن ذلك كان في سنة اثنين وعشرين وثمانمائة وان الحال استمر على ماأفتي
به الولى العـراقى فلمـا ولى النجم بن حجى ديوان الانشاء تسـبب فى بروز المراسـيم
السلطانية بالامر بالغلق سنة ثمان وعشرين واستمر ذلك الى اليوم كذا أخبرنى به بعض
مشايخ الحرم (ورأيت) حاشية على كلام المجد بخط الحافظ جمال الدين بن الخياط اليمنى
ولفظها ومما أحدث في دولة الملك الاشرف برسباى صاحب مصر والشام بعد الثلاثين
وثمانمائة سمرت أبواب الدرابزين المذكور وصار الناس يزورون من وراء الدرابزين
من غير دخول أحد الى الحجرة الشريفة قصدوا بذلك زيادة الحرمة وتنزيه المشهد الشريف
عن كثرة اللامسين بالايدى وغيره فان كثيرا من جهال العرب وغيرهم يلصقون ظهورهم
بصندوق القبر الشريف وجداره قاصدين بذلك التبرك والخير كله فى استعمال الادب
انتهى (قلت) والصواب المتعين وجوب فتح بعض تلك الابواب خصوصا في غير أيام
الموسم وليس الطريق فى ازلة المفسدة المذكورة غلق تلك الابواب وتعطيل تلك البقعة
بل وقوف الخدام عند ذلك المحل ومنع من يتعاطي فيه مالايليق بالادب على ان ذلك لم
يحسم المادة لان تلك الامور أعنى لمس الجهال ووضعهـم الظهور يفـعل اليوم بهـذا
الدرابزين ولاشك أن الجدار الذى كان يفعل به ذلك ليس هو نفس القبر بل ولاجدار
الحجرة كما قدمناه بل جدار آخر دائر به كما ان هـذه المقصورة دائرة به فان كان ذلك

يقتضى تعطيل ذلك المحل فليعطل من أجله المسجد بأجمعه وتعطيل المسجد أوشئ منه حرام فلا يرتكب لدفع مكروه مع امكان دفعه بغيره ومايقال من أنه ربما وجد فى بعض المواسم هناك قذر فقد كان شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر شرف الدين المناوى يقول في جوابه لاشك أن ذلك المحل من المسجد فان كان وجود القذر فيه مقتض لتعطيله وصيانته بالغلق فليغلق المسجد بأجمعه فان حكم الكل واحد من حيث وجوب صونه واختصاص ماتقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه وطريق التعظيم المنع من ذلك كماقدمناه على ان لمس جدار القبر وتقبيله ليس مما أجمع على كراهته كما سنوضحه ان شاء الله تعالى في باب الزيارة (ولما) قدم مولانا السلطان الملك الاشرف قايتباى أعز الله أنصاره المدينة الشريفة للزيارة سنة أربع وثمانين وثمانمائة واجتمعت به بالروضة الشريفة أردت ان أتكلم معه في فتح بعض تلك الابواب في غير أيام الموسم فرأيته قد تعاظم دخول هذه المقصورة لما عرض عليه ذلك (وقال) لوأمكننى الوقوف للزيارة فى أبعد من هذا الموضع فعلت ورأى أن ذلك هو التعظيم فعلمت انه لا يوافق على ماأريده والله أعلم

﴿ الفصل الثامن والعشرون ﴾ فيما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة في زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا وماحصل بسببه من ازالة هدم الحريق الاول من ذلك المحل الشريف ومشاهدة وضعه المنيف وتصوير مااستقر عليه أمر الحجرة فى هذه العمارة

(اعلم) أن بعض سقف المسجد التى تقدم تجديدها كان قد ظهر تكسر بعض أخشابه في هذه الدولة الاشرفية أعز الله أنصارها وأعلى في سلوك العدل منارها فورد المدينة المقر الاشرف السيفى شاهين الجمالى منصرفه من جدة المعمورة فأروه ذلك وأروه الحائز المخمس الدائر على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم يظهر اذا رفعت الكسوة عند منتهى الصفحة الشرقية وانعطافها الى الزاوية الشمالية فرفعوا عنه الكسوة وأحضروا بعض أرباب الخبرة بسبب ذلك فاختلف النقل عن من حضر ذلك فى كونه ضروريا أوغير ضرورى فاجتمعت بالمشار اليه بسبب ذلك فذكر لى ان الذى تحرر أنه ليس بضرورى لانه شق في طول الحائط لافى عرضه وهو قديم مملوء بالجص والحائط ليس عليه سقف يثقله فنخشي عليه فأعجبني كلامه (ثم) أنهى فى سنة ثمان وسبعين لمولانا

السلطان الاشرف احتياج المسجد الشريف للعمارة وسقوط منارة مسجد قباء وكان الجناب الخواجكى الشمسى بن الزمن مغرما بمثل ذلك وسبق له بالمدينة الشريفة عمارة لمدرسته المعروفة بالزمنية على يد بعض جماعته ففوض اليه السلطان أمر عمارة المسجد النبوى فكان ماتقدم من مجيئه الى المدينة الشريفة في اثناء سنة تسع وسبعين وتقريره أمر العمارة ثم توجه الى مصر المحروسة فكان من أمر العمارة ماقدمناه (ثم) رغب في أمر العمارة المقر الشرفي شرف الدين الانصارى تغمده الله برحمته ففوض له ذلك وحضر صحبة الحاج الى مكة المشرفة وأقام بها مدة حتي يتكامل حصول آلات العمارة فتوفي بها ليلة سابع عشر صفر عام أحد وثمانين وثمانمائة بعد شكوى خفيفة (ثم) وردت المراسيم الشريفة بتفويض أمر العمارة للجناب الشمسى بن الزمن وكان بجدة المعمورة فورد المدينة الشريفة صحبة شاد جدة في جمادى الأولى سنة احدى وثمانين وأحضر معه جماعة من أرباب الصنائع وأقام لينظر فى أمر العمارة بنفسه فكان ماتقدم من اصلاح السقف الاعلى وعمارة غيره من السقف المتقدم ذكرها وأحكام القبة الزرقاء المحاذية للحجرة الشريفة بسقف المسجد واصلاح حلية الصندوق الكائن بأصل الاسطوان التى في جهة الرأس الشريف والقائم المجدد فوقه (ولما) نزعوا القائم العتيق وما تحته من الصندوق وجدوا ماتحت ذلك من أحجار الاسطوانة المذكورة متشظيا وأحجارها قطع مجوفة كالخرز وكذا كل أساطين المسجد العتيقة وفى جوفها الرصاص وعمد الحديد وأهل المدينة يسمون كل قطعة منها خرزة ويسمونها أيضا فلكة فاقتضي رأيهم تعميق ماعلى رأس الاسطوان المذكور من أخشاب السقف فجعلوا مرمة من الاخشاب حول الاسطوان المذكور ليكسروا الخرز المشقق من ذلك الاسطوان وهن ست ثم يعلقون ماصح من الاسطوان الى أن يدخلوا مكان ذلك بدله ثم شرعوا فى كسر تلك الخرز ونزعها فتعسر ذلك عليهم وحصل بسببه دق عنيف حتى كانت جدران الحجرة تهتز له لاتصالها بالاسطوان المذكور فحصل بسبب ذلك كلام من الناس ولكن بعد كسر بعض الخرز واخراجه وكانوا يعالجون فى اخراج الرصاص أيضا علاجا أعظم من العلاج في الحجر فعقدوا مجلسا وطلبنى متولى العمارة للحضور فيه فترددت لانه بلغنى أن بعض الناس أوغر صدره مني وقرر عنده انى حريص على أن لاتكون هذه العمارة على يده وكنت أرى منه محبة وميلا

ثم تنكر بعض التنكر وعلمت أن الرجوع عن اصلاح الاسطوانة المذكورة غير ممكن
لكسر بعضها واخراجه فعلمت فوات وقت النظر فأجبت الوسول بذلك ولم أحضر
معهم مع علمى بأن بعض أهل المجلس كان مغرا بمخالفة ماأشير به وان كان فى غاية الوضوح
سامحه الله ثم افترقوا على اتمام ذلك فمكثوا أياما يعالجونه حتى تم وأعادوا مكان تلك
الخرزات الست مثلها من خرز اسطوان نقضوه من أساطين مسجد قباء فكان ذلك بقدر
تلك الخرز سواء وأحكموا اعادتها بالرصاص وعمد الحديد أحسن احكام (وقد) كنت
أستبعد قدرتهم على ذلك وأتعجب من قيام بقية الاسطوان من أعلاه مع رفع أسفله
وكونه كالجبل من الحجر والرصاص ولكن ساعدهم المدد المحمدى فى ذلك مع حسن
معرفة المعلم المباشر لسبك الرصاص (ثم) كان ماتقدم من اعادة الصندوق المذكور والقائم
فوقه الى محلهما (ونقض) الرخام المؤزر به جدار الحجرة الظاهر وتجديده كما تقدم وعند
قلع رخام الصفحة الآخرة من الزاوية الشمالية الى الصفحة الشرقية مع مايليها من صفحة
المشرق عند منعطفها ظهر الشق المتقدم ذكره وهو انشقاق قديم سد الاقدمون خلله
بكسر الآجر وأفرغوا فيه الجص وبيضوه بالقصة فانشق البياض من رأس وزرة الرخام
الى رأس الجدار المذكور فأرادوا اختبار ماتحت البياض ليعلموا قدره فقشروا البياض
عنه وأخرجوا مافي خلله من الجص والآجر فظهر من خلاله بناء الحجرة المربع الذى هو
جوف البناء المخمس المذكور فظهر منه ملتقى حائطه الشامى وحائطه الشرقي وظهر هناك
شق أيضا في جدار الحجرة الداخل عند ملتقى الجدارين المذكورين تدخل اليد فيه وهو قديم
أيضا وقد سده المتقدمون ثم اتسع قليلا على دوام الايام (فلما) كان عشية السبت ثالث عشر
شعبان عقدوا مجلسا فى جوف المقصورة عند الجدار المذكور حضره القضاة والمشايخ
والخدام وشيخهم الاميراينال وطلبونى لذلك المجلس فترددت فى الحضور لما قدمته ثم
توضأت وصليت صلاة الاستخارة وسألت الله ان يلهمني السداد والصواب وحضرت
فوجدت الامر قد اتفق عليه وشاهدت ماقدمته من وصف ذلك ورأيت على ذلك
البناء الداخل من الهيبة والانس مالا يوصف ولا يدرك الا بالذوق وتحرر لى ان سبب
انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل وميلانه نحو الجدار الظاهر وكأن
الاقدمين لما رأوا انشقاق الجدار الداخل ولعل رؤيتهم لذلك والله أعلم عقب الحريق عند

ماأحدثوا السقف المتقدم وصفه على الحجرة الشريفة أدعموا الجدار الداخل باخشاب
جعلوها بين الجدار الداخل والخارج عند رأسهما في شرقى الحجرة فمال الجدار الظاهر
من أعلاه بحيث صار أعلاه لايوازى أسفله وخرج بسبب ذلك عن الاستقامة فحدث فيه
الشق المذكور ورأيت الحاضرين بين ساكت ومشير فترجح عندى سلوك رأى ابن
عباس رضى الله عنهما في أمر الكعبة حيث أشار بترميمها فقط ورأيت ان مايطلب هنا
من الادب أوجب مما يطلب هناك فحاولت ادعام البناء الظاهر ببناء فلم أوافق عليه
فسألت مهندس العمارة وكان أعرف الحاضرين بهذا الامر هل تحققت الآن
اشراف هذا الجدار على السقوط وانه لايتأتى تأخيره ام يحتمل التأخير مدة اذا رم
بالجص والآجر كما كان أولا فيؤخر الى ان يصير غير محتمل للتأخير فانه لايفعل هنا
الا ماتدعوا اليه الضرورة في الحال فقال الترميم شئ وقطع الفرط شئ آخر ثم سأل
متولي العمارة عن كيفية مايكتب ليطالع به المسامع الشريفة فقال له القضاى الزكوى
قاضى الشافعية وأحد الناظرين سامحه الله تعالى سرح العمال غدا للهدم وكتابة المحضر
علينا وخافت متولى العمارة بالانكار عليه في احضارى وحثه على الاعراض عن كلامى
(ثم) ان متولى العمارة ذكر لى انه رأى رؤيا فهم منها الهدم فصمم عليه ورأيت عنده
من شجاعة الجنان وثبات الجأش فى هذا الامر مالا يوصف وبلغنى ان بعض الناس
ذكر له ان ماسبق من كلامى دليل على ماكان قد ألقاه اليه من حرصى على ان
لاتكون هذه العمارة على يده وان لايفوز بهذه المنقبة العظيمة التى لم يسبق اليها ومن
يسمع يخل ولكني أشهد الله ورسوله على انى لم أرد سوى محض الوفاء بما أوجبه الله
علينا من الادب مع حبيبه صلى الله عليه وسلم ومن بذل النصيحة (ثم) فى صبيحة
الرابع عشر من شعبان المذكور شرعوا فى هدم المحل الشريف المتقدم ذكره من
الجدار الظاهر فهدموا جانبا من الصفحة الشرقية وجانبا مما يليها من الصفحة المنحرفة
منها الى جهة الزاوية الشمالية وسعة ذلك خمسة أذرع بذراع اليد وذلك من بعد نحو
أربعة أذرع من الارض الى رأس الجدار المذكور فظهر حينئذ هدم الحريق الذى فى
الفضاء الكائن بين جدارى الحجرة الشريفة ورأينا فيه كثيرا من الاخشاب المحترقة قد
سلم من بعضها قدر الذراع ونحوه (ثم) فى خامس عشر الشهر المذكور حضروا لتنظيف

ذلك وتوجه متولى العمارة لشيخنا العارف بالله تعالى سيدى شهاب الدين الابشيطى قدس الله روحه وسأله في الحضور للتبرك به فحضر من خارج الجدار وامتنع من الدخول وقرأ الفاتحة (وقال) نظفوا على بركة الله ثم انصرف وقال لى بعد ذلك ذكروا لنا ان هدم ذلك ضرورى فقلنا لهم الامر ورى يعمل فلما دخلوا لازالة ذلك شاهدت أمرا مهولا من ردم الحريق بحيث لم يتأت ازالته الا بالعتل والمساحى وتحققت بسبب ذلك عذر من أدرك زمن الحريق فى عدم ازالة ما بالحجرة الشريفة منه كما قدمناه وكان ارتفاعه في ذلك المحل نحو القامة وهو ردم من السقف الأعلى وجص وآجر من الجدار الذى كان باعلى سقف المسجد لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها كما تقدم بيانه ومما كان على رؤس الاساطين ومما احترق من أخشاب ذلك فاشتغلوا بتنظيفه وتزاحم الناس عليه فاستمروا في ذلك حتى بلغوا في تنظيفه الارض القديمة بحيث ظهر تحصيب ذلك المحل بحصباء تشبه مافى المسجد غير انها قد اسودت من نداوة الارض واعتبرت التفاوت بين الارض المرخمة خارج الجدار الظاهر والارض المذكورة بداخله فكانت الارض المذكورة أعنى الداخلة بين الجدارين أخفض من الخارجة بذراع وثلث بذراع اليد وظهر من وصف البناء الداخل ماقدمناه في الفصل الثانى والعشرين من كونه مربعا باحجار منحوتة عليها ابهة عظيمة وان الصفحة الغربية منه ملاصقة للصفحة الغربية من البناء الظاهر وليس بينهما ولا مغرز ابرة وانه لا باب فيه ولا موضع باب وفي الصفحة الشمالية لاصق بها الاسطوان التى قدمنا وصفه وان بعضه داخل فى الصفحة المذكورة وقد أثر فيه الحريق كما قدمنا حتى تشطب بعضه سيما فى أعاليه وهو فى صف مربعة القبر يليها من جهة المشرق (وتبين) حينئذ مافى الجدار الداخل من الانشقاق المتقدم وصفه فى شماليه مما يلى المشرق فادخلوا فيه شمعة فشاهدوا فيما يقابله من الجدار القبلى مما يلى المشرق أيضا انشقاقا مثله وتبين لى ان البناء المتقدم وصفه بين الجدارين القبليين فى موازاة الاسطوانة الظاهرة في الجدار القبلى التى يقف عندها المسلّم على عمر رضى الله عنه انما جعل ادعاما للجدار المذكور لما حدث به ذلك الانشقاق وظهر ماأدعموا به من الاخشاب بين الجدار الداخل والخارج فى جهة المشرق على ماقدمناه (فتردد) متولى العمارة فى نقب الجدار الشامى لاحكام ذلك الشق وترميم الشق المقابل له (ثم) عزم على

هدم الجدار المذكور أعنى جدار الحجرة الداخل من جهة الشام باجمعه فبدأ برفع السقف الذى وجد على الحجرة نفسها كما قدمناه وحينئذ ظهر لهم ساحة الحجرة الشريفة وستر الله تعالى القبور الشريفة عن الاعين بالردم ثم علمت ان هذا الموطن يطلب فيه من التثبت والادب التام مالا يطلب في غيره فانصرفت عازما على ان لا أحضر معهم ماداموا في تعاطى الهدم وان أحضر معهم في البناء (ثم) أفاضوا فى عقد قبة سفلية على جدار الحجرة الداخل رعاية الاتقان والاحكام فكرهت ذلك لعلمى انه يجر الى هدم معظم الحجرة مع مافيه من تغيير الهيئة الاولى (ثم) في حادي عشر شعبان المذكور أجمعوا أمرهم على ذلك فشرعوا فى هدم الجدار الشامى والشرقى من البناء الداخل فوجدوا فى الجانب الذي يلى المغرب من الجدار الشامى وكذا فيما يقابله من القبلى وكذا في الغربى عند ماهدموا أسفل السترة المبنية على السقف المحترق بين فصوص الاحجار وأعلاها مع رأس الجدر المذكورة لبنا غير مشوى طول اللبنة منه أرجح من ذراع وعرضه نصف ذراع وسمكه ربع ذراع وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد وهو نصف ذراع ولم يجدوا مثل ذلك فى الجدار الشرقى ولا فيما يليه من الشامى والقبلى وقد عاب بعض الناس على الاقدمين في وضعهم ذلك في الجدار ونسبهم الي التقصير وربما قال ان البنائين زمن الوليد لما أمر ببناء المسجد على يد عمر بن عبد العزيز كانوا كفارا وان ذلك من غشهم وهذا جهل من قائله و(قد) قدمنا من شرح حال بناء الحجرة مافيه كفاية وتقدم ان عمر بن الخطاب أو ابن الزبير هو البانى للحجرة على مارواه ابن سعد ولو سلم ان تلك البناية فى ولاية عمر بن عبد العزيز للعمارة المتقدمة فهو أتقى لله من ان يهمل قبر نبيه بيد الكفار حتي يغشوا في بنائه بمثل ذلك (وقد) ظهر لى في ذلك ان السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالاحجار لقصد الاحكام والبقاء وكان ماعدا الاساس منها مبنيا باللبن في عهده صلى الله عليه وسلم كما يؤخذ مما قدمناه فرأوا ان لايخلوا بنائهم من بركة ذلك اللبن فوضعوا منه مارأوا فيه الصلابة بين الاحجار المبنية بالقصة ولولا اتقان ذلك البناء لما مكث هذه المدة المديدة والعجب ان الخلل والانشقاق لم يحصل الا في الناحية الخالية منه وقد قدمنا ان الذى يظهر ان تلك الناحية سقطت وأعيدت واختلاف البنائين شاهد بذلك حتى ان الجدار الشرقى لم يكن مبنيا بالحجارة

الموجهة الا من داخله دون خارجه وعرض منقبته أقل من عرض بقية الجدر (ولما) بلغوا في هدم الجدار الشامي أرض الحجرة الشريفة شرعوا فى تنظيف الردم الساتر للقبور الشريفة وذلك فى صبيحة الثالث والعشرين من شعبان المذكور ومكثوا في ذلك الى غروب الشمس مع كثرتهم حتي بلغنى ان الحجرة الشريفة امتلأت بهم ولم يخصوا مكانا دون مكان فظنوا ان القبر الشريف النبوى قريبا من وسط الحجرة وليس كذلك كما سنبينه ووضعوا ماأخرجوه من الردم عند طرف المسقف الغربي فى زاويته المتصلة بمسقف الدكاك وبنى عليه متولى العمارة تلك الدكة البارزة هناك (ثم) وفى القضاى الزكوى بما وعد به متولى العمارة من كتابة المحضر وكتب فيه أهل المدينة ولم أكتب فيه واعتذرت بانه لم يسبق لى عادة بمثل ذلك وبعثوا به الى مصر المحروسة (فلما) كان فى صبيحة الخامس والعشرين من الشهر المذكور بعث الىّ متولى العمارة لاتبرك بمشاهدة الحجرة الشريفة بعد تنظيفها وصار قائل يقول ظهر القبر الشريف وقائل يقول لم يجدوا لجميع القبور الشريفة أثرا فحثنى داعى الشوق وغلبة الوجد واستحضرت ماوقع لبعض السلف من سؤاله لعائشة رضى الله عنها ان تريه القبور الشريفة وغير ذلك مما سبق ومما سيأتى في باب الزيارة ووصف السلف للقبور الشريفة وذكرهم ذرع الحجرة الشريفة وكيفيتها كما تقدم فعزمت على الاقدام وتمثلت بقول بعضهم

ولو قيل للمجنون أرض أصابها * غبار ثرى ليلى لجد وأسرعا
لعل يرا شيئا له نسبة بها * يعلل قلبا كاد أن يتصدعا

فتطهرت وتوجهت لذلك مستحضرا عظيم ماتوجهت اليه وموقع المثول ببيت أوسع الخلق كرما وعفوا وذلك هو المعول عليه واستحضرت قول بعضهم

عصيت فقل لى كيف ألقى محمدا * ووجهى بأثواب المعاصى مبرقع

ثم أنشدت الذى يليه

عسى الله من أجل الحبيب وقربه * يداركنى بالعفو فالعفو أوسع

وسألت الله ان يمنحنى حسن الادب فى ذلك المحل العظيم ويلهمنى مايستحقه من الاجلال والتعظيم وان يرزقنى منه القبول والرضى والتجاوز عما سلف ومضى فاستأذنت ودخلت من مؤخر الحجرة ولم أتجاوز ذلك المحل فشممت رائحة ماشممت فى عمرى

رائحة أطيب منها ثم سلمت بوجل وحياء على أشرف الانبياء ثم على ضجيعيه خلاصة الاصفياء ودعوت بما تيسر من الدعوات وتشفعت بسيد أهل الارض والسموات واستنزلت به فى بيته من الازمات واغتنمت هذه الفرصة فى جميع الحالات ولله در القائل

تمتع ان ظفرت بنيل قرب * وحصل مااستطعت من ادّخار
فقد وسّعت أبواب التدانى * وقد قربت للزوار دارى
وقد هبت نسيمات لنجد * فطب واشرب بكاسات كبار
فما وقت يمر بمستعاد * وما دار لاعزة بالقرار
فودع أرض نجد قبل بعد * فما نجد لمرتحل بدار
أقول لمن يمر بارض نجد * ويظفر من رباها بالديار
تزود من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار
وقل أيضا لمغتنم صفاء * علي معنى يلوح لذى اعتبار
اذا العشرون من شعبان ولت * فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار * فان الوقت ضاق علي الصغار

فلما قضيت من ذاك الوطر متعت عينى من تلك الساحة بالنظر لأتحف بوصفها المشتاقين وأنشر من طيب أخبارها في المحبين فتأملت الحجرة الشريفة فاذاهى أرض مستوية وتناولت من ترابها بيدي فاذا فيه نداوة وحصباء كالحصباء المتقدم وصفها بين الجدارين يظهر عند فحصه بالاصابع ولم أجد للقبور الشريفة أثرا غير ان بأوسط الحجرة موضعا فيه ارتفاع يسير جدا توهموا أنه القبر الشريف النبوى فأخذوا من ترابه للتبرك فيما زعموا ومنشأ ذلك الوهم جهل من كان هناك بأخبار الحجرة الشريفة وذلك المحل ليس هو القبر النبوى قطعا ولعله قبر عمر رضى الله عنه لان الشافعى رضي الله عنه قد نص على أن النبى صلى الله عليه وسلم انما لحد له فى جدار القبلة (قال) الشافعى فيما نقله عن الاقشهرى ردا على من قال أن النبى صلي الله عليه وسلم أدخل لقبره معترضا هذا من فحش الكلام فى الاخبار لان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبا من الجدار وكان اللحد تحت الجدار فكيف توضع الجنازة على عرض القبر حتى سل معترضا فدل على ان هذا النقل غير صحيح انتهى (وروى) ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه

قال رش قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الذى رش الماء على قبره بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه حتى انتهي الى رجليه ثم ضرجه بالماء الى الجدار لم يقدر على أن يدور من الجدار لأنهم جعلوا بين قبره و بين حائط القبلة نحوا من سوط (وقال) ابن سعد فى طبقاته أخبرنا شريح بن النعمان عن هشيم قال أخبرنى رجل من قريش من أهل المدينة يقال له محمد بن عبدالرحمن عن أبيه قال سقط حائط قبر النبى صلى الله عليه وسلم في زمن عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ على المدينة فى ولاية الوليد فكنت في أول من نهض فنظرت الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ليس بينه و بين حائط عائشة رضى الله عنها الا نحو من شبر فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة وعلى تقدير أن يكون ثم موضع بين القبر الشريف و بين جدار القبلة بحيث يتأتى ادخاله صلى الله عليه وسلم من ناحية القبلة فلا يكون ذلك الموضع محل القبر الشريف لبعده من جدار القبلة جدا (وفيما) رواه ابن زبالة ويحيي من خبر عبدالله بن محمد بن عقيل في قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة المتقدم ذكره أن عمر بن عبدالعزيز قال لمزاحم لما دخل يامزاحم كيف ترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم قال متطاطيا قال فكيف ترى قبر الرجلين قال مرتفعين قال أشهد انه رسول الله (وقد) قدمنا من وصف داخل الحجرة وذكر ذرعها ما فيه كفاية (وقد) تأملت التفاوت بين أرض الحجرة الشريفة و بين أرض الفضاء الخارج بين الجدار الشامى الداخل وزاوية الجدار الخارج فوجدت أرض الحجرة أنزل منه بنحو ذراع ونصف وتقدم ان أرض الفضاء المذكور أخفض مما حول الحجرة من المسجد بذراع وثلث فيكون التفاوت بين داخل أرض الحجرة وأرض المسجد نحو ثلاثة أذرع (وتأملت) آثار ردم الحريق في الجدران فرأيته فى بعضها نحو ثلاثة أذرع وفى بعضها نحو ذراعين وأخبرني المباشرون لاخراجه بذلك أيضا (ثم) هدموا من الجدار القبلى مما يلى المشرق جانبا نحو أربعة أذرع وشئ حتى بلغوا به أرض الحجرة (وهدموا) أيضا جانبا من الجدار الغربى مما يلى الشام حتى بلغوا به الارض أيضا وذلك نحو خمسة أذرع منه فعلوا ذلك ليتأتى لهم احكام القبة التى أجمعوا أمرهم عليها ولم يبق من أركان الحجرة الشريفة سوى مجمع جدار القبلة وجدار المغرب (ثم) أنهم هدموا من علو ما بقى من الجدارين المذكورين نحو خمسة أذرع ولم يبق من بناء الحجرة الاصلى الا ما فضل منهما (ووجدوا) عند هدم مبدء الجدار القبلى

من أعلاه ميزابا قد احترق بعضه من جهة ما كان فى بناء الجدار و بقى منه نحو الذراع وهو من عرعر له رائحة ذكية وسعة مجرى الماء فيه نحو أربعة أصابع أو خمسة كانه كان ميزابا للحجرة الشريفة قديما فحرص الاقدمون على ما بقى منه بعد الحريق و وضعوه بين السترة التى أحدثوها لاجل السقف و بين رأس الجدار فجزاهم الله خيرا (ولما) أعيد بناء الحجرة حرصت على أن يعاد فيها فوعدنى متولى العمارة بذلك فلما كان عند ختم البناء سألته عنه فذكر لى انه جعله في البناء الآتى ذكره في أعلا الجدار الشامي بين ما بقى من لبن الحجرة وأسس عليه بطين ذلك اللبن (ثم) عند الشروع في اعادة بناء الحجرة اقتضى رأيهم ادخال الاسطوان المتقدم وصفه خلف جدار الحجرة الشامى لتشققه فزادوا في عرض ذلك الجدار من الرحبة المثلثة الشكل المتقدم وصفها بين الجدارين (وكان) الشروع في اعادة بناء الحجرة في سابع عشر شعبان المذكور فابتدؤا بالجدار المذكور وأوصلوه بالجدار الغربى وأعادوا ذلك بأحجار الحجرة التى نقضوها منها (ثم) رأوا ان احكام القبة التى عزموا عليها يقتضي تربيع محلها بحيث لا يزيد طوله على عرضه (وقد) قدمنا فى ذرع الحجرة ما يقتضى عدم ذلك فعقدوا قبوا على نحو ثلث الحجرة الذى يلى المشرق والارجل الشريفة وجعلوا الجدار الخارج من جهة المشرق متصلا بجدار الحجرة الداخل فادخلوا ما كان بينهما في جدار القبو المذكور الى نهاية ارتفاعه (وكذا) فعلوا فيما كان بين الجدار القبلي الداخل والخارج سدوه أيضا بالبناء حتى لم يبق حول البناء الداخل فضاء الا ما بقي من الرحبة المثلثة الشكل في جهة الشام وصار علو القبة المذكور فضاء أيضا بين القبة وبين الجدار الظاهر فى جهة المشرق وعقدوا القبة المذكورة على ما بقى من الحجرة وهو ما يلى المغرب منها فى جهة الرؤس الشريفة وحاول بعض الناس أن يكون عقد القبة بالآجر فكرهت ذلك لما لا يخفى فاجتنبه متولى العمارة جزاه الله تعالى خيرا وعقدها بالاحجار المنحوتة من الحجر الاسود وكملها بالابيض وأخبرونى ان ارتفاع القبة المذكورة من داخل أرض الحجرة الشريفة الى محدب القبة المذكورة وهو أعلاها المغروز فيه هلالها اثنا عشر ذراعا بذراع العمل فيكون بالذراع المتقدم وصفه ثمانية عشر ذراعا وربع ذراع (ومن) أرض الحجرة أيضا الى نهاية القبو الذي بنى عليه أحد حوائط القبة المذكورة ثمانية أذرع وشئ بذراع العمل وذلك نحو أحدعشر ذراعا بالذراع المتقدم

وصفه (وارتفاع) حائط القبة الشرقي وهو الذى يلى القبو المتقدم وصفه عن طرف القبو الذى بنى عليه الحائط المذكور ذراع وثلثان بذراع العمل وذلك ذراعان ونصف راجح بالذراع المتقدم وصفه وصار مابين حائط القبة المذكور وبين حائط الحجرة الظاهر في جهة المشرق أعنى سطح القبو المذكور وما اتصل به كما كان بين الجدارين وأدخل في عرض الجدار رحبة واحدة تحيط بها من المغرب حائط القبة المتقدم وصفه ومن المشرق حائط الحجرة الظاهر ومن القبلة حائط الحجرة الظاهر أيضا ومن الشام سترة بنيت له فيما بين جدار القبة الذى يليه وجدار الحجرة الظاهر فى المشرق (وذرع) هذه الرحبة المذكورة بسطح القبو المذكور طولا من القبلة الى الشام سبعة أذرع ونصف سدس ذراع بذراع العمل وذلك أحد عشر ذراعا بالذراع المتقدم وصفه (وذرعها) عرضا مختلف فما يلى القبلة ذراعان ونصف بذراع العمل ومما يلى الشام نحو الثلاثة (وأما) جدار القبة الشامى فقد تقدم أنهم زادوا في عرضه من الرحبة خلفه وجعلوه أيضا متفاوت العرض فجعلوا مايلى المشرق منه وهو الموضع المحاذى للاسطوانة التى وقعت الزيادة في العرض لاجل ادخالها وادعامها بذلك أزيد من الجهة التى تلى المغرب منه بنحو نصف ذراع فانهم جعلوا عرض الجدار فى هذه الجهة من أسفل عقد القبة نحو ثلاثة أذرع بذراع اليد وعرضه في الجهة الأخرى دون ذلك بنحو نصف ذراع بحيث صارت جهة الاسطوان المذكور بارزة عن بقية ذلك الجدار فى الرحبة المذكورة كما سيأتي تصويره (وقد) جعلوا على رأس هذا الجدار بناء يسيرا من مابقى من اللبن الذى أخرج من بعض جدار الحجرة كما تقدم وصفه بعد أن تفرق اللبن المذكور وأخذ الكثير منه (وتركوا) فى نحو وسط هذا الجدار خوخة فلما لم يبق الا هى أدخلوا منها شيأ كثيرا من الحصباء جاؤا بها من عرصة العقيق من جنس حصباء المسجد بعد غسلها بالماء ليضعوها على القبور الشريفة وكنت قد ذكرت لبعضهم أن موضع القبر الشريف النبوي مما يلى الجدار القبلى وانه يستنبط مما قدمناه في مسمار الفضة المحاذى للوجه الشريف ان أول القبر الشريف من جهة المغرب على نحو ذراعين بذراع اليد من الحائط الغربى لانا اذا أسقطنا عرض الجدارين الغربيين وهما الجدار الداخل والخارج وهو نحو ثلاثة أذرع من مابين المسمار وأول الجدار الظاهر الغربى وهو نحو خمسة أذرع كما تقدم كان الباقى نحو الذراعين الى الرأس الشريف

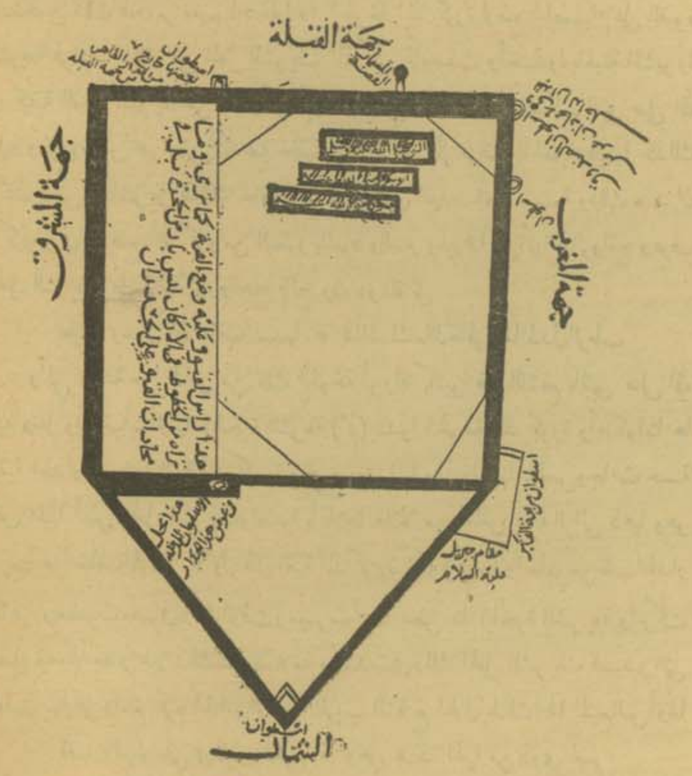
فاستحسن ذلك فحضر معهم لما دخلوا من الخوخة المذكورة لوضع الحصباء على القبور الشريفة فوضعوا ذلك على المحل الشريف المذكور كما وصفت وأخذوا بالهيئة المشهورة فى كيفية القبور الشريفة من أن رأس أبى بكر رضي الله عنه خلف منكب النبى صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه خلف منكب أبى بكر فوضعوا الحصباء عليهما كذلك وكان بعض المباشرين لذلك حنفيا وهو صهر متولى العمارة فجعلها مسنمة وذلك بعد ان أكثروا في الموضع المذكور من البخور بالعود والعنبر وغيرهما من أنواع الروائح وعرف المحل الشريف على ذلك كله راجح فائح ولله در القائل

بطيب رسول الله طاب نسيمها * فما المسك ما الكافور ما المندل الرطب

وألقى جماعة من الناس من تلك الخوخة أوراقا كتبوا فيها التشفع بالنبى صلى الله عليه وسلم وما آرب يسألونها بالحجرة الشريفة (ثم) سدوا الخوخة المذكورة وأحكموا بناءها كبقية الجدار وبيضوا القبة المذكورة وجميع جدرانها من خارجها بالجص وجاءت حسنة فاض عليها أنس المحل الشريف ونصبوا بأعلاها هلالا من نحاس يظنه الرائى ذهبا وهو قريب من سقف المسجد الاول فان القبة المذكورة تحته (ثم) سدوا مابقي من نقب الجدار الظاهر وحضرت معهم فى ذلك الوقت وحضرت أيضا بعض بناء الحجرة الشريفة وتبركت بالعمل فيه ولم أحضر غير ذلك طلبا للسلامة وأنشدت فى ذلك المحل الشريف قصيدتي التى تطفلت بها على واسع كرم الجناب الرفيع الحبيب الشفيع الحال بذلك الحما المنيع التى أولها

قف بالديار لحي فى ذرى الحرم * وحي هذا المحيا من ذوى اضم

(و) كان الفراغ من ذاك وختم بناء الجدار الظاهر في يوم الخميس المبارك سابع شوال من السنة المذكورة وأصرفوا فى ذلك وفى غيره من عمارات المسجد واعادة منارة مسجد قباء وتجديد بعض سقفه وأحكام مصرف المياه التى كانت تجتمع حول المسجد عند كثرة الامطار مالا جزيلا ومن أعظم ذلك نفعا ماجعل لمصرف المياه المذكورة كما سيأتى وصفه فقد عم نفعه وذلك كله فى الصحائف الشريفة السلطانية الاشرفية أعز الله أنصارها وأعلا في سلوك العدل منارها على يد متولى العمارة الجناب الشمسى المتقدم ذكره ضاعف الله تعالى حسناته (و) هذا تصوير ما استقر عليه الامر من هذه العمارة فى صورة الحجرة المشرفة والقبور الشريفة بها



(م) حدث بعد الحريق الثانى عند انشاء القبة الثانية التى جعلوها بدلا عن القبة الزرقاء المتقدم ذكرها تأسيس دعامة وعقد في جهة المغرب عند مقام جبريل عليه السلام متصل بجدار الحجرة الظاهر من أعلاه واسطوان وعقد في مقابلة ذلك في المشرق متصل بالجدار الظاهر أيضا في جهة المغرب

﴿ الفصل التاسع والعشرون ﴾ في الحريق الحادث في زماننا بعد العمارة السابقة وما ترتب عليه

الحقته هنا مع الحاق ما تقدمت الاشارة اليه في الفصول السابقة لحدوثه بعد الفراغ من مسودة كتابنا هذا لاني توجهت الى مكة المشرفة للاعتمار أول شهر رمضان عام

ست وثمانين وثمانمائة فورد على بها عدة كتب من الصادقين في الخبر وشافهني من شاهد الامر والأثر بما حصل من الخطب العظيم والرزء الجسيم باحتراق المسجد النبوى أول الثلث الاخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان وذلك ان رئيس المؤذنين وصدر المدرسين الشمسى شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلل حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية وصعد المؤذنون بقية المنائر وقد تراكم الغيم فحصل رعد قاصف أيقظ النائمين فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة فسقطت في المسجد وله لهب كالنار وانشق رأس المنارة وتوفى الرئيس المذكور لحينه صعقا ففقد من كان على بقية المنائر صوته فنادوه فلم يجب فصعد اليه بعضهم فوجده ميتا وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلا بين المنارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبه ثقبا كالترس وعلقت النار فيه وفي السقف الاسفل ففتح الخدام أبواب المسجد قبل الوقت المعتاد وقبل اسراجه ونودى بالحريق في المسجد فاجتمع أمير المدينة وأهلها بالمسجد الشريف وصعد أهل النجدة منهم بالمياه لاطفاء النار وقد التهبت سريعا في السقفين وأخذت لجهة الشمال والمغرب فعجزوا عن اطفائها وكلما حاولوه لم تزدد الا التهابا واشتعالا فحاولوا قطعها بهدم بعض ما امامها من السقف فسبقتهم لسرعتها وتطبق المسجد بدخان عظيم فخرج غالب من كان به ولم يستطيعوا المكث فكان ذلك سبب سلامتهم وهرب من كان بسطح المسجد الى شماليه ونزلوا بما كان معهم من حبال الدلاء التى استقوا بها الما بخارج المسجد على الميضأة والبيوت التى هناك وما حول ذلك وسقط بعضهم فهلك ونزل طائفة منهم الى المسجد من الدرج فاحترق بعضهم ولجأ بقيتهم الى صحن المسجد مع من حالت النار بينه وبين أبواب المسجد ممن كان أسفل ومنهم صاحبنا الشيخ العالم صدر المدرسين الشمسى شمس الدين محمد بن المسكين المعروف بالعوفى فمات بعد أيام لضيق نفسه بسبب الدخان مع توعك سابق رحمه الله تعالى واحترق من الخدام الزينى شند نائب خازن دار الحرم تغمده الله برحمته ومات جماعة تحت هدم الحريق من الفقراء وسودان المدينة وجملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفسا وكانت سلامة من بقى بالمسجد على خلاف القياس لان النار عظمت جدا حتى صارت كبحر لجى من نار ولها زفير وشهيق وألسن تصعد فى الجو وصار لفحها يؤثر من

البعد حتي أثرت في النخلات التي بصحن المسجد وعلق منها شئ بالمنارة الرئيسية فاحترقت ووصلت النار لثياب الرئيس شمس الدين محمد رحمه الله تعالى فاحترقت بعد موته وصارت النار ترمى بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت المجاورة للمسجد ومع ذلك فلا تؤثر فيها حتى سقط بعض الشرر على سعف فلم يحترق وحمل بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد الى صحنه فاصابها الشرر فاحرقها (ونقل) عن جمع كثير أنهم شاهدوا حينئذ اشكال طيور بيض كالاوز يحومون حول النار كالذى يكفها عن بيوت الجيران (وأخبر) أمير المدينة الشريفة السيد الشريف زين الدين فيصل الجمازى ان شخصا من العرب صادق الكلام رأى في المنام ليلة ثاني عشر رمضان ان السماء فيها جراد منتشر ثم عقبته نار عظيمة فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم النار وقال أمسكها عن أمتى فجزاه الله عن امته خصوصا عن جيرانه أفضل ماجزي نبيا عن امته (وحكي) أيضا عن بواب رباط السبيل انه ذكر مثل تلك الرؤيا عن غيره كتب لى بذلك صاحبنا العلامة شيخ المحدثين بالحرم النبوى الشيخ شمس الدين بن شيخنا العلامة ناصر الدين العثماني امتع الله به هذا مع ماحصل لاهل المدينة الشريفة من الدهشة العظيمة والحيرة لما شاهدوا من هول هذه النار ومنظرها الفظيع حتى أيقن بعضهم بالهلاك وانتقل بعض أهل الدور منها لما وصل اليهم الشرر وخرج بعضهم من باب المدينة الذى يلى البقيع وبعضهم من بابها الذى يلى المصلى وظنوا ان النار محيطة بهم (قال) الشمس العثماني وصار لجميع المدينة من جميع جهاتها بالبكاء ضجيج وبالدعاء عجيج قال وأمر هذه النار عجيب وليس الخبر كالمعاينة وصار المسجد كالتنور ولم يمض الا أقل من عشر درج وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف غير ماوقعت المبادرة لاخراجه أولا وهو يسير وغير القبة التى بصحن المسجد وسبق ذكر سلامتها في الحريق الاول وكنت تركت كتبى بالخلوة التى كنت أقيم بها في مؤخر المسجد فكتب الىّ باحتراقها ومنها أصل هذا التأليف وغيره من التآليف والكتب النفيسة نحو ثلاث مائة مجلد فمنّ الله تعالى علىّ ببرد الرضى والتسليم وفراغ القلب عن ذلك حتي ترجحت هذه النعمة عندى على نعمة تلك الكتب لما كنت أجده قبل من التعلق بها فلله الحمد والشكر على ذلك هذا مع مامنّ الله به على من غيبتى عن هذا الامر المهول فان

وقوعه كان في ليلة الوصول الى الحرم المكى ولم يتفق لى منذ سكنت المدينة الخروج منها في رمضان بل كنت ألازم المسجد النبوى فيه من أوله الى آخره ليلا ونهارا فكان ذلك سبب النجاة من هذا الامر ولما اشتعلت النار في السقف المحاذى للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التى بسقف المسجد الأعلى واحترقت أخشابها وما يحاذيها من السقف الاسفل والشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز الذى تعلق الكسوة باعلاه وسقط ماسقط من ذلك على القبة السفلى التى تقدم تجديدها فلما أصبحوا بدؤا بطفى ماسقط على القبة المذكورة واستمروا في ذلك الى آخر النهار فسلمت القبة المذكورة مع أن بعضها من الحجر الابيض الذى يسرع تأثره بالنار وذلك من المعجزات النبوية لان كثيرا من أساطين المسجد الشريف سقطت لما ذاب بعض رصاصها وتهشمت وهى من الحجر الاسود ومع ذلك تفتت كأنه أحجار النورة وعدة ماسقط منها مائة وبضع وعشرون اسطوانا ومابقي منها فقد أثرت فيه النار أثرا بينا وسلمت الاساطين اللاصقة بجدار الحجرة أيضا فالحمد لله على حماية الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة واحترقت المقصورة التى كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر الشريف وما كان امام المصلى المنيف بالروضة الشريفة من الصندوق وماعليه من المحراب المتقدم وصفه وسقطت أكثر عقود المسجد ومابقى منها فهو آيل الى السقوط وسقط علو المنارة الرئيسية ثم خشوا من سقوط بعض مابقى منها فهدموا نحو ثلثها (وكتبوا) الى سلطان مصر مولانا الاشرف سلطان الحرمين الشريفين قايتباى أيد الله أنصاره بذلك سادس عشر رمضان واقتضى رأى نائب الناظر سد أبواب حواصل المسجد حتى القبة التي بوسطه المرصد فيها زيت مصابيحه وترك الردم على حاله حتى ترد الاوامر الشريفة فتضرر الناس بذلك فاتفقت الاراء على تنظيف مقدم المسجد ماعدا ماجاور الحجرة الشريفة خوفا على ماسقط من حلية قناديلها مع انها يسيرة كما يؤخذ مما سبق فجعلوا على ذلك حاجزا من الآجر ونقلوا هدم مقدم المسجد الى مايلى باب الرحمة من مؤخره وعمل في ذلك أمير البلد والقضاة والاشراف وعامة الناس حتى الكثير من النساء والاطفال تقربا الى الله تعالى بغير أجرة ولم يتأخر عن ذلك الا المخدرات من النساء وبنوا في محل المنبر منبرا من آجر وصلوا بالمصلى النبوى من حينئذ وعملوا لأبواب المسجد غير باب جبرائيل خوخا يدخل منها وسدوا مازاد على ذلك ونصب الخدام خياما بالمسجد

اذ لم يبق به ظل وصار بعض أهل الخير يسرج قناديل متعددة من عنده فى المسجد مع توفر الزيت بحاصله لـكن تعذر ذلك بسبب سده واستمرت النار فيا لم ينقل هدمه من المسجد حتى فيما حول الحجرة الشريفة وموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف وأخبر بعضهم بمشاهدة الدخان يتصاعد من ذلك المحل الشريف بعد مـدة وفي أثناء شوال أخبر قاضى المالـكية شمس الدين السخاوى حفظه الله تعالى انه رأي في النوم من يقول له اطفئوا النار من الحجرة الشريفة يعنى الموضع الذى تركوا تنظيفه حولها فتفقدوا ذلك فوجدوا النار فى ثمانية مواضع فأطفؤوا ذلك ثم رأوا أن مادة هذه النار لا تنقطع الا بتنظيف الردم فاجتمعت الاراء على ذلك بعد توقف تام من نائب الناظر وعينوا لتعاطيه من يثقون به من الخدام والفقهاء والفقراء وكان الصواب المبادرة لذلك أولا ولـكن على كل خير مانع ولا يدري أحد أسرار ما الله فى عبـاده صانع ولما نظفوا ذلك وجـدوا حلية الصندوق المجعول في جهـة الرأس الشريف وجانبا من الـكسوة وبعض البسط سالمـا لسقوط الردم عليه ووجدوا القناديل التى كان التخوف فى تنظيف ذلك المحـل لاجلها وأداروا على الحجرة الشريفة جدارا من الآجر في موضع المقصورة المحترقة وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وأبوابا وقام بمصروف ذلك بعض النساء المباركات وغـيرها وسامح البناؤن بنصف أجرهم مع توفر المصروف بحاصـل المسجد الشريف وأحضرت تلك المرأة أيضا وغيرها كسوة للحجرة الشريفة من القماش الابيض فجعلت عليها (وفى) ذلك كله عبرة تامة وموعظة عامة لأولى الابصار وهو منذر بأمر عظيم ولهذا اختص به هذا المحل المنسوب الى النذير صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان أعمال الأمة تعرض عليه صلى الله عليه وسلم (فلما) ساءت منا الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار باظهار عنوان النار المجازى بها فى موضع عرضها (ولم) أزل فى وجل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ والانزجار وقد قال تعالى «وما نرسل بالايات الا تخويفا» (وقال) تعالى «ذلك الذى يخوف الله به عباده ياعبادى فاتقون» (وكأن) لسان القدرة ينادى ألا تتعظون بما ترون وتسمعون ألا تنتهون وتنزجرون ألا ترون الى هذا المحل الشريف مع عظيم نسبته وعلو رتبته ومكانته لما تلوث بآثاركم معشر المذنبين وتدنس بأقذاركم كافة الغافلين أرسلت عليـه بحرا من النار السماوية تطهره من تلك الآثار وتزجركم عن التمادى على الاصرار وموالاة اتبـاع

الاوزار وتشهد بصائركم عموم القدرة فترسلون من الابصار سوابق العبرة تأسـفا على ما اجترحتموه قبل هذه العبرة فمن لم ينته بهذا الزاجر الفعلى عن اصراره ولم يقتبس من هذه النار العظيمة قبسا يهتدى بأنواره فلينظر فيما حدث عقب حريق المسجد القـديم ويتفكر في ضعفه عن احتمال العذاب الاليم حمانا الله من ذلك وسلك بنا أجمعين أحسن المسالك ومن العجائب انه لم يتأت اخراج ردم هذا الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق للزيارة وشاهدوا هذه العبرة العظيمة ورأوا ما اجتمع من الردم كالآكام والتلول الجسيمة ثم قبيل دخول الحاج مكة بالقعدة الحرام من العام الثانى أرسل الله سيلا عظيما بمكة المشرفة ملأ مابين الجبلين وعلا جدار أبواب المعلا ودخل جوف الـكعبة الشريفة وارتفع فيها أزيد من قامة وهـدم دورا كثيرة يقال أنها تزيد على ألفى دار وذهب بسبب ذلك من الاموال والانفس مالا يحصيه الا الله تعالى حتى أنهم ضبطوا من وجد تحت الردم بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه فكانت عـدتهم نحو الثمانين وقيل أزيد من مائة ولم أقف فيما نقل من سيول الجاهلية والاسلام على مثل ذلك (ولمـا) نظفوا ذلك الردم وهو أتربة ونقض هدم حملها السيل لم يتأت اخراجه قبل وصول الحجاج وصار ذلك كالآرام والتلول العظيمة في المسجد الحرام فحضر الحجاج كلهـم وشاهدوا ذلك فسبحان من بيده الخلق والامر لا يسئل عما يفعـل وهم يسئلون (ولمـا) وصل خبر الحريق لرودس من بلاد النصارى أظهروا بذلك فرحا واستبشارا وتظاهروا بالزينة وضرب النواقيس فلم يمض ذلك اليوم الا وقد أرسل الله عليهم زلازل عظيمـة هدمت عليهم جانبا من سور البلد والـكنيسة وكثيرا من دورهم وهلك منهـم بذلك خلائق لا يحصون ودامت الزلازل عليهم أياما شاهدت ذلك فى كتب وردت من ثغر اسكندرية بخط من يعتمد عليه وذكروا أن المخبر لهم بذلك أهل المراكب الواردة من رودس المذكورة وأنهم سافروا والزلازل مستمرة بها وهم يخرجون الموتى من تحت الهدم بعد انتقال من بقى الى خارج البلد فتأمل هذه المعجزات النبوية والآيات الربانية ولمـا وصل القاصد الى مصر المحروسة واتصل علم الحريق المذكور بسلطانها عظم ذلك عليه وبرزت أوامره الشريفة بالمبادرة الى تنظيف المسجد الشريف ورأى أن في تأهيل الله تعالى له لعمارة ذلك مزيد التشريف وكمال التعريف وانه كرامة من الله تعالى أكرمه بها

وذخيرة يرجو الفوز بسببها فاستقبل أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية ورسم باطال عمائره المكية و بتوجه شادها السيفى الامير سنقر الجمالى صحبة الحاج الاول بزيادة على مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين وغيرهم وكثير من الحمير والجمل وصحبته وصحبة أخيه المقر الاشرفى الشجاعى شاهين والامير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف مبلغ عشرون ألف دينار وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت فى الطور والينبع والمدينة الشريفة (ثم) جهز متولى العمارة لأولى بالمدينة الشريفة وهو الجناب العالى الخواجكي الشمسى شمس الدين بن الزمن في اثناء ربيع الاول وصحبته أكثر من مائتى جمل ومن مائة حمار وأزيد من ثلثمائة من الصناع أهل الصنائع الأولى وغيرهم من الحمالين والمبيضين والسباكين والجباسين وأصرفوا لهم شيأ من الاجرة قبل سفرهم وقد صارت أحمال المؤن متواصلة قل أن تنقطع برا و بحرا واستقبلوا أمر العمارة بجد واجتهاد فهدموا المنارة الرئيسية التى أصابها الحريق الى أساسها وهدموا من سور المسجد من ركن المنارة التى بباب السلام الى آخر جدار القبلة وما يليه من المشرق الى باب جبريل وما يلي المنارة من المغرب أيضا الى باب الرحمة وأعادوا المنارة الرئيسية وسور المسجد المذكور وزادوا في عرضه يسيرا ووسعوا المحراب العثمانى وسقفوا مقدم المسجد سقفا واحدا بعد ان قصروا أساطينه وجعلوا عليها عقودا من الاجر فوقها أخشاب السقف وكانت الاساطين المذكورة قبل ذلك واصلة الى سقف المسجد كهيئة مابقى من أساطينه في بقية المشرق والمغرب والشام وجعلوا على المحراب العثمانى قبة علي روؤس الاساطين بعد ان قرنوا الى كل اسطوانة ثانية وجمعوا فى بعضها بين خمس أساطين ليتأتي لهم عقد القبة المذكورة وأزالوا الاسطوانة التى كانت في محاذاة الاسطوانة التى اليها المصلى النبوى بينها و بين المحراب العثمانى وجعلوا على مايحاذى الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد وعقود من الآجر بدلا عن القبة الزرقاء التى كانت قبل الحريق وكانت تلك على روؤس السوارى كما سبق فى الفصل السابع والعشرين وقدمنا هناك ماحصل من ضيق المسجد من جهة المشرق بسبب ابتناء بعض تلك الدعائم هناك فخرجوا بجدار المسجد الشرقى أعني ماحاذى ذلك منه بنحو عرض الجدا

فى البلاط الشرقى وأبقوا الباب المعروف بباب جبريل في محله (ثم) أحدثوا اسطوانا في جانب مثلث الحجرة ليشتد به العقد الذى عليه القبة فى تلك الناحية وحفروا لذلك أساسا عظيما ظهر بسببه القبر المنسوب فى أحد الاقوال لفاطمة الزهراء رضى الله عنها وزادوا دعامتين وعقدا الى جانب الاسطوانتين اللتين فى جهة الوجه الشريف ولم يبالوا بماحدث بسبب ذلك من الضيق في الموضع المواجه للوجه الشريف داخل المقصورة وغيره لخشيتهم من سقوط القبة المذكورة وكانوا قد وجدوا في جدار المنارة الرئيسية عند هدمها خزانة وضع الاقدمون بها أوراق المصاحف المحترقة في الحريق الاول وسدوا عليها فأخرجوا تلك الاوراق ووضعوها فى أعلى القبة المذكورة عند ختمها فبدأ فى القبة تشقق فقيل لهم ان ذلك بسبب وضع لاوراق المذكورة بها لأن الله تعالى يقول « لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله » فأخرجوا تلك الاوراق منها فقضيت العجب من ذلك (ومن الغريب) انى كنت قد عزمت علي التوجه الى أرض مصر لزيارة والدتى وأهلى قبل الشروع فى العمارة المذكورة فلم أحضر شيأ من ذلك ومنّ الله تعالى بالوصول الى الوالدة والاهل فتوفيت الوالدة بعد قدومى بعشر ليال وكانت مدة غيبتي عن أهلى ستة عشر سنة ثم منّ الله تعالى بالعود الى المدينة الشريفة بعد تعويض ماتدعو الحاجة اليه من الكتب المحترقة فوجدتهم قد عمروا القبة المذكورة ومقدم المسجد وعقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق والشام وجعلوها قبوا بدل السقف واتخذوا فيما بين الحجرة الشريفة والجدار القبلى قبة لطيفة وحولها ثلاثة أخر تسمى مجاريد وجعلوا بين عقود هذه القباب و بين المنارة الرئيسية التي أعادوها بادهنجا للضوء والهواء وكان باب المنارة المذكورة من جهة المغرب فنقلوه الى جهة الشام وأحدثوا أمامه أربع درجات بأرض المسجد والى جانبها خزانة وجعلوا موضع بابها الاول خلوة للخطيب يجلس بها الى ان يخرج للخطبة يوم الجمعة وكان جلوسه في الاعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة به واتخذوا أيضا قبتين أمام باب السلام من داخله و بنوا الباب المذكور بالرخام الابيض والاسود وزخرفوه زخرفة عظيمة وكذلك القباب المذكورة وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى الشريف واتخذوا له محرابا فى محل الصندوق الذى كان هناك وزخرفوه بالرخام وكذا المحراب العثمانى زخرفة عظيمة

وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وترخيم الجدار القبلي وأزالوا البناء الذى عمله أهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة وأبدلوا مايلى القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس وباعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزرد وجعلوا لبقيتها مما يلى الشام مشبكا مشاجرا من الحديد وفاصلا عن يمين مثلث الحجرة ويساره فيه بابان كما سبق بسط كل ذلك فى محله وعملوا المنبر ودكة المؤذنين من رخام وجعلوا فيما يلى باب الرحمة وباب النساء الى مؤخر المسجد دكتين أحديهما بالمسقف الغربى والاخرى بالمسقف الشرقي وجعلوهما أخفض من الدكاك الشامية يسيرا وردموهما من أتربة المسجد واتخذوا فيما أعادوه من الجدار الشرقى خزائن للكتب وطاقات كبار كالابواب المقنطرة في أعالى الجدار وطاقات متسعة مستديرة أيضا تكثيرا للضوء ولم يكن بأعالى الجدار المذكور أولا غير شباك واحد وجعلوا نظير تلك الطاقات في الجدار القبلي أيضا وبنوا الجدار من ابتداء تلك الطاقات بالآجر وسبب الاحتياج الى ذلك ان أساطين مقدم المسجد الشريف كانت واصلة الى سقفه كما سبق ولم يكن بذلك قناطر من العقود سوي مايلى الرحبة من الرواقين اللذين جددهما الناصر كما سبق وكان الساقط من الاساطين بمقدم المسجد هو الاكثر لسقوط العقود التى كانت بين السقفين عليها وقت الحريق واشتعال النار المذيبة للرصاص الذى بين خرز الاساطين فاقتضى رأيهم اعادة تلك الاساطين قصيرة وتكميلها الى السقف بعقود القناطر فأخذت القناطر حصة من الضوء فعوضوا ذلك بتلك الطاقات وأكد عندهم فتحها أخذ متولى العمارة للدور التى في قبلة المسجد المعروفة بدور العشرة ليجعلها مدرسة للسلطان وعرض الجدار القبلى يسيرا منها وجعل فيها فتحات لشبابيك متعددة أيضا ثم صرف الله تعالى عزمه عن ذلك وسد فتحات الشبابيك المذكورة كلها بفصوص الاحجار كنسبة بناء الجدار وسد أيضا الطاقات التي بالجدار القبلى الا مايحاذى القبة التى على المحراب العثماني فجعل لها ولما بقى من الطاقات قمريات من الزجاج وشبكات من شريط النحاس (ثم) استبدل متولي العمارة الرباط المعروف بالحصن العتيق ومافي شاميه من المدرسة الجوبانية والدار التى كانت تعرف بدار الشباك وذلك كله فيما بين باب الرحمة وباب السلام عند هدم هذا الجانب من الجدار الغربى ليتخذ في ذلك مدرسة ورباطا لسلطان زماننا الاشرف

أدام الله تعالى تأييده وتسديده واتخذ فى الجدار المذكور فتحات لشبابيك كثيرة في ثلاث طبقات عدتها ثلاثون فتحة لا ن الفتحة الثالثة من على يسار الداخل من باب السلام في موضع باب خوخة أبى بكر الصديق الآتى ذكرها في أبواب المسجد جعلوه بابا ينفذ الى المسجد وكذا الفتحتان اللتان بينها وبين باب السلام جعلوا لهما بابين الى المسجد فقط وصارت هذه الابواب الثلاثة فى المسجد دون المدرسة من أصل حاصل المسجد الذى كان هناك والفتحة الخامسة وهى الثالثة من خوخة أبي بكر جعلوها بابا ينفذ من المسجد الى أسفل المدرسة وجعلوا على الفتحات التى في الطبقة العليا شبكة من شريط النحاس شبه الزرد لأنها جعلت لمجرد الضوء وقد تكلم الناس مع متولى العمارة في أمر الشبابيك واتخاذها بجدار المسجد الشريف القبلى قبل انتقاله الى هذه الجهة وكثر الكلام في ذلك فكاتب السلطان فاستفتى علماء مصر في ذلك فافتاه جماعة منهم بذلك فقلدهم فيه وعوض مافات من المصاحف والربعات وبعث بعض ذلك على يدي بحيث اجتمع من ذلك أكثر مما فات وكذلك الكتب بعث بجانب منها ووعد بارسال مايحتاج اليه وكان من التوفيق بعثه للامير الكبير الفخرى قاسم الفقيه ناظرا على المسجد الشريف وشيخا لخدامه وهو محب للعلم وأهله مغرم بتلاوة القرآن الشريف لم ير على طريقته مثله فى هذا الباب فصار يباشر أمر الربعات والمصاحف بنفسه ومماليكه واتخذ لها كراسى صغارا يوضع عليها بالروضة الشريفة في وقات الصلوات النهارية فيقرأ هو والناس فيها فعم نفعها (ولما) قارب المسجد التمام أخذوا فى عمارة الرباط والمدرسة المذكورين وأسسوا لهما منارة في ناحيتهما التى تلى باب الرحمة وشرعوا أيضا فى عمارة رباط آخر بدل رباط الحصن العتيق وفي حمام قبالة الرباط المذكور استأجروا أرض الحمام من الناظر على الميضأة التى بباب السلام فانها منها وشرعوا أيضا في عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة ووكالة ذات حواصل في الدور التى اشتروها قبل ذلك للسلطان من دور العياشا وما يلي ذلك فى جهة القبلة وذلك ان السلطان أعز الله تعالى أنصاره بعد رجوعه من الحج شرع في شراء أماكن وجعلها وقفا ليحمل ريعها الي المدينة الشريفة ليفرق منه على أهلها ويعمل منه سماط كسماط الخليل عليه السلام وأبرز لذلك ستين ألف دينار كما ذكرناه في الفصل الثالث والثلاثين

فاتخذوا هذه الاماكن لذلك وهو أمر لم يسبق اليه فسح الله تعالى في أجله و بلغه من الخير غاية سؤله وأمله ولم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة وكذا الطاحون وانما يستعملون الارحاء التى تدار بالايدى (ثم) كتب الى بعض الثقات بتكامل تحصيل تلك الاماكن وان متحصلها سبعة آلاف أردب وخمسمائة أردب من الحب في كل سنة وان السلطان آدام الله نصره أنجز وقفها وشرع في عمارة أماكن بمصر تقوية للوقف ورسم بابطال المكوس بالمدينة وتعويض أميرها وقد كملت سقف المسجد النبوى كلها فى أواخر شهر رمضان عام ثمان وثمانين وثمانمائة وتمت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك ولم يبق سوى اليسير من العمائر السابق ذكرها واكمال ترخيم المدرسة الاشرفية وفى عام تسع وثمانين حضر جماعة من الدهانين بعث بهم السلطان الاشرف أعز الله أنصاره من مصر لمحو مابلغه انه جعل فى بعض سقف المسجد الشريف من الدهان بالنيلة وابداله باللازورد وجهز معهم أساقيل لذلك فعملوه على أحسن وجه ثم جهز المقر الاشرف عين الأعيان ونخبة الزمان البهائى بهاء الدين أبا البقاء بن الجيعان عظم الله شأنه وأسبغ عليه نعمه واحسانه في ركب مع جماعة من خواصه فوصل الى المدينة الشريفة سابع ذى القعدة الحرام من العام المذكور ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة بالمدرسة الاشرفية وأحمال كثيرة من الحب والدقيق والقدور النحاس التى جعلت برسم السماط المتقدم ذكره و بقايا آلات العمارة مما جهز فى المراكب الشريفة الى الينبع فقرر أمر السماط فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب مايكفيه على حسب عدة عياله لكل نفر سبع أردب مصرى بتقديم السين على الموحدة وسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وجعل للآفاقيين مايكفيهم من الخبز وطعام الجشيشة في كل يوم وقرر أمر المدرسة وصرف للمرخمين وغيرهم من أرباب الصنائع مصروف بقية عملهم وأحسن النظر فى ذلك حتي زاد جماعة منهم من ماله وتلطف بهم وأحسن فانطلقت الالسن بالدعاء له أحسن الله له الجزاء وجعل نصيبه من خيرى الدارين من أوفر الاجزاء وقد قارن هذه العمارة من السعد وتسهيل الأمور مالا توصف و يسر الله تعالى لهم من آلات العمارة مالم يكن نظن حصوله بنواحى المدينة الشريفة خصوصا أخشاب الدوم فقطعوا من الموضع المعروف بالشقرة ومن الصويدرة ومن

الفرع وغير ذلك مالا يحصيه الا الله تعالى وكذلك أخشاب السمر (وقد) أخبرني بعض المباشرين لهذه العمارة الميمونة أن المصروف فيها وفيما شرعوا فيه من عمارة المدرسة وتوابعها نقدا وأثمان آلات و بهائم وغير ذلك مائة وعشرون الف دينار ومع ذلك فلم يتم بعد (ثم) بعد ان من الله تعالى بأتمامها بلغ السلطان الاشرف ان متولى العمارة تسمح فى استعمال مؤن غير صالحة وأن القبة التى سبق اتخاذها على أعلى مايحاذى الحجرة الشريفة قد تشققت ثم رمت ثم تشققت ولم يفد الترميم فيها وان المنارة الرئيسية قد مالت مع أمور أخرى فتغير خاطره على متولى العمارة ثم انتخب لذلك المقر الشجاعى شاهين الجمالى لما اشتمل عليه من الفضل والنبل واصابة الرأى وفوض اليه أيضا مشيخة الحرم ونظره ونظر السماط فورد المدينة الشريفة فى موسم عام أحد وتسعين وثمانمائة وجمع الناس للنظر في ذلك وراجع فيه أهل الخبرة فاقتضى الحال هدم المنارة الرئيسية وهدم أعالى القبة المذكورة ولما هدم المنارة المذكورة ظهر ان الخلل من عدم المبالغة فى حفر أساسها فحفر أساسها حتى بلغ به الماء واتخذ لها أحجارا من الحجر الاسود متقنة واحكم بناءها مع الحسن الفائق بحيث لم ير قبلها بالمدينة الشريفة مثلها وجعل بابها من المغرب في محله الاول وأبطل تلك الدرج المحدثة بارض المسجد على ماسبق وأما القبة فاتخذ في الطاقات المحيطة بجوانبها سقفا يمنع من سقوط ما يهدم منها الى أرض الحجرة الشريفة ثم شرع في هدمها واعادتها بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة ولم يتخذ المسجد طريقا للعمال في ذلك بل اتخذ أساقيل يمشى عليها الى سطح المسجد فى ناحيته الشرقية واتخذ حاجزا لمحل المنارة يحول بينها وبين المسجد بحيث يظن الظان ان المسجد لا عمارة به وصانه أيضا من الامتهان بعمل أرباب الصنائع فجزاه الله تعالى خير الجزاء وجعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء (وقد) جاءت القبة حسنة مع الاتقان حتى انه استصحب في هذه العمارة الجبس من مصر المحروسة واستعمله فى البناء وحرص على اتقان الآجر وارداد العمال فوق عادتهم ولم يوفق متولى العمارة قبله لشيء من ذلك سامحه الله وكل ميسر لما خلق له (وقد) ذكر ابن النجار ما كان عليه الخلفاء من الاهتمام بعمارة المسجد النبوى فقال ولم يزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الامراء علي المدينة الشريفة ويمدونهم بالاموال لتجديد ماتهدم من المسجد النبوى فلم يزل ذلك متصلا الى أيام الناصر لدين الله أي

الخليفة في زمنه قال فانه ينفذ في كل سنة من الذهب العين الامامى ألف دينار لعمارة المسجد وينفذ عدة من النجارين والبنائين والنقاشين وأرباب الحرف وتكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الالف وينفذ من الحديد والصناع والرصاص والحبال والآلات شيأ كثيرا ولاتزال العمارة متصلة في المسجد حتى انه ليس به موضع أصبع الا وهو عامر انتهى (قلت) وعقب وفاة ابن النجار بيسير انتقل أمر المدينة الشريفة الى ملوك مصر ولم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف ومن أعظمهم همة فى ذلك وأحبهم فى سلوك هذه المسالك سلطان زماننا الملك المالك لصفوة الممالك الاشرف أبو النصر قايتباى أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره فلذلك أجرى الله علي يديه هذه العمارة وآثره بهذه الاثارة ومن تأمل ماقدمناه في الفصل السادس والعشرين في الحريق الاول عن المؤرخين من عمل سقف المسجد على يد من سبق وطول مدته وصفته وأحاط علما بما أسلفناه عن سلطان زماننا فى عمارته حكم يقينا بعلو همته وفخار منقبته ومرتبته واختصاصه بما لم يفز به من سبقه فكان هو سابقا وان عد فى الزمان لاحقا (وقد) ذكرنا ماله بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة وبعض مناقبه الجليلة فى الفصل الثالث والثلاثين فى خوخة آل عمر رضى الله عنه لما خصه الله به من حسم مادة المفاسد المترتبة عليها في زماننا وأمره بسد طابقها شكر الله صنيعه وحصنه من العداة بحصونه المنيعة

﴿ خاتمة ﴾ فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد لخندق حول الحجرة الشريفة مملوء بالرصاص وذكر السبب في ذلك وما ناسبه *

(اعلم) أنى قد وقفت على رسالة قد صنفها العلامة جمال الدين الاسنوى في المنع من استعمال الولاة للنصارى وسماها بعضهم بالانتصارات الاسلاميه ورأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغي ماصورته (نصيحة أولى الالباب في منع استخدام النصارى كتاب) لشيخنا العلامة جمال الدين الاسنوى ولم يسمه فسميته بحضرته فأقرني عليه انتهى . فرأيته ذكر فيها مالفظه وقد دعتهم أنفسهم يعنى النصارى في سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد الى أمر عظيم ظنوا انه يتم لهم ويأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وذلك أن السلطان المذكور كان له تهجد يأتى به بالليل وأوراد يأتى بها فنام عقب تهجده فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى نومه وهو يشير الى رجلين أشقرين

ويقول أنجدني أنقذنى من هذين فاستيقظ فزعا ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه فاستيقظ وصلى ونام فرآه أيضا مرة ثالثة فاستيقظ وقال لم يبق نوم وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلى فأرسل خلفه ليلا وحكي له جميع مااتفق له فقال له وما قعودك اخرج الآن الى المدينة النبوية واكتم مارأيت فتجهز في بقية ليلته وخرج علي رواحل خفيفة في عشرين نفرا وصحبته الوزير المذكور ومال كثير فقدم المدينة في ستة عشر يوما فاغتسل خارجها ودخل فصلى بالروضة وزار ثم جلس لايدرى ماذا يصنع فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد ان السلطان قصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وأحضر معه أموالا للصدقة فاكتبوا من عندكم فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التى أراها النبى صلى الله عليه وسلم له فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالانصراف الى أن انقضت الناس فقال السلطان هل بقى أحد لم يأخذ شيأ من الصدقة قالوا لا فقال تفكروا وتأملوا فقالوا لم يبق أحد الا رجلين مغربيين لايتناولان من أحد شيأ وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج فانشرح صدره وقال علي بهما فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبى صلى الله عليه وسلم اليهما بقوله أنجدني أنقذنى من هذين فقال لهما من أين أنتما فقالا من بلاد المغرب جئنا حاجين فاخترنا المجاورة فى هذا العام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدقاني فصمما على ذلك فقال أين منزلهما فأخبر بأنهما فى رباط بقرب الحجرة الشريفة فأمسكهما وحضر الى منزلهما فرأى فيه مالا كثيرا وختمتين وكتبا في الرقائق ولم ير فيه شيأ غير ذلك فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا انهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات فى الروضة الشريفة وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل سبت ولا يردان سائلا قط بحيث سدا خلة أهل المدينة فى هذا العام المجدب فقال السلطان سبحان الله ولم يظهر شيأ مما رآه وبقى السلطان يطوف فى البيت بنفسه فرفع حصيرا فى البيت فرأي سردابا محفورا ينتهى الى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك (وقال) السلطان عند ذلك أصدقانى حالكما وضربهما ضربا شديدا فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصاري في زى حجاج المغاربة وأمالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل فى شئ عظيم خيلته لهم أنفسهم وتوهموا أن

يمكنهم الله منه وهو الوصول الى الجناب الشريف ويفعلوا به مازينه لهم ابليس فى
النقل وما يترتب عليه فنزلا في أقرب رباط الى الحجرة الشريفة وفعلا ماتقدم وصارا
يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد على زى المغاربة والذى يجتمع من التراب يجعله
كل منهما فى محفظته ويخرجان لاظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور وأقاما على ذلك
مدة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم بحيث
خيل انقلاع تلك الجبال فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة واتفق مساكهما واعترافهما فلما
اعترفا وظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره بكى بكاء شديدا وأمر
بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذى يلى الحجرة الشريفة وهو مما يلي البقيع ثم أمر
باحضار رصاص عظيم وحفر خندقا عظيما الى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب
ذلك الرصاص وملأ به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة سورا رصاصا الى الماء ثم
عاد الى ملكه وأمر باضعاف النصارى وأمر أن لا يستعمل كافر فى عمل من الاعمال وأمر
مع ذلك بقطع المكوس جميعها انتهي (وقد) أشار الى ذلك الجمال المطرى باختصار
ولم يذكر عمل الخندق حول الحجرة وسبك الرصاص به لكن بين السنة التى وقع فيها
ذلك مع مخالفة لبعض ماتقدم (فقال) في الكلام على سور المدينة المحيط بها اليوم ووصل
السلطان نور الدين محمود بن زنكي بن اقسنقد في سنة سبع وخمسين وخمسمائة الى المدينة
الشريفة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن
أبى بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك ان السلطان
محمود المذكور رأى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يقول
في كل واحدة يامحمود أنقذنى من هذين الشخصين الاشقرين تجاهه فاستحضر وزيره
قبل الصبح فذكر له ذلك فقال له هذا أمر حدث في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
ليس له غيرك فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك
حتى دخل المدينة علي غفلة من أهلها والوزير معه وزار وجلس في المسجد لا يدري
مايصنع فقال له الوزير أتعرف الشخصين اذا رأيتهما قال نعم فطلب الناس عامة للصدقة
وفرق عليهم ذهبا كثيرا وفضة وقال لا يبقين أحد بالمدينة الا جاء فلم يبق الا رجلان
مجاوران من أهل الاندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبى صلى الله عليه وسلم

من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التى تعرف اليوم بدار العشرة فطلبهما
للصدقة فامتنعا وقالا نحن على كفاية ما نقبل شيئا فجد فى طلبهما فجيء بهما فلما رآهما
قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما وما جاء بهما فقالا لمجاورة النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أصدقانى وتكرر السؤال حتى أفضى الى معاقبتهما فاقرا أنهما من النصارى
وانهما وصلا لكي ينقلا من فى هذه الحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم ووجدهما قد
حفرا نقبا تحت الارض من تحت حائط المسجد القبلى وهما قاصدان الى جهة الحجرة
الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذى هما فيه هكذا حدثنى عمن
حدثه فضرب أعناقهما عند الشباك الذى في شرقي حجرة النبي صلى الله عليه وسلم خارج
المسجد ثم أحرقا بالنار آخر النهار وركب متوجها الي الشام انتهى (وقد) ساق المجد هذه
الواقعة على الوجه الذى ذكره المطرى فقال ومن الحوادث فى المسجد الشريف
مانقله جماعة من مشايخ المدينة وعلمائها وذكر ماتقدم وكذلك الزين المراغي ذكر
ماتقدم عن المطرى نقلا عنه وزاد ان وزير السلطان نور الدين الذى استحضره وذكر
له القصة هو الموفق خالد بن محمد بن نصر القيسرانى الشاعر قال وكان موفقا انتهى
ومأخذه في ذلك كما رأيته فى حاشية بخطه على كتابه ان الذهبى قال فى ترجمة الموفق
هذا موفق الدين أبو البقاء صاحب الخط المنسوب وكان صدرا نبيلا وافر الحشمة وزر
للسلطان نور الدين توفي بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة انتهى (وقد) خالف الزين فى
ذلك ماقدمناه عن شيخه الاسنوى من تسمية الوزير المذكور بجمال الدين الموصلى ولا يلزم
من كون الموفق وزر للسلطان نور الدين ان يكون هو الوزير عند وقوع الرؤيا المذكورة
لاحتمال انه وزر له بعد ذلك أو قبله وجمال الدين الموصلى هذا هو الجواد الاصفهانى (وقد)
تقدم ذكره في ترخيم الحجرة ووصفه بانه وزير بنى زنكى لانه كان وزير والد نور الدين
الشهيد الذى هو زنكى ثم وزر لولده غازى وادرك دولة نور الدين الشهيد وزمان هذه الواقعة
فالظاهر انه وزر له وانه المراد فى هذه الواقعة (والعجب) انى لم أقف على هذه القصة فى
كلام من ترجم نور الدين الشهيد مع عظمها وهى شاهدة لما ذكره الامام اليافعي في
ترجمته من أن بعض العارفين من الشيوخ ذكر انه كان في الاولياء معدودا من الاربعين
وصلاح الدين نائبه من الثلاثمائة انتهى (وقال) ابن الاثير طالعت تواريخ الملوك

المتقدمين قبل الاسلام وفيه الى يومنا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين انتهى (وقد) اتفق بعد الاربعمائة من الهجرة ما يقرب من قصة رؤيا نور الدين الشهيد المتقدمة على ما نقله الزين المراغي عن تاريخ بغداد لابن النجار (قال) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن المبارك المقرى عن أبى المعالى صالح بن شافع الجيلي (أنبأنا) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن محمد المعلم (ثنا) أبو القاسم عبد الحليم بن محمد المغربى ان بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدى صاحب مصر بنقل النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة الى مصر وزين له ذلك وقال متى تم لك ذلك شد الناس رحالهم من أقطار الارض الى مصر وكانت منقبة لسكانها فاجتهد الحاكم في مدة وبنى بمصر حائرا وانفق عليه مالا جزيلا (قال) وبعث أبا الفتوح لنبش الموضع الشريف فلما وصل الى المدينة الشريفة وجلس بها حضر جماعة المدنيين وقد علموا ما جاء فيه وحضر معهم قارئ يعرف بالزلباني فقرأ فى المجلس «وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم» الي قوله «ان كنتم مؤمنين» فماج الناس وكادوا يقتلون أبا الفتوح ومن معه من الجند وما منعهم من السرعة الى ذلك الا ان البلاد كانت لهم (ولما) رأى أبو الفتوح ذلك قال لهم الله أحق ان يخشى والله لو كان على من الحاكم فوات الروح ماتعرضت للموضع وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه كيف نهض فى مثل هذه المخزية فما انصرف النهار ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحا كادت الارض تزلزل من قوتها حتى دحرجت الابل بأقتابها والخيل بسروجها كما تدحرج الكرة على وجه الارض وهلك أكثرها وخلق من الناس فانشرح صدر أبى الفتوح وذهب روعه من الحاكم لقيام عذره من امتناع ما جاء فيه (قلت) ونقل ابن عذرة فى كتاب تأسي أهل الايمان فيما جرى على مدينة القيروان لابن سعدون القيروانى مالفظه ثم أرسل الحاكم بامر الله الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من ينبش قبر النبى فدخل الذى أراد نبشه دارا بقرب المسجد وحفر تحت الارض ليصل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فرأوا أنوارا وسمع صائح ان نبيكم ينبش ففتش الناس فوجدوهم وقتلوهم انتهى (ومما) يناسب ذلك ما ذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة في فضائل العشرة (قال) أخبرنى هرون ابن الشيخ عمر بن الزعب وهو ثقة صدوق مشهور بالخير والصلاح والعبادة عن أبيه وكان من الرجال الكبار قال كنت مجاورا

بالمدينة وشيخ خدام النبى صلى الله عليه وسلم اذ ذاك شمس الدين صواب اللمطى وكان رجلا صالحا كثير البر بالفقراء والشفقة عليهم وكان بينى وبينه أنس فقال لى يوما أخبرك بعجيبة كان لى صاحب يجلس عند الامير ويأتينى من خبره بما تمس حاجتى اليه فبينما أنا ذات يوم اذ جاءنى فقال أمر عظيم حدث اليوم قلت وما هو قال جاء قوم من أهل حلب وبذلوا للامير بذلا كثيرا وسألوه ان يمكنهم من فتح الحجرة واخراج أبى بكر وعمر رضى الله عنهما منها فاجابهم الى ذلك قال صواب فاهتممت لذلك هما عظيما فلم أنشب أن جاء رسول الامير يدعونى اليه فاجبته فقال لى ياصواب يدق عليك الليلة أقوام المسجد فافتح لهم ومكنهم مما أرادوا ولا تعارضهم ولا تعترض عليهم قال فقلت له سمعا وطاعة قال وخرجت ولم أزل يومي أجمع خلف الحجرة أبكى لا ترقألى دمعة ولا يشعر أحد مابى حتى اذا كان الليل وصلينا العشاء الآخرة وخرج الناس من المسجد وغلقنا الابواب فلم ننشب أن دق الباب الذى حذاء باب الامير اى باب السلام فان الامير كان سكنه حينئذ بالحصن العتيق (قال) ففتحت الباب فدخل أربعون رجلا أعدهم واحدا بعد واحد ومعهم المساحى والمكاتل والشموع وآلات الهدم والحفر (قال) وقصدوا الحجرة الشريفة فوالله ماوصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الارض جميعهم بجميع ما كان معهم من الآلات ولم يبق لهم أثر (قال) فاستبطأ الامير خبرهم فدعانى وقال ياصواب ألم يأتك القوم قلت بلى ولكن اتفق لهم ماهو كيت وكيت قال انظر ما تقول قلت هو ذلك وقم فانظر هل ترى منهم باقية أو لهم أثر فقال هذا موضع هذا الحديث وان ظهر منك كان بقطع رأسك ثم خرجت عنه (قال) المحب الطبرى فلما وعيت هذه الحكاية عن هرون حكيتها لجماعة من الاصحاب فيهم من أثق بحديثه فقال وأنا كنت حاضرا فى بعض الايام عند الشيخ أبى عبد الله القرطبى بالمدينة والشيخ شمس الدين صواب يحكى له هذه الحكاية سمعتها باذنى من فيه انتهى ماذكره الطبرى (قلت) وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن أبى عبد الله بن أبى محمد المرجانى هذه الواقعة باختصار في تاريخ المدينة له وقال سمعتها من والدى يعنى الامام الجليل أبا عبد الله المرجانى قال وقال لى سمعتها من والدى أبى محمد المرجانى سمعها من خادم الحجرة (قال) أبو عبد الله المرجانى ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة الشريفة وذكر نحو ماتقدم الا أنه قال فدخل

خمسة عشر أو قال عشرون رجلا بالمساحى والقفاف فما مشوا غير خطوة أو خطوتين وابتلعتهم الارض ولم يسم الخادم والله أعلم

﴿ الفصل الثلاثون ﴾ في تحصيب المسجد الشريف وذكر البزاق فيه وتخليقه واجماره وذكر شئ من أحكامه *

(روى) أبو داود في سننه عن أبي الوليد قال سألت ابن عمر عن الحصباء الذى في المسجد فقال مطرنا ذات ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتى بالحصباء في ثوبه ويبسطه تحته فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ماأحسن هذا وهو صريح فى جعل الحصباء فى المسجد فى زمنه صلى الله عليه وسلم (ويؤيده) ما رواه أصحاب السنن من حديث أبي ذر اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يمسح الحصباء (وكذا) ما رواه أحمد من حديث حذيفة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل شئ حتى عن مسح الحصي فقال واحدة أودع (وكذا) ما رواه أبو داود باسناد جيد عن أبى هريرة قال أبو بدر أراه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحصاة تناشدالذى يخرجها من المسجد لكن قد سئل الدارقطنى عن هذا الحديث فذكر انه روى موقوفا على أبى هريرة وقال رفعه وهم من أبي بدر (وروى) يحيي عن بعض السلف انه كان اذا خرج بالحصاة من المسجد فى ثوبه أونعله أمربردها الى المسجد (وروى) ابن شبة عن سليمان بن يسار قال الحصاة اذا أخرجت من المسجد تصيح حتي ترد الى موضعها (وذكر) البرهان بن فرحون ان مالكا سئل عن الرجل يخرج من المسجد فيجد شيئاً من حصى المسجد قد تعلق بوجهه أيلزمه رده الى المسجد فقال لايلزمه ذلك وأرخص له في طرحه فقال السائل ياأبا عبد الله انهم يقولون اذا أخرجت الحصاة من المسجد تصيح حتى ترد الى المسجد فقال له مالك دعها تصيح حتى ينشق حلقها فقال أولها حلق قال فمن أين تصيح (وروى) ابن شبة عن ابن عباس انه قال لنفيع في الحصاة ردها والا خاصمتك يوم القيامة (وحكى) الاقشهرى عن شيخ الخدام ظهير الدين بن عبد الله الاشرفي قال أتانى عام خمسة عشر وسبعمائة رجل من الشام فى موسم الحاج وقال كنت حججت عام أول وحملت شيئاً من تراب المسجد وحصبائه فلم أزل أراه في المنام يقول لى ردنى الى موضعي عذبتنى عذبك الله فها أنا

أتيت به قال فاخرج صرة فيها ماذكره فصببناها في المسجد انتهى (والذى) يقتضيه كلام المؤرخين ان تحصيب المسجد انما حدث فى زمان عمر بن الخطاب (فقد) روى يحيي بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الازهرى قال قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم ماندرى ما نفرش فى مسجدنا فقيل له افرش الخصف والحصر قال هذا الوادى المبارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العقيق واد مبارك قال فحصبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (وروى) ابن زبالة عن عبيد الله ابن عمر قال قدم سفيان بن عبد الله الثقفى علي عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم غير محصب فقال أما لكم واد فقال عمر بلى قال فاحصبوه منه فقال عمر احصبوه من هذا الوادى المبارك يعنى العقيق (قال) المطرى رمل المسجد الشريف أى الذى يحصب به يحمل من وادى العقيق من العرصة التي تسيل من الجماء الشمالية الى الوادى وليس بالوادى رمل أحمر غير مايسيل من الجماء وهو رمل أحمر يغربل ثم يفرش في المسجد انتهى (وروى) ابن زبالة من طريق الضحاك بن بشر بن سعيد أوسليمان بن يسار شك الضحاك انه حدث أن المسجد كان يرش فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر وعامة زمان عمر وكان الناس يتنخمون فيه ويبصقون حتى عاد زلقا حتى قدم ابن مسعود الثقفى فقال لعمر أليس قربكم واد قال بلى قال فمر بحصباء تطرح فيه فهو أكف للمخاط والنخامة فأمر عمر بها وهذه الرواية مع ضعفها قداشتملت على انهم كانوا يبصقون فى المسجد (وفي) الصحيحين عن أنس مرفوعا البزق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها (وقد) رواه ابن زبالة وروى أيضا عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في المسجد فقال من فعل هذا جاء يوم القيامة وهى فى وجهه (وعن) عبد الله بن قسيط مرفوعا لايبصق فى مسجدى هذا (وحديث) ابن عمر رواه البزار وابن خزيمة في صحيحه وروى أحمد عن أبي أمامة انه صلى الله عليه وسلم قال البصاق في المسجد سيئة ودفنه حسنة (وروى) ابن شبة بمعناه (وروى) أيضا عن أبى هريرة قال ان المسجد لينزوى من النخامة كما ينزوى الجلد من النار ولهذا جزم النووى فى التحقيق وشرح المهذب بتحريمه * ووقع في عبارة بعض أصحابنا التعبير بالكراهة وحملها بعضهم على كراهة التحريم وقال بعض العلماء انما يكون البزاق في المسجد خطيئة

لمن لم يدفنه لانه يقذر المسجد ويتأذى به (قال) القرطبي ويدل على صحة هذا التأويل حديث أبي ذر الذي رواه مسلم وغيره ووجدت في مساوي أعمالها أي الأمة النخامة تكون في المسجد لا تدفن فلم يثبت لها حكم السيئة بمجرد ايقاعها في المسجد بل بذلك وبقائها غير مدفونة (قلت) الرواية الأولى نصت أن الفعل خطيئة وان الدفن يكفرها كما يكفر الحد معصية الزنى فلتحمل الرواية الأخرى عليها لأن الاخبار فيها عما استقر عليه الأمر لكن روى ابن شبة من طريق الفرج بن فضالة عن أبي سعيد قال رأيت واثلة بن الأسقع دخل مسجد دمشق فصلي فيه فبزق تحت رجله اليسرى ثم عركها فلما انصرفت قلت له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تبزق في المسجد فقال هكذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم صنع (ورواه) أبو داود من الطريق المذكورة بنحوه وفرج بن فضالة ضعفه الدار قطني وغيره وقواه أحمد وقتصر الحافظ بن حجر في التقريب على تضعيفه (وروي) ابن شبة أيضا باسناد فيه ضعف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل مسجدي هذا فبزق أو تنخم فليحفر فليبعد وليدفنه فان لم يفعل فليبزق في ثوبه حتى يخرج به وهذا لو صح كان حجة لهذا المذهب (فان قيل) يعضده حديث البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتي رؤى في وجهه فقام فحكه بيده فقال ان أحدكم اذا قام في صلاته فانه يناجي ربه أو ان ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال أو يفعل هكذا ومثله ما رواه ابن شبه باسناد جيد عن أبي نضرة ان النبي صلي الله عليه وسلم رأى نخامة في قبلة المسجد فغضب غضبا شديدا حتى كاد يدعو على صاحبها ثم قال لا يبزق أحدكم في قبلته فان ربه مستقبله ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى فان كان على يساره أحد فليبزق في ثوبه وفي رواية فان كان عن يساره أحد يكره ان يبزق نحوه فليبزق في ثوبه وبزق النبي صلي الله عليه وسلم في ثوبه وحك بعضه ببعض فاقتضي ذلك جواز البصق في المسجد فيما عدا القبلة واليمين حالة الصلاة وهو مقيد بالدفن لما سبق (قلت) مساق الحديث لبيان أدب المصلى في كيفية البصق من غير تعرض لكونه في مسجد والبصاق في المسجد قد بينه منطوق الحديث السابق فلا يترك

بهذا وأفاد القفال في فتاويه وقد ذكر حديث النخامة في المسجد فائدة حسنة فقال هذا الخبر محمول على ما اذا نزلت النخامة من الرأس أما اذا كانت من الصدر فهي نجسة فلا يجوز دفنها في المسجد (وروي) أبو داود من حديث ابن عمر قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوما اذ رأى نخامة في قبلة المسجد فتغيظ على الناس ثم حكها وأحسبه قال فدعا بزعفران فلطخه به وقال ان الله قبل وجه أحدكم فلا يبزقن بين يديه (وروي) ابن شبة عن شيخه خلاد بن يزيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة ذات يوم فرأى في قبلة المسجد نخامة فلما قضى صلاته أخذ عودا فحكها ثم دعا بخلوق فخلق مكانها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس اذا صلى أحدكم فلا يتفل امامه ولا عن يمينه فانه يستقبل الرب عز وجل بوجهه (وروى) ابن شبة أيضا بسند جيد لي أبي الوليد قال قلت لابن عمر ما بدء الزعفران يعني في المسجد فقال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة في المسجد فقال ما أقبح هذا من فعل هذا فجاء صاحبها فحكها وطلاها بزعفران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أحسن من ذلك (ورواه) يحيى بلفظ قلت لابن عمر يا أبا عبد الرحمن ألا تخبرني ما كان بدء هذه الصفرة التي في قبلة المسجد قال نعم صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا انصرف رأى نخامة في القبلة وذكره وقال فسارع الناس اليه فكان هذا بدأه (وروى) النسائي وابن ماجه عن أنس قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة في قبلة المسجد فغضب حتي احمر وجهه فقامت امرأة من الانصار فحكتها فجعلت مكانها خلوقا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أحسن هذا (وروى) ابن شبة أيضا بسند جيد عن أبي نضرة أن ذلك الذي بزق في قبلته جاء بشيء من زعفران فطلى ذلك المكان فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (وروى) أيضا بسند لا بأس به قال ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط المسجد بزاقا فحكه على خرقة وأخرجه من المسجد فجعل مكانه شيأ من طيب أو زعفران أو ورس (وعن) ابراهيم بن قدامة عن أبيه ان عثمان بن مظعون تفل في القبلة فأصبح مكتئبا فقالت له امرأته مالى أراك مكتئبا قال لا شيء الا أني تفلت في القبلة وأنا أصلى فعمدت الى القبلة فغسلتها ثم عملت خلوقا فخلقتها فكانت أول من خلق القبلة (وروى) أيضا برجال ثقات عن جابر عن عبد

قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجدنا هذا وفي يده عرجون ابن طاب فرأى في قبلة مسجدنا نخامة فحكها بالعرجون ثم أقبل علينا فقال أيكم يحب ان يعرض الله عنه قلنا لا يا رسول الله قال فان أحدكم اذا قام يصلي فان الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق قبل يساره تحت رجله اليسرى فان عجلت به بادرة فليقل هكذا بثوبه ثم طوى بعضه على بعض أروني عبيرا فقام فتى من الحي يشتد الى أهله فجاء بخلوق في راحته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة قال جابر رضي الله عنه فمن هنالك جعلتم الخلوق في مساجدكم (وقد) رواه أبو داود بنحوه . وجابر هو من بني خزام بطن من بني سلمة ومسجدهم كان بمنازلهم التي في غربي بطحان ومساجد الفتح وليس هو مسجد القبلتين كما وقع للمطرى وجماعة حتى جعلوا أمر الخلوق له لما سنبينه (وسيأتي) ما رواه ابن زبالة من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني حرام بالقاع وانه رأى في قبلته نخامة وكان لايفارقه عرجون ابن طاب يتخصر به وذكر الحديث الآتي وفيه فكان أول مسجد خلق (وروى) أبو داود وابن حبان في صحيحه عن أبي سهلة السائب بن خلاد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أم قوما فبصق في القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ لا يصلي لكم فأراد بعد ذلك ان يصلي لهم فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وحسبت انه قال انك آذيت الله ورسوله (وفي) رواية أوردها المجد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى النخامة في المحراب قال من امام هذا المسجد قالوا فلان قال قد عزلته فقالت امرأته لم عزلك النبي صلى الله عليه وسلم من الامامة فقال رأى نخامة في المحراب فعمدت الى خلوق طيب فخلقت به المحراب فاجتاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا فقالوا امرأة الامام قال وهبت ذنبه لامرأته ورددته الى امامته ﴿قلت﴾ واختلاف هذه الروايات صريح في أنها وقائع متعددة فلا تعارض فيها نعم هي متضمنة للرد على مارواه ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال كان أول من خلق المسجد ورزق المؤذنين عثمان رضي الله عنه وتقدم في الفصل الرابع من رواية يحيى عن جابر بنحوه الا أن يحمل على ان المراد انه اتخذ له الخلوق من بيت المال

(ونقل) ابن زبالة عن ابن عجلان ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله على المدينة أن لا يخلق الا القبلة وان يغسل الاساطين قال فلم تكن الاساطين تخلق في سلطانه (وقدمت) الخيزران أم موسى في سنة سبعين ومائة فأمرت بالمسجد فخلق وولي ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها فقام اليها ابراهيم بن الفضل بن عبد الله مولى هشام بن اسماعيل فقال هل لكم أن تسبقوا من بعدكم وأن تفعلوا مالم يفعل من كان قبلكم قالت له مؤنسة وما ذاك قال تخلقون المنبر كله ففعلوا وانما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل وأشار عليهم فزادوا في خلوق اسطوان التوبة والاسطوان التي هي علم عند مصلى النبي صلى الله عليه وسلم فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما وزادوا في الخلوق في أعلاهما (وروى) بعضهم عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي» الآية قال طهرا بيتي نظفاه وبخراه وخلقاه (وروى) يحيى من طريق ابن زبالة وغيرها عن علي بن حسن بن حسن بن حسن وكان من خيار الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر باجمار المسجد قال ولا اعلمه الا قال يوم الجمعة (وروى) ابن ماجه عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع (وروى) أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب (وروى) يحيى من طريق محمد بن يحيى عن محمد بن اسماعيل عن أبيه انه قدم على عمر بن الخطاب بسفط من عود فلم يسع الناس فقال عمر اجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون فبقيت سنة في الخلفاء الى اليوم يؤتى كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند المنبر من خلفه اذا كان الامام يخطب (وعن) سعد القرظ قال قدم على عمر بعود فقسمه بين المهاجرين ثم قسم للمسجد حظا فكان يجمره في الجمع فجرى ذلك الى اليوم وولاه سعد القرظ فكان الذي يجمر وقد تقدم من رواية يحيى أيضا في الكلام على حكم قناديل الحجرة ان عمر أتي بمجمرة من فضة وانه دفعها الى سعد جد المؤذنين وقال أجمر بها في الجمعة وشهر رمضان وكان سعد يجمر بها في الجمعة وكانت توضع بين يدي عمر ابن الخطاب (وروى) ابن زبالة عن نعيم المجمر عن أبيه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال له تحب أن نطوف على الناس بالمجمرة تجمرهم فقال نعم فكان عمر يجمرهم يوم الجمعة
(وفى) مسند أبى يعلى الموصلى عن ابن عمر أن عمر كان يجمر مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل جمعة قال أصحابنا ويستحب فرش المسجد (وقد) ترجم البخارى للصلاة
على الخمرة وروى عن ميمونة أنها كانت تصلى عليها وقال ابن زيد الخمرة هى السجادة
(وقال) الطبرى هى مصلى صغير ينسج من سعف النخل ويرمل بالخيوط وقال البخارى
فى صحيحه وصلى أنس على فراشه وقال كنا نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فيسجد
أحدنا على ثوبه (وقال) يحيى حدثنا أبو مصعب قال حدثنا مالك عن عمه أبى سهيل
ابن مالك عن أبيه ان طنفسة لعقيل بن أبي طالب كانت تطرح يوم الجمعة الى جدار
المسجد الغربى فاذا غشى الطنفسة كلها ظل الجدار خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال ثم يرجع بعد صلاة الجمعة فنقيل قائلة الضحى ورواه ابن زبالة أيضا (وروى) يحيى
عن عطاء بن أبى رباح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفقدوا نعالكم عند أبواب
مساجدكم (وعن) موسى بن يعقوب ان النبي صلى الله عليه وسلم اتبع غبار المسجد
بجريدة (ورواه) ابن أبى شيبة عن يعقوب بن زيد ولفظه ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان يتبع غبار المسجد بجريدة (وقد) ذكرنا فى آخر الكلام على فضل المسجد شيئا
مما جاء فى النهى عن قربان المسجد لمن أكل الثوم أو البصل (وذكرنا) فى زيادة عمر
رضى الله عنه فى الكلام على البطيحاء ماجاء فى النهى عن رفع الصوت فيه وما يتعلق
بانشاد الشعر فيه (وذكرنا) فى زيادة الوليد مايتعلق بالصلاة على الجنائز فيه (وروى) ابن
شيبة عن شيبة بن قصاح مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم قملة
فى ثوبه وهو فى المسجد فليحفرلها فليدفنها وليبصق عليها فان ذلك كفارتها (ورواه) ابن
زبالة ثم روى عن محمد بن المنكدر قال أخبرنى من رأى أباهريرة يدفن قملة في المسجد
(وروى) يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت عبيد بن عمير أخذ من ثوب ابن عمر
قملة ندفنها في المسجد (وعن) أبى بكر بن المنكدر قال رأيت عمى محمد بن المنكدر
يأخذ القملة وهو فى المسجد فيقتلها فى المسجد فيبزق عليها (وعن) جعفر بن محمد قال
لابأس بأن يدفن القملة فى المسجد ﴿قلت﴾ وهذه الاشياء لاتقوم الحجة بها (وقد) روى
أحمد فى مسنده عن أيوب قال وجد رجل فى ثوبه قملة فأخذها ليطرحها في المسجد فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفعل ردها في ثوبك حتى تخرج من المسجد (وروى)
ابن أبى شيبة بسند جيد عن يحيى بن أبى كثير اليماني عن الحضرمى أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال اذا أبصر أحدكم القملة وهو يصلى فى المسجد فيصرها فى ثوبه ولا يقتلها في المسجد
(وروى) يحيى عن ابن عمر قال اذا وجد أحدكم القملة فى ثوبه وهو في المسجد فليجعلها
فى ثوبه حتى يخرج بها (قال) النووى فان قتلها لم يجز القاؤها في المسجد لانها ميتة
وكره مالك قتلها في المسجد (ونقل) ابن عماد عن كتب المالكية أنه يحرم طرح القمل
حيا بخلاف البرغوث لان البرغوث يعيش بأكل التراب بخلاف القمل ففى طرحه تعذيبه
بالجوع انتهى (وقد) صحت الاحاديث في النهى عن البيع والشراء وانشاد الضالة في المسجد
(وروى) ابن أبى عدى الحافظ من حديث على بن أبى طالب قال صليت العصر مع
عثمان أمير المؤمنين فرأى خياطا في ناحية المسجد فأمر باخراجه فقيل له ياأمير المؤمنين
انه يكنس المسجد ويغلق الابواب ويرش أحيانا فقال عثمان انى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول جنبوا صناعكم من مساجدكم ﴿قلت﴾ ومن المنكرات في زماننا
مايتساهل فيه المتكلمون في أمر العمارة من استعمال النشارين والنجارين والحجارين
بالمسجد النبوى للعمل في آلاته واكتساب أولئك العمال بذلك مع مايتولد من ذلك من
الدق العنيف وتشعيث المسجد بما ينتشر من النشارة والنجارة وغير ذلك مع امكان
عمل ذلك خارج المسجد الشريف والاتيان به مهيأ. وقد قدمنا أن عائشة رضى الله عنها
كانت تسمع الوتد أو المسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لاتؤذوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأن) عليا ما عمل مصراعى داره الا بالمناصع توقيا لذلك (وفي)
خبر رواه المقدسى فى مثير الغرام عن كعب الاحبار أن سليمان عليه السلام قال للعفريت
الذى أحضره لقطع الرخام لعمارة بيت المقدس هل عندك من حيلة أقطع بها الصخر
فانى أكره صوت الحديد في مسجدنا هذا والذى أمرنا الله به من ذلك هو الوقار والسكينة
فقال ابغنى وكر عقاب فانى لاأعلم فى السماء طيرا أشد منه ولا أكثر حيلة فوجدوا
وكر عقاب فغطى عليه ترسا غليظا من حديد فجاء العقاب فلم يقدر عليه فحلق في السماء
متطلعا فلبث يومه وليلته ثم أقبل ومعه قطعة من السامور فتفرقت له الشياطين حتى أخذوه
منه فأتوا به سليمان عليه السلام فكان يقطع به الصخر انتهى (وكذلك) دخالهم البناء

والحمير الحاملة لتلك الآلات مع امكان حمل الرجال لها من باب المسجد والله الموفق (واذ) سمع شخص من ينشد ضالة في المسجد فيقل له أيها الناشد غيرك الواجد وما أشبه مما ورد الا أن يسأل لانسان جلساءه فليس لذلك بأس ولا يبلغ بذلك الصوت كما نقله ابن زبالة عن مالك ومن باع فيه قيل له لا ربح الله تجارته كما ورد مرفوعا (قال) الزين المراغي والقياس أن يقال للسائل فيه لافتح الله عليه كما قاله بعض شيوخنا . وفي العتبية ان مالكا كره المراوح فى المسجد ويجوزه النوم فيه من غير كراهة عندنا وكرهه بعضهم لغير الغريب الذى لاموضع له غيره وروى في ذلك أحاديث (وأسند) أحمد بن يحيى البلاذرى عن أبى سعيد مولي أبى أسيد قال كان عمر بن الخطاب يعس فى المسجد بعد العشاء فلا يرى أحدا الاأخرجه الا رجلا قائما يصلى فمر بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أبيّ بن كعب فقال من هؤلاء فقال أبي نفر من أهلك ياأمير المؤمنين قال ماخلفكم بعد الصلاة قالوا جلسنا نذكر الله فجلس معهم ثم قال لأدناهم خذ فى الدعاء فدعا فاستقرأهم رجلا رجلا حتى انتهى اليّ وأنا بجنبه فقال هات فحصرت وأخذني الخجل فقال قل ولوان تقول اللهم اغفر لنا اللهم ارحمنا ثم أخذ عمر في الدعاء فما كان أحد أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه ثم قال تفرقوا الآن انتهى (ولا) يحرم اخراج الريح من الدبر فى المسجد لكن الاولى اجتنابه لقوله صلى الله عليه وسلم فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (قال) الزركشي وقال بعض المتكلمين على الحديث من القدماء الحدث في المسجد خطيئة يحرم بها المحدث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته (وروى) ابن عدى في الكامل من طريق حمزة بن أبى حمزة الضبي عن أبى الزبير عن جابر قال ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يمر باللحم فى المسجد قال ابن عدى وهذا منكر بهذا الاسناد لايرويه عن أبى الزبير غير حمزة وحمزة يضع الحديث ﴿قلت﴾ وقد روى ابن شبة نحوه غير انه منقطع الاسناد ويغني عنه ماورد من النهى عن اتخاذ المسجد طريقا والله أعلم (وقال) مالك لم تكن القراءة فى المصحف بالمسجد من أمر الناس القديم وأول من أحدثه الحجاج بن يوسف (وقال) أيضا أكره أن يقرأ في المصحف فى المسجد وأرى أن يقاموا من المساجد اذا اجتمعوا للقراءة ﴿قلت﴾ الذى عليه السلف والخلف استحباب ذلك وفي الصحيح انما بنيت يعني المساجد لذكر الله والصلاة وقراءة

القرآن وهو عام فى المصاحف وغيرها (وقد) روى ابن شبة عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال ان أول من جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم وضعه فى المسجد فأمر به يقرأ كل غداة (وعن) محرز بن ثابت مولى مسلمة بن عبدالملك عن أبيه قال كنت في حرس الحجاج بن يوسف فكتب الحجاج المصاحف ثم بعث بها الى الامصار وبعث بمصحف الى المدينة فكره ذلك آل عثمان فقيل لهم أخرجوا مصحف عثمان يقرأ فقالوا أصيب المصحف يوم مقتل عثمان (قال) محرز وبلغنى أن مصحف عثمان صار الى خالد بن عمرو بن عثمان قال فلما استخلف المهدى بعث بمصحف الى المدينة فهو الذى يقرأ فيه اليوم وعزل مصحف الحجاج فهو في الصندوق الذى دون المنبر انتهى (وقال) ابن زبالة حدثنى مالك بن أنس قال أرسل الحجاج بن يوسف الى أمهات القرى بمصاحف فأرسل الى المدينة بمصحف منها كبير وهو أول من أرسل بالمصاحف الى القرى وكان هذا المصحف في صندوق عن يمين الاسطوانة التى عملت علما لمقام النبى صلى الله عليه وسلم وكان يفتح في يوم الجمعة والخميس ويقرأ فيه اذا صليت الصبح فبعث المهدى بمصاحف لها أثمان فجعلت في صندوق ونحى عنها مصحف الحجاج فوضعت عن يسار السارية ووضعت منابر لها كانت تقرأ عليها وحمل مصحف الحجاج في صندوقه فجعل عند الاسطوانة التى عن يمين المنبر انتهى ﴿قلت﴾ ولا ذكر لهذا المصحف الموجود اليوم بالقبة التى بوسط المسجد المنسوب لعثمان رضى الله تعالى عنه فى كلام أحد من متقدمي المؤرخين بل فيما قدمناه مايقتضى انه لم يكن بالمسجد حينئذ بل ولا ذكر له في كلام ابن النجار وهو أول من أرخ من المتأخرين وقد ترجم لذكر المصاحف التى كانت في المسجد ثم ذكر ماقدمناه عن ابن زبالة ثم قال وأكثر ذلك دثر على طول الزمان وتفرقت أوراقه قال وهو مجموع في يومنا هذا فى جلال في المقصورة أى المحترقة الى جانب باب مروان (ثم) ذكر أن بالمسجد عدة مصاحف بخطوط ملاح موقوفة مخزونة في خزائن ساج بين يدى المقصورة خلف مقام النبى صلى الله عليه وسلم (قال) وهناك كرسى كبير فيه مصحف مقفل عليه نفذ به من مصر وهو عند الاسطوانة التي في صف مقام النبي صلى الله عليه وسلم والى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأ الناس فيهما وليس في المسجد ظاهر سواهما انتهى ولم أر نسبة المصحف

الموجود اليوم لعثمان رضى الله عنه الا فى كلام المطرى ومن بعده عند ذكر سلامة القبة التى بوسط المسجد من الحريق كما قدمناه (نعم) ذكر ابن جبير في رحلته ما حاصله ان أمام مقام النبى صلى الله عليه وسلم وقد عبر عنه بالروضة الصغيرة صندوقا وان بين المقام و بين الحجرة أي بجانب المقام من جهة المشرق محمل كبير عليه مصحف كبير فى غشاء مقفل عليه هو أحد المصاحف الاربعة التى وجه بها عثمان بن عفان رضى الله عنه الى البلاد انتهى (وهذا) المصحف الذى أشار اليه ينطبق في الوصف على المصحف الذى ذكر ابن النجار أنه نفذ به من مصر ولم يصفه بما ذكره ابن جبير من نسبته لعثمان مع أن ابن جبير مصرح بأنه من المصاحف التي بعث بها عثمان الى الآفاق لا أنه الذى قتل وهو فى حجره وقد قال ابن قتيبة كان مصحف عثمان الذى قتل وهو فى حجره عند ابنه خالد ثم صار مع أولاده وقد درجوا (قال) وقال لى بعض مشايخ أهل الشام انه بارض طوس انتهى (وقال) الشاطبي ما حاصله ان مالكا رحمه الله قال انما يكتب المصحف على الكتابة الاولى لا على ما استحدثه الناس (قال) وقال ان مصحف عثمان رضى الله عنه تغيب فلم نجد له خبرا بين الاشياخ (وقال) أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه في القرا آت رأيت المصحف الذى يقال له الامام مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه استخرج لى من بعض خزائن الامراء وهو المصحف الذى كان فى حجره حين أصيب ورأيت آثار دمه في مواضع منه (ورده) أبو جعفر النحاس بما تقدم من كلام مالك (قال) الشاطبى وأباه المنصفون لانه ليس فى قول مالك تغيب مايدل على عدم المصحف بالكلية بحيث لا يوجد لان ما تغيب يرجي ظهوره ٭(قلت)٭ فيحتمل أنه بعد ظهوره نقل الى المدينة وجعل بالمسجد النبوى . لكن يوهن هذا الاحتمال ان بالقاهرة مصحفا عليه أثر الدم عند قوله تعالى فسيكفيكهم الله الاية كما هو بالمصحف الشريف الموجود اليوم بالمدينة ويذكرون انه المصحف العثمانى وكذلك بمكة والمصحف الامام الذى قتل عثمان رضى الله عنه وهو بين يديه لم يكن الا واحدا ٭ والذى يظهر ان بعضهم وضع خلوقا على تلك الآية تشبيها بالمصحف الامام ولعل هذه المصاحف التي قدمنا ذكرها مما بعث به عثمان رضي الله عنه الى الآفاق كما هو مقتضى كلام ابن جبير فى المصحف الموجود بالمدينة (وفى) الصحيح من حديث أنس فى قصة كتابة عثمان رضى الله

عنه للقرآن من الصحف التى كانت عند حفصة وانه أمر بذلك زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وانه أرسل الى كل أفق بمصحف كما نسخوا (واختلف) في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان لى الآفاق فالمشهور كما قال الحافظ ابن حجر أنها خمسة (وأخرج) ابن أبى داود في كتاب المصاحف من طريق حمزة الزيات قال أرسل عثمان أربعة مصاحف و بعث منها الى الكوفة بمصحف فوقع عند رجل من مراد فبقي حتى كتبت مصحفى عليه (قال) ابن أبى داود وسمعت أبا حاتم السجستانى يقول كتب سبعة مصاحف الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا انتهى وليس معنا فى أمر المصحف الموجود اليوم سوى مجرد احتمال والله أعلم (ويستحب) تعليق المصابيح في المسجد وقد قدمنا ما يقتضى أن تميما الدارى أول من فعل ذلك فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (وقيل) أول من فعله عمر بن الخطاب لما جمع الناس في التراويح على امام واحد (وروى) ابن زبالة عن يوسف بن مسلم قال كان زيت قناديل المسجد يحمل من الشام حتى انقطع ذلك في ولاية جعفر بن سليمان الاخيرة على المدينة فجعله على سوق المدينة (قال) ثم لما طرح ما يؤخذ من العنب عن الناس فى ولاية داود بن عيسى على المدينة سنة ثمان وتسعين ومائة أخرج من بيت المال (قال) ولم يزل رزق صاحب زيت المسجد ثلاثة دنانير تجرى عليه في كل شهر من بيت المال وعليه فيها ما انكسر من القناديل انتهى (وقال) ابن النجار وفي يومنا هذا يصل الزيت من مصر من وقوف هناك ومقداره سبعة وعشرون قنطارا بالمصرى ويصل معه مائة وستون شمعة بين كبار وصغار وعلبة فيها مائة مثقال ندّ لتجمير المسجد انتهى ٭(قلت)٭ وفى زماننا يحمل له من الزيت من مصر والشام زيادة على مائة قنطار بعضها من أوقاف تحت نظر قاضي الشافعية بمصر و بعضها تحت نظر الامام بمصر والله أعلم

٭﴿ الفصل الحادى والثلاثون ﴾٭ فيما احتوى عليه المسجد من الاروقة والاساطين والبالوعات والسقايات والدروع وغير ذلك مما يتعلق به من الرسوم)٭

(قال) ابن جبير ان المسجد النبوى مستطيل تحفه من جهاته الاربع بلاطات مستديرة به و وسطه كله صحن فجهة القبلة منها يعنى المسقف القبلى خمس بلاطات يعنى أروقة وقد

قدمنا أنه زيد فيه رواقان آخران فصار سبعة أروقة آخذة من المشرق الى المغرب قال والجهة الشامية خمسة أروقة أيضا *(قلت)* وهذا موافق لما قدمناه فى زيادة المهدى عن ابن زبالة من أنه جعل خمس أساطين فى السقائف الشامية وقدمنا أن الموجود به اليوم أربع فقط وذلك أربعة أروقة فكأنه لما زيد بعد الحريق الاول الرواقان فى مسقف القبلة اختصروا رواقا من المسقف الشامي فأدخلوه في صحن المسجد ولم أر من نبه على ذلك من المؤرخين وهذا المسقف هو المسمى اليوم بالدكاك لارتفاعه على بقية أرض المسجد ولم أعلم وقت حدوث ذلك ولم يتعرض ابن جبير لذكر ارتفاعه مع ذكره لما دون ذلك وقد كانت رحلته قبل حريق المسجد الاول فلعل ذلك مما حدث بعده كما حدثت الدكتان اللتان بجنبتى المسجد فى الحريق الثانى كما سبق (وحدث) في زماننا قبيل ذلك عند طرف الدكاك القبلى مما يلى المغرب دكة بارزة هناك وهى الدكة التى وضع بها ماأخرج من جوف الحجرة الشريفة من الهدم في العمارة التى أدركناها (وفي) كلام ابن زبالة مايؤخذ منه تسمية المسقف الشامى بسقائف النساء (قال) ابن جبير والجهة الشرقية ثلاثة أروقة آخذة من القبلة الى الشام والجهة الغربية أربعة كذلك هذا ما ذكره ابن جبير الا أنه عبر فى الجميع بالبلاطات بدل الاروقة وكذا صنع ابن عبدربه فى العقد وهو مطابق لما عليه المسجد اليوم الا ماأشرنا اليه فى المسقف القبلى والشامي (قال) ابن جبير ونصف جدار القبلة الاسفل رخام موضوع ازارا على ازار أى وزرة فوق أخرى مختلف الصنعة واللون مجزع أبدع تجزيع والنصف الاعلى من الجدار منزل كله بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء قد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات مائلة الاغصان بثمرها والمسجد كله على تلك الصنعة لكن الصنعة فى جدار القبلة أحفل والجدار الناظر الى الصحن من جهة القبلة كذلك ومن جهة الشام أيضا والغربى والشرقي الناظران الى الصحن مجددان أيضا ومقرنصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الاصبغة الى مايطول وصفه انتهى (ووصف) ابن عبد ربه في العقد مافى جدار القبلة من وزرات الرخام وطرر الذهب والفسيفساء (ثم) قال وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها (وذكر) أيضا أن رؤس الاساطين مذهبة عليها أكف منقشة مذهبة وكذلك أعتاب الابواب مذهبة

أيضا *(قلت)* وقد زال ذلك كله بسبب الحريق الاول وبقى من آثاره شئ يسير في مؤخر المسقف الغربى بجدار المسجد مما يلى الدكاك وشئ يسير بالمأذنة الغربية الشمالية مما يلى بابها فيه شئ من الفسيفساء (وأما) جدار القبلة فليس به اليوم الالوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف وهو من الآثار القديمة وكان يقابله في جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريبا ثم زال ذلك كله فى الحريق الثانى (وبالجدار) المذكور اليوم وزرة رخام أول من أحدثها بعد الحريق الاول الظاهر جقمق كما قدمناه مع بيان أن المحراب العثمانى وما حوله كان مرخما قبل ذلك وبقية المسجد مبيض أحسن بياض (وفى) جدار القبلة عصابتان من طراز تقدم ذكرهما أيضا وكان قد انقشر من العليا منهما شئ يسير فقلع متولى العمارة التى أدركناها ذلك وماحوله وجعله طرازا باسم سلطاننا الاشرف قايتباى أعز الله أنصاره ووصله ببقية العصابة المذكورة (وتقدم) أيضا ذكر الطراز الآخر من جهة السقف الى قرب العصابة المذكورة وبيان أن الذى ترجح عندى أنه جعل لتمييز المسجد النبوى عما زيد فيه وقد زال ذلك كله بعد الحريق الثانى وأعادوا منه ترخيم جدار القبلة كما سبق *(وأما)* عدد الاساطين فذكر ابن زبالة أنها مائتان وستة وتسعون اسطوانا منها فى جدار القبر الشريف ستة (وذكر) ابن النجار أيضا مايؤخذ منه ذلك (وقال) ابن جبير عدتها مائتان وتسعون اسطوانا ولامخالفة بينهما لان ابن جبير لم يعتبر الاساطين الست التى في جدار القبر الشريف وليس فيه خلل الا باسطوان واحد لان الذى اقتضاه تحريرنا أن جملة الاساطين التى كانت في ذلك الزمان بما فى جدار القبر مائتان وخمسة وتسعون اسطوانا لان المسقف الغربي أربعة صفوف فاذا اعتبرتها من الجدار القبلى الى الجدار الشامى كان كل صف ثمانية وعشرين اسطوانا فجملة هذا المسقف مائة اسطوان واثنا عشر اسطوانا والمسقف الشرقي ثلاثة صفوف كل صف منها ثمانية وعشرون أيضا الا الصف الاوسط فانه ينقص اسطوانا كما ظهر لنا عند انكشاف الحجرة لان الاسطوانة الملصقة الى جدار الحجرة الشامى الذى فى جوف الجدار الظاهر التى تقدم أن متولى العمارة أدخلها فى عرض ذلك الجدار فى الصف المذكور انما يقابلها فيه الاسطوان الداخل بعضها في الجدار الظاهر من جهة القبلة وكان مقتضى وضع الاساطين في مقابلة بعضها بعضا من كل جانب أن تكون بينها اسطوانة أخرى فى موازاة الاسطوانة التى

بين مربعة القبر واسطوان الصندوق الداخلة في الجدار الظاهر لكن لم يتأت ذلك
لكونها تكون حينئذ في جوف الحجرة الشريفة فسقط بسبب ذلك في هذا الصف
اسطوان وخفي ذلك على من لم يشاهد الحجرة الشريفة . وحينئذ فجملة أساطين المسقف
الشرقي من جدار القبلة الى الجدار الشامي ثلاثة وثمانون سطوانا والباقي بعد ذلك في
المسقف القبلي مايوازى صحن المسجد فقط وهو خمسة صفوف كل صف عشرة أساطين
فجملة ذلك خمسون اسطوانا والباقي أيضا في المسقف الشامي خمسة صفوف تقابل ذلك
وجملتها خمسون اسطوانا فجملة أساطين المسجد بما دخل في جدار القبر مائتان وخمسة
وتسعون اسطوانا بتقديم التاء وفي مؤخر المسقف الغربي اسطوانتان ملصقتان الى الجدار
الغربي لم تدخلا في هذه العقدة (وأما) عدد أساطين المسجد اليوم فقد تقدم انه زيد في
المسقف القبلي من ناحية صحن المسجد رواقان ونقص من المسقف الشامي من ناحية
الصحن رواق فيزيد على ماتقدم عشرة أساطين وذلك خارج عن الاساطين التي
أحدثت لاجل السقف البارز في رحبة المسجد أمام الباب الشامي من المقصورة المستديرة على
الحجرة الشريفة (وحدث) في العمارة المتجددة بعد الحريق اسقاط اسطوان كانت بين
الاسطوان التي اليها المصلى النبوي وبين المحراب العثماني وضم بعض أساطين أخرى الى
الاساطين التي هناك وفيما حول الحجرة الشريفة وابدال بعضها بدعائم على ما سبقت
الاشارة اليه في الفصل التاسع والعشرين مع ماحدث من التغيير في أساطين المسقف
القبلي وكانت أساطين المسجد كلها كما قال ابن جبير في وصفها أعمدة متصلة بالسمك دون
قسي ينعطف عليها فكأنها دعائم قوائم وهي من حجر منحوت قطعا ململمة منقبة بوضع
تثنى في ذكر أي بأعمدة الحديد ويفرغ بينها الرصاص الى أن يتصل عمودا قائما ويكسى
بغلالة جيار ويبالغ في صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض ٥(قلت)٥ وأراد بالقسي
ما نسميه اليوم بالقناطر المعقودة حول صحن المسجد وأما الاساطين الداخلة في الاروقة
فانها متصلة بالسقف سوى الرواقين اللذين يليان رحبة المسجد من المسقف القبلي ثم
جعل المسقف القبلي كنسبتهما بعد العمارة المتجددة بعد الحريق الثاني كما سبق (وقد)
عبر ابن النجار تبعا لمن قبله عن تلك العقود بالطاقات فقال وأما طاقاته أي المحيطة
بالصحن ففي القبلة احدى عشرة طاقة وفي الشامي مثلها وفي المشرق والمغرب أي كل جانب

منها تسع عشرة طاقة وبين كل طاق وطاق اسطوان ورأس الطاقات مسدود بشبابيك
من خشب ٥(قلت)٥ وهو موافق لكلام ابن زبالة فيما يلي المشرق والمغرب مخالف له فيما
يلي القبلة والشام فانه قال وعدد طاقاته مما يلي القبلة اثنتا عشرة طاقة ومما يلي الشام
اثنتا عشرة ومما يلي المشرق تسع عشرة ومما يلي المغرب تسع عشرة فذلك اثنتان وستون
طاقة انتهى وهذا لايتم الا على تقدير أن يكون المسقف الغربي ثلاثة أروقة فقط كالمسقف
الشرقي فتكون العقود التي تلي القبلة والشام اثنى عشر وما تقدم في عدد الاساطين ينافيه
فالصواب ماذكره ابن النجار (وعدد) قناطره المحيطة برحبته اليوم من جهة القبلة والشام
موافق لماذكره ابن النجار فانها من كل جانب احدى عشرة غير أن باب المقصورة
الشامي وما أحدث له من السقف أمامه سد واحدة من تلك القناطر القبلية (وأما) عدد
قناطره من المشرق والمغرب فقد نقصت واحدة من كل جهة لما تقدم من زيادة الرواقين
بالمسقف القبلي، ونقص رواق من المسقف الشامي فصار عدد القناطر في كل جانب منهما
ثماني عشرة قنطرة (والمسدود) اليوم بالشبابيك من روس القناطر انما هو روس القناطر
القبلية وبعض ما يليها من القناطر الشرقية ثم زال ذلك في الحريق الثاني (وقد) ذكر
ابن زبالة عن محمد بن اسماعيل قال أدركت المسجد كان يضيق عن الناس يوم الجمعة حتى
يصلي بعضهم في دار القضاء وهي يومئذ مبنية وفي دار ابن مكمل وفي دار النحامين وفي
دار عاتكة (قال) فلما قدم أبوجعفر المنصور المدينة سنة أربعين ومائة أمر بستور
فستر بها صحن المسجد على عمد لها روس كقريات الفساطيط وجعلت في الطيقان أي
القناطر المتقدم ذكرها فكانت الريح تدخل فيها فلا يزال العمود يسقط على الانسان فغيرها
وأمر بستور هي أكثف من تلك الستور وبحبال فأتى بها من جدة من حبال السفن القنبار وجعلت
على تسبيك حبالها اليوم فكانت تجعل على الناس كل جمعة فلم يزل كذلك حتى خرج
محمد بن عبد الله بن حسن يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس
وأربعين ومائة فأمر بها فقطعت درار ع لمن كان يقاتل معه فتركت حتى كان زمان هرون
أمير المؤمنين فأحدث هذه الاستار ولم يكن يعنى صحن المسجد يستر زمان بني أمية
٥(قلت)٥ وهذا شئ قد انقطع قديما لعدم الاحتياج اليه لما قل الناس بالمدينة حتى ان
كثيرا من الاروقة لايمتلئ بالناس ٥ وبالمسجد اليوم ستارة بالقرب من باب الحجرة

الشامى ترخى على مايليه من القناطر الشرقية لتقى من يجلس هناك من خدام المسجد حر الشمس (وقال) ابن زبالة ويحيى وكان ماء المطر اذا كثر في صحن المسجد يغشى السقائف التى في القبلة وكانت حصباء تلك الناحية تسيل الى صحن المسجد فجعل بين القبلة والصحن لاصقا بالسوارى حجاب من حجارة من المربعة التى في غربى المسجد الى المربعة التى في شرقيه تلى القبر فمنع الماء من الصحن ان يغشى القبلة ومن حصباء القبلة ان يصير الى الصحن (وعبارة) يحيى فأمر أبو البحترى بحجارة فجعلت رداً لذلك الماء الذى كان يدخل والحصباء التى كانت تسيل فيما بين المربعة التى كانت عند القبر والمربعة التى فى غربى المسجد وجعل ذلك لاصقا بالسوارى ٭(قلت)٭ والمراد انه جعل أحجار الحجاب المذكور فيما بين السواري التي تلى رحبة المسجد من المشرق الى المغرب وقد كانت مربعة القبر أول السوارى المذكورة من جهة المشرق لأنها في صف اسطوان الوفود كما قدمناه وذلك الصف كان آخر المسقف القبلى وكانت المربعة الغربية فى آخر السوارى المذكورة مما يلى المغرب وهى الاسطوان المثمنة اليوم التى بينها وبين ركن صحن المسجد الغربى اليوم اسطوانتان بسبب زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما في مؤخر المسقف المذكور ٭ وهذا الحجاب المذكور قد اندفن اليوم فلا يظهر منه شئ والظاهر انه كان بين السوارى المطيفة بصحن المسجد من المشرق والمغرب حجاب مثل ذلك وكانت بقاياه ظاهرة فيما يلى الدكاك من المسقفين المذكورين قبل حدوث ماسبق من الدكاك بهما والمسقف القبلى اليوم أرضه عالية على ما يليه من الصحن يسيرا فلا يغشاه مياه الامطار لكن وطأه متولى العمارة بعد الحريق الثانى حتى ساوى به أرض المصلى الشريف كما سبق فاحتاج الى عمل حجاب من الاحجار بين السوارى التى تلى رحبة المسجد من جهة القبلة وما حولها ٭(وأما)٭ عدد البالوعات بصحن المسجد فقد ذكر ابن زبالة ويحيى أن به أربعا وستين بالوعة لماء المطر عليها أرحاء لها صمائم من حجارة يدخل الماء من خلالها ٭(قلت)٭ ولا يظهر به اليوم غير بالوعة واحدة لها فوهتان وهى عند الحجرين المتقدم ذكرهما في تجديد المسجد وأحد الفوهتين الى جانب الحجرين من القبلة والثانية الى جانبهما من جهة الشام ويجتمعان في بئر واحدة هناك وعليهما حجران كالارحاء وفى أسفل ما على فوهتيهما من ذلك مشبك يدخل الماء من خلاله ليمنع نزول

الحصباء هناك ومع ذلك فقد بحروها في العمارة المتقدم ذكرها أولا فخرج منها شئ كثير من الحصباء (وأما) السقايات التى كانت به فذكر ابن زبالة أنه كان فى صحن المسجد فى زمنه تسع عشرة سقاية وذلك في صفر سنة تسع وتسعين ومائة . منها ثلاث عشرة أحدثتها خالصة وهى أول من أحدث ذلك . ومنها ثلاث سقايات لزيد البربرى مولى أمير المؤمنين . ومنها سقاية لأبى البحترى وهب بن وهب . ومنها سقاية لشجن أم ولد هارون أمير المؤمنين . ومنها سقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبى جعفر (وقد) أورد ذلك ابن النجار مترجما عليه بذكر السقايات التى كانت في المسجد ثم قال وأما الآن فليس فى المسجد سقاية الا فى وسطه (قال) وفيه بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب ينزل اليها بدرج أربع في جوانبها والماء ينبع من فوارة في وسطها تأتى من العين ولا يكون الماء فيها الا في أيام المواسم اذا جاء الحاج وبقية السنة تكون فارغة . عملها بعض الامراء بالشام واسمه شامة . قال وعملت الجهة أم الخليفة الناصر لدين الله فى مؤخر المسجد سقاية كبيرة فيها عدة من البيوت وحفرت لها بئرا وفتحت لها بابا الى المسجد في الحائط الذى يلى الشام انتهى ٭(قلت)٭ الذى يظهر من كلام ابن زبالة أنه أراد بالسقايات ما يجعل لاجل الشرب وظاهر ما ذكره ابن النجار أن المراد بذلك ما يجعل للوضوء . وذكره لما عملته أم الخليفة الناصر لدين الله صريح فى ذلك فانه يعنى بذلك الميضأة التى بابها فى حائط المسجد الشامى وكان لها باب آخر من خارج سد قديما وهو ظاهر فيما يلى المسجد من المغرب (وقوله) فيها عدة بيوت أى عند الاخلية التى بها (وقوله) أولا فأما الآن فليس فى المسجد سقاية الا في وسطه الظاهر أنه يريد السقاية التي كانت للشرب بوسط المسجد (وقد) ذكرها البدر ابن فرحون فقال ولقد كان فى وسط المسجد سقاية يحمل اليها الماء من العين بناها شيخ الخدام في ذلك الوقت ووقف عليها أوقافا من ماله وكانت متقدمة على النخل تقديرها خمسة عشر ذراعا فى مثلها وجعل فى وسطها مصرفا للماء مرخما ونصب فيها مواجير للماء وأزيارا ودوارق وأكوازا وحجرها بالخشب والجريد وجعل لها غلقا من حديد واستمرت السنين العديدة فكثر الشر فيها والتزاحم عندها وصار يدخلها من يتوضأ فيها فربما يزيل فيها الأذى من استقرب المدى ثم تعدى الحال وزاد شرها . وذكر فتنة اتفقت للخدام مع بعض الاشراف بسببها (قال) فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها

أزيلت عن اجتماع من القاضى شرف الدين الاميوطى والشيخ ظهير الدين انتهي (وأما) البركة التى ذكرها ابن النجار فانها مذكورة فى كلام المطرى واقتضى كلامه نسبتها لابن أبي الهيجاء فانه ذكر ماسيأتى عنه في الكلام على العين الزرقاء من أن ابن أبي الهيجاء فى حدود الستين وخمسمائة أمد منها شعبة وأوصلها الى الرحبة التى عند المسجد من جهة باب السلام يعنى سوق المدينة اليوم (ثم) قال وكان قد جعل منها شعبة صغيرة تدخل الى صحن المسجد وجعل لها منهلا بدرج عليه عقد يخرج الماء اليه من فوارة يتوضأ منها من يحتاج اليه فحصل بذلك انتهاك حرمة المسجد الشريف من كشف العورات والاستنجاء فى المسجد فسدت لذلك انتهى ﴿قلت﴾ وقد رأيت آثار درجها في غربى النخيل التى بصحن المسجد قريبا منها وليس بالمسجد اليوم شئ من السقايات الاما يحمل اليه من الدوارق المسبلة فيشربها الناس في أوقات مخصوصة الا أن خزانة الخدام الآتى ذكرها لايزال بها ماء لاجل شربهم (ثم) لما عمر سلطان زماننا الاشرف مدرسته التي بين باب الرحمة وباب السلام جعل فيها سبيلا مما يلى باب الرحمة له شباك الى المسجد ﴿وأما﴾ الحواصل والخزائن التى بالمسجد الشريف ففيه القبة التى بصحنه وقد مرذكرها وغالب مايوضع فيها اليوم زيت وقود المسجد وتقدم أن المصحف المنسوب الى عثمان رضى الله تعالى عنه موضوع بها (وبالمسجد) أيضا أمام كل من المنارات الاربع خزانة الا أن ما أمام المنارتين القبليتين من ذلك أصلى بخلاف المنارتين الشاميتين فانه محدث ولذلك قال البدر ابن فرحون وما أحق بالازالة ما أحدث بالمنارتين الشاميتين اذ قدم بابهما على بابيهما الاصليين وجعل مابين البابين في كل منارة خلوة اقتطع بها جانب من المسجد كبير لاشك فى تحريمه انتهى (وفي) جهة المغرب أيضا الى جانب باب المنارة الشمالية الغربية المعروفة بالخشبية سميت بذلك لأن حد الخشبتين كان يؤذن بها خزانة صغيرة يضع بعض الخدام فرشهم فيها وربما أقام بها من يريد الاعتكاف بالمسجد. ويليها في جهة المغرب أيضا حاصلان كبيران يوضع فيهما القناديل الزجاج وبعض آلات المسجد وفى الاول منهما مما يلى الخزانة المذكورة وضعت كتبي وكنت أجلس به للمطالعة والاعتكاف فانه من المسجد واتفق لى فى سبب الاقامة به أمر ليس هذا محل ذكره (ويقابل) ذلك في جهة المشرق ممايلى المنارة المعروفة بالسنجارية خلوة كبيرة فيها فرش

الخدام أيضا والى جانبها خزانتان احداهما بيد من تكون له النوبة من الفراشين يضع فيها فوانيس المسجد ونحوها والثانية بيد الخدام أيضا (وفي) جهة المشرق قريبا من باب جبريل بينه وبين باب النساء خزانة يضع فيها الخدام الماء لشربهم وبعض فرشهم وأمتعتهم وهى المذكورة فى كلام ابن جبير حيث قال وفى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع مبيت بعض السدنة الحارسين للمسجد المبارك (قال) وسدنته فتيان أحابيش وصقالبة ظراف الهيئة نظاف الملابس والشارات انتهى . والى جانب الخزانة المذكورة صندوق يوضع فيه مايستخرج من القبة من الزيت للوقيد فى كل ليلة (وفى) غربى المسجد بين باب الرحمة وباب السلام حاصل يوضع فيه النورة يعرف بابه بخوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانها كانت في محاذاته كما تقدم فلما زيد فى المسجد جعلوا هناك خوخة في المسجد تحاذى الخوخة الأولى وقد جعل لذلك ثلاثة أبواب عند عمارة المدرسة الاشرفية ومحل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك اذا دخلت من باب السلام ﴿وأما﴾ عدد قناديله فذكر ابن زبالة أنها مائتان وتسعون قنديلا فى زمانه (وجملتها) في زماننا مائتا قنديل وستة وخمسون قنديلا هذه الدائمة ونحو المائة قنديل يسرجونها فى بعض الاوقات ويجعلون فى كل قنطرة من القناطر التى تلى صحن المسجد من مقدمه وجنبتيه ثلاثة قناديل ويقتصرون فى بعض الاوقات على واحد فى كل قنطرة كما في القناطر التى في مؤخر المسجد سيما اذا قل عندهم الزيت وحدث بعد الحريق الثانى زيادة سلاسل كثيرة معدة لتعليق القناديل بها * وبصحن المسجد أربعة مشاعيل اثنان فى جهة القبلة واثنان في جهة الشام وكل واحد كالاسطوانة وبأعلاه مسرجة عظيمة تشعل في ليالى الزيارات المشهورة ولا أدري ابتداء حدوث ذلك. ويزيدون تنانير وبزاقات في مقدم الروضة وما حولها ويحتفلون بذلك سيما في ليلة سبع وعشرين من رمضان ويسرجون في كل ليلة منه نحو أربعين شمعة ويضعونها على شمعدانات كبار في قبلة الروضة والحجرة وفى غربي المنبر وبعضها في محراب الحنفية الآتي ذكره (وللمسجد) فوانيس عدتها ستة يطوف بها الخدام بعد صلاة العشاء الآخرة لاخراج الناس من المسجد عند غلق أبوابه ولايدعون به الا الخدام ومن له نوبة من أرباب وظائفه (وذكر) البدر ابن فرحون في ترجمته شبل الدولة كافورا المظفرى شيخ الخدام المعروف بالحريرى أن من

آثاره الحسنة تبطيل الطوف بالشمل من جريد النخل وتبديلها بالفوانيس التى يطوفون
بها اليوم كل ليلة وذلك أنهم كانوا قبل الحريرى وصدرا من ولايته يأخذ عبيد الخدام
وبعض الفراشين شعلا من سعف النخـل فيطوفون بها عوض الفوانيس اليوم يجرون بها
كأشد مايكون من الجرى فاذا وصـلوا باب النساء خرجوا بها وخبطوا مابقى معهـم منها
وكانت تسود المسـجد وتسود بابه أيضا وفيها من البشاعـة ما لايخفى فأمر بالفوانيس
عوضها رحمه الله تعالى (وبصحن) المسجد نخيل مغروسة ولم أدر ابتداء حـدوث ذلك
الا أن ابن جبير قال في رحلته عند ذكر القبة التى بصحن المسجد مالفظه وبازائها في
الصحن خمس عشرة نخلة انتهى (وقال) البدر ابن فرحون ان أول من أدرك من مشايخ
الخدام الشيخ عزيز الدولة قال وفى أيامه غرس كثير من هذا النخل الذى بالمسجد اليوم
وكان منه شيء قبل العزيزى ومات أكثره انتهى (وذكر) المجد عزيز الدولة وقال ان
غرس أكثر هذا النخل كان في زمانه ثم قال وكأنه لم يتعرض أحد لانكار هذه البدعة
اجلالا لشأنه أو خوفا من لسانه أو تمكينا له من الاقتداء بمن غرسه قبله وخنق فى عنقه من هذا
المنكر حبله وقد انجعفت تلك النخيل لهبوب عاصفة هبت في أواخر مشيخة ياقوت الرسولى
ثم أعيد الغراس ووقع الانكار من بعض الناس لكن لم يصادف كلامه محلا من الاشارة
والافادة ولعله سوغ حملا على احتمال أنه لم يغرس أولا الا بنوع من الاستحقاق لكن لايخفى
مافى اعتماد الاحتمال البعيد من قلة التقى ٭(قلت)٭ وقد أراد طوغان شيخ أن يزيد فيه سنة
ثلاث وسبعين وثمانمـائة فأنكرت ذلك وقام بعض أهل الخير فى المنع منه فبطل ذلك
ولله الحمد (ولم) يزل المسجد النبوى بامام واحد يصلى بالناس في مقام النبى صلى الله عليه
وسلم ويتقدم أيام الموسم الى المحـراب العثمانى حتى سعى طوغان شيخ المـذكور فى
احداث محراب للحنفية فى دولة الاشرف اينال فقام أهل المدينة في منعه وساعدهم على
ذلك من أرباب الدولة المصرية صاحب الشيم المرضية جمال الدين يوسف ناظر الخواص
الشريفة تغمده الله برحمتـه فلم يتم لطوغان المـذكور ذلك فلما توفي المشار اليـه أعاد
طوغان السعى في الدولة المذكورة فبرزت المراسيم به بعد الستين(٣) وثمانمائة ٭ واستمر
الى زماننا فيصلى امامه الصلوات الخمس عقب انصراف امام المحراب النبوى وهو امام

(٣) لعله بعد التسعين بدليل ماقبله وليحرر كتبه المصحح

الشافعية الا في التراويح فيصليان معا وهـذا الامر دب الى المدينـة الشريفة من مكة
المشرفة (وقد) قال الزركشى ان السبب في حـدوث ذلك بها أن الامام كان في ذلك
الوقت مبتدعا فعند ما امتنع النـاس من اقامة الجماعـة مع امامهم الذى أقاموه سمحوا
للناس في اتخاذ أئمة لانفسهم واستمر الامر عليه وكذا جرى مثله في بيت المقدس وجامع
مصر قديمـا انتهى . وقـد بينا حكم ذلك في كتابنا الموسوم بدفع التعرض والانكار
لبسط روضـة المختار (وقال) ابن زبالة ويحيى وعرض منقبـة جـدار المسجد ممـا يلى
المغرب ذراعان ينقصان شيأ وعرض منقبته مما يلي المشرق ذراعان وأربعة أصابع وانما
زيد فيه لأنها من ناحية السيل ٭(قلت)٭ وهذا لان السيل كان يغشى المسجد من تلك
الجهة ولهـذا سقط جدار الحجرة الشرقى كما قـدمناه وسقط أيضا جدار المسجـد من
الناحية المذكورة كما قدمناه من قول ابن زبالة أخاف المسجد من شرقيه فى سلطان محمد
ابن عبد الله الربعى من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز
فأمر به فبنى انتهى وقد قدمنا في زيادة الوليد مارواه يحيى من طريق ابن زبالة في ذرع
عرض المسجد وبينا فساده (والصواب) ماذكره ابن زبالة فى أواخر الكلام على المسجد
فانه ذكر ذرع مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الاول عرضا وطولا ثم قال وذرع مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ذرع عرضه من مقدمه في القبلة بين المشرق والمغرب
مائة وخمسـة وستون ذراعا وذرع عرضـه من مؤخره الى الشام بين المشرق والمغرب
مائة وثلاثون ذراعا ينقص مؤخره عن مقدمه خمسة وثلاثين ذراعا وطوله من اليمن الى
الشام مائتان وأربعون ذراعا ٭(قلت)٭ وقد حررت ذرعه فكان عرضه من مقدمه فى القبلة
مائة ذراع وسبعة وستين ذراعا ونصفا فيزيد على ماذكره ابن زبالة ذراعـين ونصفا
وذلك لاختـلاف الاذرعة أو لرخاوة الحبـل الذي وقع القياس به ونحو ذلك (وكان)
عرضه من مؤخره فى الشام مائة وخمسة وثلاثين ذراعا فيزيد على ماذكره خمسة أذرع
(وكان) طوله من القبلة الى الشام مائتى ذراع وثلاثة وخمسين ذراعا فيزيد على ماذكره
ابن زبالة ثـلاثة عشر ذراعا (وقد) ذكر ابن النجار مايوافق ذرعنا هـذا مع مخالفـة
يسيرة فقال طول المسجد اليوم من قبلتـه الى الشام مائتا ذراع وأربعة وخمسون ذراعا
وأربعة أصابع ومن شرقيه الى غربيه يعنى في مقدمه مائة ذراع وسـبعون ذراعا صافية

انتهي (قال) ابن زبالة وطول رحبة المسجد يعنى صحنه من اليمن الى الشام مائة وخمسة وستون ذراعا وعرضها بين المشرق والمغرب ثمان وتسعون ذراعا انتهى (و)ذكر ابن النجار ان طولها مائة وتسعة وخمسون ذراعا وثلاثة أصابع وعرضها سبع وتسعون ذراعا راجحة ﴿قلت﴾ وطول رحبة المسجد اليوم من القبلة الى الشام مائة ذراع واثنان وخمسون ذراعا ونصف ذراع فاذا أضفت لذلك عرض الرواق الذى زيد فى الرحبة على ماقدمناه من انه زيد فيها رواقان من ناحية ونقص رواق من ناحية والرواق نحو تسعة أذرع فيكون جملة ذلك مائة وأحد وستين ذراعا ونصفا وذلك نحو ماذكره ابن النجار (وأما) عرض الرحبة اليوم من مقدم المسجد فخمسة وتسعون ذراعا بتقديم التاء على السين والله تعالى أعلم (وذكر) ابن النجار أن طول المسجد فى السماء خمسة وعشرون ذراعا ومراده ارتفاعه من أرضه الى أعلى شرفاته لانه ذكر فى موضع آخر مايقتضى ان ارتفاعه من أرض المسجد الى سقفه أحد وعشرون ذراعا فيكون سمك السقف والحائط الذى عليه الشراريف حول صحن المسجد أربعة أذرع والذى بين أرض مقدم المسجد وسقفه بعد خفض أرضه عقب الحريق الثاني اثنان وعشرون ذراعا وتقدم في زيادة عمر رضى الله عنه مايقتضي انه كان بينهما في زمانه أحد عشر ذراعا ولم أقف على ذكر ماجعله عثمان رضى الله تعالى عنه بينهما وذرع مابين الارض المحيطة بالمسجد من خارجه وأعلى سترة جداره من جهة المغرب ثمانية وعشرون ذراعا فهذا سمك المسجد من خارجه والله أعلم وقد تقدم ذكر منابر المسجد وذرعها فى زيادة الوليد

﴿ الفصل الثانى والثلاثون ﴾ فى أبواب المسجد وما سد منها وما بقي وما يحاذيها من الدور قديما وحديثا)ه

(تقدم) ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل للمسجد الشريف ثلاثة أبواب بابا فى مؤخره والباب الذى يدعي باب عاتكة ويقال له باب الرحمة والباب الذى كان يدخل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو باب آل عثمان (وقد) اقتضى كلام المؤرخين أن هذين البابين لم يحولا عن مكانهما بل لما زيد فى المسجد من جهتهما جعلا في محاذاة محلهما الاول (وقد) قدمنا في زيادة عمر رضي الله عنه أنه جعل الابواب ستة بابين عن يمين القبلة وبابين عن يسارها وبابين خلف القبلة وانه لم يغير باب عاتكة ولا باب عثمان

بل زاد فى جهة باب عاتكة الباب الذى عند دار مروان وهو باب السلام وزاد بعد باب عثمان الباب المعروف بباب النساء فهذان البابان هما المزيدان في المغرب والمشرق (وسبق) أيضا أن عثمان رضي الله تعالى عنه أقر هذه الابواب على حالها ولم يزد فيها شيأ ولم يذكر ابن زبالة ولا يحيى ولا رزين مازاده الوليد من الابواب ولا مازاده المهدى حين زاد في المسجد الا أن ابن النجار قال وأما أبواب المسجد فكانت بعد زيادة المهدى فيه وذكر تسعة عشر بابا غير باب خوخة أبي بكر رضي الله عنه كما سيأتى وبين أماكنها كما سنشير اليه (وقال) المطرى وتبعه المراغي والمجد لما بنى الوليد بن عبدالملك المسجد ووسعه جعل له عشرين بابا وذكر الابواب المذكورة بعينها مع الخوخة المذكورة وهذا وهم لان المنقول فى هذه الابواب أنها انما كانت فى زيادة المهدى وهى التى استقر عليها الحال فى أمر المسجد وأيضا فما سيأتي في وصف الابواب التى في جهة الشام وما يليها من جهة المشرق والمغرب لايتصور أن يكون فى زمن الوليد لما تقدم من ان المهدى هو الذى زاد ذلك والمطرى موافق عليه فكيف يذكر وصف تلك الابواب فيما نسبه للوليد وسيأتي أيضا أن أحد هذه الابواب وهو باب زياد انما فتحه زياد فى ولاية أبى العباس المنصور (والحاصل) من كلام من كان قبل المطرى من المؤرخين ان الذى استقر عليه أمر المسجد بعد انتهاء زياداته فى أمر الابواب عشرون بابا مع عد الخوخة المذكورة فانها كما سيأتى كانت شارعة في رحبة دار القضاء ولا ينافى ذلك قول ابن زبالة وفى المسجد يعنى فى زمنه أربعة وعشرون بابا لانه قال فى تفصيلها منها ثمانية من ناحية المشرق ومما يلى القبلة باب يدخل منه الامراء من ناحية باب مروان الى المقصورة وعن يسار القبلة الباب الذى تدخل منه المقصورة من موضع الجنائز وعن يمين القبلة باب بحذائه سواء في الطرف الآخر أى فى مقابلته يدعى باب بيت زيت القناديل ذكروا أن مروان عمله وخوخة آل عمر تحت المقصورة . ومما يلى المغرب ثمانية أبواب منها الخوخة التى تقابل يمين خوخة أبي بكر الصديق رضى الله عنه .ومما يلى الشام أربعة انتهى كلام ابن زبالة فغيره لم يعد الباب الذى كان في القبلة شارعا فى دار مروان لانه باب دار وكذا خوخة آل عمر لانها للدار لا للمسجد وكذا باب زيت القناديل لانه باب خزانة للمسجد لايدخل منه عامة الناس وكان موضعه عند زاوية الجدار الغربية

مما يلى القبلة وجدوه عند عمارة المنارة التى بباب السلام وسد بجدارها (وأما) الباب الذى ذكره عن يسار القبلة فيؤخذ من كلامه انه كان في المشرق مقابلا لباب زيت القناديل وانه خاص بالمقصورة ولو كان بابا عاما لعده فى الابواب التى فى جهة المشرق وقد ظهر هذا الباب عند هدم المنارة الشرقية بعد الحريق الذى أدركناه وهو باب صغير وجد مسدودا عند زاوية جدار المسجد الشرقية وكأن الدخول كان منه الى الخزانة التى تحت المنارة الشرقية اليمانية ثم منها الى المقصورة ولهذا لما بسط ابن زبالة الكلام على أبواب المسجد في موضع آخر لم يذكر هذه الابواب الاربعة بل اقتصر على العشرين (فلنذكر) ماذكره وغيره فيها وما زاده المطرى فى بيانها مما يعرف بمحلها ثم نفرد خوخة آل عمر بالكلام عليها فنقول ﴿الاول﴾ وهو مبتدأ أبواب جهة المشرق مما يلى القبلة باب النبي صلى الله عليه وسلم سمى بذلك لكونه فى مقابلة حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها التى بها قبر النبى صلى الله عليه وسلم لا لكونه دخل منه اذ لا وجود له في زمنه صلى الله عليه وسلم وقد سد عند تجديد الحائط الشرقي وجعل مكانه شباك يقف الانسان عنده من خارج فيرى الحجرة الشريفة كذا قاله المطرى ومن بعده وسيأتي ما يخالفه ﴿الثانى﴾ باب على رضى الله عنه كان يقابل بيته الذى خلف بيت النبى صلى الله عليه وسلم وقد سد أيضا عند تجديد الحائط وما ذكرنا من أن باب النبي صلي الله عليه وسلم مقدم علي هذا الباب للقبلة صرح به المطرى ومن تبعه وهو الذى تقتضيه المناسبة التى ذكروها للتسمية بذلك لكن صرح ابن النجار بخلافه فقال في عد أبواب جهة المشرق باب على ثم باب النبى صلى الله عليه وسلم ثم باب عثمان ثم باب مستقبل دار رايطة الى آخر الترتيب الآتي ه ومأخذه في ذلك أن ابن زبالة ويحيى ذكرا ما كان مكتوبا على جدارات المسجد فقالا وفي الزيادة الشرقية فى جوف المسجد بين باب على وباب النبي صلى الله عليه وسلم مكتوب وذكر ما كان مكتوبا (ثم) قالا وبين باب النبى صلى الله عليه وسلم وباب عثمان مكتوب وذكرا ما كان مكتوبا (ثم) ذكرا أيضا الكتابة من خارج الجدار على الابواب نحو هذا وقالا أيضا ان في القبلة من خارج المسجد فى موضع الجنائز حيث يصلى على الموتى عند باب على بن أبى طالب مكتوب بعد البسملة ان في خلق السموات والارض الآية فاقتضي ذلك أن باب على هو أول أبواب هذه

الجهة وان باب النبى صلى الله عليه وسلم هو الثانى منها والذى حمل المطرى ومن تبعه على مخالفة ذلك ما قدمناه عنه من رعاية تلك المناسبة ويحتمل ان بيت على رضى الله عنه كان ممتدا في شرقي حجرة عائشة رضى الله عنها الى موضع الباب الاول فسمى باب على بذلك ويدل له ماتقدم عن ابن شبة فى الكلام علي بيت فاطمة رضى الله عنها من انه كان فيما بين دار عثمان التي في شرقي المسجد وبين الباب المواجه لدار أسماء ويكون تسمية الباب الثانى بباب النبى صلى الله عليه وسلم لقربه من بابه والله أعلم ه (الثالث) ه باب عثمان وهو الباب الذى وضع قبالة الباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم فقد قدمنا عن ابن زبالة ويحيي ان الباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم هو باب آل عثمان ولذا أطلق عليه في رواية ليحيي في زيادة عثمان أنه باب النبى صلى الله عليه وسلم (وقد) ظهر درج عند باب مقصورة الحجرة الشامي في مقابلة الباب المذكور بسبب الحفر للدعامة التى هناك والظاهر أنه درج الباب المذكور قبل تحويله لكونه في موازاة جدار المسجد الاول كما يؤخذ مما سبق من حدوده وسمى بذلك لمقابلته لدار عثمان بن عفان وسيأتى أنها كانت من الطريق التي تسلك الى البقيع التى عن يسار الخارج من هذا الباب الى الطريق التى في شامى المدرسة الشهابية والذي يقابل هذا الباب اليوم من دار عثمان رباط أنشأه جمال الدين محمد بن أبى المنصور الاصفهاني المعروف بالجواد وزير بنى زنكي (قال) المطرى وقفه على فقراء العجم وجعل له فيه تربة لها شباك فى جهة الشباك المتقدم ذكره في مقابلة القبر الشريف (ولما) مرض وهو في السجن قال للشيخ أبي القاسم الصوفي كنت أخشى ان أنقل من الدست الى القبر يعنى انه فرح بأن يأتيه الموت وهو على تلك الحالة وقال له ان بينى وبني أسد الدين شركوة يعنى عم صلاح الدين بن أيوب عهدا أن من مات قبل صاحبه حمله صاحبه الحى الى المدينة الشريفة فدفنه فيها فى التربة التى عملها فان أنا مت فامض اليه فذكره (فلما) توفى سار الشيخ الى أسد الدين في هذا المعنى فأعطاه مالا صالحا ليحمله به الى مكة والمدينة الشريفتين وأمر ان يحج معه جماعة من الصوفية ومن يقرأ بين يدى تابوته عند النزول والرحيل وقدوم مدينة تكون فى الطريق وينادى بالصلاة عليه في البلاد فلما كان فى الحلة اجتمع الناس للصلاة عليه فاذا شاب قد ارتفع على موضع عال ونادى بأعلى صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالنادى فتثنى أرامله

فلم ير باك أكثر من ذلك اليوم ثم وصلوا به الى مكة فطافوا به حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم وحملوه الى المدينة فصلوا عليه ودفنوه بتربته المذكورة (وكانت) وفاته في سنة تسع وخمسين وخمسمائة وكان له آثار حسنة سيما بالحرمين الشريفين وعمل للمدينة الشريفة السور الآتي ذكره وسنذكر هناك شيأ من ترجمته . وفى قبلة رباطه من دار عثمان أيضا تربة اشترى أرضها أسد الدين شركوة بن شاذي عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى وحمل اليها هو وأخوه نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بعد موتهما ودفنا فيها سنة ست وسبعين وخمسمائة وتوهم الذهبى أنهما دفنا بالبقيع فجزم به فى العبر (وبقية) دار عثمان من القبلة دار الى جانب هذه التربة موقوفة على خدام الحرم الشريف يسكنها مشايخهم وهذه دار عثمان الكبرى المقابلة لهذا الباب وسيأتى ذكر داره الصغرى التى في موضعها رباط المغاربة . ويعرف هذا الباب أيضا بباب جبريل عليه السلام ﴿قلت﴾ ولم يبينوا سبب تسميته بذلك ولعل سببها ماسبق فى الفصل الرابع والعشرين من قول أبي غسان ان علامة مقام جبريل التى يعرف بها اليوم انك تخرج من الباب الذى يقال له باب آل عثمان فترى على يمينك اذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة أذرع وشبر وهو من الارض على نحو من ذراع وشبر حجرا أكبر من الحجارة التى بها جدار المسجد مع ماقدمناه أيضا من أن الاصل في ذلك أن جبريل عليه السلام فى غزوة بني قريظة أتى على فرس عليه اللامة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ولم يكن ثم حينئذ غير الباب المذكور (وروى) ابن زبالة عن المطلب بن عبدالله أن حارثة بن النعمان مر والنبى صلى الله عليه وسلم مع جبريل في موضع الجنائز فمر ولم يسلم فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم أهو ممن شهد بدرا قال نعم قال فكيف هو فى أمتك أيرون لهم به قال نعم قال مازالت الملائكة الذين شهدوا بدرا معك يرى لهم قال فجاء حارثة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل رأيت الرجل الذى كان معى قال نعم وشبهته بدحية الكلبى قال النبى صلى الله عليه وسلم فانه جبريل وقد قال لو سلم لرددنا عليه فقال مامنعني من السلام الا أنى رأيتك تحدث معه فكرهت أن أقطعه عنك (وروى) البيهقى في

الدلائل عن حارثة بن النعمان قال مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل جالس في المقاعد فسلمت عليه ومررت فلما رجعنا وانصرف النبى صلى الله عليه وسلم قال لى هل رأيت الذى كان معى قلت نعم قال فانه جبريل عليه السلام وقد رد عليك السلام وكان مكتوبا على هذا الباب من خارجه بعد البسملة لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآيتين ﴿الرابع﴾ باب ريطة بفتح الراء ابنة أبى العباس السفاح كان يقابل دارها ويعرف بباب النساء وسبب تسميته بذلك مارواه أبوداود من طريق عبدالوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو تركنا هذا الباب للنساء قال نعم فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات (ثم) قال أبو داود عقبه وقال غير عبدالوارث قال قال عمر وهو أصح (ثم) رواه من طريق اسماعيل عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر بمعناه قال وهو أصح (ثم) رواه أيضا من طريق بكير عن نافع قال ان عمر بن الخطاب كان ينهى أن يدخل من باب النساء وهذا هو المعتمد لما تقدم من أنه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم في شرقى المسجد غير باب آل عثمان (وقد) روى ابن زبالة ويحيي من طريقه عن ابن عمر قال سمعت عمر حين بنى المسجد يقول هذا باب النساء فلم يدخل منه ابن عمر حتى لقى الله وكان لايمر بين أيدى النساء وهن يصلين (ودار) ريطة التى كانت مقابلة لهذا الباب قال المطرى كانت دار أبى بكر الصديق ونقل أنه توفى فيها وهى الآن مدرسة للحنفية بناها يازكوح أحد أمراء الشام وعمل له فيها مشهدا نقل اليه من الشام والطريق الى البقيع بينها وبين دار عثمان نقل ذلك ابن زبالة ﴿قلت﴾ وما ذكره من نسبة الدار المذكورة لأبى بكر الصديق سيأتي مستنده مع بيان مافيه . وفي أعلى هذا الباب من خارجه لوح من الفسيفساء مكتوب فيه آية الكرسى من بناء المسجد القديم وقد زال عند الحريق الثانى ﴿الخامس﴾ باب كان يقابل دار أسماء بنت الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم كانت من جملة دار جبلة بن عمرو الساعدى ثم صارت لسعد بن خالد بن عمر بن عثمان ثم صارت لأسماء المذكورة وهى اليوم رباط للنساء وقد سد هذا الباب أيضا عند تجديد الحائط الشرقى من المنارة الشرقية الشمالية الى هذا الباب المذكور في أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة كذا قاله المطرى ومن تبعه وظاهر كلام ابن جبير أن سد هذا الباب وغيره

من الابواب كان قبل الثمانين وخمسمائة لان رحلة ابن جبير كانت قبل الثمانين كما قدمناه (وقد) قال فيها وللمسجد المبارك تسعة عشر بابا أي غير خوخة أبى بكر لم يبق منها مفتوحا غير أربعة في المغرب منها اثنان وفي المشرق اثنان انتهى لكنه قال بعد ذلك وفي القبلة باب واحد صغير مغلق يعني باب دار الامارة (ثم) قال وفي المغرب خمسة مغلقة أيضا وفي المشرق خمسة أيضا مغلقة وفي الشام أربعة مغلقة أيضا انتهى فتبين أنها كانت في زمنه غير مسدودة لكنها مغلقة فيكون سدها حدث في التاريخ الذي ذكره المطرى والله أعلم ﴿السادس﴾ باب كان يقابل دار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقد دخل في بناء الحائط المذكور والدار المذكورة اليوم رباط الرجال ومعها في جهة الشمال دار عمرو بن العاص كما سيأتي بيانه ويعرف الرباط المذكور اليوم برباط السبيل وكذا رباط النساء المتقدم ذكره يعرف بذلك أيضا والرباطان المذكوران بناهما القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري رحمه الله تعالى (وذكر) ابن زبالة ويحيى أنه كتب على نجاف (٣) هذا الباب من داخل مما أمر به المهدى محمد أمير المؤمنين مما عمل البصريون سنة اثنتين وستين ومائة ومبتدأ زيادة المهدي في المسجد ﴿قلت﴾ وكتابة ذلك عليه تقتضى أنه الذى أحدثه وما بعده وانه أول زيادته كما تقدم ﴿السابع﴾ باب كان يقابل زقاق المناصع دخل أيضا في الحائط بعد تجديده وزقاق المناصع كان بين دار عمرو بن العاص وأبيات الصوافي وعبر عنها المطرى بدار موسى بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبى ربيعة المخزومي لامر توهمه من كلام ابن زبالة كما سنوضحه ان شاء الله تعالى والزقاق اليوم ينفذ الى دار الحسن بن علي العسكرى وتعرف اليوم بحوش الحسن وكان الزقاق المذكور ينفذ الى المناصع خارج المدينة وهو كان متبرزا للنساء بالليل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبيات الصوافى هذه التى عبر عنها المطرى بدار موسى بن ابراهيم سيأتى أن بعضها اليوم رباط للرجال أنشأه القاضى الفاضل محيي الدين أبو علي عبدالرحيم بن علي بن الحسن اللخمى البيساني ودخل هذا الباب أيضا فى الحائط عند تجديده ﴿الثامن﴾ باب كان يقابل أبيات الصوافى دخل فى الحائط أيضا عند تجديده . وأبيات الصوافى تقدم أن بعضها

(٣) قوله نجاف بوزن كتاب أسكفة الباب أو ما يستقبل الباب من أعلى اهـ قاموس
كتبه المصحح

الذى يلى دار عمرو بن العاص هو رباط الفاضل وبعضها الآخر وهو الذى كان يقابل هذا الباب هو المعروف اليوم بدار الرسام التى وقفها الشيخ صفى الدين السلامي على أقاربه ثم على الفقراء وفى شاميها الباب الذى يدخل منه الى رباطى النخلة وهما رباطا السلامي وقد عبر المطرى عن ذلك بقوله وهى يعني أبيات الصوافي فى دور كانت بين موسى ابن ابراهيم المخزومى وبين عبيدالله بن الحسين الاصغر ابن علي زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضي الله عنهم قال وموضع هذه الدور اليوم دار اشتراها الشيخ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى رحمه الله ووقفها على قرابته السلاميين انتهى (وسيأتي) ان أبيات الصوافي هي الدور التى كان فيها تهطم وأنها كانت بين دار عمرو ابن العاص ودار موسى بن ابراهيم المخزومي المشتركة بينه وبين عبيدالله بن الحسين وان هذه الدار المشتركة كانت أول الدور في جهة المشرق مما يلى الشام فأبيات الصوافي هى دار قهطم وفى موضعها ما قدمناه من رباط الفاضل ودار السلامى . وأما الدار المشتركة ففى موضعها اليوم الميضأة المعطلة وبيت الرئيس ابراهيم الذى بين الميضأة والزقاق الذى يلى دار المضيف كما سيأتى بيانه ودار المضيف هى آخر الدور التى في جهة الشام والدار المشتركة كانت ملاصقة لها وسيأتى بيان منشأ ما وقع للمطرى وهذا الباب آخر الابواب التى كانت في جهة المشرق (وقد) طوى المطرى الكلام على الابواب الشامية فقال وفى شمالى المسجد أربعة أبواب سدت أيضا عند تجديد الحائط الشمالى وليس في شمالى المسجد اليوم باب الا باب سقاية عمرتها أم الامام الناصر (وسبب) عدم كلام المطرى على الابواب الشامية ان ابن زبالة لم يذكر ما يقابلها من الدور لكن ظهر لى أنه يؤخذ من كلامه وكلام ابن شبة في الدور المطيفة بالمسجد فلنذكر ما استفدنا منهما فى ذلك فنقول ﴿التاسع﴾ باب كان في دبر المسجد وهو أول أبواب الشام مما يلى المشرق وكان يقابل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف وهى دار جده عبدالرحمن التى كان ينزل بها ضيفان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وبقية دار ابن مسعود وفي موضعهما الدار المعروفة بدار المضيف وما فى غربيها من رباط الظاهرية ﴿العاشر﴾ باب كان يقابل دار أبى الغيث بن المغيرة وفي موضعها اليوم الرباط المعروف برباط الظاهرية والشرشورة ﴿الحادى عشر﴾ باب كان يقابل ما يلى دار أبى الغيث من أبيات خالصة مولاة أمير

المؤمنين وموضع ذلك المارستان الذى أنشأه أبو جعفر المنتصر بالله سنة سبع وعشرين وستمائة *(الثانى عشر)* باب كان فى مقابلة بقية أبيات خالصة وفى موضع ذلك اليوم بيت وزقاق يتوصل منه الى الرباط الذى أنشأه الشيخ شمس الدين الششترى وهذا الباب آخر الابواب التى كانت في جهة الشام وكلها اليوم مسدودة كما تقدم. وما يوجد اليوم من الدور والابنية الملاصقة لجدار المسجد المذكور كلها حادثة كما يؤخذ من كلام متقدمي المؤرخين ولم أقف على ابتداء حدوث ذلك *(الثالث عشر)* وهو أول أبواب المغرب مما يلى الشام باب كان يقابل دار منيرة وكانت من دور عبد الرحمن بن عوف ثم صارت لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ثم صارت لمنيرة مولاة أم موسى وفى موضعها اليوم الدار التى صارت لشيخنا العارف بالله سيدى عبد المعطى المغربى نزيل مكة المشرفة ثم انتقلت للسيد الشريف العلامة محيي الدين قاضى الحنابلة بالحرمين الشريفين ومافى قبلتها الى الباب الذى يدخل منه الى دور القياشين التى للخواجا قاوان وهذا الباب مسدود كما هو مشاهد من خارج المسجد *(الرابع عشر)* باب كان يقابل دار منيرة أيضا كما صرح به ابن زبالة ويحيى ووهم المجد فجعله الذى بعده وموضع ما يقابله اليوم من دار منيرة الدار الموقوفة علي الخدام التى في قبلة الزقاق الذى يدخل منه الى دور القياشين وهذا الباب مسدود اليوم كما يظهر من خارج المسجد أيضا وبذلك يعلم ان محلهما من ذلك الجدار لم يجدد *(الخامس عشر)* باب كان يقابل دار نصير صاحب المصلى وهو مولى المهدى وكانت هذه الدار منزلا لسكينة بنت الحسين بن على رضي الله عنهم وفي موضعها اليوم الدار التى عن يسار الداخل من زقاق دور القياشين والدار التى تعرف اليوم بدار تميم الدارى وقد آلت الىّ ثم وقفتها وهى الآن منزلى ولم أقف على أصل في تسميتها بذلك وهذا الباب فى مقابلة الدار المعروفة بدار تميم من دار نصير وهو مسدود اليوم وبقيت منه قطعة تظهر من خارج المسجد ودخل باقيه عند تجديد الحائط من باب عاتكة اليه *(السادس عشر)* باب كان يقابل دار جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وقد دخل في داره هذه فارغ أطم حسان بن ثابت كما قاله ابن زبالة وفى موضعها اليوم المدرسة الكلبرجية التى أنشأها السلطان شهاب الدين أحمد سلطان كلبرجة من بلاد الهند في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وهذا الباب دخل في الحائط عند تجديده وأسقطه المطرى مع

انه مذكور في كلام ابن زبالة ويحيى ولما أسقطه زاد بدله بابا لاوجود له فى كلام من قبله على ماسيأتى التنبيه عليه *(السابع عشر)* باب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد ابن معاوية كان يقابل دار عاتكة المذكورة ثم صارت هذه الدار ليحيى بن خالد البرمكي والد جعفر ودخلت فى دار جعفر المتقدم ذكرها وتوهم الزين المراغي من نسبتها لجعفر بن يحيي ومن كون أطم حسان دخل في دار جعفر بن يحيى أنها محل أطمه وليس كذلك لما قدمناه. وفى موضعها اليوم دار من أوقاف الخدام في قبلة المدرسة الكلبرجية تواجه يمين الخارج من باب المسجد المذكور وقد استبدلها الشيخ الزينى بن مزهر بازالة ديوان الانشا آت وما غربيها من الدور واتخذ ذلك مدرسة ورباطا وأروقة على يد صاحبنا العلامة الشيخ نور الدين المحلى نفع الله به ويعرف هذا الباب قديما أيضا بباب السوق كما يؤخذ مما سيأتى فى باب زياد لان سوق المدينة كانت فى المغرب فى جهته. ويعرف قديما أيضا بباب الرحمة فان يحيى ذكر في بناء النبي صلى الله عليه وسلم لمسجده أنه صلى الله عليه وسلم جعل له ثلاثة أبواب باب في مؤخره وباب عاتكة الذي يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة هذا لفظه وأطبق على وصفه بذلك من بعده من المؤرخين حتى صار في زماننا هو الاغلب عليه ومع ذلك فلم أر في كلام أحد بيان السبب في تسميته بذلك وسألت عنه من لقيته من المشايخ فلم أجد عند أحد منهم علما من ذلك ثم ظهر لي معناه بحمد الله تعالى وذلك أن البخارى روى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا فرفع رسول الله صلي الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا قال أنس ولا والله مانرى في السماء من سحاب ولا قزعة ومابيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ولما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا والله مارأينا الشمس سبعا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة يعني الثانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب الحديث بطوله وسنبين فى باب زياد وهو الذى يلى هذا ان دار القضاء كان محلها مابين باب الرحمة وباب السلام وقد تقرر أنه لم يكن للمسجد في زمنه صلى الله عليه وسلم فى هذه الجهة الا الباب المعروف بباب

الرحمة فظهر ان هذا الرجل الطالب لارسال المطر وهو رحمة انما دخل منه وقد أنتج سؤاله حصول الرحمة وأنشأ الله السحاب الذى كان سببا فيها من قبله أيضا لان سلعا فى غربي المسجد فسمى والله أعلم باب الرحمة لذلك لكن فى رواية البخارى عن أنس أيضا أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ومقتضاه انه دخل من الباب الذي كان فى شامى المسجد لقرب اطلاق مواجهته للمنبر عليه لكن ذلك الباب ليس نحو دار القضاء فليجمع بين الروايتين بان الواقعة متعددة كما اقتضاه كلام بعضهم أو بانه وقع التجوز في اطلاق كون ذلك الباب وجاه المنبر أو بان باب الرحمة كان كما قدمناه في آخر جهة المغرب مما يلى الشام فجاء ذلك لداخل من جهته ودخل منه ثم رأى ان قيامه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر لايتم له لا بتخطى الصفوف فعرج الى الباب الآخر المواجه للمنبر فغلب اطلاق باب الرحمة على الباب الذى في جهة مجيئه لاعتضاده بما تقدم من مجىء السحاب من قبله والله أعلم ٭(الثامن عشر)٭ باب كان يعرف بباب زياد وقد سد أيضا عند تجديد الحائط الذي هو فيه وكان بين خوخة أبى بكر الآتي ذكرها وبين الباب الذى قبله وسمي بذلك لما رواه ابن شبة عن محمد بن اسماعيل ابن أبى فديك عن عمه قال كانت رحبة القضاء لعمر رضى الله عنه يعني داره وأمر حفصة وعبد الله ابنيه رضي الله عنهما أن يبيعاها عند وفاته فى دين كان عليه فان بلغ ثمنها دينه والا فاسألوا فيه بنى عدى بن كعب حتي تقضوه فباعوها من معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما وكانت تسمى دار القضاء قال ابن أبى فديك فسمعت عمى يقول ان كانت لتسمى دار قضاء الدين (قال) وكان معاوية اشتراها عند ولايته فلم تزل حتى قدم زياد بن عبدالله المدينة سنة ثمان وثلاثين ومائة فهدمها وجعلها رحبة للمسجد وفتح فيها الباب الذى الى جنب الخوخة الصغيرة وجعل هدمها على أهل السوق (قال) محمد بن اسماعيل ابن أبى فديك فأخذ مني في هدمها أربعة دوانق قال ابن أبى فديك وأخبرنى أيضا كما أخبرني عمي عبيد الله بن عمر بن عبدالله بن عبدالله بن عمر قال وأشار لى عبيد الله الى صندوق فى بيته وقال في هذا الصندوق ابراآت من ذلك الدين (وروى) أيضا عن عبد العزيز بن مروان ان دار القضاء كانت لعبد الرحمن بن عوف قال وهى اليوم رحبة لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غربيه مما يلى دار مروان (وروى) عن سهلة بنت

عاصم أنها انما سميت دار القضاء لان عبد الرحمن اعتزل فيها ليالى الشورى حتى قضى الامر فباعها بنو عبد الرحمن من معاوية فصارت بعد في الصوافى وكانت الدواوين فيها وبيت المال فهدمها أبو العباس أمير المؤمنين وصيرها رحبة للمسجد فهى اليوم كذلك (وروى) ابن زبالة خبر ابن أبى فديك الاول مقتصرا عليه من طريق محمد بن اسماعيل يعنى ابن أبى فديك عن ابن عمر أن عمر توفى وترك عليه ثمانية وعشرين ألفا فدعا عبد الله وحفصة فقال انى قد أصبت من مال الله شيأ وأنا أحب أن ألقى الله وليس في عنقى منه شئ فبيعا فيه حتى تقضياه فان عجز عنه مالى فسلا فيه بني عدى فان بلغ والا فلا تعدوا قريشا فخرج عبد الله بن عمر الى معاوية فباع منه دار عمر التى يقال لها دار القضاء وباع ماله بالغابة فقضى دينه فكان يقال دار قضاء دين عمر وهى رحبة القضاء (قال) محمد بن اسماعيل فهدم زياد بن عبيد الله اذ كان واليا لابى العباس علي المدينة فى سنة ثمان وثلاثين ومائة دار القضاء وكانت تكرى من تجار أهل المدينة فهدمها زياد وجعلها رحبة للمسجد وفتح الباب الذى الى جنب الخوخة الخبر المتقدم ٭(قلت)٭ ومانضمنه هذا الخبر من تاريخ هدم الدار وعمل الباب المذكور فيها ربما يخالف ماذكره ابن زبالة ويحيي فيما كتبا على أبواب المسجد فانهما قالا وعلى باب زياد في لوح من ساج مضروب بمسامير مكتوب من خارج ثم ذكرا من جملة المكتوب أمر عبد الله عبدالله أمير المؤمنين أكرمه الله بعمل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة هذه الرحبة توسعة لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن حضره من المسلمين في سنة احدى وخمسين ومائة ابتغاء وجه الله والدار الآخرة الى آخر ماذكراه ٭(قلت)٭ وزياد هذا هو زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى خال السفاح وكانت ولايته علي المدينة ومكة من قبل أبى العباس المنصور فى سنة ثمان وثلاثين ومائة. فقول ابن أبى فديك في رواية ابن شبة فلم يزل حتى قدم زياد بن عبيد الله سنة ثمان وثلاثين مبين لتاريخ قدومه فقط وقوله فهدمها يعنى فى مدة ولايته فليس فيه تعرض لان الهدم كان في ذلك التاريخ فلا يخالف ما كتب علي الباب المذكور وليحمل أيضا قوله فى رواية ابن زبالة فهدم زياد بن عبيد الله اذ كان واليا في سنة ثمان وثلاثين ومائة على ان المراد بيان ابتداء ولايته لا تاريخ الهدم جمعا بين الكلامين والرواية الاولي أقرب الى التأويل من هذه (وقد) ذكر ابن زبالة في روايته

المتقدمة عن محمد بن اسماعيل أنه قال ان زياد بن عبيد الله جعل الستور على الابواب الاربعة باب دار مروان أى المعروف بباب السلام والخوخة أى المجعولة في محاذاة خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وباب زياد أى المذكور وباب السوق أى وهو باب الرحمة كما يؤخذ من كلام يحيي (وقال) المجد فى ترجمة دار القضاء هى دار مروان بن الحكم وكانت لعمر بن الخطاب فبيعت في قضاء دينه وقد زعم بعضهم أنها دار الامارة وهو محتمل لانها صارت لامير المدينة ٭(قلت)٭ دار مروان هى الآتية فى قبلة المسجد وليست هذه بلا شك ولعل المراد أن مروان ملك دار القضاء فنسبت اليه وهو غير معروف الا أن الحافظ ابن حجر نقل عن ابن شبة أنها صارت لمروان وهو أمير المدينة قال فلعل ذلك شبهة من قال أنها دار الامارة فلا يكون غلطا وقال في المشارق وقد غلط فيها بعضهم فقال يعنى دار الامارة ٭(قلت)٭ والذى رأيته فى ابن شبة انما هو صيرورتها لمعاوية كما قدمناه مع ان المشهور قديما بدار الامارة انما هى دار مروان التى في قبلة المسجد وتقدم أن الامراء كانوا يدخلون من باب منها الى المقصورة وتوهم البرهان ابن فرحون أنها رحبة دار القضاء فقال قال ابن حبيب وما كان من مضى يعنى من القضاة يجلسون فى رحاب المسجد بل اما عند موضع الجنائز يريد خارج باب جبريل واما رحبة دار مروان وهى التى تسمى رحبة القضاء وقد جعل ذلك في هذا الوقت ميضأة انتهى وهو وهم لان الذى جعل ميضأة هو نفس دار مروان كما سيأتى وبالجملة فلا خلاف في كون دار القضاء هي الرحبة التى كانت فى غربى المسجد الى باب مروان (ويؤخذ) مما تقدم أن هذه الرحبة كانت فى محاذاة باب زياد وما بعده الى باب السلام (ويؤخذ) مما سيأتى فى الدور المطيفة بالمسجد أنها كانت ممتدة الي باب الرحبة أيضا وهو مقتضى ماأخبر به بعض مشايخ المدينة انه لم يزل يسمع انه لم يكن بين باب الرحمة وباب السلام دار تلاصق المسجد ٭(قلت)٭ فموضع هذه الرحبة اليوم دار الشباك الملاصقة لباب الرحمة . ومايليها من المدرسة الجوبانية والحصن العتيق (ودار) الشباك أنشأها شيخ الخدام كافور المظفرى المعروف بالحريرى بعد السبعمائة وجعل لها شباكا الى المسجد وليس حول المسجد دار لها شباك فى جدار المسجد الا هى. والذى يظهر أن باب زياد كان في موضع شباكها أو الى جانبه القبلى (وأما) المدرسة الجوبانية فابتناها جوبان أتابك العساكر المغلية في سنة أربع وعشرين وسبعمائة

وجعل له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد بين دار الشباك والحصن العتيق وهى أعني التربة من جملة رحبة القضاء واتخذ فيها شباكا في جدار المسجد وهو مسدود اليوم ولم يدفن فيها بعد أن حمل اليها فى تابوت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من بغداد بأمر السلطان أبى سعيد فدخلوا به مكة وطافوا به حول البيت كما فعل بالجواد الاصفهانى وذلك صحبة الحاج العراقي فلما وصلوا به المدينة منعهم أميرها من ذلك حتى يشاور السلطان الناصر كذا قاله بعضهم (وقال) الصلاح الصفدى لما بلغ الملك الناصر أمر تجهيزه ليدفن فى المدينة جهز الهجن الى المدينة وأمرهم أن لا يمكن من الدفن في تربته فدفن فى البقيع (وذكر) لى بعض الناس أن علة المنع من دفنه بتربته أنه اذا وضع فيها للقبلة كانت رجلاه الى الجهة الشريفة لان تربته فى غربى المسجد بخلاف الجواد وغيره ممن دفن فى شرقى المسجد فان رؤسهم الى جهة الارجل الشريفة والله أعلم (وأما) الحصن العتيق فانه كان منزلا لامراء المدينة ثم انتقل الى السلطان غياث الدين سلطان بنجالة أبى المظفر أعظم ابن السلطان اسكندر وابتناه مدرسة في سنة أربع عشرة وثمانمائة وتوفي في تلك السنة ويقال ان غيره سبقه الى جعله رباطا قبل ذلك (ثم) اقتضى رأى متولى العمارة بعد الحريق الحادث في زماننا استبدال دار الشباك المذكورة ومايليها من الجوبانية وجميع الحصن العتيق عند هدم مايلى ذلك من جدار المسجد الغربى وعمل ذلك مدرسة ورباطا للسلطان الاشرف فيما بين باب السلام وباب الرحمة كما سبق في الفصل التاسع والعشرين ٭(واعلم)٭ ان المطرى زاد هنا بابا بدل الباب الذي أسقطه قبل باب عاتكة فقال انه كان بين باب عاتكة وخوخة أبي بكر الآتية باب سدا عند تجديد الحائط وتبعه على ذلك من بعده والذى اقتضاه كلام ابن زبالة ويحيي وابن النجار انه ليس بين باب عاتكة وبين الخوخة سوى باب زياد ولهذا لما أسقط ابن النجار ذكر الخوخة من الابواب وجعل أبواب هذه الجهة سبعة قال الخامس باب عاتكة السادس باب زياد السابع باب مروان انتهي وبه يعلم أن الصواب ماقدمناه والله أعلم ٭(التاسع عشر)٭ الخوخة المجعولة تجاه خوخة أبى بكر رضي الله عنه لما زيد فى المسجد وهو معنى ماتقدم عن ابن زبالة حيث قال في عدد الابواب ومما يلي المغرب ثمانية أبواب منها الخوخة التى تقابل يعنى خوخة أبى بكر ٭(قلت)٭ وكانت شارعة في رحبة دار القضاء كما قدمناه من كلام

ابن زبالة وقدمنا أيضا فى زيادة عمر رضى الله عنه عن أبي غسان قال أخبرنى محمد بن
اسماعيل بن أبى فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة في دارالقضاء فى غربى المسجد
خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أي المجعولة فى محاذاة خوخته (قال) ابن زبالة في
ذكرالكتابة على أبواب المسجد وليس على الخوخة لامن داخل المسجد ولامن خارجه
كتابة وقد قدمنا أن لهذه الخوخة اليوم بابا مما يلى المسجد وانه باب حاصل يعرف
بحاصل النورة وهى معروفة بخوخة أبى بكر . ويؤخذ مما تقدم أن ذلك الحاصل من دار
القضاء وبابه اليوم هى الفتحة الثالثة من الفتحات التى على يسار الداخل من باب السلام
جعل بابا فى موضع الخوخة يدخل منه للمسجد وبعده شباك ثم باب يدخل منه للمدرسة
الاشرفية ٭(العشرون)٭ باب مروان سمي بذلك لملاصقته لداره التي كانت في قبلة المسجد
مما يلى الباب المذكور وبعضها ينعطف على المسجد من جهة المغرب وفى موضعها اليوم
الميضأة التي أنشأها المنصور قلاوون الصالحى عام ست وثمانين وستمائة ويعرف الباب
المذكور أيضا بباب السلام وباب الخشوع قاله المطرى . وفى رحلة ابن جبير أنه يعرف
بباب الخشية انتهى والزوار غالبا انما يدخلون منه لكونه أقصد الى طريقهم من باب
المدينة فلا يخفى مناسبة تسميته بذلك كله (قال) المطرى ولم يكن في القبلة حتى الى اليوم
باب الا خوخة آل عمر أوخوخة لمروان عند داره فى ركن المسجد الغربى شاهدناها
عند بناء المنارة الكبيرة المستجدة كان يدخل من داره الى المسجد منها وقد انسدت
بحائط المنارة الغربي (قال) الزين المراغي وينبغى الاعتراض على من أطلق أن مروان
كان يدخل منها للمسجد لان مروان قتلته زوجته أم خالد بن يزيد آمنة بنت علقمة
ويقال فاختة بنت هاشم وقيل مات مطعونا وقيل مسموما في نصف رمضان سنة خمس
وستين وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وذلك قبل أن يزيد ولد ولده الوليد بن عبد الملك
ابن مروان فى المسجد بنحو من ثلاثين سنة ولاشك أنها خوخة آل مروان فالصواب
أنه كان يدخل من مثلها لامنها وكأن هذا الباب هو المراد بقول ابن زبالة وباب فى قبلة
المسجد يخرج منه السلطان الى المقصورة ٭(قلت)٭ أماماذكره المطرى من أنه لم يكن
فى قبلة المسجد باب يعنى فيما مضى الي زمنه الا خوخة آل عمر فمردود بما قدمناه عن ابن
زبالة فانه فصل الابواب الزائدة على العشرين فجعل منها الباب الذى كان في القبلة

يدخل منه الامراء من ناحية دار مروان ثم ذكر البابين اللذين عن يمين القبلة وعن
يسارها يدخل منهما الى المقصورة والباب الذى عن يمين القبلة هو هذا الذى أدركه
المطرى فلايصح ماذكره الزين المراغي من حمل كلام ابن زبالة في الباب الذى ذكره
فى القبلة عليه لانه قد غاير بينهما وأما استدراك المراغى على القول بأن مروان كان يدخل
من الباب الذى ذكره المطرى فصحيح وقد تقدم عن ابن زبالة انه يسمى باب بيت
زيت القناديل . والذى يظهر كما قال المراغي أنه جعل فى مقابلة باب اتخذه مروان هناك
أيضا لان ابن زبالة روى أن مروان لما بنى داره جعل لها خوخة في القبلة ثم قال أخشى
ان أمنعها أى لكونها في القبلة فجعل لها بابا على يمينك حين تدخل أى وهو الباب المتقدم
وصفه ثم قال أخشى أن أمنع المسجد فجعل الباب الثالث الذى يلى باب المسجد يعنى
الملاصق لباب السلام من خارجه وفي موضعه اليوم السقاية المقابلة لباب مدرسة الحصن
العتيق وهذا سبب المناسبة فى تسمية رحبة القضاء برحبة دار مروان لمقابلتها لبابه هذا
(وروى) ابن زبالة عن اسحق بن مسلم أن عمر بن عبد العزيز لما بنى المسجد أراد أن
يجعل في الابواب حلقا ويجعلها في الدروب لئلا يدخلها الدواب فعمل الحلقة التي فى
باب المسجد مما يلى دار مروان ثم بدا له فتركها ٭(قلت)٭ المراد بذلك السلسلة الحديد
المجعولة بجنبتي عقد باب السلام تمنع الدواب من الدخول . وفي باب الرحمة اليوم آثار
سلسلة كانت هناك وسلسلة باب السلام ترفع في أيام الموسم لانه اتفق فى سنة أربع
وخمسين وثمانمائة ازدحام الناس عندها فهلك جماعة وكان أمام باب السلام من داخله
درابزين شبيه بالدرابزين الذى كان من داخل باب جبريل وكان الناس لاينزعون
نعالهم الا عنده وكذلك كان مثله أمام باب الرحمة من داخله أيضا فجعل الامير بردبك
لمعمار أيام عمارته للظاهر جقمق هذه الاحجار المصفوفة افريزا عند طرف عقد باب السلام
مما يلى باب الحصن العتيق وجعل ما أمام الباب مما يحاذى العقد المذكور رحبة بالمسجد
وصار الناس ينزعون النعال عندها وعمل عند عقد باب الرحمة مثل ذلك ورفع ذلك
الدرابزين وكان مابين الدرابزين وباب الرحمة منخفضا عن أرض المسجد فسواه بأرض
المسجد كما هو اليوم فاحتاج الى رفع عتبته فزاد العتبة المتخذة فوق العتبة الاصلية وقصر
شيأ من أسفل الباب وذلك ظاهر فيه اليوم وحصل بذلك صيانة للمسجد واتخذ أيضا

الرحبة التى امام باب النساء ورفع الدرابزين الذى كان من داخله أيضا واتخذ لباب جبريل الرحبة التى أمامه ولم يرفع الدرابزين لان الناس لم يكونوا يمشون بنعالهم اليه ثم أزيل درابزينه أيضا عند عمارته بعد الحريق الثانى والله سبحانه وتعالى أعلم

*(الفصل الثالث والثلاثون * فى خوخة آل عمر رضى الله تعالى عنه المتقدم ذكرها وما يتعين من سدها في زماننا)*

(اعلم) أنها اليوم هى التي يتوصل اليها من الطابق الذى بالرواق الثانى من أروقة القبلة وهو الرواق الذى يقف الناس اليوم فيه للزيارة امام الوجه الشريف بالقرب من الطابق المذكور . والذى يتخلص مما قدمناه في زيادة عثمان رضى الله عنه والوليد والمهدى أن الاصل فى ذلك أنه لما احتيج لدار حفصة يعني حجرتها قالت كيف بطريقى الى المسجد فقيل لها نعطيك أوسع من بيتك ونجعل لك طريقا مثل طريقك فأعطيت دار عبيد الله بن عمر أى التى صارت اليه بعد حفصة وكانت مربدا هذا ماروواه ابن زبالة (وقد) قدمنا في زيادة الوليد من رواية ابن زبالة أن عمر بن عبد العزيز بعث الى رجال من آل عمر وأخبرهم ان أمير المؤمنين كتب اليه ان يبتاع بيت حفصة وكان عن يمين الخوخة أى من داخل المسجد فقالوا مانبيعه بشيء قال اذاً أدخله فى المسجد قالوا أنت وذاك فأما طريقنا فانا لانقطعها فهدم البيت وأعطاهم الطريق ووسعها لهم (وقدمنا) أيضا مارواه يحيى عن مالك بن أنس من ان الحجاج الثقفى هو الذى ساوم عبيد الله ابن عبد الله بن عمر في هذا البيت وهدمه (وفى) رواية ليحيى أن عمر بن عبد العزيز لما وصل فى العمارة الى دار حفصة قال له عبيد الله لست أبيع هذا هو حق حفصة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسكنها فقال عمر ما أنا بتارككم أو أدخلها المسجد فلما كثر الكلام بينهما قال لهم عمر أجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه وأعطيكم دار الرقيق وما بقى من الدار فهو لكم ففعلوا (وقال) المطرى ان الوليد لما حج وطاف في المسجد رأى هذا الباب في القبلة فقال لعمر ما هذا الباب فذكر له ماجرى بينه وبين آل عمر فى بيت حفصة وكان جرى بينه وبينهم فيه كلام كثير وجرى الصلح على ذلك فقال له الوليد أراك قد صانعت أخوالك (وقد) قدمنا من رواية ابن زبالة الاشارة الى هذا وقدمنا من روايته أيضا عن عبد العزيز بن محمد أنه كان يسمع عبيد الله بن عمر يقول

لا أماتنى الله حتى أرانى سدها (وتقدم) ان تلك الخوخة لم تزل طريق آل عمر الى دراهم حتى عمل المهدى المقصورة على الرواق القبلى (قال) المطرى فمنعوهم الدخول من بابهم فجرى في ذلك أيضا كلام كثير تقدمت الاشارة اليه ثم اصطلحوا على سد الخوخة من أعلاها في جدار المسجد وان يخفضوها في الارض ويجعلوا على أعلاها فى موضع الباب الاول شباك حديد في القبلة وحفروها كالسرب فتخرج خارج المقصورة فى الرواق الثانى من أروقة القبلة ولها ثلاث درجات عند بابها في جوف السرب بالمسجد وهو الطابق الموجود اليوم وعليه قفل من حديد ولا يفتح الا أيام قدوم الحاج للزيارة قال المطرى وهى طريق آل عمر الى دارهم التي تسمى اليوم دار العشرة وانما هى دار آل عبد الله ابن عمر انتهى *(قلت)* وعلى هذا السرب من خارج المسجد باب فى جدار المسجد أيضا وأمامه دهليز يتوصل منه الى شارع فيه دور كثيرة سنشير الى بعضها في ذكر الدور المطيفة بالمسجد (وقد) اختلقوا لتلك الدور اسماءً حتى قالوا في بعضها هو بيت النبي صلى الله عليه وسلم و بعضها نسبوه الى فاطمة ابنته رضى الله تعالى عنها. ويتخذ بعض أهل تلك الدور على مابلغنى كحلا في نقرة من الجدار ويقولون للحجاج هذه مكحلة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ويشيرون أيضا الى رحا عندهم فيقولون هذه رحا فاطمة الزهراء أخبرنى بذلك من لبسوا عليه الامر وأخبروه بهذه الاكاذيب حتي أعطاهم شيأ . ويجلس عند ذلك الطابق بالمسجد شخص ليس هو اليوم من ذرية آل عمر لان من كان بيدهم مفتاح هذا الطابق من آل عمر قد انقرضوا و بقيت منهم زوجة هذا الشخص الذى يجلس عند هذا الطابق ثم توفيت وتركت أولادا منه فاستمر المفتاح بيده فيستنيب من يجلس عند هذا الطابق و يفتحه أيام الموسم ويقف عنده جماعة يزورون الحجاج و يأخذون من الداخلين منه شيأ شبيها بالمكس فان الجالس عنده لايمكن أحدا من الدخول منه الا ببذل شئ يرضيه وما حال الحاج الغريب اذا رأى مثل هذا الباب بدرج تحت الارض في المسجد وقيل له انه يصل الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم و بيت ابنته وقد اشتهر ذلك عند أهل المدينة حتى ان أحدا منهم لاينكره فيود الغريب المسكين لو بذل روحه في الوصول لذلك وربما لم يكن معه شيء فيتجشم المشقة في الوصول لذلك فقد أخبرني صاحبنا الشيخ المبارك أبو الجود بركات الجيمانى

انه قدم المدينة قديما قبل ان يجاور بها قال فلم أملك نفسى أن دخلت فى هـذا الطابق نطبقه الجالس عنده على ظهرى حتى كاد يقصمه لانه لم يعطه شيأ وأخبرنى هو وغـيره ممن أثق به انه يقع فى أسفله من الازدحام واختـلاط النساء بالرجال ما لا يوصف مع ضيقه حتى ان الماشى فيه يحتاج الى الانحناء (وأخبرنى) بعضهم انه رأى فيه منكرا شنيعا وهو ان بعض الاحداث يمشي خلف النساء مع الازدحام وكون المشى على تلك الهيئة فيقع ما لا يرضى الله ولا رسوله بين يديه صلى الله عليه وسلم . وكيف يتمادى الناس على اقرار ذلك الآن وهو ليس الا لمجرد ماذكرناه فانه كان بابا لدار ولان من هو بيده لا يملك شيأ من تلك الدور ولو كان مالكها فليس وضعه لسوى دخول أهل تلك الدور منه فانه لم يجعل الا ليدخل منه آل عمر الى المسجد لا لأن يأخذوا فلوسا على من يخرج من المسجد مارا منه فقد كانوا منزهين عن ذلك . ثم لو سلمنا ان تلك الدور مستحقة للزيارة فزيارتها متيسرة من خارج المسجد وكيف يتخذ المسجد طريقا ويخص منه مايكون بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم علي تلك الحالة المنكرة لاجـل شئ خسيس من الدنيا ونحن نفديه صلى الله عليه وسلم بانفسنا فضلا عن أموالنا وقد أمر صـلى الله عليه وسلم بسد الابواب التى كانت شارعة فى المسجد الا خوخـة أبى بكر والا باب على كما قدمناه مع ان أهل تلك الابواب انما كان قصدهم بها التوصل الى المسجد فكيف يبقي باب بين يديه صلى الله عليه وسلم لانفع له الا أخذ شئ من الحطام على المرور منه هذا ما لا يرضاه مؤمن يرى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم (ثم) أن هذا الطابق له قفـل وما حوله من الخشب فيه نوع نتو فقد رأيت من لا أحصيه من الخلق يتعثرون به وربمـا سقط بعضهم لوجهه ثم انه اذا كثر الدوس عليه فى ليالى الزيارات كليلة النصف من شـعبان ونحوها يرتج تحت الارجـل حتى تزلزل الارض زلزالها وذلك يؤذى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقد قـدمنا أن عائشـة رضى الله عنها كانت تسمع الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليـه وسلم (قالوا) وما عمل علىّ مصراعى داره الا بالمناصع وهو متبرز النساء ليلا خارج سور المدينة توقيا لذلك (وروى) يحيى في كتابه عن محمد بن يحيى بن زيد النوفلي عن أبيه عن الثقة

عنده أن عائشة رضى الله عنها ذكرت أن بعض نساء النبى صلى الله عليـه وسـلم دعت نجارا فعلق ضبة لها وان النجار ضرب المسمار في الضبة ضربا شديدا وان عائشـة رضى الله عنهـا صاحت بالنجار وكلمته كلاما شديدا وقالت ألم تعلم ان حرمة رسول الله صلى الله عليه وسـلم ميتا كحرمته حيا فقالت الاخرى وماذا سمع من هذا قالت انه ليؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت هذا الضرب اليوم ما يؤذيه لو كان حيا (ولم) أزل منذ قدمت المدينة أنكر هذا الامر بالقلب واللسان وكتابة البنان ولكن لم أجد على ذلك معينا لرسوخ الطباع العامية في التمسـك بالعوائد الماضية من غير روية وقـد نبهت على انكار ذلك فى كتابى الوفا بمـا يجب لحضرة المصطفى صـلى الله عليه وسـلم ثم شافهت في أمره مولانا الهمام سلطان ممالك الاسـلام ذا الشجاعة التى شاعت عجائبها والشهامة التي ذاعت غرائبها سلطان الاسلام والمسلمين ووجهة القاصدين والآملين السلطان الملك الاشرف قايتباى جعـل الله الممالك منظومة في سـلك ملكه وأقطار الارض جارية فى حوزه وملكه فانه لما حج سنة أربع وثمانين وثمانمـائة بدأ بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحالّ بها أفضل الصلوات وأزكى التسليمات فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الميمون الثاني والعشرين من ذى القـعدة الحرام فلبس لدخولهـا حلل التواضع والخشوع وتحلى بمـا يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبـة والخضوع فـترجل عن جواده عند باب سورها ومشي على أقدامه بين رباعها ودورها حـتى وقف بين يدى الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم ثنى بضجيعيه رضى الله تعالى عنهما بعد ان صلى بالروضة الشريفة التحية وعفر وجهه فى ساحتها السنية وعرض عليه الدخول الى المقصورة المستديرة حول جدار القبور الشريفة المعروفـة اليوم بالحجرة المنيفة فتعاظم ذلك وقال لو أمكنني ان أقف في أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذى يقوم بمـا يجب له من التعظيم ثم صلى صبح الجمعة في الصف الاول بين فقراء الروضة عنـد اسطوان المهاجرين بالقرب من مصلاى كان بيني وبينـه امامه شيخ الشيوخ الامام العـلامة نادرة الزمان وعين الاعيان برهان الدين الكركى فسح الله في أجـله وأدام النفـع به ولم يكن بينى وبينـه سابق معرفـة حتي انى لم أبدأه بسـلام ولا كلام وكذلك السلطان أعز الله أنصاره

وتضاعف اقتداره لم أتعرف اليه ولم يكن ذلك فى خلدى ولا عزمت عليه ثم توجه السلطان بجماعته لزيارة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب ومن يليه من شهداء أحد رضوان الله عليهم فمشى مترجلا كعادته حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه فلم يركب بالمدينة جوادا حتى خرج منها فلما كان وقت صلاة الجمعة حضر في ذلك المصلى فكان بينى وبينه امامه المشار اليه أيضا ثم قرأ شخص على شيخ المحدثين العلامة شمس الدين ابن شيخنا أبى الفرج العثماني مجلس ختم البخارى وكأن الامام المشار اليه تفرس فيّ الاتصاف بطلب العلم ففاتحنى الكلام فى بعض المسائل العلمية المتعلقة بذلك فجاريته فيها فرأيت كماله واضح البرهان وفضله ظاهر العنوان مع كمال الانصاف في البحث فانتسجت المودة حينئذ ثم قام الامام المشار اليه واستمر السلطان جالسا ثم بدأنا بالملاطفة وشرفنا بالمحادثة وخاض فى شئ من العلم فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه مافاق الوصف فأنشدته قول بعضهم

كانت مساءلة الركبان تخبرني ❊ عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر
ثم التقينا فلا والله ماسمعت ❊ اذني بأحسن مما قد رأى بصرى

وأنهيت اليه أمر الطابق المذكور وتمت فى نفسى لعل الله تعالى أرسل هذا السلطان المسعود وجمعنى به من غير قصد ليفوز بتنزيه الحضرة الشريفة من ذلك ويكون ذلك فى صحائفه وقد قدمنا ماحاوله الملوك الماضون من سده مع ان المفاسد التى قدمناها لم تكن موجودة في زمنهم وانما تركوه كما قدمناه لمانع ولا مانع من سده اليوم بحمد الله تعالى فوعد بذلك . ثم وقع الاجتماع بالامام المشار اليه فكلمته في ذلك وقلت له بلغنى ان من بيده مفتاح الطابق المذكور يجتمع له فى كل سنة نحو عشرة دنانير من هذا الطابق ولى معلوم في جهة هذا قدره في كل سنة فأنا أنزل عنه لمن بيده ذلك المفتاح تطييبا لخاطره فذكر ذلك للسلطان فقال نحن نرضيه من عندنا ثم انه نصره الله تعالى حضر لصلاة المغرب فتفضل بالبداءة بالكلام ولم يكن امامه حاضرا ولكنه سبق منه التربية التامة عنده فسألنى عن الآية المنقوشة فى المصلى الشريف وهى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية هل نزلت قبل المعراج وفرض الصلاة أم بعد ذلك وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت فى الجواب فاقيمت الصلاة في أثناء ذلك

فلما قضى صلاته تنفل بست ركعات ثم أقبل عليّ طالبا للجواب فذكرت له تاريخ نزولها بالمدينة وما فيه من الخلاف وان فرض الصلاة ليلة فى المعراج كان بمكة وما ذكروه في أمر استقبال بيت المقدس وما حكى من الخلاف فى تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بمكة بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوائد التى قدمناها في محلها من كتابنا هذا واستمريت معه كذلك حتي صلينا العشاء الآخرة فحصل منه في ذلك المجلس من الاكرام ما أرجو له به كمال المجازاة من صاحب الحضرة الحبيب الشفيع صلوات الله وسلامه عليه ❊ وفرق بالمدينة الشريفة مالا جزيلا ستة آلاف دينار أو أكثر ودفع الىّ على يد امامه المشار اليه من ذلك جزأ وافرا وتكلمت معه في رفع مكوس المدينة وتعويض أميرها عن ذلك شيأ فانهم الوعد به وسألنى عن أمر دار العباسا التى اشتريت له وكانت سببا في قتل القضائى الزكوى تغمده الله تعالى برحمته لعدم السياسة في أخذها فأخبرته بحقيقة الحال فقال لم لم تكتب الىّ بهذا فاعتذرت له بعذر قبله وتبرأ من جميع مافعلوا فيها ووعد بما يكون فيه صلاح أمرها ثم وفي بذلك بعد عوده فزادهم مبلغا كثيرا رضوا به وتفضل بالتشريف بطلب الكتابة اليه بمايكون فيه صلاح أحوال المدينة والتنبيه على من يردها من المحتاجين (ثم) توجه في الرابع والعشرين من الشهر المذكور مصحوبا بالسلامة الى مكة المشرفة ماشيا على أقدامه بين فقراء المدينة وفقهائها حتى خرج من باب المدينة فوقف هناك وقرأنا له الفاتحة ثم ركب جواده أدام الله تأييده وحرسه من الردى وأنار له طرق الحق والهدى (ثم) قدمت مكة صحبة الحاج الشامى فوجدته قد سلك بها مسلك التواضع أيضا وتصدق فيها بمال جزيل أكثر مما تصدق بالمدينة الشريفة (ولما) اجتمعت بامامه المشار اليه بمكة المشرفة تذاكرنا الصدقة الشريفة بالمدينة الشريفة وعمومها وماحصل بها من النفع فذكرت له أن أربعة من فقراء المغاربة لم يأخذوا شيأ لملازمتهم لرباطهم وعدم اتيانهم لمن كان يفرق وان شخصا آخر مستحقا كنت أود لو حصل له أكثر مما دفع له فبلغ ذلك السلطان فلما كان فى أوسط أيام منى توجهت لوداع الامام المشار اليه فأشار بموادعة السلطان فقلت له أخشى أن يتوهم ان المجيء لقصد آخر فقال لابد من موادعته فتوجهنا اليه فحصل منه من الاكرام ماأطلب له الجزاء عليه من أكرم الاكرمين

ثم قال أنتم ذكرتم للامام كيت وكيت فلم ينس ماتقدم ذكره من أمر جماعة الفقراء فقلت له نعم فأمر لهم بمائة دينار أقسمها عليهم لكل واحد عشرون دينارا ثم قال هل بقي أحد فقلت له ماأستحضر أحدا ورأيت له اهتماما تاما بتعميم جيران الحضرة الشريفة وودعني قائما وسأل عن أمر الطابق المذكور لما قدمنا مكة وأمر بأن لا يفتح وان يسد بعد ذلك فلما بلغ ذلك شيخ الخدام بالمدينة الشريفة منع من فتحه عند قدوم الحاج المصرى فى هذا العام ولكن بقى سده فان الطريق فى قطع الشر قلعا وله وقد وعد بسده (ثم) ان السلطان أيده الله تعالى رجع الى مصر مصحوبا بتأييد الله ونصره فبلغنا انه أبرز بعد وصوله ستين ألف دينار ليشترى بها أماكن تكون أوقافا يحمل ريعها الى الحضرة الشريفة ويعمل بها سماط كسماط الخليل عليه السلام وهذا أمر لم يسبقه اليه أحد من ملوك الاسلام والمسئول من الله تعالى أن ييسر له ذلك (وقد) ألحقنا فى الفصل التاسع والعشرين مابرزت به المراسيم الشريفة من ابطال المكوس وتعويض أمير المدينة الشريفة عنها وانه وقف أماكن كثيرة يتحصل منها نحو سبعة آلاف وخمسمائة أردب من الحب كل سنة لعمل السماط المذكور وليصرف من ذلك كفاية أرباب البيوت بالمدينة الشريفة ثم وصول البهائى أبي البقاء بن الجيعان عظم الله شأنه بجملة من ذلك والصرف والتقرير وعمل السماط على الوجه السابق والمرجو من الله تعالى دوام ذلك له فان الله تعالى قد أجرى على يديه من الخيرات مالم يجتمع لأحد من الملوك قبله (فمن) ذلك ماتقدم من العمارة بالمسجد النبوى والحجرة الشريفة وابطال هذا الطابق المتقدم وصفه ومن العجب أن من كان بيده هذا الطابق توجه اليه بمصر وسأل أن يمكن من فتحه فلم يجبه لذلك وقرر له في الذخيرة بضعة عشر دينارا كل سنة عوضا عما كان يحصل له منه ثم وردت المراسيم الشريفة بالاخبار بذلك والأمر بسده ولكن شق على بعض أهل الحظوظ النفسية تمام هذا الامر والمتسبب فيه الفقير الحقير فتسبب فى تأخيره فمات شيخ الخدام اينال الاسحاقى ولم يسده (فلما) قدمت مصر عام سبع وثمانين وثمانمائة أنهيت للسلطان أن الطابق لم يسد وخشيت أن يغضب بسبب ذلك على بعض الناس فاعتذرت بأن موجب التأخير وفاة شيخ الحرم فبرزت مراسيمه الشريفة لشيخ الحرم ومتولى العمارة الشمس بن الزمن بسده بالبناء بحيث لا يفتح أبدا وكان المماكس في هذا الغرض قد أمال

متولى العمارة اليه مع ماسبق فى الفصل الثامن والعشرين من ايغار صدره منى وكان هذا الطابق قد احترق وارتدم بعد أمر السلطان بسده في حريق سنة ست وثمانين وثمانمائة وأثرت النار فى قبوه تأثيرا عظيما فأعاده متولى العمارة وأحكمه وجعل له بابا فلما وردت عليه المراسيم الشريفة بماسبق على يدى أجاب بأنه يراجع السلطان في ذلك لان تلك الدور صارت له (ثم) ان شيخ الحرم أنهى الى السلطان ذلك فبرزت المراسيم الشريفة بسده واللوم على تأخيره مع تكرر الامر بذلك فأمره متولى العمارة بتأخير ذلك ليراجع السلطان فيه وقال انه يجعل تلك الدور مزارات ليتم له ماأراده من بقاء ذلك الطابق وتعجب الناس من اقدامه عليه ثم بلغ السلطان ذلك مع أمور يطول شرحها فغضب غضبا شديدا وبرز مرسومه بسده والوعيد التام على تأخيره فسده شيخ الحرم بالبناء المحكم من خارج المسجد ونزع باب طابقه وردمه بالاتربة حتى ساوى أرض المسجد ولم يبق له أثر وذلك فى رابع ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وسر أهل الخير بذلك وتضاعفت أدعيتهم للسلطان نصره الله تعالى وهذا من أعظم محاسنه (ومن ذلك) اجراء عين خليص بعد انقطاعها مرة بعد أخرى وهى من أحسن مناهل الحج وأعذبها وكذلك بركة الروحاء (ومن ذلك) عمارة مسجد الخيف بعد ان تهدم بأجمعه وانشاء المنارة والسبيل اللذين عند بابه واجراء المعلوم لمن يؤذن بتلك المنارة ولمن يؤم بالمسجد المذكور (ومن ذلك) احداث الظل بمقدم مسجد نمرة المنسوب لابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وقد كان الحجاج يقاسون به شدة من حر الشمس في ذلك اليوم فالله تعالى يظله تحت ظل عرشه يوم لاظل الا ظله (ومن ذلك) اجراء عين عرفة من بطن نعمان بعد ان دثرت وانمحت معالمها واندرست وعمارة بركها ومجاريها حتى فاضت الأنهار بأقاصيها وأدانيها وأوصلها الى مسجد نمرة وأنشأ به صهريجا يجتمع فيه الماء فأذهب بذلك عن الحج الاعظم الظمأ وقد كنت أرى الفقراء فى كل سنة في ذلك اليوم لا يسألون غالبا الا الماء وكان من أعز الاشياء هناك فلم يبق له طالب ولله الحمد سقاه الله بذلك من حوض الكوثر (ومن ذلك) المدرسة والرباط اللذان عمرهما بمكة المشرفة ولا نظير لهما فيها (ومن ذلك) حجه في هذا العام فان ذلك لم يقع لاحد من ملوك مصر من نحو مائة وخمسين سنة وكان آخر من حج منهم الملك الناصر محمد بن قلاوون حج ثلاث حجات أولاها سنة

عشر وسبعمائة وثانيتها سنة عشرين وثالثتها سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ولم يحج أحد بعد ذلك من سلاطين مصر وأرجو أن يفسح الله في أجل سلطاننا هذا حتى يدرك ذلك ويتم له ما نواه من الخير بالحضرة النبوية (وقد) أنشأ بثغر اسكندرية برجا عظيما لم يسبق اليه وشحنه بالاسلحة والجند (ولما) توجهت الى زيارة بيت المقدس رأيت له فيه وفيما بين مصر وبينه من الآثار العظيمة مالم أره من غيره من الملوك من المدارس والمساجد والقناطر وهذا المحل لايحتمل بسط ذلك * وانما ذكرنا من آثاره الجليلة مايتعلق بالحجاز لانه محل الغرض . وهو ملك مطاع محظوظ صبور غير عجل كثير الحياء والوقار والمهابة اذا حاول أمرا لايسرع فيه بل يتأنى كثيرا ويعظم أهل العلم ويجلهم * وانما أمتعنا بذكر ذلك هنا ليكون سببا في حث الواقف على ذلك على الدعاء لهذا الملك السعيد بانجاح المطالب ونيل المآرب ولتنبعث همة من جاء بعده من الملوك على أن يقتدى به في الخير فيصنع مثل ماصنعه ونسأل الله تعالى أن يفسح في أجله فقل أن يأتى بعده مثله

*(الفصل الرابع والثلاثون * فيما كان مطيفا بالمسجد الشريف من الدور وما كان من خبرها وجل ذلك من منازل المهاجرين رضى الله تعالى عنهم)*

(روى) ابن سعد فى طبقاته عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الدور بالمدينة فخط لبنى زهرة في ناحية مؤخر المسجد فكان لعبد الرحمن بن عوف الحش والحش نخل صغار لايسقى (وعنه) أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الدور فخط لبنى زهرة فى ناحية مؤخر المسجد فجعل لعبدالله وعتبة ابنى مسعود هذه الخطة عندالمسجد (وقال) ياقوت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة أقطع الناس الدور والرباع فخط لبنى زهرة فى ناحية من مؤخر المسجد وكان لعبدالرحمن بن عوف الحش المعروف به وجعل لعبدالله وعتبة ابني مسعود الهزليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد وأقطع الزبير بن العوام بقيعا واسعا وجعل لطلحة بن عبيدالله موضع دوره ولأبى بكر الصديق موضع داره عندالمسجد وأقطع كل واحد من عثمان بن عفان وخالد بن الوليد والمقداد وغيرهم مواضع دورهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع أصحابه هذه القطائع فما كان في عفائن الأرض فانه أقطعهم اياه وما كان من الخطط المسكونة العامرة فان الانصار وهبوه له فكان يقطع من ذلك

ماشاء وكان أول من وهب له خططه ومنازله حارثة بن النعمان وهب له ذلك وأقطعه صلى الله عليه وسلم انتهي (فأول) الدور الشوارع حول المسجد من القبلة دار عبد الله ابن عمر بن الخطاب التي فيها الخوخة المتقدم وصفها وليست الدار المذكورة اليوم بيد أحد من آل عمر كما قدمناه وقدمنا أن موضع هذه الدار كان مربدا أعطيته حفصة رضي الله تعالى عنها بدل حجرتها لما احتيج الى ادخالها فى المسجد وفي رواية ان آل عمر أعطوا بدلها دار الرقيق وما بقى منها (وقال) ابن غسان فيما نقله ابن شبة وأخبرنى مخبر أن تلك الدار يعنى دار آل عمر كانت مربدا يتوضأ فيه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فلما توفى استخلصته حفصة رضي الله عنها بثلاثين ألف درهم فورثها عنها عبدالله بن عمر فهى التى قال فيها عبدالله في كتاب صدقته وتصدق عبدالله بداره التى عندالمسجد التى ورث من حفصة (قال) وأخبرني مخبر قال كان بيت أبى بكر الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم سدوا عنى هذه الابواب الحديث بيد عبدالله بن عمر وهو البيت الذى على يمينك اذا دخلت دار عبدالله من الخوخة التى فى المسجد فتلقاك هناك خوخة في جوف الخوخة التى هى الطريق مبوبة فتلك الخوخة خوخة أبي بكر (قال) وكانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر مع الدار التى فوق هذه أى التى في قبلتها كما سنبينه قال وتصدقت بتلك الدار على ولد عمر *(قلت)* هذه الرواية الاخيرة ضعيفة كما قدمناه ولذلك لم يبين قائلها ولانه فى دور بني تميم لما ذكر دار أبى بكر التى ورد فيها الحديث المذكور لم يذكر هذه الرواية بل اقتصر على الرواية المشهورة في أنها فى غربي المسجد فان الخوخة الوارد فيها الحديث هى الشارعة في رحبة دار القضاء ولذلك لما زادوا في المسجد أرادوا محاكاتها فجعلوها خوخة شارعة هناك ولم يجعلوها كبقية أبواب المسجد ولانه جزم في دور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بأن عائشة رضى الله عنها اتخذت الدار التي يقال لها دار عائشة بين دار الرقيق وبين دار أسماء بنت أبى بكر فتصدقت بها *(قلت)* فان كانت دار الرقيق هى بيت حفصة فبيت عائشة الى جنبه والمعروف عند الناس أن البيت الذى على يمين الخارج من خوخة آل عمر المذكورة هو بيت عائشة رضى الله عنها فلعل الاشتباه فى نسبته الى أبى بكر رضى الله عنه نشأ من ذلك مع أن الذى اقتضاه كلام المؤرخين أن البيت المذكور عن يمين الخوخة هو بيت آل عمر وأن دار عائشة ليست فى هذا المحل وهذه

الدار المذكورة أعني التي على يمين الداخل من الخوخة وقف ناظره شيخ الخدام و بلغني ان واقفها اشترط أن لا يسكنها متزوج وبابها اليوم شارع في القبلة ولها شباك عن يمين الخوخة لعله كان في موضع بابها الاول لما كانت الخوخة شارعة في الدار المذكورة وأما البيت الذي عن يسار الخوخة فوقفه أيضا ناظره شيخ الخدام وبابه ليس شارعا عند الخوخة بل بعيد منها في المغرب وهو آخر الدور الآتي ذكرها ومقتضى ماسيأتي عن ابن شبة وابن زبالة ان الدار المعروفة اليوم بدار عائشة والدارين اللتين الى جانبها الغربي في قبلة المسجد من جملة دار آل عمر لأنهما قالا في الدور الشوارع من القبلة دار عبد الله بن عمر ثم دار مروان الآتي ذكرها وأما الدار الثانية التي تقدمت الاشارة اليها في كلام أبي غسان من دور حفصة فوق هذه فقد ذكرها بقوله وكانت لحفصة الدار التي بين زقاق عبد العزيز بن مروان الذي أدخل في دار مروان دار الامارة وبين زقاق عاصم بن عمر بابها شارع قبالة دير أطم بني النجار الذي يدعى فويرعا فتصدقت بها على ولد عمر فهي بايديهم صدقة منها ٥(قلت)٥ وهذا الوصف منطبق اليوم على دار قاضي الشافعية أبي الفتح بن صالح وما لاصقها من جهة الشام لان زقاق عاصم هو الزقاق الشارع باب هذه الدار فيه الآخذ منها الى جهة القبلة والميضأة ولان فويرعا كان فيما بينها وبين المدرسة الشهابية كما سيأتي بيانه وعلى هذا فزقاق عاصم هو الذي في شاميها دخل بعضه فيما حاذى دار مروان و بقي منه مايفرق بين دار آل عمر هذه والدار التي لها الخوخة والله أعلم (ثم) يلي دار عبد الله بن عمر ذات الخوخة في قبلة المسجد من غربيها دار مروان بن الحكم قال ابن زبالة وكان بعضها للنحام يعني نعيم ابن عبد الله من بني عدي و بعضها من دار العباس بن عبد المطلب فابتاعها مروان فبناها وجعل فيها دارا لابنه عبد العزيز بن مروان ثم ذكر خبر أبوابها المتقدم ذكره في أبواب المسجد (وروى) ابن زبالة في ذيل زيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد عن غير واحد منهم محمد بن اسماعيل عن أبيه انه كانت فيها نخلات فابتاع مروان من آل النحام كل نخلة وموضعها بالف درهم وكن ثمانيا أو ثنتي عشرة فرأى الناس ان مروان قد أغلى فلما وجب له البيع عقرهن و بناها دارا فغبطه الناس (ونقل) ابن شبة عن بعضهم ان دار مروان بن الحكم التي ينزلها الولاة الى جنب المسجد يعني

الدار المذكورة كانت مربدا لدار العباس التي دخلت في المسجد فابتاعها مروان فسمعت من يقول كانت القبة التي كانت في دار مروان وحجرتها التي تلي المسجد عن يسار من دخل الدار للنحام أخي بني عدي بن كعب وكانت فيها نخلات فابتاعها مروان من النحام بثلاثمائة الف درهم وأدخلها في داره فذلك الموضع ليس من المربد الذي ابتاع من العباس (وذكر) ابن شبة في موضع آخر أن دار مروان صارت في الصوافي أي لبيت المال ٥(قلت)٥ وفي موضعها اليوم كما قدمناه الميضأة التي في قبلة المسجد عند باب السلام ومافي شرقيها الى دور آل عمر قال ابن زبالة وابن شبة والى جنبها يعني دار مروان في المغرب دار يزيد بن عبد الملك التي صارت لزبيدة وكان في موضعها دار لآل أبي سفيان بن حرب كانت أشرف دار بالمدينة بناء وأذهبه في السماء ودار كانت لآل أبي أمية بن المغيرة فابتاعها يزيد وأدخلها في داره وهدمها وكان بعض أهل المدينة وفد على يزيد بن عبد الملك وقد فرغوا من بناء داره فسأله عنها فقال ماأعرف لك أصلحك الله بالمدينة دارا فلما رأى مافي وجهه قال ياأمير المؤمنين انها ليست بدار ولكنها مدينة فأعجب ذلك يزيد ٥(قلت)٥ وفي موضع هذه الدار اليوم مايقابل الميضأة في المغرب من دار الاشراف العباسا والدار الملاصقة لها في المغرب المشتريتين للسلطان وقد أضافوا اليهما مافي قبلتهما من الدور (وقد) ذكر ابن شبة ان رباحا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ دارا على زاوية دار يزيد بن عبد الملك الغربية اليمانية وان المقداد بن الاسود حليف بني زهرة اتخذ دارا بين بيت رباح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين زقاق عاصم فتكون هذه الدار على زاوية دار يزيد الشرقية اليمانية فهما من جملة ما اشترى للسلطان اليوم . وبين الميضأة وبين هذه الدور زقاق لعله متصل بزقاق عاصم ابن عمر الا أن ابن زبالة وابن شبة لم يذكراه قالا ثم وجاه دار يزيد دار أويس بن سعد بن أبي سرح العامري (قال) ابن شبة في هذه الدار أخبرت أنها كانت لمطيع ابن الاسود فناقل بها العباس الى الدار التي بالبلاط يقال لها دار مطيع وزاده عشرة آلاف درهم ثم باعها العباس من عبد الله بن سعد بن أبي سرح بثلاثين الف درهم فسكنها بنو أخيه فهي الدار التي يقال لها دار أويس عند دار يزيد بن عبد الملك بالبلاط وقد سمعنا من يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع مطيعا داره تلك فالله

أعلم أى ذلك كان *(قلت)* وموضع دار أويس اليوم المدرسة الباسطية التى أنشأها القاضى عبد الباسط سنة بضع وأربعين وثمانمائة ومافي شرقيها من مؤخر المدرسة المعروفة اليوم بالحصن العتيق المتقدم ذكرها فذلك كله يواجه دار يزيد المذكورة ويفصل بينهما بلاط باب السلام (قالا) ثم الى جنب دار أويس أى فى المغرب دار مطيع بن الاسود العدوى أى المتقدم ذكر قصتها وأنها كانت للعباس رضي الله تعالى عنه قال ابن شبة ويقال لها دار أبى مطيع وعندها أصحاب الفاكهة (وزاد) فى قصتها أنه بلغه أيضا أن حكيم بن حزام ابتاعها هى وداره التى من ورائها بمائة ألف درهم فشركه ابن مطيع فقاومه حكيم فأخذ ابن مطيع داره بالثمن كله وبقيت دار حكيم في يده ربحا فقيل لحكيم خدعك فقال دار بدار ومائة ألف درهم وكان يقال لدار أبى مطيع العنقاء قال لها الشاعر * الى العنقاء دار أبى مطيع * وبين يدى دار أبي مطيع أبيات ليزيد بن عبد الملك فيها الغسالون يقال ان يزيد كان ساوم آل مطيع بدارهم فابوا أن يبيعوها فاحدث عليهم تلك البيوت فسد وجه دارهم فهى تدعى أبيات الضرار وهى مما صار للخيزران *(قلت)* وموضع دار ابن مطيع اليوم الدار التى فى غربى المدرسة الباسطية التي اشتراها وكيل الخواجا ابن الزمن وفي غربيها سوق المدينة اليوم وهو من البلاط وموضعه عندها هو المراد بقول ابن شبة وعندها أصحاب الفاكهة فكأن الفاكهة كانت تباع فيه حينئذ (وأما) دار حكيم التى ذكر أنها من ورائها فمحلها اليوم الدار التى فى شامى هذه الدور التي عندها درج العين بالسوق المذكور قال ابن شبة فى دور بنى أسد واتخذ حكيم بن حزام داره الشارعة على البلاط الى جنب دار مطيع بن الاسود بينها وبين دار معاوية بن أبى سفيان يحجز بينها وبين دار معاوية الطريق ومراده بالبلاط الموضع الذى به سوق المدينة اليوم أمام المدرسة الزمنية الممتد منها الى الشام (وقوله) يحجز بينها أى دار حكيم ودار مطيع وبين دار معاوية الطريق أي البلاط المذكور فالظاهر أن دار معاوية هذه هى المقابلة لها بين الدارين في المغرب وهناك فى مقابلتها اليوم رباط جدد أنشأه الفخر ناظر الجيوش بمصر سنة تسع عشرة وسبعمائة بابه شارع فى سوق المدينة اليوم ودار خربة (وقال) ابن شبة أيضا في دور بني عدى بن كعب اتخذ النعمان بن عدى داره التى صارت لمحمد بن خالد بن برمك وبناها وفي الشارعة عند

الخياطين بالبلاط عند أصحاب الفاكهة ابتاعها من آل النحام وآل أبي جهم وكانت صارت لهم مواريث انتهى ومحل هذه الدار اما الدار الخربة التى الى جانب الرباط الشارع فى السوق أو المدرسة الزمنية والله أعلم ﴿ولنرجع﴾ الى ذكر الدور المطيفة بالمسجد (قال) ابن شبة وفى غربى المسجد دار عبدالله بن مكمل الشارعة فى رحبة القضاء وهى مما يتشاءم به وذلك مما نشأ عن بنائها (وقال) في دور بنى زهرة كان عبد الرحمن بن عوف وهبها لابن مكمل فباعها آله من المهدى فهى بأيدى ولده اليوم خراب الى جنب المسجد أى قبل أن تبنى رحبة القضاء (قال) وهى التى يقولون ان أهلها قالوا يارسول الله اشتريناها ونحن جميع فتفرقنا وأغنياء فافتقرنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اتركوها فهى ذميمة (وقال) ابن زبالة هى التي يجلس الى ركحها (٣) صاحب الشرط واليها أصحاب الفاكهة وهم يهابون بناءها ويتشاءمون بها فهى على حال مااشتريت عليه (وقد) ترجم في الموطأ لما يتقى من الشؤم وروى فيه عن يحيي بن سعيد أن امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها ذميمة (ورواه) البزار بنحوه عن ابن عمر الا أنه قال فيه ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وزاد فيه فقالوا يارسول الله كيف ندعها قال بيعوها أوهبوها (وقال) البزار أخطأ فيه صالح بن أبى الاخضر والصواب انه من مرسلات عبدالله بن شداد وروى الطبرانى نحوه عن سهل بن حارثة الانصارى وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة *(قلت)* وفي موضع دار ابن مكمل اليوم المدرسة المعروفة بالجوبانية من بابها الى آخر رباطها الذى فى غربيها بل يؤخذ مما سبق عن ابن زبالة من جلوس أصحاب الفاكهة اليها أنها كانت تمتد الى سوق الصواغين اليوم لما تقدم من بيان أصحاب الفاكهة ولما سيأتى في الدار التى بعدها (وفى) المغرب أيضا دار النحام العدوى (وعبارة) ابن زبالة وابن شبة وفى غربى المسجد دار ابن مكمل ودار النحام الطريق بينهما قدر ستة أذرع (وقال) ابن شبة في دور بنى عدى واتخذ النحام نعيم بن عبدالله داره التى بابها وجاه زاوية رحبة دار القضاء وشرقيها الدار التى قبضت عن جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك التى كانت

(٣) (ركحها) بضم الراء وسكون الكاف وبالحاء المهملة أى جانبها اه كتبه مصححه

بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية فهى بيده ولده على حوز الصدقة (قال) وأخبرنى مخبر
أن النبى صلى الله عليه وسلم حازها له قطيعة منه ٭(قلت)٭ ودار جعفر المذكورة هى
المواجهة لباب الرحمة ٭ فعلم بذلك ان دار النحام هذه كانت فى مقابلة باب المدرسة
الجوبانية المتقدم ذكرها في بيان رحبة القضاء عند ذكر باب زياد وان الطريق التى
بين دار النحام ودار ابن مكمل هي البلاط الآخذ من باب الرحمة الى السوق وعلم بذلك
أن رحبة القضاء كانت تمتد من جهة باب الرحمة الى باب الجوبانية (ثم) الى جنب دار
النحام دار جعفر بن يحيى التى دخل فيها بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأطم
حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه المسمى بفارغ ٭(قلت)٭ وقد تقدم بيان محلها في باب
الرحمة وانه اليوم هو البيت المواجه لباب الرحمة وهو كان موضع بيت عاتكة ومافى شاميه
من المدرسة الكلبرجية وهو موضع الاطم (ثم) الى دار جعفر بن يحيى دار نصير صاحب
المصلى كانت بيتا لسكينة بنت الحسين بن على رضي الله عنهم (ثم) الى جنبها الطريق
الى دار طلحة بن عبيد الله ستة أذرع ٭(قلت)٭ وقد تقدم فى أبواب جهة المغرب
ان فى محل دار نصير اليوم الدار المعروفة بتميم الدارى والتي في شاميها الى الطريق التى
تدخل منها الى دور القياشين التى صارت للخواجا قاوان وهذه الطريق هى المرادة هنا
وتلك الدور هى دور طلحة بن عبيد الله وفى شرقيها دار منيرة الآتى ذكرها (قال) ابن شبة فى
دور بنى تيم واتخذ طلحة بن عبيد الله داره بين دار عبد الله بن جعفر التى صارت لمنيرة و بين
دار عمر بن الزبير بن العوام ففرقها ولده من بعده ثلاثة أدور فصارت الدار الشرقية اللاصقة
بدار منيرة ليحيى بن طلحة وصارت التى تليها لعيسى بن طلحة وصارت الاخرى
لابراهيم بن محمد بن طلحة ٭(قلت)٭ ودار عمر بن الزبير التى في غربى دار طلحة ملاصقة
لدار عروة بن الزبير قال ابن شبة اتخذهما الزبير وتصدق بهما عليهما وعلى أعقابهما وهما متلازقتان
عند خوخة القوارير انتهي (وفى) نهاية الطريق الى دور القياشين خوخة كانت شارعة فى
المغرب عند سوق العطارين الظاهر أنها المراد بخوخة القوارير (ثم) الى جنب الطريق
الى دور طلحة دار منيرة مولاة أم موسى كانت لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ﴿قلت﴾
وقد بينا محلها فى أول أبواب المسجد من جهة المغرب و يستفاد منه أنها كانت من طريق
دور القياشين الى مايحاذى نهاية المسجد (ثم) الى جنبها خوخة آل يحيى بن طلحة ﴿قلت﴾

وهناك اليوم زقاق لطيف خلف الفرن المحاذى لقرب مؤخر المسجد من المغرب يعرف
بزقاق عانقينى هو المراد بذلك لان بعض الدور التى فيه يسلك منها الى دور القياشين
التى هى دور طلحة (ثم) الى جنب خوخة آل يحيى بن طلحة حش طلحة بن أبى
طلحة الانصارى وهو اليوم خراب صوافي عن آل ابن برمك ﴿قلت﴾ والظاهر أن فى
محله اليوم الفرن المتقدم ذكره وماحوله (وقد) قدمنا في زيادة المهدى ماذكره ابن شبة
فى ادخاله صدر دار آل شرحبيل بن حسنة التي كانت لأم حبيبة رضي الله تعالى عنها في
مؤخر المسجد (قال) ابن شبة عقب ذلك ثم باعوا بقيتها من يحيى بن خالد بن برمك
فهدمها حين هدم حش طلحة ثم صارت براحا فى الصوافي ثم بنى في موضعها الناس
بأكثر من أصحاب الصوافي .فعلم بذلك أن حش طلحة كان ينعطف على المسجد من
جهة الشام وسيأتى في ذكر البلاط مايصرح بذلك والظاهر أن بقية دار شرحبيل من
الحش المذكور هو ما حاذى الميضأة التى فى شامى المسجد من المغرب بدليل ماسيأتى
والله أعلم (ثم) الى جنب حش طلحة الطريق خمسة أذرع ﴿قلت﴾ وهذه الطريق هى
التى في شامي الميضأة المتقدم ذكرها يتوصل منها الى رباط الشيخ شمس الدين الششترى
(ثم) الي جنب الطريق أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين وهى دار حباب مولى عتبة
ابن غزوان ٭(قلت)٭ وفي موضعها اليوم دار أحد رئيسي مؤذنى المسجد ومايليها من
المارستان الذى أنشأه المنتصر بالله ومايليه من رباط الظاهرية كما تقدم فى ذكر أبواب
المسجد (ثم) الى جنب أبيات خالصة دار أبى الغيث بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن
ابن عوف وهى صدقة (وذكر) ابن شبة فى دور بنى زهرة أن من دور عبد الرحمن بن
عوف التى اتخذها الدار التي يقال لها الدار الكبرى دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف
بحش طلحة (قال) وانما سميت الدار الكبرى لأنها أول دار بناها أحد من المهاجرين
بالمدينة وكان عبد الرحمن ينزل فيها ضيفان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أيضا
تسمى دار الضيفان فسرق فيها بعض الضيفان فشكا ذلك عبد الرحمن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد بنى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بيده فيما زعم الاعرج وهى بيد
بعض ولد عبد الرحمن بن عوف ٭(قلت)٭ وهى غير دار عبد الرحمن بن عوف المعروفة
بدار مليكة التي تقدم أنها دخلت في المسجد (وفي) شامي المسجد اليوم مما يلى الشرق

دار تعرف بدار المضيف فلعل تسميتها بذلك لكونها في موضع دار الضيفان المذكورة لكن ذكر الدار الآتية بعدها قبل جهة المشرق يبعد ذلك فكان الجانب الغربي من دار الضيف وماحوله فى المغرب من الساباط وبعض رباط الظاهرية في موضع الدار المذكورة (ثم) الى جنب دار أبي الغيث بقية دار عبدالله بن مسعود كانت لجعفر بن يحيى وقد قبضت صافية عنه (قلت) قد قدمنا أنها كانت تدعى دارالقراء وأن بعضها دخل في زيادة الوليد وبقيتها فى زيادة المهدى فكان المراد بعض بقيتها بدليل ماهنا ومع ذلك فأنا أستبعد أن يبقي منها بقية في جهة الشام سيما اذا كان المهدى قدزاد مائة ذراع (ثم) يضاف لذلك مازاده الوليد منها وعرض الرحبة التى في شامي المسجد وأى دار يكون طولها هذا المقدار فضلا عن أن يبقى بعد ذلك منها بقية وموضع ماوصفوه اليوم هو مايلي المشرق من الدار المعروفة بدار المضيف المتقدم ذكرها والله أعلم (قال) ابن زبالة وابن شبة ثم من المشرق دار موسى بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومى كان ابتاعها هو وعبيدالله بن حسين بن علي بن حسين بن على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنهم فتقاوماها فظن عبيدالله أن موسى لايريد الا الربح فأسلمها عبيدالله فصارت لموسى ٭(قلت)٭ وظاهر ذلك أن الدار المذكورة أول جهة المشرق مما يلى الشام وفي موضعها اليوم كما قدمناه فى ذكر أبواب المسجد بيت بعض رئيسي المؤذنين الذى يلى دار المضيف وما يليه من الميضأة المعطلة اليوم وبين ذلك وبين دار المضيف زقاق يعرف بخرق الجمل يتصل الى الدور الملاصقة لسور المدينة ولعله المعروف قديما بزقاق جمل فان ابن شبة ذكر أن فاطمة بنت قيس اتخذت دارا بين دار أنس بن مالك وبين زقاق جمل. ودار أنس بن مالك ذكر أنها في بنى جديلة وهى في شامى سور المدينة (ثم) الى جنب دار موسى أبيات قهطم دارموسى ودارعمرو بن العاص وهى يعنى دار عمرو صدقة من عمر وهى اليوم صوافى أى أبيات قهطم هذه عبارة ابن شبة (وعبارة) ابن زبالة والى جنبها أبيات فيها قهطم وهى صوافى (والطريق) بين دار موسى بن ابراهيم وبين دار عمرو بن العاص السهمى وهى اليوم لهم صدقة ٭(قلت)٭ وأبيات قهطم هى التى سماها ابن زبالة فى ذكر الكتابة على أبواب المسجد أبيات الصوافي وسمى الطريق التى ذكرها هنا بزقاق المناصع لكن كلام ابن شبة يقتضي

كون أبيات قهطم المذكورة بين دار موسى وبين دار عمرو بن العاص فتكون الطريق المذكورة بين أبيات قهطم وبين دار عمرو بن العاص فلنحمل كلام ابن زبالة على ذلك ويكون قوله والطريق بين دار موسى يعنى ومايليها من أبيات قهطم وبين دار عمرو ابن العاص (وقد) قدمنا أن فى محل أبيات الصوافى رباط الفاضل والدار المعروفة بدار الرسام وقف السلامى والباب الذى يدخل منه الى رباط السلامي وموضع دارعمرو بن العاص اليوم مؤخر رباط السبيل الذى يسكنه الرجال وهو مما يلى الشام منه والطريق التى بينه وبين رباط الفاضل هى زقاق المناصع وليست اليوم نافذة كما تقدم. ويؤخذ مما قدمناه في زيادة المهدى انه كان عندها رحبة تسمى برحبة المشارب والله أعلم (ثم) الى جنب دار عمرو دار خالد بن الوليد (قال) ابن شبة وابن زبالة وهى بيد بنى أيوب بن سلمة يعنى ابن عبد الله بن الوليد بن المغيرة زاد ابن زبالة ان أيوب بن سلمة اختصم فيها هو واسماعيل بن الوليد بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة يقول أيوب هي ميراث وأنا أرثها دونكم بالقعد أى لانه أقرب عصوبة ويقول اسماعيل هي صدقة أى فيدخل فيها القريب وان بعد فأعطيها أيوب ميراثا بالقعد انتهى وهذا لان أيوب المذكور كما ذكر ابن حزم وارث آخر من بقي من ولد خالد بن الوليد قال لانقراض ولد عمه خالد بن الوليد كلهم (قال) وكان قد كثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلا وكانوا كلهم بالشام ثم انقرضوا كلهم فى طاعون وقع فلم يبق لاحد منهم عقب انتهى (وروى) ابن زبالة عن يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال شكا خالد بن الوليد ضيق منزله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ارفع البناء في السماء وسل الله السعة (ورواه) ابن شبة الا أنه قال فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتسع فى السماء وذكر من رواية الواقدى ان خالد بن الوليد حبس داره بالمدينة لاتباع ولاتوهب ٭(قلت)٭ وفى موضعها اليوم مقدم رباط السبيل المتقدم ذكره وذلك يدل على صغرها بخلاف غيرها من الدور ولذلك شكا ضيقها والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم) الى جنبها دار أسماء بنت الحسين بن عبد الله بن عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب وكانت من دار جبلة بن عمر الساعدى ٭(قلت)٭ وقد قدمنا ذكر حالها وبيان محلها في خامس أبواب المسجد (ثم) الى جنبها دار ربطة بنت أبي العباس وكانت من دار جبلة ودار أبي

بكر الصديق قاله ابن زبالة ٭(قلت)٭ مراده انه أدخل فى دار ريطة من شرقيها ما يليها من دار أبى بكر الصديق ان دار أبي بكر كانت على سمتها في محاذاة المسجد كما توهمه المطرى فجعل دار ريطة هى دار أبى بكر وأنها المدرسة المقابلة لباب النساء كما قدمناه عنه والصواب أن دار أبي بكر كانت خلف المدرسة المذكورة في جهة المشرق لان ابن شبة قال في دور بنى تميم اتخذ أبو بكر رضى الله تعالى عنه دارا فى زقاق البقيع قبالة دار عثمان رضى الله عنه الصغرى وذكر ان دار عثمان الصغرى هى التى بنحو زقاق البقيع الى جنب دار آل حزم الانصاريين (وذكر) في خبر مقتل عثمان رضى الله عنه ما يقتضي ان هذه الدار الصغرى كانت متصلة بداره الكبرى الآتى ذكرها وان قتلته تسوروا ودخلوا عليه منها. وفي موضعها اليوم الرباط المعروف برباط المغاربة ويعرف برباط سيدنا عثمان. فعلم بذلك ان دار أبى بكر كانت فى مقابلة ذلك من جهة الشام فتكون فى محل الدور التى في شرقى المدرسة المذكورة الى ما يحاذى الرباط المذكور ولا يبعد ان يكون بعضها دخل في المدرسة المذكورة ودار أبى بكر هذه هى المرادة بما رواه ابن سعد فى طبقاته عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه مرض مرضه الذى مات فيه وهو نازل يومئذ فى داره التى قطع له النبى صلى الله عليه وسلم وجاه دار عثمان بن عفان أى الصغرى والله أعلم (ثم) الطريق بين دار ريطة وبين دار عثمان يعنى العظمى خمسة أذرع قاله ابن زبالة وابن شبة (ونقل) المطرى عن ابن زبالة ان الطريق بينهما سبعة أذرع والذى ذكره ابن زبالة ما قدمناه وهى اليوم نحو ذلك ويعرف بطريق البقيع (ثم دار) عثمان رضي الله عنه (وروى) ابن سعد فى طبقاته عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال لما اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدور بالمدينة خط لعثمان بن عفان داره اليوم ويقال ان الخوخة التى في دار عثمان اليوم وجاه باب النبي صلى الله عليه وسلم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج منها اذا دخل بيت عثمان هذا لفظ ابن سعد ٭(قلت)٭ وهذه الدار هى التى عبر عنها ابن شبة بقوله واتخذ عثمان رضى الله عنه داره العظمى التى عند موضع الجنائز فتصدق بها على ولده فهى بايديهم صدقة وقد قدمنا ان في محلها اليوم رباط الاصفهاني وتربة أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين ابن أيوب ومعه فيها والد صلاح الدين أيضا والدار التي يسكنها مشايخ الخدام (ثم) بعد دار

عثمان في القبلة الطريق خمسة أذرع أو نحو ذلك (ثم) منزل أبى أيوب الانصارى الذى نزله النبى صلى الله عليه وسلم وابتاعه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وجعل فيه ماءه الذى يسقي فى المسجد ٭(قلت)٭ قد قدمنا فى الفصل الرابع عشر من الباب الثالث شرح حال هذه الدار وأن الملك المظفر شهاب الدين غازى اشترى عرصتها وبناها مدرسة ووقفها على المذاهب الاربعة (ثم) الى جنب منزل أبى أيوب دار جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم التى يسقى فيها الماء الذى تصدق به جعفر وكانت لحارثة بن النعمان الانصارى ٭(قلت)٭ في موضعها اليوم العرصة الكبيرة التى فى قبلة المدرسة الشهابية وفيها محراب قبلة مسجد جعفر الصادق وأثر محاريب وهى الآن ملك الاشراف المنايفة (ثم) انتقلت منهم للشجاعي شاهين الجمالى شيخ الحرم ابتناها مسكنا له (وقبالتها) أى فى المغرب دار حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم وهو أطم كان حسن ابتاعه فخاصمه فيه أبو عوف النجارى فهدمه حسن فجعله دارا ٭(قلت)٭ وهو الاطم الذى يدعى بفويرع وفي موضع هذه الدار اليوم بيت الاشراف المنايفة الذى عليه ساباط متصل بالمدرسة الشهابية والبيت الذى في قبلته وما في غربيها الى دار القضاة بنى صالح (والطريق) خمسة أذرع بينها أى بين دار حسن المذكورة وبين دار فرج الخصي أبى مسلم مولى أمير المؤمنين وكانت دار فرج من دور ابراهيم بن هشام وهى قبلة الجنائز كان فيها سرب تحت الارض يسلكه ابراهيم الى داره دار التماثيل التي كان ينزل بها يحيى بن حسين بن زيد ابن على ﴿قلت﴾ أما الطريق المذكورة فهى الآخذة من باب المدرسة الشهابية الى بيت بنى صالح ودار فرح المذكورة هى الرباط المعروف برباط مراغة والطريق المذكورة بينه وبين دار المنايفة (وأما) دار التماثيل التى كان يتوصل اليها ابن هشام بالسرب المذكور فلم يبينها ابن زبالة ولا ابن شبة غير انه كان شخص شرع فى عمارة الميضأة التي بباب السلام المتقدم ذكرها في دار مروان فوجد سربا تحت الارض مقبوا عند ركنها القبلى مما يلى المغرب وعنده باب الخربة المعروفة بدار الخرازين وشرعوا فى عمارتها أى دار الخرازين بدلا من رباط الحصن العتيق . وقد دخلتها قبل هدمها فرأيت فيها صناعات غريبة فى البناء من صناعات الاقدمين فترجح عندى بقرينة وجود السرب

عندها ووجود ذلك بها أنها المرادة بدار التماثيل والله أعلم (ثم) الى جنب دار فرح الخصى دار عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام. وكان ابن هشام حين بنى داره أخذ بعض حق عامر فقال له عامر فأين طريقي قال فى النار قال عامر تلك طريق الظالمين ٭(قلت)٭ وموضعها اليوم البيت الموقوف الذى بيد الخدام وهو عن يسار الخارج من خوخة آل عمر ويسمونه اليوم بيت النبى صلى الله عليه وسلم (ثم) ترجع الى دار عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنه من حيث ابتدأت ٭(قلت)٭ وذكر ابن شبة في دور بنى هاشم أن حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه اتخذ الدار التي صارت لآل فرافصة الحنفيين ولآل وردان دبر زقاق عاصم بن عمر انتهى (وقد) تقدم في ذكر سد الابواب الا ما استثنى ما يقتضى أن حمزة رضي الله تعالى عنه كان له طريق الى المسجد وتقدم بيان زقاق عاصم فتحصل من ذلك أن دار حمزة رضى الله تعالى عنه كانت في قبلة المسجد وهى غير معلومة المحل والله أعلم

﴿الفصل الخامس والثلاثون ٭ فى البلاط وبيان ما ظهر لنا مما كان حوله من منازل المهاجرين﴾

(قد) بوب البخارى فى صحيحه لمن عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد وأورد فيه حديث جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت اليه وعقلت الجمل فى ناحية البلاط وبوب أيضا للرجم بالبلاط وأورد فيه حديث اليهوديين اللذين زنيا قال ابن عمر فرجما عند البلاط (وفى) رواية لابن عمر فرجما قريبا من موضع الجنائز (وعند) أحمد والحاكم من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم اليهوديين عند باب المسجد (وفى الحديث) أن عثمان رضى الله تعالى عنه أتى بماء فتوضأ بالبلاط. وهذا كله مقتض لان البلاط كان قديما قبل ولاية معاوية رضى الله عنه (وفيما) قدمناه ما يبين أنه كان في شرقى المسجد في ناحية موضع الجنائز٭ وظاهر كلام ابن زبالة وابن شبة أن أول حدوثه في زمن معاوية رضى الله عنه فانهما رويا عن عثمان بن عبد الرحمن ابن عثمان بن عبيد الله قال بلط مروان بن الحكم البلاط بأمر معاوية رضى الله عنه وكان مروان بلط ممر أبيه الحكم الى المسجد وكان قد أسن واصابته ريح فكان يجر رجليه فتمتلئان ترابا فبلطه مروان بذلك السبب فأمره معاوية بتبليط ماسوى ذلك مما قارب المسجد ففعل وأراد أن يبلط بقيع الزبير فحال ابن الزبير بينه وبين ذلك وقال تريد ان تنسخ اسم الزبير ويقال بلاط معاوية قال فامضى مروان البلاط فلما حاذى دار

عثمان بن عبيدالله ترك الرحبة التى بين يدى داره فقال له عبد الرحمن بن عثمان لئن لم تبلطها لادخلنها فى دارى فبلطها مروان ٭ واقتصر عياض فى بيان البلاط على ما فى غربى المسجد منه فقال البلاط موضع مبلط بالحجارة بين المسجد والسوق بالمدينة انتهى (وقد) تبع فى ذلك أبا عبيد البكرى وفيه نظر لان مقتضى الاحاديث المتقدمة ارادة ما في شرقى المسجد منه ومع ذلك فهو فى شرقى المسجد وغربيه والشام (وقال) ابن شبة حدثنا محمد ابن يحيى قال حدثنا من يوثق به من أهل العلم أن الذى بلط حوالى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما أمر بذلك مروان بن الحكم وولى عمله عبد الملك بن مروان وبلط ما حول دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز (وحد) ذلك البلاط الغربى ما بين المسجد الى خاتم الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق (وحده) الشرقي الى دار المغيرة بن شعبة رضي الله عنه التى في طريق البقيع من المسجد (وحده) اليمانى الى حد زاوية دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز (وحده) الشامى وجه حش طلحة خلف المسجد وهو في المغرب أيضا الى حد دار ابراهيم بن هشام الشارعة على المصلى ﴿وللبلاط﴾ أمراب ثلاثة تصب فيها مياه المطر. فواحد بالمصلي عند دار ابراهيم بن هشام. وآخر على باب الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق ثم يخرج ذلك الماء الى ربيع في الجبانة عند الحطابين. وآخر عند دار أنس بن مالك في بنى جديلة عند دار بنت الحارث انتهى (ويؤخذ) من ذلك أن البلاط كان من المغرب فيما بين المسجد وبين الدور المطيفة به (ويمتد) البلاط الآخر من باب الرحمة الى أن يصل الى الصوغ وسوق العطارين اليوم ويستمر كذلك الى حد سوق المدينة الاول عند أحجار الزيت ومشهد مالك بن سنان فهناك خاتم الزوراء عند دار العباس وهو خاتم البلاط وذلك ما بين مشهد مالك بن سنان والدور المواجهة له كما سنبينه في ذكر سوق المدينة وهو موجود اليوم فى تلك الجهة (ويمتد) أيضا البلاط الآخذ من باب السلام الى أن يصل الى المدرسة الزمنية وينعطف لجهة الشام حتى يتصل بالبلاط الممتد من باب الرحمة لجهة سوق الصوغ والعطارين وهذا الجانب منه هو الذى تقدمت الاشارة اليه بأن عنده أصحاب الفاكهة (وفي) طبقات ابن سعد عن محمد بن عمرو في دار حكيم بن حزام المتقدم ذكرها فيه أنها عند بلاط الفاكهة عند زقاق الصواغين انتهى (ثم) يمتد البلاط الآخذ من باب السلام في الاستقامة من المدرسة

الزمنية فيمر بالموضع المعروف اليوم بسويقة فيجاوز باب المدينة المعروف بباب سويقة حتى يصل الي المصلى وهذا معنى قوله وهو في المغرب أيضا الى حد دار ابراهيم بن هشام الشارعة على المصلى (وهذه) الناحية من البلاط الغربى هى المسماة بخط البلاط الاعظم ٭ وما كان عن يمين الماشى فى هذا البلاط قاصدا باب السلام فهو الذى يعبر عنه بميمنة البلاط الاعظم وما كان عن يساره فهو الذى يعبر عنه بميسرة البلاط الاعظم (وأما) البلاط الشرقى فحده من القبلة ظاهر عند زاوية الدار التى يسكنها مشايخ الخدام من دار عثمان وزاوية رباط مراغة (ومن) المشرق يمتد فى زقاق البقيع الى خارج باب رباط المغاربة عند مايعطف من آخر الدور التى قدمنا أنها فى محل دار أبي بكر رضى الله عنه المقابلة لرباط المغاربة .ولعل دار المغيرة بن شعبة هى التى تواجهك حين تعطف هناك ثم تكون على يسارك وأنت ذاهب الى البقيع فى مقابلة الرباط المعروف برباط الصادر والوارد ولعل البلاط كان متصلا بها (وقد) قال ابن شبة في دور بنى عبدشمس ان عثمان رضى الله تعالى عنه اتخذ أيضا دار المغيرة بن شعبة التى بالبقيع فعارض المغيرة الى دار عثمان بن عفان التي يقال لها دار عمرو بن عثمان التى بين دار المغيرة بن شعبة اليوم و بين دار زيد بن ثابت من الانصار انتهى (فدار) المغيرة التى ناقل بها عثمان ليست المرادة لانه قال فيها انها بالبقيع وذكر فى هذه التى حدد بها البلاط أنها بزقاق البقيع (وأيضا) قد قدمنا قول محمد بن عقيل فى خبره في سقوط جدار الحجرة حتى اذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتني رائحة لاوالله ماوجدت مثلها قط فانه يدل على قرب دار المغيرة من المسجد (وأيضا) فمن الشائع بين الناس اليوم نسبتهم الى عثمان رضى الله تعالى عنه الدار التى فى شرقى الدار التى قلنا لعلها دار المغيرة بينها و بينها ساباط ولعلها التى كانت لعثمان وناقل بها المغيرة الى داره التى بالبقيع وقد قال في وصفها أنها بين دار المغيرة اليوم ودار زيد بن ثابت فتكون دار زيد بن ثابت هى التي تلى ذلك فى المشرق أيضا على يسار الذاهب الى البقيع وماعن يمينه مما يلى رباط المغاربة دور آل حزم من الانصار (وقد) قال ابن شبة ان عتبة بن غزوان حليف بنى نوفل بن عبد مناف اتخذ داره التى بالبقيع الي شرقي دور آل حزم الانصار فتكون على يمين الذاهب الى البقيع بعد دور آل حزم (فأما) البلاط الشامي فمحله ظاهر بين المسجد والدور التي قدمناها فى شاميه لكن حدث

فيه دور لاصقة بالمسجد بعد سد الابواب التى فى تلك الجهة كما قدمناه (وأما) ماذكره ابن شبة من أن الماء الذى يصب فى السرب الذى بالمصلى والسرب الذى عند دار العباس يخرج الى ربيع فى الجبانة عند الحطابين فالمراد أنه يخرج الى الربيع المذكور في شامى سوق المدينة عند سوق الحطابين قرب ثنية الوداع لما سيأتي فى ترجمة الجبانة (وقوله) ان السرب الآخر عند دار أنس بن مالك في بنى جديلة عند دار بنت الحارث. فأما دار أنس فلم يتحرر لى معرفتها غير انه سيأتى فى بئره وكانت فى داره مايرجح عندنا فى محلها فيؤخذ منه أن داره كانت عند البئر المعروفة اليوم بالرباطين خلف الحديقة المعروفة بالرومية فى شامى سور المدينة (وأما) دار بنت الحارث فلم أعلم محلها وعلى ماذكرناه فى دار أنس تكون فى محل الحديقة المعروفة بالرومية أوماحولها . ودار بنت الحارث هذه لها ذكر في أماكن كثيرة وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينزل بها الوفود وجعل بها أسرى بنى قريظة حتى خندق لهم الخنادق بالسوق وقتلوا (وروى) ابن زبالة عن محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى نفر من أصحابه من قريش والانصار وهم فى دار بنت الحارث فلما رأوه أوسعوا له الحديث (وبنت) الحارث اسمها رملة وهذه الاسراب الثلاثة لايعرف منها شيء اليوم (وقد) علا الكبس علي كثير من البلاط ولم يبق ظاهرا منه الا ماحول المسجد النبوى وشيء من جهة بيوت الاشراف ولاة المدينة . وله بلاليع يجتمع الماء فيها فاذا كثرت الامطار تجتمع حول المسجد لامتلاء تلك البلاليع فيصير امام أبواب المسجد كالغدران الكبار خصوصا في شرقي المسجد فحفر الشمس ابن الزمن متولى العمارة الشريفة البلاعة التى فى شرقي المسجد وتتبع ماحولها فوجد سربا تحت الارض آخذا من شرقى المسجد الي جهة زقاق المناصع وتتبعه حتى وصل الى الحوش المعروف اليوم بحوش الحسن فوجد الناس قد بنوا هناك ولم يتمكنوا من تتبعه الا بهدم الابنية فتركوه وهذا هو السرب الذى تقدم أنه كان يخرج عند دار أنس بن مالك فى بني جديلة (ثم) ان متولى العمارة حفر سربا لتلك البلاليع التى عند أبواب المسجد وأوصلها بالسرب الذى يسير فيه وسخ العين فحصل بذلك غاية النفع وصار الماء لايقف بعد ذلك بأبواب المسجد و وجد البلاط الاول على أكثر من نصف قامة من الارض فيما يلى الصاغة وسوق العطارين وكذا فى شامى

المسجد (وأما) الدور المطيفة بالبلاط الاعظم وهو الآخذ من باب السلام الى المصلى فنى قبلة منازل بنى زريق . وسيأتى من كلام ابن شبة نقلا عن أبى غسان أن ذرع ما بين مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الذى عنده دار مروان وبين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع وقد ذرعناه فكان كذلك لكن الذى يظهر أن البلاط لم يكن متصلا بمسجد المصلى لانه ذكر أن نهايته دار ابن هشام ولم تكن الدور متصلة بنفس المسجد (فأول) الدور المطيفة بهذا البلاط مما يلى المصلى في ميسرة دار ابراهيم بن هشام المخزومي (وفى) ميمنته فى قبلتها جانحا الى المغرب دار سعد بن أبى وقاص والطريق بينهما . ودار سعد هذه قال ابن شبة انها هى التى في دبر دار جبى ولها فيها طريق مسلمة (قال) وسمعت من يقول كانتا دارا واحدة لسعد وان عمر بن الخطاب كان قاسمه اياها وكانت دار جبي قسيمة هذه الدار حين قاسمه ماله مقدم سعد من العراق فاشترى دار جبى عثمان بن عفان ثم صارت لعمرو بن عثمان وكانت جبى ارضعت عمرا فوهبها لها فكانت بيدها حتى سمعت نقيضا في سقف بيتها فقالت لجاريتها ماهذا قالت السقف يسبح قالت ماسبح شئ قط الا سجد فخرجت فاضطربت خباء بالمصلى ثم باعت الدار من بعض ولد عمر بن الخطاب قال وسمعت من يقول ان عثمان نفسه أقطعها اياها (ثم) يليها فى ميمنة البلاط المذكور دار سعد بن أبي وقاص أيضا وكانت لابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فناقله أبو رافع الى داريه بالبقال وكانتا دارا لسعد (وفي) ميسرة البلاط في مقابلة هذه الدار دار لسعد أيضا الطريق بينهما عشرة أذرع ودور سعد صدقة (وقد) ذكر ابن شبة كتاب وقفها . وبقى من دوره دار أخرى قال ابن شبة واتخذ سعد أيضا دارا بالمصلى بين دار عبد الحميد بن عبيد الكنانى وبين الزقاق الذى يسلك في بنى كعب عند الحمارين وفتح في طائفة من أدنى داره بابا في الزقاق حتى صارت كأنها داران ﴿ قلت ﴾ وسيأتى ذكر منازل بنى كعب وذكر الحمارين ويعلم من مجموع ذلك ان زقاق الحمارين كان في قبلة البيوت التى بالمصلى والبيوت التى فى قبلة البلاط يبنى زريق (ثم) يلى دار سعد التى كانت لابى رافع في ميمنة البلاط المذكور دار آل خراش من بنى عامر بن لؤى وتعرف بدار نوفل بن مساحق بن عمرو العامرى (وفى) دبرها من جهة القبلة كتاب عروة رجل من اليمن كان

يعلم (وفى) كتاب عروة مسجد بنى زريق وعنده دار رفاعة بن رافع . ودار آل خراش هذه هى التى عناها ابن شبة بقوله وقال يعني أبا غسان وحدثني عبد العزيز أن رافع بن مالك الزرقي قتل باحد فدفن فى بنى زريق قال وقيل ان موضع قبره اليوم فى دار آل نوفل بن مساحق التى في بني زريق فى كتاب عروة وصارت للعباس بن محمد (ثم) يلى دار آل خراش فى الميمنة أيضا دار الربيع التى يقال لها دار حفصة وهى مولاة لمعاوية بن أبى سفيان كانت تسكنها فنسبت اليها قبل وكانت هذه الدار قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي العاص الثقفى فابتاعها من ولده معاوية بن أبى سفيان وكانت معها لعثمان أيضا دار آل خراش المتقدمة الى جنبها ويقال انه ابتناها في قطيعة النبي صلى الله عليه وسلم اياه أيضا (وفي) الميسرة فى شامي الدارين المذكورين مقابلا لهما دار نافع بن عتبة بن أبي وقاص التى ابتاعها الربيع مولى أمير المؤمنين من ولد نافع وتعرف أيضا بدار الربيع (وفي) دبر الدار المتقدمة التى يقال لها دار حفصة من القبلة دار عبد بن زمعة قال ابن شبة واتخذ عبد بن زمعة داره التى فى كتاب عروة الى حدها الشامي فتكون دار حفصة بينها وبين البلاط بابها لازق في كتاب عروة أى فى غربيها (وفى) قبلة دار عبد بن زمعة دار ابن مشنو قال ابن شبة أيضا واتخذ عبد الرحمن بن مشنو داره التى في كتاب عروة . حدها من الشام دار عبد بن زمعة . وحدها من المشرق كتاب اسحق الاعرج بابها لاصق فى كتاب عروة أي فى غربيها أيضا وهي صدقة منه (وفى) قبلة دار ابن مشنو دار عمار بن ياسر فانها حد دار ابن مشنو من القبلة (قال) ابن شبة واتخذ عمار بن ياسر داره التى فى بنى زريق وكانت من دور أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وبابها وجاه دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أى الذى في شرقيها وكانت أم سلمة أعطته اياها ولها خوخة شارعة في كتاب عروة أي فى المغرب وهي خوخة عمار نفسه انتهى فهذه الدور الثلاثة مصطفة في القبلة خلف دار حفصة المذكورة وخلف الدار الآتية بعدها وبينهن من المغرب كتاب عروة ومسجد بنى زريق ومن المشرق زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث الآتى ذكره (وذكر) ابن شبة ماحاصله أن دار الارقم بن أبى الارقم المخزومى فى بنى زريق فيما بين دار ابن ام كلاب الشارعة على المصلى الى دار رفاعة بن رافع الانصارى قبالة مسجد بنى زريق

(ثم) يلى دار الربيع التى يقال لها دار حفصة في ميمنة البلاط دار أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (ثم) يليها في الميمنة أيضا زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وداره هى التى تقدم أنها تقابل دار عمار بن ياسر في الشرق وبينها وبين البلاط الداران الآتي ذكرهما وهذا الزقاق سيأتي له ذكر فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من صلاة العيد (وكذا) دار أبى هريرة هذه قال ابن شبة اتخذ أبو هريرة الدوسى دارا بالبلاط بين الزقاق الذى فيه دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وبين خط البلاط الاعظم فباعها ولده من عمر بن بزيع ٭ والذى ظهر لى بعد التأمل فيما ذكره ابن شبة فى هذه الدور بقرينة ماسنذكره ان شاء الله تعالى أن زقاق عبد الرحمن بن الحارث هو أول زقاق يلقاك عن يمينك اذا دخلت من باب المدينة اليوم تريد المسجد . وظهر لى أيضا ان دار هشام والدار الثانية التى تليها في الميسرة وبعض الثالثة كن من خارج سور المدينة وكذلك مايقابل ذلك فى الميمنة من داري سعد وبعض دار آل خراش (ثم) يلي زقاق عبد الرحمن بن الحارث فى ميمنة البلاط دار عبد الله بن عوف (ثم) يليها في الميمنة زقاق أبى أمية بن المغيرة قال ابن شبة في دور بنى زهرة واتخذ عبد الله بن عوف بن عبد عوف دارا بالبلاط بين زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وبين زقاق دار أبى أمية بن المغيرة ويقال لها دار طلحة بن عبد الله بن عوف فهى صدقة بأيدى ولده الاشيأ خرج منها صار لبكار بن عبد الله بن مصعب الزبيرى (ويلى) دار أبى أمية التى نسب اليها الزقاق المذكور في قبلتها دار الحويطب بن عبد العزى بينها وبين دار سعيد بن عمرو بن نفيل وهما شارعتان في خط الحمار بين الشارع الى دار ابن عتبة ببني زريق شرقي دار أبى أمية وفي شرقيها أيضا دار صهيب بن سنان وكانت لام سلمة رضى الله تعالى عنها وكل هذه الدور في بنى زريق ﴿ولنرجع﴾ الى جهة الميسرة فنقول (وفي) الميسرة في مقابلة دار أبى هريرة وبعض التى قبلها دار حويطب بن عبد العزى وهى غير داره السابقة وتلك ليست فى البلاط كما قدمناه قال ابن شبة في دور بنى عامر بن لؤى واتخذ حويطب بن عبد العزى داره التى بين دار عامر بن أبى وقاص وعتبة بن أبي وقاص بالبلاط منها البيت الشارع على خاتمة البلاط بين الزقاق الذى الى دار آمنة بنت سعد وبين دار الربيع مولي أمير المؤمنين وهى صدقة منه على ولده انتهى ولم يذكر لعتبة

ابن أبى وقاص دارا بالمدينة. والذى انتقل الى المدينة واتخذبها الدار انما هو ابنه نافع وداره هى المتقدم ذكرها التي صارت للربيع فهى المرادة (وقال) في بيان دار عامر بن أبى وقاص الزهرى واتخذ عامر بن أبى وقاص داره التي فى زقاق حلوة بين دار حويطب بن عبد العزى وبين خط الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد بن أبى سرح انتهى ٭ فيتلخص من ذلك أن دار حويطب المذكورة فى شرقي دار الربيع المتقدمة في الميسرة والى جانبها خاتمة البلاط وهو اليوم الزقاق الذى بين سور المدينة وبين البيوت المقابلة له ولمشهد سيدنا مالك بن سنان على يسارك عندما تدخل من باب المدينة وأن من دار حويطب يبدأ خلفها من جهة جانبها الغربى شارعا على خاتمة البلاط المذكورة وخلفه من جهة الشام الزقاق الذى فيه دار آمنة وتكون دار عامر بن أبى وقاص خلف دار حويطب من جهة جانبها الشرقى ويكون زقاق حلوة فى شرقيهما ولعله المعروف اليوم بزقاق الطوال لانطباق الوصف المذكور عليه (وسيأتى) لزقاق حلوة ذكر في الآبار (ثم) فى الميسرة أيضا دار عبد الله بن مخرمة قال ابن شبة في دور بني عامر بن لؤى اتخذ عبد الله بن مخرمة داره التى فى البلاط الشارع بابها قبالة دار عبد الله بن عوف التى فيها بنو نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة وخرج عنهم بعضها فهو فى يد ورثة عمر بن بزيع مولى أمير المؤمنين ﴿ولنرجع﴾ الى جهة الميمنة فنقول (ثم) الى زقاق دار أبى أمية فى الميمنة من شرقيه دار خالد بن سعيد الاكبر ابن العاص التي يقال لها دار سعيد ابن العاص الاصغر ابن سعيد بن العاص ويقال لها دار ابن عتبة وانما ورثها عبد الله بن عتبة عن عمه خالد بن سعيد (ويقابلها) في الميسرة دار أم خالد التى لآل خالد بن الزبير بن العوام ورثوها عن أمهم أم خالد بن سعيد بن العاص وقيل انهما قطيعة من النبى صلى الله عليه وسلم (ثم) يلى دار خالد بن سعيد فى الميمنة دار أبى الجهم. ثم دار نوفل بن عدى (ثم) دار آل المنكدر التيمى قال ابن شبة فى دور بنى عدى واتخذ أبو الجهم داره التى بين دار سعيد بن العاص التى يقال لها دار ابن عتبة وبين دار نوفل ابن عدى بابها شارع فى البلاط ﴿قلت﴾ وهذه الدار هى المرادة بما رواه مالك فى الموطأ عن عمه أبى سهل بن مالك بن أبى عامر عن أبيه كنا نسمع قراءة عمر بن الخطاب ونحن عند دار أبى جهم بالبلاط وكذا بما رواه البيهقى عن موسى بن عقبة أن رجال

نى قريظة قتلوا عند دار أبي جهم التي بالبلاط ولم يكن يومئذ بلاط فزعموا أن دماءهم
لمت أحجار الزيت التى كانت بالسوق (وقال) ابن شبة في دور بني أسد واتخذ نوفل
بن عدى بن أبى حبيش دارين . احداهما التى بالبلاط عند أصحاب الرباع بين دار
لمنكدر التيمينى وبين دار آل أبى جهم العدويين والدار الأخرى فى بنى زريق وجاه
الكتاب الذى يقال له كتاب آل ريان بين منزل أبى بكر بن عبدالرحمن بن الحارث
ابن هشام الذي صار لبني عبيد بن عبد الله بن الزبير وبين حد الزقاق الذى عند
الحارين دبرها دار هانئ التى بأيدى آل جبر انتهي وهذه الأمور التي ذكرها فى الدار
الثانية حول ماخلف دار سعيد بن العاص المسماة دار ابن عنبة من جهة القبلة والزقاق
الذى ذكره هناك عند الحارين يمتد في المغرب الى المصلى في قبلة دور سعد بن أبى
وقاص (وقد) ذكر ابن شبة أيضا أن دار رويشد الثقفى التى يقال لها القمقم في كتاب
ابن زيان هى التى حرقها عليه عمر بن الخطاب في الشراب وكان رويشد خمارا (وفى)
غربى هذه الدار أدنى دار على بن عبدالله بن أبى فروة وشرقيها الطريق بينها وبين
بيوت آل مصبح ويمانيها دار الأويسيين التى لسكن خالد بن عبدالله الأويسى
وشاميها قبلة بيوت آل مصبح التى بينها وبين دار موسى بن عيسى ٥ وبيوت آل مصبح
ذكرها فى دور بنى عامر بن لؤى فقال واتخذ ابن أم مكتوم دارا هى البيوت التى
للمصبحين بين دار آل زمعة بن الاسود وبين شرقى القمقم انتهى وهذه الأمور أيضا
حول الدور المتقدمة في بنى زريق (وقوله) في دار نوفل الأولى وهي المقصودة لأنها التى
في ميمنة البلاط وأنها عند أصحاب الرباع لم أعلم المراد به غير أن فى طبقات ابن سعد أن
دار حويطب بن عبدالعزى المتقدم ذكرها في الميسرة عند أصحاب المصاحف فانه قال
في ترجمته "وله دار بالبلاط عند أصحاب المصاحف فلعل المراد بالرباع المصاحف لان المصحف
يسمى ربعة . فيستفاد منه أن هذه الناحية من البلاط ميمنة وميسرة تسمى بذلك لكن قال
ابن شبة في دور العباس بن عبد المطلب مالفظه وقد سمعت من يذكر أن دار فضالة بن
الحكم بن أبى العاص التي بالبلاط الخربة التى عند أصحاب الرباع على يمين من سلك
الى بنى جديلة كانت مربدا للعباس رضى الله عنه ويقال أنها كانت مربدا لنعم الصدقة انتهى
وهو يقتضى ان أصحاب الرباع ليسوا في البلاط الاعظم لأنه ليس فيه مسلك الى بنى جديلة

وانما يتوصل منه الى بنى جديلة بعد اتيان البلاط الآخر الذى هو موضع سوق المدينة اليوم
عند درج العين وقد تقدم أن ذلك يسمى بموضع الفاكهة والله أعلم (هذا) ماعلمته من الدور
التى بهذا البلاط وفي الاقتصار عليها كفاية لان المقصود المهم لنا من ذلك مايتعلق ببيان
مسجد بني زريق وبطريق النبى صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى المصلى ورجوعه منها
كما سيظهر لك (وأما) البلاط الممتد في المغرب الى سوق المدينة القديم فكان عند خاتمة
دار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه كما تقدم (وقال) ابن شبة فى دور العباس ومنها
الدار التى بالزوراء سوق المدينة عند أحجار الزيت اقطعها له عمر بن الخطاب قال وقد
بلغنى ان دار طلحة بن عمر بالبلاط كانت مربدا لدار العباس هذه فابتاعها عمر من
بعض بنيه . ويقوى ذلك أن المنصور أبا جعفر ابتاع تلك الدار من ولد طلحة بن عمر
باربعين الف دينار (ثم) ذكر للعباس دارا اخرى ليست في البلاط لكنها في شامى هذه
الدار فقال (ومنها) الدار التي الى جنب دار آل قارظ حلفاء بنى زهرة بينها وبين خطة
بنى ضمرة وهى التى كان عبد الله بن عباس يسكن وجعلت المحررة هناك لطعام كان ابن
عباس يطعمه (قلت) وانما ذكرنا هاتين الدارين لما سيأتي من ذكرهما فى الدار التى
أخذ بها هشام بن عبد الملك سوق المدينة (ويستفاد) مما سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت
ان دار العباس التي عند خاتمة البلاط المذكور كانت بقرب مشهد سيدنا مالك بن
سنان فى شرقيه وسيأتي أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء أى الذين يبيعون العبى وهنالك
كانت أحجار الزيت

٥﴿ الفصل السادس والثلاثون فيما جاء في سوق المدينة الذى تصدق به النبى صلى الله
عليه وسلم على المسلمين وذكر دار هشام بن عبد الملك التى أخذ بها السوق ﴾٥

(روى) عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال لما أراد رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان يجعل للمدينة سوقا أتى سوق بني قينقاع ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال
هذا سوقكم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج (وروى) ابن زبالة عن يزيد بن عبيد الله
ابن قسيط ان السوق كانت في بنى قينقاع حتى حول السوق بعد ذلك (وقال) ابن
شبة قال أبو غسان وكان بالمدينة في الجاهلية سوق بزبالة من الناحية التى تدعي يثرب
وسوق بالجسر في بنى قينقاع وبالصفاصف بالعصبة سوق وسوق يقوم في موضع زقاق

ابن حيين كانت تقوم في الجاهلية وأول الاسلام وكان يقال لذلك الموضع مزاحم (وروى) ابن شبة أيضا عن صالح بن كيسان قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة في موضع بقيع الزبير فقال هذا سوقكم فأقبل كعب بن الاشرف فدخلها وقطع أطنابها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجرم لأنقلنها الى موضع هو أغيظ له من هذا فنقلها الى موضع سوق المدينة ثم قال هذا سوقكم لاتتحجروا ولا يضرب عليه الخراج (وعن) أبى أسيد أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد رأيت موضعا للسوق أفلا تنظر اليه قال فجاء به الى موضع سوق المدينة اليوم أى في زمنهم قال فضرب النبى صلى الله عليه وسلم برجله وقال هذا سوقكم فلا ينتقص منه ولا يضربن عليه خراج (وروى) ابن زبالة عن عباس بن سهل عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بنى ساعدة فقال انى قد جئتكم في حاجة تعطونى مكان مقابركم فأجعلها سوقا وكانت مقابرهم ماحازت دار ابن أبى ذئب الى دار زيد بن ثابت فاعطاه بعض القوم ومنعه بعضهم وقالوا مقابرنا ومخرج نسائنا ثم تلاوموا فلحقوه وأعطوه اياه فجعله سوقا ه(قلت)ه وسيأتى مايبين ان دار ابن أبى ذئب ودار زيد بن ثابت كانتا في شرقي السوق الاولى عند اثنائه مما يلى الشام والثانية عند أثنائه مما يلى القبلة فليست المقابر المذكورة سوق المدينة كله بل بعضه (وقد) قدمنا في منازل بنى ساعدة ان ابن زبالة نقل ان عرض سوق المدينة مابين المصلى الى جرار سعد وهى جرار كان يسقى الناس فيها الماء بعد موت امه وقدمنا أن الذى يترجح أن المصلى حده من جهة القبلة وان جرار سعد حده من جهة الشام فتكون جرار سعد قرب ثنية الوداع وقد قوى الآن ذلك عندى جدا لما سيأتي فى ذكر دار هشام (وروى) ابن شبة أيضا وابن زبالة عن محمد بن عبد الله بن حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق على المسلمين باسواقهم (وروى) ابن زبالة عن خالد بن الياس العدوى قال قرئ علينا كتاب عمر بن عبد العزيز بالمدينة انما السوق صدقة فلا يضربن على أحد فيه كراء (وعن) ابن أبى ذئب انرسول الله صلى الله عليه وسلم مر على خيمة عند موضع دار المنبعث فقال ماهذه الخيمة فقالوا خيمة لرجل من بني حارثة كان يبيع فيها التمر فقال حرقوها فحرقت. قال ابن أبى ذئب وبلغنى ان الرجل محمد بن مسلمة (وروى) ابن شبة عن أبي مردود عبد

العزيز بن سليمان أن عمر بن الخطاب رأى كير حداد فى السوق فضربه برجله حتى هدمه وقال اتنتقص سوق رسول الله صلى الله عليه وسلم (وروى) ابن زبالة عن حاتم ابن اسماعيل عن حبيب قال مر عمر بن الخطاب على باب معمر بالسوق وقد وضع على بابه جرة فأمر بها أن تقلع فخرج اليه معمر فقال انما هذه جرة يسقى فيها الغلام الناس قال فنهاه عمر أن يحجر عليها أو يحوزها . قال فلم يلبث أن مر عليها وقد ظلل عليها فأمر عمر بالجر والظل فنزعها (وعن) عبدالله بن محمد قال كان الراكب ينزل بسوق المدينة فيضع رحله ثم يطوف بالسوق ورحله بعينه يبصره لايغيبه عنه شئ (وروى) أيضا قصة أخذ معاوية رضى الله تعالى عنه لدار النقصان من صحن سوق المدينة (وروى) أيضا عن محمد بن طلحة وغيره قال أحدث ابراهيم بن هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة في سلطان هشام بن عبد الملك وهو يومئذ وال له على المدينة دارا أخذ بها سوق المدينة وسد بها وجوه الدور الشوارع فى السوق وكتب الى هشام يذكر له عليها وعظيم قدرها فكتب اليه هشام يأمره بامضائها وامضاء عين السوق وكان أحدثها في سكك أهل المدينة ودخلت فى بعض منازلهم فكتب اليه أن أمضها وان كانت في بطونهم ه(قلت)ه ونقل ابن شبة عن أبى غسان انه قال كان الذى هاج هشام بن عبد الملك على بناء داره التى كانت بالسوق ان ابراهيم بن هشام بن اسماعيل كان خال هشام بن عبد الملك وكان ولاه المدينة فكتب اليه ابراهيم فذكر أن معاوية بن أبى سفيان بنى دارين بسوق المدينة يقال لاحداهما دار القطران والأخرى دار النقصان وضرب عليهما الخراج وأشار عليه أن يبنى دارا يدخل فيها سوق المدينة فقبل ذلك هشام وبناها وأخذ بها السوق كله انتهى (وقال) ابن زبالة عقب ماتقدم فابتدأ الدار من خاتمة البلاط أى الذى عند دار العباس بالزوراء بقرب مشهد مالك بن سنان رضى الله عنه فيكون هذا الجدار في شرقى السوق وهذا أول الجدار المذكور مما يلى القبلة وما سيأتى فيه دال على أنه استمر بعده الى جهة الشام وليس ابتداء هذا الجدار من القبلة أول السوق لما سيأتى بل بقي منه بقية فى جهة القبلة الى المصلى سيأتى ذكرها (قال) ابن زبالة عقب ذكره لابتداء الدار من خاتمة البلاط فمضى بها حتى سد بها وجه دار العباس بن عبد المطلب أى التى عند خاتمة البلاط ودار نخلة وكانت لآل شيبة بن ربيعة وانما سميت دار نخلة لنخلة

كانت فيها (ثم) دار معمر العدوى التى كان يجلس صاحب السوق بفنائها (ثم) دار خالد ابن عقبة التى بفنائها أصحاب الرقيق (وجعل) لبنى ساعدة طريقا مبوبة (ثم) أخذ وجه دار ابن جحش (ثم) وجه دار ابن أبي فروة التى كانت لعمر بن طلحة بن عبيد الله (ثم) وجه دار ابن مسعود (ثم) وجه دار زيد بن ثابت وجعل للطريق منفذا مبوبا (ثم) وجه دار جبير ابن مطعم التي فيها أصحاب العباء (ثم) وجه دار القارظيين (ثم) وجه دار العباس بن عبد المطلب أى الثانية التى كان عبدالله بن عباس يسكنها وجعل لبنى ضمرة طريقا مبوبا (ثم) وجه دار ابن أبى ذيب (ثم) دار آل شويفع (ثم) صدقة الزبير وجعل لبنى الديل طريقا مبوبا ٭(قلت)٭ وهذا الطريق عند نهاية هذا الجدار الشرقى مما يلى الشام قرب ثنية الوداع والطرق المذكورة قبله كلها فى الجدار المذكور خططها في المشرق (ثم) بين ابن زبالة مايقابل هذا الجدار في المغرب مبتدئا بما يقابله من جهة القبلة ثم الى الشام فقال عقب ماتقدم (ثم) أخذ بها من الشق الآخر فأخذ وجه الزوراء ووجه دار ابن نصلة الكناني (ثم) على الطاقات حتى ورد بها خيام بنى غفار وجعل لمخرج بنى سلمة من زقاق ابن جبير بابا مبوبا عظيما يغلق (ثم) مضى بها على دار النقصان ودار نويرة وجعل لسكة أسلم بابا مبوبا (ثم) مضى بها على دار ابن أزهر ودار ابن شهاب ودار نوفل بن الحارث حتى جاوز بها دار حجارة وكانت لعبيدالله بن عباس بن عبد المطلب حتى اذا جاوز بها دار حجارة جعل لها بابا عظيما يقابل الثنية ٭(قلت)٭ يعنى ثنية الوداع وهذا الباب في جهة الشام كما صرح به ابن شبة فقال عقب ماتقدم وجعل لها بابا شاميا خلف شامى زاوية دار عمر بن عبدالعزيز بالثنية (ثم) جعل بينها وبين دار عمر بن عبد العزيز عرضا ثلاثة أذرع ثم وضع جدارا آخر وجاء هذا الجدار (ثم) قاد الاساس بينه وبين الدور كلها ثلاثة أذرع حتى الزقاق الذى يقال له زقاق ابن جبير جعل عليه بابا وجعل على الزقاق الذى يقال له زقاق بنى ضمرة عند دار آل أبى ذئب بابا (ثم) جعل على الزوراء خاتم البلاط أى بابا . فيستفاد منه جعل باب هناك وليس فى كلام ابن زبالة تعرض له (ثم) ان ابن زبالة ذكر مابقى من شقى الدار الغربى والشرقى مما يلى القبلة الى المصلى فقال عقب كلامه السابق (ثم) ساقها من الشقين جميعا الغربى والشرقى فسد بها وجوه الدور وأخذ بها السوق فسد بها من الشق الشرقى وجه دار قطران وكانت من دور معاوية

(ثم) وجه دار ابن جودان وتلك الدور (ومن) الشق الغربى دار حجارة لكثير ابن الصلت وكانت قبله لربيعة بن دراج الجمحى (ثم) وجه الربعة التى فيها دار آل أبى عثمان حلفاء أزهر بن عبدعوف (ثم) جعل للسكة منفذا (ثم) وجه دار التمارين وكانت لمعاوية بن أبي سفيان وقبله لسعيد بن عبدالرحمن بن يربوع ٭ فلما بلغ ابن هشام بالدار التمارين وقف وجعل لها هنالك بابا عظيما يقابل المصلى (وقال) ابن شبة عقب قوله فيما تقدم وجعل على الزوراء خاتم البلاط مالفظه ثم مد الجدار حتى جاء به على طيقان دار القطران الأخرى الغربى حتى جاء بها الى دار ابن سباع بالمصلي التى هى اليوم لخالصة فوضع ثم بابا أى بالمصلى (قال) ثم بنى ذلك بيوتا فجعل فيه الاسواق كلها فكان الذي ولى ابن هشام أى على بنائها سعد بن عبدالرحمن الزرقي من الانصار . فتم بناؤها الا شيأ من بابها الذى بالمصلى (ونقلت) أبوابها اليها معمولة من الشام وأكثرها من البلقاء انتهى (وقال) ابن زبالة عقب كلامه السابق وفعل ذلك في بقيع الزبير وضرب عليه طاقات وأكراها وسد بها وجوه دورهم وجعل للسكك منفذا يغلق ﴿قلت﴾ ومراده أنه جعل فى فضاء بقيع الزبير دارا كدار السوق ولايتوهم من ذلك أن بقيع الزبير من جملة السوق لما سيأتى فى ترجمته (قال) ابن زبالة وجعل لدار السوق حوانيت فى أسفلها وعلالىّ تكرى للسكن وحملت أبوابها من البلقاء فمنها بقية بالمدينة مكتوب فيها البلقاء (قال) فبينا الناس لايدرون بموت هشام الى أن جاء ابن المكرم الثقفى من الشام بريدا بموته رسولا للوليد بن يزيد ويبشرهم بالعطاء فصاح حين دخل الثنية ألا أن هشاما الاحول قد مات فوثب الناس على الدار فهدموها وعلى عين السوق فقطعوها (وعبارة) ابن شبة فلم تزل أى تلك الدار على ذلك حياة هشام بن عبدالملك وفيها التجار فيؤخذ منهم الكراء حتى توفى هشام فقدم بوفاته ابن مكرم الثقفى فلما أشرف على رأس ثنية الوداع صاح مات الاحول واستخلف أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فلما دخل دار هشام تلك صاح به الناس ماتقول في الدار قال اهدموها فوقع الناس فهدموها وانتهبت أبوابها وخشبها وجريدها فلم يمض ثالثة حتى وضعت الى الارض (فقال) أبومعروف أحد بني عمرو بن تميم

ما كان في هدم دار السوق اذ هدمت ٭ سوق المدينة من ظلم ولا حيف
قام الرجال عليها يضربون معا ٭ ضربا يفرق بين السور والتحف

ينحط منها ويهوى من مناكبها * صخر تقلب في الاسواق كالخلف

(وذكر) ابن زبالة هـذه الابيـات عن أبي معروف الا أنه زاد قبلها ثلاثة أخرى فقال وقال أبومعروف

قل للوليـد أبي العباس قد جمعت * ايمان قومـك بالتسليم في الصحف
مازلت ترمى ويرمى الناس عن هدف * حتى وضعت نصال النبل في لهدف
أعطـاك ربك طوعا من قلوبهـم * نصحا تبين قبـل الظن والحلف
* ما كان فى هدم دار السوق اذ هدمت * الابيات المتقدمة

(وروى) ابن زبالة من طريق جعفر بن محمد عن أبيـه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم براوية الخمر التي أهدى له الدوسى فاهريقت بالسوق عنـد بيت ام كلاب حيث يراق الشراب اليوم وسـيأتي فى ترجمـة أحجار الزيت قول ابن أبى فـديك أدركت أحجار الزيت ثلاثة مواجهـة بيت ابن أم كلاب وهو اليوم يعرف ببيت بنى أسد انتهي وكأنه غـير بيت ابن ام كلاب الذى له ذكر في بنى زريق فهـذا السوق هو المراد بما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم خرج بأسرى بنى قريظة الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم ضرب أعناقهم فى تلك الخنادق * و يظهر مما قدمناه وممـا سيأتي في ترجمة الزوراء ان مقدم سوق المدينة مما يلى خاتمة البلاط وما حول ذلك كان يسمى بالزوراء (وروى) ابن شبة عن بعضهم انه قال أدركت سوقا بالزوراء يقال له سوق الحرص كان الناس ينزلون اليها بدرج ﴿قلت﴾ ورأيت في الام للشافعى رضى الله تعالى عنه مايقتضى تسمية سوق المدينة بالبطحاء فانه روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة وكان لهم سوق يقال لها البطحاء كانت بنو سليم يجلبون اليها الخيل والابل والغنم والسمن فقـدموا فخرج اليهم الناس الحـديث (وروى) ابن شبة من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت في حديث ساقه كان يقال لسوق المدينة بقيع الخيل وهذا الحديث تقدم من رواية ابن زبالة في ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم للمدينة وسؤاله نقـل وبائها وفيه ثم عمد الى بقيع الخيـل وهو سوق المدينـة فقام فيه ووجهه الى القبلة فرفع يديه الى الله فقال اللهم حبب الينا المدينة الحديث * والبقيع هنا بالموحدة التحتية فهو المراد بقول ابن عمر فى حديثه الذى رواه الاربعة والحاكم اني أبيع

الابل بالبقيع بالدنانير وآخذ مكانها الدراهم الحديث (ولما) خفي هذا على كثير من الناس قال بعضهم ان الظاهر أن المراد النقيع بالنون أى حمى النقيع قال لانه أشبه بالبيع من البقيع الذى هو مدفن (وقال) النووى ليس كما قال بل هو بقيع الغرقـد بالباء ولم يكن ذلك الوقت كثرت فيه القبور انتهى ولم يذكر أحد من مؤرخى المدينة انه كان ببقيع الغرقد سوق مع اعتنائهم بذكر أسواق المدينة فى الجاهلية والاسـلام فالمعتمد ماقدمناه والمسمى بالبقيع هنا مايلى المصـلى من سوق المدينة ويسمى بقيع المصلى أيضا كما سيأتى ولهذا روى أحمـد والطبرانى عن أبى بردة بن نيار قال انطلقنا مع رسول الله صـلى الله عليه وسلم الى بقيع المصلى فادخـل يده في طعام ثم أخرجها فاذا هو مغشوش أو مختلف فقـال ليس منا من غشنا . ورواه الطبرانى أيضا عن أبى موسى قال انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق البقيع فأدخـل يده فى غرارة فأخرج طعاما الحـديث فعبر عن بقيع المصـلى بسوق البقيع (وروي) ابن زبالة أيضا فى ذكر سوق المـدينة عن محمد بن طلحة قال رأيت عثمان بن عبد الرحمن واسماعيل بن أمية بن عمرو بن سـعيد ومحمد بن المنكدر وزيد بن حصـفة يقومون بفناء بركة السوق اليوم قبـل أن تكون يقومون مستقبلين فسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك فقال قد اختلف علينا في ذلك فقائل يقول كان رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يدعو هنالك وقائل يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم هنالك فينظر الى الناس اذا انصرفوا من العيد (قال) وكان عامر بن عبد الله بن الزبـير يقف عنـد التبانين فيدعو وسيأتى فى ذكر المصـلى مارواه الشافعى فى الام من طريق عبد الرحمن التيمي عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجع من المصلى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق حتى اذا كان عند مسجد المصلى الذى هو عند موضع الدار التي بالسوق قام فاستقبل فج أسـلم فدعا ثم انصرف ﴿قلت﴾ وهذا بين ان بركة السوق في شامى فج أسلم وسيأتي فى منازل أسلم مابيين ان منازلهم فى شامى الثنية التى عليها حصـن أمير المدينة اليوم وتقدم فى ذكر دار السوق حيث قال فيها في جهة المغرب وجعل لسكة أسلم بابا مابين ذلك وحينئذ فـبركة السوق هى المنهل الذى ينزل اليه بالدرج عند مشهد النفس الزكية من عين المدينـة على يسار المار الى ثنية الوداع وفي كلام ابن زبالة مايومى الى ان الذى أحدث العين هناك انمـا

هو ابراهيم بن هشام وسيأتى فى ترجمة أحجار الزيت ان النبى صلى الله عليه وسلم استسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء والله أعلم (وروى) ابن شبة عن أبى هريرة انه كان يقول لايذهب الليل والنهار حتى يخسف برجل بصحن هذا السوق قال ابن أبى فديك وكنت أسمع من المشايخ انه قال والله أعلم ان ذلك يكون على باب بيت البرادين ويقال هو بفناء دار ابن مسعود (وعن) عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده قال خرجت مع أبى هريرة حتى اذا كنا عند دار ابن مسعود قال ياأبا الحارث ان حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخبرنى انه رب يمين بهذه البقعة لايصعد الى الله قال قلت له أنى ذلك ياأبا هريرة قال أما انى أشهد ما كذبت قلت وأنا أشهد (وروى) ابن زبالة عن عبد الرحمن بن يعقوب ان النبى صلى الله عليه وسلم جاء السوق فرأى حنطة مصبرة فأدخل يده فيها فناله بلل فى جوفها فقال ماهذا لصاحب الطعام قال أصابنى مطر فهو هذا البلل الذى ترى قال ألا جعلته على رأس الطعام حتي يراه الناس من غش فليس مني من غش فليس منى وأصل الحديث رواه أبو داود وغيره ولفظه ان النبى صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع فاخبره فأوحى اليه أن أدخل يدك فيه فأدخل يده فاذا هو مبلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من غش (وعن) ابن المغيرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع طعاما في السوق بسعر هو أرفع من سعر السوق فقال تبيع في سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا قال نعم يارسول الله قال صبرا واحتسابا قال نعم يارسول الله قال أبشروا فان الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله وان المحتكر فى سوقنا كالملحد في كتاب الله ﴿قلت﴾ وقوله بسعر هو أرفع أى بزيادة فى المسعر وهو المبيع ويدل لذلك مارواه ابن شبة عن ابن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة قال كان أبي وعثمان بن عفان شريكين بجلبان التمر من العالية الى السوق فمر بهم عمر بن الخطاب فضرب الغرارة برجله وقال ياابن أبي بلتعة زد فى السعر والا فاخرج من سوقنا (وروى) ابن زبالة عن القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبى بلتعة وهو بسوق المصلى وبين يديه غرارتان فيهما زبيب فسأله عن سعره فسعر له مدين بدرهم فقال عمر قد حدثت بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيبا وهم اذا وضعوا الى جنبك غدا اعتبروا بسعرك فاما ان ترفع فى السعر واما أن تدخل زبيبك

في البيت فتبيعه كيف شئت فلما رجع عمر حاسب نفسه فى الظهر ثم خرج فاتى حاطبا في منزله فقال ان الذى قلت لك ليس بعزيمة مني ولا قضاء وانما هو شئ أردت به الخير فحيث شئت فبع

﴿ الفصل السابع والثلاثون في منازل القبائل من المهاجرين ثم اتخاذ السور على المدينة ﴾

(قال) عمر بن شبة نزل بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة القطيعة التي قطع لهم النبى صلى الله عليه وسلم وهى مابين دار كثير بن الصلت التى تعرف بدار الحجارة بالسوق الي زقاق ابن حبين الى دار أبى سبرة الى منازل آل الماجشون بن أبي سلمة وبهذه الخطة مسجد بنى غفار صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من منزل أبى رهم بن الحصين الغفارى ﴿قلت﴾ ودار كثير بن الصلت هذه تقدم بيانها في غربى السوق مما يلى القبلة شامى المصلى. وأما زقاق ابن حبين ففى غربى السوق أيضا مما يلى الشام بالقرب من حصن أمير المدينة وابن حبين كان مولى للعباس بن عبد المطلب . وأما دار أبى سبرة فلم أعرفها فالظاهر انها كانت فى جهة غربى سوق التمارين وأما منازل آل الماجشون فذكر هو فى موضع آخر أنها فى زقاق الجلادين وسيأتى فى منازل بنى كعب انه شارع على المصلى والله سبحانه وتعالى أعلم (واتخذ) سباع بن عرفطة الغفارى خطة بالمصلى وهي الدار التى يقال لها دار عبد الملك بن مروان بالمصلى وجهها شارع قبالة الحجامين ﴿قلت﴾ وذلك في شامى المصلى مما يلى السوق والمغرب لان ابن شبة قال ان أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اتخذ دارا بالمصلى في موضع الحجامين ثم ابتاعها معاوية فزادها في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم أدخلها بعد هشام بن عبد الملك في داره التى أخذ بها السوق ثم هدمت (ونزل) سائر بنى غفار محلتهم وهى السائلة من جبل جهينة الى بطحان ومابين خط دار كثير بن الصلت ببطحان الى بني غفار (فنزلت) بنو غفار منزلهم من خط دار كثير بن الصلت الى أن يفضى الى جهينة ﴿قلت﴾ وجبل جهينة لم أعرفه فاما أن يكون أراد به مايلى جبل سلع فى مقابلة المصلى ونسبه الى جهينة لنزولهم عنده وهناك سائلة تسيل من سلع اذا حصل المطر واما أن يكون أراد به أحد

الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح لما سيأتى في منازل جهينة (وأما) دار كثير بن الصلت
ببطحان فقد ذكر فى موضع آخر مايبين أنها كانت على شفير وادى بطحان بالعدوة
الغربية وأن عقبة بن أبى معيط لما جلده عثمان بن عفان في الشراب حلف لا يساكنه الا
و بينهما بطن واد فناقل كثير بن الصلت بداره هذه الى دار الوليد بن عقبة التى فى قبلة
مصلى العيد الذى يصلى به الامام اليوم والله أعلم (ونزل) بنو أبى عمرو بن نعيم بن مهان
من بنى عبد الله بن غفار شامي وغربى بنى مبشر بن غفار ومعهم بنو خفاجة بن غفار
(ونزل) بنو ليث بن بكر مابين خط بنى مبشر بن غفار الى خط بنى كعب بن عمرو بن
خزاعة الذى يسلكك الى دور القطفانيين ٭(قلت)٭ يؤخذ مما سيأتى فى منازل بنى
كعب أن منازل بنى ليث كانت في قبلة خط بنى مبشر وشامى بنى كعب فتكون جهة
منازل بنى ليث فى شامي التمارين وغربيهم. ولعل قول ابن زبالة فى دار السوق فى جهة
المغرب قبل ذكر دار التمارين ثم جعل للسكة منفذا يريد به طريق بنى ليث ومن
يشركهم فى ذلك (وقد) قال ابن شبة في دور بنى مخزوم واتخذ أبو شريح الخزاعى حليف
بنى مخزوم دارا غربيها شارع على بطحان وشاميها شارع الى الزقاق الذى يدعي زقاق
بني ليث والله أعلم (ونزل) بنو أحمر بن يعمر بن ليث مابين مسجدهم الي سوق التمارين
واتخذوا المسجد الذى في محلتهم يدعى مسجد بني أحمر (ونزل) بنو عمر بن معمر بن
ليث ما بين مسجدهم الذى يدعى مسجد بنى كدل الى بطحان الى منزل بنى مبشر بن
غفار الى زقاق الجلادين الذى فيه دار الماجشون الى دار أبى سبرة بن خلف الى التمارين
(ونزل) آل قسيط بن يعمر بن ليث مابين شامى بنى كعب من منازل آل نضلة بن عبيد
الله بن خراش الى خط كتاب النصر الى الشارع الى المصلى الى بطحان (ونزل) بنو
رجيل بن نعيم بطرف المصلى بين غربى دار كثير بن الصلت أى التى هى قبلة المصلى
الى دار آل قليع الاسديين الشارعة على بطحان (ونزل) بنو عتوارة بن ليث وهم بنو
عضيدة مابين طرف دار الوليد بن عقبة اليمانى ببطحان الى الحرة الى زقاق القاسم بن
غنام من دار الوليد بن عقبة (ونزل) بنو ضمرة بن بكر الا بنى غفار محلتهم التى يقال لها
بنو ضمرة وهى شرقى ما بين دار عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر
بالثنية الي محلة بنى الديل بن بكر الى سوق الغنم الشارع الى دار ابن أبى ذئب العامرى

واتخذوا في محلتهم مسجدا (ونزل) بنو الديل بن بكر فى محلتهم وهى مابين ضمرة الى
الدار التي يقال لها دار الحرق حدها زقاق الحضارمة و يدعى الخط العظيم لها بنى ضمرة
الى جبل فى مربد أبى عمار بن عبيس من بنى الديل يقال له المستندر الي دار الصلت
ابن نوفل النوفلى التى بالجبانة ٭(قلت)٭ الجبل الذى ذكر أنه يسمى بالمستندر هو الجبل
الصغير الذى فى شرقى مشهد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامي لانطباق الوصف المذكور
عليه والله أعلم (ونزل) أبو نمر بن عويف من بنى الحارث بن عبد مناف بن كنانة على بنى
ليث بن بكر فاتخذوا الدار التى يقال لها دار أبى نمر وهى فى خط بنى أحمر بن ليث
المتقدم ذكره ٭(منازل أسلم ومالك ابنى أفصى)٭ (نزل) بنو أسلم ومالك ابني أفصى بن
حارثة بن عمرو بن عامر منزلين (فنزلت) بنو مالك بن أفصى وأمية وسهم ابنى أسلم
مابين خط زقاق ابن حبين مولى العباس بن عبد المطلب الشامى من زاوية يقصان التى
بالسوق الى خط جهينة الى شامي ثنية عثعث ٭(قلت)٭ قد علم مما سبق في دار السوق
أن زقاق ابن حبين فى غربى سوق المدينة وسيأتى فى ترجمة ثنية عثعث أنها منسوبة الى
جبل يقال له سليع عليه بيوت أسلم بن أفصى فهى الثنية التى عند الجبيل الذى عليه
حصن أمير المدينة اليوم والمراد من بيوت أسلم منزل هؤلاء والله أعلم (ونزلت) سائر
أسلم وهم آل بريدة بن الحصيب وآل سفيان مابين زقاق الحضارمة الى زقاق القنبلة
﴿قلت﴾ وذلك فى شرقى مؤخر سوق المدينة مما يلى الشام وفي جهة زقاق الحضارمة اليوم
حديقة تعرف بالحضرمية شامى سور المدينة وفى شاميها جهة زقاق القنبلة (ونزلت) هذيل
ابن مدركة مابين شامى سائلة أشجع و زاوية دور يحيى بن عبد الله بن أبى مريم الى
دار حرام بن مزيلة بن أسد بن عبد العزى بالثنية زاويتها اليمانية وذلك مجتمعها ومجتمع
أسلم ٭(منازل مزينة ومن حل معها من قيس غيلان بن مضر)٭ (ونزل) بنو هذبة
ابن لاطم بن عثمان بن عمرو الا بنى عامر بن نور بن لاطم بن عثمان وعثمان نفسه الذى
يقال له مزينة وهى أمه مابين زاوية بيت القروى المطل على بطحان الغربية الى زاوية
بيت ابن هبار الأسدى الذى صار لبنى سمعان الشرقية الى خط بني زريق الى دار
الطائفى التى بشق بطحان الشرقي (ونزل) معها فى هذه المحلة بنو شيطان بن يربوع من
بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس و بنو

سليم بن منصور وعدوان بن عمرو بن قيس (وعن) شرقى خطة مزينة هذه سليم بن منصور الى دار خلدة بن مخلد الزرقى وأدنى دار أم عمرو بنت عثمان بن عفان الى بيوت نفيس بن محمد مولى بني المعلى في بنى زريق من الانصار الى أن تلقى بنى مازن بن عدى ابن النجار فهؤلاء الذين نزلوا مع مزينة ودخل بعضهم في بعض وانما نزلوا جميعا لان دارهم في البادية واحدة ۞(قلت)۞ فمنازل مزينة ومن حل معها في غربى مصلى العيد اليوم الى عدوة بطحان الشرقية ثم في قبلة الدور التي بالمصلى ثم في قبلة بنى زريق الى بنى مازن بن النجار (وقد) نزلت بنو ذكوان من بنى سليم مع أهل راتج من اليهود مابين دار قدامة الى دار حسن بن زيد بالجبانة ۞(قلت)۞ ودار قدامة هى المرادة بقول ابن شبة فى دور بنى جمح واتخذ قدامة بن مظعون الدار التى فيها المجزرة على فوهة سكة بنى ضمرة ودبر دار آل أبى ذئب على يمينك وأنت ذاهب الى بنى ضمرة والله أعلم (ونزل) بنو أوس بن عثمان بن مزينة بطرف السورين مابين دار أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق الى مفضى السورين الى الحمارين الزقاق الذى فيه قصر بني يوسف مولى آل عثمان الى البقال ۞(قلت)۞ وهذه الأمور بقرب البقيع كما سيأتى في تراجمها (ونزل) بنو عامر ابن ثور بن ثعلبة بن هدبة بن لاطم مابين بيت أم كلاب الذى فى خط بنى زريق الشارع على المصلى الى دار مدراقيس الطبيب الى دار عمرو بن عبد الرحمن بن عوف ودار عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ودار هشام بن العاص المخزومي ۞(قلت)۞ ودار مدراقيس الطبيب لها ذكر في دور بنى محارب بن فهر (قال) ابن شبة واتخذ معمر بن عبد الله بن عامر داراً فى بني زريق بين الدار التى يقال لها دار مدراقيس الطبيب ودار أم حسان التي صارت لعمر بن عبد العزيز العمرى وهذه الاماكن فى قبلة ماتقدم مما يلي الدور التى في قبلة البلاط في الميمنة وماحولها ولعل دار أم حسان المذكورة هى الموضع المعروف اليوم بدار حسان فى قبلة الدور التى بالبلاط الموالية لدرب سويقة والله أعلم ۞(منازل جهينة وبلى)۞ (ونزل) جهينة بن زيد بن السود بن الحرث بن قضاعة وبلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة مابين خط أسلم الذى بين أسلم وجهينة الى دار حرام بن عثمان السلمى الانصارى التي في بنى سلمة الى الجبل الذى يقال له جبل جهينة الى يماني ثنية عثعث التى عليها دار ابن أبى حكيم الطبيب ۞(قلت)۞ ذكر دار

حرام بن عثمان فى بنى سلمة يرجح أن المراد بجبل جهينة أحد الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح وهناك منازل بنى حرام من بنى سلمة وقد تقدم بيان ثنية عثعث وانها منسوبة الى الجبل الذى عليه حصن أمير المدينة اليوم والله أعلم ۞(منازل قيس بن غيلان)۞ (نزلت) أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس الشعب الذى يقال له شعب أشجع وهو مابين سائلة أشجع الى ثنية الوداع الى جوف شعب سلع وخرج اليهم النبى صلى الله عليه وسلم باحمال التمر فنثره لهم واتخذت أشجع في محلتها مسجدا ۞(قلت)۞ وماذكره منطبق اما على شعب سلع الذى في شرقيه فتكون منازلهم بين خط أسلم الذى في شامى ثنية عثعث وبين جبل سلع وهكذا الى ثنية الوداع واما على شعب سلع الذى في شاميه (وقال) عروة بن الزبير قدمت أشجع في سبعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة فنزلوا شعبهم فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحمال التمر فقال يامعشر أشجع ماجاء بكم قالوا يارسول الله جئناك لقرب ديارنا منك وكرهنا حربك وكرهنا حرب قومنا لقلتنا فيهم فأنزل الله تعالى أوجاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم الى قوله تعالى سبيلا (ونقل) ابن شبة في تأديب عمر بن الخطاب الرعية في أمر دينهم أن رجلا من أشجع يقال له بقيلة كان غازيا فبلغه أن جعدة بن عبدالله السلمى يحدث النساء وان جوارى يخرجن الى سلع فيحدثهن ثم يعقل الجارية ويقول قومى في العقال فانه لايصبر على العقال الا حصان فتقوم ساعة ثم تسقط فربما تكشفت فكتب الاشجعى الى عمر

ألا أبلغ أبا حفص رسولا ۞ فدى لك من أخي ثقة ازارى

قلائص تقمن معقلات ۞ قفا سلع لمختلف النجار

قلائص من بنى سعد بن بكر ۞ أو اسلم أوجهينة أوغفار

يعقلهن جعدة من سليم ۞ معيدا يبتغى سقط العذار

قلائصنا هداك الله انا ۞ شغلنا عنهم زمن الحصار

يعقلهن أبيض شيظمى ۞ فبئس معقل الذود الظوارى

فدعا عمر بجعدة فقال أنت لعمرى كما وصف أبيض شيظمي وسأله فأقر فضربه مائة معقولا وغربه الى الشام فكلم فيه فأذن له على أن لايدخل المدينة ثم أذن له أن

بجمع ثم أذن له أن يدخل في الجمعة مرتين (وقال) ابن اسحق الذى كتب بالشعر رجل من هوازن يدعى خيثمة (ونزلت) بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس محلتها التى يقال لها بنو جشم وهى ما بين الزقاق الذى يقال له زقاق سفين الى الاساس الذى يقال له أساس اسماعيل بن الوليد الى خوخة الاعراب الى دور ذكوان مولى مروان بن الحكم ﴿ قلت ﴾ ولم أعرف شيأ مماذكره غير انه ذكر فى دور بنى جمح أن محمد بن حاطب اتخذ الدار التى تدعى دار قدامة في بني زريق شرقيها الدار التي يقال لها دار الاعراب فلعل خوخة الاعراب وماذكر معها في تلك الجهة والله أعلم (ونزلت) بنو مالك بن حماد وبنو زنيم وبنو سكين من فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ذئب بن غطفان المحلة التى يقال لها بنو فزارة وهى الى حمام الصعبة الى سوق الحطابين الذى بالجبانة ولم ينزلها أحد من بنى عدى بن فزارة *(قلت)* والذى علمنا جهته من ذلك سوق الحطابين بالجبانة قرب مسجد الراية وثنية الوداع كما سيأتى في ترجمة الجبانة والله أعلم *(منازل بنى كعب بن عمرو واخوتهم من بني المصطلق)* (نزل) بنو كعب بن عمرو بن عدى بن عامر ما بين يماني بني ليث بن بكر الى دار شريح العدوى الى موضع التمارين بالسوق الى زقاق الجلادين الشارع على المصلى يمنة ويسرة الى بطحان الى زقاق كدام وكدام سقاط كان هناك الى دار ابن أبى سليم الشارعة على شامى المصلى (ونزلت) بنو المصطلق بن سعد بن عمرو وأخوه كعب بن عمرو رهط جويرية بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ظاهرة حرة بنى عضدة الى أدنى دار عمر بن عبد العزيز الى الدار التى يقال لها دار الخرازين *(قلت)* وذلك بالحرة الغربية * ومن تأمل ماذكر في دور المهاجرين ومنازل القبائل منهم مع ماسبق في منازل الانصار رأى أمرا عظيما فيما كان من عمارة المدينة وسعتها واتصال بعضها ببعض وآثار ما كان من العمارة شاهد بذلك اليوم واسم المدينة صادق على ذلك كله وسيأتى في ترجمة قباء أنها كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة الشريفة أى بما بينها من النخيل ولهذا لم تكن الجمعة تقام بغير المسجد النبوى ولو كانت قباء وغيرها من القرى المنفصلة اليوم منفصلة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبها تلك القبائل من الناس لوجب اقامة الجمعة فى كل قرية بها أربعون كما تقرر فى موضعه فقد كانت كلها فى حكم البلد الواحد فسبحان من يرث الارض ومن

عليها وهو خير الوارثين

ولما طرق المدينة الشريفة الخراب في أطرافها جعلوا لها سوراً قال المجد الفيروز بادى سور المدينة الشريفة بناه أولا عضد الدولة بن بويه بعد الستين وثلاثمائة في خلافة الطائع لله بن المطيع لله ثم تهدم على طول الزمان وتخرب لخراب المدينة ولم يبق الا آثاره ورسمه (وقال) المطرى فى الكلام على مسجد جهينة ان ناحية جهينة معروفة غربى حصن صاحب المدينة والسور القديم بينها وبين جبل سلع وعندها أثر باب للمدينة معروف بدرب جهينة الى تاريخ كتابه وهو سنة ست وستين وسبعمائة *(قلت)* قد قدمنا مايخالف ماذكره فى ناحية جهينة لانا وان لم نر الباب الذى أشار اليه لكن رأينا آثار السور القديم قبلى جبل سلع وقرب الحصن المذكور . ويظهر من حاله أن غالب منازل جهينة وغيرها من المنازل المتقدمة كانت فى جوفه وانه كان في جهة المغرب على شفير بطحان بالعدوة الشرقية لان الاقشهرى نقل في روضته عن صاحب سور الاقاليم انه قال المدينة أقل من نصف مكة وهى في حرة سبخة الارض وبها نخل كثير ومياه نخيلهم وزرعهم من الآبار يسقى منها العبيد وعليها سور والمسجد في نحو من وسطها . ثم ذكر صفة المسجد والقبر الشريف ثم قال ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه الاعياد من غربي المدينة داخل الباب انتهى فكون المصلى داخل الباب شاهد لما ذكرنا وقد صرح بنحوه الامام أبو عبد الله الاسدى فانه ذكر المساجد الخارجة عن المدينة ثم ذكر المساجد التي بالمدينة فقال وداخل المدينة مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) المطرى بعد ذكره لما تقدم من باب هذا السور القديم ونقل ابن خلكان ان سور هذا الباب القديم بناه عضد الدولة بن بويه بعد الستين وثلاثمائة من الهجرة في أيام الطائع لله ابن المطيع ثم تهدم على طول الزمان وخرب لخراب المدينة ولم يبق الا آثاره حتى جدد لها جمال الدين محمد بن أبي منصور يعنى الجواد الاصبهانى وزير بنى زنكي سورا محكما حول المسجد الشريف على رأس الاربعين وخمسمائة من الهجرة ثم كثر الناس من خارج السور ووصل السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في سنة سبع وخمسين وخمسمائة الى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها وذكر ماقدمناه عنه في خاتمة الفصل التاسع والعشرين (ثم) قال انه لما ركب متوجها الى الشام صاح به من كان نازلا

حول السور واستغاثوا وطلبوا ان يبنى عليهم سورا يحفظ أبناءهم وماشيتهم فأمر ببناء هذا السور الموجوداليوم فبنى في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكتب اسمه على باب البقيع فهو باق الى تاريخ هذا الكتاب *(قلت)* وهو باق على باب البقيع الى ان كتبنا كتابنا هذا وصورته فى صفحات الحديد المصفح بها الباب * هذا ما أمر بعمله العبد الفقير الى الله تعالى محمود بن زنكي بن أقسنقر غفر الله له سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وهذا لايدل على انه أنشأ السور (وعبارة) البدر بن فرحون عند ذكره لمحاسن نور الدين الشهيد رحمه الله ما لفظه وبنى أيضا سور بعلبك وكمل بناء سور المدينة وهو سورها الموجود اليوم واسمه مكتوب على باب البقيع وأما السور الذى داخل المدينة فانما أحدثه الوزير جمال الدين محمد بن أبى منصور وكان وزيرا لوالد الملك العادل يعنى زنكي ثم استوزره بعد زنكي ولده غازى بن زنكى يعني أخا الملك العادل فهذا يقتضى أن الملك العادل انما كمل بناء السور الموجود اليوم فقط ويبعده ماذكره من بناء الجواد لسوره فانه لو كان السور المذكورموجودا لكان هوأ كمله ولم ينشئ سورا غيره . ومدة بناءالسورين المذكورين متقاربة كما يعلم مماقدمناه (وقال) المجد ان الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن أبي شامة قال في كتابه ماصورته ومن أعظم الاعمال التى عملها نفعا يعنى وزير الموصل جمال الدين الجواد أنه بنى سوراعلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فانها كانت بغير سور ينهبها الاعراب وكان أهلها فى ضنك وضر معهم (قال) ابن الاثير رأيت بالمدينة انسانا يصلى الجمعة فلمافرغ ترحم على جمال الدين ودعا له فسألناه عن سبب ذلك فقال يجب على كل مسلم بالمدينة ان يدعو له لاننا كنا في ضر وضيق ونكد عيش مع العرب لايتركون لاحدنا ما يواريه ويشبع جوعته فبنى علينا سورا احتمينا به ممن يريدنا بسوء فاستغنينا فكيف لاندعو له (قال) عقبه قلت وهذا السور الذى بناه جمال الدين هو السور الثانى والسور الذى بناه الملك العادل نور الدين هو السور الثالث أى بحسب الزمان وعلى كل منهما اسم بانيه على الابواب وأما السور الاول الذى بناه عضد الدولة فلم يبق منه أثر يعرف به مكانه انتهى هكذا نقلته من تاريخ المجد * وبقوله انتهى ظهر أن قوله قلت الى آخره من كلام ابن أبى شامة ويحتمل أن يكون من كلام ابن الاثير (وقال) المجد عقبه قال وكان الخطيب بالمدينة يقول فى خطبته اللهم صن حريم من

صان حرم نبيك بالسور محمد بن على بن أبى منصور فلولم يكن له الا هذه المكرمة لكفاه فخرا فكيف وقد أصابت صدقته تخوم الارض شرقا وغربا وبرا وبحرا (وأما) شدة عنايته بأهل المدينة فكانت عظيمة قال ابن الاثير حكى لى بعض الصوفية ممن كان يصحب الشيخ عمر النشاى شيخ شيوخ الموصل قال أحضرنى الشيخ فقال لى انطلق الى مسجد الوزير بظاهر الموصل واقعد هناك فاذا أتاك شيء فاحتفظه الى أن أحضر عندك ففعلت فاذا قد أقبل جمع كثير من الحمالين يحملون أحمالا من النصافي والخام واذا نائب جمال الدين قد جاء مع الشيخ ومعهما قماش كثير وثمانية عشر ألف دينار وعدة كثيرة من الجمال فقال لى تأخذ هذه وتسير الى الرحبة وتوصل هذه الرزمة وهذا الكتاب الى متوليها فلان فاذا حضر لك فلان العربي فتوصل اليه هذه الرزمة الأخرى وهذا الكتاب وتسير معه فاذا أوصلك الى فلان العربي توصل اليه هذه الرزمة وهذا الكتاب وهكذ الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فتوصل الى وكيلى فلان هذه الاحمال وهذه الكسوات والمال الذى عليه اسم المدينة ليخرجها بمقتضى هذه الجريدة ثم تأخذ الباقي الذى عليه اسم مكة فتسير اليها فيتصدق به وكيلى بموجب الجريدة الأخرى فسرنا بذلك الى وادى القرى فرأينا هناك جمالا كثيرة تحمل الطعام الى المدينة وقد منعهم خوف الطريق فلما رأونا ساروا معنا اليها فوصلناها والحنطة بها كل صاعين بدينار مصرى والصاع أى في ذلك الزمان خمسة عشر رطلا بالبغدادى فلما رأوا المال والطعام اشتروا كل سبعة آصع بدينار فانقلبت المدينة بالدعاء له *(قلت)* وقد قدمنا كيفية نقله الى المدينة الشريفة بعد موته ودفنه بتربته التى برباطه المجاور للمسجد الشريف عند ذكر باب عثمان وهو باب جبريل لمقابلته له وتقدم ذكره أيضا فى ترخيم الحجرة الشريفة (ومن) أعماله الحسنة تجديد مسجد الخيف واجراء عين عرفة وبناء جدار الحجرة وترخيمه وتجديد باب الكعبة وكان النعش الذى حمل فيه هو باب الكعبة القديم وفيه يقول أبو المجد بن قسيم

أغر تبصر منه الناس فى رجل * والليث في بشر والبدر في غصن
سما بهمته في المكرمات الى * علياء تقصر عنها همة الزمن

(الى ان قال فيه)

صان المدينة تسويرا وصورها ٭ في الحسن غادة ملك الشام واليمن
وصان بالمال أهليها فابقيت ٭ هزلاء الا تشكت كثرة السمن

ولسور المدينة اليوم أربعة أبواب غير باب حصن أمير المدينة المعروف بباب السر وهو باب عظيم كله من الحديد ٭(وأما)٭ الابواب الاربعة (فأحدها) الباب الذى غربي المدينة فى جهة المصلى عند منزلة الحاج المصرى ويعرف بدرب المصلى ودرب سويقة وذرع ما بينه وبين عتبة باب السلام ستمائة ذراع وخمسة وأربعون ذراعا وكان عليه باب متقن أحرقه بعض صبيان الامير ضغيم سنة عزله فأخذ أمير المدينة باب الحوش الذى عمره الامير ضغيم وجعله عليه ثم عمل له باب متقن كالاول في عمارة المسجد المتجددة بعد الحريق الثانى (ثانيها) الباب الذى فى جهة المغرب أيضا عند رحبة حصن أمير المدينة يعرف بالدرب الصغير (ثالثها) الباب المعروف بالدرب الكبير وبالدرب الشامى (رابعها) الباب المعروف بدرب البقيع في شرقى المدينة ويعرف بدرب الجمعة وعليه باب متقن مغشى بصفائح الحديد والظاهر انه باق من زمن نور الدين الشهيد لما قدمناه من الكتابة عليه (وذرع) مابينه وبين عتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل أربعمائة ذراع وثلاثة وثلاثون ذراعا (وفي) قبلة سور المدينة موضع باب مسدود اليوم وكان يعرف بدرب السوارقية (ولم يزل) الملوك يهتمون بعمارة سور المدينة ويصلحون ماوهى منه (وقد) ذكر الزين المراغي انه جدد فى سنة خمس وخمسين وسبعمائة في أيام الملك الصالح صالح أحد أولاد الناصر محمد بن قلاوون (وذكر) البدر ابن فرحون أن الامير سعد بن ثابت بن حماد ابتدأ في سنة احدى وخمسين وسبعمائة عمل الخندق الذى حول السور المذكور ومات ولم يكمله وأكمله الامير فضل بن قاسم بن حماد في ولايته بعده والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تم الجزء الاول من كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم. ويليه الجزء الثانى وأوله الباب الخامس فى مصلى النبى صلى الله عليه وسلم في الاعياد ﴾

٭﴿ فهرست كتاب وفاء الوفا باخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم للعلامة المحقق والفهامة المدقق أبى المحاسن سيدى عبدالله الحسينى السمهودى الشافعى رحمه الله تعالى ونفع بعلومه آمين ﴾٭

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تم الفهرست)



